مجلة الأزهر

٣٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٣٩

المجلد السابع والثلاثون

السنة ١٣٨٥هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

سقيفة الصفا العلمية

مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25899823 / 25907497
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م

SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail: info@saqifat-alsafa.org

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٤٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الأول ـ السنة السابعة والثلاثون ـ المحرم سنة ١٣٨٥ هـ ـ مايو ١٩٦٥ م

١٢ هـ
٢٢٢٢٦٤ ع
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية

بقلم : الأستاذ عبد الرحيم فوده

مرّ قيس بن مطاطية – على حلقة من الصحابة رضى الله عنهم ، فرأى بينهم بلالا الحبشى ، وصهيبا الرومى . وسلمان الفارسى وغاظه أن يجتذب دعوة الإسلام أناسا من غير العرب، وتؤلف من المسلمين على اختلاف ألوانهم وحدة قوية . فقال ينفس عن غيظه وحقده : هؤلاء ينصرون الرجل (يعنى محمدا) لأنه منهم . فما بال هؤلاء ؟ وأشار إلى بلال وصهيب وسلمان ، ولم يكد ينتهى من كلامه حتى قام إليه معاذ بن جبل رضى الله عنه ، وأخذ بتلابيبه . وجره بثيابه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم أخبره بمقالته . فقام عليه السلام مغضبا يجر رداءه حتى أتى المسجد ، ثم نودى : أن الصلاة جامعة ، فاجتمع المسلمون إليه، وقال عليه الصلاة والسلام : يا أيها الناس ، إن الرب واحد ، والأب واحد ، وإن الدين واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وإنما هى اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربى ، وقام معاذ بن جبل فقال : فما تأمرنى بهذا المنافق يارسول الله ؟ قال : دعه إلى النار ، ثم كان ما تنبأ به النبى صلى الله عليه وسلم ، فقتل قيس فى حروب الردة ، وذهب إلى النار وبئس القرار .

هذه القصة التى ذكرتها بمعناها وكثير من ألفاظها تذكرتها وأنا أتطلع فى غبطة وسرور وأمل إلى وجوه أعضاء المؤتمر

الثانى لمجمع البحوث الإسلامية ، وأرى فى ملامحها أئمة الفكر من مختلف الشعوب الإسلامية يجتمعون على كتاب الله وسنة رسوله . ليجدوا فيهما للعالم هدى من ضلال، ورشدا من غى . وأمنا من خوف ، فإن كتاب الله وسنة رسوله كما يقول الله فيهما : وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا . ما كنت تدرى : ما الكتاب ولا الإيمان ؟ ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ، صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور .

ولا شك أن البحوث التى قدمها أعضاء المجمع فى هذا المؤتمر ، والمناقشات التى دارت حولها ، والمشكلات التى عالجوها والتمسوا الحلول لها ، مايهم العالم كله أن يطلع عليه ، وينتفع بهداه ، لأنها فى المرتبة الأولى من الموضوعات العامة العالمية ، كاستثمار الأموال والمعاملات المصرفية . والتأمين ، ومكانة المرأة وتنظيم الأسرة ، والإيمان والتدين عند الشباب المثقف ، أما الموضوعات التى بحثها المؤتمر كمشكلة فلسطين وإسرائيل فإنها ـ على أنها تمس العرب والمسلمين عامة ـ تؤثر بطريق مباشر فى أمن العالم وسلامته ، لأن الصهيونية والاستعمار ـ وهما سند إسرائيل وعونها وأساس تكوينها ـ يمثلان الخطر الأكبر على السلام العالمى ، بل إنهما ترد إليهما كل أسباب القلق والأرق والكوارث التى يشقى بها العالم .

وقد شهدت كثيرا من جلسات المؤتمر ، واستمعت إلى كثير من المناقشات التى دارت أو أثيرت فيها ، وتحدثت مع كثير من الأعضاء ، فأحسست أن الروح الذى أوحاه الله إلى خاتم أنبيائه ورسله لا يزال حيا فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، وأن الحياة التى قامت عليه أقوى من أن تهدمها أوتهزمها عوامل الهدم والفناء التى سلطت عليها من كل جانب ، وأن ضباب الشرك والإفك والإلحاد والاستعمار والصهيونية والصليبية سينجاب عن هذا النور الذى كتب الله له أن يظهر ويظفر ، لأنه نوره « ويأبى الله الا أن يتم نوره » ، ولأنه الحق ومصير الحق ـ مهما طال عليه الأمد ـ أن يدمغ الباطل . كما يقول الله فيه : « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق » .

وإذا كان العالم الإسلامى قد تخلف فى مضمار العمارة والحضارة والعلم والفن عن غيره فإن تخلفه لا يقاس بأمد سبقه ، وقد ازدهرت حضارته فى الأندلس والهند أكثر من ثمانية قرون . وأشرقت أشعتها على ربوع أوربا وآسيا أدنى من ذلك أو أكثر ، أما هذه الحضارة الحديثة التى تحمل فى بنائها عوامل فنائها فلم تتجاوز ثلاثة قرون . وهى ـ على ما وصلت

إليه من ثراء ورخاء وتقدم فى العلوم والفنون لم تقدم للإنسانية ما تطمح إليه من طمأنينة وسكينة وأمن واستقرار، بل نكبتها بحربين عالميتين سالت فيهما الدماء أنهارا وبحارا، زهقت فيهما أرواح الأبرياء من الأطفال والرجال والنساء ظلما وعدوانا، ولا يزال العالم يتوقع حربا ثالثة إذا وقعت - لا قدر الله - فلا يعلم إلا الله مداها ومنتهاها «ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتى وعد الله».

وأما الحضارة الإسلامية فقد كانت نورا هاديا وخيرا ناميا، وأمنا عاما، وقد قدم فى هذا الموضوع بحث مستفيض بعد القراء جانبا منه فى هذا العدد، كما يجدون أهم ما تناولته البحوث الأخرى من مبادىء ونظريات فى مختلف الموضوعات التى ذكرناها أو أشرنا إليها، وقد اختتم المؤتمر أعماله بتوصيات وقرارات نرجو أن يتردد فى الآفاق صداها، وبخاصة فى الشرق العربى والعالم الإسلامى، لأنها نابعة من قلوب تخفق بآمال المسلمين فى كل بلد يعيش فيه مسلم، وتحس بآلام الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق فى فلسطين، وتستهدف فى كل ما تشعر به وتتحمس له خير الناس أجمعين، لأنها تترسم فى خطاها - إلى الإصلاح المنشود - هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وقد كان كما يقول الله فيه: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين».

«وبعد»: فإن ما قدم من بحوث فى هذا المؤتمر، وما دار فيه من مناقشات، يعد ذخيرة طيبة قيمة فى رصيدنا الفكرى وتراثنا الثقافى، بل هو فى التقدير السليم مظهر لمناعة هذا الدين ومتانة بنائه وسعة اتجاهاته وصلاحه لكل زمان ومكان، واستجابته لدواعى الحياة الطيبة الكريمة. وإذا كان هذا العدد الخاص لا يسع كل ما عرض فى هذا المؤتمر وما دون فى جلساته، فإنه يعطى صورة مجملة عن أعماله، أما تفصيل كل ما قيل وتسجيل كل ما كتب، فستتولاه الأمانة العامة وتصدر به كتابا حافلا شاملا. يوزع فى جميع الشعوب والهيئات العلمية الإسلامية وغيرها ليرى المسلمون على هداه طريقهم إلى الحق والخير والحياة الطيبة الكريمة، ونسأل الله - جلت قدرته - أن يثبت خطاهم. ويكلل بالنجاح جهادهم ومسعاهم، وأن يحفظ لنا وللعرب والمسلمين أجمعين: السيد الرئيس جمال عبد الناصر. الذى تفضل. فشمل هذا المؤتمر برعايته وكرمه. وأن يؤيده بعونه ونصره فى كل ما يطلع به من أعباء لرفع شأن العروبة وإعلاء كلمة الإسلام..

عبد الرحيم فوده

الدّعوة إلى المؤتمر

شهد العام الماضى انعقاد أول مؤتمر لمجمع البحوث الإسلامية بعد صدور قانون تطوير الأزهر وتشكيل مجمع البحوث الإسلامية ، واستقبلت القاهرة طلائع علماء المسلمين الذين وفدوا من قرابة أربعين دولة إسلامية من شتى أرجاء العالم ليشاركوا فى وضع قواعد البحث المشترك ، والنظر المتجدد ، والفهم المتطور فى الفقه الإسلامى وعلوم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ؛ لتحقيق التلاؤم بين واقع الدنيا وأصول الدين فى غير جمود أو تحلل .

ومع مطلع شهر المحرم من هذا العام بدأت الأمانة العامة لمجمع البحوث تستقبل أعضاء المؤتمر الثانى للمجمع ، تستضيفهم وتهيئ لهم وسائل الإقامة والتنقل ، وتقوم على خدمتهم وراحتهم طوال مقامهم فى ضيافة الأزهر وتحت رعاية الجمهورية العربية المتحدة .

وفى اليوم الثانى عشر من شهر المحرم كان موعد افتتاح الدورة الثانية ، وكان اللقاء على صعيد مصر فى رحاب الأزهر ، لقاء اكتمل به عدد وفير من علماء المسلمين ومفكريهم من مختلف البلاد الإسلامية فى إفريقيا وآسيا وأوربا يمثلون خمساً وثلاثين دولة ، يتطلع سكانها فى شغف وشوق إلى أحكام الإسلام وفقه الدين بعيداً عن العصبية المذهبية والطائفية ، متحرراً من التزمت والجمود ، معصوما من التحلل والتفريط .

فى الساعة العاشرة من صباح يوم الافتتاح توجهت وفود العلماء إلى القصر الجمهورى بالقبة وفى مقدمتهم : فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، ووكيل الأزهر ، والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ، فقيدوا أسماءهم فى سجل الزيارات معربين عن مشاعر المسلمين الصادقة نحو أزهر الإسلام ، مقدرين للجمهورية العربية وقائدها ما يبذلون من غال ونفيس لدعم الأزهر حتى ينهض برسالته فى إمداد المسلمين بإشعاعات الرسالة المحمدية ، وتنمية طاقاتهم الروحية وتزويدهم بأحكام الدين وأصوله .

وفى الساعة الحادية عشرة والنصف استقبلت قاعة الاجتماعات بمبنى محافظة القاهرة وفود العلماء ، ليشهدوا حفل افتتاح الدورة الثانية لمؤتمر مجمع البحوث الإسلامية .

وقد حضر حفل الافتتاح السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية نائباً عن السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، والسادة : المهندس أحمد عبده الشرباصى نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف وشئون الأزهر ، والأستاذ السيد يوسف وزير التربية والتعليم ، والدكتور رياض زكى وزير البحث العلمى ، والسيد عبد الخالق حسونة الأمين العام لجامعة الدول العربية والشيخ أحمد حسن الباقورى مدير جامعة الأزهر ، والأستاذ صلاح الدسوقى محافظ القاهرة ، وعدد كبير من علماء الأزهر والمشتغلين بالشئون الإسلامية .

وقد افتتح الحفل بتلاوة مباركة من كتاب الله من الشيخ محمود خليل الحصرى ، ثم ألقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر كلمته معلنا افتتاح الدورة الثانية لمؤتمر مجمع البحوث الإسلامية ، مرحبا بأعضاء المؤتمر وضيوفه مؤكدا قدرة المسلمين فى حاضرهم على استخلاص مقومات الارتقاء إلى حضارة إسلامية ذاتية ، بفضل تحرر بلاد إسلامية كثيرة من ربقة الاستعمار الذى قيد خطوها ، وعطل سيرها مدة كبيرة من الزمن ، داعيا إلى بذل غاية الجهد للنهوض بتبعات الأمانة التى ألقاها العالم الإسلامى على كاهل العلماء .

ثم أعقبه فضيلة الشيخ عبد الله غوشة قاضى القضاة بالأردن فألقى كلمة بالنيابة عن وفود المؤتمر دعا فيها إلى ضرورة اتحاد المسلمين وتعاونهم على أساس من قوة العقيدة والخلق ، وتنظيم حياة المجتمع الإسلامى على أساس من كتاب الله وسنة رسول الله ، منبها إلى أهمية مجمع البحوث الإسلامية فى تحقيق هذه الغاية ، ومسئولية المؤتمر فى حمل هذه التبعة .

واختتم كلمته بشكر المؤتمر للجمهورية العربية المتحدة حكومة وشعبا على تهيئة فرصة العمل الإسلامى المشترك أمام علماء المسلمين ، من أجل إعلاء كلمة الله ونشر دينه .

ثم ألقى الدكتور محمود حب الله الأمين العام لمجمع كلمة الأمانة العامة مشيرا إلى ما للأمة الإسلامية من رصيد فكرى واجتماعى وسياسى واقتصادى يكفيها وحده لمواجهة مشاكل الحياة ، ويتحدى بعمقه وأصالته وشموله كل المذاهب التى استحدثها البشر

ثم عرض أعمال المؤتمر الأول والبحوث التى ناقشها وصدى الأعمال التى قام بها لدى الرأى العام الإسلامى ، مؤكدا ضرورة تتبع

المشكلات الجزئية التي دخلت حياة المسلم وإيجاد الحلول التي يتأكد بها إيمانه، ليتحقق التفاعل بين البحث العلمي والواقع العملي، وختم كلمته بعرض خطة العمل للمؤتمر في دورته الثانية بين أيدي المؤتمرين.

ثم ألقى السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية كلمته، فحيا العلماء ورحب بهم باسم الرئيس جمال عبد الناصر، معربا عن تمنياته للمؤتمرين بالتوفيق والسداد لتتحقق بجهودهم آمال المسلمين في نهضة فكرية على مستوى الرسالة التي يعملون في سبيلها، متخذين من القدوة رباطا يحكم الصلة بين الدعوة والواقع.

ثم تحدث عن ميادين العمل الإسلامي التي خطت فيها الجمهورية العربية المتحدة خطوات واسعة في مجال التنفيذ والتطبيق في مجتمع أساسه الدين والأخلاق والوطنية، واختتم كلمته بالحديث عن مأساة فلسطين، ومحاولة الدول الاستعمارية تصفيتها على أيدي بعض الخارجين على الصف العربي، وضرورة تضافر العالم الإسلامي من أجل عودة الأرض السليبة إلى أصحابها الشرعيين.

واختتم الحفل بمثل ما افتتح به بتلاوة مباركة من كتاب الله من الشيخ محمود خليل الحصري.

تخصيص الجلسة الأولى لكلمات الوفود:

وفي الساعة الخامسة والنصف مساء عقدت الجلسة الأولى للمؤتمر برياسة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر وخصصت للاستماع إلى كلمات الوفود فتحدث السادة: سماحة الشيخ علي كاشف الغطاء من علماء الشيعة بالعراق والسيد أحمد النتو زعيم مسلمي الفيلبين، والشيخ نجم الدين الواعظ من علماء السنة بالعراق، والشيخ عبد الحميد السايح رئيس محكمة الاستئناف الشرعية بالقدس، والسيد: وان عبد القادر إسماعيل من علماء ماليزيا، وسماحة الشيخ محمد مهدي الخالصي من علماء الشيعة بالعراق والحاج سوري إبراهيم كانو رئيس جمعية الأخوة الإسلامية في سيراليون، والشيخ علي عبد اللطيف الجسار من علماء الكويت والسيد أبو بكر محمد عزيز زعيم طائفة اللبج بسيلان، والشيخ محمد حسن عواد عضو المحكمة الشرعية العليا بغزة.

وقد تضمنت كلمات الوفود جوانب شتى من رسالة المجمع في العمل على دعم الإسلام والدعوة إليه، ورفع مستوى المسلمين وتوحيد صفوفهم لمواجهة المشاكل والقضايا الإسلامية الراهنة، كما عكست صورة الآمال التي يعلقها المسلمون في كل مكان على قيام هذه المؤسسة الإسلامية العظيمة.

وقد أكدت كلمات المتحدثين جميعاً ضرورة العمل الإسلامى الموحد من أجل تحرير فلسطين بوصفها قضية المسلمين جميعا كما أشادوا فى كلماتهم بالدور القيادى الذى تقوم به الجمهورية العربية المتحدة معقل العروبة وموطن الأزهر.

وفى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الجمعة، ثانى أيام المؤتمر توجهت الوفود إلى الرواق العباسى بالجامع الأزهر حيث كان فى استقبالهم: فضيلة شيخ الأزهر، ووكيل الأزهر، والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، وكبار العلماء فأدوا فريضة الجمعة تحيط بهم جموع المسلمين الذين ازدحم بهم المسجد مرحبين بعلماء المسلمين مؤملين الخير الكثير على لقاءاتهم الجادة فى سبيل إعزاز دين الله. حتى إذا قضوا صلاتهم خرجوا بين حفاوة المصلين وتكريمهم قاصدين استراحاتهم استعدادا لجلسات المؤتمر وتهيئوا لمناقشة بحوثه العلمية التى أعدها أعضاء مجمع البحوث لتكون مجالا للدراسة والمناقشة، وقد تضمنت البحوث الموضوعات التالية: —

١ — العقيدة الإسلامية كما جاءت فى القرآن الكريم: لفضيلة الشيخ محمد أبى زهرة

٢ — الزكاة:
لفضيلة الشيخ محمد أبى زهرة

٣ — تنظيم الأسرة وتنظيم النسل:
لفضيلة الشيخ محمد أبى زهرة:

٤ — استثمار الأموال فى الإسلام:
للدكتور محمد عبد الله العربى

٥ — المعاملات المصرفية المعاصرة ورأى الإسلام فيها.
للدكتور محمد عبدالله العربى

٦ — شبابنا المثقف أمام الإيمان والتدين
لفضيلة الشيخ نديم الجسر

٧ — تربية الشباب على مبادئ الإسلام:
للأستاذ عبد الحميد حسن

٨ — أثر الحضارة الإسلامية فى رقى البشرية وسعادتها.
للأستاذ محمد خلف الله أحمد

٩ — مكانة المرأة فى الإسلام:
للدكتور إبراهيم اللبان

١٠ — المعاملات المصرفية:
للأستاذ وفيق القصار

١١ — فلسطين وإسرائيل:
للدكتور إسحق الحسينى

١٢ — مقومات الحضارة الإسلامية
للدكتور سليمان حزين

١٣ — التأمين
لفضيلة الشيخ على الخفيف

١٤ — موقف الإسلام من الرق فى العصر الحاضر - للأستاذ عبد الله كنون

١٥ ــ الصدقات فى الإسلام
للدكتور محمد مهدى علام
الهيئات العلمية والإسلامية

تكريم أعضاء المؤتمر

هــذا وقد حرصت الهيئات العلمية والإسلامية فى الجمهورية العربية المتحدة على تكريم وفود المؤتمر والاحتفال بهم، وتهيئة الفرص أمامهم للقاءات أخوية كثيرة تزيد من قوة الرابطة بينهم والتعرف على مجالات النشاط العلمى والإسلامى فى مصر فأقيمت لهم حفــلات التكريم من: مشيخة الأزهر، وجامعة الأزهر، وجمعية الشبان المسلمين، والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ونقابة المعلمين، والحاكم العام لقطاع غزة.

كما هيأت لهم الأمانة العامة لمجمع البحوث زيارة بعض المنشآت الإصلاحية والعمرانية التى حققتها يد الإصلاح منذ قيام ثورة مصر عام ١٩٥٢ فزاروا مديرية التحرير، وأسوان وقطــاع غزة حيث عاشوا مأساة فلسطين وشاهدوا على الطبيعة أشنع جريمة ارتكبت فى حق الإنسان بفعل الاستعمار والصهيونية وأعداء الإسلام. وقرأوا فى وجوه اللاجئين قسوة الظلم ومرارة الحرمان من الوطن الأم. وفرغوا من زيارتهم لينقلوا صورة واقعية لحقيقة المأساة التى يعيشها شعب تواطأت عليه كل قوى البغى - ينقلوها إلى أبناء المسلمين فى إفريقيا وآسيا وأوربا . . .

الدول التى دعيت إلى المؤتمر

من إفريقيا: ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، السودان، الصومال، نيجيريا، موريتانيا، السنغال، مالى، غينيا، سيراليون، توجو، أوغندا، كينيا، جنوب إفريقيا.

ومن آسيا: العراق، اليمن، الكويت، عمان، الأردن، لبنان، فلسطين، البحرين أفغانستان، باكستان، الهند، أندونيسيا، سيلان، الفلبين، ماليزيا، اليابان، تركيا

ومن أوروبا: المجر، روسيا، اليونان.

وفيما يلى الكلمات التى ألقيت فى حفــل الافتتاح.

١ ــ كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر

٢ ــ كلمة الوفود لفضيلة الشيخ عبدالله غوشه: قاضى قضاة الأردن

٣ ــ كلمــة الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية.
لفضيلة الأستاذ الدكتور محمود حب الله الأمين العام

٤ ــ كلمة السيد حسين الشافعى نيابة عن السيد الرئيس جمال عبد الناصر

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

باسم الله أفتتح الدورة الثانية لمؤتمر مجمع البحوث الإسلامية ، وباسم الأزهر - معهد كل مسلم - أحييكم يارواد الفكر الإسلامى ، وقادة البحث العلمى تحية من عند الله مباركة طيبة ، يتوجها حمد الله على أن جمعنا تحت راية القرآن ، وفى ظلال سنة محمد عليه الصلاة والسلام .

وإنى إذ أرحب بكم فى الجمهورية العربية المتحدة - أستوحى عواطف المسلمين فى بقاع الأرض ، فهم بفرحة الأمل فيكم يستشرفون إلى ثمار مؤتمركم استشراف الظماء لفيض الدلاء .

وإن المسلمين الذين شقوا طويلا بما أقام الاستعمار بينهم من حواجز وحدود ، وبما أشاع فيهم من خمود وتفرقة - استطاعوا بما وهبهم الله من قيادات ، وبما أشعلوا من ثورات - أن يجعلوا أمورهم بأيديهم ، وأصبح لهم الخيار فيما يأتون وفيما يدعون ، ولهم وحدهم أن ينطلقوا إلى آفاق طموحهم على هدى من ربهم .

وقد عرف أولو الأمر فى الجمهورية العربية المتحدة ما تحتاجه مرحلة التحول من تخطيط ، وما تستدعيه مرحلة الانطلاق من طاقات ، وعرفوا أيضا أن فى رصيدنا الإلهى من الدين الإسلامى مقومات الارتقاء إلى حضارة إسلامية ذاتية لا شرقية ولا غربية فطوروا الأزهر لينهض بدوره الرئيسى فى هذا البعث الإسلامى ، وأنشىء مجمع البحوث الإسلامية بمجلسه الدائم ومؤتمره الدورى العالمى الذى يجمع الأفذاذ من علماء الإسلام الذين يمثلون الثقافات العالمية فى كل نواحيها ، ويجمعون إلى تفوق المواهب وأصالة الملكات عمق البحث ، وغيرة التدين ، وكمال الوعى بكل ما تتطلبه الحياة المعاصرة من مبادىء وأحكام .

وحرصاً على التقاء الأفهام وتوحيد الأحكام ، مثلت الأقاليم الإسلامية بأعلام علمائها ، وصفوة مبرزيها لتضمن للاجتهاد جماعية تستوعب كل أقضية الحياة ، وتضع الحلول الشرعية لجميع مشكلات البيئات .

أيها السادة : إن فى أعناقنا جميعاً أمانة خطيرة نسأل الله أن يعيننا على أدائها أداء يؤكد صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان، ويقطع على المرجفين سبيل التسلل إلى أمتنا الإسلامية بمستورد المبادىء ومعسول النظريات، وما علينا إلا أن نخلص النية ونبحث بأمانة، وندرس بعمق، ونستوعب بحذر لنواجه تطورات الحيـــاة بدين يسر يسمو بنا عن الجمود، ولكنه يعصمنا من التحلل.

وإن البحوث القيمة التى انتهى إليها مؤتمركم الموفق فى دورته السابقة فيها من التنوع والجدة والاستقصاء والحيوية ما يؤكد الثقة فيكم، ويزيد الرجاء منكم، وفيها ما يطمئن الغير من المسلمين على غنى الإسلام بكنوز سماوية يجلى نفائسها إخلاص التنقيب، وأمانة الاكتشاف، وجمال العرض، وسماحة الأعلام وحزم التطبيق.

أسألك اللهم أن توفقنا جميعاً فى النصح لك والدعوة إليك، والفهم عنك، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

(وأسألك اللهم أن تسددنا حاكمين محكومين، وأن تهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين).

أيها السادة : أختم كلمتى بأن أستأذنكم فى أن أحيى باسمى واسمكم سيادة الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة، وأن أسدى إليه خالص الشكر على تفضله برعاية مؤتمركم، وأن أشكره مرة أخرى على تفضله بإنابة السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية عنه لحضور حفل الافتتاح، كما أشكر كل من تفضل باستجابة دعوتنا والحضور معنا فى هذا الحفل داعياً الله للجميع بالتوفيق

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

كلمة فضيلة الشيخ عبد الله غوشة قاضي قضاة الأردن

عن وفود المؤتمر

الحمد لله أستغفره وأستعين به والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

سيادة السيد نائب رئيس الجمهورية حضرات السادة المدعوين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فإنه ليوم مبارك يتم فيه هذا اللقاء الإسلامي الكبير بين عدد وافر من علماء المسلمين الوافدين من مختلف الأقطار الإسلامية تلبية للدعوة التي وجهها إليهم فضيلة الأستاذ الإمام الأكبر شيخ الأزهر ورئيس مجمع البحوث الإسلامية لحضور المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية .

وإنها لدعوة كريمة جديرة بالتلبية والتقدير، وإني بالنيابة عن إخواني أعضاء الوفود الكرام أرى أن من واجبي أن أتقدم خالص الشكر وبالغ الامتنان لسيادة القائد الكبير الرئيس جمال عبد الناصر لتفضله برعاية هذا المؤتمر، وشموله بعنايته، هذه الرعاية التي تضفي على هذا المؤتمر قوة وامتداداً، كما أنني بالنيابة عن إخواني أتقدم جزيل الشكر لفضيلة الإمام الأكبر ولمجمع البحوث الذين أتاحوا لنا هذه الفرصة الطيبة الكريمة لتحقيق هذا اللقاء .

أيها السادة : إن الإسلام يريد من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها على تباعد ديارهم وتعدد أجناسهم واختلاف ألسنتهم وألوانهم يريد أن يكونوا أمة واحدة متينة الروابط قوية الخلق عزيزة الجانب متساوية في الحقوق والواجبات ، تتعاون على الخير وتدفع الشر، وتبني نظمها وقوانينها وتشريعاتها على أساس من كتاب الله الكريم وسنة رسوله الأمين .

وإنها لخطوة موفقة حكيمة تلك التي انبثق منها تأسيس مجمع البحوث الإسلامية الذي يضم صفوة من كبار العلماء في مختلف البلاد لينظروا في المشاكل التي تواجه المسلمين وليبحثوا الأشياء التي واجهتهم أخيراً وليسنوا لها حكماً صريحاً يبين حكم الله فيها .

أيها السادة : إن مسئوليتكم خطيرة ورسالتكم سامية جليلة فسيروا على بركة الله وأنيروا للمسلمين طريق الحق والرشاد واستعينوا بالله على تحقيق أغراضكم النبيلة .

وأبتهل إلى الله العلي القدير أن يكلل أعمالكم وجهودكم بالنجاح والتوفيق وأن يوفق الجميع لما فيه خير الأمة وصلاحها وسيادتها والله الهادي لأقوم طريق .

وقبل أن أختتم كلمتي أقدم جزيل الشكر للدولة المضيفة حكومة وشعباً وعلى رأسها السيد الرئيس جمال عبد الناصر لما لاقيناه في رحابها من كرم الضيافة والرعاية .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

كلمة الدكتور محمود حب الله
الأمين العام للمجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، نحمده سبحانه ، ونستهديه ، ونصلي ونسلم على رسوله الأمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن اتبع طريقته ، وسار على سنته .

أيها السادة الأفاضل :

إن روح الإسلام التي شرح الله لها صدوراً وأنار بها بصائر وقلوبا ، واستودعها من خزائن حكمته سراً - هذه الروح التي شدت إليها ورثة الرسالة من علماء الإسلام ومفكريهم ، وجمعت بينهم منذ عام مضى أو يزيد - على اختلاف الأقطار ، وتباعد الديار في رحاب الأزهر الشريف ، بيت الله ، وكعبة العلم ، وملتقى العلماء من قديم الزمان تلك الروح هي بعينها التي تجدد في ضوئها لقاء هذا العام في المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية ، تأكيدا للتعاون الذي أمر الله به ، وسعيا في سبيل الخير الذي دعا الإسلام إليه ، وتوسعا في المعرفة بدين الله الذي ارتضاه لهم شريعة تنتظم سلوكهم في الحياة ، وتتحقق به خلافتهم له في الأرض .

إن الأمم الإسلامية رصيدا من التاريخ الفكري ، والاجتماعي والاقتصادي والسياسي ينهض بها في كل العصور دون أن تشعر بأنها في حاجة إلى أن تستعير شيئا من خارج حقيقتها الإسلامية ، وهي بهذا الرصيد وحده تستطيع أن تواجه مشاكل الحياة ، وأن تجد الحلول الحكيمة العادلة الرحيمة لما يعترض طريقها من تلك المشاكل . والتشريع الإسلامي في شتى جوانب الحياة ، يتحدى ، بما فيه من عمق وأصالة وكثرة تفريعات ، وقوة صلته بالوقائع والأحداث - يتحدى أقوى المذاهب الاصلاحية التي استطاعت أن تثبت وجودها أمام التطور البشري ، ويبقى التشريع الإسلامي ، بعد ذلك متميزا بخصائصه التي تعتمد على يقظة الضمير قبل حرفية القانون ، وتجعل الفرد بالتالي رقيبا على القانون ، حريصا على تنفيذه ، وهذه الخاصية هي التي تجعل لهذا التشريع فاعلية الخلود في أصوله الفقهية .

عام مضى شهد ميلاد أول مؤتمر لمجمع البحوث الإسلامية - باكورة عمل إسلامي عظيم يصل حاضر المسلمين بماضيهم وينير

بين أيديهم السبيل إلى مستقبل كريم ، يجمع كلمتهم ، ويؤلف بين قلوبهم ، ويعود بهم إلى ما رسمه لهم الدين من طريق فى الحياة قويم .

أيها السادة :

شهد المؤتمر الأول حلقات البحث تجددت بها صور من الأعمال الجيدة ، لسلف صالح وقفوا أنفسهم على النظر فى كتاب الله ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبذلوا من ذواتهم ماوسعهم البذل ، ابتغاء الوصول إلى قواعد للأحكام الشرعية وأصولها ، يجد فيها المسلمون فى كل عصر وقطر مراشد إلى صراط الله ، ويتميز بها الحلال من الحرام وتتبين مواطن الشبه ، ومزالق الريب ، وتتجلى صلة الدين بالدنيا ، ويستعان بها على حل مشاكل المسلمين ، ما استغلق فهمه منها ، وما استحدثه تطور العصر فيها - معالم على صراط الله تنقى بها المدارك ، وتصفو المعرفة ويتأكد الإيمان ، ويستقيم السلوك .

كان ماضى الاجتهاد وحاضره موضوع بحث دعت إليه ضرورة النظر المتجدد فيما أضافته الحضارة إلى حياة المسلم : فى الاقتصاد والاجتماع ، فى السياسة والثقافة ، فى المعرفة والفلسفة ، وفى شتى مناحى الحياة ، وكان موضوع التلفيق بين أحكام المذاهب تكملة للاجتهاد ، يفتح الطريق لمواجهة الانحراف ، أو ما يبدو من مفارقة بين ألوان من السلوك فى حياة بعض المسلمين ، وبين أحكام الله وحدود الإسلام ، وكانت الملكية الخاصة فى الإسلام وحدودها ، والتملك وتحديده ، والموارد المالية وحق الدولة فيها ، وملكية العين أو المنافع ، وحق الفقراء فى أموال الأغنياء - كانت هذه كلها مدار دراسات مستفيضة ، ومحور بحث عميق يرى فيها المسلم مواقع المذاهب الاقتصادية الحديثة من دين الله ، حتى لا يقف وسط هذه التيارات ، مسلوب الإرادة أعزل من المعرفة فإن أخذ بها أخذ على بصيرة وبينة ، وإن صد عنها صد عن بينة كذلك ، وكانت العلاقات الدولية بين المسلمين بعضهم وبعض ، وبينهم وبين غيرهم من شعوب الأرض ، وكان التعريف بالإسلام والتبليغ به ، وأسلوب الدعوة فى الإسلام - كانت كلها مدار بحث ودراسة كذلك ، تبيانا لسماحة الإسلام ، وسعة أفقه ، وعموم مبادئه ، وتنظيما لحياة المجتمع الإسلامى إلى جانب المجتمعات الأخرى فى النطاق العالمى العام ، وتأكيدا لروابط الأخوة بين المسلمين .

كانت هذه الأبحاث فى الدورة الأولى ، وكانت أبحاث أخرى كثيرة ، لا يعنى دعاة الإصلاح سردها والتعريف بها ، قدر مايعنيهم إجابتها ، وأن تجتاز واقع الحياة العملى فى المجتمع الإسلامى ، وأن تأخذ طريقها

إلى التنفيذ فى سلوك الأفراد والجماعات ، وفى سلوك الشعوب والحكومات ، وفى أحكام النظام العام لحياة المسلمين .

أيها السادة :

لقد شهد العام الماضى فاتحة التفكير المشترك الجاد على طريق العمل الإسلامى المظيم ، كما شهد صورا من مشكلات ، تحمل ملامح شعوبها ومجتمعاتها ، أسهم المؤتمرون فى مناقشتها ودراستها سعيا إلى معرفة حكم الله فيها ، ثم شهد فى ختام الدورة نماذج من الفكر الحر تمثلت فيما انتهى إليه المؤتمرون من توصيات ومقترحات ، ومن تنظيم وقرارات ، تعتبر بحق خطة رشيدة للعمل للمستقبل ، وأحكاماً جديدة تواجه مقتضيات العصر ، وما جد فيه من أحداث .

وإذا كان التحدث بنعمة الله أحد دلائل الشكر له ، فإنه ليطيب لى اليوم أن أقول : إن أعمال مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية ، ومجلسه فى الدورة الماضية ، قد لازمها كثير من توفيق الله ، بفضل الجهد المخلص الذى بذله السادة العلماء ، سواء فى إطار التنظيم العام للمؤتمر ، أو الاتجاه العلمى فى البحث ، وسواء فى الوسيلة الموصلة ، أو الغاية المرجوة وكان من ثمرات هذا الجهد فى الإطار الخارجى فتح عيون المسلمين على جهاز علمى تخطيطى طالما تطلعت إليه النفوس ، يربط بينهم برباط العقيدة والمسجد ، ووحدة الهدف والغاية ، ويجدد فيهم الإحساس بضرورة البحث عن حياتهم المعاصرة ، فى دين الله ، الذى آمنوا به ، بعيداً عن الطائفية والعصبية المذهبية ، بعيداً عن المجاملة والمواربة ، ويعرفهم بحلول لمشكلاتهم فى إطار علمى متحرر ، ويقوى الأمل فى مستقبل كريم .

ومن هنا كانت الرغبات الكثيرة الملحة فى الاشتراك فى أعمال المؤتمر ، والحرص على حضور جلساته ولجانه ، مشاركين أو مراقبين ، ومن هنا كان السيل المنهمر من مشاكل المسلمين يطلبون لها حلا ، ويرون فيها رأياً : مشاكل كلها حاجات ملحة للمسلمين نجد بينها الرغبة فى توحيد مناهج التعليم فى العالم الإسلامى ، وإنشاء فروع للمجمع فى سائر أنحاء بلاد المسلمين ، والعمل على أن يصبح المجمع نواة لجامعة إسلامية ، تتطور تطوراً طبيعياً إلى وحدة ، أو اتحاد إسلامى شامل ، وإنشاء محطة للإذاعة عالمية تذيع صوت الإسلام وتعاليمه ، وإنشاء صندوق مالى موحد للإنفاق منه على الدعوة والمشروعات الخيرية العامة ، ووضع موسوعة إسلامية تكون مرجعاً للقضاء والفتيا بين المسلمين ، وتوحيد أعياد المسلمين ومواسمهم

الدينية بتوحيد بداية الشهور القمرية ونهايتها في كل بلاد المسلمين وأقطارهم بأسلوب يعتمد على العلم الحديث ويتفق مع الاتجاهات الدينية وما إلى ذلك من مسائل حيوية هامة .

أيها السادة :

ذلك عام مضى ، وتلك بعض ثمراته ، أو ظواهر ثمراته ، غير أن عاما واحداً لاينهض مقياساً للنجاح ، وعمل دورة واحدة لا يكفى معياراً للتقييم ؛ ولهذا يمكن أن أقول : إن المؤتمر الأول كان تجربة عمرها عام ، أعطت نتائج تبشر بالخير : تجربة هي في آفاق التفكير وسيلة للتجديد البناء ، وفي مجال التخطيط طريق موصلة للغاية ، وفي ميدان العمل بداية موفقة ، وفي ميزان التقييم خطوة على الطريق ، وتحقيق لبعض الأهداف والغايات .

ولهذا ؛ فإن صورة التجربة تلقى الضوء على مسالك جديدة إلى أهداف جديدة يستكمل بها المجمع رسالته ، ويزيد فاعليته .

فإذا كانت أهداف المجمع تدور حول البحوث الإسلامية العليا ، ودراسة كل ما يتصل بها خاصا بالعقيدة والشريعة والدين والحياة في إطار علمي « أكاديمي » . فإن عوامل النجاح تكمن وراء البحث في جزئيات المشاكل المعاصرة ، التي دخلت حياة المسلم بفعل تطور المجتمعات ، وتجدد كل مقومات الحياة وفي إيجاد الحلول السليمة التي يتأكد بها إيمان المسلم ، ويرى في ضوئها قوة العلاقة بين العقيدة التي يؤمن بها ، والحياة التي يحياها ، فتقوى في نفسه دوافع الغيرة على عقيدته ودينه ، وتنمو لديه عواطف الأخوة التي يستشعر بها آلام المسلمين وآمالهم في كل بيئة ومكان ، وإذا كانت الآمال والآلام وإن اتحدت في الأصول والأهداف تحمل دائماً ملامح البيئة والظروف التي نشأت فيها ، كان لزاما أن توجد الوسائل والسبل التي يتيسر بها الوقوف على مشاكل المسلمين وقضايا البحث الهامة من واقع الحياة في المجتمعات الإسلامية أينما كان موطنها ، ومهما يكن عدد أفرادها ؛ ليتحقق التفاعل على نطاق واسع بين البحث العلمي والواقع العملي ، فلا تكون النظريات الإسلامية بمعزل ومنأى عن واقع الحياة العملي ، وبين عقول العلماء في شتى مواطن المسلمين ، ليتيسر إمداد العالم الإسلامي بحاجاته الفكرية وحل مشاكله الحيوية على مستوى يرتفع عن الجمود الحرفي ، ولا يهبط إلى التحلل عن قيود التمسك بالنصوص الصريحة ، ويتيسر كذلك ربط شعوب المسلمين بعضهم ببعض على أساس علمي مدروس ، وتهيئة قيادات إسلامية في كل مستوى وفي كل بيئة تتمكن من القيام بدورها في الحياة على نطاق دولي عام ويتسع

بها نطاق الدعوة إلى الله والتعريف بالإسلام.

أيها السادة الأفاضل :

إننا نستقبل بهذا المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية دورة جديدة — هى ، فى واقع الأمر ، امتداد للدورة الأولى ، تواصلون فيها الدراسة والبحث، لتبيين العقيدة فى جوهرها الخالص، كما رسمها القرآن الكريم تبيين معالمها ورسم طريق حمايتها من ضلال التفكير وتيار الإلحاد ، ولتبيين حكم الله فيما جد من معاملات المصارف والتأمين والاستثمار حماية لسلامة المعاملات بين المسلمين من شوائب الجمود ، وإثم المعصية والانحراف ، وتبحثون كذلك موضوعات تتعلق بالأسرة والمجتمع ، لمقاومة عوامل الوهن والتفكك التى تتسرب إلى كيان الأسرة ، وتضعف بها الروابط فى المجتمع - أبحاث تنتظر وتتطلب التحقيق والتحرير، ومشكلات تنتظر كذلك ، تتطلب الحل والرأى .

أيها السادة :

يسير منهج العمل فى هذه الدورة على غرار الدورة السابقة فينقسم إلى فترتين: تبدأ الأولى منهما اليوم ، وتنتهى بنهاية الثانى والعشرين من هذا الشهر، ويشترك فيها السادة المدعوون مع السادة الأعضاء ، وتدرس فيها بحوث الزكاة والمصارف المالية والاستثمار والتأمين وتربية النشء ، ويدرس باقى الموضوعات فى الفترة الثانية التى تستمر حتى نهاية الأسبوع الرابع من يوم الافتتاح ، وينفرد بالعمل فيها السادة أعضاء المجمع .

أيها السادة :

إنها بحوث ومشكلات ليس يكفى أن يقال رأى الدين فيها ، وإنما الذى يعنى فى المقام الأول هو تحديد الوسائل إلى الأخذ بها والتزام حدودها ، لتكون مقررات المؤتمر وتوصياته منهج العمل فى المجتمع الإسلامى وموضع النظر الجاد بين المسلمين .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

والله ولى التوفيق

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

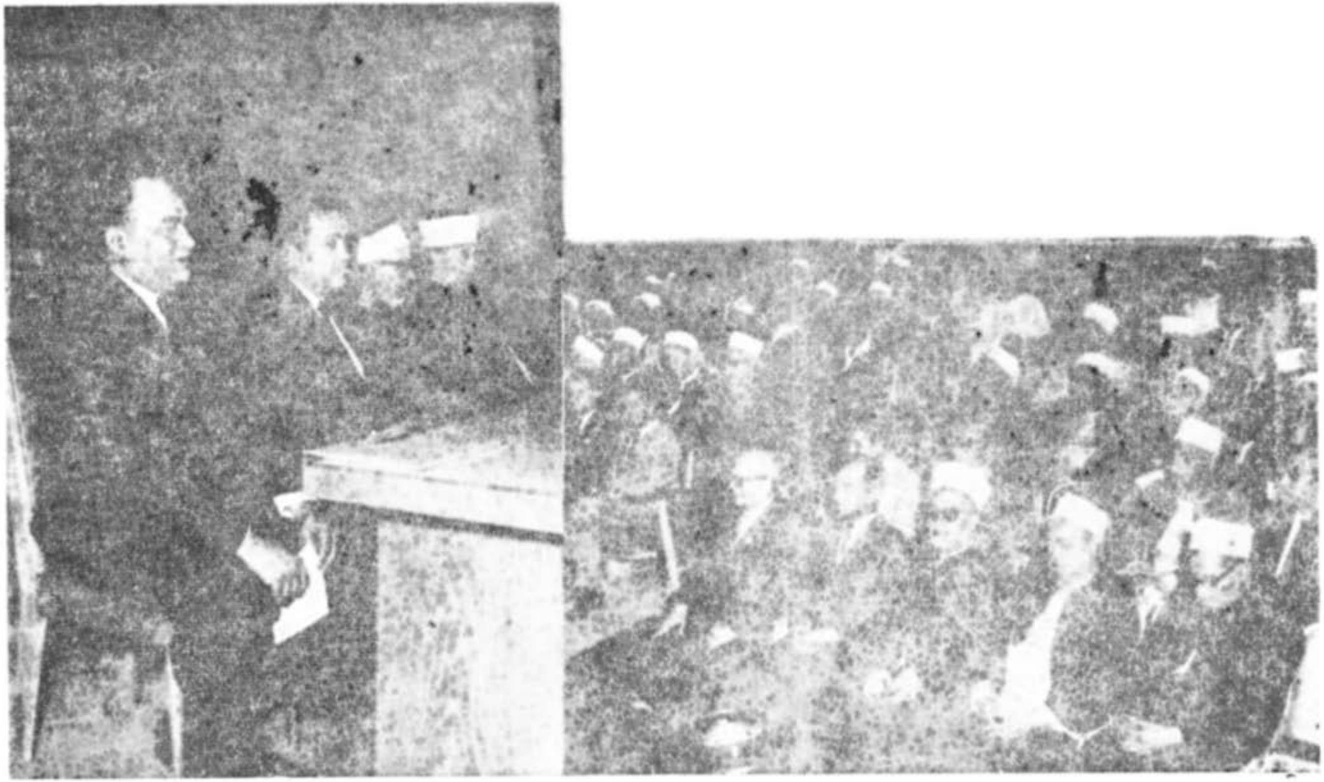

في حفلة الافتتاح السادة : الدكتور محمود حب الله الأمين العام للمجمع فالسيد / حسين الشافعى نائب الرئيس فالأستاذ الأكبر شيخ الأزهر ففضيلة الشيخ غوشة

جانب من القاعة فى جلسة الافتتاح يتصدره السادة : المهندس أحمد عبده الشرباصى نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف وفضيلة الشيخ كاشف الغطاء ، فالسيد عبد الخالق حسونة الأمين العام للجامعة العربية ، فالسيد : السيد يوسف وزير التربية والتعليم

كلمة السيد حسين الشافعي
نائب رئيس الجمهورية

السلام عليكم ورحمة الله

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين

أيها السادة : أعضاء مجمع البحوث الإسلامية ، وضيوف الجمهورية العربية المتحدة .

يسرنى أن أرحب بكم باسم السيد الرئيس جمال عبد الناصر وأن أؤكد لكم ما نشعر به جميعاً نحو أعمال هذا المؤتمر الدينى الكبير .. الذى نرجو الله له السداد والتوفيق .. ومما لا شك فيه . أن المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها يتطلعون إلى النهوض بالفكر الإسلامى .. ليكون هذا الفكر على مستوى الرسالة بروحها وأصالتها وسموها ... فالإسلام دين العزة والحرية والكرامة ... والنضال من أجل الحق .

أيها السادة : إن دخول الناس فى أول الدعوة فى دين الله أفواجا كان مرتبطا بالقدوة والمثل فحينما يدعو الدين إلى العدل . كان الناس يلمسون العدل ويحسونه ، ويرى الناس فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الأسوة الحسنة والقدوة والمثل ... وكذلك الحال فى كل دعوة ما لم ترتبط أفعالها بأقوالها ، وواقعها بدعوتها .. فلا يمكن أن تصل إلى القلوب « يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » .

أرجو لهذا المؤتمر ... النجاح والتوفيق ، وهو يعقد فى مصر ... بلد العروبة والإسلام بلد الأزهر الشريف .

ولقد عقدت مؤتمرات إسلامية كثيرة ، ولكن نجاح المؤتمرات لا يقاس بالقدر الذى يصدر عنها من بيانات رنانة لا يعززها مضمون من العمل والمثل والقدرة .. بل ينبغى أن تكون هذه المؤتمرات لقاءات جادة تبتغى نصرة الحق ... يحلل فيها واقع المسلمين ، وواقع مجتمعهم ، تقوم فيها الأعمال ، وتدرس فيها التجارب ، وتحسب فيها إمكانيات العمل لمقابلة التحديات الاستعمارية التى تتخذ فى كثير من الأحيان من الدين سبيلا للتفرقة فى المعاملة أو طريقاً للسيطرة الاستعمارية لمد أجل الاستغلال والاستمرار فى استنزاف موارد الشعوب .

وإنه لمن توفيق الله علينا أن تكون الجمهورية العربية المتحدة قد تناولت هذه الميادين من الوجهة التطبيقية والعملية بعدد من الإجراءات النافذة التى اعتمدت على الرغبة

فى تحرير الفرد من الاستغلال والطغيان، ومن القلق والخوف من المجهول .... إجراءات أساسها أن يطلق المواطن ملكاته الخلاقة فى عمله، معتمداً على ربه، آمناً فى سربه متكافلا فى مجتمعه، متضامناً مع إخوانه ... فى مجتمع أساسه الدين والأخلاق والوطنية.

فلقد قضت الدولة على الإقطاع وسيطرة رأس المال، وحررت المعاملات من الربا. وذلك بإلغاء سعر الفائدة على القروض الزراعية كلها، وكرمت فى الإنسان جهده وعمله، وهى المعايير التى تقدم على أساسها قروض الإنتاج الزراعى كلها.

كما أخذت البلاد بأسباب تخطيط الأسرة، بغرض مواجهة مشكلة تزايد السكان. ودرءاً لمخاطر الانفجار، وإعلاء حق العاملين، ومشاركتهم فى الإدارة والعائد وتشجيع المدخرات، ومحاربة حبس الأموال واكتنازها والتبديد والإسراف فيها. رغبة فى فتح مجالات العمل والاستثمار وإنشاء الصناعات مجالا للرزق لجميع المواطنين.

وكفلت الدولة الحرية لكل مواطن. حرية الكلمة والرأى، حرية اختيار العمل المناسب، وحرية الانتخاب بعد أن كان التصويت مرتبطا برغيف الخبز .... وبذلك حققت الثورة المصرية المقومات الأساسية للحرية التى يدعو إليها الدين: فإن المسلم حينما يقول: «أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» ... يعلم أنه بذلك حر يدخل إلى الحرية من أوسع أبوابها، فيؤكد أنه لا مجال لأن يكون عبداً لفرد، أو أن يستعبده مال، أو تحد من حريته تقاليد ما أنزل الله بها من سلطان.

وقد استثمرت الدولة ضرورة تطبيق التأمين فى المجتمع على أساس أنه نظام يشجع ادخار المواطن جزءاً من ماله فى أيام قوته يرجع إليه متى انقطعت به أسباب العمل بسبب المرض أو الشيخوخة.

بل أخذت الدولة بالتأمين كمعونة وتراحم من جانب المجتمع بالنسبة للمواطن الذى تنقطع موارده بسبب الكوارث. والعلل المقعدة عن العمل جزئياً أو كلياً.

ورعت الدولة الطفولة والأمومة ... ورسمت السبل لتنشئة الشباب على أساس من الدين والفتوة ... وقامت الدولة باحترام حقوق المرأة فى المجتمع ومساواتها بالرجل ... فى حدود الشريعة الغراء.. وإسقاط بقايا الأغلال التى تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع أن تشارك بعمق وإيجابية فى صنع الحياة ولتكون فى بيتها وفى مجتمعها قادرة على أن تسهم فى بناء المجتمع على أساس من القوة والفضيلة.

«يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم».

وبهذا وبغيره من الأعمال. وعلى هدى من

الدين .. فإن اشتراكيتنا أفعال لا أقوال .. اشتراكية استوحت تطبيقاتها من الرغبة فى الأخذ بيد الشعب كله وخاصة تلك الطبقات التى طال حرمانها فى قطاع العمل والزراعة ، اشتراكية ذات كيان مادى ملموس وقيم جديدة هى : العدالة الاجتماعية والكفاية وزيادة الإنتاج، ومضاعفة الطاقات الروحية ، والدعوة السلمية ووضوح الرؤية للأهداف ، وحق كل مواطن فى الرعاية الصحية والعلم والعمل .

أيها السادة :

من حسن الطالع أن اجتماعكم هذا يتم فى شهر فلسطين .. التى انقضى على مأساتها سبعة عشر عاما . . . ونقترب من ذكراها الأليمة .

ولعل موضوع فلسطين الوارد فى جدول أعمال المؤتمر يأتى على رأس الموضوعات التى ستبحثونها لارتباطه المباشر بكيان العروبة وسلامتها . . فهى القاعدة الوطيدة للإسلام والمسلمين ... إذ هى تمثل النواة للعالم الإسلامى الكبير لأنها تنطق العربية . وتتكلم بلغة القرآن .

وإن ما حدث بالنسبة لفلسطين ... وإقامة إسرائيل كصورة من صور الاستعمار لم يسبق لها مثيل فى التاريخ حيث أقيمت بإحلال شعب مكان شعب استهانة بالعرب وبالمسلمين... واستهانة بالرأى العام العالمى ... واستهانة بقيم العدل والحق .

إن الاستعمار الذى استهان بالعرب وبالمسلمين فأقام إسرائيل فى بلد المسجد الأقصى الذى إليه أسرى الله تعالى بعبده من المسجد الحرام ... هذا الاستعمار يؤكد اليوم فى جولته الثانية استهانته بالعرب وبالمسلمين حينما حث ألمانيا الغربية على أن تمد إسرائيل بالسلاح .

فعلينا ـ نحن المسلمين ـ وفى مؤتمركم هذا أن نتصدى لمقابلة هذا التحدى السافر ...

وفى الوقت الذى بدأت فيه الإرادة العربية توحد كلمتها ، وتوحد قيادتها العسكرية ـ وتعلن عن قيام منظمة جيش التحرير الفلسطينى ، وإبراز الكيان الفلسطينى ، وتتخذ الخطوات الإيجابية للمحافظة على الحق العربى فى المياه العربية .... يخرج من الصف العربى من ينقلب على الإرادة العربية الواحدة ونحن فى معركة مصير ، وهذا الموقف من ذاك الخارج هو موقف الهارب من المعركة .. وجزاء الفار من المعاركة غضب من الله وخسران مبين .

أيها الإخوة ...

فى مؤتمركم الثانى هذا لمجمع البحوث الإسلامية أحد أجهزة الأزهر الشريف .. قبلة العالم الإسلامى ... ومنارة الهدى لدين الحق .

أدعو الله لكم .. وأحمل إليكم ، تحية مباركة طيبة من الرئيس جمال عبد الناصر وأمله لكم فى النجاح والتوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

حسين الشافعى

نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة

(وفيما يلى ننشر عرضا لبعض البحوث الهامة التى ألقيت فى المؤتمـــر فى دورته الثانية)

استثمار الأموال فى الإسلام

للدكتور محمّد عبد الله العربى

قدم الدكتور محمد عبد الله العربى لهذا المؤتمر بحثين أحدهما عن : استثمار الأمـوال فى الإسلام ، والثانى وهو أكبرهما وأهمهما عن : المعاملات المصرفية المعاصرة وهو الذى سنذكره عقب هذا البحث ، ويعتبر موضوع استثمار الأموال مقدمة وتمهيدا للموضوع الثانى ...

وقد ذكر بين يدى هذا البحث عناية الفقه الإسلامى بالمعاملات عناية لم يرق إليها تشريع آخر ولكنه لم يعط موضوع استثمار الأموال من العناية ما أعطى غيرها من الاهتمام ، لأن ظروف المسلمين الأول ومقتضيات أحوالهم لم تكن تتطلب هذه التفاصيل ، ولهذا فقد ألقى هو عليها من الضوء ما يكفى لتوضيحها مراعياً فى ذلك ظروف عصرنا الحاضر ، وضروريات حياتنا المستحدثة المتطورة .

وقد حصر التكاليف الخاصة بهذه السياسة فى ثلاثة أحوال :

١ — مداومة مالك المال على استثماره .

٢ — وجوب اتباعه أقـــوم الطرق فى استثماره .

٣ — توجيه هذا المال إلى جميع أنواع الاستثمار التى تتطلبها حاجة المجتمع ، وفصل القول فى كل منها على الوجه الآتى :

١ — مداومة استثمار المالك ماله .

ذكر فى هذا القسم أن من الواجب على المكلف أن يشكر الله تعالى ما أفاء عليه من نعمة المال ، ومن أنواع الشكر عليه عمله على تنميته وزيادته نفعاً له ولمجتمعه ، والإسلام يبغض الفقر ، ويدعو إلى كفاحه بالجد والعمل ولا يكتفى من المسلم بالعبادات وحدها كما يفهم من قوله تعالى : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » ثم قال فى هذا الموضوع :

فإذا أبقى مالك المال ماله عاطلا بغـــير استثمار يعود بالنفع على ذاته وعلى المجتمع ، وكان هذا التعطيل متعمداً من المالك وطال أمده ، وإذا كان تعطيل استثمار المال يؤدى

إلى فقر صاحبه وبالتالى إلى فقر المجتمع ، ألا يجوز لولى الأمر أن يتدخل ليحمل مالك المال على مداومة استثماره استناداً إلى أن الإسلام يبغض الفقر ويكافحه ، لاسيما إذا كان المجتمع الإسلامى فى عصر معين ينوء كاهله تحت أعباء الفقر وأوزاره

نعتقد أن هذا التكليف أجازه الصدر الأول من الإسلام لولى الأمر ، فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « ليس لمحتجز حق بعد ثلاث سنين »والاحتجاز كماهومعلوم هو وضع اليد على الأرض الموات لمحاولة إحيائها وتعميرها ، والأرض الموات هى التى لم ترتبط ملكيتها لأحد من الناس ، فهى كما قال الرسول : لله وللرسول ثم لكم من بعد. « أى للمجتمع كله » ، وقد ثبت أن عمر رضى الله عنه قد طبق هذا التكليف عندما قال على المنبر : « من أحيا أرضاً ميتة فهى له وليس لمحتجز حق بعد ثلاث سنين » ثم تطبيقه عندما قال « من عطل أرضا ثلاث سنين لم يعمرها فجاء غـــيره فعمرها فهى له » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطى بلال بن الحارث المزنى جميع أرض العقيق ، فلما كان زمن عمر قال لبلال : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقطعك لتحجزها عن الناس إنما لتعمل ، فخذ منها ما قـــدرت على عمارته ورد الباقى » .

حكمة هذا التطبيق ظاهرة فى كل عصر ، لاسيما فى عصرنا هذا الذى عطلنا فيه استثمار أكثر مواردنا الطبيعية ، تلك الموارد التى أغدقها الله على العالم الإسلامى فأهملنا استثمارها حتى جاء الاستعمار فأطبق على أراضينا ومضى يحاربنا بما يستخرجه منها .

فالشارع الإسلامى يحرص على مداومة استثمار المالك المال الذى بين يديه ، لأنه أصلا مال الله ومال الجماعة ومداومة استثمار المالك له تعود بالنفع على ذاته أولا ، وعلى المجتمع ثانيا باعتبار هذه الثمار زيادة فى الدخل القومى وفى الثروة القومية ، وباعتبار مايخرجه المالك من ماله فى أداء الفرائض الإسلامية مؤد إلى خدمة المجتمع .

ولما كان ولى الأمر هو المسئول عن نفوذ التكاليف الإسلامية ، فيكون له إذن حق التدخل بكل ما يكفل نفاذ هذا التكليف .

أما كيف يكون تنفيذ ولى الأمر هذا التكليف فهذا أمر تعالجه السياسة الشرعية فى كل بلد إسلامى على ضوء ظروف هذا البلد ، وطبيعة الموارد المعطلة ، وتحديد مدة التعطيل التى تجيز تدخل ولى الأمر ، إذ لابد أن تتفاوت هذه المدة بحسب طبيعة المورد من أرض قابلة للزراعة أو منجم أو مصنع أو متجر ، وعلى ضوء الأسباب التى أدت إلى التعطيل : هل كانت بمجرد عناد واستكبار

من المالك ، أو كانت لأسباب قهرية لا قبل له وحده بالتغلب عليها ؟

وهنا يصح التساؤل : هل قام في التشريع الوضعي المعاصر ، وعلى الأخص في التشريعات المالية الأجنبية - نظير لهذا التكليف الإسلامي ؟ .

أما من جهة استثمار الأرض الزراعية فقد أجمعت التشريعات الوضعية المعاصرة على فرض الضريبة على الأرض الزراعية على أساس قيمة ما قد تنتجه من محاصيل ، وذلك بتقدير يوضع مقدما لفترة معينة من السنين ، سواء كان يزرعها المالك بالفعل أو أهمل زراعتها أو تعمد إهمال زراعتها . وهذا يفترض أن على مالك الأرض التزاما بمداومة استثمارها .

أما في مصادر المال التي ليست أرضا زراعية فلم أجد تشريعا ماليا في أية دولة معاصرة يفرض على المالك مداومة استثمار ماله (١) ، أي لم أجد فيها نظيرا للتكليف الإسلامي . إلا حالة واحدة وجدتها في التشريع الأمريكي ولكنها لم تفرض هذا التكليف إلا بصورة جزئية وبطريق مستتر وغير مباشر .

في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كانت أمريكا لا زالت جاهدة في استثمار مواردها الطبيعية الزاخرة ، وأدى ما أنجزته في هذا السبيل إلى قيام فئة ذوى الملايين إلى جانب الأكثرية التي لا تملك سوى الكفاف .

هؤلاء الحائزون الملايين فرضت عليهم الدولة ضريبة دخل تصاعدية مرتفعة على هذا الدخل الضخم الذي تنتجه ملايينهم ، وقد تصل إلى تسعين في المائة في الشرائح العليا من دخلهم . فأرادوا التهرب من أداء هذه الضريبة ، وذلك بأن يعطلوا استثمار جزء من ملايينهم يوجهونه إلى شراء تحف أو جواهر أو صور زيتية لمشاهير الرسامين ، فكانوا يتنافسون في اقتنائها ودفع أثمانها الباهظة وبذلك جمدوا جزءا من ملايينهم عن إنتاج مزيد من الدخل يخضع للضريبة ، ومنعوا استثماره في صناعات أو مشروعات تعود بالنفع على العاملين فيها وعلى المجتمع .

أما الحكومة الاتحادية وكثير من حكومات الولايات ، التي تسيطر عليها القوى الغالبة وعلى رأسها القوى المالية اليهودية ، فقد عجزت عن إصدار تشريع يعالج هذا الوضع .

ولكن بعض حكومات الولايات نجحت في إصدار تشريع يقضي بأن هذه المنقولات التي جمدت فيها الملايين سوف تؤدي ضريبة عن دخل مفترض هو أقل ما كانت تنتجه هذه الملايين لو استثمرت في مشروعات

---

(١) هذا إذا استثنينا ضريبة المباني التي يعفى منها مالك البيت في فترة خلوه من مستأجر بعد اتخاذ الإجراءات التي فرضها عليها القانون .

إنتاجية . وهى الضريبة المسماة Personal property Tax أسوة بالضريبة العامة على الممتلكات Geveral Property Tax التى تفرضها جميع الولايات على الممتلكات الثابتة (١) .

ولكن القوى المالية الأمريكية لم تلبث أن نجحت فى إلغاء هذه الضريبة الإضافية فى بعض الولايات وكانت الولاية البادئة بهذا الإلغاء هى ولاية نيويورك مقر القوى اليهودية . وكان ذلك فى سنة ١٩٣٢ م .

فإذا كانت الدول التى سبقتنا أشواطا بعيدة فى مراحل الحضارة المادية تحاول الحرص على تكليف مالك المال بمداومة استثمار ماله - تمكينا للمال من أداء وظيفته فى المجتمع - ألا يجب على دول العالم الإسلامى فى هذا العصر بالذات أن تنفذ تكليفا فرضه عليها شرعها الإلهى وطبقه بالفعل صدر الأمة الإسلامية (٢) .

٢ - أتباع أرشد السبل فى الاستثمار :

ثم ذكر أن العلم الحديث كشف عن أساليب جديدة لاستثمار المال فى ميادين الكسب المتعددة ، وأن الإسلام يوجب على المسلم أن يتزود بالعلم ويتدبر أسرار الكون ويدعوه إلى اتقان العمل وإحسانه ، فإذا وقف مالك المال فى تنميته عند أسلوب يؤدى إلى ضآلة الإنتاج أو تلف المال كان الحاكم أن يرده إلى الأسلوب الرشيد عملا بالقاعدة الفقهية « التصرف على الرعية منوط بالمصلحة » .

أما كيف يكون تدخل ولى الأمر فقال فيه :

يكون تدخل ولى الأمر فى دفع هذه المفسدة حسبما تقتضيه السياسة الشرعية فى كل بلد إسلامى على ضوء الواقع فيه .

فقد يكون هذا التدخل ، إما بإلزام هؤلاء الملاك باتباع الأساليب الرشيدة فى استثمار مصادر الإنتاج التى بين أيديهم ، أو بإبقاء بعضها بين أيديهم على قدر طاقتهم فى الاستثمار والاستيلاء على باقيها على النحو الذى يفى بمطالب الجماعة وفاء طيباً ، بعد تعويضهم عنها نقداً بما يعادل قيمة رأس المال ، هذا على افتراض أن كل هذه الثروة الضخمة قد آلت إلى ملاكها بوسائل غير مشروعة كالسلب أو الاغتصاب ، فلولى الأمر حينئذ ،

---

(١) انظر Public Finance للأستاذ M.S. Kendric ص ٨١ وما يليها Public Finance للأستاذ A. G. Buenler ص ٣٢٣ وما يليها وص ٣٤٨ وما يليها .

(٢) الإسلام يوجب ضريبة الزكاة على كل مقتنى يقصد بشرائه التهرب من الزكاة - كما أن التحف والذهب الذى يشترى للذخيرة كسكل مال مجمد تجب فيه ضريبة الزكاة ، فإن لم يعمل صاحب المال على تنميته لتسرب من بده بهذه الضريبة ولهذا قالت السيدة عائشة : « اتجروا فى أموال اليتامى حتى لا تأكلها الزكاة » .

بل يجب استرداد هذا البعض أو الكل بغير تعويض .

على أن مشكلة تضخم الثروة فى قبضة فئة قليلة واحتباسها بين أيديهم لها أبعاد أخرى فى كيان المجتمع : فضررها لا يقتصر على مجرد عجز بعض هذه الفئة أو عدم أكتراث أكثرها باستثمارهذه الثروة بأرشد الأساليب اكتفاء بما تؤتيه لهم من دخل ضخم بالرغم من التزامهم أسوأ أساليب الاستثمار ، إنها مشكلة هذا العصر ، وضررها لا يقتصر على مجرد احتمال ضآلة الإنتاج ، بل يمتد إلى إحداث آثار سيئة فى كيان المجتمع من الوجهة السياسية والاجتماعية بالإضافة إلى الوجهة الاقتصادية ، كما سجل ذلك تاريخ الدولة الإسلامية فى عصور الانحلال ، وكما تشهد الآن بذلك الأوضاع القائمة فى الدولة غير الإسلامية المعاصرة التى تركزت ثروتها القومية فى قبضة فئة قليلة من أقطاب المال على عكس الهداية القرآنية التى فرضت تداول المال فى المجتمع «كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم» .

٣ — توجيه استثمار المال إلى جميع المسالك التى يحتاج إليها المجتمع

ثم ذكر أن أموال المسلمين يجب أن تتوزع على مرافق الاقتصاد العامة كى تحفظ على الأمة كيانها الاقتصادى ولا تجعلها فى حاجة إلى أمة أخرى ، وهو مبدأ الأمة الإسلامية فى تحقيق ما نحتاج إليه من الضروريات ، ويستوى فى ذلك الصناعات الثقيلة والخفيفة لأنها عدة الأمم فى حروبها ، وقد هزمت روسيا أمام ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى بسبب تخلفها الاقتصادى ـ الزراعى والصناعى فلما استكملت نقصها من هذه الجوانب انتصرت فى الحرب الثانية ، ثم ساق مثلا آخر فقال : «ومثل آخر سابق على المثل الروسى : أمة اليابان كانت أمة متخلفة تعيش فى غياهب لزمن ، دهمتها السفن الحربية الأمريكية ، فأذهلها هذا الصنيع وأيقظها من سباتها فأرسلت البعثات ، لا لاستيعاب فلسفة الغرب وآدابه ، بل على الأخص لدراسة العلوم الطبيعية واقتباس الأساليب الصناعية التى بهرتها . ثم دأبت على تصنيع بلادها وتوجيه استثمارها المالى إلى هذا الميدان حتى بلغت تلك المكانة الرفيعة فى الصناعة الحديثة ، وحتى غزت سلعها أسواق الأرض ، واكتسحت فى طريقها مصنوعات أوربا وأمريكا ، وحتى بلغت من القوة الحربية ما مكنها من أن تطاول أمريكا وروسيا وبريطانيا مجتمعة ، حتى قهرتها القنبلة الذرية ، ولكن الإجماع الآن عند ساسة الغرب على أنها بفضل ما كسبته من كفاية صناعية ستعود سيرتها الأولى .

ونحن شعوب العالم الإسلامى قد وهبنا الخالق فى أراضينا من الموارد الطبيعية والمواد الخام ما ميزنا به على أمم كثيرة ولكننا عكفنا فى القرون الأخيرة فى جمود بليد على استثمار جزئى للظاهر منها على سطح الأرض وقصرت همتنا عن استغلال ما فى باطنها من معادن مخبوءة ومن قوى كامنة ومن استثمار هذه الموارد وهذه القوى فى مجالات التصنيع الحديث .

يتضح مما تقدم أن اضطلاع كل مجتمع إسلامى بهذا التكليف الثالث فيما يقضى به من توجيه استثمار المال إلى جميع المسالك التى تقتضيها ضروريات المجتمع واجب حتمى تفرضه ضرورة البقاء فى هذا العصر إزاء القوى العدوانية التى تحدق بالعالم الإسلامى من كل جانب .

والتصنيع أهم هذه المسالك ، والصناعة عمل صالح ينعكس نفعه على المجتمع برمته ، والإسلام يعتبر كل عمل صالح عبادة وقربى إلى الله ، والله يحب المؤمن المحترف ، ويحب العبد إذا عمل عملا أن يتقنه .

والكفاية الصناعية تفتح مغاليق الرزق ، وتحارب الفقر ، والفقر عدو يكافحه الإسلام ويعمل دائما على إبراء المجتمع من آثامه .

والكفاية الصناعية تغنينا عن أن نكون عالة على خصومنا فى استيراد أو استجداء ما نفتقر إليه من سلع مصنوعة وتعصمنا من أذى موالاتهم فى الحق وفى الباطل ، وتعصمنا من اضطرار البعض إلى إتخاذهم أولياء .

وأخيرا ، الكفاية الصناعية أصبحت أشد وجوبا على كل مسلم فى عصرنا هذا بعد أن أصبحت ضرورية للاستعداد الحربى ، فدخلت بذلك فى نطاق التكليف الموجه إلى الكافة : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

ولا أرى علاجا عمليا للنقص الذى تعانيه الشعوب الإسلامية فى الكفاية الصناعية إلا أن تتكاتف وتتعاون جميعا ـ بمواردها الفنية والمالية والطبيعية المتباينة ـ على وضع برنامج شامل للتصنيع يخططون مراحله ويتعاونون فى إعداد وسائله واقتباس أساليبه من مراكز الصناعة العالمية فى كل مكان يتيح لنا هذا الاقتباس بغير تقيد بشرق أو غرب ، وأن يعلن هذا البرنامج للرأى العام الإسلامى فيكون ميثاقا غليظا إلى أجل نفاذه ، تلتزمه حكومات الشعوب الإسلامية ، ومن ورائها رأى عام يحاسبها على وسائل التنفيذ وخطواته وآجاله حسابا عسيرا ؟

دكتور محمد عبد الله العربى

المعاملات المصرفيّة المعاصرة

للدكتور محمد عبد الله العربي

ينقسم هذا البحث إلى قسمين رئيسين القسم الأول شرح فيه الباحث نظم المعاملات المصرفية المعاصرة - والقسم الثانى شرح فيه البديل الإسلامى الذى يرى أن يحل محل هذه الأعمال المصرفية ويخلو مما فيها من ربا محرم أو رأسمالية مستغلة .

وقد مهد للبحث بشرح القروض الإنتاجية وهى التى يقترضها صاحبها ليقيم بها مشروعا تجاريا أو زراعيا أو صناعيا أو غيرها مما يدر عليه ربحا ، وبين أن الفائدة التى تعطى للقرض زيادة على ما دفعه من الربا الذى حرمه الإسلام خلافا لمن أفتى بحله من الفقهاء ، وقد فند حجتهم فى هذا ، أما فائدة القرض الاستهلاكى فلم يخالف أحد فى حرمتها .

وتحدث بعد ذلك عن وظائف البنوك وآثارها الاقتصادية وما ينتج عن التعامل بالشيكات من خلق قوة نقدية موهومة لا تنتج إلا تهيئة فرصة الاستغلال للبنوك - أما القروض الربوية فقد بين أنها أعظم أعمال البنوك خطرا وأشدها أثرا على الأفراد والأمم وشرح ذلك كله شرحا واسعا موضحا بالأمثلة العديدة .

وتحدث بعد ذلك عن البديل الإسلامى وبين فائدته .

والبديل الإسلامى هو القراض الذى يسمى أيضا بالمضاربة وهو يؤدى وظيفة المصرف الحديث فى القروض الإنتاجية والقروض الاستهلاكية .

البديل الاسلامى فى القروض الانتاجية .

أعتقد أن عقد المضاربة الذى أجازته ونظمته الشريعة الإسلامية يكفل لنا بلوغ هذه الغاية .

أعتقد أن عقد المضاربة الذى أجازته ونظمته الشريعة الإسلامية يكفل لنا بلوغ هذه الغاية .

على ضوء هذا العقد ، وعلى ضوء حكم الفقه الإسلامى فيه ، نحدد كيف تكون العلاقة (أولا) بين المودعين فى مجموعهم من جانب وبين البنك من جانب آخر ، و (ثانيا) بين البنك من جانب وبين صاحب المشروع الذى يتسلم من البنك مبلغا من المال من جانب آخر .

ولما كانت أحكام عقد المضاربة التى نالت إجماع الفقه الإسلامى هى التى منطبقها فى تكييف

هاتين العلاقتين - علاقة المودعين بالبنك وعلاقة البنك بأصحاب المشروعات الاستثمارية - فإننا نورد هنا أهم الأحكام التي تحدد هذا التكييف .

١ — المفروض في عقد المضاربة أن المتعاقدين - رب المال والمضارب - يقتسمان الربح بالنسبة التي يتفقان عليها ، بشرط أن تكون حصة كل منهما في الربح جزءاً شائعاً كالنصف أو الثلث أو الربع والباقي للآخر .

٢ — فإن كان ما اشترط لأحدهما مقداراً معيناً فسدت المضاربة لاحتمال أن الربح لا يأتي زائداً على ذلك المقدار المعين ، فتنقطع بذلك الشركة فيه فيفوت الغرض من المضاربة ، والقاعدة هي أن كل شرط يوجب قطع الشركة في الربح أو يوجب جهالة فيه فإنه يفسد المضاربة .

٣ — ولا نصيب للمضارب إلا من الربح فقط فلو شرط له شيء من رأس المال أو منه ومن الربح فسدت المضاربة . واشتراط الخسارة على المضارب باطل . وذلك لأن الخسران هو هلاك جزء من رأس المال فلا يجوز أن يلزم به غير مالك المال .

٤ — والمضارب أمين على رأس المال ، فهو في يديه كالوديعة . ثم هو من جهة تصرفه فيه وكيل عن رب المال . وإن ربحت المضاربة كان شريكا لرب المال في الربح .

وإذا اشترى المضارب بغبن فاحش لا يدخل ما اشتراه في حساب المضاربة .

ويجوز للمضارب ، إذا كانت المضاربة مطلقة أن يبيع بالنقد أو النسيئة وله قبول الحوالة بثمن ما يبيعه وتوكيل غيره بالبيع والشراء وإيداع مال المضاربة والرهن والارتهان ، والإيجار والاستئجار ، والسفر لأجل الأخذ والعطاء إلا إذا كان السفر مخوفاً .

وأما إذا كانت المضاربة مقيدة فلا يجوز للمضارب أن يخالف ما قيد به بل يلزمه رعايته ، فإذا خالف الشرط كان غاصباً ، ومتى انقلب غاصباً صار الربح له والخسارة عليه . وإذا تلف مال المضاربة كان ضامناً له بحكم الغصب من وقت المخالفة .

٥ — وسبب استحقاق المضارب لحصته من الربح في المضاربة الصحيحة هو عمله . فيعطى الربح في مقابلة ما بذله من السعي والعمل ورب المال يستحق نصيبه من الربح بسبب ماله وعلى ذلك إذا فسدت المضاربة كان كل الربح له لأنه ثمرة لرأس ماله ، والفرض أن عقد المضاربة غير صحيح ولكن يكون للمضارب أجر المثل بشرط أن لا يتجاوز ما كان مشروطاً له في عقد المضاربة . هذا إذا أنت المضاربة بربح ، فإن لم يكن ربح فلا أجر له .

٦ — وإذا تلف مقدار من رأس مال المضاربة فإنه فى أول الأمر يحسب من الربح، وذلك لأن الربح تبع، ورأس المال أصل، فينصرف الهالك إلى التبع. فإذا تجاوز مقدار الربح، سرى إلى رأس المال فلا يضمنه المضارب سواء كانت المضاربة صحيحة أو فاسدة وذلك لأن المضارب أمين فلا يضمن إلا بالتعدى، وليس من التعدى عمله الجائز له فى عرف التجار.

٧ — وبالجملة فالضرر والخسارة عائدان على رب المال وحده، وإذا شرط كون ذلك مشتركاً بينه وبين المضارب فالشرط باطل غاية الأمر أن المضاربة إذا لم تأت بربح فلا شىء للمضارب، وذلك لأن نصيبه بعض شائع فى الربح، وإذا كان لا ربح فلا نصيب له، لأن ما منه ذلك النصيب معدوم.

وبعد فهذه القواعد على إيجازها — والمراجع الفقهية حافلة بالتفصيل فيها — تلقى الضوء على ما نريده فى تكييف العلاقة الشرعية بين المودعين والبنك، وبين البنك وأصحاب المشروعات الذين يمدهم بالمال».

وواضح أن البنك أمام المودعين يعتبر هو المضارب أى القائم بالعمل فى القراض ولكنه من جهة أخرى يعتبر وكيلا عنهم وله أن يمد بالمال من يقومون بالمشروعات المنتجة ومن هذه الوجهة يعتبر البنك هو صاحب المال.

البديل الإسلامى للربا فى القروض الاستهلاكية:

إلى هنا كنا نعالج «الفائدة» من حيث فرضها على قروض إنتاجية تقدمها البنوك إلى عملائها، لنعاونهم بها فى ميادين الإنتاج وننتقل الآن إلى القروض التى تقدمها البنوك لبعض المقترضين، ليستعينوا بها على مطالبهم المعيشية.

فى هذه الوظيفة المصرفية أقترح أن تكف البنوك عن ممارستها، كى يبقى نشاطها دائما فى دائرة التنمية الاقتصادية.

وأرى أن تستأثر بهذه الوظيفة منشآت حكومية تتولى جباية الزكاة — كلها أو بعضها — وتوجيه حصيلة ما تجبيه منها إلى مستحق الزكاة فى مصارفها السبعة المعروفة.

أما غير المستحقين للزكاة، ممن كانت تضطرهم حاجات معيشية وقتية إلى الحصول من البنوك على قروض ربوية قصيرة الأجل، فإن منشآت الزكاة تستطيع أن تمدهم — بغير فائدة — ببعض قروض ذات آجال قصيرة، يستعينون بها على تفريج كربتهم العارضة، على أن يبادروا بردها إلى رصيد مخصص دونهم لمستحقى الزكاة، علاوة على ما قد تطلبه منهم المنشأة من ضمانات الوفاء.

كذلك لا ننسى أن رصيد الزكاة — فى بلد إسلامى — سوف يتغذى بمورد آخر فياض.

فانه ما دام المجتمع الإسلامى قائما بالقسط على تفرضه الملكية الفردية من التزامات إيجابية ، فإن رصيد الزكاة سوف يتغذى باستمرار بتبرعات متوالية من المنفقين فى سبيل الله . وقد يتألف من هـذه التبرعات ذخر ثمين يساعد منشآت الزكاة على مواجهة هذه الوظيفة الثانية : إقراض غير المستحقين للزكاة بغير « فائدة » .

أفضلية البديل الإسلامى :

يتضح مما قدمت فى اقتراحى هذا بشطريه أن الفكرة الغالبة فيه هى إحلال التكافل الوثيق بين طبقات المجتمع الإسلامى بالنسبة للقروض الاستهلاكية ، والتعاون المثمر بين رأس المال والعمل بالنسبة للقروض الإنتاجية ، محل بعض وظائف النظام المصرفى السائد فى الاقتصاد الغربى ، والذى انتقلت عدواه إلى البلاد الإسلامية .

فالزكاة ، والإنفاق فى سبيل الله ، سوف يقضيان على الحاجة إلى عقد قروض إستهلاكية ربوية .

أما فى القروض الإنتاجية فالمال الذى أودعه صاحبه فى بنك لن ينال عنه « فائدة » ثابتة تتسم بسمات الربا المنهى عنه ، بل ربحا عادلا يتكافأ مع الدور الذى أداه ماله فى التنمية الاقتصادية . وهذا بلا شك تشجيع كاف لكل مدخر على موالاة الادخار - العنصر الأساسى فى تكوين رأس المال القومى .

والبنك من جانب آخر - بما فيه مساهموه - سينال ربحه المشروع ، جزاء وفاقا على ما بذل من جهد وفطنة واعية فى توجيه مال المساهمين ومال المودعين فى استثمارات مجزية .

إن البنك - بهذا الوضع الإسلامى - لن يصير مجرد دائن لأصحاب النشاط الإنتاجى ، لا يهمه إلا أن يسترد قروضه بفوائدها الربوية مهما كان مصير المشروعات ومهما كان مصير المقترضين ، بل يصبح البنك شريكا لهم فى نشاطهم الإنتاجى ، يبحث معهم أفضل مجالات الاستثمار ويهديهم إلى أرشد أساليبه ، وبذلك يصبح المال والإنتاج حليفين يتعاونان فى تنمية الاقتصاد القومى .

هذه الروح التعاونية التى تجمع بين رأس المال والعمل فى تحالف سليم هى روح إسلامية خالصة ، تحقق منهج الله فى سلوك البشر التعاونى عندما أمرهم بقوله : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » .

ولو نجح تطبيق هـــذا التنظيم فى بلادنا الإسلامية فإنه سوف يؤدى إلى إنقاذ العالم الإسلامى من التخلف الاقتصادى الذى طال أمده ، ثم يكون قـوة حية يحتذيها العالم المعاصر ، شرقية وغربية ، بالرغم مما سوف يصطدم به من مقاومة ذئاب المال من بنى إسرائيل ؟

صورة تذكارية لأعضاء المؤتمر مع السيد وكيل الأزهر

شبابنا المثقف أمام الإيمان والتدين

للأستاذ نديم الجسر

توجهت الدراسة فى هذا البحث إلى الشباب ولمست نفسيته وما يصطرع فيها من عقد ، وعقليته وما نالها من انحراف ، وحياته وما عصف بها من تيارات ، وخططت للعلاج بنفس « موضوعية » الفحص .

تحدث البحث عن ظاهرة الإلحاد ، وتوصل إلى دراسة لأسباب هذه الظاهرة ، فبين سيادة الباحث كيف يقع شبابنا بين « عدة تيارات : سلطان العقل ، أوهام التعقل ، سلطان العلم ، أوهام العلم ، سلطان الجهل بحقيقة الإسلام ، عدوى الملحدين ، كيد المستعمرين ، أخطاء المستشرقين والمؤرخين ، العقد النفسية ، فساد المحيط » .

وبسط فضيلة الباحث هذه التيارات التى هى أسباب الانحراف الروحى ، وحدد معالمها وآثارها فى نفسية الشباب ، ووضع مع كل سبب علاجه الميسور ، وطالب فى ختام بحثه أن يقرر المؤتمرون توصياته التى تعين الشباب وترد إليه طريقه الضائع فيستقيم مع الرشاد .

وهذه مقتطفات نصية من ذلك البحث :

قال سماحة الباحث فى بيان « سلطان العقل فى الإسلام » .

« مزية الإسلام هو أنه جعل للعقل السلطان الأعلى فى فهم النصوص المنزلة ، هذا العقل الذى أمرنا الله فى آيات كثيرة من القرآن أمراً قاطعاً أن نحتكم إليه عند جدلنا مع أنفسنا فى معركة الشك واليقين ، وعند جدلنا مع غيرنا من الملحدين والمشركين ، يشمل بسلطانه كل معنى فى الوجود ابتداء من أبسط الأمور كإماطة الأذى عن الطريق ، إلى أعظم معنى فى الوجود وهو الألوهية والوحدانية .

فليس فى الإسلام إيمان يتناقض مع العقل ولا نص أو خبر يتناقض مع العقل ، ولا أسرار ولا خرافات ، ولا أوهام تتناقض مع العقل والعلم الصحيح .

ويستوعب سماحته بسط ذلك فيقول :

« . . . ليس أدل على بعد الإسلام وترفعه عن هذه البدع والخرافات من هدى القرآن والسنة الصحيحة ، وهما المنبعان الأصيلان للتشريع .

فإذا تصفح الشباب القرآن وجدوا أنه فى كل سورة ، بل فى كل صفحة يعلى كلمة «الحق» ويجعل العقل إليه هاديا ، والعلم إليه دليلا ، والعلماء عليه شهداء ، ويحذر من الظن الذى لايغنى من الحق شيئا ، ويستهزئ بالخرافات والأساطير ، ويفصل فصلا صارماً بين الألوهية والبشرية ، ويخوف أشد التخويف من الشرك الخفى ، ويجعل صلة العبد بالله من غير وسيط ، ويفتح باب التوبة والاستغفار له من غير شفيع إلا بإذنه ، فأين محل الأباطيل والخرافات والبدع من هذا القرآن ؟ !

وإذا تصفح الشباب السنة الصحيحة ـ وهى هدى رسول الله قولا وعملا ـ وجدوا أنه صلى الله عليه وسلم كان أبعد الناس عن أوهام الخرافات والأساطير ، وأشدهم إنكارا للتنجيم والعرافة والشعوذة ، والاستجارة بغير الله ، وكان أعظم الناس تبرءا من معرفة الغيب ، ومن كل ما يرفعه عن مستوى البشر والعبودية لله » .

ويعطى سماحة الباحث بيانا بالأسباب التى حملت المفكرين فى عصر النهضة فى الغرب على محاربة الدين ورجاله ، تلك الأسباب التى انتهت بالماركسية إلى الإلحاد ، ثم ينوه ببراءة رجال الدين فى الإسلام منها فيقول :

« . . محاربة الدين ورجاله فى أوربا ترجع على أسباب خمسة :

١ ـ النزاع الذى قام بين الفرق الدينية من عهد أريوس الإسكندرى حول الطبيعة الإلهية والبشرية .

٢ ـ النزاع المسلح الدامى الذى قام بين الكنيسة والحكام من أباطرة وملوك .

٣ ـ النزاع الذى ظهر فى عهد الإصلاح الدينى منذ قيام لوثر والبروتستانتية وغيرها من الفرق وأسفرت عنه حروب دامية .

٤ ـ القسوة التى عومل بها بعض العلماء والمفكرين من قبل رجال الدين قتلا وإحراقا وتعذيبا لقولهم بآراء علمية فلكية كشفت الأيام صحتها .

٥ ـ امتلاك رجال الدين الأرض والثروة على مثال امتلاك الأمراء الإقطاعيين ، وما نتج عن ذلك من نزاع الطبقات أثناء الثورة الفرنسية وما بعدها ، إلى عهد الماركسية التى اعتبرت رجال الدين ،

من هذه الناحية حزبا واحدا مع الإقطاعيين أو الرأسماليين ضد طبقة العمال والفقراء الكادحين، فأرادت أن تحملهم مسؤلية الظلم الاجتماعي، وليس فى الإسلام أثر لمثل هذا السبب، لأن رجال الدين فى الإسلام يعيشون من صدر الإسلام إلى اليوم فى فقر مدقع، والقليل القليل منهم من هو فى حدود الكفاف والنادر النادر منهم من بلغ الثراء، ومن كل هذا يظهر للشباب أن الأسباب التى حملت الغربيين على محاربة الدين ورجاله غير موجودة فى الإسلام. فيبقى علينا أن نقنع الشباب بأن الإسلام اتسع ويتسع لحل المشاكل الاقتصادية، وإزالة الظلم الاجتماعى. وهو إقناع يرجى من مجمع البحوث الاسلامية أن يجعله موضع عناية ليرتاح شبابنا من الفراغ الذى يجعلهم عرضة لامتصاص المذاهب الهدامة».

وفى الفصل الأخير الرائع من البحث بين: أن الإيمان بالله حق وضرورة إنسانية.

وفيه يقول سماحته:

«إن السنين الطوال سوف تنضج على جمر العذاب تفكير الشباب حتى يصدقوا أن الإيمان حق وضرورة ولكننا نريد أن نختصر لهم السنين الطوال، ونوفر عليهم عذاب الندم والحسرة إذا «جاءت سكرة الموت بالحق» كما يقول القرآن. فمن أين نبدأ الكلام فى أن الإيمان بالله من ضرورات الحياة الإنسانية..؟

لا ريب فى أن البداية يجب أن تكون أمرا نتفق نحن والشباب على أنه حق وضرورة فما هو هذا الأمر؟ إنه «إنسانيتنا» التى يمكن أن يجادل الشباب فى كل شىء إلا فيها.

يقول الفيلسوف الإسلامى الكبير «ابن مسكويه» فى كتابه الموجز الجليل: «تهذيب الأخلاق»: (إن المزية الوحيدة التى يتميز بها الإنسان عن الحيوانات الكثيرة كلها هى مكارم الأخلاق).

ذلك أن كل مخلوق يشترك مع غيره من المخلوقات فى بعض الصفات، ويمتاز عنها لنفسه بصفة ومرتبة خاصة لا يشاركه فيها غيره. كالأسد يمتاز بالقوة، والفرس بسرعة الجرى، والبغل والحمار بحمل الأثقال والعندليب والكنار بالتغريد، والطاووس بجمال الشكل إلى غير ذلك.

أما الإنسان فإنه يشارك الحيوانات الأخرى بصفات الحركة والتغذى والتناسل ويمتاز عنها بمزية واحدة وهى: النطق، أى العقل، ومن هنا أطلقوا عليه اسم (الحيوان الناطق) أى العاقل.

ولكن التحقيق العلمى قد أثبت أن الحيوانات لا تخلو من عقل تدرك به كثيرا

من أمور معيشتها ، لذلك صار علينا أن نبحث عن مزية أخرى خاصة يمتاز بها الإنسان من الحيوانات، وبها يسمى إنسانا .

هذه المزية الخاصة هي : « الأخلاقية » التي تتجلى « بالضمير الإنساني » .

فالحيوان يعقل، وقد ترتقي فيه قوة التعقل كما في بعض القرود ، ولكنه لا يفهم معنى الأخلاقية ، ولا يمكن أن يكون له الشعور الذي نسميه « الضمير » .

فأخلاقيتنا ، إذا ، هي المزية الوحيدة التي تثبت بها إنسانيتنا ، وإذا خرجنا عن هذه المزية عدنا إلى مرتبة الحيوانات ، بل كان كل حيوان بمزيته الخاصة ، خيرا منا ، لأننا فقدنا مزيتنا الخاصة ، وليس لنا مزاياه .

هكذا قال ابن مسكويه ، وهكذا من بعده بعصور جاء « دارون » يقول : إن الضمير أو الحس الأخلاقي هو أظهر فاصل يفرق بين الإنسان والحيوان ، وجاء « كانت » يتخذ من هذا « الشعور الأخلاقي » منطلقا لإثبات خلود الأرواح ويوم الحساب ، ووجود الله الحكم العدل القدير .

هذا الضمير الأخلاقي إنما يصونه الصيانة الكاملة الدائمة الساهرة النافذة من وراء حجب الخفاء شيء واحد : هو الإيمان بوجود الله الحكم العدل القدير .

فتحقيق إنسانيتنا ضرورة اجتماعية ، وإنسانيتنا لا تتحقق إلا بأخلاقيتنا ، وأخلاقيتنا لا تصان إلا بالإيمان ، فالإيمان ، إذا ، أمر ضروري لأنه يمسك أخلاقيتنا التي تثبت بها إنسانيتنا .

وأكرر القول للشباب : إن الإيمان بالله هو :

أس الفضائل .

ولجام الرذائل .

وقوام الضمائر .

وسند العزائم في الشدائد .

وبلسم الصبر عند المصائب .

وعماد الرضى والقناعة بالحظوظ .

ونور الأمل في الصدور .

وسكن النفوس إذا أوحشتها الحياة .

وعزاء القلوب إذا نزل الموت أو قربت أيامه .

والعروة الوثقى بين الإنسانية ومثلها الكريمة .

فلا يخدعنكم ، أيها الشباب ، من يقول لكم : إن مكارم الأخلاق تغني ، بوازع الضمير ، عن الإيمان . لأن مكارم الأخلاق التي تواضعنا عليها ، للتوفيق بين غرائزنا وحاجات المجتمع لا سند لها ، عند اعتلاج الشهوات ، في الشدائد والأزمات ، أن تعتمد على الإيمان ، بل إن هذا الشيء ، الذي نسميه

ضميراً ، إنمـــا يعتمد ، في سويدائه على الإيمان .

وانقياد الناس لمكارم الأخلاق ، إنما يكون بزاجر من السلطان ، أو وازع من القرآن ، أو رادع من المجتمع ، فإذا كنا في نجوة من سلطان القانون والدين والمجتمع ، لم يبق لنا وازع إلا الضمير ، ونحن في معركة الشهوات والغرائز مع الضمائر ، قل أن نرى الضمير منتصراً ، إلا عند القلة من الناس ، وهـذه القلة نفسها لا تستمسك بضمائرها ، عنـــد جموح الشهوات إلا إذا كانت تخشى الله .

ولو تركنا مكارم الأخلاق جانبا ، ونظرنا إلى حاجتنا للإيمـان من حيث هو سند في الشدائد ، وبلسم للمصائب ، وسكن للنفوس ، وعزاء للقلوب ، وعـــلاج لشقاء الحياة ، لوجدنا أننا عند فقد الإيمـان نكون أسوأ حظا في الحياة ، وأدنى مرتبة في سلم المخلوقات ، من أذل البهائم ، وأضعف الحشرات وأشرس الضواري .

فالبهائم تجوع كما نجوع ، ولكنها في نجوة من هم الرزق ، وخوف الفقر ، وكرب الحاجة ، وذل السؤال ... وهي تلد ، وتفقد أولادها كما نفقد ، ولكنها في راحة من هلع المشكلة ، وجزع الميتمة ، وهم اليتامى المستضعفين ...

وهي ، في أجسادها ، تتلذذ كما نلتذ ، وتألم كما نألم ، ولكنها في راحة مما يأكل القلوب ويقرح الجفون ، ويقض المضاجع ، ويقطع الأرحام ، ويفرق الشمل ، ويخرب البيوت ، من المهلكات : كالحسد ، والكذب ، والنميمة ، والفرية ، والقذف ، والنفاق ، والخيانة ، والعقوق ، وكفر النعمة ، ونكران الجميل . . .

وهي تعرف ، بنوع من الإدراك ، ما يضرها وما ينفعها ، ولكنها في نجوة من أعباء التكاليف ، وأثقال الأوزار ، ومضض الشك وكرب الحيرة ، وعذاب الضمير . . .

وهي تمرض كما نمرض ، وتموت كما نموت ولكنها في راحة من التفكير في عقبى المرض وفراق الأحباب ، وسكرات الموت ، ومصير الموتى وراء القبور . . .

والضواري تسفك الدماء لتشبع ، بلا سرف ولكنها لا تسفكها أنفا ، ولا جنفا ، ولا صلفا ولا ترفا ، ولا علوا في الأرض ، ولا استكبارا . . .

أما هذا الحيوان الفيلسوف ، الضعيف ، الهلوع ، الجزوع ، المطماع ، المختال ، الفخور المترف ، المتكبر ، المتجبر ، السافك الدماء ، الذي لا يأتيه شقاء الحياة ، أكثر ما يأتيه ، إلا من تفكيره ، فإنه لا علاج لشقائه

إلا بالإيمان ، فالإيمان هو الذى يقويه ، وهو الذى يعزيه ، وهو الذى يسليه ، وهو الذى يغنيه ، وهو الذى يرضيه ، وهو الذى يجعله إنسانا يسعى إلى مثله الأعلى لتسجد له الملائكة.

ومن دون هذا الإيمان يكون هذا الإنسان المسكين أتعس الخلائق ، وأسوأها حظا ، وأعظمها شقاء ، وأشدها بلاء ، وأحطها رتبة ، وأرذلها مصيرا .

وسبيله إلى الإيمان هو ذلك « التفكير » الذى كان سبب شقائه . أنه عبد لتفكيره قبل أن يكون عبدا لربه ، ولا يكون عبدا لربه ، حق العبد ، إلا بهذا التفكير . . . الذى ينسج أكثر خيوط سعوده ونحوسه فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .

لقد خلق الله هذا الإنسان ، ورفعه ، وكرمه ، وميزه بهذه النفس العاقلة المفكرة التى علمه بها الأسماء كلها ، وخلفه بها على الأرض ، وصيره بها فوق الملائكة ، وكتب الفلاح لمن زكاها ، والخيبة لمن دساها « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » فكيف نزكيها ؟

إننا نزكيها بالتفكير حتى تتسامى إلى مثلها الأعلى وتصل إلى « اليقين » من الحق والخير والجمال ، فترى الله عنده . . . وتجد من حلاوة الإيمان ما تدرك به سر شقائها وسعادتها وضعفها وقوتها ، وعجزها وقدرتها وعبوديتها وحريتها . . . بل سر خلقها ، ووضعها على مفترق « النجدين » ، وتركيبها على هذه الصورة القابلة « للضدين » ، التى من دونها لا يفهم معنى العبودية ، ولا يستقيم معنى العبادة » . . . .

لذلك كان حقا علينا ، من باب الحاجة والضرورة ، إن لم يكن من باب الحق والعبادة والتقوى ، ومن أجل سلامة قلوبنا ، وسلامة ضمائرنا وسلامة إنسانيتنا ومثلها العليا ، وسلامة المجتمع ، أن ندعوا إلى الإيمان بالله ، ونيسره للعقول ، ونشرح له الصدور .

سيدى الرئيس

سادتى العلماء

إخوانى أعضاء المؤتمر

أرجو أن لا تؤاخذونى على هذه الإطالة وأكرر القول فى ختام هذه الدراسة أننى ما فصلتها لكم ، وأنتم أعلم منى بما فيها من الصواب ، وأقدر منى على معرفة ما فيها من الخطأ ، إلا لأتوصل إلى دراسة أشمل وأنجع يقوم بها المؤتمر ، ثم يركزها بجمع البحوث ، وينتهى منها إلى تقرير الإجراءات الضرورية التى يجب اتخاذها فى سبيل معالجة مشكلة الإيمان والتدين عند شبابنا الصاعد الذين ستكون مقدرات العرب والإسلام أمانة بين أيديهم ؟

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

تربية الشباب على مبادئ الإسلام

للأستاذ عبد الحميد حسن

وضع الباحث فى هذا البحث منهجاً لتربية الشباب على مبادئ الإسلام ، سالكا لهذه الغاية مراحل ثلاثا « هى :

١ — صلات الإنسان الروحية والاجتماعية .

٢ — الدعائم الثلاث التى ركزها الله سبحانه فى الإنسان لتكون أساساً لتهذيبه .

٣ — المجالات العامة التى يمكن توجيهها إلى تهذيب الشباب وإرشادهم » .

وصلة الإنسان بالله ، والمسلمين ، وغير المسلمين هى دعائم الصلات الروحية والاجتماعية ، فالاهتمام بتنميتها واجب ، و « أسلحة الشباب ضد وساوس الشيطان ، وضد الانحراف » تنمى بالعقل والإرادة ، والضمير أو القلب السليم . فهذه هى الدعائم الثلاث التى ركزها الله سبحانه فى الإنسان لتكون أساساً لتهذيبه .

ويجد سيادته فى الإذاعة ، والمجلات الإسلامية ، ودروس الجمعة ، ورسالة المساجد ، ودراسة أعلام الإسلام - مجالات عامة يمكن توجيهها إلى تهذيب الشباب وإرشادهم .

وأساس الصلات الروحية والاجتماعية الأول : صلة الإنسان بالله ، ويرى سيادة الباحث لكى « نظفر من هذه الصلة بالنصيب الأوفى » أن يكون فى مقدمة الاعتبار العلم بالطابع العام لميول الشباب وغرائزهم يقول سيادته :

« يجدر بنا حين نتجه إلى إرشاد الشباب وتوعيتهم ، والقيام على توجيههم إلى نبيل الخلال أن نكون على بينة من الطابع العام لميولهم وغرائزهم وما يحفز قلوبهم ، ويسيطر على سلوكهم ، وذلك كى نتمكن من قيادتهم قيادة حكيمة تنفتح لها قلوبهم ، وتنشرح صدورهم ، فلا يتنكرون لها ، ولا يتذمرون منها ، وهذا هو الشأن فى القيادة فى جميع أنواعها ، وكذلك فى التعليم فى جميع مراحله .

وإنا إذا اتجهنا فى هذه الناحية إلى القرآن الكريم وجدنا أنه يشير إلى طائفة من نزعات الإنسان وفطرته وطبعه ، استمع إلى قوله تعالى : « إن الإنسان خلق هلوعا » وإلى قوله تعالى : « كلا إن الإنسان ليطغى . أن رآه استغنى » وقوله : « وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه » وغير ذلك من الآيات الكريمة المتصلة بالإنسان وفطرته وميوله .

فليتخذ المربون من ذلك نبراسا يضىء لهم السبيل فى تهذيب الشباب وقيادتهم ، وبذلك

يتألفون نفوسهم ويجتذبون قلوبهم ، وتنجح طرائقهم .

إنما تنجح المقالة في المرء

« إذا صادفت هوى في الفؤاد

وينبغي في هذا الصدد أن نلاحظ أن في قلوب الشباب ناحية صافية مستعدة للخير ، لا أن نفرض أنهم كتلة من الشر فننهال عليهم باللوم والتسفيه والتجريح .

ويقول سيادته عن « التقوى » التي هي من الوسائل الإيجابية لتربية القلب السليم .

« التقوى : وهي صيانة النفس عن الآثام بترك المحذور واتقائه ، والقرآن الكريم يوضح في جلاء آثار التقوى في حياة الأفراد والجماعات ويرغب فيها بأساليب مختلفة .

يقول سبحانه : فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ويقول جل شأنه : إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، ويزيد الترغيب في التقوى بقوله سبحانه : « يأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ، ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم ، والغفران يراد به نور البصيرة الذي يهدي الإنسان إلى الصراط السوي ، ويرشده إلى أن يفرق بين الحق والباطل ، والخير والشر ، وفي آية أخرى يبين سبحانه ما للتقوى من أثر في حياة الأمم والشعوب وأنها أساس قوي للفوز في الدنيا والدين ، يقول جل شأنه : إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » .

ويعتبر سيادة الباحث الإيمان بعد الإخلاص من أهم تلك الوسائل ، يقول : « الإيمان : وهو الدعامة القوية للدين ، وأساس الحياة الصالحة . فالإيمان بالله وحده هو النور الذي يضيء فجاج الحياة ، ويرشد إلى أقوم السبل ، وهو الذي يهدي القلب ، ويعصمه من الضلال .

وإن القلوب العامرة بالإيمان المتوكلة على الله لا يجد الشيطان إليها سبيلا ، وإن الإيمان الصحيح الصادق هو المسيطر القوي على القلب ، وعلى الإرادة التي توجه الإنسان في حياته إلى الخير .

والقرآن الكريم في مواطن كثيرة من آياته يستهدف أن يوقظ في الإنسان شعورا ساميا بما بينه وبين خالقه ، ويذكر الأساس المتين للدين ، وهو الإيمان بالله وحده ، ثم يقرن ذلك بتوجيه العقول إلى آيات الله في الكون والسموات والأرض وما بينهما .

هذا وإن القلب الذي يملؤه الإيمان ، ويسطع عليه ضوؤه ، ثم يعتريه ما يحول بينه وبين خالقه ، قد ينتابه ما يضعف حيويته ، ويقلل من نشاطه الروحي ، ومرد ذلك إلى ما ركب في الإنسان من ميول وغرائز شهوانية ، ولذا نجده في حياته في كفاح مع نفسه ، ومع غيره ، لسد حاجاته ، وقد تغلبه آماله ، وتتوثب فيه الأثرة ، ويطغى حب المال فيغريه بالجري وراء نزواته ، فتفتر فيه معاني الخير ، فيهوي شيئا إلى درك لا يدري مداه ، ويظهر هذا الموقف حين تطغى على الأفراد ،

وعلى الشعوب مظاهر المدنية ومغرياتها ، ويستبد بها الإسراف وألوان البذخ ، فيدب إلى القلوب الانحراف والانحلال وحينئذ تبدو الحاجة الملحة إلى الإيمان الذى يطهر القلوب ويهديها طريق الرشد والاستقامة . فإذا ما وفق الله الإنسان إلى أن يقلع عن ضلاله ، ويعود إلى صوابه فإنه سيجد فى رحاب الدين منقذا مما تورط فيه ، وسيعلم أن أقوم سبيل هو صراط الله المستقيم ، ودينه القويم ، ففيه ما يعيد للقلب اطمئنانه وإيمانه . وهنا يتبدل الحال ، ويشرق نور البصيرة فيتجه الإنسان ، إلى ما فى الدين من هدى يعيد إلى القلب الصفاء وقوة اليقين .

ولهذا كان لابد للقلب من مداومة الصقل الذى يجلو صدأه ، ويصفى معدنه وقد عالج الإسلام ذلك بما يصون للمرء روحانيته ، ويقيه شر ماديته ، ويزيد ما عسى أن يصيب قلبه من أوضار . والوسائل التى يرشد إليها القرآن الكريم فى هذا الصدد كثيرة ومن أهمها ما يأتى :

١ — ذكر الله والتبتل إليه ، حتى لا تنسيه مطالب العيش وشئون الحياة الدنيا ما عليه لله ولنفسه من واجب يصل به إلى الخير . استمع إلى قوله تعالى : « إن لك فى النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا . رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا » تجد أن الله سبحانه وتعالى يوضح لرسوله الكريم ولباقى عباده ما فى الحياة نهارا من سعى ومشغلة تمنع من التفرغ للعبادة ، ويبين ما ينبغى إزاء ذلك من علاج ، وذلك بذكر الله والتبتل إليه ، ومداومة التسبيح والتحميد وتلاوة القرآن الكريم . ويقول جل شأنه : « وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا » لما فى هذا الوقت من روائع المظاهر الكونية من بدء النشاط الحيوى بعد هدوء الليل ومن انبثاق الضوء ومحو الظلام ، ومن البهجة التى تعم الناس ، وتشيع فى القلوب الرضا والاطمئنان ومن أهم ما يكسبه الإنسان من تلاوة القرآن تطهير قلبه وربطه بخالقه ، وذلك لأن القرآن الكريم مستمد من المعين الصافى للوجود ، وتلاوته أشبه بنافذة روحية نطل منها على الحقائق الخالدة فى هذا الكون وإن من أهم ما يطهر قلوب الشباب خاصة وقلوب المسلمين عامة ويجمع شملهم ، ويوحد قلوبهم ، ويعيد إليهم مجدهم ، أن يعودوا إلى هذا المنبع الأصيل ليستمدوا منه ما ينشدون من خير وعزة ورشاد .

٢ — توجيه النظر والقلب إلى مشاهد الكون ، وما بث الله فيه من آلائه ودلائل قدرته وبديع حكمته ، فكل هذا إنما يهدف إلى تثبيت الإيمان وإلى الاتجاه إلى الخالق العظيم بقلب سليم . وهذا أسلوب من أقوم أساليب التربية والتوجيه والإرشاد : والقرآن حافل بشرح هذه المشاهد الكونية وتوجيه النظر إليها ، تحقيقا لقوله تعالى :

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » .

٣ — العبادات :

وللعبادات التى فرضها الله سبحانه على المسلمين كثير من الأسرار النفسية والاجتماعية والمقاصد الحيوية التى تستهدف خير الإنسان وتربية قلبه السليم وفى قمة هذه العبادات « الصلاة » ففيها يقضى الإنسان فترة من يومه بعيداً عن الحياة الآلية الرتيبة ويخرج إلى ميدان الحرية الفكرية والصفاء الروحى واقفاً بين يدى ربه يناجيه متذكراً متدبراً ، وفيها يجد الإنسان تحقيقاً لما يشرح صدره ويطمئن قلبه ذلك أن الإنسان كما هو معلوم مدنى بطبعه ويحب أن يجد الأنس والسرور فى مصاحبة بنى جنسه والالتقاء بهم ولكن هذه المصاحبة هى فى صميمها على مستوى إنسانى ، وكثيراً ما يكون الغرض منها ماديا يستهدف مقاصد دنيوية وقد يكون الجانب الوجدانى الخالص ليس متحققاً . ولذا نرى أن الإنسان يحاول أن يجد لنفسه رفيقها الأعلى فلا يجد ذلك إلا فى العالم المثالى فى رحاب الله وكنفه ، وأن الصلاة فيها هذا المعنى السامى ، لأنها تتضمن السعى إلى الله الوقوف بين يديه ، وتنطوى على التعبير عن الشوق الكامن إلى من يستجيب لدعائه ويكشف عنه السوء ويضفى عليه من رحمته فيزداد تضرعا لله وخضوعا وصفاء نفس واطمئنان قلب ، وتزول عنه المخاوف التى تساوره ، وتنزاح الأعباء التى تثقل كاهله فى معترك حياته المادية ، وينكشف ما يمسه من ضر ، ويملأ نفسه الأمن والرضا .

وفى الصلاة معنى آخر اجتماعى تتجلى فيه وحدة الشعور للجماعة ، ويتحقق ذلك الغرض السامى الذى يربط بين قلوب المسلمين وذلك فى ركن من أركانها وهو الاتجاه إلى القبلة شطر المسجد الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا وكذلك فى صلاة الجمعة والعيدين ، ففى هذه المواقف تنتظم صفوف المسلمين وتتجه قلوبهم جميعاً إلى الخالق العظيم ، فالصلاة هى العبادة الروحية العليا والاجتماعية المثلى ، كما أن الزكاة إلى جانب ما فيها من تطهير القلوب ، هى العبادة الاجتماعية ذات الأثر فى حياة الأمة ، وفى إشاعة التراحم والترابط بين أفرادها ، وإذابة الفروق بين مختلف طبقاتها ، فجدير بالمربين أن يشرحوا كل هذا للشباب وأن يوجهوا أنظارهم أيضا إلى أن إقامة الصلاة لا تكون بمجرد أدائها بصورها الظاهرة ورسومها الآلية ، وإنما تتحق بالإخلاص لله والصدق فى التوجه إليه سبحانه ، والخشوع لعظمته وجلاله ، ولا شك أن ذلك له أثره القوى فى تربية القلب السليم ؟

مقومات الحضارة الإسلامية

للأستاذ الدكتور سليمان حزين

بدأ الأستاذ الدكتور بحثه بمقدمة عن الدين والحضارة ، تناولت ما امتاز به الإسلام من أنه دين حضارة ، وأنه أنشأ لونا عرف باسمه وهو « الحضارة الإسلامية » .

وتحدث عن الديانات الأخرى : « على حين أن غيره من الديانات السماوية لم يبلغ هذه الدرجة ولا هذا المستوى من الأثر الإنسانى والتاريخى ، وضرب مثلا باليهودية والمسيحية .

وكذلك الشأن فى الأديان غير السماوية وعقائدها ذات الانتشار الكبير ، لم تقم لأى منها حضارة خاصة مميزة ، وإن كان بعضها قد علق بحضارات أقدم منها أو معاصرة لها ، وضرب مثلا بالكونفوشية التى اتصلت بالحضارة الصينية ، والبوذية التى اتصلت بحضارة الهند ، بل إن عقائد الهند ذاتها وهى التى اتصلت بألوان من الحضارة الهندية لم تنشىء لونا متكاملا من الحضارة إلا على نطاق محلى محدود لم يستطع أن يعم الهند كلها فى يوم من الأيام .

وكذلك الأمر فى عقائد إفريقية الفطرية التى لا يمكن أن توصف الحضارة التى صاحبت بعضها بأنها حضارة مشتقة من العقيدة أو الديانة ، أو حتى مصطبغة بالطابع الدينى إلى الحد الذى ينسبها إلى تلك العقيدة .

ثم تحدث الأستاذ الدكتور عن مفهوم الحضارة قائلا : « ولا بد لهذا الاختلاف بين الإسلام ومعظم الديانات والعقائد الأخرى سماوية وغير سماوية من أسباب ، ولكننا قبل أن نحاول استجلاء مثل هذه الأسباب والعلل يجدر بنا أن نتفق على مفهوم كلمة « الحضارة » وهو مفهوم تطور مع الزمن ، لاسيما فى تاريخ حياتنا العربية والإسلامية » .

ثم تحدث عن المفهوم الأصيل لكلمة « الحضارة » ، ثم أبان فضل ابن خلدون ، وكيف أنه بلور مفهوم الحضارة عند العرب ، وعالج شئونها بطريقة علمية تحليلية ، وأبان أنها ذلك النمط من الحياة المستقرة ، الذى يناقض البداوة ، فينشىء القرى والأمصار ، ويضفى على حياة أصحابه فنونا منتظمة من العيش والعمل والاجتماع والعلم والصناعة وإدارة شئون الحياة والحكم ، ثم بعد أن أفاض فيما ذهب إليه ابن خلدون باعتباره الرجل الذى بلور هذا المعنى التاريخى ، وفصل الفوارق بين البدو والحضر ، واعتبر الحضارة غاية العمران ، انتقل إلى أن مفهوم « الحضارة

فى عصرنا قد امتد إلى ألوان من المعنى هى أبعد وأوسع مما رآه ابن خلدون فى عصره وفى بيئته العربية ، وفى انتقالها الاجتماعى والسياسى والمدنى من البادية إلى الحضر .

ثم استدرك قائلا : « على أن تلك المفاهيم اللغوية إنما نشأت فى بيئة عربية كانت حياة الحضر فيها تقابل حياة البادية . . . ولكن هذه الحالة من التقابل لا تكاد توجد بصورتها التقليدية إلا فى جهات قليلة جدا خارج عالمنا العربى ، ولذلك فإن لفظ الحضارة فى مفهومه العالمى ومفهومه الحديث المعاصر بصفة خاصة قد أصبح أكثر اتساعا مما يدل عليه اللفظ فى مفهومه اللغوى التقليدى » .

ثم رأى أن يقابل فى لغتنا الحديثة بين ألفاظ ثلاثة : المدنية ، الثقافة ، الحضارة ، وأن يتفق ولو على سبيل الاصطلاح على مفهوم كل واحد من هذه الألفاظ . فالمدنية قد اتصل لفظها فى مفاهيمنا الجارية بالجانب المادى من الحياة ، والثقافة يمكن أن تشمل ما يقابل المدنية من الناحية المعنوية فى حياة الناس ، وأما الحضارة بمفهومها الحديث فهى الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة ، وهى مجموع الحياة فى صورها وأنماطها المادية والمعنوية.

ثم قال : « وعلى هذا الأساس نستطيع أن نتحدث عما يمكن أن نصطلح على أنه « الحضارة الإسلامية » وهى حصيلة تاريخ حياة المسلمين على أرضهم ، وفى أوطانهم المتصلة فى النطاق الأوسط من الأرض بين المناطق الباردة التى تقطنها كثرة من المسيحيين وغيرهم ، وبين المناطق الاستوائية التى يقطن أغلبها كثرة من أصحاب الديانات الأخرى أو من الوثنيين » ثم قال: « وسيكون بحثنا عن « الحضارة الإسلامية » ومقوماتها فى نطاق العصر الذى نعيش فيه منعكسا عن الماضى منذ أن ظهر الإسلام وخلع طابعه الإسلامى على حضارة الشعوب التى دخلت فيه ، أى أننا سنعنى أكثر العناية بالعهد الحديث مكتفين من الرجوع إلى الماضى بالقدر الضرورى .

ثم أخذ يتكلم على المقومات الدينية والبيئية والتاريخية قائلا : « ولئن كان الإسلام قد يمتاز كما ذكرنا بأنه دين بناء حضارى ، فإن واقع الأمر فى الحضارة الإســــلامية أنها استحدثت مقوماتها الأولى والأساسية من الإسلام ذاته ، وإذا كان ظهور الإسلام قد سبقته فى جزيرة العرب وما جاورها حضارات أقدم منه كما سبقته أيضا فى البلاد التى انتشر إليها ألوان من الحضارات القديمة ذات الطابع المحلى أو الإقليمى فإن الإسلام استطاع أن يضفى على البلاد التى شملها جميعا لونا مشتركا من الفكر الدينى والحياة والمعاملات والعلاقات الإنسانية الاجتماعية بل والسياسية ، حتى

أصبح هناك قدر حضارى مشترك بين المسلمين فى مختلف أقطارهم وديارهم ، وإذا نحن حاولنا أن نستجلى علة قيام هذا الطابع الإسلامى العام للحضارة فى بلاد الإسلام فإننا نستطيع أن نورد العوامل الدينية الآتية :

١ — « أن الإسلام قد انطوى منذ يومه الأول على طاقة روحية (قوة دفع دينى) جعلت منه ثورة حقيقة ، « فهى ثورة روحية وثورة فى العبادة والطقوس ، وثورة فى الحياة العملية والمعاملات ، وفى النظم الاجتماعية ، بل وفى نظم الحكم ، وصلة الحاكم بالمحكوم ، وكذلك فى تشريعات الأسرة والجماعة ، والشىء المهم فى هذا الدفع الثائر أنه كان إصلاحا جذريا يمس أساس الأوضاع فى حياة الناس ، وأنه لم يكن مستندا إلى ما جاء به الكتاب وحده وإنما صاحبته « السنة » التى أصبحت هى أيضا منذ المراحل الأولى للإسلام مصدرا للاسترشاد والتفسير والقياس فى حياة المجتمع الإسلامى » « ثم إن الدفع لم يكن يستمد القوة من العقيدة وحدها ، ولا من الإيمان وحده ، وإنما كان يستند بحكم العقيدة ودفعها إلى العمل والله تعالى يقرن العمل بالإيمان : إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . . ومن هنا كان الإيمان وحده غير كاف ، وكانت الإيجابية الدينية فى الإسلام لا تتم بغير العمل ، بل من هنا أصبح الدفع الدينى عاملا أساسيا فى بناء الحضارة الإســـلامية وتجديدها على مر العصور .

٢ — إن الإسلام كان منذ يومه الأول أيضاً دين « دعوة » ، أى ديناً تبشيريا له رسالة يجب على المسلم أن يبلغها ، وهو من هذه الناحية يختلف عن ديانة كاليهودية لم يعن أصحابها بنشرها بين النـاس ، وإن كانوا هم قد انتشروا فى الأرض محتفظين بعقيدتهم لأنفسهم ، وقد ذكر الأستاذ أن العصر الذى أرسل فيه محمد عليه الصلاة والسلام كان أنسب العصور ليتم الله فيه على الناس نعمة الدين فى شموله العالمى وذلك أن فكرة « العالمية » لم تكن موجودة فى عهد أنبياء بنى إسرائيل ، ولـكن صورتها الأولى كانت قد اكتملت قبيل ظهور الإسلام عندما اتصلت حضارات الشرق الأوسط بحضارات الهند والصين ، وكانت حالة الشعوب واتصالاتها قد أهلتها لأن تتلق الرسالة الإلهية .

« ومن الخير أن نذكر أيضاً أن فكرة « الدعوة » فى الإسلام ـ وقد واتتها ظروف الانتشار فى النطاق العالمى ـ قد مكنت للإسلام ذاته من أن ينتشر طابعه الحضارى كعقيدة ، وكنمط للحياة الاجتماعية فى نظمها المادية والبشرية ، ومن هنا أصبح الدين مقوما أساسياً من مقومات الطابع المشترك فى الحضارة الإسلامية » .

٣ — كان الإسلام ديناً « بسيطاً » غير معقد ولا مركب فى عقيدته ونظمه ، وكان فى الوقت ذاته ديناً « مباشراً » يتصل فيه العبد بخالقه دون وساطة كهنية أو كنسية ، وقد كانت البساطة فى العقيدة شاملة العبادات والمعاملات جميعاً ، وما نظن ديناً يطلب إلى الفرد شهادة أبسط من شهادة الإسلام على عمقها وجلالها « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، « ولعل المقوم الأساسى الذى لم يجعل البساطة تنقلب إلى مرونة مشوهة هو أن القرآن كان وعاء للعقيدة ، حفظها على مر العصور ، وأضفى عليها الطابع المشترك فى مختلف البيئات وتحت مختلف الظروف ، ومن هنا فإن المجتمعات الإسلامية على تباين بيئاتها الطبيعية والاجتماعية استقت كلها من معين روحى ودينى واحد ، واستطاعت فى تنوعها أن تحقق الحضارة الإسلامية وحدة لا تجد لها نظيراً من الحضارات الأخرى ، التى استمدت طابعها أو بعض مظاهرها المميزة من عقيدة دينية .

٤ — « كان الإسلام ديناً رحباً يقبل الاجتهاد . بل ويدعو إليه فى حدود أصول العقيدة كما كان إلى ذلك ديناً يدعو إلى سبيل العقل كما يدعو إلى سبيل الضمير والحق » ، « وعندما خرج المسلمون من بلادهم ووجدوا حضارات أخرى لم يجانبوها لمجرد أنها حضارات سابقة على عهد الرسالة ، وإنما أخذوا منها ما وجدوا فيه الخير ، وما لم يتعارض مع خطوط العقيدة الجديدة » ، « وبالإضافة إلى ذلك فإن الإسلام فى رحابته الحضارية استطاع أن يمتص ألوان الحضارة فى البلاد التى انتقل إليها على مختلف بيئاتها وأن يسبغ عليها طابعه الإسلامى الشامل والمميز » .

٥ — « كان الإسلام دينا للآخرة وللدنيا فى آن واحد ، وهو فى هذا قد اختلف عن كثير غيره من الديانات والعقائد التى ينبسع بعضها فى ماديات الحياة ، ثم يضفى عليها مسحة من العبادة أو الفلسفة السطحية ، ويقبع بعضها الآخر فى مجال الروحيات التجريدية التى بقيت منفصمة عن معاملات الحياة الواقعية ، وقد ترتب على ما اتصف به الإسلام من جمع بين الروح والمادة أنه أصبح دينا حيا يلائم الحياة ، مهما اختلفت ظروفها البيئية أو التاريخية ، كذلك أصبح الإسلام أكثر التصاقا بالحياة فى مفهومها الحقيقى ، وصورتها الواقعة » ، « وكان تقبل الدين أيسر يسرا بالنسبة لكل من الجماعات التى عرفت الحضارة المغرقة فى المادية وتلك التى عاشت من قبل فى نطاق أقرب إلى الروحيات ، ومن ذلك كله أصبح الإسلام أكثر اتصالا بالبناء الحضارى فى البيئات التى انتشر إليها على اختلاف تلك

البيئات ، وكان ذلك من العوامل التى حققت ولا تزال تحقق ذلك القدر المشترك من المظهر الحضارى فى بلاد المسلمين .

٦ - كذلك كان الإسلام بطبيعته دين « وصل » بين الناس ، ولقد كان النبى عليه الصلاة والسلام تاجرا ، ولم يكن صاحب حرفة أخرى مما يفصل صاحبه عن المجتمع أو يجعله فى جانب خاص ، ومن الطريف أن التجارة كان لها دور كبير فى انتشار الدين الجديد .

٧ - « وأخيرا ، فإن الإسلام كان دين « قيم » وضوابط سلوكية مادية ومعنوية وهذه القيم يتصل بعضها بحياة الأفراد ، ويتصل بعضها الآخر بحياة الجماعات ، وإذا نظرنا إلى الحضارة على أنها لا بد أن تقترن بنمط معين من الحياة فإن الإسلام عاون بقيمه وضوابطه على أن يعطى حياة أهله وحضاراتهم بعض مميزات ذلك النمط المشترك ؛ بل إن الإسلام امتاز بأن أعطى نظاماً متكاملا للحياة ، سواء من وجهة نظر الفرد أم وجهة نظر الجماعة ، وهذا النظام شمل علاقات الأفراد ، وكثيرا من نواحى الحكم ذاته ، ثم انتقل إلى الكلام على أبرز القيم التى استمد إليها نظام الحياة الإسلامية : فكرة القيمة الذاتية للإنسان الفرد ، ثم فكرة الإخاء ، ثم فكرة العدل الذى ينبع من قاعدة المساواة بين الأفراد وتمييز التفاوت بينهم على أساس العمل ، ومنها كذلك فكرة السماحة وعدم التمييز على أساس من العنصر أو الجنس أو المال ، ولذلك جعل الناس يدخلون فى دين الله أفواجا على أساس التكافؤ والاندماج ، ومهد لأن يكون نظام الحياة والحضارة فى الإسلام نظاما جامعا رحبا راسخا فى معاييره التى لا يغيرها الزمن ولا تشكلها الظروف ثم منها ما يمكن أن نسميه التكافل الاشتراكى الإسلامى الذى أرسى للجماعات قواعد الدنيا فى ارتباطها بالدين .

ثم أخذ الأستاذ بعمق بحثه بالكلام عن المقومات البيئية والتاريخية ثم بالكلام عن مستقبل الحضارة الإسلامية .

تحدث عن الجزيرة العربية ذاتها ، وعن أنها منطقة « وصل » بين أطراف العالم ، وأن الأمر لم يكن أمر توسط جغرافى فقط ، وإنما كان أوسع وأعمق ، فهو توسط من ناحية الطبيعة البشرية ، ومن ناحية السلوك الإنسانى ، ومن ناحية الاعتدال فى كل ما يتصل بالمادة والمعنى والحياة .

ثم تحدث عن انتشار الإسلام من هذه البيئة شرقا وغربا .

ثم قال : « على أنه إلى جانب المقومات الدينية والمقومات البيئية للحضارة الإسلامية كانت هناك مقومات تاريخية وبشرية » .

« فالإسلام كان ختام الديانات السماوية ، وكان بذلك رباطاً لها من الناحية التاريخية » . « وكان على الإسلام أن يصححها وينقيها ، ويرد إليها أصالة الفكر التوحيدى » . ثم قال : « ولنذكر مرة أخرى أنه عند ما ظهر الإسلام كانت فكرة « العالمية » واتصال الشرق بالغرب سواء بالتجارة والوسائل السلمية ، أم بالاحتكاك العنيف « والحروب العالمية » التى بدأها الإسكندر الأكبر لأول مرة فى التاريخ ... كان ظهور فكرة العالمية واستقرارها قبل نزول الإسلام عاملا ممهدا ، فتح مجال التوسع والانتشار على نطاقه العالمى أمام دين الله الجديد ، وتلك فرصة أتيحت غير كاملة للمسيحية ، ولم تتح لا لليهودية ولا لأديان جنوب آسيا وشرقها التى بقيت محصورة فى نطاقها الجغرافى الآسيوى » ثم تكلم عن تنوع السلالات التى دخلت فى الإسلام وأثرها فى انتشار الإسلام ، ثم قال : « ثم إن هناك ظاهرة أخرى ترتبت على كل هذه الجوانب والعوامل الإنسانية ، هى ظاهرة الاتصال والاستمرار الزمنى فى الحضارة الإسلامية ، ذلك أنه رغم فترات الضعف السياسى فإن هذا الدين احتفظ بكيانه وحيويته وقدرته على بناء الحضارة ونشرها ، بل إن فترات الضعف السياسى للمسلمين كانت من أبرز فترات انتشار الدين الحنيف » وتحدث عن التتر والمغول وغلبتهم على قواعد المسلمين ، وتحدث عن انتشار الإسلام بينهم وبين قبائل آسيا الداخلية إلى حدود منغوليا فى المشرق البعيد .

مستقبل الحضارة الإسلامية :

وإذا كان ذلك تاريخ دين الله ، وما يتصل به من طابع حضارى اتسع نطاقه ، واستمر اتصاله على مر الزمن ، وامتاز بالشمول الإنسانى والاجتماعى ، والتماسك والوحدة الروحية ، رغم كل الظروف المكانية والتاريخية والبشرية ، فما هو المستقبل بالنسبة للحضارة الإسلامية فى عالمنا المعاصر ؟ إن هذا المستقبل مرتبط أشد الارتباط وأقواه بأمرين : هما طبيعة الإسلام الذى أعطى الحضارة طابعها المميز ، ثم طبيعة الحضارة ذاتها وقدرتها على البقاء والاستمرار والتجدد والنمو ، وإذا كان الله تعالى قد قال وهو أحكم القائلين « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » فإن المفهوم الشامل لهذه الآية الكريمة أن الله يحفظ الذكر قولا ومدلولا ورسالة ، وما دام هذا المعين باقيا على الأرض ، فإن مصبه الحضارى فى حياة الناس لا يمكن أن يجف أو يغيض ، والواقع أن شريعة الإسلام قد أثبتت قدرتها على البقاء وملاءمة العصور والمراحل الحضارية رغم اختلاف الظروف وهذه الحيوية ذاتها هى سر القوة فى الإسلام

وتعاليمه ، وفى كل ما يتصل بالإسلام من بناء حضارى ، لا سيما فى حياة الناس ونظمهم الاجتماعية ، وهو أعز ما فى المفهوم الحضارى من تراث

وبالاضافة إلى ذلك فإن الإسلام دين يمكن أن تمييزه بين الأديان بأنه دين ذ توق حضارى ، يدفع من يمارسه ، لا إلى العمل وحده وإنما إلى ما هو أهم من ذلك وهو « الإتقان » : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » . وهذا الإتقان هو مفتاح الإجادة والتجويد والبقاء والاستمرار الحضارى ، بل هو أساس التطلع إلى ما هو أحسن وأفضل ، والتوق إلى بلوغ غاية الإبداع فى العمل الحضارى .

والتاريخ يعلمنا أن المسلمين كلما خلصوا لدينهم ، ومارسوه بمفهومه العميق الذى يجمع بين الإيمان والعمل ، نجحوا فى إقامة الحضارة وإحياء تراثها ، والانطلاق بها إلى آفاق المجد التاريخى ، ومن هنا كانت جماعات المسلمين دائما تجد فى المقومات الدينية دافعها إلى العمل الحضارى الجيد ، وحافزها عليه .

فأما عن طبيعة الحضارة الإسلامية ذاتها ، فإنها حضارة متكاملة يعيش أصحابها لدنياهم ولآخرتهم جميعا ، والتاريخ يعلمنا أيضا أن الحضارات التى تجمع بين المادة والروح ، والتى يعطى الدين فيها نمطا متكاملا لحياة اليوم المادية وحياة الغد الروحية . . مثل هذه الحضارات هى أقرب الحضارات إلى البقاء والخلود ، ومن الخير أن نذكر هنا أنه حتى حضارة المصريين القدماء تلك التى لم تعرف الدين إلا فى صورته الساذجة المختلطة قبل التوحيد ، قد استطاعت أن تبقى على وجه الزمن فى حالتها المزدهرة خلال بضعة آلاف من السنين شبه متصلة ، وهى فترة أطول كثيرا مما بقيته حضارة اليونان أو حضارة الرومان ، وهى أضعاف أضعاف ما عاشته حضارة أوربا فى صورتها الحديثة .

وقد يكون السبب الأكبر فى استمرار حضارة الفراعنة تلك القرون الطوال أن المصريين القدماء كانوا يعيشون لآخرتهم ، كما تصوروها ، بقدر ما يعيشون لدنياهم ، ولقد أقاموا معابدهم ومقابرهم من الحجر ، بناء أو نحتا ، فبقيت على الزمن ، كما تركوا آثار عملهم المادى اليدوى فى الأرض والرى والحياض التى لا نزال نزرعها بعدهم حتى اليوم ، وتلك صورة من الخير أن نذكرها لأنها تلقى الضوء على ما يمكن أن يكون من مستقبل لحضارة الإسلام ، تلك التى تجمع بين الدين فى صورة من التوحيد والعمق والضياء الروحى الذى أتم الله به نعمته على الناس ، وبين الدنيا فى صورة من العمل الذى

يبنى الحضارة ، ويقيم دعائمها ويحقق كلمة الله بالعمران على الأرض .

ومجال المقابلة بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى ، قديمة وحديثة مجال يمكن أن ينفتح لكثير من القول الذى يقوى إيماننا بمستقبل هذه الحضارة ، ولكننا حتى إذا ما نظرنا إلى بعض نواحى الضعف فى حضارتنا الإسلامية ، فإننا لا نلبث أن نجدها من النوع الطارىء ، أو الذى يمكن أن ينقلب إلى مصدر قوة ، ولنأخذ ظاهرة « الجمود » على سبيل المثال ، فقد كانت حياة المسلمين توصف فى القرن الماضى بأنها حياة جامدة غير متطورة ، ولكن من يتأمل تلك الحياة لا يلبث أن يرى فى جمودها إذ ذاك نوعا من الانطواء على الذات فى مواجهة تحديات الفكر الأوربى الاستعمارى ، وفى مواجهة تيارات التغلغل الأجنبى ، التى كانت تعمل من أجل زعزعة إيمان المسلمين بقيمهم الحضارية ، ولا شك أن روح الجمود إذ ذاك كانت نوعا من الدفاع عن الذات ، وأنها حفظت على المسلمين وحضارتهم كيانها ، ولو فى حالة توقف حضارى ، صان الحضارة من الانحراف فى تيار حضارات دخيلة ، وحفظ عليها شخصيتها وسط الأنواء والعواصف الفكرية ، حتى يجمع للمسلمين من العزة الذاتية ، ومن عوامل اليقظة الفكرية والروحية ، ما مكن لهم من أن يقفوا على أقدامهم ، قبل أن ينطلقوا قدما وفق إرادتهم وفى هدى من قيمهم الروحية والاجتماعية والحضارية على طريق الغد المرموق .

لقد صاغ المسلمون حياتهم وحضارتهم فى ظل الدين الحنيف منذ نزول الإسلام وجددوا هذه الحياة مرة ومرة خلال تاريخهم المتصل ، وهم قادرون بإذن الله على أن يعيدوا صياغة التاريخ فى غدهم القريب والبعيد .

ختام :

وبعد فهذا بحث لم يقصد به أن يكون دراسة مفصلة لمقومات الحضارة الإسلامية ، بقدر ما قصد به أن يعطى إشارة إلى أهمية هذا المنحى من الدراسة والبحث ، بالنسبة لماضى الحضارة الإسلامية ، ومستقبلها . كذلك فإننا لم نحاول أن نضمن هذا البحث تفصيلا لمظاهر حضارتنا فى صورها التى ملأت التاريخ خلال أربعة عشرة قرنا ، والتى عمرت الأرض وامتد ضياؤها إلى خارج العالم الإسلامى بحدوده الجغرافية المعروفة . ولكننا نأمل أن نكون قد وفقنا لاسترعاء النظر إلى أهمية هذا اللون من الدراسة ، لعل فيما ذكرنا ما يستثير الاهتمام ويدعو إلى مزيد من البحث والاستقصاء ، وإلى توجيه البحث العلمى نحو استجلاء دور الإسلام فى بناء حضارة أشرق بها وجه الزمن ، ولم تكن من أجل المسلمين وحدهم ، وإنما كانت كذلك ، وستبقى ، من أجل الإنسانية جميعا ؟

أثر الحضارة الإسلامية في رقي البشرية وسعادتها

للأستاذ محمد خلف الله أحمد

بدأ الأستاذ محمد خلف الله أحمد بحثه بدراسة لألفاظ ثلاثة : الثقافة ، المدنية ، الحضارة ، ولما يقابلها عند الإفرنج Culture و Civilization . كمقدمة لبحثه عن « أثر الحضارة الإسلامية فى رقى البشرية وسعادتها » فقال : « فأصل مادة التثقيف فى العربية : التشذيب والتهذيب والتقويم والحذق والفطانة ، ومعاجمنا تعرفها فى الاستعمال المحدث بأنها « العلوم والمعارف والفنون التى يطلب الحذق فيها (المعجم الوسيط) . ومادة مدن وتمدن متصلة بالمدينة والعيش فيها ، والأخذ بأسباب الحضارة ، وأصل معنى الحضارة : الإقامة فى الحضر ، ثم انتقل إلى استعمال ابن خلدون لكلمة الحضارة ، وخلاصة كلامه فيها : « أن الحضارة فى الأمصار من قبل الدول ، وأنها ترسخ باتصال الدولة ورسوخها ، و « أنها أحوال عادية زائدة على الضرورى من أحوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرقة وتفاوت الأمم فى القلة والكثرة تفاوتا غير منحصر ، وتقع فيها عند كثرة التفنن فى أنواعها وأصنافها فتكون بمنزلة الصنائع ، ويحتاج كل صنف فيها إلى القومة عليه والمهرة فيه » .

ثم قال : « والمعاجم الحديثة تعرف الحضارة فى استعمالها المولد بأنها « مظاهر الرقى العلمى والفنى والأدبى والاجتماعى فى الحضر » (المعجم الوسيط) .

وقد لاحظ الأستاذ أن اللفظتين الافرنجيتين المقابلتين لألفاظنا العربية الثلاثة وهما : Culture و Civilization فيهما ما فى ألفاظنا من تقارب وتداخل ، وقد جرى عليهما ما يجرى على ألفاظنا من محاولة التجديد والتخصيص ، ثم استدرك قائلا : « على أن كثيراً من علماء الإنسانيات فى الغرب قد اصطلحوا منذ القرن الماضى على أن يقصروا دلالة Culture (وتقابلها عندنا الثقافة) على الجوانب الروحية والأدبية من حياة الأمة ممثلة فى دينها ونظم أخلاقها وفلسفتها ولغتها وآدابها وفنونها مما يتصل بتثقيف العقل والنفس . وصرفوا دلالة : Civilization (وتقابلها عندنا مدنية

أو حضارة) إلى الجوانب المادية ممثلة فى العلم والاختراع والكشف مما يتصل بتنظيم مرافق الحياة .

ثم استدرك قائلا : « ولكن مع هذا التحديد الاصطلاحى يبقى لكلمة :

Civilization عند كثير من العلماء استعمالها الواسع الذى يشمل مظاهر الرقى المعنوى والمادى للإنسانية عامة فى مراحل تاريخها ، ثم قال : « وكذلك الأمر عندنا - بصفة عامة - فنحن حين نتحدث عن الثقافة الإسلامية نقصد بها فى الغالب تراثنا الروحى والتاريخى والفلسفى واللغوى والأدبى والفنى ، وحين نتحدث عن الحضارة أو المدنية الإسلامية لا نقصد بها مجرد تاريخ العالم الإسلامى وإن كان التاريخ إطار الحضارة ووعاءها ، ولا نقصد الثقافة وحدها ، وإن كانت هى العنصر الجوهرى فى الحضارة ، ولا نقصد مجرد النظم والنظريات العلمية والمخترعات وإن كانت تلك مظاهر مهمة من مظاهر الحضارة ، ولكنا نقصد من كل ذلك مجتمعا متكاملا مؤلفا شخصية متميزة بين الحضارات الكبرى للإنسانية ، وإذا أردنا مزيداً من التحديد اللغوى كان لنا أن نصطلح على أن نعنى « بمدنية » جانب العلم والاختراع ، وآثارهما المادية ، وأن نوسع مدلول « حضارة » ليشمل الجوانب الروحية والمادية معا (أو الثقافة والمدنية بمعناها الضيق) بعد هذه المقدمة التى تناولت معنى الحضارة قال : « وعلى هذا الأساس نستطيع أن نقول : إن الحضارة الإسلامية هى تلك الحضارة التى قامت على أساس رسالة سماوية هى الإسلام - جاءت خاتمة لرسالات السماء مصدقة لما بين يديها من الرسالات » وتكلم عن القرآن وثبوته ثبوتا تاريخيا قاطعاً وتضمن سوره وآياته الأسس الكبرى لتعاليم تلك الرسالة ، وأقوال الرسول وأعماله التى بذل العلماء جهوداً خالدة فى تتبع رواياتها واستقصاء أسانيدها فكانت ثمرة ذلك كتب الصحاح التى يعدها المسلمون المصدر الثانى بعد القرآن .

ثم قال بعد ذلك : « هذا - إذن - هو المقوم الأول من مقومات الحضارة الإسلامية ، وذلك أنها قامت على أساس من رسالة إلهية ، ثم تحدث عن هذه الرسالة ، وكيف بدأت حياتها فى بلاد العرب ، وكيف كافح المؤمنون - وهم قلة - ثلاثا وعشرين سنة ، وقد تكونت النواة الأولى للدولة الإسلامية فى المدينة ، وكان خلفاء الرسول وأصحابه وأنصاره قد استعدوا لتلقى راية الدعوة ومواجهة الحضارتين الكبيرتين : الفارسية والرومانية .

ثم تحدث عن اندفاع المسلمين الأولين

من شبه الجزيرة يدعون إلى الله فى غير إكراه ويزلزلون عروش القياصرة والأكاسرة كيلا يحول الملوك والرؤساء بين رعاياهم والاستماع لدعوة التوحيد .

ثم قال : « ولم يمض قرن من الزمان حتى كانت راية الإسلام قد أظلت معظم العالم القديم ، ثم توالى اتساع المجتمع الإسلامى ، وتغلغلت الدعوة إلى أواسط آسيا وما وراءها وإلى أقاليم أوربا الجنوبية وإلى مختلف أرجاء القارة الإفريقية ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا من مختلف الأجناس والألسنة والألوان ، ولم يكونوا يعتنقون الإسلام طواعية فحسب ، ولكنهم كانوا يحبون لنشره والدفاع عنه بأنفسهم وأموالهم ، ويقبلون عن رضا واختيار على تعلم « العربية » لغة كتابه ورسوله فيتفقه الكثير منهم ، ويؤلفون بها فى علوم الدين والدنيا ، بل يشاركون مشاركة رائدة فى تقنين تلك اللغة والتأليف فى أسرارها وخصائصها وفى أدبها ولغتها » .

ثم يتحدث الأستاذ عن السمة الثانية الهامة من سمات الحضارة الإسلامية وهى سماحتها وإنسانيتها وعالميتها ، موضحا أنها كانت وظلت وستبقى ثمرة الجهود المشتركة من كل من أظلتهم راية الدولة الإسلامية من مسلمين وغير مسلمين ، لما وفرته الدولة لغير المسلمين من احترام شعائرهم وأماكن عباداتهم ، ولما فتحته أمامهم من أبواب مناصب الدولة وإدارتها ولما أغدقت عليهم من التشجيع حتى شاركوا فى نقل الثقافات القديمة ولا سيما الفارسية واليونانية والهندية إلى اللغة العربية ، « فازدادت بذلك حضارة الإسلام خصبا وتفتحا ، وازدهرت بها العلوم والمعارف والآداب والفنون ازدهاراً يستهدى به التراث الإسلامى فى مؤلفاته التى شارك الغرب الحديث فى العناية بتحقيق الكثير منها ونشره ، وتشهد به ألوف المخطوطات العربية والشرقية المحفوظة فى مختلف المكتبات الكبرى فى العالم ثم يشهد به علماء العصور الوسطى وعصر الإحياء فى أوربا ممن تتلمذوا على كتب ابن سينا وابن رشد والغزالى وابن خلدون وغيرهم ، ويشهد به المتصفون من محدثى علماء الغرب .

ونترك للأستاذ الباحث حق الكلام فيما تناوله من كل مقومات الحضارة الإسلامية فى عمق وفى سعة ، ثم أبرز فى نهاية البحث التوصيات والمقترحات التى يرى أن يؤخذ بها :

« ولا حاجة بنا هنا إلى الإفاضة فى جوانب تراث الحضارة الإسلامية ، ولا إلى مناقشة القضايا والتجنيات التى أثيرت فى الماضى ضد تلك الحضارة : كقضايا تخلف البلاد

الإسلامية ، ومركز المرأة فى المجتمع الإسلامى وكالمزاعم التى يقذف بها بعض المغرضين من غير المسلمين من أن الإسلام مضاد للتطور ، وأنه انتشر بالسيف ، وأن الحضارة الإسلامية حضارة ناقلة وليست مبدعة ، وأن الإسلام ليست عنده الحلول المرضية لمشكلات الحياة الحديثة ، وأن بعض نواحيه كنظام الإرث لا تتمشى والتطور الحديث ، فهذه وأمثالها قضايا ومزاعم أشبعها علماؤنا منذ بدء حركة الإصلاح فى العالم الإسلامى نقاشا وتفنيدا . وقد أوشكت أن تنتهى تلك المرحلة التى كنا مضطرين فيها أن نلتزم موقف الدفاع عن حضارتنا ضد هجمات الخصوم والمغرضين ، والآن بفضل التحرر السياسى والاقتصادى لكثير من بلادنا الإسلامية الكبرى ، ونهضة الثقافة والعلم فيها دخلنا مرحلة إيجابية جديدة نقف فيها موقف الاعتزاز الحق بحضارتنا ، ونعرض على العالم كله ما قدمته تلك الحضارة ، وما تستطيع أن تقدمه لرقى البشرية وسعادتها .

٣ - « إن مكتبتنا الإسلامية حافلة بكل ما نحتاج معرفته من مقومات حضارتنا ، وإنسانية اتجاهاتها ، وسماحة تعاليمها ، والتطبيق الناجح لتلك التعاليم : فعندنا كتاب الله وتفاسيره وعلومه ، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وما تضمنت من رسم معالم الطريق للحياة الإنسانية الفاضلة وما أوحت به من بحوث ودراسات ، وعندنا سير الخلفاء الراشدين وخطبهم وتوجيهاتهم للولاة والقضاة فى الأقاليم ، والأنظمة التى أقاموها لبناء الحضارة الإسلامية ، وبحسبنا أن نشير من نماذج توجيهاتهم إلى خطبة « أبى بكر » حين ولى الخلافة وكتاب « عمر بن الخطاب » إلى « أبى موسى الأشعرى » حين ولاه قضاء البصرة ، وعهد « الإمام على » إلى « الأشتر النخعى » حين ولاه مصر ، وكتاب « طاهر ابن الحسين » إلى ابنه « عبيد الله » حين ولاه « المأمون » الرقة ومصر ، فضلا عن التراث الضخم فى الأصول والتشريع والملل والنحل ، والتصوف والأخلاق والفلسفة وعلوم اللغة والأدب والاجتماع والتاريخ والجغرافيا والرحلات ، وعلوم الطبيعة والكيمياء والإحياء والرياضة والفلك ، وعندنا الذخيرة الضخمة من الرسائل والكتب فى آداب الدنيا والدين ، والسياسة الشرعية ، ومن الموسوعات التى ترسم منهجا مفصلا للحياة الصالحة فى مختلف جوانبها على هدى من فقه الشريعة وأسرار الحقيقة .

ثم تحدث عن العلماء المحدثين الذين لهم جهود موفقة فى إبراز مقومات المدنيـــة الإسلامية والردود المفحمة لخصومها وجلاء عبقرياتها والرجوع إلى تعاليمها فى حل مشكلات

الحياة المعاصرة وضرب مثلا بـ « جمال الدين الأفغاني » و « محمد عبده » و « محمد إقبال » و « أمير علي » و « كرد علي » و « أحمد أمين » و « شلتوت » و « طه حسين » و « العقاد » .

ثم قال : « ومن الكتب الجديرة بالذكر هنا كتابان صدرا حديثا : أحدهما عن تاريخ الفكر الإسلامي وقد ألفه مجموعة من علماء باكستان، وأسهم معهم - فيمن أسهم - بعض علماء الجمهورية العربية المتحدة ، والثاني كتاب صدر في أمريكا بعنوان « الإسلام الصراط المستقيم » بقلم نخبة من علماء البلاد الإسلامية من مصر وتركيا وفلسطين وباكستان وأندونيسيا والصين وهو مرجع ذو قيمة في دراسة التعاليم والمذاهب الإسلامية وانتشار الإسلام في بيئاته الكبرى .

ثم تحدث عن أن كثيراً من شئون الحضارة الإسلامية في صلتها بالحيـــاة المعاصرة قد وضعت حديثاً موضع الدرس والمناقشة في ندوتين عالميتين كبيرتين الأولى في « برنستون » بأمريكا سنة ١٩٥٣ ، والثانية في « لاهور » بباكستان سنة ١٩٥٧ ، ١٩٥٨ وقد صدر بأعمال كلتا الندوتين كتاب حافل بالبحوث الجديدة الجادة في مختلف جوانب الحضارة الإسلامية من ثقافية واقتصادية وتشريعية وغـيرها .

وقد أشار في هـذا أيضا إلى كتب من نتاج مؤلفين غير مسلمين ككتاب « توماس أرنولد » عن الدعوة إلى الإسـلام وكتاب « تراث الإسلام » لطائفة من المستشرقين وغيرهما .

ثم قال بعد ذلك : « نحن - إذن - في موقف يسمح لنـا أن نبرز ما قدمته حضارتنا سابقا وما يمكن - بل يجب - أن نقدمه الآن لرقي البشرية وسعادتها وتوطئة لذلك سنذكر أنفسنا في إيجاز بالمقومات الأساسية للحضارة الإسلامية » : وسنتحدث بإيجاز تاركين للباحثين فرصة الاطلاع على البحث ذاته :

٤ — إن هـذه الحضارة تمتاز بأن كل مقوماتها الجوهرية تنبع من وحي رسالة سماوية تمدها بالقوة والروح وتوجهها إلى الموازنة بين مقاصد الروح ومطالب البـدن والبعد عن الزهـد المعطل للعمل ، وعن المادية الجامحة المفسدة لإنسانية الحياة : فهي في نظام عقيدتها تقوم على توحيد الله ، وتنزيهه عن الشريك والولد وإفراده بالعبادة والتعظيم ، ومراقبتـه في السر والعلن ، والتصديق برسالته والتمسك بما شرعه من آداب المعاملة والسلوك .

وهي في نظامها السياسي تقوم على الشورى والنزول على رأي الجماعة والمساواة بين الناس واحترام حقوق الإنسان ، والتزود بكل أسباب القوة والمنعة ، والدفاع عن مقدسات

العقيدة والوطن وعدم الاعتداء إلا على المعتدين والتعايش السلمى بين الأمم .

ونظامها الاجتماعى يقوم على الأسرة المتماسكة ، والتقريب بين الغنى والفقير ، وقيام كل راع بمسئوليته ، وتعاون المواطنين على الخير والبر .

ونظامها الاقتصادى يقوم على تبادل المنافع ، واتخاذ المال وسيلة لا غاية ، واحترام الملكية الفردية غير المستغلة أو المعطلة للصالح العام ، والترغيب فى البذل والإنفاق لخير المجتمع ...

ونظامها التشريعى يقوم على أصول رئيسية واسعة ـ قررها كتابها وسنتها مع ترك المجال واسعا للاجتهاد فى تطبيقها تطبيقا يحقق المنافع ويدرأ الأضرار .

والنظام الثقافى للحضارة الإسلامية يعتمد على طلب المعرفة من كل وجه ممكن ، واستخدام العقل فى كسب المعارف ، وتسخير الطبيعة لسعادة الفرد والجماعة ، واعتبار الثقافة أيا كان مصدرها ومهدها تراثاً عاماً للإنسانية .

ثم قال : « لهذا أدركت الأمم الإسلامية فى نهضتها الحديثة ضرورة الرجوع إلى مقوماتها الأصيلة ، وإحيائها وإعادة تنظيم الحياة الإسلامية على أساسها ، وعرفت أن كل ذلك لن يستقيم لها إلا إذا تحررت أوطانها من ربقة الاستعمار الأجنبى وأمسكت زمام أمورها بيدها .

والدارس الآن لكثير من نهضات البلاد الإسلامية التى استخلصت حقوقها وحريتها بكفاحها ونضالها يدرك مدى قوة الروح الإسلامى فى قادتها وشعوبها ، ومبلغ حرصها على أن تصل حاضرها ومستقبلها بماضيها المجيد .

(٥) « وبعد : فإن ما قدمناه من عرض للخطوط الرئيسية لتطور الحضارة الإسلامية وأهم مقوماتها يعطينا الجواب على السؤالين اللذين أدرنا حولها هذا البحث وهما ماذا كان نصيب الحضارة الإسلامية فى تقدم البشرية وسعادتها فى القديم ؟ وماذا تستطيع أن نقدمه اليوم لحل مشكلات العالم المعاصر والمساهمة فى رقيه وتقدمه والسير به فى طريق الطمأنينة والسلام والرفاهية والإخاء ؟ .

فأما فى القديم فقد وضح من سياق العرض الذى قدمناه أن الحضارة الإسلامية » .

(ا) وصلت بين قديم الحضارات وجديدها ...

(ب) أنقذت العالم القديم مما كان يعيش فيه من فوضى واضطراب وانهيار .

(ج) أعطت العالم حضارة جديدة تقوم على عقيدة التوحيد ، ومجتمعاً يقوم على التعاون والتسامح .

(د) أعطت الإنسانية ذخيرة ضخمة

من المعارف أفاد منها الغرب فى عصر الإحياء والنهضة .

(هـ) وضعت بعض أصول المنهج العلمى الحديث كطريقة الشك عند الغزالى كما فتحت آفاقا جديدة فى البحوث الإنسانية .

(و) ساعدت بآدابها على نهضة أوربا .

(ز) ساعد الخلفاء والقادة بسلوكهم الأخلاقى على إشاعة المثل الأخلاقية الرفيعة.

ثم قال بعد ذلك : « أما العالم المعاصر فقد يكون من المفيد فى بحثنا هذا أن ننظر منه أولا إلى الأمم الإسلامية التى تؤلف قرابة خمس سكانه وذكر أن الناظر فى أحوال هذه الأمم يجد عدداً كبيراً منها قد قطع أشواطاً فى النهضة بعد أن تحرر من ربقة الاستعمار الأجنبى وبدأ يوجه الكثير من نشاطه لمساعدة الشعوب المكافحة وأخذ يحقق ما دعا إليه الإسلام من عدالة ومساواة وتكافؤ فى الفرص .

هذا ـ إذن ـ هو الموقف فيما يتعلق بأثر الحضارة الإسلامية فى تقدم العالم الإسلامى المعاصر ، ولكن هذا العالم جزء من العالم الإنسانى الأوسع ـ العالم الذى حققت أممه الكبرى تقدما علمياً وماديا مذهلا ، وامتلكت بذلك من أساليب السيطرة والقهر والدمار ما ينذر بالشر المستطير ، ومضت فى تجاهلها لحقوق الإنسان وحقوق الأمم المستضعفة ، رغم اشترا كها فى هيئات الأمم المتحدة وقراراتها ومحاولاتها إقرار العدالة والسلام فى العالم . ومكمن الداء فى حضارة العالم المعاصر أنها حضارة علمية مادية ، تقدم علمها وتأخرت ثقافتها فأفلت زمامها من يد البشرية ، ولم تستطع محاولتها بعد أن ترده إلى قيم روحية أو أخلاقية وازعة . وقد تنبه لهذا الخطر بعض علماء الغرب منذ زمن فتنبؤا بين الثلاثينيات ، والأربعينيات من هذا القرن إلى أنه إذا لم تنجح الإنسانية فى الموازنة بين تقدمها الثقافى وتقدمها العلمى فالحرب العالمية الثانية آتية لا محالة . وقد صدقت نبوءتهم وجاءت الحرب وجاء معها الهلاك لملايين الأنفس والدمار والخراب لما بناه التقدم الإنسانى من مدن وقرى ومنشآت ، ونقطة الضعف الكبرى فى الثقافة الغربية ذاتها أنها غير وثيقة الصلة بتعاليم السماء ، وأن محاولاتها فى تنظيم العلاقات الإنسانية محاولات بشرية ليست لها قداسة من عقيدة دينية شاملة ، أو كتاب سماوى منزل . وفى هذا يكمن الفرق الكبير بين الحضارتين الإسلامية والغربية ، والمظهر العملى لهذا الفرق هو موقف كلتا الحضارتين من حقوق الإنسان ؛ فالمتتبع للموضوع فى تاريخ الغرب وحضارته منذ العصر اليونانى يجد أن طابع المراحل السابقة للثورة الفرنسية كان التمييز بين الطبقات والتدخل فى حرية العقيدة والفكر ، وقد

سجل فيها تاريخ الاضطهاد فى الغرب مآسى لا يكاد العقل أحيانا يصدقها ، لمنافاتها لمعنى الإنسانية وكرامة الإنسان ، حقيقة لم تخل تلك المراحل وخصوصاً بعد اتصال الغرب بتراث الشرق الإسلامى من محاولات تنجح وتخفق وأصوات من الإصلاح ترتفع وتنخفض حتى جاءت الثورة الفرنسية فتجمعت فيها نتائج تلك المحاولات ، وتبلورت سنة ١٧٨٩ فى وثيقة «إعلان حقوق الإنسان» التى نصت على أن الناس يولدون ويظلون أحراراً متساوين فى الحقوق ، وأنه يمكن للناس أن يفعلوا كل ما لا يضر بالآخرين ، فلهم أن يفكروا ويتكلموا ويكتبوا ويطبعوا فى حرية ، وللمواطنين الذين تتكون منهم الأمة الحق المطلق فى إدارتها ، ويجب العمل دائما على ضمان حقوق الأفراد من جهة ورعاية المصلحة العامة من جهة أخرى .

ولكن التطور الحديث للبشرية بعد الثورة الفرنسية استلزم إعادة النظر غير مرة فى مبادىء هذه الوثيقة ، وفى إضافة مبادىء جديدة تواجه التطور الاجتماعى والاقتصادى وما جلباه من مشكلات ، وتتوسع فى تطبيق روح المساواة الإنسانية العامة .

وفى سنة ١٩٤٨ وضع المجلس الاقتصادى والاجتماعى - التابع لهيئة الأمم المتحدة - مشروعا بإعلان حقوق الإنسان أقرته الجمعية العمومية لهيئة الأمم فى دورتها العادية الثالثة فى ديسمبر من ذلك العام .

فالتاريخ الحقيقى - إذن - لتقرير حقوق الإنسان فى الغرب يبدأ من القرن الثامن عشر الميلادى ، أى بعد ظهور الإسلام بأحد عشر قرنا . والخطوات التى اتخذت فى هذه السبيل - وعلى الأخص فى المنظمات الدولية - خطوات تتأثر بتطورات السياسة وبأطماع الدول ، ولا تزال القرارات فى واد والتطبيق فى واد آخر .

ولكن الموقف فى الحضارة الإسلامية جد مختلف : ففى القرن السابع الميلادى ظهر الإسلام - لا فى صورة إصلاح مدينة معينة ، ولا فى صورة نظرية فلسفية أو دعوة أخلاقية محدودة ، ولكن فى صورة رسالة خالدة للإنسانية عامة : غنيها وفقيرها ، وأبيضها وأسودها ومشرقها ومغربها ، وكان لب هذه الرسالة تقرير استقلال الإنسان فى عقيدته وتفكيره وشخصيته ومعيشته ، وتوجيه الاهتمام إلى جوهر الإنسانية من روح وعقل وخلق وفضيلة ، من شأن الفوارق المادية التى لا تتصل بذلك الجوهر اتصالا وثيقا .

ولم يجىء تقرير هذه المبادىء فى الإسلام فى صورة وثيقة منفصلة ، محدودة بزمانها ومكانها وظروف الاجتماع المحيطة بها ، ولكنها جاءت ثمرة من ثمار عقيدة شاملة

توضح العلاقة بين الإنسان وخالقه ، وبين أفراد البشر بعضهم وبعض فى اجتماعهم ومعاملتهم وسياستهم ، وهكذا اكتسبت قداسة من العقيدة وخلوداً من الشريعة التى هى جزء من لبها وجوهرها ، وتغلغلت مع الدين فى ضمير أجيال من البشرية ، وانتشرت مع حضارة الإسلام فى المشارق والمغارب ، وقد صحبها منذ البداية التطبيق الواضح على يد الرسول وخلفائه والصالحين من أئمة المسلمين وحكامهم وأولى الأمر فيهم خلال العصور ، وظهرت أوضح ما ظهرت فى معاملة المسلمين للأمم التى دانت لهم ، على اختلاف أجناسها وعقائدها ، واكتسبت فى الإسلام صفة الدوام فلم تحتج أصولها لتعديل أو تغيير ، ولكنها فتحت الباب على مصراعيه للتوسع فى تطبيقها ، والترقى فى فهمها حسب ترقى البشرية فى ثقافتها وتفكيرها الاجتماعى والسياسى .

فى هذا - إذن - مفتاح ما نذهب إليه من أن الحضارة الإسلامية تستطيع فى العصر الحاضر - بل يجب - أن تقوم بدور كبير فى إصلاح حال البشرية والسير بها فى طريق التقدم والسعادة ، إن الأمم الإسلامية الآن فى موقف يسمح لها أن تسهم بعلومها وآدابها وفنونها فى زيادة رصيد البشرية من المعارف ، وفى دفع عجلة التطور الفكرى الإنسانى إلى الأمام ، إن طلائع النهضة العلمية الحاضرة فى هذه الأمم تبشر بأن العقل الإسلامى الحديث ليس بأقل من العقل الإسلامى القديم قدرة على البحث والاختراع وارتياد المجهول ، وأن المستوى الذى ارتفعت إليه بعض هذه الأمم فى رقى آدابها وسائر فنونها التعبيرية قد لفتت إليها أنظار العالم كله ، وقد وجد كثير من أعمال أدبائها ومفكريها سبيله إلى الثقافات الأجنبية من طريق الترجمة إلى مختلف اللغات .

ولكن الميـــدان الأكبر الذى يتطلع إلى الحضارة الإسلامية وينتظر منها القيادة والتوجيه هو ميدان الإنسان وحقوقه أفراداً وجماعات وشعوبا ودولا ، وعملها فى خدمة ذلك الميدان يبدأ أولا فى عالمها - كما أشرنا ، وذلك بأن تستكمل مقوماتها فى بيئاتها ومجتمعاتها حتى يظهر العالم الإسلامى كله - فى حياة أفراده ، وترابط شعوبه ودوله واستظلال الستمائة المليون من المسلمين براية الأخوة والأمن والسلام - فى صورة النموذج الإنسانى الذى يؤثر فى حياة البشرية بالقدوة كما يؤثر فيها بالكفاح ، والعمل المشترك .

أما طريقها الثانى إلى خدمة البشرية ففى مجال العـــلاقات والمنظمات الدولية ، وفى المناهضة لسيطرة الإنسان على الإنسان ، وامتهان القوى كرامة الضعيف وحرمان

الأبيض أخاه الأسود حقوقه فى الحرية والحياة، وفى إشاعة التعاليم الإسلامية بكل الوسائل، ونشر البحوث والدراسات فى مختلف اللغات عن الحضارة الإسلامية وتراثها وسير أعلامها ، وموقفها من حرية العقيدة والفكر، ومن التعايش السلمى بين المواطنين فى المجتمع الإسلامى قديماً وحديثاً .

وقد يكون من الخير أن نبرز مما قدمناه فى شطرى الموضوع توصيات والمقترحات التالية

(ا) أن تعمل السلطات التعليمية على تقرير دراسة الحضارة الإسلامية مادة أساسية فى الجامعات ومعاهد التعليم فى كل بلد إسلامى.

(ب) وأن يوصى المجمع بأن تدرس كل أمة إسلامية لغة أو أكثر من لغات شقيقاتها متخذة من ذلك أداة التفاهم والتقارب الثقافى.

(ج) وأن تعنى الأمم الإسلامية جميعاً بدراسة اللغة العربية لغة القرآن والتشريع حتى يكون ذلك سبيل إلى الاتصال الروحى المباشر بلغة الوحى، والاشتراك فى تذوق أسرار الإعجاز القرآنى ، والعودة بالثقافة الإسلامية إلى ما كان لها فى القرون الأولى من وحدة وشمول.

(د) وأن يقوم مجمع البحوث الإسلامية بمهمة «منظمة إسلامية للتربية والعلوم والثقافة» فيؤلف مركزا لتجميع الوثائق، والمنشورات ، وتبادل المعلومات ، وينظم البعثات العلمية لدراسات البيئات والمجتمعات الإسلامية دراسة تكشف عن مشكلاتها وأهدافها ، وترسم الطريق لمعالجة المشكلات وتحقيق الأهداف ، ويستطيع المجمع أن يستعين فى تحقيق هذا بأعضائه العاملين والمراسلين فى مختلف بلاد الإسلام ، وبإنشاء فروع له فى مراكز التجمعات الكبرى للمسلمين

(هـ) وأن يعمل المجمع على جلاء وجهة النظر فى التوفيق بين فكرة الكيانات القومية فى العالم الإسلامى ، والأخوة الإسلامية الشاملة التى تقوم على وحدة العقيدة والتراث الحضارى المشترك .

(و) وأن تقوم لجان المجمع وأروقته بدراسات علمية تنشر فى مختلف اللغات عن الحضارة الإسلامية وموقفها النظرى والعملى من حقوق الإنسان وطريقتها فى حسم الخلافات الدولية ، وما لديها من حلول للمشكلات السياسية والاقتصادية المعاصرة.

(ز) وأن يوصى المجمع بأن تعمل الدول الإسلامية — فى المعترك الدولى — على أساس خطة موحدة ، مستوحاة من تعاليم الإسلام وتوجيهاته ، تهدف إلى نصرة الحق وإقامة العدل ، ومؤازرة الشعوب المكافحة فى سبيل حريتها واستقلالها ، ومناهضة التفرقة العنصرية ، والعمل على تخفيف حدة التنافس الدولى ، وإقرار مبادىء السلام والتعايش السلمى بين الجميع ؟

فلسطين وإسرائيل

للأستاذ اسحاق الحسيني

قال الله تعالى فى كتابه الكريم : « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ، ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا ، لبئس ما قدمت لهم أنفسهم : أن سخط الله عليهم، وفى العذاب هم خالدون ، ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ، ولكن كثيرا منهم فاسقون - لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون » (١) (صدق الله العظيم) .

— ١ —

أيها السادة :

إن بنى إسرائيل ، هؤلاء الذين لعنهم الله فى غير آية من كتابه العزيز ، والذين خصهم من بين الناس جميعا ، بأنهم أشد عداوة

للمؤمنين ، قد اعتدوا على بقعة من أشرف بقاع الأرض - هى فلسطين - فشردوا أهلها الآمنين ، واعتدوا على حرماتها ، فأزالوا المساجد ، ومحوا المقابر ، وطمسوا المعالم ، كى يقيموا دولة عنصرية متعصبة باغية آثمة.

وإنه لواجب علينا ، بل إنها لأمانة فى أعناقنا يحاسبنا الله تعالى عليها ، أن نبصر إخواننا المسلمين بالحجج الباطلة التى اتكأ عليها بنو إسرائيل فى إقامة دولتهم وبالأخطار التى تحدق بنا وبهم، وبما يبيتون للبلاد المقدسة ولما جاورها من بلاد العرب والمسلمين من

(١) سورة المائدة ٧٨ - ٨٢ .

شر مستطير، معتمدين على نصوص من كتبهم الدينية وعلى البحث العلمى السليم .

— ٢ —

أيها السادة :

اتكأ بنو إسرائيل فى إثبات باطلهم على ثلاث قواعد هى: أولا : أنهم شعب الله المختار ثانيا : أن إلههم وعدهم بالعودة إلى الأرض المقدسة التى تفيض لبنا وعسلا ، ثالثا : أنهم أقاموا مملكة فى يهوذا وإسرائيل ؛ فاكتسبوا حقا شرعيا فى استرجاعها .

ومما يحز فى قلب كل عربى ومسلم أن باطلهم هذا استطاع أن ينفذ إلى قلوب الملايين من المسيحيين الغربيين، فآزروهم ومدوهم بالعون المستديم ، ضاربين عرض الحائط بما اقترفه أولئك الآثمون من عدوان على السيد المسيح - عليه السلام - وبمكائدهم المتواصلة للمسيحيين ، وبما يضمرونه لهم من حقد وغل وأخيرا بالاعتداء على كنائسهم وهدمها وتشريد مئات الألوف منهم من بيوتهم .

كيف استطاع هؤلاء الآثمون أن يضللوا المسيحيين الغربيين ، وأن يعموهم عن رؤية الحقائق، وأن يوغروا صدورهم على قوم يرون النصارى أقرب الناس مودة إليهم .

إنه الدهاء والخبث والخديعة التى تعمى البصر والبصيرة . على أن هـذا هو الذى يحدونا الآن إلى بسط هـذا البحث أمامكم ليرتفع صوتكم عاليا فى الدفاع عن الحق حتى أن ترتفع الغشاوة عن العيون ، ويعود المضللون إلى الصراط المستقيم .

— ٣ —

لقد قرأت العهد القديم كله ، قراءة فاحص مدقق ، وقرأت جزءا منه بلغته الأصلية ، ولا أعرف فى التاريخ ، قديمه وحديثه ، أمة أغضبت إلهها عليها ، وقبح أعمالها ، وسفه أحلامها كأمة بنى إسرائيل .

وأمامى من نصوص الذم الواردة فى العهد القديم ما يملأ صفحات . ولكنى أجتزئ بأمثلة :

(١) ففى سفر أرميا : « هكذا أكسر هذا الشعب وهذه المدينة كما يكسر وعاء الفخارى بحيث لا يمكن جبره بعد ، وفى توفة يدفنون حتى لا يكون موضع للدفن . هكذا أصنع لهذا الموضع - يقول الرب - ولسكانه، وأجعل هذه المدينة مثل توفة ، وتكون بيوت أورشليم وبيوت ملوك يهوذا كموضع توفة نجسة كل البيوت التى بخروا على سطوحها لكل جند السماء ، وسكبوا سكائب لآلهة أخرى(١).

(٢) وجاء فيه : « لأن الأنبياء والكهنة تنجسوا جميعا ، بل فى بيتى وجدت شرهم ،

---

(١) ١٩ / ١١

« يقول الرب : وقد رأيت فى أنبياء السامرة حماقة ، تنبأوا بالبعل وأضلوا شعبى إسرائيل. وفى أنبياء أورشليم رأيت ما يقشعر منه ، يفسقون ويسلكون بالكذب ، ويشددون أيادى فاعلى الشر حتى لا يرجعوا الواحد عن شره ، صاروا لى كلهم كسدوم ، وسكانها كعمورة (١) .

(٣) وجاء فيه : « هأنذا أرسل عليهم السيف والجوع والوباء ، وأجعلهم كتين ردئ لا يؤكل من الرداءة ، وألحقهم بالسيف والجوع والوباء ، وأجعلهم قلقا لكل ممالك الأرض حلفا ودهشا وصفيرا وعارا فى جميع الأمم الذين طردتهم إليهم » (٢)

(٤) وجاء فى سفر حزقيال : « وقال لى يا ابن آدم أنا مرسلك إلى بنى إسرائيل ، إلى أمة متمردة قد تمردت على . هم وآباؤهم عصوا على إلى ذات هذا اليوم » (٣) .

(٥) وجاء فى سفر عاموس : « اسمعوا هذا القول الذى أنا أنادى به عليكم مرثاة يا بيت إسرائيل ، سقطت عذراء إسرائيل لا تعود تقوم ، انطرحت على أرضها ليس من يقيمها (٤) .

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تذكر آثامهم لستم بحاجة إلى أن أذكرها ، ولكنى أذكر آية واحدة : « وضربت عليهم الذلة والمسكنة، وباءوا بغضب من الله ؛ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير الحق، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون»(١)

وماذا يبقى لشعب الله المختار بعد هذا ؟ .

إن الفضل الذى منحه الله هذه الأمة قد استرده ، والذريعة التى أوجبت تقديسها واحترامها قد أفسدها الشعب الإسرائيلى نفسه فى طوال تاريخه منذ الخروج من مصر إلى الإرهاب والغدر اللذين مارسهما سنة ١٩٤٨ .

لنفرض أن والدا تحكم وميز أحد أولاده أفلا يجوز له أن يسترد تمييزه عند ما يتثبت أن ابنه هذا خان عهده وداس شريعته ؟ .

أما وعدهم بالعودة إلى فلسطين فإن إلههم نفسه أبطله لما ارتكبوا من آثام . ففى سفر العدد : (وكلم الرب موسى وهرون قائلا : « حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة على ؟ ... قل لهم : حى أنا ـ يقول الرب ـ لأفعلن بكم كما تكلمتم فى أذنى ، فى هذا القفر تسقط جثثكم ، جميع المعدودين منكم حسب عددكم من ابن عشرين سنة فصاعدا الذين تذمروا على . لن تدخلوا الأرض التى رفعت يدى لأسكننكم فيها ماعدا كالب بن يفنة ويشوع بن نون ... فجثثكم أنتم تسقط فى هذا

(١) ٢٣ / ١١ (٢) ٢٩ / ١٧ .
(٣) ٢ / ٣ (٤) ٥ / ١ .

(١) البقرة : ٦١

القفر ، وبنوكم يكونون رعاة فى القفر أربعين سنة ، ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم فى القفر فى هذا القفر يفنون وفيه يموتون) (١) .

وأدخل إلههم أبناءهم أرض فلسطين ليفشئوا ملكا ، ولكنهم لم يكونوا خيراً من آبائهم الذين حرمت عليهم البلاد ، وأنزل إلههم غضبه عليهم شواظا من نار ؛ ثم سبوا فى القرن السادس قبل الميلاد لمخالفتهم شريعة إلههم ، ولصنعهم الشر فى جميع سنيهم وهكذا ضاعت الأرض الموعودة ، وإذن ، فقد تحقق الوعد بإنشاء مملكة داود وسليمان ثم انتهى بالسبي ، وانتهى نهاية أبدية بظهور السيد المسيح الذى تنبأ بزوال الهيكل ، وقد جاء فى إنجيل مرقس : « وفيما هو خارج من الهيكل قال له واحد من تلاميذه : يا معلم ، أنظر ما هذه الحجارة وهذه الأبنية ؟ فأجاب يسوع ، وقال له : « أتنظر هذه الأبنية العظيمة ؟ لا يترك حجر على حجر لا ينقض » (٢) ولم تقم للهيكل منذ ذلك الوقت قائمة !

وأما مملكتهم فى فلسطين فكانت شر مملكة عرفها التاريخ حسب نصوص العهد القديم وهذه عبارته : « هكذا قال السيد الرب : هذه أورشليم ، فى وسط الشعوب قد أقمتها وحواليها الأراضى ، فخالفت أحكامى بأشر من الأمم ، وفرائضى بأشر من الأراضى التى حواليها (١) .

وعلاوة على ذلك استمر حكم داود أربعين سنة ، وسليمان أربعين سنة أخرى ، ثم زالت تلك المملكة من الوجود ، وتفسخت وانقسمت على نفسها . ولم تنعم إسرائيل ولا يهوذا باستقلال حقيقى .

وإذا سلمنا جدلا أن الممالك اليهودية القديمة كانت مستقلة طوال حياتها منذ غزو داود كنعان سنة ١٠٠٠ قبل المسيح إلى زوال يهوذا سنة ٥٨٦ ق . م - فإن الحكم اليهودى يكون قد استمر ٤١٤ سنة ، فى حين دام الحكم الرومانى ٦٧٧ سنة ، ودام حكم المسلمين ثلاثة عشر قرنا باستثناء مائتى سنة حكم فيها الصليبيون جزءا من البلاد .

وهكذا تنهار القواعد الثلاث التى اتكأ عليها بنو إسرائيل فى إثبات حقهم التاريخى فى فلسطين .

والحق التاريخى نفسه باطل من أساسه . فالمسلمون حكموا الأندلس نحو ثمانية قرون أى ضعف المدة التى حكم فيها بنو إسرائيل فلسطين ، وهل يقبل الأسبانيون اليوم أن يعود المسلمون إلى تلك البلاد ؟ وفيها قامت حضارة عظيمة أشاد بها المؤرخون ، فى

(١) ١٤ - ٢٦ .

(٢) ١٣ - ١١ .

(١) حزقيال ٥ - ٥ .

حين لم يترك بنو إسرائيل فى فلسطين أثراً حضارياً واحداً .

— ٤ —

وماذا عن الخطر المحدق ببلاد العروبة والإسلام، وعن الخطط التى يبيتها بنو إسرائيل؟ إنهم يطمعون فى الاستيلاء على بلادنا من (نيلها) إلى (فراتها) بل من محيطها إلى خليجها!.

وسياستهم التى يسيرون عليها هى إعداد شعب مسلح بفتيانه وفتياته ، بنسائه ورجاله لكى يثبوا على بلادنا رقعة بعد رقعة مدمرين قرانا ومدننا ، مساجدنا ومعابدنا ومبيدين حرثنا ونسلنا ، وأكبر شاهد على ذلك اعتداؤهم على أرض الكنانة سنة ١٩٥٦ تحت جناحى دولتين مستعمرتين وتصريحاتهم أنهم لن يخرجوا من الأراضى التى احتلوها ، وقد قيض الله يومذاك للأمة العربية فى مصر بطلا مؤمنا باع نفسه فى سبيل الله والوطن ، فقاد شعبه نحو النصر ، وخرج المعتدون يجرون أذيال الخيبة والانكسار .

ولكن بنى إسرائيل مشبعون بروح العدوان بتأثير كتابهم الذى يحضهم على حرب الإبادة ، والتعالى على البشرية قاطبة ، والسيطرة على سائر الشعوب ، واليكم الأدلة

(١) جاء فى سفر التكوين : فى ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات (١) .

(٢) وجاء فى سفر أشعياء : « ... ارفعوا إلى السموات عيونكم ، وانظروا إلى الأرض من تحت ؛ فان السموات كالدخان تضمحل والأرض كالثوب تبلى ، وسكانها كالبعوض يموتون . . لا تخافوا من تعيير الناس ، ومن شتائمهم لا ترتاعوا ، لأنه كالثوب يأكلهم العث ، وكالصوف يأكلهم السوس ، أما برى فإلى الأبد يكون ، وخلاصى إلى دور الادوار » (٢) .

(٣) وجاء فيه : «لأنه تتحول إليك ثروة البحر ، ويأتى إليك غنى الامم . وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك ، لأن الأمة والمملكة التى لا تخدمك تبيد وخرابا تخرب الامم » .

(٤) وجاء فيه : « ويقف الأجانب ويرعون غنمكم ، ويكون بنو الغريب حراثيكم وكراميكم . أما أنتم فتدعون كهنة الرب تسمون خدام إلهنا ، تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم تتأمرون » (٣) .

(٥) وجاء فى سفر حجى : « إنى أزلزل

---

(١) ١٥ / ١٨ .
(٢) ٥١ / ٦ .
(٣) ٦١ / ٥ — ٦

السيارات والأرض، وأقلب كرسى الممالك وأبيد قوة ممالك الأمم، وأقلب المركبات والراكبين فيها، وينحط الخيل وراكبوها كل منها بسيف أخيه» (١).

(٦) وجاء فى سفر زكريا: «فى ذلك اليوم أجعل أمراء يهوذا كمصباح نار بين الحطب، وكشعل نار بين الحزم، فيأكلون كل الشعوب حولهم عن اليمين وعن اليسار (٢)

(٧) وجاء فى سفر إرميا: ومد الرب يده ولمس فمى، وقال الرب لى. ها قد جعلت كلامى فى فمك. أنظر. قد وكلتك هذا اليوم على الشعوب، وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض وتبنى وتغرس» (٣).

أيها السادة:

هذا ما يبيته لنا العدو الجاثم على صدورنا والقائم فى بقعة مقدسة غالية على قلب كل عربى ومسلم. ماضيه ملىء بالشر والبغى، وحاضره زاخر بالنار والحديد، وأقواله مدعومة بالوعيد والتهديد.

فماذا نحن فاعلون؟ وما موقفنا منه فى ماضينا وحاضرنا؟

شهد الله أننا لم ننتم يوما إلى مناهضى السامية، فالديانة اليهودية أصلا من الديانات السماوية، واليهود من أهل الكتاب الذين حفظ الإسلام حقوقهم، ورعى عهودهم، ومن الثابت أننا لم نضطهد اليهود فى جميع مراحل تاريخنا. وإن وقع اعتداء على أفراد منهم فقد كان ذلك تأديباً وزجرا.

أما تاريخهم فى الغرب لحافل بالثورات والاضطرابات لهم وعليهم. وليس من شأننا أن نخوض فى هذا الموضوع، ولكن يجب أن نوضح أمرين:

الأول: أن العالم الإسلامى كان ملاذا لليهود، وحمى فى أبان الاضطهاد الغربى. وقد عاشوا فى المدن الإسلامية من بغداد، إلى قرطبة فى أمن وسلام، فتقدمت تجارتهم وبضاعتهم وعلومهم فى رعاية المسلمين وحين اشتدت عليهم وطأة محاكم التفتيش فى أسبانيا فى القرن الخامس عشر للميلاد هاجر معظمهم إلى شمالى أفريقيا حيث استقروا وأثروا. وخرج من أبنائهم فى أسبانيا وشمال إفريقيا عدد من الفلاسفة والعلماء، وكان اليهود قبل نكبة فلسطين بالصهيونية الآثيمة أصحاب ثراء وجاه فى جميع المدن العربية.

والأمر الثانى: أن اليهود لم يحفظوا للغرب والمسلمين فضلهم عليهم، ولم يقابلوا إحسانهم بمثله أو بأقل منه، بل أوغلوا فى الشر والعدوان، فقد صبوا نقمتهم التى نقموها على الغرب ـ قديما وحديثا ـ على العرب الذين

---

(١) ٢ / ٢١.
(٢) ١٢ / ٦.
(٣) ١ / ٩.

أطعموهم من جوع ، وآمنوهم من خوف .

لم يتعظوا بقسوة النازية والفاشية عليهم ، ولم يستخلصوا الدرس الإنسانى العميق من مأساة الاضطهاد العنصرى ، فيخرجوا منه أوسع أفقا وأكرم نفسا ، وأصفى إنسانية ، بل طبقوا على العرب الآمنين فى البلد الذى آواهم شر ما تعلموه من أعدائهم من وسائل الإرهاب والتعذيب ، فقتلوا النساء والأطفال والمسنين ، وشردوا مليون عربى ، واعتدوا على الأماكن الدينية ، فضربوا قبة الصخرة المشرفة بقنابلهم ، وأزالوا عددا من المساجد والمقابر ، دون رادع أو وازع .

أيها السادة :

إن الإسرائيليين يتحدثون عن ميزان القوى فى الشرق العربى . إن فى بلادنا السليبة نحو مليونين من الإسرائيليين يقابلهم فى العالم العربى نحو ١٠٠ مليون نسمة . وفى العالم كله نحو ١٥ مليونا من اليهود يقابلهم فى العالم الإسلامى أكثر من خمسمائة مليون نسمة . فأى ميزان هذا الذى تضع فى إحدى كفتيه رطلا وفى كفته الثانية خمسين رطلا أو يزيد ؟ .

أبلغنا من الهوان بحيث يوضع خمسون أومائة مسلم مقابل إسرائيلى واحد ، لقد نصر الله المسلمين يوم كانوا فئة قليلة ويوم كان أعداؤهم فئة كثيرة .

ويوم نعود إلى الإسلام ونتشبع بمبادئه السمحة الكريمة ، وبتعاليمه الخيرة الرحيمة ، ويوم تتوحد قلوبنا ، ويقف بعضنا إلى جانب بعض كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، يومذاك سينصرنا الله نصرا مبينا ويهلك أعداءنا فاللهم اجمع شملنا ، ووحد كلمتنا ، وطهر قلوبنا وانصرنا على أعدائنا ، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا . إنك أنت السميع المجيب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

تنظيم النّسل

للأستاذ محمّد أبى زهره

هـــذا الموضوع ـ من بحوث الأستاذ أبى زهرة ـ جزء من بحثه « تنظيم الأسرة وتنظيم النسل » ، وهو أحد بحوث ثلاثة تقدم بها فضيلته إلى مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية فى دورته الثانية التى انعقدت هذا العام .

وهذا الجانب من البحث يرى أن عبارات : تنظيم النسل ، أو ضبط النسل ، أو تحديد النسل ، عبارات تتعلق جميعا بمعنى واحد هو تحديد النسل .. ولا شك أن كلمة تحديد النسل تكون أدل على المراد ، ولكنهم بدلوا بها غيرها ، ليخففوا على المدلين المتدينين وقعها ولكن تغيير اللفظ لا يجعل الحلال حراما ، ولا الممنوع مطلوبا » .

والبحث مدعم بالأسانيد الدينية الصحيحة إلى جانب تحليل اقتصادى يلتقى فى النهاية بالخطة الدينية للنسل فى الشريعة الإسلامية ، وينتهى بحث فضيلته إلى بيان : أن العزل رخصة فردية ، وليس فى الإسلام ما يجعل الرخصة جماعية لأمة من الأمم ؛ فالرخص دائما فردية ، ويضع سيادته فى مقدمة هذا الجزء بيانا فى « الفتوى » غفل عنه الكثيرون . . قال :

« ولقد كان الإمام أحمد رضى الله عنه يحرص على الا يفتى المفتى فى أمر إلا بعد أن يعرف وقائع الفتوى والباعث على الاستفتاء ، ونفسية المستفتى ، فقد يتخذ من الحق ذريعة لباطل » ويعقب ذلك بقوله :

« وإنا لهذا ندرس موضوع تحديد النسل من الناحية الدينية ، ثم ندرس الباعث الذى يتذرع به الذين يتكلمون فيه .

إن الإسلام دعا إلى النكاح ، وحث عليه واعتبره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سنة الإسلام ، وقال عليه السلام فى الدعوة إليه : إن من سنتنا النكاح ، ومن رغب عن سنتنا فليس منا ، ودعا عليه السلام الشباب إلى النكاح ، فقال عليه السلام « يامعشر الشباب

من استطاع الباءة (أى تكاليف الزواج) فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم » .

والأحاديث الصحاح الواردة فى الدعوة إلى النكاح كثيرة ، ولا نريد أن نحصيها عدا وذلك معروف لا يحتاج إلى الإطالة ، وذكر بعضه يغنى عن ذكر كله .

والمقصد الأول من الزواج هو النسل والإكثار منه ، فقد قال عمر بن الخطاب « النساء تنكح للولد » ، أى أنه لا يتزوج إلا لأجل الولد ، وقد روى عن الإمام أحمد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تزوجوا الودود الولود فإنى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة » وقد قال أهل الخبرة فى الحديث : إن رجاله ثقات . رجال الأحاديث .

وروى أبو داود والنسائى عن معقل ابن يسار قال : « جاء رجل إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : إنى أصبت امرأة ذات حسب وجمال وإنه لا تلد ، قال : لا ، ثم أتاه الثانية فنهاه ، ثم أتاه الثالثة ، فقال : تزوجوا الولود فإنى مكاثر بكم .... » .

وهذان حديثان مرفوعان لم يتكلم العلماء فى رواتهم ، وروى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « لحصير فى ناحية البيت خير من امرأة لا تلد » وقد قالوا : إنه موقوف على عمر رضى الله عنه ، وحديث يكون موقوفا عن عمر رضى الله عنه ، وهو الصادق الأمين الفاهم للإسلام حق الفهم لا يمكن إلا أن يكون معبرا تعبيرا دقيقا عن صفاته .

وروى أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « خير نسائكم الودود الولود » ، وقد قال أهل الخبرة : إنه مرسل ، لأنه لم يذكر فيه الصحابى ، والمرسل حجة عند أبى حنيفة ومالك ، وحجة عند الشافعى إذا عاضده مسند فى معناه ، وقد روى المسند فى معناه ، وأحمد رضى الله تبارك وتعالى عنه روى الحديث مسندا برواية أخرى عن أنس ، وبمثلها عن ابن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما

وقد رويت فى الدعوة إلى الإكثار من النسل أحاديث كثيرة ، ويذكر أهل الخبرة بالحديث أن فى بعض الرواة من فيه ضعف ، ولكن يذهب بضعف الضعفاء كثرة الرواية عن الأعداء ، وتضافر المعنى فى كل الأخبار ، ولذلك قال ابن حجر فى فتح البارى بعد أن ذكر الأحاديث التى فى رواتها بعض الضعفاء ما نصه : « وهذه الأحاديث ، وإن كان فى الكثير منها ضعف ، بمجموعها يدل على ما يحصل به المقصود من الترغيب فى التزويج منه أصلا ، لكن فى حق من يتأتى منه النسل »

إذن فالإكثار من النسل مطلوب فى ذاته ، وهو غاية الزواج الأولى والسامية فى الإسلام وأن ذلك هو الفطرة والطبيعة الانسانية ، بل الطبيعة الحيوانية .

ولا شك أن منع النسل هو ضد الفطرة ، والإسلام دين الفطرة ، كما قال تعالى في كتابه الكريم: «فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

وأن الله سبحانه وتعالى ، دعا إلى الاعتماد عليه في رزق الأولاد ، بعد أن يأخذ كل طريقه في الكسب الحلال ، فقال تعالى : « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق . نحن نرزقكم وإياهم » . « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم » ، وأن التعاون الذي فرضه الله تعالى على المؤمنين ، والتكافل الاجتماعي الذي أوجبه عليهم يوجبان أن يعين الغني الفقير ، وذو الميسرة ذا الحاجة فإذا كان هناك ذو عيال لا يجد ما يكفيهم بالمعروف كان على من يجد أن يمدهم بالعون، والدولة تأخذ من القادر لتكفل غير القادر ، فالنسل قوة للأمة ، ومدل أن تقول لكثير العيال: اقتل أسباب النسل في أصلاب الآباء أو أرحام الأمهات تقول الدولة : خذى من ذوى الفضل من المال ، وأعطى من يحتاج والجميع بكثرتهم قوة للأمة .

هذه هي النظرة العامة للشريعة بالنسبة للنسل ، وهي تدعو إلى الإكثار ، فالأحاديث تحث عليه ، والقرآن يشير إليه ، وهو الفطرة ، وتحديده يناقضها .

ولكن وردت أحاديث في العزل ، وهو إلقاء النطفة في غير مقرها من الأرحام لكيلا يكون إنتاج ، وفي بعضها صحة وقوة ، فما مدى دلالتها وقوتها في الوقوف أمام الدعوة إلى الإكثار من النسل ؟ فلننظر في هذا ، فإن كثيرين من الذين يتكلمون في هذا يتخذون منها دليلا للدعاية العامة لتحديد النسل ، لقد وردت أحاديث في العزل بعضها متفق عليه في الصحاح ، وبعضها في سنده ضعف ، ولنذكر ما عثرنا عليه منبهين إلى الضعيف ، وموفقين بين ماظاهره التعارض :

١ — روى عن جابر : «كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والقرآن ينزل » ، وهو حديث متفق عليه ، وفي رواية مسلم زيادة « فبلغه فلم ينهنا » .

٢ — وروى عن جابر أن رجلا أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقال : إن لي جارية هي خادمتنا وساقيتنا ، وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل ، فقال : اعزل عنها إن شئت ، فإنه سيأتيها ما قدر لها ، رواه مسلم وأحمد وأبو داود .

٣ — عن أبي سعيد «كنا في غزوة بني المصطلق .. فأصبنا سبيا من العرب ، فسألنا عن ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : لا ، عليكم ألا تفعلوا ، فإن الله قد كتب ماهو خالق إلى يوم القيامة ، متفق عليه،

واللفظ للبخاري ، وظاهر أن المراد النهي عن العزل كما قرر ابن سيرين ، لأن حرف (لا) للنهي ، وقد تأكد النهي من بعد ذلك بقوله : « عليكم ألا تفعلوا » وبيان : أن الله كتب ما هو خالق إلى يوم القيامة .

٤ — عن أبي سعيد الخدري قال : « قالت اليهود : العزل الموءودة الصغرى ، فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : كذبت يهود ، إن الله عز وجل ، لو أراد أن يخلق شيئا لم يستطع أحد أن يصرفه . وقد ضعف بعض رواته ، ويعارضه حديث أقوى منه سندا .

٥ — عن جذامة بنت وهب الأسدية : « حضرت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في أناس سألوه عن العزل ، فقال عليه السلام : « ذلك الوأد الخفي ، وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت ، رواه أحمد ومسلم ، وهذا حديث صحيح ، كل رجاله ثقات ، ولذا لا يقف أمامه هذا التعارض حديث أبي سعيد الخدري الخاص بموءودة اليهود ؛ لأن في حديث أبي سعيد ضعفا ، وهذا لا ضعف فيه ، ويأخذه يعاضده حديث غزوة بني المصطلق ، والنهي عن العزل فيه صريح ، ومن العلماء من رجح حديث أبي سعيد ، لأن له طرقا مختلفة ، ولكن في كلها ضعف ، والقوي لا يعارض بأحاديث قد كثرت طرق ضعفها ، وقد قال الحافظ ابن كثير في ذلك : هذا دفع للأحاديث الصحيحة بالتوهم ، والحديث صحيح لا ريب فيه .

والذي نراه بادي الرأي أن حديثين متفق عليهما ، هما : حديث جابر « كنا نعزل » وحديث بني المصطلق .

وحديث الوأد الخفي ، مع حديث تكذيب اليهود متعارضان .

ولذلك اختلف العلماء في جواز العزل ، ففريق جوزه ، وفريق منعه ، ومن هؤلاء ابن حزم وبعض الحنابلة ، والذين أجازوه أجازوه على أنه رخصة فردية ، وإن اختلفوا في أسباب هذه الرخصة ما بين موسع ومضيق ومن أشد من وسعوا الغزالي في الإحياء ، فقد وسع في أسباب لرخصة .

ومع ذلك فقد قرر الغزالي مع غيره أن العزل ترك الأفضل ، بل إنه مكروه ، وإليك كلامه في التعليق على حديث جذامة بنت وهب عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « فإن قلت فقد قال : قوله عليه السلام : الوأد الخفي يوجب كراهة لا تحريما » .

وننتهي من هذا إلى أن بعض الفقهاء يقرر أنه ممنوع ، وبعضهم يقرر أنه غير ممنوع ، ولكنه ترك الأفضل ، ومنهم من يقول : إنه مكروه .

وفي الجملة أن الإباحة لا تكون إلا برخصة باعثة ، وفي غيرها لا يكون العزل جائزا ، هذا ما ينتهي إليه التفكير السليم .

ويجب أن نقرر أن العزل أو المنع الشخصى يعارضه : أنه ضد الفطرة ، ويعارضه : الأحاديث المتفق عليها الداعية إلى تكثير النسل ويعارضه أيضا : الأحاديث الصريحة المانعة له حتى قال - بعض العلماء - : إنها ناسخة لأحاديث الإباحة على سبيل الرخصة ، وخصوصا الحديث الصحيح الذى قال : إنه الوأد الخفى . ثم تعارضه قاعدة أجمع عليها المسلمون ، وهى المحافظة على النسل ، فقد أجمع العلماء على أن الضرورات التى تجب المحافظة عليها خمس هى : النفس ، والدين ، والعقل ، والنسل والمال ، فنظرية منع النسل معارضة صريحة لكون المحافظة على النسل من الأمور الضرورية فى الإسلام بإجماع العلماء .

٦ — تبين من البحث السابق أن المنع الفردى للنسل ، ترك للأفضل أو مكروه ، وإذا وجد موجبه عند الفرد كان مباحا على مقدار هذه الرخصة الفردية ولا يوجد فى الفقه الإسلامى ما يجعل الرخصة جماعية لأمة من الأمم أو لإقليم من الأقاليم ، فالرخص دائما فردية .

وإذا انتهينا إلى الإباحة فى هذه الدائرة ، فإنه من المقررات الشرعية أن المباح بالشخص أو بالجزء يكون : إما مطلوبا بالكل ، أو ممنوعا بالكل ، على حسب موافقته للمبادىء الكلية المقررة فى الشريعة ، أو مناقضتها ؛ فإن كان خادما للمبادىء الشرعية الثابتة كان مطلوبا بالكل مباحا بالجزء ، وإن كان مناقضا للمبادىء الكلية العامة فى الشريعة ، كان مباحا بالجزء حراما بالكل ، ولنقرأ الكلمة للشاطبى فى الموافقات ، فهو يقول : (إن المباح ضربان : أحدهما : إما أن يكون خادما لأصل ضرورى أو حاجى أو تكميلى ، والثانى : ألا يكون كذلك ، فالأول : قد يراعى ما هو خادم له ، فيكون مطلوبا ومحبوبا فعله ، وذلك كالتمتع بما أحل الله تعالى من المأكل والمشرب ونحوها مباح فى نفسه ، وإباحته بالجزء ، وهو خادم لأصل ضرورى ، وهو إقامة الحياة ، فهو مأمور به من هذه الجهة ومعتبر ومحبوب من حيث هذا الكلى المطلوب ، فالأمر راجع إلى حقيقته الكلية ، لا إلى اعتباره الجزئى ... والثانى : إما أن يكون خادما لما ينقض أصلا من الأصول الثلاثة المعتبرة ، أو لا يكون خادما لشىء . كالطلاق فإنه ترك للحلال الذى هو خادم لكلى إقامة النسل فى الوجود ، وهو ضرورى لإقامة مطلق الألفة والمعاشرة واشتباك العشائر بين الخلق ، وهو ضرورى أو حاجى أو مكمل لأحدهما . فإذا كان الطلاق بهذا النظر خرقا لذلك المطلوب ونقضا عليه كان مبغضا ، ولم يكن فعله أولى من تركه ، أو بعارض أقوى كالشقاق (بين الزوجين)

وعدم إقامة حدود الله ، وهو من حيث كان جزئيا فى هـذا الشخص وفى هذا الزمان مباح وحلال) (١) .

وبتطبيق هذه القواعد على قضية منع النسل نقرر الأمر الشرعى فى هذه القضية : أنه إذا أبيح لرخصة ، فإنه يباح للشخص الذى كانت عنده الرخصة ، ولا يباح كقاعدة عامة تعم الناس فى إقليم أو أمة ، بحيث ينتفع بالإباحة صاحب الرخصة وغيرها ، ثم هو خادم لأمر يناقض مبدأ مقررا ثابتا ، وهو المحافظة على النسل ، والإكثار منه الذى جاءت به الأحاديث الصريحة المتفق عليها »

ولا يفوت فضيلة الشيخ أبى زهرة دور الاستعمار فى هذا الموضوع ، وهو لذلك حريص على الكشف عن هذا الدور مبينا بجانب ذلك أن كثرة النسل وحدها هى التى تغطى التخلخل السكانى فى بعض الأقطار العربية وتواجه الزحف الأوروبى باسم التوطن فى بعض المناطق الأخرى ، وليس إلا كثرة النسل وحدها السبيل إلى القوة العسكرية .

ويجد المطالع لهذا الجزء القادم من البحث إجابات واضحة إذا ما تساءل :

(ا) هل هناك علاقة بين هذه الدعوى إلى تحديد النسل أو تنظيمه وبين إسرائيل ومن استتر خلفها ... ؟

(ب) هل موارد الجمهورية العربية المتحدة وغيرها من البلدان العربية لا تكفى سكانها إذا ترك معدل النسل على ما هو عليه .

(ج) وبالتالى : هل استثمرت الثروات الطبيعية فى البلاد العربية ؟ .

(د) وما رأى الاقتصاديين المعتدلين فى تلك القضية .

(هـ) وهل الكثرة عبء على الفلاح المصرى ؟.

هذا ما نقرأ عنه بوضوح فى هذا النص من الرسالة يقول :

« وقد رأينا حكم الشرع، وأنه لا يجوز منع النسل بالكل ، ولا يباح كأمر عام لأنه يعارض قوله : « نحن نرزقكم وإياهم » « نحن نرزقهم وإياكم » ، ولذلك نعارض باسم الدين ، ولا نريد أن نقطع نسلنا ، ونقلل جمعنا ، ونعصى رسولنا ، ونكفر بقدرة ربنا الذى يرزق من يشاء بغير حساب .

هذا حـــــكم الدين فلننظر إلى الدنيا ولنعرف الدنيا أننا متحررون فى فهمنا من كل تقليد أعمى ، أو اتباع على غير هدى .

لماذا نحارب النسل ؟! لماذا نحارب الكثرة ونعمل على القلة ؟ قالوا : إن الرقعة الزراعية ضئيلة ، والسكان فى تكاثر وتزايد وسيأتى

---

(١) الموافقات الجزء الأول ص ١٢٨ ، ١٢٩ طبع التجارية تعليقات الأستاذ المرحـــوم الشيخ : عبد الله دراز الكبير .

وقد لا تجود عليهم الأرض بما يطعمهم .

ونقول : إن مصر الآن لم تبق بلداً زراعياً يعتمد على الزراعة ، بل إنه صار يعتمد على الصناعة، وأن ما تنتجه أرض مصر من ثمرات الأرض والأغراس يزيد عما تنتجه أرض انجلترا التى اتسعت لأكثر من خمسين مليونا ولكنها الصناعة ، ومصر فيها كل المواد الأولية للصناعة فيها البترول ، ولم يكشف كل ما يجرى فى باطنها من أنهار له ، وفيها الحديد ، وقد كشف فيها الفحم وقد اتجهت إلى الصناعة فى عهدها ، حتى صار ما تصدره منها لا يقل عما تصدره من زراعة ، وأن قوتها لا تعتمد فيه على ما تخرجه أرضها ، بل تعتمد على ما تستجلبه فى نظير ما تقدم من صناعات وخامات .

إن الاقتصاديين المدركين الفاهمين الذين لا يقلدون ولا ينحرفون يقولون : إن النسل فى ذاته ثروة ، وإن أعلى مصادر الثروة هو القوى البشرية ، وهناك أمم كسويسرا لا تعتمد فى مصادرها إلا على مهارة سكانها ومثلها كثير من الأمم ، فهل نريد أن نحرم أنفسنا هذه القوى العاملة وهى أغلى الثروات فى الوجود ، وأثمنها وأغلاها ، ومثلنا كمثل من يكون فى يده كنز من الذهب لا يستطيع أن يتخذ منه نقداً أو حلياً ، أو ما ينفع الناس فى الأرض فيلقيه فى البحر ، ليتخلص من أعباء صناعته أو الانتفاع بها .

ولقد قال الرئيس جمال عبد الناصر بحق : إننا لم نستغل من ينابيع ثروتنا إلا خمسة فى المائة أى إن خمسة وتسعين فى المائة لا تزال غفلا ، لم نتمتع به ، وإننا نقول : إن هذا الباقى كثير منه صالح للانتفاع به فى الزراعة وفى إنزال الأرض منه مواد تخدم الصناعة .

وإن الاقتصاديين المدركين يقررون أنه لو نفذ منهاج عشر السنوات ، واستقامت الصناعة المصرية على سوقها لاحتاجت الجمهورية العربية المتحدة إلى أكثر مما يتزايد به سكانها عاما بعد عام ، فهل نقلل نسلنا الآن لنحاول أن نحى مواته بعد ما نحتاج إليه ؟ وهل يكون ذلك ممكنا بعد أن ذهبت لذة النسل والولادة ؟ .

إذن فليس فى الأرض ضيق ، ولا فى العمل متعطل ، ومصر تمتاز بين البلاد بأنها لا يوجد فيها متعطل قط ، لنترك قضية الكثرة والخوف منها ، لأنها خير لا يصح أن يتبرم به مؤمن ، أو يخاف منه اقتصادى ، إنما الذين يخافون منه أعداء الإسلام الذين يتمنون أن يغمضوا أعينهم ثم يفتحوها فلا يجدوا من المسلمين دياراً ولكن ليموتوا بغيظهم هم ومن يتبعهم عن جهالة وتقليد غير مدرك ، فالمسلمون باقون ، وسيكثرون وسيزدادون .

قال الذين يتبعون أعداء الإسلام عن غير

بينة : إننا نريد رفع مستوى المعيشة للفلاح المصرى وللعامل المصرى ، ولا يمكن رفع المعيشة له ، وأولاده يتكاثرون ويتزايدون فلا بد من التقليل لكى ترتفع المستوى لأن المورد محدود ، ولا شك أن قسمته على عدد قليل يجعل ناتج القسمة كبيراً ، ولو جعلنا المقسم كبيراً يكون ناتج القسمة قليلا ، وبذلك يزيد مستوى المعيشة كلما كان عدد الأولاد قليلا ، ويقل كلما كان عدد الأولاد كثيراً ، وهذا كلام يبدو لمن لا يعلم حياة الفلاح المصرى صحيحا ، ولكن تفوته حقيقة ثابتة مقررة عند أهل الاقتصاد والعلم بالحياة والناس لا الذين يقلدون عن غير بينة وإدراك مستقيم ، تلك الحقيقة أن الحضانة الإقتصادية للأولاد تختلف طولا وقصرا باختلاف الثقافة ونوع الحياة ، فالحضانة الاقتصادية تكون قصيرة عند أولاد العمال والفلاحين ، وتكون طويلة عند أولاد غيرهم ، ويخرج عن هذا الاضطراد النبغاء من أولاد العمال والفلاحين . وهؤلاء النبغاء يجب أن تتولاهم الدولة بالرعاية والتثقيف والتشجيع لأنهم قوة الأمم ، وعنوان حضارتها ، وأساس تقدمها ، ويمكن أن يعرفهم خبراء التعليم فى المرحلة الأولى والثانية .

أما غير النبغاء فإن الحضانة الاقتصادية عند أولاد الفلاحين تكون قصيرة الأمد ، وسرعان من بعد ذلك ما يخرجون عن أن يكونوا كلا على آبائهم ، إلى معاونين لهم ، فترى الفلاح يخرج ابنه من حضانته الاقتصادية إلى قدرة تعطى أباه ، وكثيرا ما ترى فى جنى القطن وما يشبهه من الأعمال الأولاد الصغار من سن العاشرة إلى ما فوقها يعملون بجوار آبائهم وأمهاتهم ويأخذون مثل أجورهم ، وكنا نظن أن تعميم التعليم سيطيل من أمر تلك الحضانة الاقتصادية ، ولكنا رأينا أن الأولاد يجمعون بين العمل والمدرسة ، فيدرسون نصف اليوم ، ويعملون فى النصف الآخر ولذلك نقول لأولئك الذين يريدون أن يتدخلوا فى حياة الفلاح الخاصة بشؤم تفكيرهم وعقم فلسفتهم : إنكم تريدون أن تحرموا الفلاح قوة مالية تمده ، وقوة تناصره ، ومتعة هى أكبر متعة فى الحياة ، فاتقوا الله فيه ، والعامل مثل الفلاح ؛ فإن الحضانة الاقتصادية عند أولاده قصيرة وسرعان ما يذهب ابن العامل إلى مهنة تقارب مهنة أبيه ، ويكون له مصدر معين ، ويجمع بين التعلم للعلم ، والتعلم للمهنة جمعا متناسقا ، وخصوصا أن أكثر دور العلم صارت على فترتين ، اللهم إلا المدارس الخاصة التى تعتبر شجا فى حلق الديمقراطية أو الاشتراكية ، أو هما معا ، وأظننى ناديت بذلك فى مجلس محافظة القاهرة .

ولننتقل من النظرة الإقليمية إلى النظرة العربية، بل إلى النظرة الإسلامية، إننا ننادى صباح مساء بالوحدة السياسية بين العرب، ونسعى جاهدين للوحدة الإسلامية وإنه لفرض على كل مسلم يملك لسانا مبينا أو قلما كاتبا أن يدعو إلى هذه الوحدة الشاملة الكاملة.

لنترك الكلام فى الوحدة الإسلامية من غير أن ننساها، لأن نسيانها إهمال لحقيقة من حقائق الإسلام، فنحن إذ نسكت عنها بألسنتنا، تحتل المكان الأول فى قلوبنا.

ولنتكلم فى الوحدة العربية التى هى وشيكة التحقيق، وقد تحقق بعضها فعلا، والأمل أن تتحقق كلها فى القريب العاجل بعد أن طرحت النير الأجنبى، ولا يعوق كمالها إلا بقية احتلال فى رءوس بعض أكابر مجرميها كما قال تعالى: « وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون ». وإذا كانت سياستنا العامة والاقتصادية والحربية تتجه نحو الوحدة العربية، فإنه عند التفكير لا يصح الاقتصار على الإقليم المصرى؛ بل يجب أن تتسع الأنظار إلى الأقاليم العربية: هل ضاقت بمجموع سكانها؟ هل أجدبت أرضها، حتى لا تتسع لمزيد فى أقليم من أقاليمها؟

ألا فليعلم الناس: أن الأرض ضاقت بما رحبت فى أذهان الذين احتلت أمريكا وانجلترا وصهيون رءوسهم، أما الرءوس المتحررة من ذلك التقليد الأعمى، والتى خلصت من نير الاستعمار الفكرى فإنها تجد فى أرض العرب سعة وكثرة، كما قال تعالى: « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغماً كثيراً وسعة، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله، وكان الله غفورا رحيما ».

إن الأرض العربية تحتاج إلى أيد عاملة، تحتاج فقط إلى أيد تبذر البذور، وترجو الثمار من الرب، إن السودان وحده فيه نحو ٧٠ مليون من الأفدنة، وهو مهجر طبيعى لصعيد مصر، وهذه المساحة من الأرض الخصبة تسع العرب جميعا، فهل نترك تلك الأرض شبه موات من غير أن نوفد إليها رجالا يعملون؟ والحمد لله قد زالت العوائق فعادت العلاقات الاقتصادية، وقد عادت بالخير الكثير، وسيكون بعون الله تعالى الفيض العميم.

وليبيا — بعد أن أباد الطليان منها من أبادوا — أرض طيبة، وهى مهجر طبيعى لريف مصر، فهى مهجر لأهل البحيرة والفيوم، وليبيا فى خطر اجتماعى إن لم تتداركها مصر بفيض من سكانها، ذلك أن سكان جنوب أوربا يجدون فيها مهجرا لهم يقارب

مناخه مناخ بلادهم ، وقـــد رسموا سياسة استعمارها بالسكان ، لا بالجيوش ولا بالحكام وأنه لو استمرت الهجرة الأوروبية على ما هى عليه لصار أكثر سكان ليبيا - بعد عشرين سنة أو تزيد - أوروبيين ، وبذلك نفقد بلداً عربيا بطريقة تشبه سريان السرطان فى جسم الإنسان ! . أليس من العدل والإسلام والعروبة وحماية النفس والجنس والدين أن نمد ليبيا بفيض من السكان عندنا ، بدل أن نعقم نسلنا ونلقى به فى اليم ؟ .

وأن الجزائر ذلك البلد الكريم الذى استرد حريته وكرامته ، به أكثر من ثلاثة وثلاثين مليونا من الأفدنة تحتاج إلى أيد تعمل فيها ، ومن الواجب أن نمده بيد الفلاح المصرى الذى يحرث الأرض ويجنيها إن الجزائر أرض طيبة رويت بدماء الشهداء « والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لا يخرج إلا نكدا » .

والآن نسأل : لم هذه اللجاجة إلى تحديد النسل والتفنن فيها ، ونشر الحبوب التى تعقم النساء ؟ ، ولا أريد أن أتكلم فى مضارها فقد قال المخلصون من الأطباء فى مؤتمر الجرائم الاقتصادية الذى عقد منذ سنتين فى المركز القومى للبحوث الجنائية والاجتماعية : إن تعقيم المرأة يضرها أبلغ الضرر ، ويعرضها لأخبث الأمراض ، ويعرضها لمرض السرطان ولذلك يكثر ذلك المرض عندنا بين النساء اللائى يشغلن أنفسهن عن الولادة بالمجتمعات يحضرنها أو يعقدنها والملائكة لا تظلها ، بل الشيطان ينفث فيها سمومه . ويقل أو لا يكاد يوجد بين نساء الفلاحين والعمال الذين يتركون الفطرة تسير فى طريقها .

ونقول فى الإجابة على هذا السؤال : إنها دعاية أمريكية وانجليزية وصهيونية سرت إلينا ، وتبعها بعض المخلصين غافلين عن جذورها ومواردها ومايغذيها ، والآخرون الذين لا يخلصون لدين ولا لوطن ولا لقومية اندفع فيها بعضهم باعتبارها بدعا من الأفكار يتبعونه ، وهؤلاء يتبعون كل ناعق ويسهرون وراءه من غير أن يعرفوا : أيسير بهم فى طريق يوصل إلى الخير ، أم يسير فى طريق مملوء بالأفاعى والحيات ؟ ، ومن هؤلاء استحسان الأمريكان واليهود بأقلامهم لغاية يبتغونها ، وهو التقليل من عدد العرب الذين يحيطون بدولة إسرائيل وسيبتلعونها ، إن قريبا وإن بعيدا ، بالكثرة العددية .

ولهذا تجد هذه الدعاية فى مصر ، وتتخذ منها مرتعا خصيبا لأنها هى التى تحمل أكبر العبء ، وبها أكبر العدد ، وفيها أقوى العتاد وكانوا يدعون إليها فى سوريا التى لم يبلغ سكانها خمسة ملايين ، وبها نحو اثنى عشر مليونا من الأفدنة من الأراضى الخصبة

تحتاج إلى رى منظم ، وكان الرئيس عبد الناصر قد وضع الأسس لتنظيم الرى لثمانية ملايين من الأفدنة تكون حقول قمح تغنى البلاد العربية عن أن تستورد من أمريكا أو روسيا .

وكانت هذه الدعاية فى العراق ، وهو لا يبلغ سكانه سبعة ملايين ، وبه نحو عشرين مليونا من الأفدنة من أخصب أراضى العالم ، ولا تحتاج إلا إلى أيد تزرعها ، وقد حاول منذ أكثر من خمس عشرة سنة أن ينظم الهجرة من مصر إليه ، ولكن السياسة إبان ذاك أفسدت الفكرة وقبرتها .

٦٢ — وقبل أن أنتهى من هذا البحث نقرر حقيقتين ثابتتين :

أولاهما : أن الحبوب التى تعمل بعض الجهات على توزيعها بالمجان إلى الآن تنتج فى أوروبا ، وأمريكا ، ولا تباع فى أى صيدلية هناك إلا بإذن خاص ، ولكنها فى مصر توجد فى الصيدليات التى لا يتقى أصحابها ربهم وتتولى الجهات التى أشرنا إليها كبر توزيعها ، فبينما هى فى مصر توزع بالجزاف لا توزع فى بعض الصيدليات هناك إلا بتذكرة طبيب يقبين فيها الحال الصحية ، واسم صاحبها ، وسبب حاجته إلى منع الحمل ، فاعتبروا يا أولى الأبصار .

الحقيقة الثانية : أن مصر تنشىء جيشا كثير العدد ، يحمل أقوى عتاد ، ولا توجد دولة تريد أن تكون حربية لها جيش يحمى ذمارها ويسد ثغورها ترضى أن تحد نسلها فى أصلاب الآباء ، أو أرحام الأمهات ، بل إن الميدان يفتح صدره لكل ذى ساعد يحمل ويغير .

وقد قيل فى إحدى الندوات عند ما ذكرنا هذه الحقيقة : إن الحرب الآن ليست بالعدد ، ولكنها بالقنابل الصاروخية ، والقنابل الذرية ، وسائر الأدوات الفتاكة ، ونقول لهؤلاء : هل هذه القنابل لا تقتل أحدا من الجيوش ؟ وإذا قتلت أفليست أشد فتكا ، ويكثر بها القتل الذريع فى الجيوش ، ويحتاج الميدان إلى من يحل محل الذين جرحوا أو فقدوا ، وتكون كثرة الفتك داعية للإكثار من عدد المحاربين ؟

ولكن هكذا قيل ، وهكذا كان تفكير المقلدين ، والله تعالى رحيم بعباده ، حافظ لأمته ، وقاها الله تعالى شر خائنة الأعين ، وما تخفى الصدور ؟

التأمين

للأستاذ علي الخفيف

كان من الموضوعات الهامة التي عرضت على المؤتمر موضوع « التأمين » بكل أنواعه ، وقد قدم فيه هذا البحث فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ علي الخفيف ، ومع أنه قوبل من أعضاء المؤتمر بالاهتمام البالغ لأهميته وقيمته من الناحية العلمية والفقهية ولاتصاله القوى بالنشاط الاقتصادي ، إلا أنه رؤى عدم البت فيه برأى حتى يبحث من جميع جوانبه وتدرس جميع الظروف والملابسات التي تتصل به ، ولهذا رأينا عرضه « برمته » على الرأى العام ليشارك في النظر إليه ، وإبداء ما يعن له من الآراء .

وقد اعتمد الباحث في إعداد هذا البحث على نيف وثلاثين مرجعا من كتب الفقه والقانون ، وهذا أول جانب منه .

التأمين

التعريف به :

التأمين : نظام تعاقدى ، ابتدعه رجال الأموال لتوزيع الضرر ، الناتج من الأخطار الزمنية التي تصيب الأموال بالإتلاف أو الفساد أو الضياع ، أو تصيب الأجسام والأنفس بالنقص والأمراض ، وتجزئته بقسمته بين أفراد عديدين يتحمل كل منهم قسطا منه ، وذلك عن طريق تقويمه ، والتوصل بقيمته إلى ترميمه ، أو تخفيفه ، وذلك بحمل قيمته ووضعها على أكبر عدد ممكن نتيجة لتعاقد تقوم على تنظيمه ومباشرته ، والإشراف عليه هيئات لها الخبرة الفنية والدربة والتجربة القائمة على أسس وقواعد إحصائية وتجريبية .

ويعرفه رجال القانون بأنه : عقد يلتزم به المؤمن أن يؤدى إلى المؤمن له ، أو إلى من شرط التأمين لصالحه ، مبلغا من المال أو أى عوض مالى آخر ، عينا أو منفعة ، في حال وقوع الحادث المؤمن ضده ، المبين في العقد ، وذلك نظير مال يؤديه المؤمن له إلى المؤمن على وضع يبين في العقد .

ويستفاد من هذا التعريف أن هذا العقد يقوم على العناصر الآتية :

١ - وجود شخص يرى نفسه معرضا لخطر في نفسه أو في ماله ، فيعمد إلى تخفيف آثاره أو دفعها بأن يتعاقد مع من يلتزم له بتحقيق ذلك عند وقوع الخطر ، وذلك بإعطائه عوضا

من المال ، أو بقيامه بإصلاح ما فسد ، ويسمى هذا الشخص : بالمؤمن له ، وقد يسمى بالمستأمن وهو أحد طرفى العقد .

٢ - وجود طرف آخر يلتزم له بذلك ويسمى بالمؤمن - ولا يكون إلا شركة مساهمة أو جمعية تبادلية تعاونية .

٣ - مال يلتزم بدفعه المؤمن له إلى المؤمن بالطريقة التى تبين فى العقد نظير تحمله تبعة الخطر المؤمن منه ؛ وذلك مايدخل عقد التأمين فى عقود المعاوضات التى تقوم على إنشاء التزامات متقابلة فى ذمة طرفيها - ويسمى هذا المال : بقسط التأمين .

٤ - تعرض المؤمن له لخطر احتمالى يتهدده فى نفسه أو ماله من حادث يتوقع حدوثه كحريق أو سرقة أو وفاة أو إصابة من آلة أو نحو ذلك ، ويسمى بالخطر المؤمن منه .

٥ - مبلغ من المال يتم بالاتفاق عليه فى العقد يقوم المؤمن بأدائه إلى المؤمن له عند تحقق الخطر المؤمن منه ، وقد يكون معين المقدار كما فى التأمين على الحياة أو من المرض ، وقد يكون تعويضا يراعى فيه أن يكون جابرا للضرر الواقع فعلا بحد أقصى يبين فى العقد كما فى التأمين من الحريق والسرقة ، والفارق بين هذين الحالين : أن المؤمن له فى الحال الأولى يكون له الحق فى المطالبة بالمبلغ المتفق عليه كاملا غير منقوص دون حاجة إلى إثبات تحقق ضرر من جراء وقوع الحادث ، أما فى الحال الثانية ؛ فلا يكون له من المال إلا بقدر ما يرفع الضرر فى حدود الحد الأقصى المبين فى العقد - وقد يكون التزاما بإصلاح مافسد أو بالإتيان بمثل ما فقد دون دفع شىء من المال ، ويسمى هذا على العموم بمبلغ التأمين .

٦ - وجود مصلحة المؤمن له فى التأمين فإن لم تتحقق له مصلحة كان العقد باطلا وذلك كأن يؤمن شخص على عقار ليس له ولا مستأجرا له ضد الحريق . فمثل هذا العقد يعد باطلا ، وحكمة التشريع فى ذلك ألا يتخذ التأمين وسيلة لاستدرار مال سدا لأطماع شخصية لا تستند إلى مصلحة اجتماعية ، ومع ذلك ، فإن من رجال التشريع الوضعى من يرى أن لا ضرورة لتحقق هذه المصلحة ولزومها فى التأمين على الأضرار ، ولكن القانون المدنى المصرى مال إلى الرأى الأول ؛ فاشترط المصلحة م / ٧٤٩ مدنى .

هذه عناصر التأمين وأركانه ومنها يتبين أنه يقوم على خطر أو حادث أليم يخشى وقوعه ، وتتجه نية من يتعرض له إلى تجنب ضرره بدفع عوض من المال للمؤمن على أن يلتزم له بدفع مبلغ التأمين أو رفع الضرر عنه .

غير أنه يلاحظ أن هذا التعريف إنما نظر فيه إلى ما تضمنه عقد التأمين من علاقة بين المؤمن والمؤمن له وهذه نظرة لا يستبين بها

وجه بصورته الواقعية الصحيحة التي تكشف عنه نظاما يؤدى إلى الغرض المقصود منه على وضع سليم .

فعقد التأمين إذا كان من الجائز أن يكون أحد طرفيه ، وهو المؤمن له ، شخصا طبيعيا أو معنويا ، فإن طرفه الآخر ، وهو المؤمن ، يجب أن يكون شركة مساهمة ، أو جمعية تعاونية وأن تتعدد عقوده لهذا الغرض مع كثيرين فيتقاضى من كل منهم مقابل التأمين ، ومن مجموع ما يتقاضاه يدفع لمن نزل به الخطر منهم وهم عدد قليل ما يرفع عنه ضرره ، أو يخففه على حسب ما يتم الاتفاق عليه ، ويكون فيه الوفاء بذلك غالبا ، ذلك لأن مقابل التأمين يجب أن يقدر على أساس فنى مستمد من الإحصاء الدقيق الذى يؤمن معه عدم الوفاء بما يطلب ، أما إذا اقتصر التعاقد على فرد مثلا ، فإنه يكون عقد رهان ومقامرة لا يقره قانون ولا شريعة ، وكان الغرر والمقامرة فيه حينئذ ، ولهذا يعرفه بعض العلماء بأنه عقد يستحق بموجبه أحد طرفيه ، المؤمن له ، نظير مقابل مالى يدفعه - مبلغا من المال عند نزول خطر معين فى ذمة الطرف الآخر ، المؤمن ، الذى يدخل فى عهدته مجموعة من هذه الأخطار ليجرى المقاصة فيما بينها طبقا لقوانين الإحصاء . ومن المفهوم أن القانون حين اشترط فى المؤمن : أن يكون شركة مساهمة ، وألا يقل رأس مالها عن مقدار معين من المال . إنما أراد بذلك توفير الثقة والطمأنينة لدى المؤمن له فى سبيل حصوله بأيسر وسيلة على ما يستحق له من مبلغ التأمين ، وذلك بإيجابه فى ذمة أخلصت لهذا الغرض ، ووجهت كل مجهوداتها ونشاطها إلى هذه الغاية ، وابتعدت بقدر الإمكان عن عوامل الشح والمماطلة والأثرة ، مما قد يخلق عقبات فى سبيل الوفاء بالواجبات ، ولا شك أن ذلك مما يباعد بين عقد التأمين ، وبين ما يشمره من معنى الغرر .

بداية عقد التأمين - دعايته - انتشاره

ظهرت الحاجة إلى التأمين فى أواخر القرون الوسطى حين انتشرت التجارة البحرية بين مدن إيطاليا والبلاد الواقعة فى حوض البحر الأبيض المتوسط ، فكانت البضائع التجارية تنقل بالسفن بين هذه المدن عبر البحر الأبيض المتوسط ، وكان منها ما يكتب له السلامة فى طريقه - فيكون من وراء ذلك الربح الوفير ومنها ما يغرق ، أو يغصبه قراصنة البحر ، فتحل بأربابه الخسارة - ولما كانت السلامة فيها أكثر وقوعا ، وكان حرص التجار على سلامة بضائعهم شديدا فقد أقدم أناس من أرباب الأموال والعمل فى المال على استغلال هذا الوضع فى استفادة المال ، وذلك بإقدامهم على ضمان ما يرسل فى البحر من البضائع نظير أجر يتقاضونه عن ضمانهم حتى إذا هلكت قاموا

بدفع قيمها إلى أربابها معتمدين على أن الغالب فيها السلامة ، فلا يغرمون منهـا إلا القليل ، وعلى أن حرص التجار على سـلامة أموالهم يدعوهم إلى الإقدام على تضمينها غير مبالين بدفع ما يطلب منهم من أجر عليـه ، ومن وراء ذلك يكون الربح العظيم .

وعلى هـذا الأساس بدأ التأمين مقصوراً على البضائع ، ثم امتد بعد ذلك إلى سـلامة السفن ، وسلامة ما عليها من الأموال والركاب ثم أعقبه بعد ذلك التأمين ضد النوازل والأخطار إذ بدأ ظهوره فى انجلترا فى خلال القرن السابع عشر ، وكانت أول صورة ظهرت له صورة التأمين ضد الحريق عقب حريق هائل شبت نيرانه فى لندن سنة ١٦٦٦ فالتهمت أكثر من ثلاثة عشر ألف منزل ومائة كنيسة ، وانتشر هذا النوع خلال القرن الثامن عشر فى كثير من البلاد ثم ظهرت بعد ذلك صور جديدة للتأمين مختلفة الأنواع . أهمها : التأمين ضد المسئولية ، وذلك فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر بعد أن تطورت الصناعة تطورها الخطير بسبب اكتشاف البخار ، واختراع الآلات البخارية ، ثم ظهرت الكهرباء ، وما تلا ذلك من انتشار المصانع وتطورها ، وتقدم وسائل النقل ، وظهور الطيران ، وما ترتب على ذلك من كثرة الأخطار وحوادثها ، واشتداد الرغبة فى تلافى أخطارها وأضرارها ، وقد أدى كل هذا إلى شيوع التأمين وتنوعه وشموله حتى طريق التجارة والصناعة وسائر وجوه النشاط الاقتصادى وعم كثيرا من الوسائل التى يستخدمها الإنسان فى حياته : كالسيارات والماشية والأمتعة ، بل امتد إلى ما يصيب الإنسان من مرض أو شيخوخة أو عجز أو بطالة ـ وعلى الجملة ـ فإن هذا العقد قد عظم شأنه ، وتدخل فى جميع مرافق الحياة ، ومعظم مناحيها ومسالكها ، بل قد امتد ظله إلى ما بعد وفاة صاحبه إذا تخذه سبيلا إلى تأمينه على رفاهية أولاده وأسرته وتوفير وسائل عيشهم بعد وفاته .

أنواعه :

لقد أدى تطور المدنية وتقدمها ونمو الحضارة وازديادها إلى كثرة ما يتعرض له الإنسان من الأخطار والضرر وذلك بقدر ما جد فيها من وسائل وقايتها ، وطرائق العيش فيها والسعى فى نواحيها ، وتبع ذلك اهتمامه وعنايته بتجنب تلك الأخطار ، وتلافى أضرارها ، وكان من نتيجة ذلك اتجاهه إلى التأمين ضد ما قد يصيبه ويتعرض له وهو كثير متعدد متنوع ، فتعددت بسبب ذلك

راجع الوسيط للأستاذ السنهورى جـ ٧ مجلد ٢ ص ١٠٨٥ وما بعدها ، ومحاضرة فى التأمين للأستاذ سيد على السيد ص ١٢ وما بعدها .

وتنوعت صور التأمين ؛ فكان منه التأمين على الحياة ، ويشمل جميع عمليات التأمين التى تتعلق بالحياة، وما تتعرض له من أخطار كالمرض والعجز والشيخوخة والإصابة وما إلى ذلك . . والتأمين على جمع الأموال ويشمل عمليات التأمين التى تقوم على إصدار وثائق ، أو سندات ، أو شهادات أو غيرها مما تلزم بموجبها الهيئة التى تصدرها بأداء مبلغ معين أو مبالغ فى زمن مستقبل مقابل قسط أو أقساط دورية ، والتأمين من الحريق والتأمين من أخطار النقل البرى والنهرى والبحرى والجوى، ويشمل التأمين على أجسام السفن والطائرات وعلى آلاتها ومهماتها ـ والتأمين على البضائع والمنقولات من أى نوع والتأمين على أجور الشحن وعلى كل ما يتعلق بالسفن والطائرات من الأخطار التى تنشأ من بنائها أو استخدامهـــا أو إصلاحها أو صناعتها أو رسوها ـ والتأمين عن الحوادث ويشمل ذلك التأمين على إصابة العمل ، وهو الالتزام بتأمين أرباب الأعمال من مسئوليتهم عن تعويض العمال الذين فى خدمتهم ، وتأمين السيارات ، والتأمين الإجبارى من المسئولية المدنية الناشئة من حوادث السيارات، وتأمين الخسائر والمسئوليات ، ويشمل التأمين ضد السرقة والسطو ـ والتأمين ضد خيانة الأمانة والتأمين ضد كسر الزجاج، والتأمين على الماشية وتأمين المسئولية المدنية ـ وتأمين الائتمان والتأمين من جميع الأخطار التى لم ينص عليها فيما سبق كالتأمين من استهـــلاك السندات والتأمين من حوادث المهنة ، ومسئولية الطبيب المدنية وهكذا .

على أن الاتجاه إلى التأمين لم يقف عند إرادة تلافى الأخطار ؛ بل تجاوزه إلى طلب المعونة عند توقع الحاجة إليها ؛ فكان تأمين الأولاد الذى يتقاضى المؤمن له به مبلغ التأمين كلما رزق بولد وتأمين الزواج الذى يتقاضى به المؤمن له مبلغ التأمين إذا ما تزوج قبل بلوغه سنا معينة ، وتأمين المهر الذى يتقاضى به أحد أولاد المؤمن له إذا عاش إلى تاريخ معين يغلب أن يتزوج فيه فيكون فى حاجة إلى المهـــر .

والتأمين : إما تأمين اجتماعى ، وإما تأمين خاص؛ فالاجتماعى منه يختص بالعمال ويؤمنهم من إصابات العمل ومن المرض ومن الشيخوخة ومن العجز ويساهم فيـــه إلى جانب العمال أصحاب العمل والدولة ذاتها وتتولى الدولة تنظيمه ، وإدارة شئونه .

أما الخاص منه ، فتقوم به الشركات والجمعيات التبادلية التعاونية ـ والتأمين الخاص قد يكون تأمينا على الأشخاص، وقد يكون تأمينا من الأضرار ، والأول يتعلق بشخص المؤمن له فيؤمن على نفسه من الأخطار التى تمس حياته

أو جسمه أو قدرته على العمل، وهذا النوع من التأمين لا تتحكم فيه نظرية التعويض بل يستولى المؤمن له على جميع مبلغ التأمين المتفق عليه عند وقوع الحادث - والثانى لا يتعلق بشخص المؤمن له بل بماله. فيؤمن نفسه من الأضرار التى تصيبه فى المال، ويتقاضى من شركة التأمين ما يعتاض به عما أصابه من الضرر مراعى فى ذلك التكافؤ بين البدلين؛ فلا تناله أية زيادة عما تقتضيه إصابته، ويتفرع من هذا النوع إلى فرعين: تأمين على الأشياء ويكون ضد الأضرار التى تنزل بالأعيان المالية كالمنازل والمزروعات والحيوان والسيارات - وتأمين من المسئولية، وبه يؤمن الشخص نفسه من الضرر الذى يصيبه بسبب ما يلزم من تعويض يطلب منه.

إعادة التأمين:

لقد رأينا ما انتهى إليه تنوع التأمين وانتشاره وذلك ما يدل على أنه قد أسس على أسس قوية جنبته الإخفاق فى تحقيق أغراضه والعجز عن الوصول إلى أهدافه وأمن معها الخسار والغبن وضآلة الجزاء والربح وكان سبيلا أمينا من سبل توفير الأموال وتجميعها - واستغلالها، وإلا ما كان له هذا الذيوع، وما قامت عليه هذه الشركات الضخام فى أنحاء المعمورة، وما عنيت بأمره الدول والحكومات، وما اتخذته الدول وسيلة من وسائل قيامها ورعايتها لرعاياها.

ولقد كان من تلك الأسس التى قوى بها التأمين واستوى أن دعم بنوع منه يسمى بإعادة التأمين

فعملية التأمين تقوم على تقدير الاحتمالات طبقا لقوانين الإحصاء التى تستند الكثرة ومراعاة ما يطرأ عليها - إذ أن المؤمن من نوع معين من الخطر كالحريق مثلا يجمع بين أكبر عدد ممكن ممن يتعرضون لهذا الخطر ويزن احتمالات تحقق هذا الخطر لهم جميعاً بناء على إحصاء عدد مرات الحريق التى وقعت فى الماضى ومبلغ أثر كل حريق منها ويجعل ذلك أساسا لوقوع مثل ذلك أو قريب منه فى المستقبل، وذلك على وفق ما تتطلبه قوانين الإحصاء، وأن يكون هذا التقدير أقرب إلى الدقة بقدر ما يكون عدد المعرضين لخطر الحريق كبيرا - فإذا هدى الإحصاء إلى أن كارثة واحدة من كوارث الحريق تقع فى كل ألف يتعرضون لهذا الخطر فى مدة سنة فإن هذا التقدير قلما يصدق إذا كان المؤمن لهم ألفا فقط إذ يكون الخطر والمصادفة حينئذ لهما المقام الأول، أما إذا كان المؤمن لهم خمسة آلاف مثلا أو يزيدون فإن عامل الخطر والمصادفة يضعف ويقرب التقدير من الدقة والإصابة كلما زاد هذا العدد.

وعلى ذلك إذا قدرنا أن فى كل ألف واقعة

من وقائع التأمين ضد الحريق تقع ثلاث كوارث فتحترق ثلاث منازل مثلا يبلغ مقدار التعويض فيها ثلاثين ألف جنيه . وجب أن يكون مقدار القسط الصافى الذى تحصل عليه الشركة من المؤمن له ثلاثين جنيها حتى تحصل الشركة من الألف المؤمن لهم على ثلاثين ألف جنيه وفاء لما يقع من الكوارث ، ولكن الشركة لا تستطيع أن تطمئن إلى هذا التقدير اطمئنانا كاملا فى مواجهة التزاماتها ، بل يجب عليها أن تقدر فى تدبيرها كذلك أن ذلك التقدير قد يخطىء ، وهذا الخطأ وإن قل عند كثرة عدد المؤمن لهم إلا أنه يبقى ماثلا فى أن يحترق منزلان فقط يبلغ التعويض فيهما ستين ألف جنيه بدلا من ثلاثين ألفا - لهذا يجب على الشركة أن توجه احتمال هذا الخطأ وتحتاط له حتى تطمئن إلى قدرتها على الوفاء بالتزاماتها وحتى يطمئن المؤمن لهم أيضا إلى ملاءة الشركة ، وإلى أن حقوقهم فى ذمتها مكفولة .

وقد تعددت الوسائل التى تلجأ إليها الشركات لتحقيق هذا الغرض وجميعها يقوم على إشراك شركات أخرى فى عملية التأمين على وضع يقضى بتوزيع مبلغ التأمين بينهم فلا تستقل به شركة من الشركات ، وبذلك لا تنوء بحمله وحدها إذا ما كان يعييها حمله . وأكثر هذه الوسائل شيوعا هى الوسيلة التى تسمى : بإعادة التأمين ، وذلك يكون بأن تلجأ الشركة المؤمنة إلى شركة من شركات إعادة التأمين لتؤمن نفسها من احتمال تحقق الخطأ فى التقدير فى حدود ما يطمئنها على قدرتها فتتفق معها على إعادة التأمين فى حدود مبلغ عشرة آلاف جنيه ، أو عشرين ألفا على حسب ما ترى أنه يطمئنها وبذلك تطمئن ويطمئن معها المؤمن لهم إلى قدرتها على مواجهة ما يحتمل وقوعه من الخطأ إذا تحقق وعلى هذا فعقد إعادة التأمين : عقد بين المؤمن المباشر والمؤمن المعيد بموجبه يحول الأول إلى الثانى جزءاً من المخاطر التى يتحملها فى نظير مقابل معين يؤديه إليه مع بقاء المؤمن الأول هو المدين وحده للمؤمن لهم وقد يتدخل القانون فيلزم شركات التأمين بإعادة التأمين كما فعل القانون ١٩٥ لسنة ١٩٥٥ إذ لزم هيئات التأمين بأن تعيد التأمين على جزء من عمليات التأمين المباشر على أساس نسبة معينة وطبقا لتعريفات محددة (الوسيط ١١٠٨ وما بعدها) .

المصلحة فى التأمين والباعث عليه :

التأمين عقد يتم وينشأ بين طرفين : المؤمن والمستأمن ، المؤمن له ، وقد يكون الطرف الأول وهو المؤمن شركة تضطلع بهذا العمل ، وقد يكون جمعية ألفت من المستأمنين أنفسهم لهذا الغرض أو هيئة حكومية نصبتها الدولة وأنشأتها لتحقيقه

أما الطرف الثانى فهو شخص قصد إلى إنشاء هذا العقد .

وقد استوجب هذا التعاقد أن يكون المؤمن ذا شخصية معنوية له ذمة متميزة ومستقلة عن ذمم من يشترك فيه لتكون محلا لالتزاماته التى تنشأ عن هذا العقد للمؤمن لهم وبناء على هذا كان له رأس مال مملوك له تدخلت القوانين فى تقديره ، أما ما يدفع إليه من أقساط التأمين ملكا له فأقرب وضع له أنه تحت وصايته وولايته التى تنظمها القوانين الصادرة بشأن ذلك .

وبمقتضى عقد التأمين يلتزم بدفع مبلغ التأمين إلى المؤمن له ، أو ما يقوم مقام ذلك مما تضمن العقد بيانه من هذا المال ، فاذا كان المؤمن شركة كان السبب الدافع لها هو الحصول على المال نتيجة لاستثماره بوسائل الاستثمار المتعددة التى تختارها الشركة ونتيجة لما تحصل عليه من زيادة ما تأخذ من المشتركين عما تدفعه تعويضا لمن حل به الخطر منهم ، ومن ذلك يكون جزاؤها من أجر وربح ، وقد تزعم أنها مع ذلك تهدف إلى معونة المشتركين وتخفيف ويلات ما ينزل بهم من ضرر نشأ العقد لدفعه ، أما إذا كان المؤمن جمعية تعاونية كونها المشتركون ، أو كان هيئة أقامتها الدولة فان السبب الدافع لها على هذا التعاقد هو القصد إلى تحقيق التعاون والتضامن بين المشتركين المؤمن لهم ، وذلك بتوزيع عبء الأخطار والضرر الذى ينزل بأحدهم عليهم جميعا ، وذلك بتعويض المضرور من الأقساط التى جمعت — وهى فى واقع الأمر مال الجميع — بما يدفع عنه سوء الأثر الذى ينوء بحمله وفى ذلك تفتيت الضرر أو تجزئته إلى درجة تذهب بالشعور به دون أن يصحب ذلك رغبة فى جمع مال لأجل الربح والثراء . ولا قصد إلى تثمير رأس مال أعده صاحبه للتنمية والاستغلال ، وإذا كان شىء من ذلك فمن غير قصد وهدف . وتلك خلة كريمة ومقصد جليل يدعو اليه الدين ويحقق ناحية من نواحى التضامن الاجتماعى .

وهذا إلى ما للتأمين من منافع وثمرات نجملها فيما يلى : —

١ — أنه يعد وسيلة من وسائل الاحتياط والوقاية — احتياط لحادث مستقبل قد يجىء بالضرر فيخفف أو يتلاشى بسببه — ووقاية من عوز ينزل فيدفعه الحصول على مبلغ التأمين — كما تؤدى بعض أنواعه إلى أمن الشخص على من يهمه أمرهم من أهل بيته وأقاربه وغيرهم ممن يرى أن يدفع إليهم مبلغ التأمين الذى يستحق عند حدوث الحادث المؤمن ضده تأمينا على مستقبلهم .

٢ — أنه يبعث الطمأنينة فى النفوس فيطمئن صاحب المال على طلبه ، والتاجر على

تجارته والصانع على صنعه وهكذا ما يكسب النشاط الإنسانى حدة وقوة ، والإنتاج نموا وجودة، وقد أصبح ذلك ضرورة تتطلبها حالة هذا العصر الذى ازددت فيه الأخطار، وكثر توقعها ، وذلك ما قد يضعف معه النشاط والأمل وهما من أهم أسباب الإحسان فى الإنتاج والزيادة فيه .

٣ — أنه يحقق للمؤمن له ما قد يعجز عنه لولاه — ذلك أن الحصول على مبلغ التأمين قد ييسر للشخص سبيل الزواج إذا ما عجز عنه بسبب قلة إيراده وماله — وقد يهيء له التغلب على تكاليف الحياة ومطالبها .

٤ — أنه يدعم الثقة المالية كما يرى ذلك فى التأمين على الرهان العقارية، وهو ما يعرف بتأمين الائتمان ، وفى دعمها نمو الاقتصاد وتوسيع دائرة العمل .

٥ — أنه مصدر لتكوين رءوس أموال ضخمة ، تتجمع من أقساط التأمين ، مما يمكن استخدامه والانتفاع به فى مجال التصنيع والإنتاج والاقتصاد القومى بوجه عام .

ومن هذا يرى أن ليس بين السبب الدافع إليه ومقاصد الشريعة الإسلامية تعارض ، فإن استثمار الأموال بالنظر إلى ذاته أمر تحض عليه الشريعة وتطلبه ، كما أن الحصول على المال بطريق غير محظور أمر مندوب إليه لأنه ضرب من ضروب الكسب والعمل، وهى مصدر القوة والحياة ، وذلك ما يأمر به الدين ويوجبه النظر السليم ـ أما القصد إلى المعونة والمشاركة فى تحمل ما قد يحدث لشخص من الضرر تخفيفا لسوء أثره فهو من أفضل ما يقوم المرء بعمله ، وأعظم ما يفوز بأجره وأسمى ما يتمتع بأثره ، وكذلك يرى أن هذا العقد لم يتخذ وسيلة إلى ارتكاب محرم أو مقارفة محظور ، أو ملابسة مكره ، وإنما يتخذ وسيلة إلى تحقيق ما شرحنا من مصالح شخصية لعاقديه ، وأخرى اجتماعية لمجتمعهما على ما شرحنا وبينا .

طبيعة عقد التأمين وخصائصه .

يتضح من البيان المتقدم أن عقد التأمين عقد ملزم لطرفيه ، وأنه من عقود المعاوضة ومن عقود الغرر كما يعد من العقود الزمنية أى المستمرة ، ومن عقود الإذعان .

١ — أما أنه ملزم لطرفيه فلأنه يتضمن التزامين متقابلين ، هما : التزام المؤمن له بدفع أقساط التأمين ، والتزام المؤمنين بدفع مبلغ التأمين إذا تحقق الخطر المؤمن منه ـ غير أنه يلاحظ أن التزام المؤمن له بدفع أقساط التأمين التزام محقق يقوم بتنفيذه على الوضع الذى تضمنه عقد التأمين أما التزام المؤمن فهو التزام غير محقق فى كثير من صوره ، وهى الصور التى لا يكون فيها ادخار للمؤمن له ـ أما التى تتضمن ادخارا له فإن التزام المؤمن فيها

محقق لأنه ملزم بدفع مبلغ التأمين إذا وقع الحادث المؤمن عليه ، فإن لم يقع قام بدفعه عند مضى المدة المتفق عليها فى العقد إلى المستأمن على أنه مبلغ ادخر له .

وأما أنه عقد معاوضة فلأن المؤمن يستحق به حقا فى ذمة المؤمن له هو حقه فيما تم الاتفاق عليه من الأقساط مقابل ثبوت حق للمؤمن له فى ذمة المؤمن هو حقه فى تحمل المؤمن تبعة الخطر المؤمن منه ، وعلى ذلك تكون الأقساط التى يؤديها المستأمن إلى المؤمن هى بدل ما تحملت به ذمة المؤمن من الضمان والتبعة وذلك ما يستوجب عليه قيامه بدفع ما يحدث له من ضرر يصيبه بسبب نزول الحادث المؤمن ضده به .

٣ — وأما أنه من عقود الغرر فإنما يتضح ذلك عندما يقتصر النظر على ما بين المستأمن والمؤمن من علاقة بسببه ، ذلك أن المؤمن عند إبرامه هذا العقد لا يعرف مقدار ما يعطى ولا مقدار ما يأخذ ، إذ أن أمر ذلك موقوف على ما سيأتى به الزمن . وكذلك الحال بالنسبة إلى المستأمن وقت العقد فهو عنده لا يعرف مقدار ذلك ، ولكن إذا نظرنا إلى أن علاقة المستأمن فى هذا العقد لا ترتبط ولا تقوم على مجرد علاقته بالمؤمن بل تقوم كذلك على ارتباطات عديدة سابقة وأخرى يصح أن تلحق بها بين المؤمن ومن تعاقد معه من المستأمنين الكثير عددهم نجد أن فكرة الاحتمال والغـــرر تبتعد عنه إن لم تنتف انتفاء تاما سواء بالنسبة إلى المؤمن أو بالنسبة إلى المستأمن ؛ ذلك أن وظيفة المؤمن وعمله فى محيط هذا النظر تتمثل فى قيام المؤمن بأخذ الأقساط من المستأمنين ، وقيامه عليها ، وعلى تنميتها ، ثم توزيع ما اقتضى العقد توزيعه على من وقعت عليهم الكارثة منهم مع ملاحظة أن ما يبقى له بعد ذلك نتيجة الفرق بين ما يؤخذ ، وما يتطلبه التأمين من تعويض يعطى ، واحتياطى يحفظ يكون نظير مصروفات الإدارة ، وأجر العمل وعلى ذلك . فإذا أحسن المؤمن تقـــدير الاحتمالات ، والتزامه بالأسس الفنية الصحيحة فى التأمين ، وراعى قواعد قوانين الإحصاء مراعاة دقيقة ابتعد عنه احتمال الخسارة واقترب منه الكسب ، وكان فى ذلك أكثر أمنا من تاجر يعمل فى تجارته .

أما بالنسبة إلى المستأمن فلأنه لا يريد بتعاقده هذا أن يكون له ربح مادى من وراء الحظ والمصادفة ، وإنما يريد أن يتوقى به مغبة الحظ والمصادفة ، وذلك بتعاونه مع غيره من المستأمنين ، وتضامنه معهم فى توزيع شرور ما يبيته الحظ والمصادفة لهم جميعاً بحيث لا ينال أيا منهم إلا مقدار يسهل منها يستطيع تحمله فى غير عناء ولا مشقة ، وذلك

ما يورثه أمنا وطمأنينة ، وفى سبيل ذلك قام بدفع ما التزم به من الأقساط ، وإذا ما أعطى مبلغ التأمين عند تحقق الخطر فإنما استحقه وأخذه تعويضا لما حاق به من الخسارة ، وعلى ذلك يرى أن طبيعة عقد التأمين تختلف تماما عن طبيعة عقد الرهان والمقامرة الذى يقـــوم الاستحقاق فيه على مجرد الحظ والمصادفة دون أى عامل آخـــر .

وبهذا البيان ، وعلى هذا الوضع ، يرى أن عنصر الغرر فيه ضعيف جداً ، وأن أثره فيه دون أثره فى كثير من العقود الشرعية الصحيحة الجائزة كما سيتضح ذلك فيما يأتى

٤ ــ وأما أنه من العقود المستمرة فلأن تنفيذه يستغرق وقتا يظل فيه المؤمن متحملا تبعة الخطر ، والمستأمن ملتزما بدفع الأقساط فى مواعيدها ؛ فهو إنما يعقد لزمن معين هو عنصر جوهرى فيه ، وينتهى بانتهائه .

٥ ــ وأما أنه من عقود الإذعان فلأن الجانب القوى فيه هو جانب المؤمن ، فلا يملك المستأمن إلا أن ينزل عند شروطه ، وهى شروط أكثرها مطبوع ومعروض على الناس كافة وكان ذلك سبب تدخل المشرع فى تنظيم عقد التأمين لحماية المستأمنين حتى يخف عنهم كثيراً من تعسف المؤمنين .

٦ ــ ثم هو إلى ذلك عقد مستقل بذاته متميز بخصائصه وشروطه ، لا يندرج فى عقد من العقود المعروفة قديما لدى فقهاء الشريعة الإسلامية ، فهو عقد جديد مستحدث لم يكن على عهـــد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا على عهد خلفائه ، ولا على عهد الأئمة المجتهدين ، ولذا لم يعرض له أسلافنا من الفقهاء فى كتبهم ، وكان حكم الشريعة الإسلامية فيه خاضعاً للنظر فى أمره ، والاجتهاد فيه تحت تطبيق أصولها ، وقواعدها الكلية وذلك هو محل بحثنا وما سنعنى به فيما يأتى .

الصَّدقة فِى الإسْلاِم

للدكتور محمد مهدى علام

على نحو مائتى آية من كتاب الله الكريم ، وثمانين حديثا عن رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم يعتمد هذا البحث ، ويتجلى للسيد الدكتور « عن عدة نقط جديرة بالتسجيل » استوعبت من سيادته فصولا عن : تكريم الإنسان ، والدعوة إلى بذل الصدقة ، والنهى عن البخل ، والصدقة لذوى القربى ، وخير البر عاجله ، والصدقة فى السر والعلن ، وبيانا عن الصدقة فى أنها : تعامل بين الله والغنى ، وليست بين الغنى والفقير ، ودعوة إلى الإيثار وعدم الإسراف فى الصدقة ، وجلى فصل « الهدية أفضل من الصدقة ، والصدقة خير والربا شر » ن خير الطرق التى يسلكها الكريم . . « فالهدية تنقل بين المتساويين فلا تكون يد عليا ويد سفلى » وفصل « الصدقة مهما يكن الأمر » يليه « الصدقة إسعاف اقتصادى فى المجتمع حتى لغير المسلمين » يبينان قيمة الصدقة فيما يلم بالمجتمع من كوارث ويختم الدكتور بحثه مركزاً خطوطه مدلاً على موضوعاته ، وهذه أجزاء من ذلك البحث :

قال تحت عنوان : « الصدقة فى الإسلام إسعاف وليست تشجيعا على الكسل والخمول » :

« كثيراً ما يتهم الإسلام المغرضون والجاهلون بأنه دين الخمول والكسل ، وأنه يشجع الفقر والمسألة ، ولا شىء أبعد عن الإسلام من ذلك ، فالصدقة التى يدعو إليها الإسلام فى وفرة وافرة من آيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام إنما شرعت لقسد حاجة اضطرارية قد توجد لدى بعض الأفراد ، مما لا يخلو من مثله أى مجتمع إنسانى . » .

ويقول فى فصل (تكريم الإنسان) :

« وتكريم الإنسان لا يكون بتشجيعه على السؤال وقبول الصدقة ، بل بدعوته إلى العمل والسعى فى طلب الرزق الحلال . فالإسلام يكرم أتباعه ، ويطالب لهم العزة وإباء النفس فالله تعالى يقول :

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » (المنافقون ٨) ويقول :

« ولقد كرمنا بنى آدم ، وحملناهم فى البر

والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » . (الإسراء ٧٠) .

والإسلام فى تكريمه للإنسان يعترف بشخصيته : ويعتد به عضواً عاملا فى مجتمعه ، لا عالة ينتظر الإحسان من أجل ذلك نجد الوفرة الوافرة فى التعاليم الإسلامية عن الدعوة إلى العمل والاعتماد على النفس ، والتعفف عن قبول الصدقة بله السعى إليها . فما جاء فى القرآن الكريم فى الحث على العمل وممارسة النشاط المثمر قوله تعالى :

« يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم » (البقرة ٢١ - ٢٢) .

« يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ، واشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون » . (البقرة ١٧٢) .

« وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون . وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب ، وفجرنا فيها من العيون . ليأكلوا من ثمره ، وما عملته أيديهم ، أفلا يشكرون » . (يس ٣٣ - ٣٥) .

« الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ، ولتبتغوا من فضله ، ولعلكم تشكرون . وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » . (الجاثية ١٢ - ١٣) .

« والله جعل لكم الأرض بساطا ، لتسلكوا منها سبلا فجاجا » . (نوح ١٩ - ٢٠) .

« .. علم أن سيكون منكم مرضى ، وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله » . (المزمل ٢٠) .

ومما جاء فى الحديث الشريف فى الدعوة إلى كسب العيش بعرق الجبين ، وتكريم المرء لنفسه بصيانة ماء وجهه عن السؤال ، والسمو بيده عن أن تكون هى اليد السفلى الممتدة للصدقة قوله عليه الصلاة والسلام :

« ما أكل أحد طعاما قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » .

« أفضل الأعمال الكسب من الحلال » .

« خير الكسب كسب يد العامل إذا نصح » .

« إن أطيب ما أكلتم من كسبكم » .

« لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها خير له من أن يسأل الناس : أعطوه أو منعوه » .

(والإشارة هنا واضحة إلى أن كرامة الإنسان تخدش سواء أعطاه الناس أو منعوه) .

« من سأل ، وعنده ما يغنيه ، فإنما يستكثر من جمر جهنم . قالوا : يارسول الله ، وما يغنيه ؟ قال : ما يغديه أو يعشيه » .

« من سأل الناس أموالهم تكثرا فإنما يسأل جمرا ، فليستقل منه أو ليستكثر » .

« ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس » .

وقد وصل الإسلام بمنزلة العمل والسعى على الرزق أن فضلهما على الانقطاع إلى العبادة :

فقد « امتدح قوم رجلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد فى العبادة ، والغنى عن العمل . وقالوا : صحبناه فى سفرنا . فما رأينا بعدك يا رسول الله أعبد منه ، كان لا ينتقل من صلاة ، ولا يفطر من صيام . فقال لهم : فمن كان يمونه ويقوم به ؟ قالوا : كلنا يا رسول الله . قال : كلكم أعبد منه ! »

وقد وصف رسول الله عليه الصلاة والسلام المتصدق بأنه صاحب اليد العليا ، ووصف الآخذ الصدقة بأنه صاحب اليد السفلى ، وقد كرر هذا الوصف الموحى بالتبشيع من قبول الصدقة فى عدة أحاديث مثل قوله :

« اليد العليا خير من اليد السفلى ، والعليا هى المنفقة ، والسفلى هى السائلة . وقوله عليه الصلاة والسلام :

« يا ابن آدم ، إنك إن تبذل الفضل خير لك ، وإن تمسكه شر لك ، ولا تلام على كفاف ، وابدأ بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى » .

والإسلام يكره للإنسان أن يذل نفسه بالسؤال ، وأن يريق ماء وجهه لعبد مثله مهما تكن الفوارق المالية بينهما ، فمن بات معافى فى بدنه ، آمنا فى سربه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا ، من أجل ذلك نهى الرسول عليه الصلاة والسلام عن المسألة ، وصورها فى صورة بشعة تنفر المرء منها ، فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :

« ثلاثة أقسم عليهن ، وأحدثكم حديثا فاحفظوه : ما نقص مال من صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله بها عزا ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر » .

ففى الوقت الذى يبدأ فيه هذا الحديث بالحث على الصدقة يختم بالتنفير من المسألة .

ويقول فى حديث آخر :

« لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس بوجهه مزعة لحم » .

أى يأتى ولحم وجهه متساقط ليس به قطعة صغيرة ، كناية عن ضياع كرامته .

وفى الحديث الآتى يشبه الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، المسائل بالكدوح أى الخدوش التى تشوه الوجه :

« المسائل كدوح يكدح بها الرجل وجهه ، فمن شاء أبقى على وجهه ، ومن شاء

تركه ، ألا أن يسأل الرجل ذا سلطان فى أمر لا يجد منه بداً » .

وسؤال السلطان معناه أن يطلب الشخص من الحاكم حقه . ويلاحظ أن الترخيص بالسؤال هنا لايدخل تحت السؤال المنهى عنه بمعنى الشحاذة ، بل هو طلب حق من ذى سلطان بيده ذلك الحق ، وقد يكون قد احتجزه لسبب من الأسباب ، وطلب الحق لا يخدش كرامة الإنسان .

ومن هذا القبيل ما أجازه الرسول ، فى عبارة يسورها الاحتياط والتحفظ ، فى الحديث الآتى :

« عن ابن الفراسى أن أباه - رضى الله عنه - قال : يارسول الله ، اسأل ؟ قال: لا ، وإن كان لابد فاسأل الصالحين » .

فالترخيص هنا لم يأذن به الرسول الكريم إلا بعد المنع أولا . وثانيا : تقييده بعد ذلك بأن يكون السؤال فى حالة الضرورة القصوى التى لا مفر منها ، وثالثاً : بأن يكون موجها للصالحين الذين يحفظون على المحتاج ماء وجهه ، ويسترون صدقتهم فى غير إعلان ولا مخيلة .

وفى الحديث التالى تحديد للحالات التى يجيز فيها الإسلام السؤال فضلا عما فيه من توجيه عملى للسعى فى طلب الرزق ، ترفعا عن مذلة السؤال :

« أتى رجل من الأنصار يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : أما فى بيتك شىء ؟ قال : بلى ، حلس (أى كساء غليظ يلى ظهر البعير تحت القتب) نلبس بعضه ونبسط بعضه . وقعب نشرب فيه الماء . فقال . ائتنى بهما . فأتاه بهما ، فأخذهما صلى الله عليه وسلم بيده وقال : من يشترى هذين ؟ قال رجل : أنا آخذهما بدرهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يزيد على درهم ؟ - مرتين أو ثلاثا - قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما أياه ، وأخذ الدرهمين ، فأعطاهما الأنصارى ، وقال : اشتر بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك واشتر بالآخر قدوما فأتنى به ، فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوداً بيده ثم قال له : اذهب فاحتطب وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يوما . ففعل ثم جاء ، وقد أصاب عشرة دراهم ، فشترى ببعضها ثوبا ، وببعضها طعاما ، فقال له صلى الله عليه وسلم : هذا خير لك من أن تجىء المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة . إن المسألة لا تصلح إلا لذى فقر مدقع ، أو لذى غرم مفظع ، أو لذى دم موجع » .

والفقر المدقع : الذى يلصق صاحبه بالدفعاء وهى التراب .

والغرم : أداء ما تكفلت به ، والمفظع : الشديد الشنيع

والدم الموجع . أن يتحمل إنسان دية فيسعى فيها يؤديها إلى أولياء المقتول ، وإن لم يؤدها قتل المتحمل عنه ، وهو حميمه أو نصيره فيوجعه قتله .

وفي حديث آخر نجد تحديدا لجواز السؤال في مثل هذه الحالات الثلاث :

عن قبيصة بن مخارق الهلالى ، رضى الله عنه قال : تحملت حمالة ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها فقال : أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها ثم قال : يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة :

رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله ، فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش ، أو سدادا من عيش ، ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجا من قومه : لقد أصابت فلانا فاقه ، فحلت له المسألة حتى يصيب قواما أو سدادا من عيش ، فما سواهن من المسالة يا قبيصة سحت يأكلها صاحبها سحتا

(الحمالة : ما يتحمله الإنسان عن غيره من دية قتيل ، أو غرامة ليصلح بين متخاصمين وكانت العرب تفعل ذلك عزا وشرفا وسعيا وراء الخير ، قوام العيش وسداده : ما تقوم به المعيشة .

الفاقة الفقر الشديد

ثلاثه من ذوى الحجا : الثلاثة هنا للمبالغة فى فاقة الرجل) .

وقد صرح الرسول بتحريم الصدقة على ذى الغنى ، وعلى ذى القدرة على الكسب فقال :

« لا تحل الصدقة لغنى ، ولا لذى مرة سوى »

أى قوى سليم الأعضاء . وقد بلغ من تكريم الإسلام لمن يتعفف عن سؤال الناس احتفاظا بما كرمه الله تعالى به ، أن ضمنت له الجنة فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام :

« من يتكفل لى ألا يسأل الناس شيئاً وأتكفل له بالجنة ؟ فقال ثوبان ، رضى الله عنه : أنا . فكان لا يسأل أحداً شيئاً » .

« ... وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم القلب لكل ذى قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال » .

وفى هـــذا الحديث ثروة من التشريع الاجتماعى الرفيع ، وحسبنا أن نذكر ما يتصل ببحثنا فيه : فصاحب السلطان مطالب بالصدقة . وكل إنسان مطالب بالرحمة لذوى القربى وللمسلمين كافة ، والصدقة إحدى الصور العملية الإيجابية المقصودة بالرحمة هنا ، وأحد الثلاثة الذين ذكر الرسول أنهم من أهل الجنة : العفيف المتعفف على حين أنه ذو عيال .

ومما هو جدير بالذكر بصدد سياسة الإسلام من التعفف ، واحتمال الحاجة فى أنفة ، بدلا من مد اليد فى ذلة السؤال ، أن النبي عليه الصلاة والسلام أوصى بالتعفف عن طلب الزكاة المفروضة ، فضلا عن الصدقة ، ودعا إلى الاستغناء عن أخذها ، ونصح بالتذرع بالقناعة والصبر :

« عن أبى سعيد رضى الله عنه أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم حتى نفد ما عنده . فقال : ما يكون عندى من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر » .

هكذا كان رسول الله عليه الصلاة والسلام ، يعطى الزكاة ، ولكنه يوصى آخذيها أن يجتهدوا فى الاستغناء عنها لكون ذلك أكرم لهم . ولقد لقيت وصيته بذلك استجابة وقبولا :

« عن حكيم بن حزام رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطانى ، ثم سألته فأعطانى ، ثم سألته فأعطانى ، ثم قال : ياحكيم ، إن هذا المال خضرة حلوة ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه . ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه ، كالذى يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، قال حكيم ، فقلت ، يا رسول الله ، والذى بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا . فأعطاه أبو بكر ثم عمر - رضى الله عنهما - حقه من الفىء فأبى ، ثم توفى » .

ويصل الرسول عليه الصلاة والسلام فى دعوته إلى الكف عن السؤال ، وإلى اعتماد الفقراء على أنفسهم متوكلين على الله ، لا لاجئين إلى الناس ، أن يفضل لهم الموت على ذل السؤال :

« من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ، ومن أنزلها بالله أوشك الله له بالغنى ، أما بموت عاجل أو غنى عاجل » .

لقد رأينا كيف وصف الرسول عليه الصلاة والسلام ، المسألة بأنها كدوح يكدح بها المرء وجهه ، وبأنها كالنكتة التى تشوه وجه صاحبها . وبأن السائل يأتى يوم القيامة ، وليس فى وجهه مزعة لحم ، كأن وجهه يتساقط من ذل السؤال . وقد جمع عليه الصلاة والسلام كل هذه الصور المنفرة من السؤال ، وزاد عليها بالعموم والشمول والإبهام ، ما يبعث فى النفس أقصى درجات الحذر والتبشع ، إذ يقول :

« لو تعلمون ما فى المسألة ما مشى أحد إلى أحد يسأله شيئاً » .

وبعد أن يدعو الباحث إلى بذل الصدقة تغطية لكوارث المجتمع يتحدث فى « النهى عن البخل » . يقول :

« ومن الأساليب التى اتخذها الإسلام فى الدعوة إلى الصدقة نهيه عن البخل فى صور تعبيرية مختلفة . ويندرج ما ذكره الإسلام فى هذا الصدد تحت نقاط أربع .

(ا) بيان أن الطبيعة البشرية أميل إلى البخل وجمع المال . فالقرآن يقول :

« قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق ، وكان الإنسان قتوراً » (الإسراء ١٠٠) .

ويقول الحديث الشريف : « لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى إليهما ثالثا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب » .

ويشير القرآن فى موضع آخر إلى أن الدعوة إلى الإنفاق قد تثير فى نفس المرء الأضغان :

« إنما الحياة الدنيا لعب ولهو ، وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ، ولا يسألكم أموالكم . إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم . هاأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله ، فمنكم من يبخل ، ومن يبخل . فإنما يبخل عن نفسه ، والله الغنى وأنتم الفقراء » . (محمد ٣٦ - ٣٨) .

ويصور الحديث ما لحب المال من أثر فى قوله : « اتقوا الشح ، فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم . » .

ويربط القرآن بين فتنة المرء بأولاده وفتنته بأمواله ، ويبين أن من يق نفسه الشح الطبيعى قدر استطاعته فهو من المفلحين .

« إنما أموالكم وأولادكم فتنة ، والله عنده أجر عظيم . فاتقوا الله ما استطعتم ، واسمعوا وأطيعوا ، وأنفقوا خيرا لأنفسكم . ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .
(التغابن ١٥ - ١٦) .

ويبين أن شدة الحب للمال تجلب كثيرا من المعاصى ، كاغتيال الميراث ، وإهانة اليتيم ، والنهى عن إطعام المسكين .

« كلا بل لا تكرمون اليتيم . ولا تحاضون على طعام المسكين . وتأكلون التراث أكلا لمّا وتحبون المال حبا جما » (الفجر ١٧ - ٢٠) .

وقد لخص الحديث كل ذلك فى قوله عليه الصلاة والسلام :

« شر ما فى الرجل شح هالع ، وجبن خالع » .

(ب) ونتيجة لهذا الميل إلى الشح ؛ فإن المرء ينفق عن كره :

« وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ، ولا يأتون الصلاة

إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون ».
(التوبة ٥٤) .

وينتحل التعلات والمعاذير هربا من الإنفاق « وإذا قيل لهم : أنفقوا مما رزقكم الله، قال الذين كفروا للذين آمنوا : أنطعم من لو يشاء الله أطعمه » . (يس ٤٧) .

وقد يتورط فيتصدق ثم يعدل عن صدقته وهى حالة أسوأ من الامتناع عن الصدقة ابتداء. ولذلك يقول الرسول عليه الصلاة والسلام :
« إن العائد فى صدقته كالعائد فى قيئه » .

(ج) من أجل ذلك كان الشح من صفات المنافقين والكفار :

« المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم ، نسوا الله فنسيهم ، إن المنافقين هم الفاسقون » . (التوبة ٦٧) .

« ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون » (التوبة ٧٥ - ٧٧) .

« قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ، ولا يأتون البأس إلا قليلا . أشحة عليكم ، فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت ، فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد ، أشحة على الخير ، أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم » (الأحزاب ١٨-١٩).

وقد لخص الرسول الكريم هذه النقطة فى قوله عليه الصلاة والسلام :
« خصلتان لا تجتمعان فى مؤمن : البخل وسوء الخلق » .

(د) والنتيجة الطبيعية التى تنتهى إليها فلسفة الإسلام فى هذا الصدد هى النهى الصريح عن البخل بتوجيه الوعيد للبخلاء :

« ... إن الله لا يحب من كان مختالا فخوراً . الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ، وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا » (النساء ٣٦ - ٣٧)

« ... والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » (التوبة ٣٤ - ٣٥) .

« ... والله لا يحب كل مختال فخور ، الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد » (الحديد ٢٣-٢٤) .

« وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول : ياليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية ، ما أغنى عنى ماليه ، هلك عنى

سلطانيه ، خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه ، إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ، ولا يحض على طعام المسكين ، فليس له اليوم ههنا حميم » (الحاقة ٢٥ - ٣٥) .

ويمثل ما جاء في هـــذه الآيات جاءت الأحاديث النبوية ، فاللعنة نصيب البخل في قوله عليه الصلاة والسلام : « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم » . ونصيبه النار في حديث آخر : « النار قريبة من كل خب بخيل منان » ، ويكرر ذلك الوعيد ، مع إضافة ذات دلالة مهمة في الحديث الآتي :

« السخي قريب من الله ، قريب من الناس ، قريب من الجنة ، بعيد من النار ، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة ، قريب من النار . والجاهل سخي أحب إلى الله تعالى من عابد بخيل » .

وفي الفصول الأخيرة من البحث يقول :

« الهدية أفضل من الصدقة ، والصدقة خير ، والربا شر » :

لاحظت حين كنت أتتبع النصوص الإسلامية الواردة عن الصدقة في القرآن الكريم والحديث الشريف - أن عددا منها كان يعرض لموضوع الهدية ، ولموضوع الربا ، ولم يخالجني الشك في أن هذا الاقتران لم يكن عرضا ولا استطرادا ، بل لا بد أنه كان هادفا لغاية خاصة ، وفيما يلي ما رأيناه في تفسير هذه الظاهرة :

يبدو أن السياسة الإسلامية في الصدقة ، متابعة لمنطقها الذي اتضح لنا في كل ما سبق بقدر ما ترغب القادرين أن يبذلوا ، تزهد المحتاجين أن يأخذوا ، ولهذا كانت الهدية تذكر في معرض الصدقة ، لتحل محلها فتؤدي غرضها من غير أن تعقب آثارها في نفس صاحب اليد السفلى ، فالهدية تنقل بين المتساويين فلا تكون هناك يد عليا ويد سفلى .

يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « يا أبا ذر ، لا تحقرن من المعروف شيئا ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق ، وإذا اشتريت لحما ، أو طبخت قدرا فأكثر مرقته ، واغرف لجارك منه » .

والتهادي بين الجيران مما دعا إليه الإسلام ، مهما صغرت الهدية :

« تهادوا ، فإن الهدية تذهب وحر الصدر ، ولا تحقرن جارة لجارتها ولو شق فرسن شاة » ، (وحر الصدر : غشه ووساوسه . وفرسن الشاة : ظلفها) .

ومن قبيل التكريم الذي يحل محل الصدقة ، الضيافة :

« ليلة الضيف حق على كل مسلم ، فمن أصبح بفنائه فهو عليه دين إن شاء اقتضى ، وإن شاء ترك » .

« الضيافة ثلاثة أيام ، فما سوى ذلك فهو صدقة » .

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته. قالوا: وما جائزته يارسول الله؟. قال: «يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، وما وراء ذلك فهو صدقة، ولا يحل له أن يقيم عنده حتى يؤثمه. قالوا: كيف يؤثمه؟ قال: يقيم عنده وليس له شىء يقربه».

الجائزة: العطية. يقول الإمام مالك: يكرمه ويتحفه ويحفظه يوما وليلة، ويضيفه ثلاثة أيام).

ويزداد الأمر وضوحا بين الصدقة والهدية فيما تعلق بالنبى عليه الصلاة والسلام، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها، ولكن كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا أتى بطعام سأل عنه، فإن قيل هدية أكل منها، وإن قيل: صدقة، لم يأكل منها».

وعن عبد الله بن الحارث الهاشمى رضى الله عنه، وساق حديثا حتى قال: «إن هذه الصدقات إنما هى أوساخ الناس، وأنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد».

ومع أن الصدقات — المفروضة منها والتطوع — لاتحل للنبى عليه الصلاة والسلام ولا لآله تكريما لهم عن مذلة اليد السفلى، فإن التعفف مطلوب من سائر المسلمين، كما سبق أن أوضحنا، وامتناع النبى وآله عن قبول الصدقات ليس ترفعا على المسلمين، ولكنه ترفع عن الصدقات، وجدير بالمسلمين أن يحذوا حذوه جهد استطاعتهم.

«لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة» هذا عن اقتران الهدية بالصدقة لبيان فضل الهدية على الصدقة.

أما اقتران الصدقة بالربا فى سياق واحد فناشىء عن أن الذى يضطر إلى اللجوء إلى قبول الصدقة أو التعامل بالربا هو الشخص المحتاج، ولما لم يكن بد لمثل هذا الشخص من قبول المعونة، فإن الإسلام يفضل له معونة الصدقة (أو الزكاة) على قبوله للربا.

فالجمع بين شرور الربا ومزايا الصدقة فى مساق واحد مقصود به أن ينبه الغنى للبذل الذى يفرج أزمـــة المأزوم، بدلا من تكبيله بأرباح الربا.

«الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون»، «الذين يأكلون الربا لايقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس»، «يمحق الله الربا ويربى الصدقات» (البقرة ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦).

«يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين»، «فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون»، «وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون» (البقرة ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠).

« فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون » ، « وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون » . (الروم ٣٨ - ٣٩) .

الصدقة إسعاف اقتصادى فى المجتمع حتى لغير المسلمين :

وهذا الفصل عقده الباحث لبيان شمول الصدقة ، لنفع الإنسان فى المجتمع فهى نوع من التأمين الاجتماعى . يقول : « ومن سماحة الإسلام فى تطبيق هذا التأمين أن أباح بذل الصدقة لغير المسلمين من أهل المجتمع الإسلامى ، والأصل فى مشروعية ذلك أن أهل الذمة لهم فى هذا الصدد مالنا وعليهم ما علينا ، والمراد بأهل الذمة : اليهود والنصارى الذين لهم عهد أن يقيموا بيننا ، ويلحق بهم فى هذا الحكم كل من تم بيننا وبينهم عقد مسالمة ، ولو لم يكونوا يهوداً أو نصارى » .

وقد جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين . الممتحنة ٨ » .

ويستشهد سيادة الباحث بأقطاب المفسرين فى بيان المراد من قوله تعالى : وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . ومنها يتبين أن المراد بالإقساط لهم : إعطاؤهم صلة من طعام وغيره والمراد بالمقسطين . أهل البر والتواصل ،

« ويقول البيضاوى فى تفسير قوله تعالى : « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا » يعنى أسراء الكفار ، فإنه صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول : أحسن إليه » ويقول النيسابورى فى تفسير الآية السابقة عن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالأسير ، فيدفعه إلى بعض المسلمين ، فيقول : « أحسن إليه فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه ، وعند عامة العلماء يجوز الإحسان إلى الكفار فى دار الإسلام ولا تصرف إليهم الواجبات .

ويقول الطبرى عند تفسير هذه الآية : لقد أمر الله بالأسراء أن يحسن إليهم وإن أسراهم يومئذ لأهل الشرك .

وروى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن أسماء سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن أمها المشركة حين جاءتها أأصلها ؟ فقال : لها « نعم صليها » :

وعنه عليه الصلاة والسلام « الجيران ثلاثة ، جار له ثلاثة حقوق ، حق الجوار وحق الرابة وحق الإسلام ، وجار له حقان : حق الجوار وحق الإسلام ، وجار له حق واحد ، حق الجوار ، وهو المشرك من أهل الكتاب » ؟

مُناقشات المؤتمر

حيوية وخصوبة وصدق

شهد «تحرير المجلة» جميع جلسات المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية، واستمع إلى ما قدم فيه من بحوث فقهية ممتازة، تعالج من الموضوعات ما يشغل بال المسلمين على اختلاف أجناسهم وبلادهم ومذاهبهم، وتابع ما دار حول هذه البحوث من مناقشات ومساجلات داخل جلسات المؤتمر وفى أروقته وردهاته، مناقشات تحمل فى ثناياها آراء تختلف حيناً، وتتفق أحيـــاناً، وهى - فى اتفاقها واختلافها - لا يستهدف من يبديها إلا وجه الحق فيما يقرره ويذهب إليه، ولا يبتغى إلا رضا الله وتحقيق الخير والصلاح للمسلمين فى حاضرهم ومستقبلهم، وبذلك يجد المسلمون سعة من كل ضيق، وفرجا من كل شدة، فى إطار الشريعة الواسع الرحيب، تلك الشريعة التى يحقق رصيدها الإلهى مقومات الارتقاء إلى حضارة إسلامية ذاتية لا شرقية ولا غربية

وقد كان هذا المؤتمر - كما قال السيد نائب رئيس الجمهورية - لقاء جادا يبتغى نصرة الحق، ويحلل واقع المسلمين وواقع مجتمعهم، قيمت فيه الأعمال، ودرست فيه التجارب وحسبت فيه إمكانية العمل.

وقد أدى أعضاؤه الأمانة التى حملوها فى أعناقهم أداء أكد صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان، وقطع على المرجفين سبيل التسلل إلى أمتنا الإسلامية بمستورد المبادئ، ومعسول النظريات. كما قال الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر فى كلمته التى افتتح بها جلسات المؤتمر، وإن مجمع البحوث الإسلامية وهو أمل المسلمين فى إنهاء هذه البلبلة الفكرية، وهذا الخلاف الفقهى الحاد بين علماء المسلمين فى مسائل الحياة ومشاكلها التى لم تعد تحتمل اللبس والغموض أو التردد والحيرة، والتى لم يكلفنا الله سبحانه الوصول فيها إلى رأى يقينى لا يحتمل الخطأ، بل يكفى فيها - كما شرع الله - الوصول إلى الرأى الذى يترجح صوابه وصدقه ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

وأسلم طريق لتعرف حكم الله هو الاجتهاد الجماعى الذى أوصى المؤتمر الأول باتباعه، لإمداد العالم الإسلامى - كما قال السيد الدكتور

أمين المجمع - بحاجاته الفكرية، وحل مشاكله الحيوية، على مستوى يرتفع عن الجمود الحرفي، ولا يهبط إلى التحلل من قيود التمسك بالنصوص الصريحة.

الجلسة الأولى:

كلمات حول أهمية المؤتمر ومشاكل المسلمين

وفي الجلسة الأولى تكلم السيد «أحمد ألنتو» زعيم المسلمين بالفيليبين فحيا المؤتمر والجمهورية العربية، وأبرز الأمل المعقود عليهما من ملايين المسلمين في الوحدة التي هي أساس الدين الإسلامي.

كما تحدث فضيلة الشيخ نجم الدين الواعظ من علماء السنة بالعراق عن الأحداث التي مرت بالعالم الإسلامي والتي تدعو إلى الحذر وإعداد العدة لمقاومة الاستعمار والمستعمرين، ونوه بدور الجمهورية العربية المتحدة في دعم الوحدة بما لها من مكانة دولية بوجود الأزهر فيها.

ثم ألقى فضيلة الشيخ «عبد الحميد السايح» رئيس محكمة الاستئناف الشرعية بالقدس كلمة قال فيها: إن العالم الإسلامي يعلق على المؤتمر أماني طيبة في معالجة المشاكل التي لم يرد نص عنها في مصادر الفقه الأولى، كما قدم اقتراحا بتوحيد المواسم والأعياد الإسلامية ليكون توحيدها مظهراً من مظاهر وحدة المسلمين وقوتهم.

وتحدث السيد «عبد القادر إسماعيل» من علماء الملايو - فقال فيما قال: - إن طريق مجمع البحوث الإسلامية هو طريق الوحدة.

ثم تحدث سماحة السيد محمد مهدي الخالصي من علماء الشيعة بالعراق فأبرز الأمور الآتية:

١ — أن فساد أوضاعنا العامة هو نتيجة لفساد أوضاعنا القانونية، ولهذا يقترح أن يسعى المؤتمر إلى إيجاد تشريع دستوري إسلامي يعرض على الحكومات الإسلامية لتأخذ به.

٢ — أن قضية فلسطين هي قضية المسلمين التي لا يمكن التسامح فيها، وأن العالم الإسلامي فوجئ بتصريحات «الرئيس بورقيبة»، ودعا إلى أن ينظر المسلمون دائما إلى أفعال قادتهم لا إلى أقوالهم.

وتكلم بعده السيد الحاج «سوري إبرهيم كانو» رئيس جمعية الأخوة الإسلامية في سيراليون فأشار إلى أنهم يأسفون لعدم استطاعتهم فهم اللغة العربية، بسبب إغلاق المستعمرين المدارس الإسلامية في بلادهم، وطالب بإمدادهم بمزيد من المدرسين لتعليم اللغة العربية والدين الإسلامي في المدارس التي تحاول الأهلية الإسلامية إنشاءها.

ثم تحدث الشيخ «علي عبد اللطيف الجسار» (الكويت) فأشاد بالجمهورية العربية ورئيسها.

ثم ألقى السيد «أبو بكر محمد عزيز» (سيلان) كلمة نوه فيها بالمساعدات التي كانت وما زالت تقدمها مصر من زمن بعيد لمسلمي سيلان وتحدث عن عدد من المشاكل التي يتعرض لها العالم الإسلامي اليوم.

وكانت الكلمة الأخيرة لفضيلة الشيخ «محمد حسن عواد» عضو المحكمة العليا الشرعية بغزة ، فنادى باتخاذ خطوات عملية لمقاومة الصهيونية ، وذلك بإعلان التعبئة الإسلامية العامة ضد الصهيونية ، واقترح أيضاً وضع قانون مدنى إسلامى تعمل به كل الشعوب الإسلامية .

الجلسة الثانية :

التأمين بين الحل والحرمة :

وفى الجلسة الثانية ألقى فضيلة الأستاذ الشيخ على الخفيف بحثه المنشور فى غير هذا المكان ، والذى انتهى فيه إلى أن « التأمين نوع من المعاملات المستحدثة التى تدعو إليها حاجة المسلمين والتى تخلو من الموانع الشرعية إذا نظر إلى حقيقتها فحسب » .

تعقيب للشيخ أبى زهرة :

وقد عقب عليه فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبى زهرة ، فأبدى موافقته على حل التأمين التعاونى ، والتأمين الحكومى الذى تتولاه الحكومات بالنسبة للعاملين بها .

أما التأمين الذى تقوم به الشركات ، فقد رأى فضيلته أن تكون النظرة إليه نظرة عامة لكل البلاد الإسلامية ، لا نظرة خاصة لشركات التأمين بعد تأميمها فى الجمهورية العربية المتحدة ، ثم بين أن تأميم هذه الشركات لا يخرجها عن كونها شركات خاصة لها شخصيتها المعنوية ، مما يجعل العقد قائماً بين شخصين ، وأن عقود التأمين التى تتولاها هذه الشركات لا تقوم على التعاون ، وإنما تقوم على استغلال الأموال ، وعلى القمار .

وقال فضيلته : إن معنى القمار موجود فى عقد التأمين ، وإن فيه أكلا لأموال الناس بالباطل ، ووضح معنى الغرر الموجود فى عقد التأمين ، كما بين أن قياس عقد التأمين على بعض العقود التى استند إليها فضيلة الشيخ على الخفيف قياس غير صحيح لانتفاء الغرر والجهالة فى العقود المقيس عليها ، ووجوده فى عقد التأمين .

وفى التأمين على الحياة ذكر فضيلته أن الرأى فيه يجب أن ينصب على الواقع المعمول به لا على مجرد النظريات والقواعد الكلية ، وقال : إن هذا الواقع يدعو إلى القول بحرمته لتضمنه شروطا ربوية لا تجدى معها أية محاولة لإخراجها عن معنى الربا ، ولهذا فإنه حرام مطلقاً .

وفى نهاية كلمته ناقش الدعوى القائلة بالحاجة إلى التأمين فقال : إنه يرى أن ما يدعو إلى التأمين أدخل فى باب الترفيه منه فى باب الحاجيات ، مستثنياً نوعين من التأمين : هما التأمين على البضائع ، والتأمين ضد الحوادث ، وبين أن الحاجة فيهما تدعو إلى نوع التأمين لا إلى هذه الصورة التى تقوم بها الشركات ،

ويمكن الاستغناء عنها بالتأمين التعاوني الذي تقوم به جمعيات تعاونية يكون لأعضائها الأموال بمغانمها ومغارمها كلها .

... والدكتور اللبان :

ثم عقب الأستاذ الدكتور : إبرهيم اللبان على كلمة فضيلة الشيخ أبي زهرة فقال : إن الحسن والقبح أمران ذاتيان يدركان بالفطرة السليمة ، وإن الشريعة الإسلامية لم تتجاهل هذه الفطرة التي يجب أن يحتكم إليها في فهم النصوص الشرعية دون الوقوف على حرفيتها ، وأشار إلى وجود مدرستين في الفكر الإسلامي تهتم إحداهما بالنظرة الغائية ، وتأخذ الثانية بظواهر النصوص ، وقال : إن مصلحة المسلمين تقتضي الأخذ بالنظرة الأولى ، كما كان يفعل عمر بن الخطاب وإن الفقه الإسلامي لن يجدد إلا بوحي هذه النظرة الغائية .

الجلسة الثالثة :

رد الدكتور عبد الحليم محمود :

وفي الجلسة الثالثة تحدث الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود ، فأتى على بحث التأمين ثم تكلم عن نشأة التأمين قائلا : إنه نشأ نتيجة للقلق الذي ساد أوربا حين أصبحت العلاقة بين الفرد والدولة علاقة مادية لا روح فيها بسبب انفصال الدولة عن الدين ، وهذه العلاقة المادية التي ينشأ بسببها القلق لا تحدث في مجتمع إسلامي يحتفظ بالصلة بين الدين والدولة ، فالحاكم في الإسلام مسئول عن كل فرد مسئولية روحية ومادية ، والفرد يعتمد اعتماداً كلياً على الدولة .

وقال : إن موقف الإسلام في المحدثات صريح ، فإما أن تكون موافقة للجو الإسلامي فهي مقبولة ، وإلا فهي مرفوضة ، ثم إن النظام الإسلامي نظام متكامل إذا انفصلت منه لبنة انهار النظام شيئاً فشيئاً .

ثم رد سيادته على ما ذكره الدكتور إبرهيم اللبان من أنه ينبغي أن نفهم الدين في ضوء الواقع والفطرة والعقل وقال : إن العكس هو ما يجب أن يكون ، فبالنسبة للواقع ينبغي أن يخضع للدين ، فنقر منه ما يقره الدين ، ونرفض ما يرفضه ، وبالنسبة للفطرة السليمة لا سبيل إلى معرفتها إلا من الدين ، لأننا جميعاً متأثرون ببيئات وتقاليد منذ الصغر . أما العقل فهو أيضاً محكوم بالدين لا حاكم له ، ولو كان العقل هو الحاكم لأصبح الدين بشريا لا إلهياً

وأنهى كلمته بقوله : يجب علينا أن نسلم القياد للدين فنندمج فيه كأفراد في مجتمع تكون الدولة فيه مسئولة عن الفرد فلا يحتاج إلى نظم خارجة عن الدين كالتأمين .

... وفضيلة الشيخ السايح :

وبعد هذا تكلم فضيلة الشيخ عبد الحميد السايح فذكر أن المناقشة تكاد تنحصر

فى التأمين على الحيـــاة ، ثم أبدى بعض الملاحظات على البحث منها .

١ — أن الباحث جعل قول رجال القانون أساساً فى البحث الفقهى .

٢ — أنه جعل نطاق بحثه الجمهورية العربية وكان ينبغى إطلاقه ليكون أوسع شمولا .

... وقال الأستاذ الدكتور عثمان خليل :

ثم تحدث الأستاذ الدكتور عثمان خليل فطالب بأن يتسع عمل المؤتمر لمثل هذه الأبحاث ، والآراء الجديدة دون أن يمنع من ذلك ما سبقها من آراء ، أو الأخذ بالأحوط قائلا : إن الأخذ بالأحوط إنما يكون فى أمور العقيدة لا فى الأمور الاجتماعية ما لم يكن هناك نص يخالف ذلك ، وذكر سيادته : أن التفرقة بين أنواع التأمين لا تؤثر فى محور البحث ، وأن الأساس الذى يجب أن يناقش هو جواز التــأمين شرعا أو عدم جوازه ، كذلك لا ينبغى التفرقة بين عقود التأمين بحسب الجهة التى تباشر عملية التأمين وتبعيتها لفرد أو جمعية أو حكومة ، وأن التأمين ينبغى أن نقره وفقاً لمقتضيات المجتمع دون أن نخالف الدين .

وجهة نظر الأستاذ إدريس الكتانى :

ثم تحدث الأستاذ « إدريس الكتانى » الأستاذ بمعهد العلوم السياسية بالمغرب ، فطالب بأن تكون قرارات المجمع فتاوى للدول الإسلامية فى شتى أنحاء العالم ، ثم أبدى وجهة نظره فى التأمين بأنه ليس أجراً ، وإنما التأمين جزء منه الضمان ، وجزء هو أجرة العاملين وجزء للأرباح ، وقال : إن التأمين ضرورة حضارية ، ولا توجد دولة تستطيع تعويض كل الخسائر ، لأنها تعويضات تفوق التصور .

... وكلمة الشيخ كاشف الغطاء :

ثم ألقيت كلمة سماحة الشيخ آية الله كاشف الغطاء من علماء الشيعة بالعراق ، فأشار إلى أن باب الاجتهاد لدى الشيعة الإمامية لم يغلق . وبين : أن التأمين بحاجة إلى البحث عن حقيقته ، وحاجة المجتمع إليه ، ثم إمكان تطبيقه على المعاملات الشرعية كالضمان والهبة والصلح أو شمول القواعد العامة له حتى يكون سائغاً شرعا .

ثم بين أن التأمين يشبه الضمان ، فإن الضمان هو إدخال المضمون فى عهدة الضامن والقيام بكافة ما يترتب على هذا الإدخال ، وإن الضمان منه ما يتوقف على فعل خارجى : كضمان اليد والتلف ، ومنه ما كان محتاجا فى حصوله إلى الإنشاء : كضمان الديون ، وهو لا إشكال فى صحته ، وقال : إن التأمين يدخل فى ضمان النفوس الحرة والأعيان التى بأيدى أصحابها دون أن تكون أمانة عندهم أو مغصوبة منهم أو نحو ذلك ، ولا مانع من شمول عمومات الضمان له .

وإذا لم يسلم أنه داخل فى الضمان فيمكن إدخاله فى الهبة المشروطة بتحمل الخسارة، وذلك يتصور بأن يهب المستأمن من ماله للشركة بشرط أن تتحمل الشركة الخسارة إن حدث حادث بالنفس أو المال، وهذا شرط جائز لا مانع منه.

وإذا لم يسلم ذلك أيضاً أمكن إدخاله فى الصلح المشروط حيث يتصالح الطرفان على أن يتحمل أحدهما، وهو الشركة، الخسارة التى تحل بالطرف الآخر بشرط أن يدفع الطرف الآخر مقداراً معيناً من المال، وإذا لم يسلم ذلك كله، واعتبر التأمين معاملة مستقلة؛ فإن القواعد العامة قاضية بصحته لقوله تعالى: «يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود»، ولقوله تعالى: «يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم»، فإن مقتضى عموم العقد وإطلاق التجارة - والشارع فى مقام البيان لا الإهمال ولا الإجمال - صحة عقد التأمين؛ فإنه عقد من العقود وتجارة من التجارات.

ثم بين أن هناك نوعاً من التأمين غير صحيح وهو الذى يشتمل على الفائدة الربوية، وذلك بأن تدفع الشركة المبلغ الذى دفعه طالب التأمين مع فوائده التى تجمعت عليه.

ونفى أن يكون فى التأمين مقامرة أو غرراً وجهالة مبطلة للعقد.

... فالأستاذ وفيق القصار:

ثم تحدث الأستاذ وفيق القصار عضو المجمع فذكر أن التأمين نشأ عن ضرورة اجتماعية توجب على المجتمع أن يسهم فى الأضرار التى تلحق بالمواطنين، والتى يعجز المواطن عن تأدية العوض عنها، ورأى أن التأمين عقد جماعى وأنه لا فرق بين التأمين فى الشركات والتأمين فى الجمعيات التعاونية.

... وسماحة الشيخ نديم الجسر:

ثم تحدث فضيلة الشيخ نديم الجسر عضو المجمع فقال: إن عقد التأمين يمكن قياسه على عقد الموالاة بما فيه من جهالة وغرر، إلا أنه ينبغى أن نضمن عدم وجود الربا فيه وإلا لحقته الحرمة، وضمان ذلك يكون بما يأتى:

١ - أن تتفق شركة التأمين مع المشتركين على استثمار أموالها وأموالهم فى السبل التجارية المباحة.

٢ - أن توزع الأرباح بنسبة الأسهم بين الشركاء.

٣ - أن يتحمل المساهمون الخسارة بنفس النسبة.

٤ - أن يخصص الشركاء قسماً من الأرباح ليؤدى منه الضمان عند وقوع الكارثة.

ثم قدم اقتراحاً آخر وهو بحث أمر التأمين وتطويره على أساس أحد مصارف الزكاة

وهو مصرف (الغارمين) وذلك بأن تفرض الدولة ضريبة أو إعانة تعوض منها الأضرار الناشئة لدافعي الضريبة والباقي يعود إلى بيت المال.

الجلسة الرابعة :

المعاملات المصرفية للأستاذ وفيق القصار :

وفي الجلسة الرابعة ألقى الأستاذ : وفيق القصار عضو المجمع بحثه عن : « المعاملات المصرفية » ، فنوه بأهمية الدور الذي تقوم به المصارف في الحياة الاقتصادية في العصر الحديث ، وأشار إلى ارتباط معاملاتنا المالية بالنظم المصرفية في أنحاء العالم ، مما يدفع إلى الأخذ بنظام الفائدة ، وإلا توقفت الحركة الاقتصادية ، وذكر أن العصر الحديث لا يوافق النظرية القديمة القائلة (بأن النقد لا يلد نقداً) واستند إلى بعض الفتاوى ، والآراء الفقهية ثم انتهى إلى أنه يرى أن الفائدة المحرمة هي ما ينصرف إلى ربا الجاهلية الذي كان المرابون يرهقون به ذوي الحاجة ، وليست هي التي تؤخذ عن ودائع المصارف بغرض صيانتها واستثمارها.

الجلسة الخامسة :

بحث الدكتور محمد عبد الله العربي :

وفي الجلسة الخامسة ألقى الأستاذ الدكتور محمد عبد الله العربي عضو المجمع بحثه عن « المعاملات المصرفية » تحدث فيه عن البديل الإسلامي للفائدة في القروض الإنتاجية والقروض الاستهلاكية ، وبين أفضلية هذا البديل ، وانتهى من بحثه إلى أنه في الإمكان تطهير المعاملات المصرفية من أوزار الربا ، وتطويرها تطويراً ينأى بها عن كل الانحرافات المهلكة وأنه يمكن حصر المعاملات المشوبة بالربا في نطاق المعاملات المصرفية الدولية فقط ، باعتبارها رخصة اضطرارية « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه ».

كلمة الأستاذ نديم الجسر :

ثم ألقى فضيلة الشيخ نديم الجسر عضو المجمع كلمة ، استعرض فيها آيات الربا وأشار إلى أنه كان موجوداً عند اليونان والرومان للقروض الإنتاجية ، والقروض الاستهلاكية ، وأنه كان مثاراً للنقد والشكوى من الجميع ، كما كان موجوداً عند العرب بنفس الصورتين ، فلا ريب في أن التحريم ينصب عليهما ، ولا سبيل إلى تأويل النصوص في ذلك ، واقترح سيادته أن تكون دراسة القضايا الاقتصادية عن طريق لجان مختلطة تشكل لهذا الغرض ، وتضم كبار رجال المال والاقتصاد إلى جانب الفقهاء.

... قال الشيخ أبو زهرة

وتحدث بعد ذلك فضيلة الشيخ محمد أبي زهرة عضو المجمع ، فأكد أنه يجب

إخضاع الاقتصاد لأحكام الدين، وعقب على ما اقترحه فضيلة الشيخ نديم الجسر من ضرورة إيجاد الحلول النهائية قائلا : إن من المفيد اتخاذ الحلول المبدئية لتوصلنا دراستها إلى الحلول النهائية، واستعرض فضيلته عدة صور للربا تؤكد حرمته بنوعيه، وربط بين الربا والاستعمار، باعتبار الربا أداة للاستعمار، واستدل على ذلك باحتلال مصر وناقش ما أورده الأستاذ القصار من حيث لجوء الفقهاء الأقدمين إلى الحيل للتخلص من بعض الأحكام، فعارض هذا القول، ورأى أنها كانت من قبيل المخارج الشرعية، فإنها لم تحل حراما قط.

... والشيخ الخالصي :

ثم تحدث فضيلة الشيخ محمد المهدي الخالصي من علماء العراق فنبه إلى خطورة الربا. بجميع صوره، وقرن بينه وبين عقد «القراض» من حيث إن الإقراض فيه عمل، أما الربا فيخلو منه. وقال : إن هناك رأيا لبعض الفقهاء بجواز التعامل بالربا مع الكافر عطاء وأخذا.

تحذير السيد النعيمي :

ثم تكلم السيد نعيم النعيمي من الجزائر فحذر من تغليب المصلحة إلى الحد الذي يكاد يخالف النص، وقال : إن المصلحة المرسلة لا ينبغي الأخذ بها إلا عند انعدام النص أو الإجماع أو القياس.

اقتراح الدكتور عبد الحليم محمود :

ثم تكلم الدكتور عبد الحليم محمود عضو المجمع فذكر أن مسألة الربا مسألة مقررة مفتى فيها فلا مجال فيها لرأى جديد، وما خالف ذلك فهو انحراف، ووافق سيادته على أن نأخذ من الحضارة الأوروبية جانبها النافع أما في الجانب الثقافي فلأنها تبتدىء من اللادينية فلا يصح الأخذ بها وعندنا ثقافتنا التي تبدأ من الإيمان.

واقترح سيادته سحب بحث الأستاذ القصار لما فيه من مخالفة للأسس التي قام عليها المجمع، ثم وقف الأستاذ القصار فدافع عن بحثه، وأكد أنه لم يخرج عن الحكم الإسلامي وإنما يريد مسايرة الأحكام لتطورات الزمن

الجلسة السادسة

تعليق فضيلة الشيخ القلهود :

وفي الجلسة السادسة علق فضيلة الشيخ عبد الرحمن القلهود على بحث «المعاملات المصرفية» للأستاذ وفيق القصار فأيد موقف المخالفين لهذا البحث، وذكر أنه لا يوافق على التفرقة بين : ربا الاستهلاك، وربا الاستغلال، لدخول كليهما تحت مدلول النص المحرم لهما، وذكر أنه ليس للعقل مجال أمام النص الصريح إلا في إقناع النفوس بأنه محقق للمصلحة.

ثم قال فضيلته : إن الذى يوقعنا فى الضرورة ليس طبيعة حكم الله ، وإنما هى ملابسات أخرى مصاحبة ناشئة عن عملنا ببعض هذه الأحكام ، وتركنا لبعضها الآخر أو عن أخذنا بنظم غريبة عن شريعتنا فى كثير من أحوالنا .

وقال : لو أننا حكمنا عقولنا فى غير مجالها الحقيقى وجعلنا من مهمتها الموازنة بين اتباع النص الصريح وما ندعى أنه ضرورة لنتج عن ذلك ألا حاجة لنا فى الشرائع السماوية ثم نادى بأن يكون لدى الجمع ما يمكنه من وضع تشريعات وأنظمة إسلامية متكاملة تغنى الأمة الإسلامية عن التورط فى هذه الضرورات التى لو استرسلنا فى إباحتها بتأويلات مخطئة لانتهينا إلى التحلل من كل محرم ، وطالب بالرد الحازم على مثل هذه المحاولات صيانة لأفكار المسلمين .

تحليل لسماحة كاشف الغطاء :

ثم ألقى السيد « كاظم الكفائى » كلمة سماحة آية الله كاشف الغطاء الذى قرر أن القول بصحة المعاملات الربوية إما أن يستند إلى :

١ - القول بضرورتها ، فتكون فى حكم ما يباح للضرورة ، ويستمر الحكم كذلك حتى يوجد البديل الإسلامى .

٢ — أو إدخالها فى باب المضاربة ، وهذا لا يمكن انطباقه على جميع أنواع هذه المعاملات .

٣ — أو ادعاء أن أدلة تحريم الربا لا تشمل هذا النوع ، وعهدة هذه الدعوى على مدعيها .

٤ — أو أن يقال : إن الأوراق النقدية لها مالية « جعلية » لأنها ليست لها منافع ذاتية يرغب فيها العقلاء من أجلها كالمأكولات والمشروبات والملبوسات ، وإنما اكتسبت المالية بواسطة الدولة ، نظراً لأن القيمة المالية المعينة لها ناشئة من جعل الحكومة ، استناداً إلى الاحتياطى المدخر لديها . وعلى هذا يظهر أنه لا يتحقق فيها الربا المحرم إلا إذا كانت المعاملة قرضاً ، أما إذا كانت بيعاً لم يكن فيها ربا ، وعلى هذا لو باع شخص خمسة جنيهات بستة جنيهات لمدة ثلاثة أشهر مثلا وقبل الآخر ذلك صحت المعاملة وتكون نظير ما لو باعه داراً أو عقاراً على أن يدفع ثمنه بعد ثلاثة أشهر فإن المعاملة صحيحة نافذة المفعول شرعا ، ورجا البنوك أن تجعل معاملاتها فى الأوراق معاملة بيعية لا قرضية حيث تصح شرعا فى الأولى دون الثانية .

اقتراح للسيد الكتانى :

ثم تكلم السيد « إدريس الكتانى » فذكر أن الإجماع يكاد ينعقد على أن المعاملات المصرفية معاملات ربوية من رأسها إلى قدمها وأن القول بحلها مرفوض من عامة المسلمين

فضلا عن جمهرة علمائهم ، واقترح أن يعين المجمع لجنة من الخبراء والماليين تقوم بإعداد قانون كامل تقوم عليه مصارفنا الإسلامية فى شكل تجارى لا ربوى ، فإذا ما أقر كانت لنا الحجة فى إيجابه على المسلمين شعوبا وحكومات ، ثم نوه بما لمسه من علماء مصر دائما من غيرة على الدين وثبات فى حراسة الإسلام ضد القوى المناوئة له .

كلمة مولانا مفتى محمود

ثم تحدث السيد « مولانا مفتى محمود » ـ الباكستان ـ فذكر أنه يجب تطهير المؤتمر من مثل هذه البحوث المخالفة للنصوص ، حرصا على أهداف المجمع ، وعلى عقيدة المسلمين ، وشكر للدكتور العربى محاولته إيجاد بديل إسلامى فى المعاملات المصرفية يخلو من الربا .

فالسيد غلام غوث :

وتكلم السيد «غلام غوث» ـ الباكستان ـ فقرر وجوب التسوية فى الحكم الشرعى بين الربا الاستهلاكى والاستغلال ، وقال : وأيهما فى الحرمة سواء ، كما أشار إلى أن مستحدثات الحضارة يعمل بها ـ من غير بأس ـ فى الأمور الدنيوية لا فى مسلمات الدين ، ونوه بمنزلة مصر والأزهر ومسئولية الكلمة فى هذا المؤتمر .

رأى الدكتور عثمان خليل

ثم تكلم الدكتور عثمان خليل ، فذكر أن الأستاذ القصار لم ينته إلى الربا ، وإنما انتهى إلى دخوله فى حدود الضرورة ، ثم أبدى بعض الملاحظات على ما جاء فى بحث الدكتور العربى ، فذكر أن قيام البنوك بعمليات الاستثمار كبديل للربا ، لا يتأتى مع وظيفتها أو طاقاتها أو علاقاتها بالبنوك العالمية ، كما ذكر أن الاقتراح القائل بقيام صندوق الزكاة بعمليات الإقراض الاستهلاكى ، يخرج بالزكاة عن مصارفها الشرعية وعن طاقتها .

كلمة الحاج بشير أورجستو :

ثم تحدث السيد : « الحاج بشير أرجستو » ـ نيجيريا ـ فأكد ضرورة الرجوع إلى النصوص القرآنية التى يفسر بعضها بعضا ، وأن يكون مجال العقل مفتوحا للبحث فى هذه النصوص ، لأن ذلك هو ما دعا إليه القرآن نفسه .

والسيد عبد الودود .

كما تكلم السيد : محمـــد سالم عبد الودود «موريتانيا» ، فرأى أن الضرورة فى موضوعى : التأمين والمعاملات المصرفية إنما تقدر بقدرها ، وأن الاضطرار يقتضينا رفع الحرج لا الإباحة ، وذكر أن تحريم الحلال وتحليل الحرام سواء فى الحرمة ، ونادى برسم طريق مستقيم لاقتصاد إسلامى تهيأ النفوس لتقبـــله ، بكل وسائل التربية والإرشاد والإعلام .

اقتراح للشيخ السايح :

ثم تكلم فضيلة الشيخ «عبدالحميدالسايح» (الأردن) فأشار إلى أن بحث الأستاذ القصار فيه جهد قانوني ، وأن بحث الدكتور العربي فيه محاولة لإيجاد مخرج ذي صبغة شرعية ، واعترض على إعطاء المقترضين من صندوق الزكاة ، لأن لها مصارف محددة كما تساءل : هل يصح إيداع حسابات جارية في البنوك مع معرفتنا بتعاملها الربوي ؟

ثم تكلم عن رأي ابن القيم وتقسيمه الربا إلى : جلي وخفي ، وأن الأول محرم لذاته لا يباح إلا للضرورة ، والثاني محرم لغيره يزول عنه التحريم للحاجة وتساءل هل يمكن اعتبار المعاملات المصرفية من النوع الثاني ؟

واقترح إلغاء الفائدة والتعويض عنها برسم مقرر نظير تكاليف المصرف .

الجلسة السابعة :

كلمة الشيخ أبي زهرة :

وفي الجلسة السابعة تحدث فضيلة الشيخ محمد أبي زهرة عضو المجمع ، فتساءل عن ماهية الضرورة التي يقال : إنها تبيح الربا ، وذهب إلى أنه لا يجد مثل هذه الضرورة ، وقرر أن مصرف الغارمين في الزكاة يعالج مشكلة الاقتراض بدون فائدة ، ورد بذلك على القول بأن الزكاة لا يمكن الإقراض منها على أساس أن لها مصارف معينة .

وذكر أن تنفيذ المضاربة في المصارف يمكن بنفس الطريقة المتبعة في المصارف حالياً ، وضرب مثلا لذلك نجاح المضاربة في مصرف مدينة «ميت غمر» بالجمهورية العربية المتحدة ، وتحقيقها لفوائد كثيرة للطرفين ، وذكر أن في ذلك رداً عملياً على كل من يستصعب الحلال ويستسهل الحرام .

وأورد تقسيما للربا ذكره أبو بكر الرازي ، الرازي ، وهو أن الربا قسمان : ربا ديون وربا بيوع ، وأن ربا البيوع نوعان : ربا الفضل ، وهو البيع بالزيادة ، وربا النسيئة وهو تأجيل بعض الأموال الربوية .

وقرر فضيلته : أن الربا هو الزيادة ، وأن قليله وكثيره حرام لقوله تعالى : «وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون» ، وقال : «إن البنوك إذا كانت قد عمرت بيوتا فإنها قد خربت بيوتا أخرى كثيرة ، فالبنوك ليست مصلحة دائما.

كلمة الشيخ اطفيش :

تحدث فضيلة الشيخ إبراهيم أطفيش من عمان فرأى اعتبار البنوك مؤسسات تجارية يباح التعامل معها على أساس اعتبار النقود بضاعة تباع وتشترى ، فالعملة الورقية بضاعة ، والنقد الذهبي يكون ثمناً لهذه البضاعة ، وهذا مباح يندرج تحت قوله عليه الصلاة والسلام : «إذا اختلف الجنسان فبيعوا كيف شئتم» .

فالسيد منصور عبد العزيز :

ثم تكلم السيد منصور عبد العزيز وزير العدل فى الجمهورية اليمنية فأوضح أن الربا منه ما هو جلى : وهو حرام بنص القرآن ، ومنه ما هو خفى : ينبغى بحثه ودرسه ، وقال : إن المعاملات المصرفية فيها جوانب كبيرة محرمة وفيها جوانب لاشك فى حلها ، ثم أيد اقتراح مندوب المغرب بتكوين لجنة من رجال الفقه والقانون والاقتصاد تقوم بتقديم مشروع قانون لتشكيل المؤسسة الإسلامية الاقتصادية ، يعرض فى المؤتمر الثالث فى العام القادم .

فبابا خانوف :

ثم تحدث السيد بابا خانوف (الاتحاد السوفييتى) فحمل إلى المؤتمر وإلى الأزهر وإلى السيد الرئيس تحية وتهنئة مسلمى بلاده بانعقاد المؤتمر ، وأشاد بسماحة الإسلام التى كانت سبباً فى علو شأنه وانتشاره .

مناقشة القصار للاعتراضات :

ثم تكلم الأستاذ وفيق القصار فناقش الاعتراضات التى وجهت إلى بحثه فى المعاملات المصرفية وأعاد شرح وجهة نظره .

ثم تحدث الدكتور محمد عبد الله العربى فذكر أنه لم يطالب بإلغاء المصارف ؛ لأنها ضرورية حيوية ، وأنه أجاز إيداع الأموال فى البنوك ، ولكنه دعا إلى تطهير المعاملات المصرفية مما يشوبها من ربا على ضوء النظام الإسلامى ، وهذا هو ما دعاه إلى النظر فى اقتراح بديل إسلامى للنظام المصرفى القائم ، وإذا ما تقرر الأخذ به كان لا بد أن يسبق ذلك فترة انتقالية .

الجلسة الثامنة :

وفى الجلسة الثامنة ألقى الدكتور محمد مهدى علام بحثه عن الصدقة فى الإسلام ، بين فيه أن الصدقة ليست نظاما دائما فى المجتمع الإسلامى يعتمد على مواردها فريق من محترفى السؤال ، وإنما هى علاج إسعافى للطوارىء الاقتصادية التى لا يخلو منها مجتمع .

الدعوة إلى الإسلام :

ثم تحدث الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر ورئيس المؤتمر فقال :

إن الله أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم لقام بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة زهاء ثلاثة عشر عاما بمكة ، ولما اشتد إيذاء أهل مكة له هاجر إلى المدينة ، وجاهد فى سبيل الله حق جهاده ، ولما بدأه المشركون بالعداء أذن له بالقتال فقاتلهم ، وانتصر عليهم ، وانتهى الأمر بفتح مكة للمسلمين ، وإقامة دين الله ، وتحطيم آثار الشرك .

وبعد هذا ترك الرسول عليه الصلاة والسلام الدنيا ولحق بربه بعد أن أدى الرسالة ، وأتم

ما كلفه الله به ، وترك لنا كتاب الله وسنة رسوله مبينة واضحة ، تقوم على بيان حدود الله وأحكامه ، وأوجب علينا الاستمرار فى الدعوة إلى الله ، ثم توالت على المسلمين عصور كثيرة ، ونحن الآن إذا لم نجعل الدعوة إلى الله فى مقدمة ما نقوم به نكون مقصرين.

واقترح فضيلته أن يتخذ المؤتمر خطوات إيجابية لوضع الدعوة إلى الإسلام موضع التنفيذ ، وأشار إلى أنه أعد مشروع توصية فى هذا الشأن ، وقال : إنه يعتقد أن المشروع يحتاج إلى المال ، فإذا أهبنا بالحكومات الإسلامية لتعضده ، فنجد استجابة طيبة بمشيئة الله ، وستتاح لنا ـ نحن المسلمين ـ فرصة التوسع فى نشر الدعوة لدى من لم تبلغهم وخاصة فى إفريقيا وآسيا ، وكذلك فرصة توضيح مفاهيم الإسلام بين من وصلتهم تعاليم الدين الإسلامى محرفة .

وقد رحب المؤتمر باقتراح فضيلة الإمام الأكبر ، وتكلم الشيخ : على عبد الرحمن والدكتور عثمان خليل والدكتور محمد عبدالله ماضى وكيل الأزهر ، والدكتور إبرهيم اللبان وفضيلة الشيخ عبد الحميد السايح ، والسيد وان عبدالقادر (الملايزيا) ، والسيد الجسر ، والدكتور شعبان نيكوتو (أوغندا) والشيخ نديم الجسر ، والدكتور عبد الحليم محمود ، والسيد وسادى زروق ، فى تأييد الاقتراح الذى وافق المؤتمر عليه .

الجلسة التاسعة :

وفى الجلسة التاسعة ألقى فضيلة الشيخ محمد أبى زهرة بحثه فى (الزكاة) تكلم فيه عن زكاة الأوراق النقدية والأسهم والسندات وأدوات الصناعة والعمائر .

الجلسة العاشرة :

وفى الجلسة العاشرة ألقى الأستاذ الدكتور إسحاق موسى الحسينى بحثه فى (فلسطين وإسرائيل) أوضح فيه أن العالم الإسلامى بملايينه الخمسمائة يستطيع أن ينقذ فلسطين بالجهاد فى سبيل الله لاسترجاع الأرض المقدسة .

ثم توالت كلمات الأعضاء فى بيان خطر إسرائيل والصهيونية باعتبارها حركة استعمارية وعدوانية متعصبة .

الجلسة الختامية :

وفى الجلسة الختامية ألقى السيد كاظم الكفائى كلمة لسماحة آية الله كاشف الغطاء اقترح فيها أن يصدر المؤتمر توصيته بالعمل على إزالة الخصومات التى تمزق شمل المسلمين .

ثم تحدث بعض الأعضاء عن أملهم فى أن يحقق المؤتمر الآمال المعقودة عليه من جميع المسلمين.

وفى النهاية أصدر المؤتمر توصياته المنشورة فى غير هذا المكان .

وبعد فهذه لمحات عما دار فى المؤتمر الثانى لمجمع البحوث من مناقشات دارت حول ما أبدى فيه من آراء تستحق الشكر والتقدير والله ولى التوفيق ؟

السيد : محمد سالم بن محمد

- زار الجمهورية العربية المتحدة مرتين ، للاشتراك فى مؤتمرى مجمع البحوث الإسلامية ممثلا لجمهورية موريتانيا
- ذو اطلاع واسع فى الفقه وعلوم الإسلام ، وله أثر بارز فى مساعدة الحركة الوطنية وتوعية الشباب .
- يرى أن الشريعة الإسلامية فيها ما يغنى عن القوانين المستوردة ، سأله الصحفيون فى قطاع غزة عن مأساة فلسطين فقال : لقد أخذناها بالإسلام وسنستردها بالإسلام .

بعيداً عن جلسات المؤتمر

بقلم الأستاذ محمد الشاذلي البدري

خارج حدود جدول الأعمال ، بعيداً عن برامج الدراسات والمناقشات ، في الأفنية والردهات ، في الأبهاء والخلوات في حفلات التكريم ومجالس الترويح . في هذه الأماكن كلها تجلت مشكلات وقضايا كانت القاسم المشترك في كل حديث شغل مجالس أعضاء المؤتمر ، فلم تنفك هذه القضايا تلازمهم وتلاحقهم ، ولم ينفكوا عرضتا بعونها ويشدون أنفسهم إليها حتى كاد جدول الأعمال وبرنامج الدراسات والمناقشات يكون ليل الدورة ونهارها ، ويستوعب كل دقيقة فيها داخل القاعة وخارجها ، وتلك ظاهرة لها دلالتها ، وهي ظاهرة تستوجب التسجيل والتقدير ، لما توحي به من إذكاء دوافع العمل وتنمية الإحساس المشترك ولما تبشر به من فتح آفاق الأمل وبشائر الخير .

فليس المسلمون في حاضرهم بحاجة إلى شيء أولى من أن تكون قضاياهم - على اختلاف الديار وتباعد الأقطار - قضية الأمة الواحدة فلا يقال : اجتمع نيف وثلاثون دولة في القاهرة ، وإنما يقال : « اجتمعت الأمة الإسلامية في القاهرة » ويومها لا يقال ، : هذه قضية فلسطين وتلك مشكلة جنوب أفريقيا وإنما يقال : تلك قضية الإسلام والمسلمين في وطن الإسلام والمسلمين .

هذا المعنى الإسلامي الكريم والأمل العظيم يؤمن به كل عضو ضمه مؤتمر مجمع البحوث إيمانا أذكى روح التحمس له ، وولد طاقات التفكر فيه . وإن مطلع ذلك الصبح ليؤذن بإسفار ، فإن خيوط الفجر بدت في افق مؤتمر العلماء هذا العام .

فلقد عاش أعضاء المؤتمر مأساة الأرض السلبية ، عاشوها على صعيد السياسة العربية من خلال تصريحات حاقدة تنفث سم الخيانة والغدر ، ومناورات أئمة يمسك بخيوطها أعداء الإسلام والمسلمين .

وعاشوها على صعيد المأساة نفسها وسط الخيام المضروبة والمعسكرات المنصوبة ، بين أشباح من مخلفات الفقر والجوع ، وعرايا من بقايا التشرد والضياع

بين أسانيد المأساة عاشوا فرأى فيها كل مسلم مأساته ، فالقوى التي تساند التفرقة

العنصرية فى أفريقيا هى بعينها سند الصهيونية فى جريمتها ، والقوى التى ترصد ملايين الجنيهات والدولارات للتبشير وحرب الإسلام وتضليل الفطرة هى نفسها القوى التى تمكن لإسرائيل بالهبات والعطايا وبسط يد السخاء ، والقوى التى استعمرت بلاد المسلمين ، ولا تزال تستعمر بعضها ، واستنزفت ثرواتهم وخيراتهم ، وحرمتهم الحياة الكريمة ، هى بذاتها القوى التى تقف خلف إسرائيل ، وتصنع منها قناعا زائفاً يخفى وجه الاستعمار الحديث ، بل الخبيث .

لذلك فإن مشكلة فلسطين مشكلة كل مسلم ، ومأساتها مأساة كل مسلم ، وقضيتها قضية المسلمين جميعاً ، لأنهم فى الحقيقة عاشوا جزءاً منها فى أوطانهم أو يعيشون ، وعانوا مرارتها ولا يزالون ، ولهذا فهم يرون أن قضية فلسطين ليست قضية عروبة بحكم الموقع واللسان ، وإنما هى قضية كل المسلمين بحكم العقيدة والدين ، فالدفاع عنها واجب شرعى ، والجهاد فى سبيلها فرض حتمى ، والموت فى ساحتها شهادة .

تلك حقيقة أكدها علماء المسلمين ، وسبق أن قررها المؤتمر الأول فى الفترة الثانية من دورة انعقاده فى أول قرار له . قال :

« إن الاستعمار وأعوانه ـ سواء فى البلاد التى لم تزل ترزح تحت نيره ، أو فى البلاد التى جلا عنها مخلفاً آثاره ـ هو الخطر الأول الذى يجب على المسلمين أفراداً وجماعات ودولا أن يجاهدوه بالمقاومة الجادة المثمرة حتى يتم تحرير المسلم قلباً وضميراً ، ووطناً ومصرانة . وأن كل تقصير فى مقاومة ذلك العدو هو عصيان لله تعالى وإثم كبير ، لأنه يقوى يد العدو على إنزال الأذى بالملايين من المسلمين ؛ فهو جهاد متعلق بحق الله وحق الملايين لا بذات الإثم .

وإن الصهيونية التى يحاول الاستعمار ـ بعد أن تحطمت أسبابه الظاهرة ـ أن يخلف بها أهدافه تحت ستار جديد ، هى داء خبيث يستهدف به الاستعمار أن يتمكن بآثاره فى حياة المسلمين ، وتستمر سيطرته عليهم ، ومن ثمة كانت مجاهدتها فرضاً كذلك على كل مسلم حيثما كان ، وكل تخلف عن ذلك عصيان لله تعالى وإثم كبير » .

كان هذا أول قرار اتخذه مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية فى أول دوراته ، وليس يكفى أن يتخذ المؤتمر قرارات مهما يكن مدلولها ومفهومها حتى يجعلها أعضاء المؤتمر أنفسهم خطة عمل فى مجتمعاتهم يبشرون بها ويدعون إليها ويغرسون الإيمان بها فى نفوس الجماهير ، لتكون ذات فعالية وتأثير فى منهج الحكومات وسلوكهم ، وليصبح بالتالى زمام الأمور ودفة الحكم لدين الله ، لا للهوى والشهوة .

وهذا ميدان العمل لأعضاء المؤتمر فى أوطانهم ومجتمعاتهم بالنسبة لقضية فلسطين

بعض أعضاء المؤتمر مع اللاجئين أثناء زيارتهم لمدينة غزة

ومشكلة العائدين ، فهى فى مفهومهم ليست قضية جغرافية : أرض ومنطق لسان ، وإنما هى قضية عقيدة ودين ، يتحتم البعد بها عن مكاتب الحكومات ودواوين الحكم لتكون بين أيدى الجماهير المسلمة ، لأن احتكار الحكام لها يربط مصيرها بمصيرهم ، ويخضعها لمؤثرات الترغيب والترهيب ، والإقدام و لإحجام ، ويعرضها لمساومات الكسب والخسارة . ولكنها بين أيدى الجماهير المسلمة فى حمى الإيمان الذى لا يخضع لقانون العرض والطلب ، المحكوم بجلال الحق وفدائية العقيدة .

بهذه الروح اتسم فهم علماء المسلمين لهذه المأساة التى يعيشها المسلمون فى حاضرهم . ووضعوا منهج المتابعة الجادة لقرارات المؤتمر.

وإذا صدق فهمى لهذه الروح وإحساسى بها - وأرجو الله أن يصدق فهمى وإحساسى - فسيكون التجمع الإسلامى حول مشكلة فلسطين منطلقا إلى وحدة إسلامية يتجدد فى إطارها مجد الإسلام وعز المسلمين ، وليس غريباً أن ينسلخ من ظلام هذه المأساة نهار يرى فيه المسلمون أنفسهم ، ويجد العالم الإسلامى فيه نفسه .

وإذا كانت مشكلة العائدين قد استأثرت بالجانب الكبير من الاهتمام فإن قضية الإعلان والإعلام كانت محور أحاديث كثيرة واتجاهات متعددة ، فللصحافة قراؤها وجمهوره ، وللإذاعة محبوها وهواتها ، وللتلفزيون عشاقه ورواده ولهذه جميعاً تأثيرها المباشر وذيوعها الواسع فى سهولة ويسر ، وهى بحكم رسالتها يجب أن يكون لها دور فعال فى التعريف بمجمع البحوث والتبشير برسالته ، والإعلان عن أهدافه ، والمجمع ومؤتمره نصيب ، ويتحتم أن يكون له نصيب من أقلام الكتاب وأنهار الصحف وموضوعات الأحاديث وأفلام الصور فى كل بلد من بلاد الإسلام وفى كل مجتمع من مجتمعات المسلمين ، وتحديد مدى إسهام أجهزة الإعلام فى التعريف بهذه المؤسسة الإسلامية رهن بدراسة القائمين على هذه الأجهزة لرسالة المجمع واقتناعهم بها وإيمانهم بأهدافها ، وبغير الدراسة والاقتناع والإيمان فإن جهود أجهزة الإعلام تجاه المجمع ستظل مقصورة على الخبر القصير ، والموضوع الوصفى ، والجانب الشكلى ، وبالتالى يظل جوهر التنظيم ومقاصده ، وأهدافه ووسائله حبيسة المكاتب وقاعات الاجتماع ، وهذا قصور فى لرسالة وتقصير فى خدمة الأهداف والمقاصد النبيلة لا يحمل تبعته الإعلاميون وحدهم - على الرغم من أن طبيعة عملهم هى البحث والكشف والتفتيش والمتابعة - وإنما يشاركهم هذه التبعة علماء المسلمين ومفكروهم ؛ لأن واجبهم يفرض عليهم أن يسهموا فى الإعلام بإصدار النشرات والمطبوعات

والمجلات الإسلامية ، وأن يعقدوا الندوات والمؤتمرات المحلية ليصلوا بين الجمع والرأى العام الإسلامى ، وليحملوا لجماهير المسلمين - بين الحين والحين - زاداً من الثقافة الإسلامية وفقه الكتاب وهدى السنة .

ولا أحسب حديثهم عن الإعلام بعيداً عن مجلة الأزهر ، وقد كانت موضع تساؤل وتقدير معاً . فالمسلمون فى شتى الأرجاء يتلهفون عليها ، ويتشوقون إليها ، ويتلمسون بين صفحاتها المحدودة ، ومواقيت صدورها البعيدة وإخراجها المتواضع . برغم ذلك كله يتلمسون بين صفحاتها بغيتهم من الثقافة الإسلامية وشريعة الإسلام . ولو قدر لهذه المجلة أن تجد حظها من الرعاية والعناية وبسطة المال لملأت فراغاً كبيراً فى حياة المسلمين لوفرة الكاتبين وكثرة الباحثين ورغبة القارئين ... ومن حولها مجلات إسلامية أخرى فى مجتمعات إسلامية تنبسط لها الأيدى ويجرى على جوانبها الذهب حيث لا كاتبين ولا باحثين ... هكذا قالوا أو قال بعضهم .

وتلك قضية جديرة بالنظر حقيقة بالبحث ، وعسى أن تجد من حماسة الأعضاء سبيلا إلى التنفيذ ، فيعود المؤتمرون فى عامهم القابل يحملون بواكير ما أصدروا من نشرات ومجلات إسلامية تكون منابر علمية لمجمع البحوث يتحقق بها تكوين رأى عام إسلامى موصول الأسباب بعقيدته ودينه ، ومثله ومبادئه يحمى كل اتجاه برضاء الدين ويطمئن إلى اليقين ، ويقف كالطود الراسخ فى مهب تيارات الإلحاد والانحراف ...

وبعيداً عن القاعة تحدث الأعضاء عن مشكلة التراث الإسلامى والكتاب الإسلامى وهم يستعرضون مشكلات المجتمع الإسلامى ، فإن ذخيرة عظيمة وثروة علمية كبيرة لا تزال حبيسة المخطوطات سجينة ، ترقب يد الخلاص فى كل حين لتأخذ مكانها إلى عقول المسلمين وأفكارهم ، ولتضاف إلى سجل الثقافة الإسلامية الأصيلة المتداولة ، ولتحتل مركزها بين فيض المؤلفات التى سخرت لها المطابع ودور النشر على ما فيها من سطحية وغثاثة .. وليست هذه المخطوطات وحدها ترقب نظرة جادة إليها ، ولكن المؤلفات الكبيرة والموسوعات العظيمة ترقب كذلك إعادة نشرها وتيسير الحصول عليها لرواد الثقافة الإسلامية . وإعداد العلماء المستقبل .

والنظرة العملية لهذه المشكلة تتركز فى تعاون العالم الإسلامى على إنشاء مؤسسة إسلامية للطباعة والنشر وخدمة الكتاب الإسلامى والموسوعات العلمية ، فإن الجهود الفردية لا تنهض بهذه الرسالة ، والرغبة فى الربح والثراء أقوى عائق لخدمة هذه الفكرة ، وإذا كانت الجمهورية العربية المتحدة تولى إحياء التراث عناية واهتماما وترصد لخدمته مبالغ طائلة من ميزانيتها ، فإن تضافر

السيد : أحمد النتو

● شخصية إسلامية ذات نشاط عظيم ، وجهود صادقة في خدمة الإسلام ونهضة المسلمين في بلاده « الفلبين » الذين يبلغ عددهم ثلاثة ملايين مسلم يمثلون ١٠ ٪ من مجموع السكان .

● يمتاز بالاطلاع الوافر في العلوم الإسلامية ، والثقافة العسكرية ، والتخصص في العلوم القانونية .

● يرى أن قضية فلسطين قضية المسلمين جميعا ، وقد كان له الفضل الأكبر يوم كان عضواً بمجلس الشيوخ الفلبيني في وقف الاتفاق التجاري بين الفلبين وإسرائيل .

الجهود وتعاون الدول الإسلامية فى تأسيس دار للنشر على مستوى عالمى يضاعف نجاح الفكرة ويعين على الإفادة منها، وبخاصة فى مجال التحقيق العلمى وأمانة النشر، فإذا علمنا أن بعض الدول الإسلامية تعاقد مع اليابان على طبع خمسة ملايين نسخة من المصحف تبين مدى الخطورة التى يمكن أن تلحق بتراثنا إذا لم نتداركه بعمل مشترك يدرأ الخطر ويقضى على مواطن الريب ...

ويوم تتجمع هذه الجهود المتفرقة والطاقات المبددة والأموال الضائعة فإن خيراً كثيراً ينتظر هذه الأمة فى دينها ودنياها. وأحسب أننا واصلون بإذن الله إلى هذا المستوى، فإن ما سمعته لم يكن فكرة باهتة أو اقتراحا عارضا، وإنما هذه أفكار ومقترحات يرى من خلالها الأعضاء حقيقة رسالتهم، كما يرون فى ضوئها مكانهم من ميدان العمل، ولهذا سيكونون رسل هذه الأفكار ودعاتها فى مجتمعاتهم ولدى حكوماتهم يبشرون بها، ويدعون إليها، ويجمعون المسلمين حولها.

ولعل تفكير الأعضاء فى وسائل النجاح دعاهم إلى الحديث عن المدعوين فى المؤتمر فلقد رأيتهم أو رأيت بعضهم يقلب صفحات من بيان بأسماء الذين وجهت إليهم الدعوة، ويتصفح وجوه الذين حضروا، ثم سمعتهم أو سمعت بعضهم يقول: هؤلاء أكثر الذين شاركوا فى أعمال المؤتمر الأول، وإن من الخير أن يتوسع الأزهر فى الدعوة إلى حضور مؤتمرات المجمع، فلا تزال بلاد إسلامية بعيدة عن التمثيل فيه أو المشاركة فى أعماله؛ ولعل ذلك راجع إلى حداثة تكوينه وقصور إمكانياته شأن كل عمل فى بدايته ونشأته، إلا أن ذلك التوسع يجب أن يكون نصب العين وموضع الاعتبار، وإلى أن يشتد ساعد المجمع ويقوى عوده، فإن من الممكن أن تتجدد الوجوه من دورة إلى دورة، حتى يتسع تشكيل القاعدة العريضة للمؤتمر، وتتهيأ فرص المشاركة أمام أكبر عدد ممكن من علماء المسلمين ومفكريهم.

وإذا كان من غير المستطاع أن يستضيف مجمع البحوث فى حاضره كل مدعو فإن من الممكن أن يفتح الباب - خارج نطاق الدعوة أمام كل راغب، ويصير تشكيل المؤتمر إلى أعضاء لهم حق المشاركة فى مناقشاته، وآخرين لهم حق حضور الجلسات، يباح لهم تسجيل تعليقاتهم على البحوث والمناقشات لتكون موضع الدراسة والنظر فى اللجان الفرعية لمجلس المجمع، فما أكثر المعنيين بالشئون الإسلامية وقضايا المسلمين، والذين وقفوا أنفسهم على النظر فى فقه الكتاب والسنة ... وما أحوجنا إلى أفكار هؤلاء الذين حجبوا أنفسهم عن الأضواء ...

الأستاذ الأكبر شيخ الازهر فى الاجتماع الذى رأسه سيادته مع أعضاء المجمع للقرارات والتوصيات

توصيات الفترة الأولى[1]

اجتمع مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية فى دورته الثانية فكان اجتماعه بداية لمرحلة جديدة لرسالته التى تعنى بنشر المبادىء والثقافة الإسلامية ، وقد انعقد المؤتمر على فترتين : الأولى : من يوم الخميس ١٢ من المحرم سنة ١٣٨٥ - الموافق ١٣ من مايو سنة ١٩٦٥ .
وكانت فترة علنية انتهى المؤتمر فيها إلى التوصيات التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم :

إن المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية المنعقد بالقاهرة فى شهر المحرم سنة ١٣٨٥ هـ الموافق مايو سنة ١٩٦٥م ، والذى يضم ممثلين ومندوبين من خمس وثلاثين دولة إسلامية .

ليتوجه بعظيم الشكر والتقدير للسيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة على تفضله برعاية المؤتمر وإيفاد السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية نيابة عنه لافتتاح دورة أعماله الثانية ، داعين الله أن يحفظه ذخراً للإسلام والمسلمين .

كما يتوجه المؤتمر بأجزل الشكر لحكومة الجمهورية العربية المتحدة وشعبها الكريم على ما حبوهم به من كرم الضيافة وحسن اللقاء والترحيب .

ويوصى بما يلى :

أولا : أن تقف الدول الإسلامية صفا واحدا فى كل ما يمس مصالح المسلمين فى حياتهم الدينية والدنيوية ، وأن تحكم تعاليم الإسلام فى حياتها ، وفيما عسى أن يشجر بين المسلمين من خلاف حتى تظل الأخوة الإسلامية قائمة وفعالة .

ثانيا :

(ا) يوجب الإسراع فى تحديد الوسائل العملية لنشر الإسلام والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة فى مختلف الدول على كافة المستويات ، وبحث طريقة تمويل هذه الوسائل حتى يمضى مجمع البحوث الإسلامية فى مهمته العظمى التى من أهم أهدافها حمل أمانة دعوة الناس كافة إلى الإسلام .

(ب) تفويض الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر فى تأليف اللجان التى يوكل إليها بحث هذه المهمة .

(ج) أن تؤيد جميع الحكومات الإسلامية والمسلمين هذه المهمة وأن يمدوها بالأموال والإمكانيات التى تكفل لها النجاح .

ثالثا : يرى المؤتمر أن قضية فلسطين هى قضية المسلمين جميعا لارتباطها الوثيق بدينهم وتاريخهم وتراثهم ، وأنه لن يهدأ للمسلمين بال حتى تعود الأرض المقدسة إلى أهلها وأن فى وجود إسرائيل فى فلسطين خطرا يهدد المسجد الأقصى وطريق الحرمين الشريفين والسبيل إلى قبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، مما يجعل تحرير فلسطين وأمنها لازما لأمن الديار المقدسة ولأداء الشعائر الدينية لجميع المسلمين فى المشارق والمغارب .

ولذلك كان الدفاع عن فلسطين والعمل على تحريرها فرضا على كل مسلم ، وكان القعود عنه إثم كبير ، ومن ثم يوصى المؤتمر فى شأن هذه القضية بما يلى :

١ — أن يولى المسلمون جميعا قضية فلسطين كامل عنايتهم وجهودهم حتى يتم تحرير هذا الوطن العربى الإسلامى المغتصب تحريرا كاملا .

٢ — أن تسحب الدول الإسلامية التى اعترفت بحكومة إسرائيل هذا الاعتراف وأن توقف الدول والشعوب الإسلامية التى تتعامل مع اسرائيل هذا التعاون .

٣ — أن تتولى الهيئات والمؤسسات الإسلامية فى كل بلد إسلامى متابعة القضية الفلسطينية وتنوير الرأى العام بشأنها وإنشاء مراكز إسلامية فى القدس .

٤ — أن تنفذ الحكومات العربية جميعا قرارات مؤتمرى القمة العربيين نصا وروحا وأن تساندها الدول الإسلامية فى ذلك مساندة كاملة كما يستنكر المؤتمر كل محاولة للخروج على هذه القرارات لأنه لا يوجد حل لمشكلة فلسطين غير عودة الحقوق إلى أهلها وإزالة إسرائيل .

٥ — مؤازرة منظمة التحرير الفلسطينية لكى تؤدى واجبها فى الدفاع عن الوطن السليب فى مختلف المجالات .

٦ — وإلى أن يعود الحق إلى أهله يوصى المؤتمر أن يجعل المسلمون يوم ١٥ مايو ذكرى وتجديدا للعهد على إنقاذ فلسطين من الشرذمة الباغية التى تعيث فى الأرض فسادا .

* * *

أما الفترة الثانية لانعقاد المؤتمر التى كانت فى المدة من يوم الأربعاء ٢٥ من المحرم سنة ١٣٨٥ هـ ، الموافق ٢٦ من مايو سنة ١٩٦٥ م ، إلى تاريخ الجلسة الختامية للدورة الثانية ، والتى حضرها أعضاء المجمع من الجمهورية العربية المتحدة ومن غيرها ، فقد ألقيت فيها بقية البحوث ، واستكملت المناقشات ، ووصل أعضاء المؤتمر فى بحوثهم ودراساتهم إلى القرارات والتوصيات الآتية :

قرارات وتوصيات الفترة الثانية

الشئون المالية والاقتصادية :

أولا : التأمين :

قرر المؤتمر بشأن التأمين ما يلي : -

١ — التأمين الذي تقوم به جمعيات تعاونية يشترك فيها جميع المستأمنين لتؤدي لأعضائها ما يحتاجون إليه من معونات وخدمات أمر مشروع وهو من التعاون على البر .

٢ — نظام المعاشات الحكومي وما يشبهه من نظام الضمان الاجتماعي المتبع في بعض الدول ونظام التأمينات الاجتماعية المتبع في دول أخرى : كل هذا من الأعمال الجائزة .

٣ — أما أنواع التأمينات التي تقوم بها الشركات أيا كان وضعها ، مثل التأمين الخاص بمسؤلية المستأمن ، والتأمين الخاص بما يقع على المستأمن من غيره والتأمين الخاص بالحوادث التي لا مسئول فيها والتأمين على الحياة وما في حكمه :

فقد قرر المؤتمر الاستمرار في دراستها بواسطة لجنة جامعة لعلماء الشريعة وخبراء اقتصاديين وقانونيين واجتماعيين مع الوقوف قبل إبداء الرأي - على آراء علماء المسلمين في جميع الأقطار الإسلامية ، بالقدر المستطاع .

ثانيا : المعاملات المصرفية

قرر المؤتمر بشأن المعاملات المصرفية ما يلي :

١ — الفائدة على أنواع القروض كلها ربا محرم لا فرق في ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي وما يسمى بالقرض الإنتاجي لأن نصوص الكتاب والسنة في مجموعها قاطعة في تحريم النوعين .

٢ — كثير الربا وقليله حرام كما يشير إلى ذلك الفهم الصحيح في قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة » .

٣ — الإقراض بالربا محرم لا تبيحه حاجة ولا ضرورة ، والاقتراض بالربا محرم كذلك ولا يرتفع إثمه إلا إذا دعت إليه الضرورة . وكل امرئ متروك لدينه في تقدير ضرورته .

٤ — أعمال البنوك من الحسابات الجارية وصرف الشيكات وخطابات الاعتمادات والكمبيالات الداخلية التي يقوم عليها العمل بين التجار والبنوك في الداخل : كل هذا من المعاملات المصرفية الجائزة ، وما يؤخذ في نظير هذه الأعمال ليس من الربا .

٥ — الحسابات ذات الأجل ، وفتح الاعتماد بفائدة ، وسائر أنواع الإقراض نظير فائدة كلها من المعاملات الربوية وهي محرمة .

٦ — أما المعاملات المصرفية المتعلقة بالكمبيالات الخارجية ، فقد أجل النظر فيها إلى أن يتم بحثها .

٧ — ولما كان للنظام المصرفي أثر واضح في النشاط الاقتصادي المعاصر . ولما كان الإسلام حريصا على الاحتفاظ بالنافع من كل مستحدث مع اتقاء أوزاره وآثامه :

فإن مجمع البحوث الإسلامية بصدد درس بديل إسلامى للنظام المصرفى الحالى ويدعو علماء المسلمين ورجال المال والاقتصاد إلى أن يتقدموا إليه بمقترحاتهم فى هذا الصدد.

ثالثاً: استثمار الأموال:

قرر المؤتمر أن استثمار المال الخاص وما يتبع فيه من الطرق حق خالص لصاحب المال على أنه إذا سلك فى هذا مسلكا يؤدى إلى ضياع المصلحة العامة وجب على ولى الأمر أن يتدخل ليمنع الضرر وليصون المصلحة العامة بطريق لا عدوان فيه على الحق المشروع لصاحب المال.

رابعاً: الزكاة وصدقات التطوع:

قرر المؤتمر بشأن الزكاة ما يلى:

١ — أن ما يفرض من الضرائب لمصلحة الدولة لا يغنى القيام به عن أداء الزكاة المفروضة.

٢ - يكون تقويم نصاب الزكاة فى نقود التعامل المعدنية وأوراق النقد والأوراق النقدية وعروض التجارة على أساس قيمتها ذهباً، فما بلغت قيمته من أحدها عشرين مثقالا ذهبياً وجبت فيه الزكاة، وذلك لأن الذهب أقرب إلى الثبات من غيره ويرجع فى معرفة قيمة مثقال الذهب بالنسبة إلى النقد الحاضر إلى ما يقرره الخبراء.

٣ — الأموال النامية التى لم يرد نص ولا رأى فقهى بإيجاب الزكاة فيها حكمها كالآتى:

(ا) لا تجب الزكاة فى أعيان العمائر الاستغلالية والمصانع والسفن والطائرات وما شابهها بل تجب الزكاة فى صافى غلتها عند توافر النصاب وحولان الحول.

(ب) وإذا لم يتحقق فيها نصاب وكان لصاحبها أموال أخرى تضم إليها وتجب الزكاة فى المجموع إذا توافر شرط النصاب وحولان الحول.

(ج) مقدار النسبة الواجب إخراجها هو ربع عشر صافى الغلة فى نهاية الحول.

(د) فى الشركات التى يساهم فيها عدد من الأفراد لا ينظر فى تطبيق هذه الأحكام إلى مجموع أرباح الشركات وإنما ينظر إلى ما يخص كل شريك على حدة.

٤ — تجب الزكاة على المكلف فى ماله وتجب أيضاً فى مال غير المكلف ويؤديها عنه من ماله من له الولاية على هذا المال.

٥ - تعتبر الزكاة أساسا للتكافل الاجتماعى فى البلاد الإسلامية كلها وهى مصدر لما تستوجبه الدعوة فى الإسلام والتعريف بحقائقه وإعانة المجاهدين فى سبيل تحرير الأوطان الإسلامية.

٦ — تترك طريقة جمع الزكاة وصرفها لكل إقليم بما يناسبه.

وبشأن صدقات التطوع يبين المؤتمر ما يلى:

١ — الإسلام يدعو إلى الإنفاق فى سبيل الله وينهى عن البخل وقبض اليد عن بذل الخير.

٢ — الإسلام يحذر من السؤال ومن قبول الصدقة إلا فى حالات الضرورة.

٣ - الإسلام يدعو إلى البر بغير المسلمين مساواة لهم بإخوانهم المواطنين من المسلمين ورعاية لكل فرد من الأفراد فى المجتمع الإسلامى.

شئون الأسرة والشباب :

أولا : بشأن تعدد الزوجات .

يقرر المؤتمر أن تعدد الزوجات مباح بصريح نصوص القرآن الكريم بالقيود الواردة فيه ، وأن ممارسة هذا الحق متروكة إلى تقدير الزوج ولا يحتاج فى ذلك إلى إذن القاضى .

ثانيا : بشأن الطلاق .

يقرر المؤتمر أن الطلاق مباح فى حدود ما جاءت به الشريعة الإسلامية وأن طلاق الزوج يقع دون حاجة إلى إذن القاضى .

ثالثا : بشأن تحديد النسل .

يقرر المؤتمر ما يلى :

١ ـ أن الإسلام رغب فى زيادة النسل وتكثيره لأن كثرة النسل تقوى الأمة الإسلامية اجتماعيا واقتصاديا وحربيا وتزيدها عزة ومنعة .

٢ ـ إذا كانت هناك ضرورة شخصية تحتم تنظيم النسل فللزوجين أن يتصرفا طبقا لما تقتضيه الضرورة ، وتقدير هذه الضرورة متروك لضمير الفرد ودينه .

٣ ـ لا يصح شرعا وضع قوانين تجبر الناس على تحديد النسل بأى وجه من الوجوه .

٤ ـ أن الإجهاض بقصد تحديد النسل أو استعمال الوسائل التى تؤدى إلى العقم لهذا الغرض : أمر لا يجوز ممارسته شرعا للزوجين أو لغيرهما .

ويوصى المؤتمر بتوعية المواطنين وتقديم المعونة لهم فى كل ماسبق تقريره بصدد تنظيم النسل .

رابعا : تربية الشباب .

بشأن تربية الشباب يرى المؤتمر ما يلى :

١ ـ أن التربية الدينية وإشاعة الإيمان والخير فى القلوب هى خير ما ينقذ الشباب مما صار إليه البعض من انحراف وانحدار .

٢ ـ وأن انحراف بعض الشباب وتركهم شعائر الدين مرض نفسى ، يعالج بالرفق والعطف والنصح الذى يصل إلى أعماق النفس ، وذلك اتباعا لأسلوب القرآن .

ويوصى المؤتمر بما يلى :

١ ـ تعريف الشباب بالأمجاد التاريخية للإسلام والعروبة حتى يزدادوا ثقة بدينهم وتمسكا بمبادئه السمحة القويمة .

٢ ـ إعداد جيل كامل واسع الثقافة من رجال الدين يتولون تهذيب الشباب وقيادتهم على الأساس التربوى السليم .

٣ ـ جعل التربية الدينية جزءا أساسيا من مناهج التعليم فى جميع معاهد المعلمين والمعلمات أيا كانت المواد التى يتخصصون فى تدريسها .

٤ ـ أن يكون لوسائل الإعلام نصيب مثمر فى توجيه الشباب وتكوين رأى عام سليم فى الإذاعة ومجلات الشباب والندوات العامة والصحف والقصص وغير ذلك من الوسائل الاعلامية ، حتى يمكن اتقاء الأضرار الناجمة عن دعوات الانحراف والمجون التى تظهر فى بعض وسائل النشر والإعلام .

٥ ـ أن تؤلف للشباب كتب ملائمة لمستواهم وعقولهم عن أعلام الإسلام وقادة العروبة وفى

التاريخ المقارن . تبرز فيها الحقائق التى توضح جوانب القوة فى الحضارة الإسلامية، وفى الصلة بين العبد وربه ، وبين الفرد والمجتمع كما ينبغى الاهتمام بالرقابة على الكتب التى تنشر الانحراف سواء أكانت مترجمة أم مؤلفة ، مما يقوم به الأفراد والهيئات ، وأن يوضع قانون يحتم عرض هذه الكتب على هيئة مختصة قبل طبعها.

الشئون الاجتماعية والحضارية :

أولا : بشأن موقف الإسلام من الرق الفردى والجماعى .

جاء الإسلام معلنا مبادىء الحرية والمساواة والإخاء ، تكريما للإنسان الذى لم يفضل فيه جنسا على جنس ، ولا لونا على لون .

ولما كان الرق منتشرا فى جميع الأمم قبل ظهور الإسلام فقد عمل الإسلام بوسائل شتى على مقاومته مقاومة تنتهى إلى محوه ، وجعل هذه الوسائل جزءا من الدين .

وإذا كان بعض الأفراد أو الهيئات قد احترف منذ القرون الوسطى وما تلاها تجارة الرقيق عن طريق القرصنة والاختطاف فإن الإسلام ينكر ذلك إنكارا قاطعا ، ويعده خروجا على الدين .

لهذا يسجل المؤتمر :

أنه لا يوجد الآن فى أى جزء من أجزاء العالم رق يقره الإسلام ، ويستنكر باسم الإسلام كل محاولات الضغط والعدوان على الحقوق الطبيعية للأفراد والجماعات . ويعتبر ذلك استرقاقا أكبر جرما من الاسترقاق الفردى القديم ، ويدعو المسلمين إلى مقاومة كل ضغط أو عدوان على حقوق الأفراد والشعوب ويعد هذه المقاومة جهادا مقدسا يفرضه الدين الحنيف وتحتمه الدعوة الإسلامية .

ثانياً : بشأن مقومات الحضارة الإسلامية وأثرها فى سعادة البشرية ورقيها .

يسجل المؤتمر أن الإسلام عقيدة وشريعة وحضارة ، وأنه دين ترق حضارى يشرع للحياة فى صورتها المتكاملة .

ويوصى بما يلى :

١ - أن تعمل السلطات التعليمية فى كل بلد إسلامى على تقرير دراسة الحضارة الإسلامية مادة أساسية فى الجامعات ومعاهد التعليم .

٢ - أن تدرس كل أمة إسلامية لغة من لغات شقيقاتها متخذة من ذلك أداة للتفاهم والتقارب الثقافى .

٣ - أن تعنى الأمم الإسلامية جميعاً بدراسة اللغة العربية ، لغة القرآن والتشريع حتى يكون ذلك سبيلا إلى الاتصال المباشر بلغة الوحى .

وإلى الاشتراك فى تذوق أسرار الإعجاز القرآنى والعودة بالثقافة الإسلامية إلى ما كان لها فى القرون الأولى من وحدة وشمول .

٤ - دعوة الأمم الإسلامية إلى اتخاذ الاسلام منهجا لسلوكها فى الحياة بالاستمساك بالقيم الخلقية والاجتماعية التى جاء بها الاسلام وباتخاذ الشريعة الإسلامية أساسا لتشريعاتها.

Second : Foundation of Islamic Civilization and its effect upon the happiness and prosperity of mankind.

The Conference records that Islam is a faith, law and civilization. It is a religion of the advancement of civilization and a law for life in all its aspects.

The Conference recommends :

1 — That the educational authorities in all Islamic countries should enforce the teaching of Islamic civilization as a compulsory subject in the Universities or educational institutes.

2— Every Islamic nation should teach the language of the other Islamic countries and make it a means of mutual understanding and cultural approachment.

3— All Islamic nations should teach the Arabic language, the language of the Glorious Quran, and Islamic Law, to be in direct contact with the language of the Revelation and to participate in appreciating the immitability of the Holy Quran and to restore the pristine glory of Islamic culture which it enjoyed during the first century of the Hijra in unity and comprehensiveness.

4— The Call to all Islamic nations and peoples to adopt Islam as a programme for its conduct in life and to strictly adhere to its moral and social values and to make Islamic Law as the main source for all their legislation.

Contents

PAGE

1 — Al-Azhar and the Islamic Researches Academy 1
2 — The Second Conference of the Academy 4

Speeches

3 — Speech by The Grand Sheikh of Al-Azhar 5
4 — Speech by The Chief Justice of Jordan 7
5 — Speech by Dr. Mahmoud Hubb Allah 8
6 — Speech by Mr. Hussein El-Shafe'i 13
7 — The papers and Discussions 17
8 — Our Cultured youth and Religiousness 19
9 — Palestine and Israel 22
10 — Statement and Recommendations 25
(The First Stage)
11 — Recommendations and Resolutions 27
(The Second Stage)

4— The present means of publicity and propaganda should participate fruitfully in reforming and directing youth and forming right public opinion In the broadcasting corporations, youth magazines, public clubs, newspapers, novels and similar media of communication, till it becomes possible to avoid the ill-effects and harmful results which spring from some of the media of immoral and indecent publications and propaganda.

5 — Publications of books and literature for youth to suit their various degrees of understanding, regarding the Islamic and Arab personalities, books on comparative history embodying and clarifying the principle of strength of the Islamic civilization, the relation between man and his Creator, between the individual and his society. Great care and caution to be exercised in publication that disseminate or foster moral deviation, whether originals or translations and published by individuals or organisations, Laws to be enacted compelling the subject matter of a book to be referred to a special organisation for scrutiny before publication and distribution.

PROBLEMS OF CIVILIZATION AND SOCIAL AFFAIRS

First : Islamic view as regards individual and collective Slavery.

Islam promulgated the principles of liberty, equality and fraternity, honouring mankind irrespective of colour or race. The institution of slavery was widely prevalent amongst all nations prior to the advent of Islam and Islam through various means discouraged and abolished it, and this constituted a part of the teaching of Islam.

The practice of slave trade that existed during the middle ages and what was practised by pirates and kidnappers following the middle ages was strictly abhorred by Islam and slave trade was considered a deviation from true religion.

Hence, the Conference records that Islam recognizes no slavery in any part of the world and in the name of Islam, the Conference denounces every attempt of infringement of the natural rights of mankind whether individuals or communities and considers any attempt at slavery as more sinful and criminal than the ancient individual slavery. The Conference exhorts all Muslims to resist any pressure, infringement or aggression upon the rights of individuals or nations and such resistance is considered as a sacred or Holy War called for by religion and the Islamic Call necessitates it.

of the Islamic Law, divorce is permissible and the divorce is effective without the permission of the Qadi.

Third / BIRTH CONTROL.

The Conference decided as follows :

1— Islam is desirous of increasing the offspring for it strengthens the Islamic nation socially, economically, militarily and strengthens its dignity and defence.

2— Birth control is to be resorted to only in cases of absolute necessity and this is a matter that is left to the concerned parties to decide upon such a necessity. As regards what constitutes necessity, this is a matter which rests purely on the conscience and religious feeling of the individual.

3— From the religious viewpoint it is not permissible to frame laws enabling individuals to practise birth control in any manner.

4— Abortion of a child in the womb with a view to controlling birth or adopting means which lead to barrenness or sterilization are practices contrary to Islamic Law and neither is it permissible to the spouses or any other bodies.

The Conference recommends the enlightening of the citizens and assisting them in regard to this subject.

Fourth / UPBRINGING OF YOUTH.

The Conference decides in this respect as follows :-

1 — The religious upbringing and education, the inculcation of the religious faith and virtues in the hearts of youth are the best guarantees against tendencies which lead youth to deviate from proper moral concepts.

2— Immoral deviation and neglect of religious duties by some youth are a psychological disease and in accordance with the tenets of the Quran, such cases have to be dealt with in a kind andsympathetic manner that appeals to their hearts and emotion.

The Conference also recommends,

1— The acquainting and instilling of youth with the historical glories of Islam and Arabism, till their faith in their religion and the adherence to its straightforward and tolerant principles are increased.

2 - Preparation of a full staff of individuals with a wide religious and cultural knowledge to train the youth and to lead them in accor dance with the true principles of upbringing.

3— Enforce religious education and to make it an indispensable part of the educational curricula and syllabuses in all teachers institutes irrespective of their special fields.

3— The increase in investment capital regarding which there is no Quranic or Tradition or Juristic opinion which imposes payment of Zakat on it, is to be classified as follows :—

a) Zakat is not applicable on utilized buildings, factories, ships or aeroplanes and the like. Zakat is imposed on the net income derived from it at the end of the year, should the limit for Zakat be reached.

b) If the limit for which Zakat is imposed is not reached by such income and the owner has other sources of income, they must be all collected together and thereafter if the aggregate income reaches the limit at the end of the year, then Zakat becomes applicable and should be imposed.

c) The amount assessable as Zakat is a quarter of the tenth (1/40) of the net income at the end of the year.

d) In the case of companies which consist of individual shareholders, Zakat is imposed on the share of every individual separately.

4— Zakat is imposed and is incumbent upon those who have attained the age of majority and also on minors. The guardians of such minors are responsible for the discharge of the payment of Zakat on their behalf.

5— Zakat is considered in all Islamic nations as a basis for social interdependence and as a source for the propagation of Islam and its truths and helping those who fight to free Islamic nations.

6— The mode of collection and distribution of Zakat is left entirely to every region as it finds suitable.

As regards voluntary almsgiving, the Conference explains that.

1— Islam recommends spending in the way of God and abhors miserliness and refraining from munificence.

2— Islam forbids to seek or accept charity except in case of necessity.

3 — Islam recommends extending charity to non-Muslims equally with their Muslim brethren and as a social welfare for all individuals in the Islamic society.

FAMILY AND YOUTH AFFAIRS

First / POLYGAMY

The Conference decided that Polygamy is admissible according to the unequivocal Quranic texts and subject to the conditions stipulated therein. The exercise of this right is left to the discretion of the husband and does not depend on the permission of the Qadi.

Second / DIVORCE

The Conference decided that divorce is subject to the limitations

interst is equally forbidden. The sin resulting from borrowing with interest cannot be explained away unless necessity compels it. Everybody is left to his own religious conscience in assessing such a necessity.

4— Bank transactions such as current accounts, cheques, letters of credit, internal Bills of Exchange, which practices form the basis of the dealings between the banks and the traders, are all permissible banking practices and what is taken to discharge them is not considered usury.

5— Periodical or time fixed deposits or accounts and the opening of Credits with interest, and all lending with interest, are prohibited practices of usury.

6— As regards Bank transactions regarding external Bills and receipts, a final decision has been deferred pending a full and final investigation.

7— Since the banking system today has an apparent effect upon and pervades through contemporary economic activities; and since Islam is eager to retain what is beneficial from those modern activities, whilst avoiding its evils, the Islamic Research Academy contemplates an Islamic substitute for the modern banking system and calls upon all Muslim scholars, financial and business men to offer their proposals and suggestions concerning this issue.

Third : Investments.

The Conference decided that Investment of Private Capital and the modes of investment of Private Capital are the sole right of the owner. But if the individual indulges in the investments that are prejudicial or against the public interest, then it is incumbent on the authorities to interfere in so far as to prevent such abuse or misuse and to protect the public interest in such a way as not to seriously affect the lawful right of the owner of such capital.

Fourth : Zakat and voluntary almsgiving.

As regards Zakat, the Conference decided as follows:-

1— Taxes imposed by the govervement cannot be construed as a substitute for imposed Zakat.

2— The wealth that is liable to Zakat such as investments, metal and paper currency and articles of trade are to be assessed according to their bullion (gold) value. The value of which reaches twenty mithqual in gold is liable for payment in Zakat. The reason for stipulating the assessment according to the gold value is due to the fact that it is nearer to stability. The task of assessing the equavalence of the gold mithqual to the present system of currency has been referred to the experts.

Recommendations and Resolutions

(THE SECOND STAGE)

The Second Stage of the Conference of the Islamic Research Academy was held on Wednesday 26th May, 1965, (Muharram 25th A.H.) till the closing session of the second period and was attended by the members of the Academy from the U.A.R. and other countries. The remaining researches were delivered and the discussions resumed. The members after their researches and studies proposed the following resolutions and recommendations.

Financial and Economic Affairs.

First : Insurance.

As regards Insurance the Conference decided as follows :-

1— Insurance which is practised by cooperative societies, in which all insurers participate to give them assistance and services, is admissible, and it is a cooperation for goodness.

2 — The governmental system of pensions and the like such as social welfare guarrantees which is practised in some countries and social insurance schemes which are carried out in other countries are all admissible practices.

3 – As regards other kinds of Insurance which are undertaken by other companies whatever their status may be, as insurance pertaining to the insurers own responsibility, what befalls him from others'actions or the insurance against accidents in which no one is responsible, or life insurance and the like, the conference decided to continue studying them through a comprehensive committee of Islamic jurists, economic, social and legal experts, to be enlightened by their opinions, together with the opinion of other Muslim scholars in the Islamic world, as far as is possible, before giving any final decision.

Second : Bank Transactions.

In this connection the Conference decided as follows :

1— Interest on all kinds of loans are considered as prohibited Usury, drawing no distinction whatsoever between what is termed as consumtive or producing loans, since the Quran and the Traditions in general are categorical in prohibiting both.

2— Usuary, be it little or more, is strictly forbidden as refers to this the true understanding what God the Almighty says in Chap; III V. 130 "O' Ye who believe ! Devour not usury, doubling and quadrupling".

3— Moneylending on interest is prohibited. Need or necessity is no excuse for its permissibility and similarly borrowing money against

Jerusalem, the traditional access to the two "Harameins" and the Tomb of the Prophet, Peace be upon him,

— that the liberation and security of Palestine are indispensable for the security of the Sacred Land and the performance of religious rites by Muslims all over the world,

— that the struggle for Palestine and its liberation is an obligation to all Muslims,

— that the failure to fulfil this duty is a great sin, Recommends,

(1) That all Muslims give their utmost attention and exert their efforts until they completely liberate this Islamic Homeland.

(2) That all Islamic states that have recognized the government of Israel, should withdraw such recognition and that the Islamic states and nations should stop all relations with Israel.

(3) That the Islamic organizations and institutions in all Islamic countries should follow up the Palestine Question, enlighten public opinion about it and establish Islamic centres in Jerusalem.

(4) That all Arab governments should execute the resolutions adopted by the two Arab Summit Conferences, both in spirit and content.

— that Islamic states should give full support to these resolutions,

— that the Congress denounces all attempts to violate these resolutions, since the only solution of the Palestine Question would be through restoring the rights of her inhabitants and the disappearance of Israel.

(5) That support be given to the Palestine Liberation Organization, so as to enable it to accomplish its duties in defending the usurped Homeland in all fields.

(6) That until rights are restored to the rightful owners, the Congress recommends that the 15th of May be celebrated by all Muslims, reiterating the commitment to save Palestine from the aggressive gang that is spreading corruption on earth.

The Conference shall consider, during the second stage the subjects submitted during the first stage and the discussions that have taken place, in order to arrive at a definite resolution which shall be announced to all Muslims.

May God lead us to the right Path . . .

Statement and Recommendations

THE SECOND CONFERENCE OF THE ACADEMY OF ISLAMIC RESEARCHES

(THE FIRST STAGE)

The first stage of the Second Congress of the Academy of Islamic Research, held in Cairo on Thursday 13th May 1965 (12th Muharram 1385), representing thirty five Muslim states,

Extends its deep thanks and appreciation to President Gamal Abdul Nasser, President of the U.A.R., for kindly putting the Congress under his auspices, and for deputizing Mr. Hussein El Shafe'i, the Vice-President, to inaugurate this Session, asking God to preserve him a guardian to the cause of Islam and Muslims,

Presents the deepest thanks to the U.A.R. government and people for their kind hospitality and warm welcome,

And recommends the following:

First: That all Islamic states should stand united in matters pertaining to Muslim interests, both spiritual and secular,

That Islamic teachings should be applied to decide the kind of life the Islamic World should lead, and to settle all disputes that might arise within the Islamic community in order to maintain an effective permanent brotherhood,

Second:

a) To take immediate steps to determine the practical means to spread the Call of Islam in all countries, and at all levels,

To find ways and means to finance this project so that the Academy of Islamic Research would carry out its noble mission of propagating Islam among all peoples.

b) To authorize the Grand Sheikh of Al-Azhar to set up committees which shall be entrusted with this mission,

To urge all Islamic governments and all muslims to give their support to this project and provide the funds and potentialities that will ensure its success.

Third: The Conference considering:

— that the Palastine Question is the problem of all Muslims, due to its close relation with their religion, history and heritage,

— that Muslims will not be at ease until this sacred land is restored to its rightful owners,

— that the presence of Israel in Palestine constitutes a threat against the Sacred Mosque in

and have poured out drink offerings unto other Gods"(1).

"For both prophet and priest are profane, yea, in my house have I found their wickedness, saith the Lord. And I have seen folly in the prophets of Jerusalem an horrible thing: they commit adultery, and walk in lies: they strengthen also the hands of evildoers, that none shall return from his wickedness: they are all of them unto me as Sodom, and the inhabitants thereof as Gomorrah."(2)

"Thus saith the Lord, of hosts; Behold, I will send upon them the sword, the famine, and the pestilence, and will make them like vile figs that cannot be eaten, they are so evil. And I will persecute them with the sword, with famine, and with the pestilence, and will deliver them to be removed to all the kingdoms of the earth, to be a curse, and an astonishment, and a hissing, and a reproach, among all the nations whither I have driven them."(3)

"And he said unto me, Son of man., I send thee to the children of Israel, to a rebellious nation that hath rebelled against me: they and their fathers have transgressed against me, even unto this very day."(4)

"Hear ye this word which I take up against you, even a lamentation, O house of Israel. The virgin of Israel is fallen; she shall no more rise: she is forsaken upon her land; there is none to raise her up. (5)

Needless to say, the Quran abounds in verses relating their evil doings. There mention one of these verses: "But those who did wrong changed the word which had been told them for another saying and We send down upon the evil-doers wrath from Heaven for their evil doing.(6)

What is left to God's chosen people after all that? God has taken back the favours he had bestowed upon this people; and the Israelites have forfeited their own rights by the continuous treachery and terrorism practised by them from the Exodus till the aggression of 1948.

Supposing that a father has been favouring one of his children does'nt he have the right to withdraw his favour if he finds that this son has failed him?

(to be continued)

(1) Jeremiah: Ch. 19 Verse 11.
(2) Jeremiah Ch. 23. Verse 11
(3) Jeremiah Ch. 29 Verse 17
(4) Ezekiel Ch. 2 Verse 3
(5) Amos Ch. 5 Verse 1
(6) Surat: The Cow

(2)

Gentlemen :

These fallacies rest upon three points :

Firstly : they are God's chosen people.

Secondly : God promised that they would return to the Holy Land where milk and honey flow.

Thirdly : they once established a kingdom in Judah and Israel and it is their lawful right to restore it.

What really hurts every Arab and Muslem is the fact that these fallacies have reached the hearts of millions of Occidental christians who back up the Israelites and give them constant financial aid. Those Occidentals seem to ignore the sinful offence of those criminals against Jesus, or their unceasing intrigues, hatred and aggression against them and destruction of Christian Churches and driving thousands of Christians out of their homes.

How could those criminals mislead the Occidental Christians and blindfold them so that they would not see the real facts ? How could they arouse the christians against the Arabs who look upon them as their true friends ? How could they distort truth into lies until they succeeded in persuading a great head of the Church to acquit them of the crucifixion of Jesus ?

It is through cunning and cheating and treachery that they were able to do all that. And for these very things I present before you this treatise so that you would raise your voice in the defence of truth.

(3)

I have read the Old Testament through and carefully and read part of it in the original language. I can assert that I haven't seen or heard of a nation which has been cursed, denounced and rebuked by its God, like the nation of the Children of Israel.

Here are a few extracts that prove what I say : "Thus saith the Lord of hosts; Even so will I break this people and this city, as one breaketh a potter's vessel, that cannot be made whole again : and they shall bury them in Tophet, till there be no place to bury. Thus will I undo this place, saith the Lord, and to the inhabitants thereof, and even make this city as Tophet. And the houses of Jerusalem, and the houses of the kings of Judah, shall be defiled as the place of Tophet because all the houses upon whose roofs they have burned incense unto all the host of heaven,

Palastine and Israel

By : Dr. Ishaq Musa Al-Husainy

The Palastine question is one of the most important problems that the Arabs and Muslim world are facing. Dr. Ishaq Musa Al-Husainy has given in his poper glimpses on the historical and religious background of Israel and Israelites. The following is the text of the paper read by him in the conference :

"Say . . . O people of the Scripture . . . Stress not in your religion other than the truth, and follow not the vain desires of folk who erred of old and led many astray, and erred from a plain road, Those of the children of Israel who went astray were cursed by the tongue of David, and of Jesus, son of Mary. That was because they rebelled and used to transgress. They restrained not one another from the wickedness they did. Verily evil was that they used to do . . Thou seest many of them making friends with those who disbelieve. Surely ill for them is that which they themselves send on before them : that Allah will be wroth with them and in the doom they will abide. If they believed in Allah and the Prophet and that which is revealed unto him, they would not choose them for their friends. But many of them are of evil conduct." (1)

(1) Surah : The Table spread. Verse 77-81

Gentlemen :

Those Israelites whom God has cursed in the Qur'an and described as the bitterish enemies of believers, those Israelites have usurped Palestine, one of the holiest spots on earth. They have dispersed its peaceful inhabitants, desecrated its sanctity wiped out its mosques and cemeteries, obliterated its landmarks in order to establish a racially fanatic, sinful, despotic state.

It is a duty for which we have to answer God to unveil before our Muslim brethren the false arguments to which the Israelites have resorted in order to establish Israel, we must point out the dangers with which they surround us as Arabs, and bring to light their sinister intentions which threaten the Holy Land and its neighbouring Arab and Muslem countries. It is curious that they depend on verses from their holy books, and on what they consider as sound scientific research.

to mind or science, they will have no religious faith, unlesc we do not provide them with the right education, teaching and good example, they will not be good citizesn.

Power of mind in Islam :

Last year, in a lecture I gave at the Teachers' Club in Cairo I asked a question which I now readdress to the Islamic youths; what is the best characteristic of Islam ?

To all muslims, there is no doubt that all the living (heavenly) religious are basically God sent... and there is no doubt that any sane person knows that these living religious aim in essence towards what is right and good.

However, the supericity of Islam lies in the fact that it appeals to the mind in order to understand the inspired teachings of the Quran, that mind which God commanded us impleicitly in many verses of the Quran to resort to whenever we waver between doubt and belief, or whenever in argument with atheists or unbelievers; that mind which embraces the whole meaning of existence, starting from the most simple questions such as avoiding evil, to the highest possible topic of the divinity and oneness of God.

In Islam there is no contradiction between faith and mind, nor does it expound anything in opposition to reason. It has no secrets, no superstitions, no illusions that sound knowledge refutes.

Any statement denoting paradoxical implications must either be explained in a rational manner, or refuted. This is how Islam looks upon scientific questions which have become accepted rationally, and beyond doubt.

Illusions of the mind :

Before presenting our youths with examples of the power of reason in faith and religious matters, I must first unveil the illusions resulting from rationalisation and point out the differences between:

1 — The rational impossibity and the ordinary one.

2 — The impossibity of rationalizing and difficulty of imaginning.

3 — General rational thinking universally accepted, and individual points of view which are controversial.

4 — Scientific accepted facts, and scientific opininions not entirely ascertained, which appear on and off for a while, then disappear forever confusing these facts and differences which is caused by illusions of rationalization as often misleading even to the highly educated and culturel peeple.

(to be continued)

I shall do my best to mention these causes brieflv, and am positive that the reverend scholars are more of an authority on the subject than my self, I have therefore merely collected the facts in order to unify our efforts to work on the same line. It is up to our reverend scholars to carry out the required research as they see best, fill in the gaps, and prescribe the right and effecttve remedy.

Do please forgive me for going into such lenghty details which to you, are mere axiomatic truths. The reason is that I am at the same time addressing the youths, themselves, as well as the governing powers in the Islamic World the newspaper men and anyone who might read this paper.

Personality and surroundings of our youths :

To make a correct study of the causes of this double sided phenomenon so obviously manifesting themseleves in atheism and neglect of religious rites, we must study the personality of our younger generations, their background and their mode of thinking.

Our youths - in minde, body, feelings and character - stand at a loss confronting several trends : the power of science and and its illusions, their own ignorance of of the essence of Islam, the influence of atheists, the insidiousness of colonialists, the mistakes of orientalists and historians, personal complexes, and the deterioration of social surroundings.

May Heaven help the youths of today !

The influence and power of the minde are apparent, even in a child. They mature and become more polished with his growing experience. He has to use his own mind from the first lesson he takes in arithmitic to the last steps in the studies of calculus, astronomy physics, logic and philosophy. He becomes fully aware of the supreme power of his mind, beams with pride, vanity and conceit, like those who look complecently upon the weaker ignorant, and the naive people, until the appreciation his feelings for his own mind and knowiedge soar up to the point of veneration and arrogance.

That much goes on in the field of faith and reasoning of religious questions. But when we consider the observance of religious rites, we are faced because of the rashness and bold behaviour of youths and the violence of their surroundings and unless we convince them that belief in God is not incongruent

OUR CULTURED YOUTH AND RELIGIOUSNESS

By : Sheikh Nadim Al-Jisr
Mufti of Tripoli and Northern Lebanon

Among the most useful papers came before the second conference of the Islamic Researches Academy was Sheikh Nadim Al-Jisr's above mentioned one. After explaining the reasons that led him to choose this topic, he spoke about the phenomenon of social changings in the Muslim world and surroundings of our youlth. He says " . . . . we have before us a serious social phenomenon which is affecting the entire Islamic World. I refer to the fact that most of our highly cultured youth are closer to atheism while the remaining few are inclined to neglet devotions and virtuals.

This strange phenomenon started with the scientific renaissance in the Islamic and Arab countries, its dangerous implications increasingly growing, as the renaissance developed and spread out. All the efforts deployed by reformers have, so far, failed to remedy it.

Now, what are the causes of this phenomenon ?

Why does it go side by side with science, despite the fact that the latter is the torch which guides people towards truth and goodness; faith and Islam are the emblem for light, truth and goodness ?

What are the reasons for the failure to remedy it ?

I can almost read the thoughts occupying your minds just now. You think that the subject as a whole-though quite serious-does not really need any deep study because it is so very clear Nevertheless, that is not the case. The causes are too numerous, deep rooted, subtle and intricate to be discovered by a casual, hurried study.

The causes are complex and inter-related, some are local, others are brought about by foreign influence; some are the result of reasoning, others are psychological and some get to spread in one country on a wider scope than in another. It is due to these obvious and hidden complications and over lapping that the attempts at remedy have so far failed.

small premium already paid to the company. Does not this involve gambling and taking risk ; and if this is not real gambling what is it then ?. It is olso gambling from another aspect; because the insured person is entitled to cash the amount of the insurance policy after settling all its premiums, and if he dies before paying all the premiums, his inheritors will cash it in full. Is not this gambling, since neither the insured nor the insurer knows anything about what will happen in future ?.

"This implication also exists in other types of insurance, as the company knows nothing of what will happen ; and when the risk arises, the company is bound to pay the amount of the insurance or indemnity, which is not communsurate with the premiums already paid. The risk may not occur and the company will pay nothing in return for the premiums already paid to it. It also implies betting becaus the company's obligation depending upon a risk, which may or may not occur. If the risk takes place, the company will be bound to pay the amount of insurance or indemnity, and if not, the company will not be bound to pay anything". Speaking about the views of prohibition he said :

"Promulgators of this view also say that the insurance contract is based merely on betting and gambling because the premiums paid by the insured are but the fees through which he gambles for the thing insured against fire, damage or death. The occurrence of any of these risks is unknown and if the risk for which the gambling is made happens, the company will be at loss as it will pay an amount many time more than that of the premiums, and if nothing happens, the insured will lose the fees of gambling. which consist of the insurance premiums...

Such are the arguments raised by those who prohibit insurance. They are based only on a hasty superficial outlook, prevented from penetrating into the very truth of the insurance policy, by its external form, and from comprehending it thoroughly and precisely by its outside picture".

"...Gambling or games of chance thus lead to hatred, strife, confusion, rage, bad temper, and tendency to kill the desire for productive and fruitful work. The insurance policy contains nothing of these things. On the contrary, it is a source of peace, tranquility and good benefits for the commercial, industrial and social fields. Thus, there can be no comparison between gambling and insurance".

The Papers and Discussions

The papers that Scholars read in the many Sessions of the Conference and the discussions that they Carried on point to the great interest of the Scholars in problems that face the Muslim Society in the world, also they give us a true picture of these problems. Some of the important papers read in the Second conference are : " Insurance in Islam " by Al-Sheikh Ali Al-Khafif, " Capital investment in Islam " by Dr. Muhammed Abdulla Al-Arabi, "The Zakat" by Sheikh Muhammad Abu Zahra, " Contemporary Bank Transactions and Islam's view thereon by Dr. Abdulla Al-Arabi, "Charity in Islam" by Dr. Mahdi Allam, and " Our Cultured Youth and religiousness " by Sheikh Nadim Al Jisr. "Palestine and Israel" was the paper presented by Dr. Ishaq Musa Al-Husainy.

Sheikh Ali Al-Khafif explained in his paper the origin of insurance policy and its motive, types of insurance, nationalisation of the insurance companies in U. A. R. Discussing the opinions of the scholars he Said ". . . . . .

Insurance was later dealt with by a number of scholars, particulary after its spread and diversification. Some of them allowed it freely ; while others prohibited it entirely. Some allowed certain types of it and outlawed others. I am going to review the bases of all the various views regarding insurance, discussing the grounds given for the prohibition and those given for permissibility. In the end we shall offer our own opinion.

Some scholars favoured the prohibition and banning of all types of insurance and they based their views on the following points :

Firstly, it rests on gambling and betting, both of which are legally forbidden. In his Fatwa on this question, the late El Sheikh Muhamad Bikhit described the insurance policy as a contract nil and void, attached to a risk which may occur and may not occur thus, implying gambling".

On life insurance; our Professor the Late El Sheikh Ahmad Ibrahim said : "The insured person may die after paying only one premium, and yet the insurance company would pay the value of the insurance policy in full to his heirs or to the persons authorised to cash its value, however great it may be, in return for nothing other than the

campaign of distain and enmity to Arabs and Muslims, through Western Germany's supplies of arms to Israel.

We Muslims, should here and now face this deliberate defiance.

Unfortunately, amidst our efforts to gather our forces and unify our military command ; and at the moment we declare the establishment of the Palestine Liberation Organization and the Palestine Entity, when we are taking positive steps to defend our rights in the Arab waters, someone falters and rebels against the will of the Arab nation .. We are fighting the battle of our destiny . . Any one who falters is a deserter and should be treated as such . . Surely the wrath of God, the Almighty will befall him.

Dear Brothers,

In conclusion I pray God that He may bless your meeting and your actions : that He may guide you to the right path . . . and I have the honour to convey to you our President Gamal Abdul Nasser's greetings and best wishes.

May God's blessings and peace be upon you.

The Second Conference of the Islamic Researches Academy, announced its condemnation of the attitude of the West German Government towards Palestine and its recognition of the Governmet of Israel.

The Conference also expressed its unqualified support to the Arab Countries that severed their diplomatic relations with West Germany.

The Conference also called upon the Governments of Muslim Countries to adopt the stand dictated by Islam towards the Palestine cause and to support the Arab Countries in their decision to break all relations with West Germany.

to regard insurance as the expression of sympathy and mercy, on the part of the society, to the citizen who may lose his resources, either because of illness or catastrophes.

The State has also taken good care of mothers and children, she has drawn plans to bring up our youth on the basis of religion and militancy. Women's rights are respected, and women enjoy equal rights within the framework of our glorious religion. They have been freed from any remaining chains so that they may be able to participate, deeply and positively in making our life, and to be able, within their homes and their society, to contribute in building a society based on strength and virtue: " O mankind . . We created you from a single (pair) of a male and a female, and made you into Nations and tribes, that ye may know each other. Verily the most honoured of you in the sight of God is the most Righteous of you".

By defining and establishing these rights and duties, and with the guidance of our religion, we can state that our socialism means deeds and not more talk . . . It is a socialism that derives from the incessant desire to help the various esctors of the noation, especially those who have long suffered, working in the sectors of industry and agriculture . . . It is a socialism that has a clear material structure and a number of new values : social justice, efficiency, production increase, strengthening spiritual energies, a call to peace, a wide perspective of objectives and the right of every citizen to enjoy medical care, schooling and employment.

Gentlemen :

Your meeting here fortunately coincides with commemoration of the Palestine Tragedy, which took place 17 years ago.

The Palestine Question will certainly be on top of the subjects to be considered by you, since it is closely and directly related to the existence and security of Arabism, the strong base of Islam and Muslims.

What has befallen Palestine, and the establishing of the state of Israel as a new form of colonization, unprecedented in history, without any regard, whatsoever, to the feelings of Arabs and Muslims at large, are well known facts.

But, the colonial powers who have established Israel in the country of the " Holy House " in Jerusalem, in disdain to Arabs and Muslims, have again launched their second

this should be done with a view to stand in the face of the colonialist challenges which oftentimes exploit religion to discriminate between peoples, or to maintain colonialist domination with a view to continuing the process of exploiting and sucking up their resources.

Thanks to God that the U. A. R. has been able to tackle these fields in a practical manner, and has taken effective measures towards liberating individuals from abuse and intolerance from worry and fear from the unknown. These measures enable the individual to develop his creative powers in work, feel secure, co-operate with his fellowmen and live in a society based upon religion, morality and love for the homeland.

Our government has abolished feudalism and the tyranny of capitalism, it has liberated financial dealings from usury by eliminating interest on agricultural loans. Moreover, these loans are granted only to those who prove themselves industrious and productive.

Planning family life has been taken into consideration too with a view to facing the increasing population and as a preventing measure against housing problems as well as to combat poverty in its very source.

The state planning has provided for full employment, raised the workers standard of living, made them participate in the administration and have share in the revenues; encouraged savings, fights hoarding of money and warns against waste. All this is done with a view to encouraging investment and establishing new industries which will give a wider working scope to all the citizens.

The state safeguards individual freedom, freedom of speech, of choosing the suitable job, and the right of voting. Thus the Egyptian Revolution has adopted the basic principles of the religion, so that when a Muslim professes that : " There is no god but Allah and Muhammad is His Messenger . . . he is completely aware that he has entered the realm of freedom through its widest gates, and that no man can be a slave to another, to money and that he is governed by no traditions or rules other than those set by his God.

The State has been well aware of the necessity to apply all forms of insurance in society, on the grounds that it is a system which encourages the citizen to save part of his earnings, to which he may resort when need arises, such in cases of unemployment, illness or old age. The State has been keen

Speech

By : MR. HUSSEIN EL-SHAFE'I

Vice-President of U.A.R.

In the name of God, Most Gracious, Most Merciful. Praise be to God the Cherisher, and Sustainer of the Worlds, God's blessings on the Chosen Prophet, his Family and his followers.

Honourable Members of the Academy of Islamic Research, and Guests of the United Arab Republic.

I have the pleasure to welcome you in the name of President Gamal Abdul Nasser, and to express our sincere wishes for the success of this great religious Congress. No doubt, Muslims all over the world search hopefully for all the means which will help raise Islamic thought to the level required by its spirit, its essence, and its ideal. Islam after all, stands for dignity, liberty and strength, . . . and the struggle to establish peace.

Gentlemen :

In the early days of the Islamic Call, great numbers of people embraced Islam as they were greatly impressed by the exemplary behaviour of those who called for it. When the religion called for justice, the people felt and enjoyed that justice through the deeds and practices of the Prophet and his Companions. The same rule applies to all missions : unless the call is supported by the example of the caller in word and deed, it cannot reach the hearts of others ; Qur'an says :

" O ye who believe . . Why say ye that which ye do not ?

Grievously odious is it in the sight of God that ye say that which ye do not ".

I wish all succes to this Congress you are holding in Egypt . . the home of Arabism, of Islam and Al - Azhar.

Many Islamic Congresses have been held, so far, but congresses are not judged by the sounding resolutions they adopt unless these are supported by positive action and good example . . Congresses should be serious gatherings that aim at establishing what is right . . . that analyse the status of Muslims and their social conditions, that study past experiences take into account the possibilities of work . . . All

evaluate these problems of the Muslims and the greater questions of the Islamic society at all levels so as to bring about the necessary interaction between scientific research and practical life. The Islamic theories must not be isolated from actual life and confined to Muslim scholars only, so that the Muslim World can find its intellectual needs, can solve its vital problems, free itself from the stagnation of literal interpretation, bind Muslims on a well established basis as well as prepare Islamic leaderships in all channels of life and in communities capable of functionning and fulfilling their purpose on an international level, thus expanding the Call to the word of God and the teachings of Islam.

Honourable Gentlemen :

We are strating a new session which is in fact, but a continuation of the first one. During this session you will continue the study to clarify the meaning of the essence of creed as expounded in the Quran, and point out its outstanding features and the way to protect it from distorted reasoning and atheistic trends; also to explain the divine commandements as applied to the innovated precesses in bank dealings, insurance and investment. This is to be done to protect transactions among Muslims from either stagnating or deviating from the right path. We are gathered here to study topics concerning the family and society ; to prevent weakness and division which creep into the family's structure and consequently devastate society by loosening its binding factors. Some of the researches require a liberal tackling, certain problems demand solutions.

Gentlemen :

Our present plan of work will be identical with that of the preceding session. It will be carried out on two stages; the first starts today and ends on the twenty second inst., the members will participate by considering the treatises on the Zakat (legal taxes) bank dealings, investment, insurance, education and youth guidance. The second stage will continue to the end of the fourth week following inaugural meeting, the work of this session will be carried out by the Academy members only.

Merely stating the religious point of view on these questions is not enough. We must give precedence to defining the met ods of study and adoption of these methods, so that resolutions and recommendations of the Congress would become the working plan for the Islamic society and the object of its serious study and consideration.

" Work, God sees your work, and His Prophet and the Believers".

May God lead you to success.

broad-casting station to diffuse the voice of Islam and its teachings; to establish unified funds for the expenses needed by the Call for Islam, public benevolent projects, issuing an Islamic Encyclopaedia to be used as reference on matters concerning jurisprudence "fatwas" among Muslims; to unify the date of the Islamic feasts and religious festivities by adopting the same beginning and end of the lunar months as set by astronomy, and in accordance with religious trends, etc. etc.

Gentlemen :

A year has elapsed since we held the first Congress; we have before us its fruit and blossoms. However, a years work is not to be considered as a measure of success and evaluation. I therefore state : the first Conference is a one year experiment and has given promising results. It has been an exepriment in the vast horizon of thought, a means for reconstruction. In the field of planning, it has proved to be a good means to an end, in the field of work, it is a good start; in evaluation, it is but a first step on the road before us towards the realization of our goals and aspirations.

The general picture of this experiment sheds a light on a new form of conduct and new aims through which the Academy will round up its mission and become more effective.

If the work of the Academy deals with the higher Islamic researh and the study of all that pertains to creed, shari'a (legislation), religion and life, within an academic scientific frame-work, if it is interested in rules, generalities and questions of general nature, the fact remains that success depends on the search for the particulars of contemporary problems. These particulars have crept into Muslim life, along with modern social developments. The re-evaluation of daily needs, the attemps to find adequate solutions which ensure the Muslim's faith, and enable the believer to see the relation between the creed he believes in and the life he leads. In this manner, he would take a greater interest in defending his creed and religion, his feeling for brotherhood would grow stronger and make him sense the sufferings and sympathize with aspirations of fellow Muslims whatever their social standard or nationality is. Even though sufferings and aspirations have a common source and a common aim, they have, inherent in them, the characteristics typical of the communities and conditions under which they have grown. For this reason we have to find a common denominator by which to

peoples, governments and the general running of the Islamic life.

Gentlemen :

Last year saw the birth of joint serious Islamic activity, it also viewed the problems typical of various Muslim peoples and societies. The Members discussed and studied these questions and tried to find an interpretation of God's will with relation to these questions. At the closing session there was an exposition of samples of independent ideas which reflected the opinions of the Members. These opinions were formulated in the recommendations, proposals and decisions which embody an all-rounded plan for future work and new regulations for the required new mode of living and events.

Since it is considered that the mention of God's blessings is one of the ways of expressing our gratitude to Him, I hereby take the opportunity to say : the work of the Academy of Islamic Research and the 1st Congress sessions were most successful, thanks to God's guidance and to the efforts exerted by the honourable scholars either by organizing the work of the Congress, or in their scientific approach or tackle things, or in the means adopted. The results of these efforts, with relation to countries abroad, led, among other things, to the following : it called the attention of Muslims to the scientific planning organ, for which organ they have long been waiting, in as much as it is a link that brings them together through a common creed, mosque and aim; since it renews in them the necessity of studying their contemporary life - within the frame worke of the religion in which they believe, away from secterianism, fanaticism, prejudice, or false courtesy ; since it solves their problems within a liberal scientific framework and strengthens their hope in a dignified future.

Hence the many insistent demands to participate in the work of the Congress, attend the meettings held by its committees-either as members, or observers ; hence the sweeping waves of Islamic problems that require solutions or adivice, all of which are in need of immediate answer. Among these we may mention the following : desire to unify the educational curricula in the Islamic world, to establish branches of the Academy in all Muslim countries and make of the Academy the neucleus of an Islamic university which would normally develop into a comprehensive, unified, Islamic Federation ; to establish a world

Gentlemen :

During the first Congress many a discussion took place, concerning the valuable treatises presented by the members who proved to be the worthy followers of their ancient predecessors. They showed also their determination to find definite rules for the Islamic legislation and principles so as to make them comprehensible to all Muslims, whatever, everywhere, whatever the age they live in. These set rules will define and delineate what is lawful and what is unlawful, point out the pitfalls resulting from doubt and clarify the relation between the secular and spiritual. They would also help to find solutions to the problems facing Muslims either because they are too difficult to understand, or because they are introduced by new evoluating world . . . etc. These rules would trace the Muslim line of conduct clearly so that all Muslims should see, understand and behave quite easily and safely.

The "Ijtihad" as viewed in the past and the present was among the topics discussed, considering that modern life has introduced many inovations into the life of Muslims in such fields as ; economics, sociology, politics, culture, general knoledge and pilosophy. "Al Talfiq" between the rulings of the Schools as a complementary legislation to the "Ijtihad", was also discussed in as much as it points the way to oppose deviations or contradictions in Muslims' behaviour when seen in the light of Islamic law. Private property and its limitations ; definition of ownership ; financial resources and the share of the State in them ; ownership of property or public utility ; rights of the poor in the property of the rich ; all these topics were discussed in full so that Muslims should grasp the relationship between modern economics and Islam, rather than stand helplessly at the cross-roads ; thus they would be able to adopt or reject rationally such principles that are adequate or not. The international relations among Muslims, the promulgation of Islam and the manner in which to spread the Call to God's religion were also given serious consideration, stress being given to the adaptability of Islam, its broad horizon, practicability of its principles, organization of the Islamic society and its interaction with foriegn societies, and the stabilization of Islamic Brotherhood.

All these studies were discussed in the first Conference; there were other studies as well which are well known to us here. I shall not list them out because we are more interested in the positive results of the studies, the impact of their practical application to Muslim life and their actual use by indivduals and masses, as well as their effcet on the behaviour of

Speech

By : DR. MAHMOUD HUBB ALLAH
General Secretary, Islamic Researches Academy

In the Name of God, Most Gracious, Most Merciful. We thank God for His Mercy and ask for His Guidance; may He Bless His faithful Prophet Muhammad, his people, his followers, and all those who abide by his teachings and Sunnah.

Honourable Gentlemen :

The spirit of Islam with which God has opened our hearts, lit our insight and filled with wisdom, this very spirit which has attracted the followers of the call from amongst the great scholars and thinkers and brought them together last year - from their distant homes and different countries - to meet at Al-Azhar, the house of God, the Ka'aba of knowledge and the meeting place of scholars since ages past; this very spirit has led to this year's meeting of the second Conference by the Academy of Islamic Research, in order to strengthen the sense of co-operation that was commanded by God, the attempt to serve the good that has keen advocated by Islam, and to deepen the study and understanding of the religion chosen by God to lead people to a better way of living and make them worthy of becoming His successors on earth.

The Islamic nations have a cultural, social, economic and political asset which can help these nations to meet the demands of life accross the ages, without borrowing anything that is alien to its Islamic identity with these assets alone, the Islamic nations are in a position to face life, to find the just and workable solutions to the various problems. The Islamic legislation, in all the walkes of life, is, by its very nature - which is deep, genuine and variations and its close connection with events and facts - a challenge to the strongest of reformation movements which have stood their ground in face of human evolution. Islamic legislation is literal characterized by an alert conscience that stands over and above the literal application of the law, thus giving to the individual the supervision of the law, and its application. This is the element that has given to the Islamic legislation its everlasting effectiveness.

A year ago the Academy of Islamic Research was established, thus marking the first milestone of a great project that ties up the Muslim's past to their present, paves the road before them towards a radiant future, unifies them in word and heart and leads them to a way of living as prescribed by Islam.

Speech

Delivered By :

SHEIKH 'ABDALLAH GHOSHAH

Chief justice of Jordan,

on Behalf of the Delegations to the Second Conference

Praise be to God, may He forgive and help us; and Blessings upon God's Messenger.

The Vice-President of the U.A.R. Honourable guests, God's blessings upon you.

It is but a gracious and blessed day on which a great Islamic gathering, comprising a large number of Muslim scholars who have come from various Islamic countries should be held here in response to the invitation extended by the Reverend Great Imam, the grand sheikh of Al-Azhar and President of the Academy of Islamic Reserach, to attend the second Congress of the Academy.

It is a generous invitation worthy of esteem and consideration; so for myself and on behalf of the fellowmembers of the Congress, I feel I must extend the deepest of thanks and gratitude to the great leader, His Excellency President Gamal Abdul Nasser, for kindly putting this Congress under his auspices and for showing such interest as to imbue it with strength and prestige. Again in the name of my fellow Congressmen, I extend the most sincere thanks to the Reverend Great Imam and to the Academy of Islamic Research, for giving us the opportunity of meeting together.

Gentlemen :

Islam requires of Muslims all over the earth, whatever the distance between them, whatever their nationality, language, race of colour, to stand united as one nation, closely tied, morally strong, dignified, bearing the same duties and enjoying the same rights, helping one another to serve what is good and fight evil; a nation that sets up its regulations and legislations in conformity with the Holy Quran and the teachings of God's Prophet.

It is a successful step and a wise one to have established the Academy of Islamic Research whose members are eminent scholars from various countries, their task being to consider the problems that Muslims are facing at present, which have arisen of late, and to establish clear-cut rules, that will clearly expound God's rules as regards such questions.

Gentlemen :

Your responsibility is quite serious, but it is a glorious and noble mission, so go ahead with God's help. Clear the path of truth and wisdom for all Muslims; rely upon God in your effort to realize your praiseworthy aims.

Before closing, I would like to extend the sincerest thanks to the host government, its people, and above all, to President Gamal Abdul Nasser, for their generous hospitality and care.

God's peace be upon you, His blessings and mercy.

Being keen to bring together all points of view and unify the laws, the Muslim regions have sent the elite of their scholars as representatives to secure a collective and mutual understanding of all problems of life and finding the legal solutions for all the problems facing different communities.

Gentlemen :

We shoulder a most serious responsibility and ask God's help to achieve our duty to prove that Islam is valid for all times and places ; also to put an end to the infiltrations of intruders who try to penetrate into the Islamic fold with their imported principles and sugar-coaded theories. All we have to do is to have a sense of purpose, study deeply, carry our researches honestly, and absorb new experiences carefully so as to face the new developments in our life, armed with a religion that shakes us out of stagnation and guards us against deviating from the right path.

The valuable researches that have been submitted and considered during the previous Congress have been rich with variety, novelty, fact-finding, and vitality as to prove that you are trust worthy, and assure non-muslims that Islam has a great store of heavenly wealth which becomes more glittering when looked for insistently when exposed in a proper manner and is applied firmly and generously.

May God lead us and guide our steps : All that we know is a gift, from God the Wisest, the Most Merciful.

May God help us to be just in our dealings whether we rule or are ruled and " show us the straight path of those whom Thou hast favoured ; not (the path) of those who earn Thine anger, nor those who go astray ".

Gentlemen :

Before I conclude, let me greet on your behalf and mine, His Excellency President Gamal 'Abdel Nasser President of the U.A.R. and express our deepest gratitute for kindly having this Congress under his auspices. I thank him also for deputizing Al-Sayyed Hussein Al-Shafe'i at the inaugural reception. Again, I should like to thank all those who have kindly accepted our invitation. May you all be successful ! !

May God's blessings be upon you.

Speech

By : The Grand Sheikh of Al-Azhar,

H. E. HASSAN AL-MAMOUN

In the Name of God, I open the second conference of the Islamic Researches Academy. On behalf of Al-Azhar — the institution of all Muslims — I greet you, pioneers of Islamic thought and leaders of scientific research ; may God bless you. We thank Him for gathering us here, under the banner of the Qur'an and the teachings of the Prophet, may God's blessings and peace be upon him.

Honourable Members of the Congress, when I welcome you to the United Arab Republic, I am only expressing the feelings of Muslims all over the world ; their joyful expectations of reaping the fruit of this Congress.

The Muslims who have long suffered from the barriers and boundaries that colonization has erected to separate them, and from the stagnation and dissipation it has spread amongst them, have been able, with the help of God sent leaders and the revolutions they have kindled, to take the lead in their own affairs, and they have become able to choose and reject freely. They are according to their needs now in a position to fulfil their ambitious projects under the guidance of God.

The responsible authorities in the United Arab Republic, being aware of the need for careful planning during this period of transition, and of the required competence during this stage of new projections, aware also that our Islamic heritage holds all the elements that enable us to establish an all inclusive Islamic culture - neither eastern, nor western, they set to the task of reforming Al-Azhar so that it could play its leading role during this Islamic revival. The Academy of Islamic Research was established, with a permanent, council and an international Congress is bieng held annnally, which brings together the elite of Muslim scholars, who represent all international cultures, who, in addition to their superior qualities sound judgement, are known for their subtle research, religious enthusiasm complete awareness of all the needs of contemporary life in the form of principles of legislations.

cessary for the spread of Islam, and its defence and the planning necessary for carrying out these duties and also the pooling of resources. This is a matter of utmost importance demanded by contemporary Muslim life".

Just a few days ago, the second conference of the Academy was held on the banks of the Nile of 'Amr-bin-Al-'As, under the auspices of the great Al-Azhar and the patronage of the president Jamal Abdul Nasser. This is an echo of the first conference which created hopes and kindled courage. Both these conferences connected the bonds that were broken and awakened the Muslim scholars to a new life of unity and solidarity and provided them an opportunity to exchange views on various problems facing the Muslim world.

The Second Conference of the Academy

THE INAUGURAL SESSION AND SPEECHES

The inaugural session of the second conference of the Islamic researches Academy was held in the conference hall of the Cairo Governorate on Thursday May 13, 1965. The inaugural session was attended by a large number of cabinet ministres, Ambassadors, Rectors, Deans and professors of universities and representatives of Islamic centres and societies from 40 countries all over the world.

Among the countries, that participated in the conference included Iraq, Yemen, Kuwait, Afghanistan, Pakistan, India, Indonesia, Ceylon, Philippine, Malasia, Jordan, Soviet-Union, Japan, Gaza, Libia, Algeria, Sudan, Somalia, Nigeria, Mauritania, Senegal, Sierraleone, Togo, Uganda Kenya and Morocco.

The deliberations commenced with the recitation of the Holy Quran. The grand sheikh of Al-Azahar H. E. Hassan Al-Mamoon delivered the inaugural address. Then the shiekh Abdullah Ghoshah, the chief Justice of Jordan addressed the conference on behalf of the delegations. Dr. Mahmoud Hubb Allah, Secretary General of the Islamic Researches Academy, then reviewed the important role of the first conference in the aims of Academy and he explained the tasks and issues, which were, before the second conference for discussion.

Mr. Hussein Al-Shaf'ei, Vice-President of U.A.R. delivered a speech. He welcomed the deligates participating in the conference on behalf of president Jamal Abdul Nasser. The session ended with the recitation of the Holy Quran

Following are the textes of the speechs delivered in the inaugural session of the conference :

and acceptable to all those that dwell under the sun. It is but natural for such a universal message to adopt itself to the varying conditions of life. Since its inception, fourteen hundred years ago, Islam has been a living force, grappling with every new situation that arose and solving every new problem that it faced. But, unfortunately, during past few centuries of Muslim downfall, mental inertia, deterioration in educational standards, lack of patronage of scholars, and on the other side, the ever-growing inventions and discoveries in the fields of science and technology that commenced from the dawn of this century, created a hiatus between Islam and the modern life. It was in the fitness of things that Al-Azhar came forward to take up the task of rejuvenating Islamic culture and bridging the gap that has been growing between Islam and the modern thought, and Al-Azhar felt the need to bring about a harmony between Islam and the modern life was never greater than it is now.

The Islamic Researches Academy was established in 1961, under the auspices of Al-Azhar to serve as the highest body for Islamic Research. This Academy undertakes the study of all that pertains to Islamic heritage, and works on international level towards the rejuvenation of the Muslim culture, its purging from accretions, and presentation in its true element, while facilitating knowledge of and acquaintance with it at all levels and in all climes. It also aims at following up all that is published by Muslims and non-Muslims alike-about Islam and its legacy to benefit from what is right in it, and to repute and rectify what is wrong. This academy is an international body, comprises a select number of scholars with profound knoledge of Islam and its heritage.

The first conference of this Academy was held on Shawwal 22, 1383 (March, 1964) in Cairo, capital of U. A. R. and the seat of Al-Azhar. It was the cherished hope of Muslims all over the world that such a conference of international character be held to realise the aspiration of sincere Muslims for the establishment of intellectual and cultural contact among the Muslim scholars from all over the world. It was a dream came true. This conference has given them a forum to meet and an opportunity to share each other's views.

The first conference of the Academy in a statement, announced ; " The conference resolves that the present condition of the Muslims imposes a duty on the Academy to explore ways and means of unifying Muslims of all countries so that they may form a united front co-operating individually and collectively in virtue and peity and working together for their own benefit and that of humanity. It also resolves that the Academy should equip itself as early as possible with all the means ne-

message and the services of this great international seat of learning in his inaugural speech of academic year of the University this year.

He said :

" The object of Al-Azhar, in its long history, was only to be a circle in the sphere of calling to Allah and spreading the message of Islam.

Al-Azhar has carried the Faith of Islam, in its simplicity, moderation and easiness. It has, by this Faith, paved for the people the way of spiritual tranquility and stability, and has taken away from their shoulders the burdens of perplexity, anxiety and restlessness.

The Faith of Islam, in ints simplicity, moderation and easiness, can be sumed up as : that this universe has one God, Who have no partner, and His will in reforming, in making people happy and in elevating ,is attached with a great messenger, the prophet Muhammad, may prayers and God's peace be showered upon him, who is the essence of all prophets and messengers.

The Second point can be sumed up in the following : Al - Azhar, in communicating the message of the apostle, may peace be upon him, was always calling people to make themselves free from their tempts and passions so that they may liberate themselves from their conquerors and enslavers.

A great number of forces has gathered round it (Al-Azhar) every where, carrying the banner of real freedom which assumes that slavery to any one except God is unbearable burden, so let the humanity be liberated from all other kinds of slavery and to make it only for Allah, Lord of the worlds. Because all people are equal and there is no superiority for Arabs on non-Arabs, except by virtue. In this way, Al-Azhar was, by a direct or an indirect way, a strong impulse in the human society to set the slaves free and to help them to regain their human dignity in many fields in the far and near world sphere.

The third point, the glorious Al-Azhar was always calling people ot despise fanaticisms of colour and race because all people came from Adam and Adam was from dust. If one wants to distinct, he has to be so by his good deeds and the great services he renders to the humanity.

In this way Al-Azhar, has rendered to this human society, many good things which encircle a round the helping of principles, regardless destinies of races and colours. Al-Azhar has done to all people various services and taken out many people from darkeness to light and led them to the path of goodness, it has also, raised the dead alive, and made the slaves free in the broad meaning of world sphere ".

Islam is a complete system of life suited to all times and climes

SPECIAL ISSUE

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYYAT

MUHARRAM 1385

ENGLISH SECTION

EDITED BY :

A. M. MOHIADDIN ALWAYE

MAY 1965

AL - AZHAR
AND
The Islamic Researches Academy

By : A. M. Mohiaddin Alwaye

Al-Azhar, since it was founded ten centuries ago, has kept the torch of Islamic faith and sciences burning. It has been stimulating faith through knowledge and it has kept alive learning by study and research with perseverance, patience, deliberations and endurance. It has been working hard to create hopes and to kindle courage in the hearts of Muslim scholars, as it has been trying to connect the bonds of Muslim society that were broken, and to awaken the humanity to a new life of amity and solidarity. This great and glorious seat of learning was first housed in the mosque and remained so far many centuries. This fact is a proof that in Islam worship and learning go hand in glove with each other and that Islam knows no conflict between religion and learning. From the very begining, Al-Azhar has remained an internatioal seat of knowledge. It has welcomed students from all parts of the world in the past, as it does now. These students, coming from different countries and speaking different languages' have always met in harmony and unity, studying, discussing and arguing in a purely academic spirit. There is hardly any country in the world where the alumni of this great University are not found sharing with others the wisdom they have acquired at Al-Azhar.

The Rector of the Al-Azhar University, H.E. Shaikh Ahmad Hassan Al-Baqouri has summerized the

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٤٠ فى الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الثانى والثالث - السنة السابعة والثلاثون - جمادى الأولى سنة ١٣٨٥ هـ - سبتمبر ١٩٦٥ م

ح ١٢
ع ٢٢٢٢٦
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

رأى الإسلام فى جرائم "الإخوان"

للإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون

أيها المسلمون : إن الأزهر الذى عاش عمره الطويل لفقه الإسلام والتعريف به ، ومدارسة القرآن والاستمداد منه ، وورود الحديث الشريف والصدور عنه ، قد شرفه الله بثقة المسلمين جميعا فيه فائتمنوه على عقائدهم ، وحكموه فى كل ما يعن لهم من أقضية الحياة ومحدثات العصور ، ولقد كرم المسلمون شرف مهمته وإخلاص نيته ، فضموه إلى مقدسات الإسلام .

ولم يبلغ الأزهر هذه المنزلة من التاريخ ومن الناس إلا لأنه تمشى مع طبيعة الإسلام حقا لا إكراه عليه ، ووضوحا لا خفاء فيه ، وصراحة تبيين لها ، وتحاميا لا اتمار عليه ، يجادل بالحسنى ، ويدعو إلى الله على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبهذا المنهج القويم عاش الأزهر كما عاش الإسلام فى مناعة من صنع الله يهزآن بالأحداث ويسخران من المكايد ، يضعف المسلمون ولا يضعفان ، وتنكب دولهم ولا يغلبان . ولكن أعداء الإسلام - حين عز عليهم الوقوف أمامه حاولوا حرب الإسلام - باسم الإسلام ، فاصطنعوا الأغرار من دهماء المسلمين ، ونفخوا فى صغار الأحلام بغرور القول ومعسول الأمل ، وألفوا لهم مسرحيات يخرجها الكفر لتمثيل الإيمان ، وأمدوهم بإمكانيات الفتك وأدوات التدمير ، ولكن الله قد لطف بمصر وبالناس على

[stamp]

الإسلام أن يرتكب الإجرام باسمه ، فأمكن منهم وهتك ستره ، وكشف سرهم ، ليظل الإسلام أكرم من أن يتجر به ، وأشف من أن يستتر فيه ، وأجمل من أن يشوه بخسة غيلة ، ولؤم تبييت ، ووحشية تربص ، ودناءة اثتار .

وإن الله الذى يعلم ما تضطلع به مصر من مسئوليات ، وما يتحمله قادتها من تبعات ، قد شاء أن يدلها على أوكار الخيانة ، وكهوف الغدر ، ومنظمات الدمار حتى تواجه مرحلة انطلاقها بعروبة موحدة الهدف ، وإسلامية شريفة السلوك ، وإنسانية نبيلة المثل .

وإذا كان القائمون على أمر هذه المنظمات ، قد استطاعوا أن يشوهوا تعاليم الإسلام فى أفهام الناشئة ، واستطاعوا أن يحملوهم بالمغريات على تغيير حقائق الإسلام تغييرا ينقلها إلى الضد منه ، وإلى النقيض من تعاليمه ، فإن الأزهر لا يسعه إلا أن يصوب ضلالهم ، ويردهم إلى الحق من مبادىء القرآن الكريم والسنة المشرفة ، فالإسلام كما قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم حين سأله عنه جبريل عليه السلام : « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا . قال جبريل صدقت ثم قال : فأخبرنى عن الإيمان قال : أن تؤمن بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال جبريل صدقت ، ثم قال فأخبرنى عن الإحسان قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » هذا هو الإسلام كما بينه رسول الله ، فحين يشترط المتآمرون على الإسلام ، أن يكون المسلم منضما لجماعة خاصة تستهدف البغى وتدعو إلى التمرد فإنهم بذلك يدخلون على الإسلام ما ليس منه ويحاولون أن يجعلوا لمنظماتهم قداسة ، حتى يستولوا على صغار العقول وهواة التحكم والسلطة .

وإن الإسلام ، الذى يتجرون باسمه ، يصون حرمة المسلم فى دمه وماله وعرضه ؛ فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : لا يحل دم مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة . وصح عنه أيضا أنه قال فى حجة الوداع : أى يوم هذا؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، فسكت ثم قال : أليس يوم النحر ؟ قلنا : بلى يا رسول الله . قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا . وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم فلا ترجعون بعدى كفاراً أو ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض . ألا فليبلغ الشاهد الغائب ، فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من يسمعه ، ثم قال : ألا هل بلغت ؟

وصح عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من حمل علينا السلاح فليس منا ، ومن غشنا فليس منا ــ وإذا ثبت هذا فى اغتيال النفس الواحدة فما بالك باغتيال الجماعات البريئة وترويع الآمنين الوادعين ؟ وإذا كان مال المسلم على المسلم حراما ، فما بالك بالاعتداء على المال العام والمصالح المشتركة ، والمرافق الحيوية التى يحيا بها الوطن وتعيش عليها الأمة .

وأنى لأعجب أشد العجب ممن يدعى الإسلام والغيرة عليه ، كيف يسوغ له أن يوالى أعداء الإسلام ، وأن يأخذ منهم مقومات الفتك بالمسلمين ، ويستعين بما لهم على أخوة له فى الدين والوطن

والإنسانية ، ألا ساء ما يدعون وبئس ما يفترون - ألم يقرأوا قول الله تعالى : « ومن يتولهم منكم فإنه منهم » . ألم يقرع سمعهم قول الله : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » .

وإن عجبي ليشتد أيضاً حين يحاول أدعياء الإسلام أن يحملوا عليه بالإرهاب والتفزيع ، والإسلام كما أراده الله وكما طبقه رسول الله دين الفطرة السليمة التي تبين الرشد من الغي ، فليس له حاجة إلى إكراه أو إرهاب ، وقد صدق الله حيث يقول : « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » .

أيها المسلمون :

إن الاستعمار قد يئس أن يعيش بينكم ، وأن يتحكم فى أموركم ، وأن يمتص خيراتكم ، فاصطنع منكم نفراً ليهدموا مكاسبكم ، ويضعوا العراقيل فى سبيل نهضتكم ، فتنبهوا جيداً إلى كيد هؤلاء ، وتآمر هؤلاء ، حتى لا تنتكس ثورتكم وتعودوا إلى عهود التبعية والإقطاع والرأسمالية .

ولا يسعنا جميعاً إلا أن نشكر الله على نجاة مصر من هول ما دبر لها وترويع ما أريد بها . وليكن شكرنا لله حزما نعين به الحاكمين على كل خوان أثيم .

وإياكم أيها المسلمون أن تخدعوا بكلمة حق يراد بها باطل ، فدينكم واضح لا إلغاز فيه - شريف لا همس به ، فمن أسر به إليكم فقد خدعكم ، ومن تخفى فى إعلامكم به فقد استحمقكم .

وإن الأزهر الشريف كلياته ومعاهده ووسائل إعلامه يلقنكم عقائد الدين كما أرادها الله ، صافية من تعكير الضالين ، مستقيمة عن التواء المبطلين ، تأخذ بيدكم إلى خير مجمع عليه وتنجيكم من شر غير مختلف فيه .

فسيروا على بركة الله راشدين مهديين وما توفيقنا إلا بالله وهو يتولى الصالحين ؟

حسن مأمون

قتل المؤمن

قال تعالى :

ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لن يزال المؤمن فى فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما .

صحيح البخارى ــ كتاب الديات

كيف مهد الأدب للثورة وبشر بالوحدة

بقلم:
أحمد حسن الزيات

– ٣ –

قلت في عدد مضى: إن الدول المستعمرة الغادرة، بما أخلفت من وعدها للحسين، وبما نقضت من عهدها للعرب، قد وضعت أيديها بعد الحرب العالمية الأولى على ما بقي في أيدينا من تراث محمد باسم الوصاية أو الحماية أو الانتداب، فأصبحت مراكش والجزائر وتونس وسورية ولبنان في يد فرنسا، ومصر والسودان وفلسطين والعراق والبحرين والكويت وعمان وعدن في يد انجلترا، وليبيا بولاياتها الثلاث في يد إيطاليا. وهذا الملك العربي العظيم كان قد آل إلى الخلافة العثمانية بعد أن سقطت الخلافات العربية الثلاث في العراق وفي مصر وفي الأندلس، فما زالت هذه الدول تنقص من أطرافه ولاية بعد ولاية وقطراً بعد قطر حتى أتت عليه كله بمعاهدة لوزان سنة ١٩٣٢، فلم يعد لأبناء العروبة بعد هذا التمزيق والتفريق من وسيلة يتعارفون بها، ولا من سبيل يتواصلون عليها غير الأدب. كانت الكتب المصرية والمجلات المصرية تجتاز الحدود المزعومة على الرغم من رقابة المحتل وإرادة المستعمر، فتدخل المدارس في كل قطر، وتقتحم البيوت في كل مدينة، حاملة إلى الإخوة الأشتات نبضات الروح العام وومضات الجسد المشترك. والأدب صلة الأول بالآخر، ورباط الماضي بالحاضر، وتراث الأجداد للأحفاد. وهو أرواح آبائنا وعقول أدبائنا تتدفق في دمائنا وأعصابنا فتملأنا حياة وقوة وفخراً وأملا وعملا وحرية وعزة.

عرف كل عربي عن طريق الكلمة المكتوبة أن له من وراء الآفاق المحجوبة إخوة يقاسمونه المحنة ويبادلونه العطف، فقويت نفسه وانتعشت آماله...

وكانت الثورة المصرية الثانية قد زلزلت أقدام المحتل الغاصب وهزت أركان الشرق الأوسط فحركت أنباؤها العراق فهب يقول ماقاله زعماء مصر، ويفعل ما فعله أبناء مصر، ويطلب من الإنجليز المحتلين أن يكشفوا عن بصره الغطاء ليرى، وأن يرفعوا عن فمه الكمامة لينطلق، وأن يعقدوا مؤتمراً يمثل الشعب العراقي ليقرر نظام الحكم ويختار رئيس الدولة فأبى الإنجليز عليه ذلك، ونفوا من نفوا، واعتقلوا من اعتقلوا. فثار العراقيون عليهم ثورة الأباة الأعزة بعد أن أفتاهم أئمتهم بالجهاد المسلح، وغذاهم أدباؤهم بالشعر المثير..

من ذلك قول السيد باقر الشبيبي:

بني يعرب لا تأمنوا للعدى مكراً
خذوا حذركم منهم فقد أخذوا الحذرا

يريدون فيكم بالوعود مكيدة
وبيغون إن حانت بكم فرصة غدرا
فلا يخدعنكم لينهم وتذكروا
أضاليلهم فى الهند والكذب فى مصرا
ومن مات دون الحق ، والحق واضح
إذا لم ينل فخراً فقد ربح العذرا

وقول خيرى الهنداوى من قصيدة يخاطب فيها وطنه :

أنت أذنبت ، أم بنوك ، أم
الظلام شاءوا أن يغصبوك الحقوقا
بيتوا أمرهم بليل وجاءوك
جميعاً يتلو فريق فريقـا
حاولوا - لا أبالهم - أن يكون
الشرق كالعبد مستضاما رقيقا
فنهضنا كالأسد فى أوجه القوم
لنجتث بغيهم والفسوقا

وانبث الشعراء والخطباء فى الفرات وقراه يؤلبون القبائل ، ويحمسون الكتائب ، حتى رأى الإنجليز أن الثورة جد وأن مقاومتها هزيمة ، فأذعنوا كعادتهم لسلطان القوة ، واستجابوا على رغمهم لمطالب الأمة ، ووطأوا عرش العراق للملك فيصل فاعتلاه فى أغسطس سنة ١٩٢١ . واستقر الأمر بعض الاستقرار ؛ ولكن الأدب لم يستقر ، وإنما ظل متبرما بهذا الاحتلال ملحاً فى طلب الاستقلال ساخطاً على الذين يمكنون للمحتل بالسياسة المذبذبة والقيادة المستسلمة ، يحضرنى من ذلك قول الرصافى من قصيدة :

من أين يرجى للعراق تقدم
وسبيل ممتلكيه غير سبيله
لا خير فى وطن يكون السيف عند
جبانه ، والمال عند بخيله
والرأى عند طريده ، والعلم عند
غريبه ، والحكم عند دخيله

وقوله من قصيدة أخرى ، يخاطب فيها المرحوم أمين الريحانى :

وإذا تسأل عنـا
هو فى بغداد كائن
فهو حكم مشرقى الصر
ع غربى الملابن
وطنى الاسم لكن
إنجليزى الشناشن
قد ملكننا كل شىء
نحن فى الظاهر لكن
نحن فى الباطن لا
نملك تحريكا لساكن

ثم كان هـذا النجاح الجزئى الذى ظفرت به الثورة المصرية والثورة العراقية قد شجع سورية على أن تطلب من فرنسا ما تطلبه كل أمة تعرف أن لها وطناً لا يملك أحد غيرها أن يصرف أمره ويقرر مصيره . ولكن الفرنسيين الذين يتبجحون بأنهم أول من ثاروا ليعلنوا حقوق الإنسان أبوا أن يعترفوا للسوريين بأنهم ناس كسائر الناس لهم وطن لا يشركون به ، واستقلال لا يساومون عليه ، وسلطان لا ينزلون عنه . فكان من ذلك أن شبت الثورة السورية سنة ١٩٢٥ ولم ينطفىء لظاها إلا بسقوط الانتداب وقيـام الجمهورية فى سنة ١٩٣٢ .

وكان من الشعراء الذين حملوا الوقود لهـذه الثورة شوقى وحافظ فى مصر ، والرصافى والزهاوى

فى العراق ، والغلاييني والحوماني فى لبنان ، وطوقان وفتى الجبل فى فلسطين ، والشاعر القروى وأبو الفضل الوليد فى المهجر .

وهكذا نجح الأدب فى إضرام النار على دول الاستعمار حتى صار لكل قطر من أهله دولة ، ولكل دولة مع أخواتها هدف . والهدف فى هذه المرة كان السعى لجمع ما تبدد من الشمل ، وتوحيد ما تشتت من القوة ، حتى تكون الوحدة التى تحقق الاستقلال وتضمن السيادة .

والوحدة والجماعة هما لباب العقيدة الإسلامية ؛ فالوحدة هى الأساس الذى حل ، والجماعة هى الصرح الذى قام . كانت الوحدة هى الأساس لأنها توحيد لله وتوحيد الأمة وتوحيد للكلمة وتوحيد للسلطة وتوحيد للقبلة . وكانت الجماعة هى الصرح لأنها جمعة القلوب التى ألف بينها الله ، وجملة الشعوب التى رفع شأنها محمد .

ثم قامت سياسة الإسلام على استدامة القوة بالمحافظة على الوحدة والحرص على الجماعة . فالفرد الذى يكفر بوحدة العقيدة والأمة يقتل . والطائفة التى تبغى على جماعة المسلمين تقاتل . والصلاة إنما يعظم أمرها ويضاعف أجرها إذا أديت فى جماعة . وهذه الجماعة تتكرر خمس مرات فى كل يوم ، ثم تكبر فى صلاة الجمعة كل أسبوع . ثم تعظم فى صلاة العيدين كل عام ، ثم تضخم فى أداء الحج مرة فى كل عمر . فالوحدة إذن عمل توجبه العقيدة وتقتضيه الطبيعة . ولقد كان للصحافة الأدبية المصرية أعظم الفضل فى تهيئة النفوس لها بالتعريف والتأليف والنصح . كانت تدعو إلى الجامعة العربية لأن التكتل هو الدواء الذى عالجت به الطبيعة ضعف النمـــل والنحل وكل حيوان كتب عليه أن يعيش فى جماعة . وكانت سياسة الاستعمار تدعو إلى الإقليمية ، لأن التجزؤ يسهل عليه ابتلاع العالم العربى قطعة قطعة . وكان الوطن القومى فى الخمس عشرة سنة الأخيرة قد نضج وقوى فاستجاب للأدب الداعى إلى الوحدة .

ثم استرخت قيود الاستعمار وأغلاله من جراء الحرب العالمية الثانية فقصرت يد فرنسا ، ولانت يد إنجلترا ، وامتدت يد أمريكا ، وهددت يد روسيا ، وكان من أثر هذه الظروف المساعدة أن استقلت سورية ولبنان ، وأوشكت أن تستقل مصر والعراق ، ونهضت لتستقل مراكش وتونس . وازداد التضامن والتعاون بين أمم العروبة فأسست حكوماتها جامعة الدول العربية ، وجامعة الدول العربية كانت غاية لوسيلة أدق وأشق ، وستكون بإذن الله وسيلة لجامعة أتم وأعم .

نسأل الله أن يرفع للشرق رأسه المفكر وهو العرب ، وأن يحفظ للعرب قلبه النابض وهو مصر .

أحمد حسن الزيات

نظرات في فقه عمر

لفضيلة الأستاذ محمد محمد المدنى

– ١١ –

١ – جاء فى الموطأ :

« حدثنى يحيى عن مالك : أنه بلغه أن عمر ابن الخطاب قال : « لاحكرة فى سوقنا . لا يعمد رجال بأيديهم فضول من أذهاب إلى رزق من رزق الله نزل بساحتنا ، فيحتكرونه علينا ، ولكن أيما جالب جلب على عمود كبده فى الشتاء والصيف ، فذلك ضيف عمر ، فليبع كيف شاء الله ، وليمسك كيف شاء الله » .

● فعمر رضى الله عنه يمنع « الاحتكار » وهو الذى عبر عنه « بالحكرة » فقال « لا حكرة فى سوقنا » .

والمراد بالاحتكار : جمع السلع وادخارها طلباً للربح فى أثمانها حين تقل من الأسواق ، ويكثر الطلب لها من الناس ، فمن المعروف أن الأثمان تتبع العرض والطلب فى القانون التجارى الطبيعى ؛ فكلما قل المعروض من سلعة ما ، وكثر الطالبون لهذه السلعة ؛ ارتفع ثمنها ، والعكس بالعكس ، فالمحتكر يتخفى ويتدرج حتى يجمع من السوق صنفاً معيناً ، ثم يخزنه ويحتجزه حتى يبدو أمام أهل السوق أنه قل وندر ، فإذا كثر عليه الطلب باعه بأزيد من سعره ، وغالى فيه كما شاء .

وعمر رضى الله عنه منع هذا وقال : « لا حكرة فى سوقنا » ثم صور هذا الاحتكار بصورته حين بين أن هناك تجاراً بأيديهم فضول من الأذهاب – جمع ذهب – أو باصطلاحنا الحاضر : فائض من المال – أى أنه أكثر من حاجتهم العادية من النقد الذى يتجرون فيه ، وهم لا يقنعون بالربح المألوف بين الناس ، فيعمدون – أى يقصدون – إلى أرزاق الناس وسلعهم التى أنزلها الله إليهم ، أى هيأها ويسرها فى أسواقهم ، فيحتكرون هذه السلع عليهم ، أى يشترونها ثم يحتجزونها ويخفونها من الأسواق طمعاً فى الربح الكثير حينما تتقلب الأسواق نتيجة لهذا الاحتكار .

هذا هو الجزء الأول من القانون الذى وضعه عمر .

● ولهذا القانون جزء ثان أو مادة ثانية ، وهى قوله رضى الله عنه : « وأيما جالب جلب على عمود كبده فى الشتاء والصيف ؛ فذلك ضيف عمر ، فليبع كيف شاء الله ، وليمسك كيف شاء الله » .

وهو يقصد صنفاً آخر من البائعين ، وهم « الجالبون » أى الذين يجلبون السلع والبضائع من أماكنها ومصادرها الأصلية ، ويفدون إلى الأسواق لبيعها .

وقد أباح لهم عمر أن يبيعوا سلعهم كما شاءوا ، وأن يمسكوها – أى ينتظروا بها دون بيع – كما شاءوا ، واعتبرهم ضيوفه ونزلاءه ، فحماهم بذلك من أن يتعرض لهم أحد ، وأمنهم على تجارتهم وأسلوبهم فيها .

وقد صور بقوله « ولكن أيما جالب جلب على عمود كبده فى الشتاء والصيف » ما يعانيه الجالبون فى قلب الشتاء وشدة برده ، وفى قلب الصيف وشدة حره ، من التعب والنصب ، والكد والتحمل فى سبيل الرزق ، وأنهم يحملون سلعهم على ظهورهم ، أو ظهور دوابهم ، محافظين عليها كل المحافظة ، حرصاء على ألا تصاب فى الطريق بعطب أو تلف ، كأن أحدهم يحملها على عمود كبده من شدة العناية بها ، والحرص على سلامتها .

● فإذا تأملنا هذا القانون العادل وجدناه يتلخص فيما نقول به الآن من « محاربة رأس المال المستغل ، وحماية رأس المال المعتدل » ، ثم وجدناه يقرر نظرية اقتصادية من أقوم النظريات ، حيث يعتبر : أن رأس المال إذا طغى وخرج عن وظيفته وجنح إلى العبث بأرزاق الناس وأسواقهم ، وجب تقليم أظفاره ، ورده إلى الوضع السليم الذى ينبغى أن يكون فيه ، وأن رأس المال المعتدل الذى ينضم إليه عمل العامل ، وجهد المكافح فى سبيل إسعاد نفسه ، وإسعاد مجتمعه ، هو الذى يحق له أن يعيش فى كنف المجتمع ، وفى ضيافة ولى الأمر وحمايته آمناً مطمئناً

● وهذا الفقه الاقتصادى العمرى مأخوذ من هدى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إذ يقول : « الجالب مرزوق ، والمحتكر ملعون » ، وقد طبقه عمر تطبيقاً عملياً تنفيذيا فى صورة قانون ملزم ، أخذا من ثناء النبى صلى الله عليه وسلم على الجالب ، وذمه للمحتكر ، فحول الثناء والذم إلى حكمين عمليين نافذين فى المجتمع بقوة القانون .

وهكذا يفعل ولى الأمر حين يجد فى الشرع إباحة أو نهيا ، فيراعى مصلحة المجتمع الفعلية فى إلزام الناس بهما عن طريق السلطة التنفيذية .

٢ — وفى الموطأ أيضا :

« وحدثنى عن مالك ، عن يونس بن يوسف ، عن سعيد بن المسيب : أن عمر بن الخطاب مرّ بحاطب بن أبى بلتعة ، وهو يبيع زبيبا له بالسوق ، فقال له عمر بن الخطاب : إما أن تزيد فى السعر ، وإما أن ترفع من سوقنا » - قال عيسى بن دينار : إن معنى ذلك أن حاطب بن أبى بلتعة كان يبيع دون سعر الناس ، فأمره عمر أن يلحق بسعر الناس أو يقوم من السوق .

وهذه لفتة أخرى من عمر ، التفت إليها قبل أهل الاقتصاد الحديث بقرون وقرون ، وهى أن بعض التجار يدخلون الأسواق بسلعهم قاصدين الإفساد وإحداث الشغب وإيذاء الناس ، فيبيعون بخمسة مثلا ما قيمته فى السوق سبعة أو عشرة ، ويرمون بذلك إلى إظهار غيرهم بمظهر المغالين ، وإلى أن تبور عليهم سلعهم ، فإذا طال عليهم الأمد اضطروا إلى البيع بخسارة ، ثم قاموا من السوق مخذولين ، فيبقى به الذين أرخصوا عليهم منفردين ثم يتحكمون فى الأثمان بعد ذلك كما يشاءون .

وهذه الطريقة معروفة فى عصرنا ، وكان أساتذتها أو شياطينها : اليهود ، فكانوا يقيمون الشركات أو المصانع ، ويستوردون أو ينتجون صنفا معينا ، ويجعلون له سعرا منخفضا ، عن سائر ما يبيع به غيرهم مع جودة هذا الصنف ، ومع أنه يكلفهم فى استيراده أو إنتاجه ثمنا أكبر ولكنهم يرمون إلى إفساد السوق على أصحابها ، وإلى أن تبور سلعهم ، وتكسد تجارتهم ، ويتراكم إنتاجهم ، فيصيبهم الخسران ، ليحلوا هم محلهم ، ويصبحوا سادة الأسواق فى شأن هذه السلعة بذاتها .

وكان هؤلاء اليهود ومن سار على نهجهم يدبرون ذلك عن دراسة وتثبت ، ويضحون أول الأمر بمئات الألوف ، ثقة بأنهم سيعوضون أضعافها حين ينفردون بالسوق ، بعد أن يخرجوا منها سواهم .

وهذا لون آخر من ألوان « رأس المال المستغل » هو احتكار بصورة أخرى ، يبدأ بتحطيم الآخرين ، وينتهى بالانفراد بالسلعة والتحكم فيها .

وقد قرر عمر أن يقيم البائع المفسد من السوق أو أن يرفعه منه ، وهذا فى عرفنا هو « شطب اسم التاجر من السجل التجارى » .

وسياسة عمر الاقتصادية فى ذلك هى السياسة الراشدة المتفقة مع روح الإسلام ، ورعاية المصالح وإن بدا أنها مخالفة للمبدأ المقرر من أن الناس مسلطون على أموالهم ، ليس لأحد أن يأخذها أو شيئا منها بغير رضاهم وطيب أنفسهم ، ولا أن يمنعهم من التصرف فيها كما يشاءون ، فإن هذه القاعدة لها مستثنيات حكم بها الصحابة ومن بعدهم من التابعين والفقهاء ، رعاية للمصالح ، ودفعا للحرج ، وتمشيا مع ضرورات الجمهور ، ومن شاء أن يعرف ذلك ؛ فلينظر إلى « التسعير » الذى هو جبر على البيع بسعر المثل ، ولينظر إلى الشفعة التى هى إخراج الشىء من ملك صاحبه قهرا بثمنه للمصلحة الراجحة ، وليقرأ ما كتبه ابن القيم فى كتابه « الطرق الحكمية » ص ٢٣٦ ، حيث يقول :

« إن الشريك مسلط على انتزاع المشفوع فيه من يد المشترى بثمنه الذى ابتاعه به ، لا بزيادة عليه ، لأجل مصلحة التكميل لواحد ، فكيف بما هو أعظم من ذلك ، فإذا جوز له انتزاعه منه بالثمن الذى وقع عليه العقد ، لا بما شاء المشترى من الثمن لأجل هذه المصلحة الجزئية ؛ فكيف إذا اضطر إلى ما عنده من طعام وشراب ولباس وآلة حرب وكذلك إذا اضطر الحاج - أى الحجاج لبيت الله الحرام - إلى ما عند الناس من آلات السفر وغيرها ؛ فعلى ولى الأمر أن يجبرهم على ذلك بثمن المثل ، لا بما يريدونه من الثمن ... فإذا قدر أن قوما اضطروا إلى السكنى فى بيت إنسان لا يجدون سواه ، أو النزول فى خان مملوك ، أو استعارة ثياب يستدفئون بها ، أو رحى للطحن ، أو دلو لنزع الماء ، أو قدر ، أو فأس ، أو غير ذلك ؛ وجب على صاحبه بذل ذلك بلا نزاع ، لكن : هل له أن يأخذ عليه أجراً ؟ فيه قولان للعلماء ، والصحيح أنه يجب عليه بذل ذلك مجانا ، لما دل عليه الكتاب والسنة ، قال تعالى : « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون » ، قال ابن مسعود ، وابن عباس ، وغيرهما من الصحابة : هو إعارة القدر ، والدلو ، والفأس ونحوها » . »

محمد محمد المدنى

حرية التفكير والتعبير في الإسلام

للأستاذ الدكتور
علي عبد الواحد وافي

يعنون بحرية التفكير والتعبير أن يكون للإنسان الحق فى أن يفكر تفكيراً مستقلا فى جميع ما يكتنفه من شئون ، وما يقع تحت إدراكه من ظواهر ، وأن يأخذ بما يهديه إليه فهمه ، ويعبر عنه بمختلف وسائل التعبير .

وقد أقر الإسلام هذا الحق فى أوسع نطاق ، فمنح كل فرد الحق فى النظر والتفكير وإبداء رأيه من أى طريق شاء . وعلى هذا المبدأ الجليل سار الرسول عليه السلام ، وسار الخلفاء الراشدون من بعده . فقد كانت حرية الرأى فى عهدهم جميعاً مكفولة ومحاطة بسياج من القدسية . وباستقرار تاريخ هذه المرحلة الذهبية التى تمثل مبادئ الإسلام أصدق تمثيل لا نعثر على أية محاولة من جانب أولى الأمر للحجر على حرية الآراء . بل إن العمل بهذا المبدأ قد ظل مرعياً فى عهد بنى أمية وصدر بنى العباس . فما كان الخلفاء فى هذين العصرين ليحاربوا إلا الآراء التى يعتقدون أنها تهدد سلامة الدولة أو تنشر الفتنة بين الناس . وكان هؤلاء وأولئك يستوحون ما يسيرون عليه فى هذا الصدد من روح الإسلام ومبادئه . بل إن احترام بعض الخلفاء لحرية الرأى فى عصر بنى أمية والعباس قد وصل إلى حد جعلهم يتحرجون من وضع أى قيد فى هذا السبيل ، فقد كان الناس فى عهد عمر ابن عبد العزيز ، والمأمون بن هارون الرشيد وغيرهما يتناقشون بكامل الحرية وفى حضرة الخليفة نفسه فى شأن الأسرة المالكة ومبلغ استحقاقها للخلافة .

وأما ما أثر فى بعض العصور الإسلامية ، وخاصة فى عصور أبى جعفر المنصور والمأمون والمعتصم من محاولات لمحاربة الآراء وإيذاء القائلين بها ، كإيذاء الإمام مالك فى عصر أبى جعفر المنصور لتقريره أن أيمان المكره غير ملزمة له ، وإيذاء الإمام أحمد بن حنبل وكثير من أئمة الإسلام فى مختلف البلاد الإسلامية فى عصر المأمون والمعتصم لامتناعهم عن القول بخلق القرآن ، فإن كل ذلك كان منبعثاً فى الغالب عن اعتبارات سياسية خاصة ، وكان على كل حال انحرافاً صريحاً عن مبادئ الإسلام . وقد دمغه بذلك كل من يعتد بآرائهم من أئمة المسلمين .

ويدخل فى الحرية الفكرية ما يسمونه بالحرية العلمية أو حرية التفكير العلمى ؛ وهى أن يكون لكل فرد الحق فى تقرير ما يراه فى صدد ظواهر الفلك والطبيعة والحيوان والنبات والإنسان ، والأخذ بما يهديه إليه تفكيره وما يقتنع بصحته من نظريات ، والتعبير عن رأيه بمختلف وسائل التعبير .

ولا يختلف موقف الإسلام حيال هذه الحرية الفكرية الخاصة عن موقفه حيال الحرية الفكرية العامة الذى بيناه فيما سبق . فالإسلام لم يحاول مطلقاً أن يفرض نظرية علمية معينة بصدد أية

ظاهرة من هذه الظواهر ، ولم يعرض القرآن ولا السنة الشريفة لتفاصيل هذه الأمور . وكل ما فعله القرآن فى هذه الناحية أنه استحث العقول على النظر فى ظواهر الكون ، وحفز الناس على التأمل فى هذه الشئون ، واستنباط قوانينها العامة ، وأثار فى نفوسهم حب الاستطلاع حيال الأمور التى لا تثير الانتباه بطبعها ، لتكرر حدوثها ، وسيرها على وتيرة واحدة ، ولإيلاف الناس النظر إليها ، كشئون الليل والنهار ، والشمس والقمر والكواكب ، وتتابع الفصول ، وتناسل الحيوان ، وتكاثر النبات ، وطفو بعض الأجسام على الماء ، ونزول المطر ... وما إلى ذلك من مسائل العلوم والفنون ؛ فبين لهم أن هذه الأمور جديرة بالتأمل ، وأن فيها مجالا كبيراً للنظر والعبرة والبحث العلمى .

وفى هذا يقول الله تعالى : « أو لم ينظروا فى ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شئ ؟ ؟ »(١) . ويقول : « إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون »(٢) . ويقول : « ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء ؛ يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار يقلب الله الليل والنهار ؛ إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار »(١) . ويقول : « ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ؛ إن فى ذلك لآيات للعالمين . ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون »(٢) . ويقول : « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ؟ وإلى السماء كيف رفعت ؟ وإلى الجبال كيف نصبت ؟ وإلى الأرض كيف سطحت »(٣) .

وهكذا نرى توجيه الله تعالى قد طوف بنا فى جميع أنحاء الكون : سمائه وأرضه ؛ حيه وميته ؛ حيوانه ونباته وإنسانه ، لا لشئ إلا ليحث العقول على النظر والتدبر فى هذه الظواهر واستنباط القوانين العامة الدقيقة التى تحكمها وتسير بمقتضاها ، ولنتخذ من ذلك دليلا على قدرته وحسن صنعه . « صنع الله الذى أتقن كل شئ » .

وفى جميع هذه الآيات وما إليها التى يزخر بها الكتاب الكريم لا نشتم أية رائحة لفرض نظرية علمية معينة ، ولم يقصد القرآن بالتوجيهات الواردة فيها إلا ما ذكرناه من حث العقول على النظر فى محتويات الكون ؛ ثم ترك بعد ذلك لكل فرد كامل الحرية فى تقرير ما يراه والانتصار له واعتناق ما يقتنع بصحته من نظريات .

ولا أدل على ذلك من أن القرآن فى إجابته على سؤال وجه إلى الرسول عن مراحل القمر وأسباب تزايد قرصه وتناقصه ، وقد تحاشى أن يدخل فى تفاصيل هذه الأمور الفلكية وقوانينها حتى لا يفرض نظرية علمية على العقول كما فعلت

(١) آية ١٨٥ من سورة الأعراف .
(٢) آية ١٦٤ من سورة البقرة .

(١) آيتى ٤٣ ، ٤٤ من سورة النور .
(٢) آيتى ٢٢ ، ٢٣ من سورة الروم .
(٣) آيات ١٧ - ٢٠ من سورة الغاشية .

الكاثوليكية المنحرفة من قبله ، وحتى لا يحجر على الأذهان النظر فى هذه الأمور ، واكتفى بأن يذكر بعض فوائد القمر ، وأنه يحدد مواقيت الشهور والأيام التى تؤدى فيها شعائر الحج . ، فى هذا يقول الله تعالى : « يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج » (١) ، فكأنه يقول لهم ، يكفى أن تعلموا فيما يتعلق بصلة الأهلة بشئون الدين أنها مواقيت للناس فى الشهور والصيام وشعائر الحج ، أما ماوراء ذلك من أسباب تزايد قرص القمر وتناقصه وخسوفه أحيانا أو حجبه عن النظر وعلاقته بالشمس وبالأرض ، أما هذه الأمور وما إليها ، فأترك لعقولكم كامل الحرية فى بحثها والاهتداء إلى كنهها وأسبابها .

ولا أدل على ذلك أيضا من أن الرسول عليه السلام حينما أشار على بعض الناس بعدم تأبير النخل ، أى تلقيح إناثها بطلع ذكورها ، ثم تبين أن ذلك يؤدى إلى عدم إثمارها ، ذكر أنه إنما تحدث فى ذلك برأيه الخاص ، وأن رأيه الخاص عرضة للخطأ والصواب ، وأن هذا الحكم يسرى على كل ما يتحدث عنه من أمور الدنيا ، وأن للناس الحق فى البحث فى أمور دنياهم وعلاجها على الوجه الذى تهديهم إليه تجاربهم وأفكارهم ، وأنهم قد يكونون أعلم ببعضها من الرسول نفسه ، وأن الأمور التى كلف تبليغها إلى الناس من قبل الله وهى التى لا يمكن أن يتطرق إليها الشك مقصورة على شئون الدين عقائده وشرائعه . ونص هذا الحديث كما أخرجه مسلم فى صحيحه عن موسى بن طلحة عن أبيه مرفوعا : « إن كان ذلك ينفعهم فليصنعوه . فإنى إنما ظننت ظنا ؛ فلا تؤاخذونى بالظن . ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به فإنى لن أكذب على الله عز وجل » . وفى رواية رافع ابن خديج : « إنما أنا بشر : إذا أمرتكم بشىء من أمر دينكم فخذوا به ؛ وإذا أمرتكم بشىء من رأيى فإنما أنا بشر » وفى رواية عائشة : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » (١)

ومن هنا تظهر لنا بشاعة الجناية الكبرى التى جناها بعض من أقحموا أنفسهم فى الدراسات الإسلامية إذ يحاولون أن يفسروا بعض آيات القرآن تفسيرا يجعلها منطوية على النظريات العلمية الحديثة ، ويسيئون بذلك أبلغ إساءة - من حيث لا يعلمون - إلى الإسلام والقرآن من عدة وجوه .

١ — فهم أولا يتعسفون كل التعسف فى تفسير آيات الكتاب الكريم ، وتحميلها مالا تحتمل من المعانى ، وما لم يفهمه العرب منها ولا يمكن أن يفهمه منها عالم باللغة العربية وأساليبها فى البيان حتى يتاح لهم أن يقرروا أن القرآن قد سبق البحوث الحديثة بما قالت به من نظريات ، وما اكتشفته من قوانين ، أو قد تنبأ بما عسى أن تنتهى إليه من نتائج .

والأمثلة على ذلك تجل عن الحصر فيما يخرجه هؤلاء من كتب وما ينشرونه من مقالات .

فمن ذلك مثلا ما يقوله أحدهم فى فصل عقده فى كتابه عن « وحدة الخلق » ، إذ يفسر قوله تعالى : « هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها » ، بأن النفس هى البروتون

(١) آية ١٨٩ من سورة البقرة .

(١) انظر تفصيلا لذلك فى شرح النووى على مسلم وفى رسالة التوحيد للإمام محمد عبده وتعليق السيد رشيد رضا فى هذه الرسالة على هذا الموضوع ، وفى مقال لنا فى عدد أكتوبر ١٩٦٣ فى مجلة منبر الإسلام عنوانه « حديث تأبير النخل وما يرشد إليه » .

وأن زوجها هو الأليكترون ، وهما العنصران اللذان تتألف منهما الذرة . وفى ذلك يقول بعد كلام كثير عن الجسميات التى تتألف منها الذرة : « وهذه الحقيقة العلمية التى يتيه بها العصر الحديث قد جاء بها القرآن الكريم منذ ١٤٠٠ سنة فى صراحة ووضوح إذ تقرر الآية ١٨٩ من سورة الأعراف أن كل ما خلق الله إنما خلقه من نفس واحدة وجعل منها زوجها ، .. أليست هذه هى البروتونات والأليكترونات ... الكهارب الواحدة موجبة وسالبة ، أى النفس الواحدة .. الزوجية الجنس بين موجب وسالب ؟ » (ص ١٣٦ من كتاب القرآن والعلم الحديث ، لعبد الرازق نوفل) ، ومن الغريب أنه كان يكفى هذا الكاتب لاتقاء تخبطه هـــذا وتعسفه فى تفسير الآية الكريمة أن يقرأها كاملة ويتأمل معناها إذ تقول « هو الذى خلقكم من نفس واحدة ، وجعل منها زوجها ليسكن إليها ، فلما تغشاها حملت حملا خفيفاً فمرت به ، فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين » . أو لعله كان يقول حينئذ فى تفسير أواخرها ليتسق معناها مع ما ذهب إليه فى تفسير أوائلها « إن الأليكترون قد تغشى البروتون فحملت منه حملا خفيفاً ثم تضخم هـذا الحمل حتى انفجر فى قنبلة هيروشيما ! » .

ومن ذلك أيضاً ما يقوله المؤلف نفسه فى فصل عقده فى كتابه السابق ذكره عن « الأقمار الصناعية وغزو الفضاء » إذ يفسر قوله تعالى : « وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » (آية ٨٢ من سورة النمل لا من سورة النحل كما ذكر فى كتابه) فيزعم أن الآية تشير إلى الأقمار الصناعية وسفن الفضاء وما تحمله من دواب . وفى ذلك يقول : « أطلقت روسيا أجهزة علمية سميت بالأقمار الصناعية تدور حول الأرض .. وأتبعتها أجهزة أخرى تحمل نوعا من الكائنات الحية لتدرس تأثير الانطلاق والارتفاع والإشعاع والضوء والجاذبية .. وهذه الأقمار التى خرجت من الأرض ، فى الوقت الذى انتشر فيه الإلحاد لتتحدث هى فى الكون الغامض ، وتزيح بعضاً من هـذا الغموض ... ألا يمكن أن تكون هذه هى الدابة التى تنبأ بها القرآن الكريم فى سورة النحل (صوابه فى سورة النمل) فى الآية ٨٢ التى تقول : « وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » (ص ١٨٧ ، ١٩٠ من الكتاب نفسه) - ولعله يزعم أن الكلبة « لايكا » التى وضعها الروس فى أول تجربة لسفن الفضاء قبل أن يضعوا فيها أناسى من البشر قد تكلمت بلغة الكلاب فى أثناء دورانها حول الأرض فنعت على الآدميين عدم إيمانهم بآيات الله !!

ومن ذلك أيضاً ما يقوله المؤلف نفسه فى فصل عقده فى كتابه السابق عن « الغثاء الأحوى » إذ يفسر الغثاء الأحوى فى قوله تعالى : « والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى » (آيتى ٤ ، ٥ من سورة الأعلى) بأن المقصود منه الفحم الحجرى وفى ذلك يقول : « لبثت هـذه الكتل الضخمة من الأشجار والنباتات . مطمورة فى باطن الأرض سنين عديدة حتى اكتشفها الإنسان واستعملها وقودا سماه فحما . أليس ذلك ما يقول به القرآن إذ أن الله هو الذى أخرج المرعى ثم جعله غثاء أحوى » (٧٧ من الكتاب نفسه) - فكأن الله تعالى قد من على الناس فى القرن السابع الميلادى

بتطور جيولوجى لم يكونوا قد عرفوه بعد ، ولا يستطيعون فهمه من عبارة الآية !.

ومن ذلك أيضا مايقوله المؤلف نفسه فى فصل عقده فى كتابه السابق عن انشقاق القمر إذ يفسر قوله تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر » فيقول : « إن القمر يقترب من الأرض ، وهذا الاقتراب وإن كان يسير حثيثا (يريد أن يقول بطيئا ، فجاء بكلمة تفيد ضد المعنى الذى يريده) ... إلا أنه بتوالى العصور سيجعل القمر يقترب من منطقة تفوق الجاذبية منها تلك التى تجعله على بعده من الأرض الذى يحفظه ... وإن أول علامة على دخول منطقة الخطر هو حدوث زلازل مدمرة فى القمر ... حتى يصل الحال ... إلى زلزلة عنيفة دائمة تسبب انشقاقه ، وإذا انشق وتهاوى مكونا طبقات حول الأرض كما فى زحل أفلا يؤثر ذلك فى جاذبية كواكب وأجرام أخرى تمسكها جاذبية القمر نفسه ؟ .. فهلا يكون ذلك دليلا على قيام الساعة ؟ .. ويكون انشقاق القمر بذلك دليلا على اقترابها ؟ أولا يكون القرآن قد سبق العلم بذلك بعدة قرون ؟ أولا يلقى ذلك بضوء على تفسير الآية الأولى من سورة القمر التى تقول : « اقتربت الساعة وانشق القمر » ؟ (ا . هـ . بعباراته الركيكة من صفحة ١٦٠ من الكتاب نفسه) .

وهذا قليل من كثير مما حواه هذا الكتاب العجيب من هراء وما تحويه كتب أخرى على شاكلته، وانظر إلى أى مدى يصل التعسف بهؤلاء فى تفسير آى الذكر الحكيم وتحميلها ما لا تحتمل وفى التلاعب بكلام الله واتخاذه هزوا .

ولا أدرى كيف استطاع صاحب هذا الكتاب أن ينتزع تقريظا وثناء ضخما على ما جاء به من مفتى الجمهورية حينئذ ، وهو الآن الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، ومن عميد كلية الشريعة فى الوقت الذى ظهر فيه مؤلفه (انظر هذا التقريظ وهذا الثناء فى صفحتى ١٩٧ ، ١٩٩ فى نهاية هذا الكتاب) .

٢ — ولا يقتصر الأمر على تعسف هؤلاء فى تفسير آيات الذكر الحكيم وتحميلها من المعانى ما لا تحتمل ، بل إنهم كذلك بمسلكهم هذا يعرضون كلام الله للكذب والتكذيب ، تعالت كلمات الله عن ذلك علوا كبيرا ، وذلك أن النظريات العلمية ليست ثابتة ، ولم تقل الكلمة النهائية فيما تعالجه من ظواهر ، وقد تظهر كشوف أخرى تبين عن خطئها أو عن نقصها ، فإذا فسر كتاب الله على وجه يتفق مع نظريات حاضرة ، ثم ظهر عدم صحتها فيما بعد ، فإن هذا يدعو إلى تكذيب كتاب الله ، أو على الأقل زعزعة ثقة الناس بحقائقه .

٣ — وهم بذلك أيضا يصمون الإسلام بوصمة هو منها براء ، إذ يحاولون بذلك أن يظهروا القرآن بمظهر كتاب يقرر النظريات العلمية على أنها عقائد دينية نزل بها الوحى الأمين من قبل الله تعالى وهذا مخالف لاتجاه الإسلام وروحه ، ولما يحث عليه القرآن من التأمل فى ظواهر الكون واستنباط قوانينها العامة ، ولما يقرره من مبادئ سامية تتعلق بحرية التفكير والتعبير .

دكتور على عبد الواحد وافى

(التعليق على هذا المقال فى الصفحة التالية)

تعقيب

نشرت هذه المجلة عدة بحوث قيمة للدكتور محمد أحمد الغمراوى فى موضوع « الناحية العلمية من إعجاز القرآن » وقد أثبت فيها بما لا يرقى إليه شك ، أن هذا الجانب من إعجاز القرآن خليق بعناية العلماء واهتمام الباحثين وعرض كثيراً من الآيات وكثيراً من الحقائق العلمية التى تنطبق عليها هذه الآيات ويزداد بها القرآن إشراقا وائتلاقا فى ضوء العلم ، بما يدل كما يدل كل شئ فيه على أنه تنزيل من حكيم عليم ، وأنه من جميع جوانبه معجز ، وأنه كما يقول الله فيه : « قل أنزله الذى يعلم السر فى السماوات والأرض » ، فلا يتعارض ولا يتناقض مع حقيقة علمية تبوح بها التجارب والمعامل ، وهو كما يقول فيه قائله . « لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه ، والملائكة يشهدون » ، وكما يقول فيه : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شهيد » .

أما ما ذكره الدكتور « على عبد الواحد » من آراء وتأويلات ضعيفة وفاسدة لبعض الباحثين فى هذا الأمر . فحسوب على الباحث لا على القرآن ، كما يحسب كثير من أخطاء المفسرين القدماء عليهم لا على هذا الكتاب : « الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » ، ولا يصح أن تتخذ من ذلك ذريعة لتغطية هذا الجانب المتألق من إعجاز القرآن العلمى ، وقد رأى القراء الجانب المشرق فى البحوث التى طالعوها للدكتور محمد أحمد الغمراوى – ومنزلته فى العلم والبصر بعلوم اللغة معروفة – ما يفسر به قول الله : « ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدى إلى صراط العزيز الحميد » .

وصدق الشاعر العظيم شوقى إذ يقول :

جاء النبيون بالآيات فانصرمت
وجئتنا بحكيم غير منصرم

آياته كلما طال المدى جدد
يزينهن جلال العتق والقدم

ومهما يكن من شئ فالقرآن كتاب الله . والعلوم الكونية وما تسفر عنه البحوث والتجارب من حقائق لا يرقى إليها الشك نرحب بها ونفسر بها القرآن على أنها خادمة له لا مخدومة به ، وعلى أنه حاكم عليها . لا محكوم بها ؟

عبد الرحيم فودة

إلى أي مدى تتغير الأحكام الشرعية بتغير الأزمان؟

للأستاذ بدر عبد الباسط

— ٧ —

بينت فى المقالات السابقة الحدود التى يجب أن نقف عندها فى التشريع والفتيا ، كما بينت الأسس التى أرى أن سنة التطور يمكن أن تمتد إليها من الأحكام الشرعية ، وما قرره أئمتنا من المسائل الفقهية على أن لا يكون هذا التطور والتجديد مبعثه الهوى وحب التقليد .

وأحاول - فى مقالاتى الآتية بحول الله وقوته - أن أتتبع المسائل الفقهية فى مظانها، وأبين ما تطور منها وما يمكن أن يتطور وأرد كل مسألة إلى أصل من الأصول التى قررتها فيما سبق والله - وحده - المستعان

وقبل أن أخوض فى هذا البحر الخضم من المسائل الفقهية أحب ان أقرر أن الشارع نفسه راعى التدرج والتطور فى بعض المسائل، ولم يأخذ الناس أخذا بالأحكام النهائية التى استقر عليها الأمر ، وفى هذا حكمة بالغة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وأولى هذه المسائل :

الدعوة إلى الإسلام :

إن المتتبع لتاريخ الدعوة منذ نشأتها يجد التدرج فى كل خطوة من خطواتها ؛ بل إن الله - سبحانه وتعالى - هيأ النفوس قبل البعثة إلى التطلع إلى حدث جديد يرد البشرية إلى جادة الحق الذى انحرفت عنه ! كما هيأ محمداً صلى الله عليه وسلم فى شبابه لتحمل أعباء هذه الرسالة ، وأدبه تأديبا حتى لا يأخذ عليه حسود حاقد خطأ ارتكبه فى شبابه فيعيره به ؛ بل اشتهر بين قومه بالصادق الأمين ، وما عاداه من عاداه وحاربه من حاربه إلا بدافع الحقد والحسد ؛ فقد استعظموا أن يختار لهذا الشرف : «وقالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » ، وما علموا أن الرسالة اختيار واجتباء : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » ، ولهذا رد الله عليهم قولهم التى أملاها الحقد والحسد فقال جل شأنه : « أهم يقسمون رحمة ربك » .

فى هذا الجو المهيأ لحدث عظيم من السماء نبئ النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن نبوته مفاجأة له حتى ينخلع لها قلبه ويطيش لعظمها لبه ، بل كانت - كذلك - تدرجا وتطوراً ؛ فكان أول ما بدئ به من الوحى الرؤيا الصادقة ؛ فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ليربط على قلبه ، ويهيئه لتلقى وحى ربه ؛ ثم حبب إليه الخلاء ؛ فكان يتعبد فى غار حراء بالنظر فى ملكوت السماوات والأرض ، وبما يفض الله به عليه من علم لم ينزل به وحى بعد ؛ إلى أن أشرقت نفسه الشريفة إشراقا أهلها لحمل رسالة السماء ؛ وحينئذ نزل جبريل بأول آية فى كتاب الله نزولا : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك

الأكرم الذى علم بالقلم. علم الإنسان مالم يعلم » .
فرجع بها يرجف فؤاده ، وكان من توفيق الله له إن كانت بجواره زوجه الحنون ذات النفس القوية والروح العالية الأبية أم المؤمنين خديجة الكبرى فواسته وطمأنته ، وبثت فيه روح الثقة ، واستنتجت بفطرتها السليمة النقية أن من كان على خلق مثل خلقه لا يخذله الله أبداً ، فقد أثر عنها رضى الله عنها أنها قالت له حينما قال لها : « لقد خشيت على نفسى » ، « كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق » .

ثم لما هدأت نفسه من لقيا الملك لأول مرة فترمدة لتتشوف نفسه إلى لقياه حتى رآه مرة أخرى فذهب إلى خديجة رضى الله عنها يقول : زملونى زملونى دثرونى دثرونى فنزل قوله تعالى : « يأيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر . ولا تمنن تستكثر . ولربك فاصبر » .

فكان هذا أول أمره بحمل أعباء الرسالة ، والصبر على مشاق الدعوة ؛ وكان - كما أمره ربه - صابراً ؛ فبدأ بأقرب الناس إليه زوجه خديجة وابن عمه على بن أبى طالب الذى ربى فى بيته ونشأ فى كفالته وكذا زيد بن حارثة حبه والذى كان قد تبناه فى الجاهلية ثم صديقه الوفى وأمين سره فى شبابه أبو بكر بن أبى قحافة ؛ ثم صارت الدعوة فى خفية حتى لا يقضى عليها فى مهدها من المستكبرين الحاقدين ؛ وبدأت الدعوة تغزو القلوب ، فتفتحت أعيناً عمياً وآذاناً صماً ، وبدأ يستجيب لها نفر من هنا ونفر من هناك ؛ والرسول صلى الله عليه وسلم جاد فى دعوته وأبو بكر رضى الله عنه بما أوتى من لين العريكة يؤازره ويدعو من يثق به ؛ كل هذا كان سراً ؛ وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يجتمع بعيداً عن أعين قومه فى دار الأرقم بن أبى الأرقم ، وحينما بدأت أخبار الدعوة تصل إلى مسامع قريش أمره الله تعالى بأن يجهر بها ؟ فإن الذين استجابوا له بعد أن ثبت الإيمان فى قلوبهم أصبحوا لا يأبهون بوعيد القوم وفتنتهم ؛ فإن حلاوة الإيمان فى قلوبهم تجعلهم يستهينون بكل شىء فى سبيل عقيدتهم ، ويومئذ نزل قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين . إنا كفيناك المستهزئين . الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون » . ولم يتوان عن أمر ربه بل بادر إلى الصفا ونادى قريشاً بطناً بطناً فبدأ بأقرب الناس إليه وهم بنو عبد المطلب ثم الأقرب فالأقرب حتى إذا اجتمعوا قال . « أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتمونى؟ قالوا : نعم ؛ فقال : إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » ، فقال عمه أبو لهب : تباً لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا ، فأنزل الله تعالى : « تبت يدا أبى لهب وتب » إلخ هذه السورة .

وبدأت - يومئذ - فترة الصراع المرير بين الحق الأعزل إلا من قوة الإيمان والباطل المغتر بقوته وجبروته ، ولا بد فى كل صراع بين الحق والباطل أن يمر بهذه الفترة حتى تصقل نفوس دعاة الحق ؛ هذا والناظر إلى آيات الكتاب العزيز المنزلة فى هذه الفترة يراها كلها تدعو إلى الصبر والتحمل كما يراها تضرب الأمثال الكثيرة بما ينتهى إليه أمر المعاندين المستكبرين وما ينتهى إليه أمر المؤمنين المخلصين ، وآيات القصص فى القرآن تكاد كلها تكون مكية ؛ وكلها تهدف إلى التنويه بحسن عاقبة المؤمنين وسوء عاقبة المكذبين .

ثم تدرجت الدعوة إلى مرحلة أخرى وهى الخروج من نطاق أسرته إلى دعوة أهل مكة وما حولها لا فرق فى ذلك بين قريب وبعيد « وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها ».
ثم اتسع نطاق الدعوة إلى دعوة العرب جميعا « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ».

ثم لما استكملت الدعوة أسباب العزة والنصر أعلنها الله دعوة عامة شاملة باقية إلى يوم الدين « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »، « قل أى شىء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ »، فها أنت ترى أن الدعوة لم تأخذ صورة الشمول والدوام إلا بعد مراحل اجتازتها مرحلة مرحلة.

ولما أصبح للمسلمين قوة تستطيع أن تنازل الباطل أذن لهم بالقتال دفاعا عن أنفسهم وعن عقيدتهم « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ».

والأمر بالقتال نفسه قد تدرج فقد كان أول الأمر لا يسمح به إلا فى حال الدفاع عن النفس كما تشير إليه الآيتان السابقتان ثم سمح بالمبادأة بالحرب إن خيف من الأعداء خيانة « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ».

ثم أمرنا أن نقاتل المشركين كافة كما يقاتلوننا كافة « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين ».

واستقر أمر التشريع بين المسلمين وغيرهم ممن خالفهم إلى أن المخالفين لنا فريقان : قوم لم يقاتلونا فى الدين ولم يعينوا علينا عدوا وهؤلاء أمرنا بالإحسان إليهم وبرهم وأن نعاملهم بالقسط والعدل، وقوم حاربونا وظاهروا علينا عدونا وهؤلاء أمرنا بعدم موالاتهم وأن نستعين بالله عليهم وأن لا يكون الأمر بيننا وبينهم خيانة ومفاجأة بل تنبيه إليهم على سواء.

وآيات القتال الواردة فى القرآن ليس بينها تضارب ولا اختلاف، وإنما هى تدرج بالتشريع فى مسائل الحرب حسبما اقتضته سنة التطور من حالة الضعف إلى حال القوة التى تستطيع الدفاع ولا تقوى على الهجوم إلى حالة القوة على الدفاع والهجوم معا.

فها أنت ترى - أيها القارىء الكريم - أن أصل الدعوة قد أخذ أطوارا شتى وكان هذا تعليما من الله لنا أن نأخذ الأمور تدرجا، وأن لا تكون طفرتنا غير مدروسة.

وفى سنة التدرج فى الدعوة درس يجب أن يتدبره من نصبوا أنفسهم أو نصبتهم ظروفهم للدعوة الإصلاحية ولا سيما إذا كانت فى بيئة تنفر من دعوى الإصلاح، فإنه لا بد لكل دعوة من عصبية تذود عنها وقوة تحميها ولا تتكون العصبية ولا توجد القوة إلا بعد فترة إعداد وحسن توجيه وتربية صحيحة، والأساس الأول لكل إصلاح هو الإيمان الذى لا يخالطه زيغ والعقيدة الصلبة التى تصمد أمام الأحداث.

ودراسة تاريخ الدعوة الإسلامية خير نموذج لمن أراد النجاح لدعوته الإصلاحية.

(يتبع)

بدر المتولى عبد الباسط

نفحات القرآن

الإنسان بين طموحه وجموحه

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

« ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم .. فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون » .

---

١ — الإنسان طموح إلى الخير فيطلبه ، ويستعجله ، ويود لو اجتمع له من أطرافه ، ولو لم يكن جديرا بشىء منه .

وله جموح إلى الشر فيعمله ، وقد يطلبه ، وهو لا يرضاه ، ولا يحتمل الوقوع فيه .

والطموح إلى الخير غريزة لا يعاب عليها الإنسان ولكن العيب فى الإسراف فى الانشغال به فوق حد الاعتدال ...

كما أن الجموح إلى الشر ، وطلبه معيب ، لأنه مضاد للغريزة .

وطلب الشر كيفما كان حمق ، أو نقيصة يأباها العقل الرشيد .

والآية التى معنا تواجهنا بالأمرين : الطموح ، والجموح .

(ا) الطموح

٢ — فهى تذكرنا بأن الناس يتعجلون حصول الخير ، وقد لا يشفقون على أنفسهم فى الطلب ، والإلحاح فيه . فهم يطلبون الولد ، والمال ، ويطلبون الصحة ، والجاه ، ويتعلقون بالرغبات التى تعيش بأنفسهم فى متع الحياة ، ولو تصوروها فى عالم الخيال .

وهم يستبطئون الآمال ، ويستحثون القدر ... حتى ليسأل بعضهم بعضا عن السبب فى تخلف الدعاء مع أن الله قال : « ادعونى أستجب لكم » ، فدعاؤهم كثير ، ولكن الإجابة بطيئة ، كما يقولون .

فغريزة الطموح تدفع بهم إلى التطلع ، وتثير عندهم القلق .

نعم !! إن الدعاء مطلوب ، وهو فى ذاته عبادة لأن النبى علمنا أن الدعاء بالخير مخ العبادة — يعنى لبابها وصفوتها — ولذلك تسمى الصلاة دعاء ، لأن كل ما فيها ضراعة ، ورجاء وحركات ترمز إلى الخضوع ، والتوسل .

— ونعم — كذلك وعد الله بالإجابة ، ولكن وعده منوط بحكمته .

فعليك أن تدعو : ناظرا إلى ما جرى به القدر فى شأنك ، فقد يكون دعاؤك بالخير سببا مقدرا فى حصوله قريبا .

وعندئذ يتضح لك أن وعد الله كان منجزا فى دعواتك بحسب تقديره .

وقد يكون القبول بشىء غير ما دعوته أجدى عليك فى علم الله ، فيحقق لك أمرا لا تدريه .

وكثيرا ما يبدو للإنسان — فيما بعد — أن الله اختار له خيرا مما طلب ، وحينئذ تكون الخيرة فيما اختاره الله تعالى .

وعلى كل تقدير الإجابة فى طلب الخير لا يجوز

حصوله بنفس المطلوب ، أو بخير منه أو بالثواب عليه ، لأنه كما سلف - عبادة - والعبادة تحتاج إلى ثقة في الله ، وإلى تخشع فيها ، ثم قبولها موكول إلى فضله ، والله يقول « ادعوا ربكم تضرعا وخفية » .

وذات يوم مر النبي - صلى الله عليه وسلم - على قوم يلهجون بالدعاء في غير ترفق ، فقال لهم : اربعوا على أنفسكم - أشفقوا - فإنكم لا تدعون أصم ، ولا أعمى ، وإنما تدعون سميعا بصيرا .

هـذا وربما تخلف الدعاء عن القبول بسبب من العبد نفسه .

فربما اتخـذ الدعاء حرفة ، ووسيلة للتواكل فلا يكون عبادة ، بل يكون تكئة للتقاعد .

والدعاء في شرعة الله يكون مع العمل بالقدر الممكن - سواء : أكان في الدين أو الدنيا .

وفي هذا قوله تعالى :

« واستعينوا بالصبر والصلاة » أي : استعينوا على أموركم بالصبر على العمل ، ومشاقه ، وبعبادتي : صلاة ، ودعاء ، وإحسانا .

ومما يؤثر عن الإمام على في هذا قوله - لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ، وهو يقول : اللهم ارزقني ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة .

وقد يكون السبب من العبد أن دعاءه في شيء غير مسموح به شرعا ، فيكون دعاؤه ممزوجا بالمعصية . . أو يكون مطعمه ، ومعاشه من حرام فكيف تصعد إلى ربها كلمات غير بارة ، والله يقول : « إليه يصعد الكلم الطيب . ، ويقول : إنما يتقبل الله من المتقين » .

وذلك استطراد احتجنا إليه في بيان موقف العبد في دعائه ، ولو كان خيرا . . وفي بيان الاستعجال ، دون مراعاة من المرء فيما ينبغي أن يكون عليه من التريث بين رجائه واستعجاله والآية سجلت علينا هذا فيما ذكرناه ، كما سجلته آية أخرى « وكان الإنسان عجولا » .

(ب) الجموح

٤ - ثم تتجلى في الآية كذلك ناحية الجموح في دعائه ، فلا يكون داعيا بالخير ، بل منحدرا إلى الشر ، وطالبا له في دعائه .

ويثور في الإنسان جموحه هذا في غير حالات الدعة ، والاستكانة . . بل في المشادة ، والتجاحد ، كما كان شأن الكفار في معارضتهم للنبي وللقرآن . . فيقول قائلهم عن موافقة منهم : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ، فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » فهذا إمعان في الضلال ، حتى ليتمنوا أن ينزل الشر بهم إن كان حقا مايقول - محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك كان الشأن في غير كفار قريش ، ممن سبقوهم من الأمم المعاندة فهم يستعجلون العذاب الذي يزجرهم به ، ويحذرهم منه الأنبياء .

وهم يغرهم الإمهال حيث لم يصبهم هلاك كما أصاب أسلافهم الغابرين : من قوم هود ، وصالح ، ولوط الخ .

وكذلك يحدث من آخرين كثيرين ، حتى يومنا هذا . فيقول الإنسان عند غضبه : اللهم افعل بي من الشر كذا ، وكذا . . اللهم لا تبارك في فلان ، اللهم أهلك ولدي . . أو نحو هذا من طلب الشر واستعجاله . . . ولكن رحمة الله بعباده سبقت غضبه عليهم . . فلم يعاجلهم بالشر كما طلبوا . . ولو أنه أجاب دعاءهم عاجلا في هذا على نحو ما كانوا يتعجلون الخير ، لهلكوا جميعا ، وقضى الأمر فيهم ولم يبق لهم في الوجود إلا ذكريات سيئات .

٥ - فالناس يسيئون في أعمالهم ، ويتخلفون عن دعوة دينهم ، ويسفهون في دعواتهم . . وهذا كله لجاج في الشر ، وطيش في السلوك .

وتدبير الله في شئون خلقه ، وسياسة ملكه ، لا يتقيد بتفكيرنا ، ولا يتابع تقديرنا . . بل هو

شأن علوى . . ربما أدركت العقول منه جانبا ، وعرفت من أسراره شيئا .

ثم هى بعد ذلك غير قادرة على الإحاطة بكل الجوانب والأسرار .

فالإيمان المطلق مرفأ السلام ، والاطمئنان .

ولو أن الله لم يكن حليما علينا ، ورحيما بنا لما أمهل الكافر على كفره ، ولا الظالم على ظلمه ، ولا الداعى بالشر على حاله ... ولكن الحكمة اقتضت إمهالا . وفى الإمهال عبرة لأولى الأبصار ...

وانظر إلى توجيهات القرآن فى ذلك المقام ...

فالله يقول « ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة » . « لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب ، بل لهم موعد أن يجدوا من دونه موئلا » يعنى مفرا .

ويعيب الله على الناس تهالكهم على هذه الخصلة وتهافتهم على الدعاء بالشر بهذا الحمق .

فإنهم لا يأمنون أن يكون وراء دعائهم هلاك مقدور « ويدعو الإنسان بالشر دعاءه بالخير ، وكان الإنسان عجولا » .

٦ — فالحلم يغريهم بالسفه ، والسخط ، والتورط ، فى المشأمة .

مع تنديد الله بهم فى هذا ، فالإمهال حكمة منه جل شأنه - فربما كان الإمهال فرصة لمن شاء الله هدايتهم ، فيناجون ربهم بالتوبة ، ويتعلقون بالرجاء فى مرضاته . والتوبة تجب ما قبلها من المآثم ولو كانت كفرا .

والله تعالى - لا يعاجلنا بالغضب لأنه يحب التوابين من عباده ، فهو يتيح الفرص أمامنا .

وإن لم يكن الإمهال مجديا فيهم : فهو استدراج للمعرضين ، ومطاولة لهم فى الغواية ، حتى تكون مهلكتهم على شر ما اختاروا لأنفسهم ...

وهذا تحذير الله ، وتهديده فى قوله « فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون » يتركهم الله فى طغيانهم حائرين : لا يهتدون إلى حق ، ولا يتجهون إلى توبة : لأن نفوسهم جامحة ، ولأن ميولهم منصرفة ، والأصم لا يسمع الدعاء .

٧ - وواضح من هذا أن دعاء الإنسان بالشر بغيض إلى الله ، وأنه من التعرض للبلاء ، والله يعيب علينا الاسترسال فى مطاوعة الرغبات ، ولو كانت خيرا فى الدنيا ... فما بالك إذا كانت فى جانب السوء لنفسه ، أو لغيره

٨ - ولكن الله يستثنى من دعاء الشر نوعا خاصا فيأذن فيه ، ويحذرنا من عواقبه ... وهو دعاء المظلوم على ظالمه ، فإن الله ينشد العدل من عباده فيما بينهم ، ويكره الظلم ، وإن كان تافها : فصيانة منه لمبدأ العدل أعطى المظلوم حق الشكوى إلى الله وأذنه أن يدعو على ظالمه ، ووعده بالاجابة « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول : إلا من ظلم . وكان الله سميعا عليما » فهذه نصرة من جانب الله لعبده المظلوم ، المستضعف : فله أن يدعو . والله سميع لما يقول ، وعليم بالظاهر ، والباطن ، وبما هو حق وغير حق .. ولا يسمح الله لعبد أن يستضعف عبدا ، لأنهم جميعا تحت سلطانه وحده .

ثم إن المظلوم لا يعتبر داعيا بالسوء فى حقيقة أمره ، بل هو يطلب من الله إنصافا ، واقتصاصا من ظالمه ، والله يعده بالإجابة ليظل مؤمنا بعدالة الله بين عباده .

وفى هذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم : اتقوا دعوة المظلوم ، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب .

٩ - أما غير المظلوم : ممن يدعون بالشر الكريه فقد وردت آثار تدل على أن دعاءهم لا يستجاب ومنها ما حكاه القرطبى فى تفسيره : أن النبى صلى الله

عليه وسلم - قال : - إنى سألت الله عز وجل : ألا يستجيب دعاء حبيب على حبيبه - وذلك كما يدعو الأب على ولده : مثلا ، فإن دعوة الأب أو الأم تناقض عاطفة الأبوة والأمومة ... ولا يكون دعاؤهما إلا عند سبب عارض ، وأن لا ينتزع الحنان الطبيعى من قلوب الآباء ، والأمهات ، ولا يغلق صدورهم على غير حب مفرط لهم ... فلا يجعل دعوة قاسية طارئة تذهب بهذا الحب المفرط المركز فى حنايا الضلوع إلا : أن يكون الولد ظالما لو الديه ، جبارا فى عمله معهما ، فإنه بذلك يتجاوز حدود البنوة فيما رسم الله نحو الآباء والأمهات .

فقد حذر الله الولد أن يقول لأحدهما كلمة تسىء أو تشعر بالضجر منهما : نحو كلمة - أف - وهى أقرب ما يجرى على اللسان ، ولكنها مع الوالدين محظورة ، وكبيرة .

وحتى مع المخالفة فى الدين : بأن يكون كلاهما ، أو أحدهما غير مسلم ، والولد مسلما ، فإنه مطالب بالإحسان معهما فى شئون الدنيا .

حتى لو أرادا كفره ، أو طلبا منه ذلك فليس له أن يجحد فضلهما ، وواجب البنوة نحوهما ، وعليه أن يدأب على بره بهما : « وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم : فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من أناب إلى » .

وهذا من خير الآداب والمناقب الدينية فى تكريم الوالدين .

١٠ — وإذا استخلصنا من مجموع ما تقدم فى الدعاء بالشر : أنه بغيض إلى الله إلا من المظلوم وأنه فى الجملة غير مقبول : وخاصة - إذا كان لثورة عارضة بين الأحبة كما سلف الحديث النبوى .

فقد وردت أحاديث تزيدنا حذرا من صدوره مخافة أن يكون له أثر بالصدفة ، أو يحدث معه شؤم تجزع منه النفس ، ويقترن به الندم ، ولا يدرك المرء تدارك ما وقع منه فتزداد الفكرة خبالا ... أو يحسب الناس أنه مستجاب ، فيكثرون منه كلما نزغهم الشيطان بالغضب .

ومن ذلك ما رواه الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - قال : سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ... إلى أن قال عن أحد الركبان : إنه سب بعيره - حين وجده يستعصى على القيام - بقوله للبعير - لعنك الله - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هذا اللاعن بعيره ؟ ؟ قال أنا يارسول الله . قال : انزل عنه ، فلا تصحبنا بملعون ، لا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على أموالكم . لئلا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجاب لكم . يعنى مخافة أن تكون ساعة هذا الدعاء ساعة إجابة ، فيتحقق دعاؤكم هذا بما تكرهونه .

وفى رواية أخرى : أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان فى سفر ، فلعن رجل ناقته - ناقة الرجل نفسه - فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أين الذى لعن ناقته ؟ فقال الرجل : أنا يا رسول الله فقال له : أخرها عنك ، فقد أجبت فيها - يعنى استجاب الله لعنك على الناقة . فصارت غير مباركة ، ولا مستحسنة لأصحابها فى السفر ، وبقاؤها معك يكون سببا اختيارا منك فى التعرض لآثار اللعنة المستجابة فى ناقتك .

فعلينا أن نعتدل فيما ندعو من الخير ، ونحزر ما لم يأذن به الله ، فإنه يكون زورا من القول .

ويكون أشبه بعمل الكفار ، والله ينهانا عن كل تشبه بهم « فاجتنبوا الرجس من الأوثان ، واجتنبوا قول الزور حنفاء لله . . . » .؟

عبد اللطيف السبكى

عظمة المهاجرين والأنصار

للأستاذ عبد الرحيم فوده

لم تكن هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة – كما يتوهم البعض – من مظاهر الشعور بالضعف أو الخوف ، بل على العكس من ذلك كانت مظهراً للشعور بالقوة . وصدق الإيمان . ومضاء العزيمة . وبعد الهمة ، وكان بقاؤهم فيها مع عدم جدوى الإقامة بها مع ماكانوا يعانونه ويقاسونه هو الرضوخ للظلم ، والرضا بالهوان . والاستسلام للذل ، وفى ذلك الظلم كل الظلم لأنفسهم التى تنشد العزة والكرامة والحرية فى ظل الإسلام ، بل فى ذلك سوء المصير فى الدنيا والآخرة كما يفهم من قول الله تعالى : « إن الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا : فيم كنتم ، قالوا : كنا مستضعفين فى الأرض قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً ، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً ، ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغماً كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيما » .

فالهجرة فى سبيل الله لا يعقل أن سببها الشعور بالضعف أو الخوف ، وإنما يفسر سببها بكل القيم العظيمة السامية التى تجمعها كلمة « سبيل الله » ، وليس أدل على ذلك من أن هؤلاء المهاجرين عادوا مع الأنصار وعامة المسلمين إلى مكة لتحريرها من رجس الشرك والوثنية ، وتحرير المستضعفين فيها من أغلال الذل والعبودية كما يفهم من قوله تعالى : « وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون : ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيراً ، الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا » .

وقد بلغ من أمر الهجرة عند المسلمين فى أول عهدهم بالإسلام أن كانت رابطة الولاء بينهم ، فإذا تقاعد أو تقاعس عنها واحد منهم انقطعت هذه الرابطة وانحلت عراها كما يفهم من قوله تعالى . « إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا » ، بل لقد بلغ من حرص النبى صلى الله عليه وسلم على أن تكون الهجرة خالصة لله ولرسوله فلا يشوبها غرض آخر غير وجه الله ونصرة الرسول أن قال صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله

فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » . وقد جعل الله الهجرة آية على صدق الإيمان ، والقعود عنها آية على النفاق من حيث قال تعالى فى شأن المنافقين : « فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيراً » .

ومن ذلك كله يتبين أن الهجرة لم تكن عن شعور بالخوف أو إحساس بالضعف وإنما كانت أمرا من الله ورسوله : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » .

هذا إلى أن الهجرة كانت معلومة للنبى وللمسلمين على أنها سنة الأنبياء والمؤمنين قبله وقبلهم ، وقد صرح له بذلك ورقة بن نوفل حين قال له وهو يقص عليه نبأ لقائه مع جبريل فى أول عهده بلقائه وبالوحى الذى تلقاه عنه من الله : « ياليتنى فيها جزعا ، ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجى هم ... ؟ قال : نعم . لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً » .

ونحن إذا تتبعنا مواقف المهاجرين مع الكفار قبل الهجرة وعند الهجرة ، وبعد الهجرة ومواقف الأنصار مع النبى صلى الله عليه وسلم ومع المهاجرين قبل الهجرة وبعدها وجدنا نموذجا من الناس لم يرتفع إلى مستواه جيل من الأجيال فى صدق الإيمان ، وصراحة الخلق . وشجاعة القلب ، وإيثار الموت على الحياة فى سبيل نصرة الحق . والدفاع عنه والكفاح دونه ، فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يهم بالهجرة فلا يخرج إليها مستخفيا ، وإنما يراه الناس وقد تقلد سيفه وتنكب قوسه . وانفض بدنه واختصر عنزته ومضى قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها فطاف بالبيت سبعا . ثم أتى المقام فصلى ركعتين . ثم وقف على الحلق واحدة واحدة . فقال لهم شاهت الوجوه ، لا يرغم الله الا هذه المعاطس . من أراد أن تثكله أمه . أو يوتم ولده ، أو ترمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى » .

وهذا صهيب يأخذ طريقه إلى المدينة بعد أن هاجر إليها النبى صلى الله عليه وسلم فيقف دونه كفار مكة ويحيطون به ثم يقولون له : أتيتنا صعلوكا فقيرا فكثر مالك عندنا ثم تريد أن تخرج بمالك لا والله لا يكون ذلك ، فيقول لهم صهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى . ؟ قالوا : نعم قال فإنى جعلته لكم ، ثم تركه لهم ومضى إلى المدينة فهو آسف ، وبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ربح صهيب ، وهذا عياش بن أبى ربيعة يهاجر قبل النبى إلى المدينة فيحتال عليه أخواه لأمه أبو جهل والحارث بن هشام ثم يوثقانه ويجلدانه ويحبسانه فلا يصرفه ذلك عن دينه بل يظل مصرا عليه مؤمنا به حتى يجد من يخلصه من السجن ويعود به إلى المدينة ، ثم هذا على كرم الله وجهه ينام حيث كان ينام رسول الله وهو يعلم أن القوم متربصون به ليقتلوه ويتفرق دمه فى القبائل ، فلا ينخلع قلبه من خوف الموت ، ويقبل أن يكون حيث تقع السيوف عليه .

هذه بعض الأمثلة لما كان عليه المهاجرون من

صلابة فى الحق لا تلين، وقوة فى الإيمان لا تضعف، وإيثار للدين الذى ارتضاه وألفه على كل ما عداه.

أما الأنصار رضى الله عنهم وعن المهاجرين، فبحسبهم قول الله فيهم: «والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم، ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون».

أما قوتهم فى الحق، وشرفهم فى الوفاء بما عاهدوا الله ورسوله عليه، فتظهر فى بيعة العقبة، وغزوة بدر، وفى كل المعارك التى خاضوها مجاهدين فى سبيل الله، وقد حضر العباس بيعة العقبة الثالثة وهو على دين قومه، ليستوثق لرسول الله منهم، فقال: إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثال رأينا فيه، فهو فى عز ومنعة فى بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم، واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج فمن الآن فدعوه، فإنه فى عز ومنعة من قومه وبلده. فقالوا: سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله فخذ لربك ولنفسك ما أحببت، ثم بايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأبناءهم وعلى حرب الأحمر والأسود، ثم هاجر إليهم فتلقوه على ظمأ وشوق، وقبلوا عن طيب خاطر أن يشاركهم المهاجرون فى أموالهم، وأن يؤاخوهم على الحق والمواساة والتوارث، حتى لقد عرض سعد بن الربيع، وهو من الأنصار، على أخيه: عبد الرحمن بن عوف، وهو من المهاجرين، نصف ماله، وكان له زوجان، فقال له: اختر إحداهما أطلقها وتزوجها، فأبى عبد الرحمن، ودعا الله أن يبارك له فى ماله وزوجه، ثم طلب إليه أن يدله على السوق ليعمل ويتجر حتى كثر ماله.

أما مواقفهم فى الشدة، وبلاؤهم فى الحرب فلا يتسع لتفصيله هذا المقال، وحسبنا أن نذكر مثلا لذلك موقفهم من النبى صلى الله عليه وسلم، وهو يستشيرهم فى الخروج إلى قتال المشركين فى بدر. فقد كانت البيعة على أن يمنعوه فى المدينة، لا على أن يخرجوا لقتال أعدائه خارجها، لهذا أراد صلى الله عليه وسلم أن يتعرف رأيهم، فقال: أشيروا على أيها الناس! وأحس الأنصار أنه يقصدهم، فنهض صاحب رايتهم سعد بن معاذ، وقال: كأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل. فقال سعد: قد آمنا بك، وصدقناك، وأعطيناك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، إنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عيناك، فسر على بركة الله!

هذه هى بعض السمات والصفات التى تنم عن عظمة المهاجرين والأنصار، أما مثلهم الحقيقى فكما يقول الله فيهم: «محمد رسول الله، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم فى التوراة، ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما».

عبد الرحيم فودة

أثر المسلمين في القانون الدولي

للأستاذ الدكتور
محمد مختار القاضي

كانت الحروب الصليبية (١٠٩٥ - ١٢٩١) هى الفصل الأخير من مسرحية العصور الوسطى ، ففيها احتكم الدينان - الإسلامى والمسيحى - إلى السيف ، وقد بلغ فيها كل شىء غايته : التحمس للعقيدة وفتوة الإقطاع وجمال الفروسية وبهجتها وانتشار التجارة واتساعها فى حرب دامت مائتى عام . ولست أكتب هنا لأبين أثر الحروب الصليبية فى التجارة ، أو فى الطب والجراحة ، أو فى نقل مدنية المسلمين التى شاهدها الصليبيون بأعينهم ، وإنما أكتب من زاوية واحدة ، هى أثر هذه الحروب الدينية على التعاون الدولى .

لقد فشلت الحروب الصليبية فى غرضها الأصلى وهو استيلاء الصليبيين على الأماكن المقدسة وكنوز الشرق ، ومع ذلك فقد خدمت أوربا عن طريق غير مباشرة فبسببها نمت التجارة ، وبسببها توطدت روابط الإخاء الدينى بين الدول الأوربية بوضع المسيحيين تحت سلطة دينية واحدة . ولقد تقدمت بسبب الحروب الصليبية مبادىء القانون الدولى وذلك بسبب نشاط التجارة بين الدول المسيحية . نشأ الاتحاد المعروف باتحاد الهانس La Hanse بين الأمم المطلة على سواحل بحر الشمال وبحر البلطيق ، وبين المدن الإيطالية فى البحر الأبيض المتوسط . وتقررت عادات تجارية ثابتة دونت فى مرات شهيرة ، فظهرت قوانين أوليرون Le Rôle d'Oléron أو Law of Ol'eron لتنظيم التجارة البحرية على شواطىء الأطلنطى غرب أوربا وقواعد وزبونس Leges Wesbuenses فى بحر الشمال ، وبحر البلطيق ، وقنصليات البحر المتوسط Consulato del Mare . وكانت هذه القواعد أكثرها أهمية ، فهى وحدها التى بحثت فى الغنائم البحرية أثناء الحرب . ولئن كانت أصولها الأولى نشأت فى رودس - كما تقول دائرة المعارف البريطانية - من عادات يونانية قديمة ، إلا أنها طبعت لأول مرة فى برشلونه الأندلسية عام ١٤٩٤ [(١)] .

لقد تقدم القانون الدولى بسبب الحروب الصليبية ، فيها ازدهرت التجارة على أيدى المسلمين وكانوا سادة البحار طيلة العصور الوسطى . ولم تكن الفكرة الاجتماعية السائدة عند الإغريق أو الرومان لتساعد على ما أحرزه القانون الدولى من تقدم على أيدى المسلمين . أما عن اليونان فقد كانوا يعدون أنفسهم أرقى الشعوب ، ويعدون من عداهم من البربر والعبيد ، لا حرمة لهم ولا عهد حتى إن هوميروس فى شعره كان يحل لصوصية البحر ، وأسلاب البر ، وكان أرسطو يرى أن الخالق وجد البرابرة ليكونوا عبيداً أرقاء ، واعتبر عملا شريفاً محاربتهم لسلب ثروتهم واسترقاقهم . أما روما فقد ضنت على شعوب إمبراطوريتها العظمى بأحكام القانون المدنى الرومانى ، اعتقاد

---

(١) دائرة المعارف البريطانية تحت لفظ Consulate of Sea.

منها بأن الرومان - (سكان مدينة روما الأصليين) هم أيضاً أرقى الأجناس ، فأخذت تعامل سكان الإمبراطورية بقانون آخر غير القانون المدنى ، قانون سمته قانون الشعوب Jus gentium - وهو وإن كان قانوناً يصلح أساساً لعلاقات دولية ، لأنه مستمد من القواعد المشتركة بين الشعوب - إلا أن روما ذاتها لم تكن تعترف لغير سكان الإمبراطورية الرومانية بحق التمتع بالمزايا الواردة فى هذا القانون ، فكانت تأمر بمحاربة الشعوب الخارجة على الإمبراطورية الرومانيــة ، والتى لا تدور فى فلكها ، وبذبحهم وقتلهم قاوموا بطش الإمبراطورية ، ومن لم يمت من هؤلاء بالسيف وقع فى الرق وهذا التصرفات الرومانية لم تكن لتتيسر بوجود قانون دولى عام .

يقول البارون توبه (١) : « إن فضل العالم الإسلامى فى تنمية القانون الدولى وتقدمه كان عظيما فى ناحيتين : ناحية الحرب ، وناحية التجارة الدولية » ، والقارىء لا شك يعرف الكثير عن تعاون المسلمين مع الصليبيين أثناء الهدنات المعقودة مع هؤلاء الصليبيين كالذى فعله صلاح الدين مع ريتشارد قلب الأسد ، ومعاهدات الهدنة التى كان المســلمون ينفذونها بدقة ، ومعاهدات الصلح والمعاهدات التجارية ، كل أولئك يؤيدون ما قاله البارون توبه .

ومبادىء التحكيم الدولى كانت من صنع المسلمين ، والمسلمون دون غيرهم ، فقد نشأ من ازدهار الجاليات الإسلامية فى كثير من البلاد التى تغلب عليها المسلمون شأن جعل لهم استقلالا ملحوظا فى شئونهم ، فكان غير المسلمين من التجار فى جميع البلاد التى يوجد فيها مسلمون ينضوون تحت زعامة هؤلاء الأخيرين ، فكان برأسهم مسلم ولا يقبلون حكم غير المسلمين فيهم ، ولا يتولى القضاء فيهم إلا مسلم ، ولا يقيم عليهم شهادة إلا المسلمون ، وإن قلوا وذلك مثل : بلاد الخزر والسرير واللان وغانة وكوغة وصيمور (الهند) (١) .

وقد أثرت الشريعـــة الإسلامية فى القوانين التجارية فى أوربا تأثيراً ملحوظاً . ذلك بأن نظرية العقد فى الشريعة الإسلامية تقوم على مبدأ الرضائية ، بينما كان القانون الرومانى شديد التعقيد لأنه قانون يقوم على الشكلية . والرضائيـة هى القوة الملزمة فى القانون الدولى حيث لا توجد سلطة عليا تفرض قواعده بالقوة .

ويقول الأستاذ دوسانتيلانا فى مجموعة « التراث الإسلامى » (٢) : « إن أوربا اقتبست بالتأكيد بعض نظمها القانونية من قوانين العرب كالشركات وغيرها من مسائل القانون التجارى الفنية ، وإن المستوى الراقى الذى بلغتـه تلك القوانين فى بعض نواحيها أثر تأثيراً حسناً فى تقدم الفكر الأوربى ، حتى فى غير ما ذكر ، وبذلك سجلت تلك القوانين فضلها الخالد » .

ويقول الأستاذ لوريبور بيجونيير فى مقدمة على شرح القانون الإنجليزى (٣) « إن العادات التى أدخلها التجار الإيطاليون فى كل مكان يتكون معظمها من عناصر مستمدة من القانون الرومانى ولو أن فيها عناصر مأخوذة من عادات العــــرب أو الأتراك ، وهذا الكاتب يقلب الوضع ، لأن

(١) محاضرات البـارون توبه فى المعهد الدولى بلاهاى سنة ١٩٢٦ (مجموعة للمعهد ج ١ ص ٣٩١) .

(١) ابن حوقل ص ٢٢٥ وما بعدها .

(٢) ص ٣١٠ The Legacy of Islam .

(٣) ص ١٥ .

من بحوث مجمع البحوث

التأمين

للأستاذ على الخفيف

— ٢ —

تأميم شركات التأمين فى الجمهورية العربية المتحدة

لقد أصبح التأمين فى هذا الزمن المتأخر أشبه شىء بمرفق من المرافق العامة للدولة يقوم بمصلحة اجتماعية بعيدة المدى ممتدة الجذور والفروع فى أنحاء مختلفة ، واتجاهات متعددة شملت جميع نواحى النشاط الاقتصادى: تجارة وصناعة وعملا وادخارا وذلك بعد أن ذاع وشاع وتنوع طرق التجارة والصناعة ، وتدخل فى معظم الوسائل الاقتصادية تدخلا اختياريا أو إجباريا بحكم القانون ، ولم يقتصر على ذلك بل تناول كثيرا من وسائل المعيشة والخدمة المنزلية ، فشمل السيارة والمنزل وأمتعته وأثاثه ، وتجاوز ذلك إلى ما يقع للإنسان من حوادث وما يوجه إليه من مسئوليات مالية ، مما جعله دعامة من دعائم الحياة الاجتماعية المتحضرة

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

العرب قد وضعوا غالبية هذه القواعد ، دون الرومان ودون الأتراك .

وفى بحث صغير أجراه العالم جرسهوف سنة ١٨٩٩ عن الحوالات المالية (١) انتهى فيه إلى أن هذه الحوالات لم يعرفها العالم القديم وأن أول من عرفها العرب ، وعنهم أخذتها أوربا فى القرن العاشر الميلادى عن طريق إسبانيا وإيطاليا ، وانتقلت مع النظام الجديد المصطلحات اللازمة له ، وهى إما فارسية وإما عربية ، وما زالت متداولة إلى اليوم ، فكلمة Aval مأخوذة من اللفظ العربى « حوالة » ، ولفظ شيك فارسى كثيراً ما ذكره الفردوسى » .

ولقد دخل على اللغات الأوربية كثير من المصطلحات التجارية العربية المتداولة فى القانون التجارى كلفظ fonds أى فندق وفيه كان يقوم البيع والشراء فسمى المحل التجارى Fonds de commerce ولفظ Magazin أى مخزن .

ويعدد الأستاذ سيديو كثيراً من الألفاظ البحرية الأوربية المأخوذة عن العرب الذين كانوا سادة البحر المتوسط منذ القرن الثامن الميلادى كلفظ Amiral ومعناه أمير البحر ....

ولفظ بوصلة Boussole التى عزى أمرها إلى أهل الصين على غير حق (١) .

محمد مختار القاضى

---

(١) جراسهوف DasWechsebrechtder Araber وانظر أيضا ول ديورانت فى قصة الحضارة مجلد ٤ ج ٤ ص ٦٩ من النسخة العربية .

(١) جوستاف لوبون فى حضارة العرب نقلا عن سيديو ص ٤٤١ من النسخة العربية .

وحين رأت الدولة ذلك ، ورأت معه أن شركات التأمين قد اشتطت فى شروطها إلى درجة أرهقت المستأمنين ، ولم تراع ما يجب أن تقوم عليه المعاوضات من التكافؤ ، والتعادل بل عمدت إلى أن يكون الحظ والرجحان فى جانبها واتخذت ذلك سبيلا إلى اكتناز الأموال وتكديسها اضطرت إلى أن تتدخل فأصدرت القوانين المنظمة ثم انتهت أخيراً إلى إصدار القانون رقم ١١٧ لسنة ١٩٦١ الذى قضى بتأميم جميع شركات التأمين فى الجمهورية العربية المتحدة فأممت به جميع شركات التأمين فى مصر وآلت بذلك ملكيتها إلى الدولة ثم أصدرت بعد ذلك فى ١٧ أكتوبر سنة ١٩٦٣ قانونا يقضى بأن يقوم على إدارة هذه الشركات مجلس مؤلف من تسعة أعضاء على الأكثر يكون من بينهم أربعة أعضاء ممن يعملون فيها يعينون بالاقتراع العام السرى لمدة سنتين ، أما الباقى فيعينه رئيس الجمهورية بناء على ترشيح رئيس إدارة المؤسسة المصرية العامة للتأمين على أن يكون من بينهم واحد على الأقل، وثلاثة على الأكثر من بين المديرين بالشركة .

وقد نص فى القانون السابق على أن تظل الشركات محتفظة بشكلها القانونى عند صدور هذا القانون، وبناء على هذا ظل لشركات التأمين شخصياتها الاعتبارية ، والتزاماتها الشاغلة لذمتها، وحقوقها قبل المستأمنين لديها .

وبما تقدم يتجلى عقد التأمين على حقيقته وتتكشف صورته على وضعها ، وتتبين أسسه وأنواعه وتتضح فوائده وخصائصه ، وصار بذلك أمراً واضحاً مهيئاً للنظر فيه والحكم عليه من وجهة نظر الشريعة الإسلامية حكماً يقوم على الواقع ويستند إلى الحقائق، وذلك ما أردناه من بياننا السابق الذى جعلناه مقدمة ، وطريقاً إلى بحثنا اللاحق الذى نشرحه فيما يلى :

الرأى فى عقد التأمين

بحث التأمين والحكم عليه على هدى أصول الشريعة

حين نبحث التأمين إنما نتجه إلى بحثه خالصا مجردا عما يقترن به من شروط وذلك باعتباره التزاما يصدر من المؤمن بضمان ما يحل بالمستأمن (المؤمن له) من نقص يلحقه فى ماله أو ضرر يصيبه أو يصيب أهله بسبب نازلة معينة تنزل به فتصيب ماله أو بدنه ، وذلك بدفع عوض مالى له أو لأهله أو الإتيان له بمثل ما فقد أو بإصلاح ما فسد ، على حسب اختلاف الأحوال والظروف ، وما يتضمنه الاتفاق ، وعلى أن يكون هذا الضمان نظير بدل مالى يقوم المستأمن بأدائه إلى المؤمن على الوضع الذى يتم الاتفاق عليه .

أما ما قد يقترن بذلك من شروط تتجاوز هذا النطاق فإنها شروط ليس من اليسير حصرها وهى شروط يصح أن تكون فى غير هذه المعاملة ثم هى مع ذلك متعددة مختلفة الأوضاع والأنواع تبعاً لاختلاف المتعاقدين وأوضاعهم ورغباتهم وذلك ما يحول دون بحثها بحثاً إستقرائيا تفصيلياً مجدياً ، ويكفى فى الحكم عليها إخضاعها لقوله صلى الله عليه وسلم (المسلمون على شروطهم إلا شرطاً أحل حراما أو حرم حلالا) ، رواه الترمذى وحسنه ، ثم مراعاة جريان العرف بها واصطلاح الناس عليها .

اختلاف الآراء فيه :

قبل أن نبين آراء الباحثين فيه من الوجهة الشرعية يحسن أن نلفت النظر إلى أمرين يأتى

ذكرهما عند شرح هذه الآراء إذ اتخذهما بعض أصحاب هذه الآراء أساساً لبعض ما ذهبوا إليه من رأى فيه :

الأمر الأول : أن التأمين نوعان ذلك أن منه ما تمحض وخلص لأن يكون تعاونيا لا يقصد به استثمار مال ولا الحصول على الربح ولا يقصد منه إلا التعاون بدفع الضرر وتخفيف أثره إذا نزل ومنه ما يعد عملا تجارياً القصد الأول منه الحصول على المال باستثماره وتنميته وجمعه .

فالنوع الأول : أن يتفق جماعة على تأليف جمعية منهم تقوم بواسطة ممثلها بجمع أقساط مالية شهرية أو سنوية منهم وممن ينضم إليهم على أن يكون فيما يجمع منهم من المال تعويض ما ينزل بأحدهم من ضرر معين فى مدة من الزمن معينة ويقوم بهذا العمل مجلس إدارة يرعى شئونه من استثمار وحفظ وتوجيه وتصرف بما تقتضيه الحكمة والمصلحة وبهذا الوضع تتألف هيئة تأمين تعاونية ولا غرض لها إلا نفع أعضائها ومعونتهم، وهذا النوع منتشر فى أوربا وأمريكا وأنه ليرى أن نحوا من سبعين فى المائة من عمليات التأمين فى أمريكا تقوم بها هذه الجمعيات التعاونية (١) .

وعضو هذه الجمعية باشتراكه فيها إنما يؤمن نفسه من الخطر المعين الذى يخشى أن ينزل به فيصيبه ضرره فهو حين يساهم فى أموالها بدفعه الاشتراك لا يبغى مغنما ولا ربحا ولا تنمية لماله وإنما يبغى تأمين نفسه من جزء معين ومشاركة أصحابه وتضامنه فى معونة من يصيبه الضرر منهم وذلك بإعطائه قيمة ما فقد أو احترق من مال لحاله بعد الحادث هو حاله قبله ، وعلى ذلك يرى أن ليس فى الاشتراك فى هذا العمل أية مقامرة ولا رهان لأن كل ما يدفع من مال إنما يوجه إلى المعونة عند نزول ما يقتضيها .

والنوع الثانى : أن تتألف شركة مساهمة للقيام بهذا العمل غرضها الأول ثراء أفرادها عن طريق جمع المال من المستأمنين واستثماره بالوضع المعروف الذى سبق شرحه وذلك هو النظام الشائع المعروف فى أكثر البلاد الآن الذى تقوم به شركات التأمين وهو الذى كان معروفا فى مصر ثم صار تأميمه وأصبحت هذه الشركات وأموالها بعد تأميمها من القطاع العام المملوك للدولة كما بينا .

الأمر الثانى : أن الخطر الذى جرى الناس والعرف على التأمين من ضرره منه ما ينزل بالأموال أو يصيبها كالحريق والغرق والضياع والسرقة والإتلاف والتضمين ونحوه ، ومنه ما ينزل بالإنسان أو يصيبه فى جسمه كالموت والمرض والشيخوخة وتلف الأطراف ونحوه .

وفى الحال الأولى يكون تعويض من نزل به الخطر بدفع قيمة ما احترق أو ضاع أو سرق أو بالإتيان بمثل ما تلف أو ضاع أو بإصلاح ما فسد وإعادته إلى ما كان عليه من صلاح وتقوم بذلك الشركة المؤمنة أو الجمعية التعاونية .

وفى الحال الثانية يكون التعويض بدفع مبلغ من المال يتم الاتفاق عليه فى العقد أو بقيام الشركة بدفع مرتب دورى طيلة الحياة لمن نزل به الخطر وذلك إذا ما حدث الخطر المؤمن منه فى مدة التعاقد أما إذا لم ينزل بالمؤمن ذلك الخطر فى هذه المدة فإن الشركة تقوم بدفع قيمة ما وصل إليها منه من أقساط مالية طيلة المدة مضافا إليها ربح ذلك

(١) محاضرة الأستاذ أحمد محمد دانش .

المال بعد خصم ما يقضى التعاقد بخصمه من ذلك الربح .

وقد ارتفع التأمين فى الأزمنة المتأخرة إلى مستوى رفيع صار به من مقومات الحياة الاجتماعية ووسائل استقرارها فأمنها مما أدى بكثير من الحكومات إلى جعله إجباريا من إصابات العمل وأمراض المهنة و البطالة والشيخوخة ومن هذه الحكومات الجمهورية العربية المتحدة إذ جعلته إجبارياً من إصابات العمل وأمراض المهنة بالقانون رقم ٨٦ لسنة ١٩٤٢ وضد الوفاة والعجز بالنسبة لعمال المؤسسات بالقانون رقم ٤١٩ لسنة ١٩٥٥ ومن المسئولية المدنية لأصحاب السيارات بالقانون رقم ٦٥٢ لسنة ١٩٥٥ وأخيراً صدر القانون رقم ٦٣ / ١٩٦٤ معدلا لكل هذه القوانين وجامعاً للاشتراكات الاجتماعية المفروضة التى سيأتى بيانها بعد ذلك .

آراء الباحثين فيه :

لم يكن لعقد التأمين وجود فى المحيط الإسلامى فى عصر سلفنا الأولين من الفقهاء ، ولهذا لم يكن لهم فيه رأى وكان أول رأى فيه نعرفه هو لابن عابدين فى حاشيته : رد المحتار على الدر المختار عند الكلام على استئمان الحربى فى فصل استئمان الكافر فى الجزء ٣ ص ٢٧٣ طبعة الحلبى سنة ١٣٢٧ ه :

فقد عرض له ابن عابدين فى هذا الموضوع إذ جاء فيه ما نصه :

لا يحل لمسلم فى دارنا أن يعقد مع المستأمن وهو الحربى الذى دخل دار الإسلام بأمان ، إلا ما يحل من العقود مع المسلمين ولا يجوز أن يؤخذ منه شئ لا يلزمه ، وإن جرت العادة به ، كالذى يؤخذ من زوار بيت المقدس كما قدمناه فى باب العاشر عن الخير الرملى ، وسيأتى فى الجزية ومما قررناه يظهر جواب ما كثر السؤال عنه فى زماننا وهو أنه جرت العادة أن التجار إذا استأجروا مركباً من حربى يدفعون له أجرته ويدفعون مالا معلوما لرجل حربى مقيم فى بلاده يسمى ذلك المال (سوكرة) على أنه مهما هلك من المال الذى فى المركب بحرق أو بغرق أو نهب أو غير ذلك ، فذلك الرجل ضامن له بمقابلة ما يأخذه منهم وله وكيل عنه مستأمن فى دارنا يقيم فى بلاد السواحل الإسلامية بإذن السلطان يقبض من التجار مال (السوكرة) وإذا هلك من مالهم شئ فى البحر يؤدى ذلك المستأمن للتجار بدله تماماً - والذى يظهر لى أنه لا يحل للتاجر أخذ بدل الهالك من ماله لأن هذا التزام ما لا يلزم - فإن قلت : إن المودع إذا أخذ أجرة على الوديعة يضمنها إذا هلكت . قلت : مسألتنا من هذا القبيل لأن المال ليس فى يد صاحب (السوكرة) بل فى يد صاحب المركب ، وإن كان صاحب (السوكرة) هو صاحب المركب يكون أجيراً مشتركا قد أخذ أجره على الحفظ وعلى الحمل ، وكل من المودع والأجير المشترك لا يضمن ما لا يمكن الاحتراز عنه كالموت والغرق ونحو ذلك. فإن قلت : سيأتى فى باب كفالة الرجلين : إذا قال شخص لآخر : اسلك هذا الطريق فإنه آمن ، فسلك ، وأخذ ماله لم يضمن - ولو قال له : إن كان مخوفا وأخذ مالك فأنا ضامن ضمن وعلله الشارح هناك بأنه ضمان الغار صفة السلامة للمغرور نصاً ا ه . أى بخلاف الأولى فإنه لم ينص . على الضمان بقوله فأنا ضامن وفى جامع الفصولين : الأصل أن المغرور إنما يرجع على الغار لو حصل الغرور فى ضمن المعاوضة

أو ضمن الغار صفة السلامة للمغرور فصار كقول الطحان لرب البر : اجعله فى الدلو لجعله فيه فذهب من ثقب الدلو إلى الماء ، وكان الطحان عالماً به ضمن إذ غره فى ضمن العقد وهو يقتضى السلامة – قلت لابد فى مسألة التغرير من أن يكون الغار عالماً بالخطر كما تدل عليه مسألة الطحان المذكورة ، وأن يكون المغرور غير عالم إذ لا شك أن رب البر لو كان عالماً بثقب الدلو يكون هو المضيع لماله باختياره ولفظ المغرور ينبئ عن ذلك – ولا شك أن صاحب (السوكرة) لا يقصد تغرير التجار ولا يعلم الغرق هل يكون أم لا ، وأما الخطر من اللصوص والقطاع فهو معلوم له وللتجار لأنهم لا يعطون مال (السوكرة) إلا عند شدة الخوف طمعاً فى أخذ بدل الهالك فلم تكن مسألتنا من هذا القبيل أيضاً . اهـ . ذلك ما ذكره ابن عابدين فى موضوع هـــذا التعاقد .

ومن هذا يظهر أن ابن عابدين يرى عدم جواز هذا التعاقد وأنه لا يترتب عليه إلزام الضامن بما التزم به عند وقوع الخطر كما لا يترتب عليه كذلك إلزام المتعاقد معه بدفع ما التزم بدفعه من المال وقد ذهب فى تعليل ذلك إلى أن هذا من قبيل التزام ما لا يلزم ، والتزام ما لا يلزم باطل عند الحنفية ، وقد يناقش هذا التعليل بأن فيه معنى المصادرة لأن محل البحث هو الوصول إلى أن هذا الالتزام عن التزام لما يلزم بمثل هذا التعاقد فلا يعلل عدم جوازه بنفس الدعوى أى بمحل البحث نفسه ثم أورد ابن عابدين مسألتين قد يشعر الحكم فيهما والقياس عليه بالجواز ، وهما : مسألة لوديع بأجر إذ يضمن الوديعة إذا هلكت ، ومسألة خطر الطريق التى بنيت على تضمين الغار ، وذكر أن لا محل للقياس عليهما لوجود الفارق بين مسألتنا وبينهما وانعدام الأمر الجامع غير أنهما قد يصلحان نقضاً لما بنى عليه ابن عابدين رأيه وذلك أن الالتزام فيهما قد يوصف أيضاً بأنه التزام لما لا يلزم ذلك أن الوديع أمين لا يلزمه الوديعة إذا هلكت من غير تعمد ولا تقصير وأخذه الأجر على حفظها لا يخرجه عن أمانته فإلزامه بالضمان إلزام له بما لا يلزمه وكذلك يقال فى مسألة خطر الطريق ، وعلى الجملة فليس يرى لما ذهب إليه ابن عابدين سند مقنع كما أنه لم يتناول إلا نوعاً خاصاً من أنواع التأمين هو التأمين ضد خطر الطريق .

وقد تناول التأمين بالبحث أخيراً عدد من الباحثين ، وبخاصة بعد ذيوعه وانتشاره وتنوعه فاختلفت آراؤهم فيه بين : مجيز ومانع بإطلاق ومجيز فى بعض أنواعه ومانع فى بعضها الآخر ، وسأعرض لما بنيت عليه هذه الآراء من أسس حتى يتسنى لنا مناقشة أسباب المنع وأسباب الجواز والانتهاء إلى رأى فى الأمر نعرضه .

علي الخفيف

قضيـــة المرأة

للأستاذ عـلى العـمارى

- ٢ -

قلت : إن أكثر المتحمسين والمتحمسات لإعطاء المرأة أكثر مما أوجبه الشرع والطبيعة لها لا يحتكمون إلى نصوص الإسلام ، وشرائعه ، ولا يعنيهم هذا الأمر فى قليل أو كثير ، بل إن بعضهم يعمد إلى مصادرة النصوص الدينية تلميحاً أو تصريحاً ، فإذا خطر لأحدهم أن يحتكم إلى نص دينى حاول أن يتعسف فى فهمه ، وأن يقسره قسراً على ما يريد ، وإن كان فقه الإسلام ، وفقه اللغة العربية يأبيان ذلك .

ولعل من تجاهل التعاليم الدينية ـ فى هذا الشأن ـ تجاهلا خبيثاً مقصوداً أن تطرح قضايا نصوص الدين فيها واضحة ، وآراء الشراح والفقهاء فيها معروفة ، ومدعمة بالأدلة ، أقول : تطرح هذه القضايا للمناقشة كما تطرح مسائل الأزياء ، ليقول فيها من يعرف ومن لا يعرف ، بل ربما طرحت ليؤخذ فيها رأى من لا يعرفون دون من يعرفون .

طرحت صحيفة الأهرام موضوع الطلاق والحضانة للمناقشة ، وأخذت فى كل منهما رأى بعض الناس ، فمن هم الذين أخذت آراءهم ، وسجلتها فى تحقيقها الصحفى .

لقد استعرضت فى قضية الطلاق آراء خمسة من أبناء الشعب : رئيس بنك الائتمان ، وفلاح فى قرية من قرى الدقهلية ، ورئيس مجلس قرية فى بنى سويف ، ومشرف من مشرفى الرقابة على النقد الأجنبى ، وأخيراً فلاح أيضاً ، وكذلك فعلت فى قضية الحضانة .

وقد ظهر مما قاله هؤلاء أن واحداً منهم لم يدرس دراسة دينية متخصصة ، ولم يستند واحد منهم إلى نص من نصوص الإسلام ، ولا إلى رأى عالم من العلماء .

وقد اقترحت بعض الحكيمات أن ينص على أن الحضانة للأم دائماً وإلى الأبد ، ولا يسحب منها هذا الحق إلا فى ظروف عصيبة كأن تنحرف أو يسوء سلوكها .

والصحيفة تفضلت فأبرزت هـذا الاقتراح كأنها تراه اقتراحا عظيما .

وما رأينا ، ولا سمعنا أن إنساناً جاداً ، أو هيئة تحترم عقول الناس تلجأ فى القضايا الخاصة إلى غير ذوى الاختصاص ، فنحن لم نر ـ مثلا ـ مسألة فى الطب ناقشها غير الأطباء ، ولا موضوعا فى الاقتصاد تكلم فيه غير الاقتصاديين ، ولا مشكلة فى الزراعة عرضت على الطلاب أو الموظفين . فهل أمر القضايا الدينية أهون من كل هذه الأمور .

لا شك أن هـذا اتجاه خطير يشعر بأن هـذه القضايا التى هى من صميم الدين ليس من الضرورى أن ننظر فيها نظرة دينية ، وإنما ينبغى أن نستطلع فيها رأى عامة الناس لنعرف مدى حكمهم عليها ، ولا علينا بعد ذلك إن كان الدين يوافق آراء هؤلاء أو يخالفها وهو تجاهل غريب للدين فى أمة هى ـ بحق ـ زعيمة للعالم الإسلامى .

ومما زاد الطين بلة أن صحيفة الأهرام حين علقت على القانون الجديد الأحوال الشخصية رأت أنه لم يحقق نصراً إلا للرجل وحده ، وذلك فى معظم التعديلات ، ويجب ـ كما تقول الصحيفة ـ أن يخرج المشروع الجديد متكاملا يرضى كل الأطراف .

وكأن القوانين وضعت لترضى هـذا الفريق ،

أو ذاك ، أو لمجرد أن تكون نصراً لأحد الجنسين على الآخر ، وكأنها لا تستمد من الدين فينبغى أن توضع بحيث ترضى أو لا ترضى .

وما دام المقصود إرضاء المرأة فلن يجىء هذا القانون ، لأن المرأة العصرية لا يقف طموحها عند حد ، وهى لن ترضى حتى تتساوى بالرجل فى كل شىء ، بل هى تريد أن تكون القوامة على الرجل .

وإذا استمر الحال على هذا المنوال من مجاراة الكتاب للمرأة ، والبعد عن فقه الإسلام فلن يطول بنا الزمن حتى نرى المرأة تطالب بحقها فى تعدد الأزواج !.

وأنا لا أدرى لماذا لا يرفع هؤلاء المطالبون بالمساواة التامة أيديهم إلى الله تعالى يتضرعون إليه ، ويطلبون منه أن يتفضل على المرأة فينبت لها لحية وشاربا ؟!.

ولا حاجة بى أن أقول : إنه ليس من حق هيئة من الهيئات أن تشرع للناس فى أمـــور دينهم ما لم تدرس هذه الأمور دراسة واعية مستنيرة ، وما لم تأخذ رأى رجال الدين فيما تدرس .

فإذا حدث ، وتعدت هيئة طورها وقالت فى شريعة الله بما لا تؤيده أصول هذه الشريعة ، فإنها بذلك تزعزع الثقة فيها ولن يستمع أحد لما تقول .

وقد قرأت أن حكومة (تونس) سنت تشريعا يحاكم من يطلق دون إذن القاضى ، أو يتزوج على زوجة أخرى وهذا تجاهل للحرية الدينية التى منحها الإسلام لأتباعه ، ولن يشفع له أن رأيا قديماً من عالم أو فقيه قال به ، فما كل ما قيل يؤخذ به إذا لم يكن دليله قويا واضحاً .

ومن العجيب أن نجد بعض الدول الغربية تميل إلى نظام تعدد الزوجات ، ويرى فيه بعض كتابهم الحل الوحيد لمشكلة زيادة عدد الإناث عن الذكور ، فى حين نجد حكومة مسلمة تحرمه .

ونحن لا ندعو لتعدد الزوجات ، ولكننا لا نحب أن يقف أحـــد فى سبيل حرية المسلم ، وتبعة عمله عليه ، ويكفى أن نبصره بالأضرار التى قد تعود عليه إذا أقدم على التعدد وهو غير قادر أن ينفق على أسرته ، ثم له بعد ذلك ما يشاء .

وقد سبق أن قلت إن قضية المرأة من بين القضايا اتسمت بتنكر غريب لأحكام الإسلام ولعل أظهر الموضوعات فى ذلك موضوع (تعدد الزوجات) فمنذ عابنا متعصبو الغربيين ، بهذا التعدد ، ونحن نحاول أن نظهر الإسلام أمامهم بمظهر البرىء من هذه الوصمة التى يزعمونها ، ومنذ ظهور سلطان المرأة ونحن نجاملها على حساب الدين فى هذا الموضوع

وأكثر الذين تكلموا فى موضوع تعـــدد الزوجات أعطوا لأنفسهم حق المجتهـد ، ولو كان كثير منهم لا يعرفون من الإسلام أكثر مما يعرفه المبتدئون من الطلاب .

والشبهة التى عششت فى رءوسهم هى الجمع بين آيتى النساء ، الأولى التى تقول : « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » ، والثانية التى تقول : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل » .

ولهذه الشبهة ذهب بعضهم إلى أن الشريعة الإسلامية حرمت التعدد تحريما باتا ، وذهب بعض المحترفين من الصحفيين إلى أن ذلك رأى كثير من الفقهاء .

ولعل القول يطول لو أعدنا ما قيل فى الرد على هؤلاء ، ولكن أمراً واحداً لا أدرى كيف طووا أنفسهم عليه ، ذلك أن النبى ، وأصحابه ، وتابعيهم ، والعلماء منذ الصدر الأول إلى يومنا هـذا يقرءون ما بين الآيتين ، ويجيزون التعدد قولا وعملا .

فهل فقه بعض المعاصرين ما لم يفقهه علماء المسلمين مدى أربعة عشر قرنا ، أو تزيد ؟ وإن واحدا من أولئك العلماء الأعلام ليعدل أقل تلاميذه علما عشرات بل مئات من هؤلاء الذين يفتون بغير علم .

ومهما أنكرنا من قدرة أعداء الإسلام فلن نستطيع أن ننكر شيئا واحدا ، هو أنهم استطاعوا

أن يضيعوا البلبلة فى فهم النصوص ، وأن يشككوا بعض ضعاف الإيمان فى تعاليم دينهم ، حتى تعدى ذلك إلى علماء الدين أنفسهم فى قضية المرأة .

ولا بأس أن نعود هنا إلى كتاب (من هنا نبدأ) لنرى ذلك العالم الأزهرى الذى تخرج فى كلية الشريعة الإسلامية وهو يتصرف فى نص قرآنى ليصل إلى دعم رأى ارتآه .

عرض ذلك العالم لقوله تعالى « الرجال قوامون على النساء » فرأى أن الجهلة من العلماء هم الذين يفهمون هذه الآية على غير وجهها ، فهم يقولون : إن المرأة دون الرجل فى البيت ، وفى المجتمع ، وفى الدولة ، قال - عفا الله عنه - وهو تأويل لا يقدر عليه سواهم .

ثم أوضح معنى الآية عنده فقال : بيد أن معنى الآية واضح جلى ، ولا يحتمل كل هذا الالتواء ، والاعتساف ، فهى لا تعدو أن تكون تزكية بسلطة الرجل فى الأسرة ، وامتيازا عائليا يمنحه الرجل نظير ما يحمله من تبعات ، بدليل قوله تعالى فى نفس الآية : وبما أنفقوا من أموالهم » .

فصنيع المؤلف هنا يحملنا على سوء الظن ، ويجعلنا نتشكك فى سلامة نيته ، فالآية - كما هى فى جميع المصاحف - هكذا : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » . فكيف يكون القول بأن الرجل مفضل على المرأة تأويلا فاسدا ، وهو منطوق الآية ؟

ولماذا بتر المؤلف هذا الجزء من الآية : « بما فضل الله بعضهم على بعض » ؟! ولكن الذى يتتبع ما كتبه المؤلف فى الدفاع عن المرأة لا يستكثر عليه أن يجاملها ولو على حساب تجاهل نص قرآنى وحذفه عند النظر فى آية تفضيل الرجل على المرأة .

فهو يرى أن الرجال غير قادرين على الدفاع عن الفضيلة ، والمرأة هى التى تستطيع أن تصون الفضيلة (هكذا بصيغة الحصر) .

وهو يلجأ إلى المبالغة المكشوفة فيزعم أن المرأة لم تباشر عملا إلا أتت فيه بما يشبه المعجزات .

وهو - حين يريد أن يبين سوء حال المرأة المصرية - يزعم أن تسعين فى المائة من نساء الريف يعالجن رمد العين بروث البقر .

وحين يريد أن يحتج لقضية المساواة يزعم أن الشرائع كلها سماوية ووضعية سوت بين الرجل والمرأة فى المسئوليات والتبعات .

ولا تزال الدعوة مستمرة ، وحادة ، ومنحرفة فى قضية المرأة ، وآخر ما قرأناه مقالة لإحدى الكاتبات بمجلة الهلال تدعو فيه إلى الاختلاط التام بين الفتيان والفتيات فى كل مرحلة من مراحل الحياة ، فعلى الأسر - كما تعرف - أن تزيل رواسب الحريم ، وأن تجمع بين الفتى والفتاة منذ الطفولة فى صداقات عائلية ، وتمكن لهذه الصداقات ، وبذلك - كما قالت حضرتها - نضمن لبنت السادسة عشرة المتفتحة فى مجتمعنا المتجانس انطلاقا سويا بلا أزمات ، ولا تعقيدات .

وهكذا من أجل (عيون) التعقيدات المزعومة ينبغى أن نترك الأمر فوضى بين الفتيان والفتيات منذ الصغر ، كأنه لا يكفى الاختلاط فى الجامعة ، بل ينبغى أن يكون فى المدرسة الابتدائية ، والإعدادية ، والثانوية ، وفى البيوت ، وفى المصنع والحقل ، وفى كل مكان وزمان .

وهذا آخر فلسفة المرأة المثقفة ، وهذا علاجها الحاسم للأزمات التى تتعرض لها الفتاة فى سن المراهقة ، أن تتركها تختلط بالشبان منذ الصغر .

وهذا كلام بطبيعة الحال لم يحسب أى حساب للآداب الدينية ، ولم تلق صاحبته أى بال للنصوص

القرآنية ، ولا شك أنها تعرف هذه النصوص ، ولكنها عن عمد وعن قصد تريد أن تفهمنا أن علاج بناتنا ، وأبنائنا فى غير السير على مقتضى هذه النصوص .

ونحن نعرف كيف انشأت هذه الصحف ، وهذه المجلات ، وكيف تسير الآن ، فليس بعجيب أن تنحرف لغايات وأهداف - لا تخفى على أحد - عن أصول الإسلام .

ولعل من العبث أن أشرح لهذه الكاتبة ولغيرها ما جناه علينا ، وعلى غيرنا الاختلاط بين الفتيان والفتيات ، ولكن الذى ينبغى أن تعيه الكاتبة جيدا أن الأزمات التى تتعرض لها الفتاة مهما كانت قاسية هى خير من أن تفقد الفتاة من الصغر شرفها !

والعجب من هؤلاء الصائحين ، والصائحات لا يحلو لهم ولهن كلام الا فى القضايا التى يكون فى الدفاع عنها مخالفة لقواعد الإسلام ، أما حين تكون للمرأة قضية عادلة تؤيدها النصوص الصريحة فى الدين ، فإنهم ، وانهن لا يلتفتون لهذه القضية ، ربما لأنه ليس فيها ما يشبع الرغبة فى التنكر لشرائع الله .

المرأة فى الريف - وبخاصة ريف الصعيد - لا تنال حقها الشرعى من ميراث أبيها أو أمها ، أو إخوتها ، وإذا تطلعت واحدة إلى أخذ ميراثها جرت المساومات والمشاورات ، وعقدت المجالس العرفية لغرض واحد هو أن تتنازل المرأة عن نصيبها كله ، أو بعضه ، وينتهى كل ذلك إلى أن تأخذ (ترضية) قد تكون خمس حقها ، أو أقل ، ثم بعد ذلك يجفوها إخوتها ، ويعتبرونها خارجة عن الأسرة ، ولا فرق فى ذلك بين الإخوة الجهلة ، والإخوة المتعلمين ، وإنى لأعرف من ذلك أشياء كثيرة ، تدمع لها العين ، ويحزن لها القلب ، فبينما تعانى بعض النساء آلام الفاقة والحاجة ينعم أخوها فى ميراثها ، وربما كان رجلا نال من العلم والثقافة نصيبا ، وإذا حدث وأهدى لها شيئا فى المواسم والأعياد اعتبر ذلك تفضلا منه

هذه ظاهرة لا تخفى على أحد فلماذا لا يجند المتحمسون والمتحمسات لحقوق المرأة أقلامهم ، وجهودهم لهذه القضية ؟ ولماذا لا يطالبون المسئولين - كما يطالبونهم بأن يحرموا تعدد الزوجات - أن يسنوا عقابا رادعا لكل من يحرم أخته من ميراثها الشرعى ؟ .

إننا نقرأ فى أكثر من صحيفة ، ولأكثر من كاتب اقتراحا بأن تتساوى المرأة مع الرجل فى الميراث ، ولكننا لا نقرأ اقتراحا بأن تأخذ نصيبها حين يحرمها أهلها منه .

إن فى الاقتراح الأول إنكارا صريحا لآية محكمة من كتاب الله ، وفى الاقتراح الثانى تنفيذ لنص محكم من كتاب الله ، فأى الأمرين أولى بأن نقف وراءه ، وأن ندافع عنه ؟ .

إننا لا نريد أبدا - كما قلت فى مبدأ هذا الحديث - أن نبخس المرأة حقا من حقوقها التى شرعها لها الإسلام ، ولكننا نعارض بكل قوة أية دعوة تهدف إلى أن نعارض نصا من نصوص ديننا ، ومهما كثر الداعون والداعيات إلى هذا الذى نعارضه فإن ذلك لا يثنينا أبدا عن أن نجهر بكلمة الدين ، وأن ندافع عنها ، وأن نبينها للناس : (قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث).

وإنه لدين فى عنق كل مسلم أيا كان مكانه فى الحياة أن يدفع عن دينه كل ضيم يحاول أن يناله من هؤلاء الذين لا يبالون أين تقع معاولهم من بناء الإسلام .

علي العماري

فجر الفكر الإسلامىّ فى مصر

للأستاذ عبد الجليل شلبى

— ٣ —

أشرت من قبل إلى السرعة العجيبة التى استجاب بها المصريون إلى دعوة الإسلام ، وإلى إقبالهم عليه إقبالا منقطع النظير ، وقد استرعت هذه الظاهرة أنظار المؤرخين فى القديم وفى الحديث وكان ينبغى ألا يكون فى تعليلها خلاف أو تضارب رأى ، وأنه يكفى فى ذلك ما هو معروف من ميل المصريين إلى بساطة العقيدة ، ونفورهم من الفكر المعقد ، ومن أثر الظروف التى مرت بهم من قبل وأنه كان فى سماحة الإسلام وبساطة عقيدته ، وأيضا فى تواضع العرب بجانب عنجهية الروم ، ما يكفى تعليلا لأقبال المصريين على الإسلام أكثر من غيرهم ، لكننا نجد تعليلات أخرى لا مساغ لها من الواقع .

فيذكر بعضهم فداحة الجزية وأن القبط لكى يتخففوا من عبئها تدينوا بدين الإسلام ويذكرون أيضا جبروت العرب وظلمهم ، ويتخذون من ثورة الإسكندرية مستندا لذلك ، ويبدوا أن السيدة مدام بوتشر[1] استطاعت أن تخلق صدى لرأيها كما كانت هى صدى لكتاب سابقين ، وبوجه عام لا تتصف هذه الكاتبة بالتعصب فقط بل ينقصها حذق المؤرخ الذى يستطيع أن يخفى هواه حتى يحمل لحديثه أثرا فى نفس قارئيه .

ولكل مؤرخ أن يحلل حوادث التاريخ من الوجهة التى يراها ، لكن بما هو مقطوع به أن منطق الحوادث أصدق وأبلغ .

ومن المعروف أن من المسيحيين من طلب من خلفاء المسلمين أن يدفع الزكاة من ماله كما يفعل المسلمون بدلا من الجزية ، فأجيب إلى ما طلب ، فعل ذلك عمر بن الخطاب مع بنى تميم ، وفعله عبد الملك مع قبيلة تغلب ، ولم يطالب المصريون — فيما أعلم — مثل هذا من الحكام بما يدل على أن الجزية التى ضربت عليهم لم تكن فادحة ولا ثقيلة ، ومعروف مع هذا أن عمرو بن العاص أول وال على مصر انقص الضريبة التى كان يجبيها الرومان من المصريين إلى نصفها .

وقبل أن أذكر أقوال مؤرخين آخرين تدحض هذا الرأى أذكر أمرين لا أدرى كيف غابا عن ذاكرة مدام بوتشر ومن جاراها فى فهمها ورأيها :

أول هذين الأمرين أن الثورة التى قامت ضد العرب أوائل عهدهم كانت بالإسكندرية والإسكندرية لم تكن قبل الفتح العربى مدينة تمثل الروح المصرية وإنما كانت مدينة مفتوحة يغلب عليها العنصر الأجنبى ، وكان معظم سكانها من اليونان والرومان ، وكانت ثورتها محاولة لرجوع الرومان . وهذه الثورة لا تكفى فيها النظرة السطحية ولا الحكم العاجل . أما ما ذكرته من ظلم العرب ، وتعذيبهم القبط

---

(١) هى السيدة ا . ل بوتشر . صاحبة تاريخ الأمة القبطية وكنيستها — ألفته بالإنجليزية ، وأخرجه إلى العربية ٩٠٠ م تادرس شنودة المنقبادى — صاحب جريدة مصر ، وقد اعتمدت فيه على تاريخ الكنائس القبطية لوبرس أسقف الأشمونين وتكملته للأسقف ميخائيل الطانيسى .

فقد أسرفت فى ذكره ، ولكنها عجزت عن إثباته بالحوادث التى تثبت صدقها (١) .

وثانى هذين الأمرين أنه ليس من صفات المصريين أن يرتدوا عن دينهم بسهولة ، فقد لاقوا فى فجر المسيحية ما هو معروف من الهول والنكال ، وما تصغر بجانبه أنواع العذاب الأخرى ، ومع ذلك لم يرجعوا عن مسيحيتهم ، فكيف يبيعونها رخيصة لقاء مقابل مالى ضئيل .. ؟ أليس هذا إساءة إلى القبط وتهويناً لمكانة الدين فى نفوسهم ؟ .

ومدام بوتشر أشـــادت بعصر الشهداء وأسهبت فى صور العذاب التى لاقاها القبط من الرومان لثباتهم على المذهب اليعقوبى دون الملكانى فكيف غاب عنها هذا . . ؟

وينظر المستشرقون إلى الفتح العربى كله نظرات مادية ، ولا يكادون يتفقون فيه على رأى قاطع بل يختلفون اختلافاً بعيداً .

ذكر دى غويه عدة عوامل رأى أنها دفعت بالخليفتين الأولين إلى التوسع فى الفتوح ومن بينها أن النبى محمداً صلى الله عليه وسلم كان يرمى إلى إنشاء امبراطورية إسلامية عالمية بدأها بحملة أسامة بن زيد قبل وفاته . وأنكر كيتانى ـ المستشرق الإيطالى هذا الرأى ورأى أن حملة أبى بكر على الشام كان يقصد بها غارة وقتية (٢) .

وغير واحد يرى أن العامل الاقتصادى وفقر الجزيرة العربيـــة هو الذى دفع بالعرب إلى الفتح سعياً وراء القوت والثراء والأرض الخصيبة كما يذكرون الهجرات المتتالية من جوف الجزيرة إلى ما حولها ويرون أن الإسلام صادف وقتاً لإحدى هذه الهجرات .

وهذه التعليلات ـ مهما تكن فى نظرهم ـ لا ينكر أساسها ، ولا يؤخذ بها جملة ، وإذا كان العامل الإسلامى هو الذى وجهها ونظم تيارها فينبغى أن يكون له المقام الأول وأن يكون فوق جميع التعليلات . فلو كان واحد منها أو كانت جميعها هى الدافع إلى الفتح العربى ما عنى العرب بنشر الإسلام ولا محاربة الوثنية ، ولا كتفوا بما يحصلون عليه من رزق ، وهذا لم يحدث فى مصر ولا فى غيرها .

ومع أن توماس أرنولد ذكر هذه النظريات فى أول كتابه « الدعوة إلى الإســـلام » تحدث عن إسلام المصريين ، وتخليهم عن المسيحية إلى الإسلام بما يكفى أن يدحض كل هذه الأقاويل .

فهو يقول : « وقد جلب الفتح الإسلامى إلى هؤلاء القبط .... حياة تقوم على الحرية الدينية التى لم ينعموا بها قبل قرن من الزمان ....

وليس هناك شاهد من الشواهد يدل على أن ارتدادهم عن دينهم القديم (المسيحية) كان راجعاً إلى اضطهاد أو ضغط ... (١)

ويذكر أرنولد أن الجزية ظلت تتناقص بعد عهد عثمان بن عفان حتى بلغ من تناقصها فى عهد عمر بن عبد العزيز أن كتب إليه واليه على مصر يطالب أن يدفع الذين يسلمون من القبط جزيتهم التى كانوا يدفعونها من قبل ـ حرصاً على مالية الدولة لكن الخليفة كتب إليه : إن الله

(١) انظر الجزء الثانى ١٩ وما بعدها .

(٢) انظر الدولة العربية وعلى حسن الخربوطلى ١٩ ـ ٢٩

(١) ص ١٢٣ .

تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم هادياً ولم يبعثه جابياً ...

وهذا الحادث معروف فى كتب التاريخ وهو واضح الدلالة فى أن العرب لم يكونوا يهدفون من فتوحهم إلى مجرد المال

أما تحول المسيحيين إلى الإسلام بكل هذه السرعة والسهولة فيعلله أرنولد بأنهم دخلوا المسيحية من غير فهم لها . وأنهم لم يهضموا قوانينها المعقدة بل « كانوا يفتحلون المسيحية فى غمرة من الحماسة الجامحة دون أن يتلقوا أى شىء .... عن الدين الجديد غير اسم عيسى المسيح ... »

« ومن المرجح أن تأثير المسيحية فى السواد الأعظم من أهل مصر كان قليلا .... كما أن انتشار الإسلام فى الأيام الأولى من الاحتلال العربى قد يكون راجعاً إلى عجز ديانة كالديانة المسيحية وعدم صلاحيتها للبقاء أكثر من أن يكون راجعاً إلى الجهود التى قام بها الفاتحون لجذب الأهلين إلى الإسلام » .

« ولا شك أن كثيراً من هؤلاء قد تحولوا وقد أخذ الضجر منهم كل مأخذ ، واستولى على نفوسهم الإعياء من ذلك الجدل السقيم . . . . إلى عقيدة تتلخص فى وحدانية الله البسيطة الواضحة ورسالة نبيه محمد .... » (١)

وأظن هذا كله يكفى فى هذا الصدد .

أما عن تفسير ثبات القبط على المسيحية رغم تعذيب الرومان ـ فقد علله كل من تعرض لهذا البحث ـ بأن الوثنية فى كل صورها كانت قد آذنت بانتهاء ، ولم تعد تصلح أن تكون غذاء روحياً للعقلية البشرية التى بلغت حظاً كبيراً من النضج والارتقاء هذا إلى أن صبر المتنصرين على ما نالهم من تعذيب كان مغريا للآخرين أن يتنصروا .

وقد مثل العهد المسيحى فى مصر فترة انتقال بين الوثنية المتعددة الآلهة ، وبين التوحيد المطلق الذى جاء به الإسلام ، فعقيدة التثليث حدت من فوضى تعدد الآلهة ، وربطت بين هذه المعبودات الثلاثة ، ومن ناحية أخرى أشبهت عقيدة المصريين وأخذت منها ، ذلك أن نحلة إيزيس المصرية كانت قد انتشرت فى أماكن بعيدة فى الشرق والغرب ، وحاكتها نحل أخرى ، وقد اقترنت « بنحلة مترا الفارسية فى غزو بلاد اليونان والرومان فسماها : اليونان « ديمتر » ونحلوها صفتها المصرية ، وهى صفة الأمومة الكبرى أو صفة الطبيعة الأم ... ويرسمون لها صورا جميلة تنم على الطهارة والحنان وفى حضنها طفل رضيع يشع النور من وجهه رمزا للأمومة والبر والبراءة » . (١)

وهى هى الصورة التى ترسم للسيدة العذراء ، وهى تحتضن المسيح عليه السلام .

فالمسيحية أرشدت إلى الفكر (الميتافيزيقى) ولكنها لم تشبع نهم النفوس والعواطف من إيجاد فارق ملحوظ بين الخالق والمخلوقين ، ثم هى ما لبثت أن انقسمت على نفسها وأشعلت حربا لا هوادة فيها ، فزادت نفوس أتباعها حيرة وهيأتهم تلقائيا إلى قبول الإسلام .

أردت بهذا كله أن أدحض فكرة إكراه المصريين على قبول الإسلام ، وهى فكرة أملاها التعصب والهوى ، ولكن أظن أنه كان لا بد من هذا قبل الدخول فى تفاصيل الفكر الإسلامى ؟

عبد الجليل شلبى

---

(١) ١٢٤ ـ وما بعدها .

(١) حياة المسيح ١٩ ، انظر مقارنة الأديان لأحمد شلبى ج ٢ / ٠٨ .

الاسلام والمجتمع

للأستاذ مصطفى عبد الواحد

لقد حتم التطور التاريخي أن يكون للإسلام في الحياة الإنسانية دور يختلف به عما سبقه من رسالات، فقد جاء الإسلام بمنهج اجتماعي أراد به تحقيق الحياة المتوازنة المطمئنة واستهدف به سعادة البشر جميعا.

وربما كان لبعض الديانات السابقة العذر في نأيها عن الحياة وتخليها عن قيادة المجتمع، وقنوعها بأن تتجه إلى الضمائر والقلوب، تدعو إلى تصفية الروح وتهذيب النفس، لا تعيش مع الناس دنياهم ولا تقيم حياتهم على أساسها..

أو بعبارة أخرى كانت تقسم الحياة الإنسانية إلى قسمين: قسم لله، يتناول العبادة التي لا تكمل إلا بالتخلي عن الحياة ونبذ زينتها، والهروب من فتنتها وترك الانغماس فيها..

وقسم آخر للناس، هو الحياة بأثقالها وتبعاتها، بمشاكلها وعقباتها، وهذا لا يتدخل فيه الدين، ولا يفتي فيه برأي، بل يترك قيصر يصنع في دنيا الناس ما يشاء ويتصرف كيف يريد، ويترك الحياة كبحر هائج تصطخب فيه الأمواج، ويعلو فيه الزبد فوق القمم.

وربما كان لها من عذر. فهي بحكم ظروفها التاريخية وأهدافها المحدودة، وما استقر في ميزانها من قيم، لا تجد ما تمتى به ولا ما تمسك به الزمام في ميدان الحياة..

* * *

لكن الإسلام خاتمة الرسالات السماوية جاء ليضع أمام البشر منهاج حياة متوازنة مستقرة، لا غموض فيها ولا عقد، يبصر فيها الإنسان كل شيء، وينفسح أمامه الأفق ليبصر نهاية الطريق لقد جاء الإسلام ليحكم الحياة ويمسك زمامها، ويضيء السبيل أمام البشر ويطارد من دنياهم العمى والضلال..

«كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد».

فلم يكن بإمكانه أن يدع الناس بمنأى عن نور الوحي وهداية السماء.

بل كان عليه أن يرسم لهم خطة الحياة، كما يرضى لهم خالقهم، ويبين لهم كيف يقيمون علاقتهم وفق عقيدتهم وعلى أساسها، وكان عليه أن يقيم مجتمعاً يحقق مبادئه التي أتى بها ويطبق نظرته إلى الوجود، ويفسر رأيه في الحياة والأحياء.

ومن هنا فإن الإسلام لا يمكن أن ينأى عن المجتمع ولا يمكن أن يحيا في مجتمع يعتمد مبادئ مخالفة ويعتنق نظريات مضادة أو يحتفظ بعلاقات وقيم غير علاقات الإسلام وقيمه.

* * *

وقد وضح في القرآن أنه جاء لقيادة الحياة وتوجيهها إلى معرفة الله وعبادته والرضا بحكمه لا أن يقنع بأن يسمح له بالحياة في ناحية من مجتمع لا يرفع شعاره ولا تعلى رايته ولا ينزل على حكمه ولا يتجه نحو غاياته.

وحين يقول القرآن:

«فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما»

فإنه لا يعنى أن يصير الرسول ، فحسب ، قاضياً فى مجتمعه يلجأ إليه الخصوم ويسلمون بأمره ، ولكنه يعنى أن يرتضى المجتمع مبادئ الشريعة وأن تتأكد العلائق والأنظمة التى جاء بها الإسلام وحين يحكم الرسول فى المجتمع فإنه لا يحكم إلا بما أراه الله من نور الوحى وهداه ...

« إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » .

ويتبين فى القرآن هيمنته على الشرائع السابقة وقدرته على الحكم والتوجيه ، فليس هناك من آفاق الحياة ما لا يبصره القرآن ، ولا فى جوانبها ما يغيب عن إدراكه أو يعزب عن نظره ، فليس من الإنصاف أن « يعزل » الإسلام مع هذه القدرة الفائقة على تسيير دفة الحياة فى صواب ورشد ، ويطلب منه أن يقف متفرجا على ما يدور حوله وهو فى فطرته مسيطر مهيمن .

« وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » .

ومن أجل ذلك يرى الإسلام أن كل ما لا يطابق الوحى الإلهى الحق إنما ينزع بالفرد والمجتمع إلى الهلاك ، فإذا تخلى الإسلام عن قيادة المجتمع وهدايته فلمن يتركه ... ؟ !

إن عليه أن يؤدى واجبه وينهض بعبئه ، ويحمى الإنسانية من أن تشقيها الأهواء وتضلها الأكاذيب فتتوزعها المتاهات وتبتلعها الظلمات .

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه : ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

وهذا ما تفسره الآيات التى تعرضت لتطبيق القرآن وتحكيمه فى شئون الحياة .

« وأن احكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ، فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وإن كثيراً من الناس لفاسقون ، أفحكم الجاهلية يبغون ؟ ! . ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » .

إن صراحة الآيات فى ضرورة الالتزام الاجتماعى بما أنزل الله واضحة لا تحتاج إلى بيان .

ولا بد أن نوضح هنا الغاية التى من أجلها يحرص الإسلام على القيادة والتوجيه .

إنه ليس حباً للسلطة أو طلباً لمغانم ، فالحاكم الحق فى هذا النظام هو الخالق سبحانه ، الذى له ما فى السموات والأرض ، ولكن الإسلام يرى أن الغاية الحقيقية التى أتى من أجلها لا تتحقق إلا بإقامة المجتمع المسلم .

إنه رحمة . . « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

وإنه هدم لصروح الباطل وفك للأغلال وتحطيم للقيود . . . « ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم » .

وإنه حركة تحرير تفتح الأعين على النور وتزيل العقبات من طريق الجماهير .

« وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان » .

« ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم فى الأرض » .

فهو ليس عقيدة تكتفى بالاستقرار فى الوجدان ، وتغمض العين عما يجرى فى الحياة ، ولكنه عقيدة وشريعة ، ونظام كامل يهدف إلى إقامة الحياة على أساس من معرفة الله ، بما يحقق الرحمة للعالمين ويضع الإصر عن المستضعفين ، ويمكن الإنسان من الحياة المستقرة المتوازنة .

فإذا أريد من الإسلام أن يحقق الطمأنينة والسلام ويهدى للتى هى أقوم ، فلا بد من تمكينه من إقامة

تأثير التوابع والزوابع فى رسالة الغفران

للأستاذ محمد رجب البيومى

وجدت فى دوائر الاستشراق بحوث كثيرة حول صلة رسالة الغفران بالكوميديا الإلهية لدانتى ، وأسرف الكاتبون فى هذه الناحية إسرافا لا يزال يتجدد ، ومع هذا السرف المسرف فى تأكيد العلاقة بين الأثرين الأدبيين الكبيرين أو نفيهما ، فإننا لم نر فيما قرأناه لهؤلاء بحثا يحلل صلة الغفران بالتوابع والزوابع ، تحليلا جديا مدعما ، وعلى افتراض أن تكون الصلة مقطوعة بجزومة ، أفلا يكون هذا القطع المجزوم موضع بحث يقضى على الشبهات مهما كان الأثران النفسيان فى أدب واحد ، وفى حقبة واحدة تدعو الباحث إلى نظر بصير .

ولكن كتاب العرب لم يغفلوا ذلك فمنذ عرفت رسالة التوابع والزوابع سنة ١٩١٥ فى مصر حين اهتم بها الأستاذ محمد المهدى لأول مرة فى عصرنا

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

المجتمع الذى يرتضيه وإلا أصبح معطلا عن عمله مصروفا عن غايته .

وحين يتتبع الباحث الخط الذى يسير فيه اهتمام الإسلام بالجانب الاجتماعى ، يلحظ أن علاقة الإسلام بالمجتمع بدأت من أول يوم نزل فيه ، مما يقطع بأن إقامة المجتمع المسلم هدف أصيل لا ينساه الإسلام ولا يتخلى عنه .

لقد كان القرآن يهاجم من أيامه الأولى أوضاع المجتمع الجاهلى الفاسد ويكشف سوءاتها ، ويوجه ضربات قاصمة إليها .

ففى السور القصار المكية ، وهى من أول ما نزل ، نرى طرفا من حملة الإسلام على المجتمع الجاهلى ، وإشارة واضحة إلى أنه جاء ليقوض ذلك النظام ويقيم مكانه نظامه الإلهى الخالد .

وهذه بعض الأمثلة .

كانت تفشو فى المجتمع الجاهلى أدواء الأثرة وتبدو فيه نوازع السيطرة والاستبداد ، ويشتد فيه الشره إلى المال ويتظالم البشر فى توزيع الثروات ، وتضيع حقوق الضعاف ويهمل البائسون ..

وقد واجهت آيات القرآن المكى هذا الفساد وحملت عليه فى مواقف متعددة .

« كلا بل لا تكرمون اليتيم ، ولا تحاضون على طعام المسكين ، وتأكلون التراث أكلا لما ، وتحبون المال حبا جما » .

كذلك كان العرب فى الجاهلية .

وقد كان بإمكان الإسلام لو لم تكن إقامة المجتمع المسلم من أهدافه ، أن يغضى عما يسوء المجتمع فى مكة من قيم وما يتحكم فيه من علاقات ، ويقنع بأن يسلم الناس بجانب الاعتقاد والعبادة فيه ، وبذلك يصير فى مأمن من العداوات التى يجرها عليه تعرضه للنظام الاجتماعى ومهاجمته لأوضاعه . لكنها رسالته التى لا بد له من تحقيقها ، وأمانة الحياة التى لا بد أن تصان .

« لتخرج الناس من الظلمات إلى النور » .؟

مصطفى عبد الواحد

الحـديث ، فتحدث عنها لطلابه بالجامعـة المصرية القديمة ـ وهم فيما بعد ـ ذوو نباهة وتمحيص ، منذ ذلك ، والآراء تختلف حول صلة التوابع والزوابع برسالة أبى العلاء فتارة تؤكد هـذه الصلة ، وتارة تجزم بامتناعها ، ونحن أبناء العرب قد ورثنا ابن شهيد وأبا العـلاء معا ، فلن نتحيز لأديب منهما على الآخر ، ولـكننا حين نبحث هـذا الموضوع نـكشف عن وجه الحق كما يتراءى لناظره ، ونقدم من الأدلة ما نراه يميل برأى على رأى ، ويهمنا أن تنفرج دائرة هذه الآراء عن صواب سديد .

وإذا كانت رسالة أبى العلاء من الشهرة والذيوع بحيث لا تحتاج هنا إلى تلخيص أو تحليـل ، فإن رسالة ابن شهيد تحرز كثيرا من طرافتها الخالبة ، فقد تحـدث صاحبها عن رئى أديب من الجن كان يصاحبه فى رحلته إلى ديار عبقر ، يسير به كالطائر يجتاب الجو فالجو ويقطع الدو فالدو ، حتى يشارف أرضا لا كأرضنا وجوا لا كجونا متفرع الشجر ، عطر الزهر ، فيصل به إلى دارات ملهمى الشعر ، ويناقش معـه صاحب امرىء القيس يستمع منه ويسمعه ، ثم يغادره إلى أصحاب طرفـة وقيس ابن الخطيم ، وأبى تمام والبحترى وأبى نواس وكلهم يسمعه ويجيزه ، ثم ينتهى به إلى شياطين الـكتاب ويسميهم ابن شهيد خطباء فيلقاهم فى محفل واحد ، ويسار أصحاب الجاحظ وعبد الحميد وبديع الزمان على نحو يضمن الفلج والانتصار لابن شهيد ، وأنا لم أعرف أن الـكتاب شياطين كما للشعراء إلا حين قرأت رسالة التوابع والزوابع ، فلعل ابن شهيد يشير إلى أن الإلهام ذو أصل واحـد عند أولئك وهؤلاء ، ومضت الرسالة تفنن فى عرض هذه الرحلة الأدبية عرضا يستريح له القارىء وإن ثار على بعض ما يتردد بها من الأحكام القاطعة كما يعتنقها ابن شهيد ويحاول أن يقنع بها الناس !

وأعجب ما يروقنى فى التوابع والزوابع قـدرة صاحبها على الوصف المناسب وتدسسه إلى مواطن الغمز فى حيوات الأدباء وأشعارهم فصاحب أبى تمام يأوى إلى شجرة غينـاء يتفجر من أصلها عين كمقلة حوراء ، فإذا ناداه اشتق الهواء صاعدا من الماء (وكان أبو تمـام سقاء يبيـع الماء أول أمره) ، فيسأله : وما الذى أسكنك قعرهذه العين؟ فيقول : حيائى من التحسن باسم الشعر وأنا لا أحسنه ، وصاحب أبى الطيب المتنبى صلف نخور يسمع غيره ولا ينشد لنفسه وهوفارس على فرس بيضاء وبيده قناة قد أسندها إلى عنقه ، وعلى رأسه عمامة حمراء قد أرخى لها عذبة صفراء وقد حياه فأحسن الرد ناظرا من عقلة شوصاء قـــد ملئت تيها وعجبا ! وصاحب بديع الزمان الهمزانى يسمع أباعامر بن شهيد حاسدا مغيظا ، ثم يضرب الأرض برجـله فتنفرج له عن مثل (برهوت) يتدهدى إليها فتجتمع إليه ويغيب بها ! أما صاحبا الجاحظ وعبد الحميد فيقولان له : إنا لنخبط منك ببيداء حيرة ، وتفتق أسماعنا منك بعـبرة ، ولا ندرى أنقول : أشاعر أم خطيب ؟ فيقول ابن شهيد : الإنصاف أولى والصدع بالحق أحجى ولا بد من قضاء ، فيردان عليه : انصرف فأنت شاعر وخطيب معا ! ويمضى والأبصار إليه ناظرة ، والأعناق نحوه مائلة .

أما صاحب أبى نواس فما أحسن ما تحدث عنه أبو عامر ! رآه فى دير حنة وهو دير عظيم تعبق روائحه وتصوك نوافحه ، وأقبلت نحوه الرهابين مشددة بالزنانير ، قـد قبضت على العكاكيز ، بيض الحواجب واللحى ، إذا نظروا للمرء استحيا ،

مكاثرين للتسبيح ، عليهم هدى المسيح ، فقالوا : أهلا بك من زائر ما بغيتك ؟ فقال : صاحب أبي نواس فقالوا : إنه في شرب الخمرة منذ أيام عشرة وما تستمتع به ، قال أبو عامر : ونزلنا وجاءوا بنا إلى بيت قد اصطفت دنانه ، وعكفت غزلانه ، وفي فرجته شيخ طويل الوجه والسبلة قد افترش أضغاث زهر ، واتكأ على زق خمر ، وحواليه صبية كأظب تعطو إلى مرارة ، فحييناه ، فجاوب بجواب لا يعقل لغلبة الخمر عليه ، فأنشداه بعض خمرياته (وذكرها ابن شهيد) فصاح من حبائل نشوته ، واستدعى ماء قراحا فشرب منه وغسل وجهه وأفاق واعتذر إلى من حاله فأدركتني مهابته وأخذت في إجلاله ، وأخذت أنشده قصائدي ، فقام يرقص ويردد ، ويقول : هذا والله شيء لم نلهمه نحن ، ثم استدناني فدنوت منه فقبل بين عيني ، وقال : اذهب فإنك مجاز ! .

على هذا النمط البديع سارت رسالة التوابع والزوابع ، فأعجبت القراء وتصارع حولها الباحثون من الأدباء ! ونحن هنا نوجز ما عثرنا عليه مما قيل معقبين عما يتضح لنا بعد الإمعان ! .

أشار الأستاذ الدكتور أحمد ضيف في كتابه « بلاغة العرب في الأندلس » إلى أن ابن شهيد قد تأثر بأبي العلاء ! وهو أول باحث عربي أصدر حكمه في هذه المسألة ، وكان دليله الأول أن شهرة أبي العلاء قد طبقت المشرق والمغرب ، فلا بد أن يكون أبو عامر قد قرأ رسالته واحتذاه

يقول الدكتور ضيف ص ٤٨ « وقد كتب رسالة هي أشبه برسالة الغفران من حيث أسلوبها الأدبي وسماها التوابع والزوابع وكان يقلد أبا العلاء في ذلك لأنه أدرك عصره ولأن شهرة أبي العلاء كانت ذائعة في المشرق والمغرب ، وكان أهل الأندلس يقلدون المشرق في كل شيء » .

وأستاذنا الدكتور ضيف كان يكتب دراسة موجزة منهجية في أدب الأندلس لأول مرة في العصر الحديث ، فلم يكن من همه أن يقف وقفات طويلة عند كل رأي ، ولو فعل لامتد به التأليف إلى أجزاء طوال ، وهذا لم يكن ! لأنه كان يلقي الأضواء الأولى على تراث ثمانمائة عام ، ويجتهد قدر الطاقة أن يحشد من المؤلفات والمؤلفين ما يسمح به مجال مذكرة جامعية تلقى على الطلاب ! ولسنا — شهد الله — نضائل من كتابه الرائد ، فحسبه أن كان الخطوة الأولى في طريق المكتبة الأندلسية المعاصرة ولكننا نقول : إن أثر العجلة السريعة قد ظهر في حكمه على ابن شهيد بتقليد أبي العلاء إذ أن أقوى حجة لديه أن عصر ابن شهيد يندرج في عصر أبي العلاء فقد عاش من سنة ٣٨٢ إلى سنة ٤٢٦ وعاش المعري من سنة ٣٦٣ إلى سنة ٤٤٩ وكانت شهرته أذيع وأشهر ، ولو سلمنا أن شهرة أبي العلاء كانت مستفيضة في الأندلس ما منعه ذلك أن يقرأ أدب الأندلس ويرجع إليه ، وإذا كان المعري المتمكن المتمرس يجلس مجلس الأستاذ من ابن شهيد الشاب اللاهي في تقدير مؤرخي الأدب ، فكم من أستاذ تأثر ببعض أفكار تلاميذه ! فليست استفاضة الشهرة وحدها دليلا يعتمد عليه في ذلك حتى يتقدم به الدكتور ضيف في تأييد حكمه دون أن يشفع به بعض المبررات المحتملة ! وما كان أكثرها لو اتسع أمامه المجال على اطمئنان وتريث ! .

ولكن الدكتور زكي مبارك في الجزء الأول من النثر الفني ، قد وقف تجاه المسألة وقفة طويلة ، فتأمل كلام الدكتور ضيف ثم اتضح له ما يخالفه ، واستند إلى مؤكدات ملموسة من المنطق والتاريخ فصلها حين قال ص ٢٥٩

« وقد رأينا أن نحقق هذه المسألة فبحثنا طويلا عن التاريخ الذى وضعت فيه رسالة التوابع والزوابع فلم نهتد ، ولكننا رأينا فى الرسالة نفسها ما يدل على أنه وضعها وهو كهل فقد جاء على لسانه ما يشير إلى أن من إخوانه من بلغ الإمارة وانتهى إلى الوزارة ... ولكن لا ينبغى أن تخدعنا هذه التعابير ، فهناك نص يدل على أنه وضعها وهو شاب ، فقد حدثنا فى التوابع والزوابع أن الجن قالوا له : بلغنا أنك لا تجارى فى أبناء جنسك ولا يمل من الطعن عليك والاعتراض لك ، فمن أشدهم عليك . . وقد أجاب جاران دارهما صقب وثالث نابته نوب فامتطى ظهر النوى وانتضى على لسانه عند المستعين ، وهذا الكلام يشعر بأنه كتب هذه الرسالة فى عهد المستعين وقد بويع بقرطبة سنة ٤٠٠ هـ ثم جددت بيعته سنة ٤٠٢ ومات مقتولا سنة ٤٠٧ ، ومن هنا نرجح أن رسالة التوابع والزوابع كتبت بين سنة ٤٠٣ ، ٤٠٧ هذا جانب من المسألة ، أما الجانب الآخر فهو التاريخ الذى وضعت فيه رسالة الغفران وإذا كانت الرسالة جوابا على رسالة ابن القارح فقد عدنا إلى رسالة ابن القارح فانتهينا إلى قوله « وكيف أشكو من قاتنى وعالى سبعين سنة » فعرفنا أنه وضعها بعد أن جاوز السبعين ثم نظرنا فوجدناه ولد سنة ٣٥١ فإذا أضفنا إلى هذا الرقم ٧٠ ـ وجدناه كتب رسالته حوالى سنة ٤٢١ وتكون النتيجة أن رسالة الغفران كتبت حوالى سنة ٤٢٢ ، وإذا قدرنا أن ابن القارح قال نيفا وسبعين وللنيف دلالته وقدرنا أن أبا العلاء اعتذر عن تأخير الرسالة بأنه يستطيع بغيره كان من الممكن أن تكون رسالة الغفران كتبت بين سنة ٤٢٢ ، ٤٢٤ » .

ثم قال الدكتور مبارك « ونتيجة هذا التحقيق أن رسالة الغفران كتبت بعد رسالة التوابع والزوابع بنحو عشرين سنة وصار من المرجح أن يكون أبو العلاء هو الذى قلد ابن شهيد ، وكما كان الأندلسيون يقلدون أهل الشرق فى كل شىء كان أهل الشرق يحرصون أشد الحرص على متابعة الحركة الأدبية فى الأندلس بدليل أن رسائل ابن شهيد ذاعت فى الشرق ودونها المؤلفون الشرقيون قبل أن يموت وقبل أن توضع رسالة الغفران » .

نتيجة جديدة مضادة قد انتهى إليها الدكتور مبارك ، وهى ذات دليلين : دليل قطعى ، ودليل راجح فالدليل القطعى أن ابن شهيد لم يقلد أبا العلاء بالمرة لأن رسالة الغفران قد كتبت سنة ٤٢٤ وابن شهيد مات سنة ٤٢٦ بعد مرض أقعده مدة طويلة ، وقد كتبت رسالته قبل ذلك بأعوام كثيرة قدرها الدكتور مبارك بنحو عشرين !! والمؤكد أنها أقل من ذلك كما قرر الدكتور أحمد هيكل وسيأتى توضيح رأيه عن قريب ! هذا هو الدليل القطعى ، أما الدليل الراجح فهو أن أبا العلاء تأثر بابن شهيد لأن رسائل ابن شهيد ذاعت فى المشرق ودونها المؤلفون الشرقيون قبل أن يموت ابن شهيد وقبل أن توضع رسالة الغفران ! فلا بد أن تكون قد انتهت إلى أبى العلاء . وقد بحثت فى كتب المشرق التى عناها الدكتور مبارك فرأيت أن يتيمة الدهر للثعالبى هى التى تحدثت عن ابن شهيد فى حياة أبى العلاء فذكرت بعض شعره وبعض نثره ! دون أن تشير إلى رسالة التوابع ، وكان على بعد ذلك أن أثبت شيئين هامين فى هذا الصدد ، الشىء الأول أن الثعالبى كان يعرف رسالة التوابع ، والشىء الثانى أن أبا العلاء قد قرأ اليتيمة !

أما أن الثعالبي كان يعرف رسالة التوابع ، فواضح من مختاراته الشعرية والنثرية لابن شهيد ، إذ أن من يقرأ الجزء الثاني من يتيمة الدهر مطبعة حجازى يجد المختارات قد جاءت ابتداء من ص ٣٥ كما يلى :

المقطوعة الأولى مختارات من قصيدة

شجته طلول من سليمى وأدور ص ٣٥ ج ٢

المقطوعة الثانية مختارات من قصيدة

أمن رسم دار بالعقيق محيل ص ٣٦ ج ٢

المقطوعة الثالثة مختارات من قصيدة

منازلهم تبكى إليك عفاءها ص ٣٧ ج ٢

المقطوعة الرابعة مختارات من قصيدة

أبكيت إذ ظعن الفريق فراقها ص ٣٨ ج ٢

المقطوعة الخامسة مختارات من قصيدة

أفى كل عام مصرع لعظيم ص ٣٩ ج ٢

المقطوعة السادسة مختارات من قصيدة

هذه دار زينب والرباب ص ٣٩ ج ٢

المقطوعة السابعة مختارات من قصيدة

أصفيح شيم أم برق بدا ص ٤٠ ج ٢

المقطوعة الثامنة مختارات من قصيدة

أبرق بدا أم لمع أبيض فاصل ص ٤١

المقطوعة التاسعة مختارات من قصيدة

هاتيك دارهم فقف بمغانيها ص ٤٢

المقطوعة العاشرة مختارات من قصيدة

ومرتجز ألتى بذى الأثل كلكلا ص ٤٣

القصيدة الحادية عشرة مختارات من قصيدة

أزل كسا جثمانه متسترا ص ٤٣

هذه القصائد نقلت هكذا وفق ترتيبها فى رسالة التوابع والزوابع كما ذكرها ابن بسام بالذخيرة ١/١ ابتداء من ص ٢١٣ حيث المقطوعة الأولى ، ص ٢١٤ حيث المقطوعة الثانية ، ص ٢١٦ حيث المقطوعة الثالثة ، ص٢١٧ حيث المقطوعة الرابعة ، ص٢١٨ حيث المقطوعة الخامسة ، ص ٢٢٠ حيث المقطوعة السادسة ، ص ٢٢٣ حيث المقطوعة السابعة ، ص ٢٢٦ حيث المقطوعة الثامنة ، ص ٢٢٨ حيث المقطوعة التاسعة ولم يذكرها ابن بسام بطولها كما جاءت فى أصل الرسالة لأنه سبق أن ذكرها ، ص ١٧٣ فلم يشأ التكرار ، وص ٢٣٦ حيث المقطوعة العاشرة ، وص ٢٣٧ حيث المقطوعة الحادية عشرة .

فتوالى المختارات وفق ترتيب رسالة التوابع والزوابع ينطق بأن الثعالبى قد نقل عنها وأنها كانت تحت يديه حين حدثه أبو سعيد بن دوست (ص ٣٥ ج ٢) عن ابن شهيد ، ولئن جاءت المختارات ناقصة الأبيات عن قصائد الرسالة فإن الثعالبى قد اختار منها ما راقه وليس له أن يتقيد بجميع ما قال ابن شهيد ، شأنه فى ذلك شأن غيره من الشعراء ، أما مختارات الثعالبى النثرية فهى أيضا من الرسالة مثل وصف البرغوث والبرد والبعوض والماء والنار ، وإذا كانت بعض هذه الأوصاف لا توجد الآن فيما رواه ابن بسام ، فالسبب واضح هو أن ابن بسام يعترف أنه لم يرو جميع الرسالة ، وإنما ينقل بعض المختارات فما جاء به الثعالبى مما ليس فى الرسالة على ندرته ـ قد أغفله ابن بسام مع ذيوعه لدى غيره ! ولو ذكرت رسالة التوابع بنصها فى الذخيرة لرأينا كل ما جاء !

أما أن أبا العلاء قد قرأ اليتيمة فذلك ما توحى به البداهة لأن كتاب الثعالبى قد صدر فى حياة أبى العلاء وكان له ضجيج ورنة ! إذ شرقت اليتيمة وغربت ، وتحدثت عن شعراء يعاصرون شاعر

المعرة ومن الطبيعي أن يسأل عنهم في مجالسه من تلاميذه وأن يصدرفيهم رأيه بل إن الثعلبي تعرض لأبي العـــلاء إذ نقل أحاديث الأدباءعنه وروى بعض أخباره وأشعاره وليس من المعقول أن يخفى ذلك عن طلبة بصير كأبي العلاء قال ياقوت الحموى في الجـــزء الثالث من معجم الأدباء ص ١٢٩ : دار المأمون .

وقال أبو منصور الثعالبي في يتيمة الدهر «وكان حدثني أبو الحسن الدلفي المصيصي الشاعر وهو من لقيته قديما وحديثا في مدة ثلاثين سنة قال : لقيت بمعرة النعمان عجبا من العجب رأيت شاعـرا ظريفا يلعب الشطرنج والنرد ويدخل في كل فن من الجـد والهزل يكنى أبا العلاء وسمعته يقول : أنا أحمد الله على العمى كما يحمـــده غيرى على البصر قال : وحضرته يوما وهو يملى جواب كتاب ورد عليه من بعض الرؤساء (وذكر الأبيات ثم قال) أنشدني لنفسه .

لست أدرى ولا المنجم يدرى
ما يريد القضاء بالإنسان
غـير أني أقول قول محق
قد يرى الغيب فيه مثل العيان :
إن من كان محسنا فليكتمه
لجميـــل عواقب الإحسان !

فرسالة التوابع ذاعت في الشرق ، وصاحبها مشهور تحدثت عنه تيمة الدهـر وهي بعد أوسع ذخائر الأدب اشتهارا ، وقرأها أبو العلاء فعرف ابن شهيد دون جدال .

لقد بان إذن بعض الحق في رأى الدكتور مبارك ولكن الدكتور أحمد أمين في الجـزء الثالث من ظهر الاسلام ص ٢١٠ ينسب هـذا الرأى لبعض المستشرقين دون أن يسميه فيقول ما نصه ص٢١٠ ج ٣ الظهر .

« وقد ظن قوم أن التوابع والزوابع وضعت تقليداً لرسالة الغفران ، ورأى بعض الباحثين من المستشرقين أن العكس هوالصحيح ، وأن أبا العلاء هو الذى قلد ابن شهيد ، ورجح أن التوابع والزوابع ألفت قبل رسالة الغفران بنحو عشرين سنة ، وذلك لأن ابن شهيد ذكر في رسالته ما يدل على أنه ألفها في عهد المستعين وهو سليمان بن الحكم ابن سليمان بن عبد الناصر وكانت مدة حكم المستعين هذا من سـنة ٤٠٠ إلى سنة ٤٠٧ (الصحيح أنه خلع من ٤٠٠ - ٤٠٣ وولى بعد ذلك) .

كما نعلم أن أبا العلاء ألف رسالة الغفران رداً على ابن الكارح ، وكان أبوالعلاء قد بلغ نحو السبعين كما تدل عليه فقره في الرسالة نفسها ، فيكون قد كتب رسالته حوالى سنة ٤٢٢ وعلى هـذا تكون رسالة التوابع والزوابع كتبت قبلها بنحو ٢٠ سنة وقد أخذ أبو العلاء الفكرة وطبقها تطبيقاً لطيفاً ، ونحا بها نحوا يخالف بعض الشيء رسالة ابن شهيد وإن كان أساس الفكرة عند ابن شهيد ودانتي وأبي العلاء واحداً » .

وأرجح أن صاحب هـذا البحث هو الدكتور زكي مبارك إذ لو سبق به بعض المستشرقين لذاع واشتهر ، وأظن أن الدكتور أحمد أمين قدسها حين عزاه إلى غيره لأنه قرأ النثر الفني وعده بين مراجعه آخر الكتاب ! ولو تأكد من سبق غيره في ذلك لذكر اسمه على الأقل ؟

محمد رجب البيومي

حول كتاب :

الصراع الأدبى بين القديم والجديد

للأستاذ على العمارى

للأستاذ كامل السيد شاهين

— ١ —

اشتباه المعالم :

قامت فى البلاد العربية منذ عصر النهضة ظواهر أدبية ، تتصل ملامحها بالأدب العربى القديم حينا وبالأدب الغربى حينا ، وحينا تظهر عليها الأصالة وسيما الشخصية المميزة والاستقاء من واقع الحياة العربية ، والاصطباغ باللون المحلى .

وهذه الظواهر ليست محصورة متميزة ، بل هى مبعثرة مختلطة ، واضطرابها يرجع إلى عدم استقرار الموازين النقدية ، وإلى احتدام الخلاف بين النقاد تبعاً لاختلاف المنابع التى يستقون منها ، واختلاف الأذواق التى يحتكمون إليها . واختلاف المؤثرات فى الأذواق التى يصدرون عنها . . ثم إلى اختلاف التفكير فى مراحل الحياة عند الناقد الواحد بحكم اتساع التجربة ، وشمول القراءة ، ونشوء دوافع وانتهاء دوافع .

نشأ فى النقد منزع عقلى جدلى يخاصم إلى المنطق ويدفع بالدليل ، ونشأ معه منزع موسيقى ذوقى يصدر عن الاستحسان الخاص ، ويسجل ارتياحه أو استهجانه ثم لا يحقق السبب الذى من أجله كان استحسانه أو استهجانه .

وسايرهما منزع يدعو إلى التعبير المنطلق الذى يسخر من المواضعات ويتحرر من التقاليد ويترخص فى اللغة شكلا وإعرابا وهيئة ونظما .

هذه المنازع قد ظهرت فى وقت واحد وصورتها مقالات وكتب نقدية تجرى بالتأصيل وبالتطبيق. ثم اختلطت الاتجاهات وتشابكت ، وجاء منها المفهوم وغير المفهوم ، وبات الأديب فى مذهب الطرق موزع الرأى ، لا يكاد يطمئن إلى جانب حتى ينزعج عنه إلى آخر ، حتى إن المجلات الأدبية صار لونها يختلف بين أسبوع وأسبوع .

منهج :

فى هذه الظلمات اتخذ الأستاذ العالم الشيخ على العمارى سبيله بين الخصومات الأدبية ، بعد أن أعد منهجه على أساس الفهم الحر ، والقراءة الواعية ، والتحرر من المذهبية ، والسمو على العصبية ، والترفع عن التظاهر . . واصلا القضايا بأطرافها القديمة ، متخذاً زى القاضى ، وعصا المؤدب ! .

إن تتبع الحركات الأدبية فى تدمها واضطرابها ليس بالشئ الهين الذى يستطيعه كل ناقد .

فشواغل الإنتاج ، ونزغات الأهواء ، واستثقال بعض الاتجاهات والارتياح لبعض قد يصرف الراصد مدة تقصر أو تطول ، تنفصم بعض الحلقات أو يفوته تطور بعض الاتجاهات .

ولقد كان الأستاذ المؤلف يقظا مفتوح العين على كل جديد يظهر فى مصر أو فى لبنان مستقيا هذه الآراء فى المجلات التى تصدر هنا أو هناك ،

وفى الكتب التى تظهر بين الحين والحين فتسجل جديدا أو تردد قديما ، أو تمزج هذا بذاك .

فإلى الذين فاتهم تتبع الحركات الأدبية،وإلى الذين ينتصرون لمذهب جديد استهواهم أو يتعصبون لمذهب قديم وقر فى نفوسهم ، وإلى الذين لا يبصرون طريقهم بين الضباب الكثيف ، وإلى الذين ينشدون حكما بريئا من الهوى والعصبية... إلى هؤلاء جميعا يساق هذا الحديث ، حديث « الصراع الأدبى بين القديم والجديد » .

ومهما تكن قدرة الكاتب على التجرد ، ورغبته فى الإنصاف ، فهو لا يستطيع أن يفلت من ذوقه الخاص وثقافته الخاصة ، فيسوقه ذلك إلى أحكام تحتاج إلى تمحيص وإلى مراجعة ، تناقش بعضها فى هذا المقال .

١ — البلاغة واللحن :

فهو يعارض ابن خلدون فى نظرية من أعمق النظريات هى نظرية مدخلية الإعراب فى البلاغة فالذى يراه ابن خلدون « أن الإعراب لا مدخل له فى البلاغة ، إنما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود ولمقتضى الحال من الوجود فيه ، سواء أكان الرفع دالا على الفاعل ، والنصب دالا على المفعول ، أو بالعكس ، أو يدل على الفاعل والمفعول بقرائن الكلام » ويدعى أن شرف البلاغة لا يتحقق الكلام ما لم يكن خاضعا لقانون النحو فى أتم صورة، وأن استحسان الكلام الذى اضطرب فيه الإعراب إنما هو تسلل الذوق الأعجمى ، وليس ذوقا عربيا أصيلا، ولو أغضينا عما جاء فى كتب البلاغة من اعتبار ضعف التأليف مخلا بالفصاحة واعتبار الإخلال بالفصاحة مفوتا للبلاغة . لو أغضينا عن هذا الأصل الذى لم يزع تطاول الذوق بتطور العصور ووقف به عند حدود ما كان عليه فى أيام الأمويين وما قبل الأمويين... لكان أمرا يتفق مع الطبائع ويساير الواقع .

ومن حقنا أن نتساءل لماذا كان الإعراب ؟ ، وهل هو أمر ذاتى فى الإفهام ، وفى تحقيق الجمال ، أو هو طريق اتخذته العرب للإبانة والإفهام ، وتمييز مواقع الكلام الجمل ، وأباحت لنفسها أن تعدل عنه إذا تحقق الإفهام دونه لتنبه على أنه ليس أمراً ذاتيا فى الإفادة وأنه لا مدخلية له فى القيمة الأدبية .

وسواء لدى العرب أجاءك الإفهام من الإعراب أم جاءك من سبيل غيره كالتقديم والتأخير ، ونبرات الكلام ، وحروف الفصل .

وهى لذلك تأذن أن ترفع أو تنصب كيف شئت مادام المعنى الذى تريد أداءه لا ينهدم بتغيير الإعراب وما كان قول الفرزدق:

إليك - أمير المؤمنين - رمت بنا
صروف النوى والموجل المتعسف

وعض زمان يابن مروان لم يدع
من المال الا مسحتا أو مجلف

إلا اعتبارا للمعنى ، وإهدارا لحكم اللفظ .

فقد روى عن أبى عمرو أن عبد الله بن أبى اسحق الحضرمى سأل الفرزدق علام رفعت (مجلف) ، فقال له الفرزدق : على ما يسوءك وينوءك . . فلما لم يكن الرفع مخلا بالمعنى اعتبره ولم يبال النصب .

وكذلك فعل النابغة فى قوله :

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة
من الرقش فى أنيابها السم ناقع

لو اتبع الأصل لقال (ناقعا) على أنه حال من السم ، لكنه رفع الحال اتباعاً المعنى ، وإهدارا لما سواه .

ومثل هذين قول دريد :

فطاعنت عنه الخيل حتى تنهنهت
وحتى علانى حالك اللون أسود

فجر أسود بالكسرة مرتكبا مخالفتين ، الأولى وصف المرفوع بالمجرور ، والثانية جر الممنوع من الصرف بالكسرة .

وأنشد أبو عبيدة للأخطل :

أما كليب بن يربوع فليس لهم
عند التفاخر إيراد ولا صدر

مثل القنافذ هداجون قد بلغت
نجران أو بلغت سوءاتهم هجر

لو اتبع الأصل لقال (قد بلغت سوءاتهم هجر) برفع السوءات ونصب هجر ، فجعل الفعل للبلدتين على السعة .

وروى أن يونس بن حبيب النحوى قال لأبى الحسن الكسائى ، كيف تنشد بيت الفرزدق :

غداة أحلت لابن أصرم طعنة
حصين عبيطات السدائف والخمر

قال الكسائى : برفع الخمر ، ونصب العبيطات بالكسرة :

قال يونس : وكيف ذاك ؟

قال الكسائى : لما قال « أحلت لابن أصرم طعنة عبيطات السدائف » تم الكلام ، ثم حمل الكلام على المعنى فقال : وحلت له الخمر .

فقال له يونس : ما أحسن ما قلت ، ولكن الفرزدق أنشدنيه على القلب فنصب الطعنة (وهى فاعل) ورفع العبيطات (وهى مفعول) ثم عطف عليها الخمر بالرفع .

قال المبرد ، والذى ذهب إليه الكسائى أحسن فى محض العربية ، وإن كان إنشاد الفرزدق جيداً .

وتوسعات العرب اعتماداً على المعنى كثيرة ، وجارية فى القرآن الكريم ، فمن ذلك قوله سبحانه : « وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة » . المعنى لتنوء بها العصبة أولو القوة .

ومن كلام العرب : إن فلانة لتنوء بها عجيزتها .

وللفرزدق :

وأطلس عسال وما كان صاحبا
رفعت لناری موهنا فأتانی

والأطلس لا يرفع للنار ، وإنما ترفع له النار .

وعليه قول شوقى فى حكومة الحكمين :

حتى إذا وسعت معاوية وضاق بها على
نزلوا على حكم القوى وعند رأى الأحيل

الأصل : حتى إذا وسعت معاوية رضاقت بعلى .

ولقد تحمل العرب على المعنى دون قلب كقول الفرزدق والضمير للذئب :

فبت أقد الزاد بينى وبينه
على ضوء نار مرة ودخان

جعل للدخان ضوءاً ، والدخان لا ضوء له . . وإنما ذكره للاشتراك مع النار .

وقول الآخر :

يا ليت زوجك قد غدا
متقلداً سيفاً ورمحاً

والرمح لا قلادة له .

وقول غيره : شراب ألبان وتمر وأقط .

والتمر والأقط لا يشربان .

وتوسعات العرب وتسمحهم مما يطول شرحه . .

وقد أمعنت فى الاستشهاد لأن كثيراً ممن لم قدم فى علم العربية يغترون بتأويلات النحاة ، ويرون أنها شىء .

وفي الحق أن الحمل على المعنى هو الأصل الذي عليه بنت العرب كلامها .

وبعد : فإننا مع ابن خلدون في أنه لا مدخل للإعراب في بلاغة الكلام . ما قامت قرينة تغني غناءه في تحديد وضع الكلمة في النظم .

ولا يظن ظان أننا ندعو إلى اطراح الإعراب جملة ، فإن كلامنا في أمرين :

الأول : أن الإعراب ليس عنصراً ذاتياً في بلاغة الكلام .

الثاني : أن الغرض من الإعراب بيان موقع الكلمة في الجملة ، فإذا تحقق هذا الغرض بطريق غير الإعراب فلا ضير .

على أن الإعراب كان ولم يزل هو الطريق الغالب والمطرد في تحديد وضع الكلمة .

ولكن التزامه على نحو حاسم لا ترخص فيه تحرج لا مبرر له .

واعتباره أصلا تبطل البلاغة بالخروج عليه غفلة عن الغرض الذي من أجله كان الإعراب .

فليس من شك في أننا لا نستطيع أن نخرج من دائرة البلاغة قول أبي نواس :

تصف الطلول على السماع بها
أفذو العيان كأنت في الحكم

مع أن العرب لا تقول : فلان كأنت ، ولكنها تقول : فلان مثلك .

وكذلك قول الجاهلي ، يخاطب القبرة :

قد رفع الفخ فماذا تحذري

أصله فماذا تحذرين .. إلى كثير من أمثال ذلك .

٢ — ملكية اللغة :

والملكية التي يدعيها الفرزدق للغة تختلف الاختلاف كله عن الملكية التي يدعيها أبو تمام ، والتي يجري وراءها شعراء « الرابطة القلمية » بالمهجر الشمالي .

فالفرزدق يرى أن من حقه التقديم والتأخير ، وأن من حقه الرفع والنصب ، لأنه ذو ملكة لا تخطيء ، فكما لا يسأل زهير وطرفة كيف قالا ؟ . كذلك هو لا يسأل ، كيف قال ، وما دام النحاة يتلقون عن الأولين بالخشوع والإخبات ، فكذلك هو ينبغي أن يتلقوا عنه خاشعين مخبتين .

وشعراء الرابطة القلمية يرون أن من حقهم أن يغيروا اللفظة القاموسية بلفظة أكثر منها إشراقا ، وأرق دلالة : لفظة اتخذت لها من حياة الناس جوا يقربها إلى أرواحهم ، ويجعلها تنفذ بدلالاتها وإطارها إلى حيث لا تنفذ اللفظة القاموسية ...

ويرون كذلك أن من حقهم ألا يتحروا النحو كل التحري ؛ لأن الغرض من الإعراب هو الكشف عن موضع الكلمة وموقعها الذي ينم عن ترتيبها أو هدفها . . ومادام هذا الغرض لا يفوت في كلمة ما بفوات الإعراب ، فإن العدول عن الإعراب المتبع ، لا ينقص من البلاغة شيئاً .

والقرآن الكريم صريح في هذا الأصل ؛ قال تعالى : « ولكل قوم هاد » ، « وإذا مرضت فهو يشفين ، والذي يميتني ثم يحيين » . فالقواعد المتبعة تقضي بعودة الياء في الوقوف ، ولكن القرآن راعى النغم فأبى عود الياء ، ونظير هذا قوله سبحانه : « سلاسلا وأغلالا وسعيرا » فصرف السلاسل انسيابا أغلالا وسعيرا المختومتين بالتنوين وقوله تعالى : « ولا يغوثا ويعوقا، ليوافقا « نسرا» فتلك جهتهم في التحرر اللغوي .

أما أبو تمام فقد خرج عن طريق الشعر العربي في البساطة واليسر إلى ألوان من التجنيس والترصيع

وتهاويل من الاستعارة غريبة ، وغوص على المعانى ثم إيداعها فى أى وعاء حضره ، حتى ليعنت السامع ويزيغ قلبه ، ويريغ المعنى عن طريقه ، فذلك مذهبه .

فالادعاء مختلف بين الفرزدق وشعراء المهجر ، وبين كل منهما وأبى تمام ... فإذا قال أبو تمام : « ولم لا تفهم ما يقال ؟ » فليس هـذا من قبل قول الفرزدق : « على أن أقول وعليكم أن تعربوا » وليس من قبل قول جبران ساخرا : « أنا القاموس الملك ، لا تتخذ إلها غيرى ! » والمؤلف المحقق لم يبين اتجاه كل من هؤلاء فى ادعاء ملكية اللغة ، على أن دعوى الفرزدق ، واتجاه المهجريين أحق بالقبول من تصفيح أبى تمام الذى يعدو على جوهر المعنى عدوانا جريئا .

٣ — غرابة الكلمة ، وغرابة الفكرة :

وفصل «الشغف بالغريب» فصل غير ذى موضوع فقد انتهى عهد يشكو الناقد فيه من التقعر وأصبح ماذكره الجاحظ من عيب المتكلفين بالغريب ، وماذكره ابن قتيبة فى « أدب الكاتب » تاريخا من التاريخ ونوادر يحكيها الناس جيلا بعد جيل .

أما الآن فقد صرنا نشكو الابتذال والدنو من العامية وسوقية التعبير ، فلا محل لعقد فصل يبقى على كلمة كتبت ، أو مقامة حكيت .

وإنما الغرابة اليوم كان يمكن أن تتخذ (الرمزية والسريالية) محلا لها . فإن منهما ما يقبل وما يرد ، ولو أن هذا الفصل تناول الرمزية ففصل حدودها المقبولة والمردودة ، وتناول (السريالية) واستخرج من تهويماتها شيئا يدنيها من القبول ، ولو فى إنشاء الأطفال ، وتخاليط عباقرة المجانين ، وربط وضعها فى الرسم بوضعها فى الأدب وسائر الفنون .

لو اتجه فصله فى الغرابة هذا الاتجاه لكان فصلا جديراً بالاعتبار ، ولكان أحق بالقبول من الكلام فى غريب أبى علقمة ومن تأساه ؟

(يتبع) كامل السيد شاهين

بين الحسن وابن الحنفية

وقع بين الحسن ومحمد بن الحنفية لحاء ، ومشى الناس بينهما بالنمائم فكتب إليه محمد بن الحنفية :

أما بعد : فإن أبى وأباك على بن أبى طالب ، لا تفضلنى فيه ، ولا أفضلك ، وأمى امرأة من بنى حنيفة ، وأمك فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلو ملئت الأرض بمثل أمى لكانت أمك خيراً منها .

فإذا قرأت كتابى هذا فأقدم إلى حتى تترضانى فإنك أحق بالفضل منى .

من تراثنا الإسلامي

للأستاذ محمد غفراني الخراساني

نشرت في طهران عام (١٣٥٢ هـ) رسالة باللغة الفارسية بعنوان « الأدب الوجيز للولد الصغير » تأليف عبد الله بن المقفع مترجم كتاب « كليلة ودمنة » ، وكانت مجهولة من بين آثاره التي بقيت لنا بأسلوبه العربي البليغ الرصين .

وقد وضع ابن المقفع هذه الرسالة كما يبدو من عنوانها في تربية النشء وتعليمه طرق معالجة أمور الحياة بما يكفل له سعادة الدارين ؛ وتشتمل الرسالة على واحد وخمسين فصلا ، وكل فصل مصدر بكلمة « أي بني » ، ومن ثم زعم بعض الباحثين الفرس أن ابن المقفع ألف الوصايا التي تحتوي عليها الفصول لأجل ابنه الصغير ، وهذا الرأي لا يخلو من الضعف إذ أن أغلب الظن أن ابن المقفع لا يعني بلفظ « الولد » ابنه بالذات ، وإنما يوجه نصائحه إلى جميع الناشئين الذين ينزلون من ابن المقفع منزلة الولد من الوالد المشفق الناصح ، ونظير ذلك الرسالة التي ألفها الإمام الغزالي بعنوان « أيها الولد » في تزكية النفس وتهذيب الأخلاق ؛ ومضافاً إلى ذلك أن المصادر التاريخية القديمة لا تذكر ابناً صغيراً لابن المقفع إلا ما رواه ابن خلكان في كتابه « وفيات الأعيان » في معرض ترجمة ابن المقفع من أن ابنه كان يسمى محمداً - وهو الذي نسب إليه بعض المستشرقين نقل كتب المنطق من اليونانية إلى العربية [١] - ولعله من ثم كنى بأبي محمد بعد إسلامه كما يقول بذلك ابن النديم في كتابه « الفهرست » ، والجاحظ في كتابه « البيان والتبيين » ؛ ونستخلص مما ذكرنا آنفاً أن ابن المقفع لا يعني بقوله « الولد الصغير » ولداً صغيراً في السن ، وإنما يقصد الصغير في التجربة ، وكيف لا وهذه الرسالة تحوي مطالب عظيمة لا يستغني عنها الكبار والشيوخ ، ولذلك يرى بعض الباحثين أن لفظ « الصغير » محرف عن لفظ « العزيز » ، وهذا مما نؤيده .

وقد شاءت الصدفة للأسف أن يفقد الأصل العربي لهذه الرسالة التربوية التي نحن بصدد الكلام عليها ولم تبق منها إلا ترجمة فارسية قام بها أحد مشاهير علماء الإسلام الفيلسوف الإيراني « نصير الدين الطوسي » في بداية القرن السابع الهجري ، وقد تصرف المترجم في النص العربي ، وسلك طريقة البسط والاستكثار من التشبيه والاستعارة والكناية والاستشهاد بالآيات والأحاديث وذكر الأمثال العربية والفارسية نثراً ونظما ، وذلك حسب ما كان يقتضي أسلوب النثر الفارسي في عصره متأثراً بخصائص النثر الفني العربي ، وليس هنا مجال الحديث عن هذا التفاعل الذي حدث في اللغتين العربية والفارسية بعد الفتح أي منذ بداية القرن الرابع الهجري .

وقد خار الله لي أن أقوم بترجمة النص الفارسي لهذه الرسالة إلى العربية مرة أخرى لأرد إلى اللغة العربية تراثها المفقود ، وقدمتها بمقدمة مستفيضة

(١) وقد أثبتنا بطلان هذا الزعم في كتابنا « عبد الله ابن المقفع » طبعة الدار القومية للأنباء والنشر بالقاهرة .

أثبت فيها نسبة الأصل العربى إلى ابن المقفع وذلك عن طريق الموازنة بين النص الفارسى للرسالة والكتابين « الأدب الكبير والأدب الصغير » تأليف عبد الله بن المقفع بما لا يدع مجالا للشك بأن الأصل العربى لهذه الرسالة كان بقلم هذا الكاتب الكبير أيضا ؛ على الرغم من أن أحدا من المؤرخين القدامى لم يذكر لابن المقفع كتابا بهذا الاسم ؛ ونشرت مكتبة « عالم الكتب » الترجمة العربية عام (١٩٦٢ م) فى القاهرة بنفس العنوان الذى جاء فى الترجمة الفارسية ، وكان هدفى من تعريب هذا الأثر النفيس الذى جاء قريباً من أسلوب ابن المقفع أن أضع بين أيدى الباحثين العرب نموذجا جديداً من أدب هذا الكاتب الذى يعد بحق حجر الزاوية فى صرح الأدب العربى . هذا إلى جانب ما لهذه الرسالة من أهمية حيث تذكرنا بفضل الثقافة العربية الإسلامية فى طرق الشئون التربوية للجيل الناشئ قبل أن يطرقها « روسو » ودعاة الإصلاح الاجتماعيين ومربى الحدث فى الأوربا ؛ فإننا إذ نباهى بتراثنا الإسلامى العظيم نرجو من الله تعالى أن يوفقنا دوما فى إحياء هذا التراث ونشره فى ربوع العالم ويجعلنا من العاملين إبه (فلا حياة لأمة نسيت ماضيها المشرق الزاهى وغابرها التليد اللامع) .

والآن نورد بعد هذا العرض السريع لموضوع هـذه الرسالة بعض مختارات منها ، وذلك إفادة للقارىء الكريم .

يقول عبدالله بن المقفع فى محاسن الحلم والوقار :

« أى بنى : عود نفسك الحلم والسكينة والوقار واجعلها ملكة لها حتى لا تؤدى سورة غضبك وقت السخط إلى حد أن تصير حجاباً لعقلك ورأيك وتذهب بك فاحترز من تبعات الغضب المذمومة ونتائجه غير المرضية ولا تجز العقوبة فى حالة سورة الغضب وشدته فإنه إذا ما أدت العقوبة بعد ذلك إلى الحزن والندامة لم يتسن لك التمكن والقدرة على تداركها وكثيراً ما يعاقب من لا يستحق العقاب عند سورة الغضب ولا يكون من الحزم أن تبادر بذلك فيكون وقوع المضار بسبب تلك العقوبة أمر محتم فى العاجل ويكون إثمها باقياً فى الآجل وتصبح أنت بين الناس مذموما » .

ويقول ابن المقفع فى ذم الوشاية والكذب :

« أى بنى : إياك أن تعرف بين الناس بسوء النميمة ولا تجعل الكذب وسيلة لقضاء حاجتك ومآربك فتصبح مشهوراً بذلك العيب وتوصف بالزور واجتنب الحلف فى حديثك ، ولا تجعل ذكر الله بالأيمان متداولا على لسانك فينتقص بذلك وقعك وقدرك وينقطع عنك رجاء أرباب الحوائج الذين يتوقعون منك الخير ويطمعون فى برك وإحسانك » .

ويقول ابن المقفع فى محامد الصمت :

« أى بنى : تعود الصمت واحترز من لغو الحديث ولا تبدأ فى الكلام بغير روية فإن السكوت خير من الثرثرة فى أسريتم بدو نهـا ولا يكون لك فى ذلك نفع واعلم أن قلة الكلام أليق بشأنك وموجب لمزيد كالك عند أترابك وأكفائك ، وذلك لبقاء دينك ونقاء عرضك أبد ، وإن كان لك مال وأقبلت عليك الدنيا فعليك أن تنعم على إخوانك وأصدقائك المخلصين وتسلك معهم طريق العطاء والسخاء ، وتحسن إلى من يتوسل إليك ويظنك أهلا لقضاء حاجتك » .؟

محمد غفرانى الخراسانى

صقلية والنشاط العلمي

للأستاذ يوسف حسن نوفل

نشطت عبقرية العلماء المسلمين في العصر الإسلامي ، وحتى بعد انتقال الزعامة إلى النورمان ، ظل العرب سادة الفكر في عدد من العلوم ، مثل الفلك والرياضيات والنبات والصيدلة وبعض فروع الطب يقول همبولد « العرب بلغوا في العلوم العملية درجة لم يكن يعرفها أحد من القدماء » .

١ — الطب :

يحتل المسلمون المنطقة الوسطى بين الطب القديم والطب الحديث ، أو بتعبير آخر ، هم الذين استطاعوا أن يتفهموا الطب اليوناني ويضيفوا إليه بعد دراسته وتمحيصه وإبطال الزائف منه وتصحيح المخطىء فيه وما أضافوا إليه ظل تقدير العالم إذ كان نتيجة تجاربهم وخبراتهم .

وكانت كتب الطب الإسلامية ، هي مراجع المدارس الطبية بأوروبا حتى وقت قريب ونظراً لتفوق المسلمين في الطب فإنهم جمعوا إلى جانب تلك البحوث البحث فيما وراء الطبيعة « الميتافزيقا » والحكمة ، ولذا فإن الطبيب كان يسمى حكيما .

وقد كان انتقال الطب العربي إلى أوربا في فترة مبكرة ، حيث أنشئت مدارس للطب في كل من نابلي ، ومونبليه ، وبولونيا ، وبادوا ، وأورليان ، ورانس ، وأكسفورد ، وكمبردج ، وأنجيه ـ وكلها تعتمد على المراجع العربية المترجمة إلى اللاتينية كأساس لتدريس الطب .

ومن أهم الكتب التي ظلت عمدة الدراسة الطبية طيلة ستة قرون كتاب « أبو علي بن سينا » حيث تضمن الكتاب ملاحظات قيمة عن عدوى السل والالتهابات الرئوية ، واحتوى على وصف ٧٦٠ دواء . وقد قام بترجمته إلى اللاتينية جيرارد الكريموني ، وطبعت الترجمة اللاتينية عشرات الطبعات ونشر النص العربي لأول مرة في روما سنة ١٩٥٣ .

وقد ترجم الكريموني أيضاً « التعريف لمن عجز عن التأليف » ، لأبي قاسم الزهاوي إلى اللاتينية .

وفي مجال الترجمة ترجم الأمير يوجين البلرمي من العربية إلى اللاتينية بصريات بطليموس وكان في متناول يده بعض كتب لأقليدس .

وقد كان النشاط المعاصر لأيام ملوك النورمان نشاطاً عربياً ولهذا فقد سار غليالم الثاني سيرة جدوده ولهذا فإن ابن جبير يصفه بقوله :

« وله الأطباء والمنجمون وهو كثير الاعتناء بهم شديد الحرص عليهم حتى أنه متى ذكر أن طبيباً أو منجما اجتاز ببلدة أمر بإمساكه وأدار له أرزاق معيشته حتى يسلبه عن وطنه » .

وذلك نظراً لأن الزمن الذي عاصر فترة ازدهار حضارة الإسلام في صقلية امتاز بسمة إحياء الدراسات الطبية .

كانت المصادر الأولى التي اعتمدت عليها جامعة سالرنو في مجال الدراسات الطبية ذات صبغة عربية ،

حيث كان الأطباء المسلمون يحضرون إليها لإلقاء المحاضرات بها وتم انتقال تلك البحوث على يد قسطنطين الإفريقي إلى سالرنو، والذى قام بترجمة بعض مؤلفات العرب فى الطب إلى اللاتينية وأشهرها مؤلفات على بن العباس وترجم فرح بن سالم «اليهودى» كتاب الحاوى للرازى سنة ١٢٧٩ وفرح معروف فى العالم الغربى باسم Conties وقد طبع الكتاب عدة مرات بعد ظهور الطباعة وكان يهدف إلى أن يكون موسوعة «أنسيكلوبيديا» ويحتوى على مجمل آراء اليونان والفرس والهند وما ساهم به العرب إلى أن كان القرن الرابع عشر حيث وصلت إلى الجامعات الأوروبية واستمر بعضها يدرس فى جامعة مونبليه حتى القرن الثامن عشر - ومما أكد أهمية جامعة سالرنو من الناحية الطبية، وبالتالى تعزيز مركز الدراسات الطبية العربية ما قام به فردريك الثانى الذى أعجب بالطب العربى وأهدى الجامعة نسخاً منه حيث حرم ممارسة أو تدريس الطب إلا لمن امتحن أمام لجنة من أساتذة سالرنو «سنة ١٢٢١».

وجهود العلماء المسلمين فى الأندلس أسهمت صقلية فى نشرها، فكتب الزهراوى التى ترجمت فى اكسفورد والبندقية أغلب الظن أنها وصلت عن طريق صقلية.

وفى صقلية تم نقل كتاب المجسطى إلى اللاتينية عن العربية، كما وضع نص كتاب «العيون» لبطليموس.

وربما استمدت صقلية بعض كتب الطب من شمال إفريقيا حيث كانت القيروان فى غضون العصر الفاطمى تعايش ازدهاراً طبياً وكان قد اشتهر فيها إسحق بن عمران وابن سليمان الإسرائيلى وابن الجزار.

أما نسبة الطب فى صقلية، فإن من المصادر ما تلحقه بواحد من علماء العصر النورمانى ومنها ما تلحقه بأبى عبد الله بن الطوبى الذى وصف بأنه زاد على (ما سويه) ومدحه ابن القطاع بقوله:

أيها الأستاذ فى الـ ... طب وإعراب الكلام
لك فى النحو قياس ... لا يساميه مسام
ثم فى الطب علاج ... رافع الداء العقام

ومن المصادر ما يتحدث عن أبى عبد الله الصقلى الذى أسهم فى تصحيح أسماء وعقاقير وردت فى كتاب ديسقوريدس.

على أنه قد استعمل الأطباء عقاقير عديدة منها الجوارش والشب والحلتيت والصبر. ووصل نفعهم إلى إخوانهم بمصر، فنجد ابن المعلم الصقلى الطبيب يعمل فى مصر.

والجدير بالفكر أن كل مدارس الطب فى أوروبا نشأت بعد مدرسة صقلية العربية بأعوام حيث تجلى نشاطها فى «بلرم» وربما ساعد على ذلك أن البابوات كانوا قد رحلوا إلى أفينيون بفرنسا خلال الجو العلم الأوروبى الذى أخذ يتسرب إلى شتى بقاع إيطاليا.

ومما لا شك فيه أن أهم عوامل نبوغ العرب العلمى، اعتمادهم على التجربة والترصد فهم إذن أول من قال بها كما يقرر همبولد: «إن العرب ارتقوا فى علومهم إلى هذه الدرجة التى كان يجهلها القدماء».

ولاعتمادهم على التجربة اكتشفوا الكثير وأنجزوا فى مدة يسيرة ما عجز عنه سابقوهم من الإغريق والرومان .

وهكذا قطع المسلمون شوطا بعيدا فى مجال التفوق الطبى ، ويشهد بذلك مدير جامعة برلين ، ورئيس فرع الطب بها ، حيث قال فى حفل أقيم بالكلية : « والآن اسمحوا أيها الطلاب العرب بأن نعلمكم ونعيد على أسماعكم ما أخذناه عن أسلافكم وتعلمناه عن آبائكم » .

تقول الدكتورة نجلاء عزالدين فى معرض حديثها عن حضارة العرب بصقلية : « وكثرت المستشفيات ومخازن الأدوية وصان الصحة سلسلة من القوانين المحكمة الدقيقة تتناول الأسواق والمؤسسات العامة من كل نوع ، وتشمل تحضير وبيع المأكولات والمشروبات والأدوية والعقاقير . ويقوم المحتسب بملاحظة وتنفيذ هذه القوانين ، وهو من كبار الموظفين » .

ويقول الأستاذ العقاد : « ومن موسوعات الطب الإسلامية ما لم يوضع له نظير فى "ضخامة والتمحيص على قدر أسباب التمحيص فى زمانه وقد ترجمت كلها إلى اللاتينية فنقلت هذه الصناعة أطباء أوروبا من حال إلى حال ولم يضارع مؤلف العربية فيها أحد من علماء الأوروبيين إلى مطلع العصور الحديثة » .

(ب) الصيدلة :

استنبط المسلمون العلاج ، فأنشأوا الصيدليات ويقال : إنهم أول من أسسوا مدرسة للصيدلة ، وكتبوا أول كتاب فى : « الاماكوبيا » كما كان لهم قصب السبق فى عدة تراكيب كيماوية كالكحول ، وماء الفضة ، و « الحامض النترى » ، وزيت الزاج « الحامض الكبريتى » ، واخترعوا أصول التقطير وطبقوا الكيمياء على الصيدلة والصناعة .

وقد كانت الصيدلة مهنة منظمة لها أصولها ، وتقاليدها ، ولم يكن فى مقدور الصيدلى أن يعمل إلا بعد اجتيازه امتحانا ثم يقيد اسمه فى الجدول الخاص بالصيادلة مع حصوله على ترخيص بالعمل .

(ج) الكيمياء : علم الحياة والحيوان ، التاريخ الطبيعى :

ولمع العلماء المسلمون فى هذا المجال أيضا ، وما زالت تآليفهم الكيماوية تشهد بذلك :

أما المؤلفات الكيماوية الاوروبية ، فإنها تشيد بفضل المسلمين . ولا يزال كثير من المصطلحات الكيماوية الأوروبية يحمل الاسم العربى مثل :

الكيمياء : Alchemy — القلويات : Alkali
القصدير : Kasdir — الخميرة : Khamir
التنور : Tanur — الزئبق : Zaibag
الزرنيخ : Zarnik .

ولإجراء تجاربهم كانوا يعتمدون على موازين غاية فى الدقة بحيث لم يكن الخطأ فى الميزان يتجاوز ١/٣٢٢ من الجرام .

وقد طبقوا الكيمياء على الصيدلة والصناعة ولا سيما استخراج المعادن وصنع الفولاذ والدباغة .

كما اهتدوا إلى صنع البارود والأسلحة النارية وصنعوا الورق من الأسمال القطنية الصعبة الكثيرة التراكيب وامتدح ذلك الإدريسى فى النصف الأول من القرن الثانى الميلادى .

وقد كان الملح النوشادرى من أهم الأملاح الكيماوية فى ذلك العهد وكان يوجد فى صقلية .

وفى علمى الحياة والحيوان أنجز ميخائيل سكوت للامبراطور النورمانى آنذاك ترجمة من العربية إلى اللاتينية تتضمن موجز مؤلفات أرسطو فى هذين العلمين مع شرح ابن سينا لها وفى هذا المجال أيضا اهتم فردريك الثانى بأنباء ابن رشد ليعلموه دروس النبات والحيوان .

أما التاريخ الطبيعى فقد عرف أول ما عرف فى صقلية حيث عهد فردريك الثانى وهو المشهود له بحب الثقافة العربية واحترامها — عهد إلى مترجمه ومنجمه ثاذرى « ثيودور » بنقل رسالة عربية عن تربية البزاة وكان لهذه الرسالة شرف الانضمام إلى ترجمة أخرى فارسية ليكون أساس الكتاب الذى وضعه فردريك نفسه فى ترويض البزاة وبذلك كان هذا التأليف أول ما عرف فى مجال دراسة التاريخ الطبيعى .

أما دراسة العلوم الطبيعية فقد أصبحت دراستها العربية فى القرن الثالث عشر أساس الدراسات فى اكسفورد التى قدر لها أن تنافس علم أرسطو الكيفى .

يقول همبولدت : « إنه ينبغى علينا أن ننظر إلى العرب باعتبارهم المؤسسين الحقيقيين للعلوم الطبيعية .

« والخلاصة أن الافرنج نقلوا عن العرب ما نقله العرب عن غيرهم واستنبطوا هم أنفسهم من علوم الفلسفة والهيئة والطبيعيات والرياضيات والكيمياء والطب والصيدلة والجغرافيا والموسيقى والزراعة والفراسة ...

فإلى العرب إذا يرجع الفضل فى حفظ تراث الأولين من علوم وخبرة انتقلا بسعيهم إلى أقطار الغرب .

وكما قال أرستبس المترجم لصديقه الإنجليزى : كان يمكن فى صقلية الحصول على الميكانيكا لهيرون والبصريات لأقليدس ، والأنالوطيقا لأرسطو وغيرها من مؤلفات اليونان .

يقول لوبون : « العرب اكتشفوا أهم المركبات الكيماوية كالكحول وماء الفضة « الحامض النترى » وزيت الزاج « الحامض الكبريتى » ... وطبقوا الكيمياء على الصيدلة والصناعة .

ويقول دالمبير : « وأما فى الكيمياء فلا تجد مجربا إغريقياً مع أن المجربين من العرب فيها يعدون بالمئات فقد هذبوا فى هذا العلم ما أوحى به إليهم اطلاعهم الفائض مستنبطين مخترعين مدققين حتى أسسوا المراصد بأنحاء العالم » .

والرياضيات والفلك والهندسة :

كان للآلة التى أرسلها السلطان الأشرف الأيوبى إلى فردريك الثانى والتى حددت أشكال الشمس والقمر وعينت الوقت كان لها الصدارة فى مجال الدراسات الرياضية وربما قوى ذلك ما يقرره سيديو فى تاريخ العرب العام من أنهم استعملوا الرقاص فى الساعات الدقيقة .

على أن فردريك طلب من السلطان الكامل ما طلبه من حكام المسلمين الآخرين من حل ألغاز تقوم على مسائل رياضية وفلسفية وفلكية . وقد كان من بين هذه المسائل مسائل حلها عالم مصرى ، ومسائل هندسية فلكية فيها تربيع قطع الدائرة وحلها فى الموصل ، وهذه الأسئلة هى نفس ما وجه إلى الفيلسوف ابن سبعين .

ورحل العالم الإيطالى جيرارد الكريمونى (١١١٤ — ١١٧٨) إلى صقلية لدراسة الفلك

وخاصة كتب بطليموس وخاصة المجسطى وترجمه إلى اللاتينية كما قدر له أن يترجم أكثر من سبعين كتابا عربياً فى الفلك والجبر والحساب والطب . أما « أرستيبو » وزير غليالم فقد ترجم « الآثار العلوية » لأرسطو وكتاب المجسطى بمساعدة الأميرال يوجينودى بالرمة حوالى سنة ١١٦٠ وترجم يوجينو أيضاً كتاب المناظر لبطليموس من العربية إلى اللاتينية .

أما الهندسة فقد دفع تفوق مسلمى صقلية فيها بلاط القاهرة إلى أن يغريهم بالهجرة إليها ، فقد عمل المهندس الصقلى أبو محمد عبد الكريم فى زمن الحاكم فى رصد القاهرة ، وعرف من الصقليين الفلكى أحمد بن مفرح الملقب بتلميذ ابن سابق وكان متصرفا فى التنجيم .

ومن بقى فى الجزيرة نعرف منهم أبا الفضل أحمد ابن دابق ، وأبا عبد الله محمد بن الحسن العوفى وأخاه عمر ، وعبد العزيز بن الحاكم المعافرى – ولهذا فإن المؤرخ (سكوت) لم يتعد الحقيقة بقوله :

« من مآذن المساجد ببلرم كان الفلكى العربى يرقب حركات الأجرام ويعين مواقيت الخسوف والكسوف ومواقع النجوم ، مستعيناً على ذلك بآلات اخترعت فى حوض الوادى الكبير وعند نهر دجلة وبرجات كشفت فى سهول بابل قبل المسيح بقرون » . ويقول أيضاً : « فكانت مدن الجزيرة حافلة بمن يقرءون الطالع ويعبرون الرؤى ويتنبأون بالغيب كما كانت دار عالم الصنعة مزاراً يؤمه الناس على اختلاف طبقاتهم وكان أحب نزيل يرحب به بلاط بلرم المنجم » .

ومن الالفاظ الفلكية ذات الأصل العربى Feloque من الفلك ومن الذين عرفوا تعبير الرؤى ابن المعلم الصقلى أحد تلامذة السمنطارى والذى وصفه السلفى بقوله : « كان شيخاً صالحا يعبر المنامات » .

ومنهم أيضاً محمد بن عيسى بن عبد المنعم « من أصحاب العلم بعلمى الهندسة والنجوم ماهر فيهما ، قيم بهما ، مذكور بين الحكماء هناك بأحكامهما » .

وللمسلمين فى مجالات الهندسة المعمارية وعمل الآلات منزلة كبرى إذا اعتمد عليهم روجار فى صنع آلات الحصار ، وهم الذين صنعوا القلاع المتحركة فى حصار سالونيك عام ١١٨٥ ، وكانت منجنيقاتهم ذات أثر فعال فى اختراق الأسوار ، وصنع أحدهم لروجار آلة لرصد الساعات لم يبق مما يدل عليها إلا كتابة باللغات الثلاث اللاتينية فاليونانية فالعربية . ويرجع تاريخها إلى سنة ٥٣٦ .

وفى معجم السلفى أن أحد المهندسين صنعها لقائد اسمه يحيى ليعرف أوقات النهار بواسطة الصنج التى ترمى .

والأساليب المعمارية الإسلامية تشهد بها قصور بلرم .

وأخيراً فإن مايقوله الباحث الفرنسى « دولامبير » فى كتابه تاريخ علم الفلك خير شاهد بأمية المسلمين ، يقول : « إذا عددت فى اليونان اثنين أو ثلاثة من الراصدين أمكنك أن تعد من العرب عدداً كبيراً غير محصور » .

(ﻫ) الجامعات والمدارس :

كانت التربية منذ الأزل من سمة كل حضارة غير أن الاختلاف يتحدد فى مدى التشبع بتلك التربية

فإذا كانت الحضارات السابقة اختصت التربية بالكهنة أو الحكام، كما رأينا فى الحضارة المصرية القديمة حيث كان العلم حقاً للكهنة، وكما رأينا لدى اليونان حيث اقتصر العلم على أبناء الأشراف والأحرار . كما كان لدى المسيحيين فى العصور الوسيطة حيث انفرد الرهبان بالعلم . فعلى هذا السنن صار الفرس والهند . أما الإسلام فقد انفرد بسمة عمومية التربية، وأصبح شعاره « العلم للجميع » .

وقد صاحب النهضة الشاملة بصقلية ازدهار ثقافى هائل دفع الكثيرين إلى الإقبال على العلم رغبة فى مزيد من الثقافة والصقل وقد تحدث ابن حوقل عن كثرة المساجد وكثرة المعلمين حيث كان للمسجد منزلة عليا كبرى، ففى بلرم كان يوجد أكثر من مائتى مسجد، كانت مدارس حافلة بطلاب العلوم وإلى جانب دلالة كثرتها على انتصار الإسلام على المسيحية فإنها بالإضافة إلى ذلك تدل على النهضة العلمية المتفضة، حيث كثر المعلمون، وفى بلد وحدها وجد أكثر من ثلاثمائة معلم، وقد أنصف ابن حوقل حين قرر أن معلمى صقلية فى نظره يتفوقون على معلمى كل بلد، أما نظرة أهل صقلية للمعلمين فإنهم : « أعيانهم ولبابهم وفقهاؤهم ومحصلوهم » ... وهم الذين يوجهون الرأى العام . ومع هذا فلم يكن التعليم يدر خيراً على أصحابهم ومن الكتاب من احتوى على خمسة معلمين لهم رئيس ومن يرغب فى المزيد سافر إلى المشرق .

والجدير بالذكر أن انعكاسا بعيد المدى بدأت طلائعه تتضح من خلال التشابه العجيب بين نظم جامعات أوربا وبين شقيقاتها العربية التى عاصرت الفترة المظلمة فى تاريخ البشرية بما يؤكد تأثير الجامعات الإسلامية فى جامعات أوربا، كما قرر ذلك جيوم الذى قال بقيام الصلات الأكيدة بين الناحيتين، والذى مهد لذلك هو الاتصال الفكرى بين غرب أوربا والحضارة الإسلامية فأخذت المعارف العربية واليونانيــة تتدفق وشغف الأوروبيون بها حتى ضاقت المدارس الدينية عن استيعابها ومن هنا أخذت الجامعات تحتضنها وترعاها حتى قدر للشطر الثانى من العصور الوسطى أن ينجو من تسمية « العصور المظلمة » ، وذلك راجع لمصابيح الفكر الإسلامى الوقادة إذ « أصبحت بلاد العرب على الفجاءة بستانا من رجال ممتازين » .

وحيث قامت المساجد مقام الجامعات وأدت أكبر دور إنسانى فى نشر المعارف والأخذ بيد التحضر ورفع ظلال الجهل .

ومن المعروف أن « سالرنو » اشتهرت بدراساتها الطبية ، وقد كان الفضل فى تأسيس هذه الجامعة راجعاً إلى العلماء العرب وإلى التنظيمات العربية والمترجمة ، ففى العهد النورمانى كان أساتذة الجامعة مسلمين وقد عين قسطنطين الإفريقى مديراً لها .

أما جامعة بادوا فشأنها شأن الجامعات الإيطالية لم تبعد عن التأثير الإســلامى سواء بالأساتذة أو المؤلفات مما حدا بيترارك (٣٠٤ — ١٣٧٤م) أن يعبر عن تأثره وفزعه بقوله :

« يا للعجب استطاع شيشرون أن ينبغ فى الخطابة بعد ديموستين واستطاع فرجيل أن ينبغ فى قرض الشعر بعد هومر، فهل قدر علينا ألا نكتب بعد العرب ؟ ... لقد أدركنا الإغريق وجميع الشعوب وسبقناها فى بعض الأحيان ما عدا العرب ... فيا للحماقة ويا للجهل ويا للعبقرية الجامدة » .

وحين أسس فردريك الثانى جامعة نابلى عام ١٢٢٤ كأول جامعة أوربية اعتمد على المخطوطات العربية وجعل منها أكاديمية لنقل العلوم العربية وشروح الترجمات والأصول تغزو جامعات باريس وبولونيا .

وقد كان من طلاب جامعة نابلى توماس الاكوينى الذى تأثر بفلسفة ابن رشد ، وأخذ عنه الكثير بالرغم من حقده الواضح من حملاته عليه ، وقد كان لجامعة بولونيا عناية خاصة بالفلسفة الرشدية ومنها انتشر التأثير إلى شمال شرقى إيطاليا .

ومع الزمن كان الإقبال على الدراسات العربية يتزايد ولا سيما فى القرن الرابع عشر حيث استمدت جامعات اكسفورد وباريس عن العرب مؤلفاتهم وذلك عن طريق صقلية ملتقى الثقافتين القديمة والحديثة وواسطة نقلهما معا إلى الغرب ، والتى عاشت حضارتها الإسلامية بعد زوال الحكم الإسلامى عنها حيث ظل التشبع بالمدنية الإسلامية مستمراً ، ذلك أن النهضة الاوربية فى القرن الثانى عشر — وهى النهضة التى كانت نشأة الجامعات من أهم مظاهرها — ساعد على قيامها وأدى إلى ازدهارها الاتصال بالمسلمين فى الأندلس وصقلية ،

(وإذا أدخلنا فى اعتبارنا الأثر الذى تركه تدفق العلوم والمعارف الإسلامية على الجامعات الأوربية فى العصور الوسطى فلابد من الاعتراف عندئذ بأن هذه المعارف أحدثت ثورة ضخمة فى الفكر الاوربى منذ القرن الثانى عشر ، وهى الثورة التى تمخضت عن مولد الجامعات الأوربية نفسها ثم اعتماد هذه فى حياتها أمداً طويلا على الغذاء الفكرى الذى قدمه لها علماء المسلمين) .

وقد أخذ الاوربيون فى التنظيم الجامعى عن العرب ومما أخذوه نظام المعيدين حيث عرف المسلمون ذلك فى حلقات العلم بالمسجد ، والمحاضرات المتنوعة بالمدارس والجامعات .

أما لفظ (الباكالوريا) فيقرر جيوم أنه تحريف لعبارة حق الرواية المستعمل فى المدارس الإسلامية بتخويل من الغير .

وقد كان الإقبال على التعليم شديدا فقد بلغ عدد الطلبة أحيانا فى الحلقة الواحدة ثمانين طالبا من مختلف البلدان ويزيد هذا العدد فى حلقات الجوينى الذى يزيد عدد طلبته فى الحلقة الواحدة كل يوم على ثلاثمائة رجل .

وقد كانت حرية المناقشة واحترام الرأى سائدة ، فربما خالف التلميذ أستاذه أو نبهه على الخطأ .

وبينما يبلغ المسلمون ذروة نضجهم الفنى فى شتى المراكز الثقافية كان الإقطاعيون فى الغرب يحتلون المراكز الثقافية خورين بعجزهم عن القراءة التى لم يكن يعرفها إلا رجال الدين ولهذا شرعت العيون المشدوهة تتجه بشغف إلى الأشعة الوضاءة المنبعثة من البقاع الإسلامية ؟

يوسف نوفل

اختيار العمّال في الإسلام

للأستاذ محمد جمال الدين عيّاد

عد أبو يعلى فى كتابه « الأحكام السلطانية » عشرة واجبات للخليفة ، أحدها يتصل باختيار الأكفاء من العمال ، وهو قوله : استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء فيما يفوضه إليهم من الأعمال ، ويكله إليهم من الأموال ، لتكون الأعمال مضبوطة ، والأموال محفوظة (١) .

القوة والأمانة أساس اختيار العمال :

وقد أشار القرآن إلى دعامتين اثنتين يقوم عليهما اختيار العمال فى الإسلام، هما: القوة والأمانة. إذ يقول تعالى على لسان ابنة شعيب : « يا أبت استأجره ، إن خير من استأجرت القوى الأمين » (٢) .

المراد بالقوة :

والمراد بالقوة ما رأته ابنتا شعيب من قوة موسى البدنية ، إذ أراد أن يسق لهما الماشية ، فأزاح عن فم بئر حجراً لا يطيق رفعه إلا جماعة من الناس ، ثم سقى لهما (٣) . ولئن كانت القوة البدنية هى اللازمة فى مثل عمل موسى ، فإن كثيراً من الأعمال ذو طبيعة مختلفة جداً ، بحيث تلزمها أنواع أخرى من القوة ، غير القوة البدنية ، ومن أجل هذا لم يطلب يوسف الإمارة على خزائن الأرض لقوته البدنية ، وإنما طلبها لخبرته ، فضلا عن أمانته ، وفى هذا يقول لفرعون : « اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم » (١) ، فالحفظ والعلم هنا مقابلان للأمانة والقوة البدنية فى قول ابنة شعيب وقد أشار ابن تيمية إلى هذه الحقيقة بقوله : « والقوة فى كل ولاية بحسبها » (٢) ، يعنى أن كل عمل يحتاج إلى نوع من القوة يتلاءم مع طبيعته .

وكى تتحقق القوة على العمل ، اشترط الفقهاء فى الخليفة أن يكون من أفضل الناس علماً وديناً ، وأن يكون قيما بأمر الحرب والسياسة وإقامة الحدود والذب عن الأمة كما اشترطوا سلامة الحواس بالدرجة التى تسمح له بأداء وظيفته(٣) ، واشترطوا لولاة الأمصار ووزراء التفويض مثل ما اشترطوا للخليفة (٤) .

واشترطوا للقاضى أن يكون عالما بما جاء فى الكتاب والسنة من أحكام شرعية ، وبأقاويل السلف فيما أجمعوا عليه واختلفوا فيه ليتبع الإجماع ويجتهد رأيه مع الاختلاف ، وبالقياس الموجب لرد الفروع المسكوت عنها إلى الأصول المنطوق بها (٥) .

---

(١) أبو يعلى ، الأحكام السلطانية ، ص ١٢

(٢) السورة ٢٨ / ٢٦

(٣) الطبرى ، جامع البيان فى تفسير القرآن ، ج ٢ ص ٣٤

---

(١) السورة ١٢ /٥٥

(٢) السياسة الشرعية ص ١٤

(٣) راجع أبو يعلى ، الأحكام السلطانية ، ص ٤،٥،٦

(٤) المصدر السابق ، ص ١٣ ، ٨٠

(٥) المصدر السابق ، ص ٤٥

واشترطوا للإمارة على الحرب شجاعة القلب والخبرة بالحروب والمخادعة فيها ، والقدرة على أنواع القتال من رمى وطعن وضرب ، وركوب وكر وفر ، ونحو ذلك (١) .

واشترطوا للوالى على الفىء والخراج أن يكون متضلعا فى الحساب والمساحة ، مجتهداً فى أحكام الشريعة (٢) .

واشترطوا لوالى الحسبة أن يكون خبيراً ذا رأى وصرامة وخشونة فى الدين ، وعلم بالمنكرات الظاهرة (٣) .

واشترطوا لإمام الصلاة أن يكون قارئاً فقيها سليم اللفظ من نقص أو لثغ (٤) ، وهكذا .

المراد بالأمانة :

وقد أرادت ابنة شعيب بالأمانة غض موسى لبصره ، إذ دعته إلى أبيها ليجزيه أجر ما سقى لها وكانت الريح عاصفة فقال لها : « لا تمشى أمامى فيصفك الريح لى ، ولكن امشى خلفى ودليني على الطريق »(٥) ، ولئن كان مثل هذا النوع من الأمانة ضرورة لمن يقوم بمثل عمل موسى ممن تتاح لهم فرصة الاختلاط بأهل بيت المستأجر كعمال المنازل أو الاطلاع على نسائه كالأطباء ، فإن الكثير من الأعمال ذو طبيعة مختلفة جداً بحيث تلزمها أنواع أخرى من الأمانة غير غض البصر ، وربما جاز لنا أن نقول : « إن الأمانة فى كل ولاية بحسبها » على نحو قول ابن تيمية بشأن القوة .

فالأمانة فى تولية العمال اختيار الأصلح : فهى فى القضاء عدل بين الناس ، وفى البيع انتفاء للغش والتطفيف ، وفى جباية الأموال حفظها وأداؤها لمستحقيها ، وهى على العموم أداء كل عمل على الوجه الأكمل ؛ إما خشية من الله سبحانه ، أو طلباً لمغنم من مغانم الدنيا ، والمرء ونيته .

القوة لا تغنى عن الأمانة :

ومن الملاحظ أن القوة لا تغنى عن الأمانة ، كما أن الأمانة لا تغنى عن القوة ، فالعامل على الزكاة قد يكون أعلم الناس بأحكامها الشرعية وأقدرهم على جمعها فتتوفر له بهذا أسباب القوة على العمل ، ولكنه قد يخون الأمانة فتذهب الزكاة إلى جيبه بدل أن تذهب إلى المستحقين ، ولا تكون للقوة بغير الأمانة قيمة إلا لنفسه .

والأمانة لا تغنى عن القوة :

وعلى العكس من ذلك قد يكون الطبيب أشد الناس رغبة فى شفاء المريض ، وفى أداء واجبه على الوجه الأكمل ، فتتوفر له بهذا أسباب الأمانة ، ولكنه قد يكون قليل الحظ من العلم بالطب أو قليل الخبرة والمران عليه ، فتنتفى بهذا أسباب قوته على العمل ولا تكون للأمانة قيمة . ومن أجل هذا كان عليه السلام يرفض استعمال الضعيف ولو كان من خيرة أصحابه ، إذ قال له أبو ذر يوما : « يا رسول الله ألا تستعملنى ؟ فضرب عليه السلام بيده على منكبه ، وقال : « يا أبا ذر ، إنك ضعيف وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزى

(١) ابن تيمية ، السياسة الشرعية ، ص ١٤
(٢) أبو يعلى ، الأحكام السلطانية ، ص ١٢٤
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٦٩
(٤) المصدر السابق ، ص ٨٠
(٥) الطبرى ، جامع البيان فى تفسير القرآن ، ص ٢٠ ، ص ٣٨

وندامة ، إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها (١) .

وقل مثل ذلك فى أى عمل كان ، فبغير القوة لا يمكن للعامل أن يعمل أصلا ، ولو كان أكثر الناس أمانة . وبغير الأمانة لا تستحيل القوة من طاقة كامنة فى النفس إلى فعل محمود أو عمل منشود ومن أجل هذا أشار القرآن فى حديث ابنة شعيب لأبيها ، وحديث يوسف لملك مصر ، إلى ضرورة اجتماع العاملين معاً ، عامل القوة وعامل الأمانة ، كأساس لاختيار العمال ، وكان عمر يود لو يوفق دائما إلى استعمال القوى الأمين ، وفى ذلك يقول : « أعيانى أهل الكوفة ، فإن استعملت عليهم ليناً استضعفوه ، وإن استعملت عليهم شديداً شكوه ، ولوددت أنى وجدت رجلا قوياً أميناً مسلماً استعمله عليهم » (٢) .

تولية الأصلح :

وإذا كثر الأكفاء من أهل القوة والأمانة ولى الأمثل فالأمثل إذ يقول عليه السلام : « من ولى من أمر المسلمين شيئا ، فولى رجلا ، وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله (٣)

وفى رواية أخرى « من استعمل رجلا على عصابة وفى تلك العصابة من هو أرضى لله تعالى منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين (٤) .

وقد التزم الصديق هذا المبدأ حين عهد إلى عمر بالخلافة إذ قال له الناس - وقد ساءهم استخلاف عمر على غلظته « ماذا تقول لربك إذا لقيته وقد استخلفت علينا عمر ؟

فقال « أتخوفونى بربى ؟ أقول له : أمرت عليهم خير أهلك(١) ولهذا يقول ابن مسعود : « أفرس الناس ثلاثة : بنت شعيب وصاحب يوسف ، وأبو بكر فى عمر » (٢) ومرد فراستهم أن كلا منهم اختار الأصلح للعمل الذى أراده .

وكان عمر يشاور الناس لاختيار الأصلح ، فحين أراد من يوليه مساحة الأرض سأل أصحابه قائلا : « من رجل له جزالة وعقل يضع الأرض مواضعها ويضع على العلوج ما يحتملون ، فاجتمعوا له على عثمان بن حنيف قائلين « تبعثه على أهم ذلك فإن له بصراً وعقلا وتجربة ، فأسرع إليه عمر فولاه مساحة أرض السودان . (٣) وحين أراد من يوليه على الخراج بعث إلى أهل الكوفة يبعثون إليه رجلا من أخيرهم وأصلحهم ، وإلى أهل البصرة كذلك ، وإلى أهل الشام كذلك ، فبعث إليه أهل الكوفة عثمان بن فرقد ، وبعث إليه أهل الشام ومعن بن يزيد وبعث أهل البصرة الحجاج بن علاط ، فاستعمل كل واحد منهم على خراج أرضه . (٤)

وكان يأتى الرجل ليوليه متوسما فيه القوة والأمانة فيأبى الرجل خوفاً من مغريات الإمارة ، ولا يدعم

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ، ج٢ ، ص٢٠٩ - ٢١٠ ، أبو سيف الخراج ، ص ١٠
(٢) ابن الجوزى ، سيرة عمر بن الخطاب ، ص ١٠٣
(٣) ابن تيمية ، السياسة الشرعية ، ص ٣
(٤) محمد بن اسماعيل الأمير ، سبل السلام ، ج ٤ ، ص ١١٧ (أخرجه الحاكم والبيهقى)

---

(١) أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٢
(٢) الفخر الرازى ، التفسير الكبير ، ج ٦ ، ص ٤٠٣
(٣) أبو يوسف ، الخراج ، ص ٣١
(٤) المصدر السابق ، ص ١٣٥

عمر حتى يوليه قائلا ، والله لا أدعكم ، جعلتموها فى عنقى ثم تخليتم عنى ! (١)

وكان أبو عبيدة يلوم عمر على إكثاره من تولية الصحابة وتعريضهم لمغريات الإمارة ، فيقول له عمر : « إذا لم أستعن بأهل الدين على سلامة دينى فبمن أستعين ؟ . (٢)

وبرغم احتياطه عليه الرضوان - فى اختيار عماله فقد كان يكتب أموالهم عندما يوليهم ، ليشاطرهم إياها (٣) . إذا أغرتهم الإمارة فاستزادوا من المال بغير حق .

ومن باب الحرص على استبعاد ذوى المطامع والأهواء كان الرسول - عليه السلام - لا يولى طالب الإمارة أو الولاية فلقد قال أبو موسى : « دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم أنا ورجلان من بنى عمى فقال أحد الرجلين : يارسول الله أمرنا على بعض ما ولاك الله عز وجل ، وقال الآخر مثل ذلك ، فقال عليه السلام : إنا والله لا نولى على هذا العمل أحدا سأله ولا أحداً حرص عليه ، (٤) ذلك أن الولاية مسؤلية كبيرة ، حتى ليقول الرسول عليه السلام إنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزى وندامة ، إلا من أخذها بحقها ، وأدى الذى عليه فيها . (٥)

وخوفا من تبعاتها الكبار كان عمر يأتى الرجل يتوسم فيه الكفاءة فيستعمله ، فيقول الرجل لا تفتنى (١) . وكان رضى الله عنه ، على عدله ، لا يخاف على نفسه شيئا كالإمارة ، حتى ليقول « والذى نفسى بيده لوددت أنى خرجت منها كما دخلت فيها ، لا أجر ولا وزر ! (٢) ، ولهذا امتنع الشافعى لما استدعاه المأمون لقضاء الشرق والغرب ، وامتنع أبو حنيفة لما استدعاه المنصور لحبسه وضربه (٣) .

والحريص على الإمارة برغم تبعاتها الكبار يضع نفسه موضع الريب والشكوك ، ويدفع الناس إلى الظن بأنه أراد الإمارة طمعا فى المال أو فى المنصب أو فى الشهرة أو فى الجاه . (٤) ولهذا رفض الرسول عليه السلام تولية الحريص ، وقال لعبد الرحمن بن سمرة يوما : يا عبدالرحمن ، لا تسأل الإمارة ، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها (أى إلى مغرياتها) وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها (أى على تبعاتها) . (٥)

ولئن كان الرسول عليه السلام . قد نهى عن طلب الإمارة فى أحاديثه ، لقد طلبها يوسف عليه السلام ، من فرعون بقوله « اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم (٦) » وليس ثمة من تناقض فموقف يوسف عليه السلام - حين طلب الولاية غير موقف الرجلين حين طلبا الإمارة ؛ إذ طلباها بغير مسوغ يبرر استعمالهما ، وكان مغمورين

---

(١) ابن الجوزى ، سيرة عمر بن الخطاب ، ص ١٤٤
(٢) أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٣٠
(٣) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٢٦٩ ، ابن الجوزى ، سيرة عمر بن الخطاب ، ص ١٠١
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ، ج ١٢ ، ص ٢٠٧
(٥) المصدر السابق ، ص ٢٠٩ - ٢١٠

(١) ابن الجوزى ، سيرة عمر بن الخطاب ، ص ١٤٤
(٢) المصدر السابق
(٣) محمد بن إسماعيل الأمير ، سبل السلام ، ج ٤ ، ص ١٠٧
(٤) راجع القرطبى ، الجامع لأحكام القرآن ، ٤ ، ص ٢١٦
(٥) صحيح مسلم بشرح النووى ، ج ٢ ، ص ٢٠٧ ؛ سنن النسائى ، ج ٢ ، ص ٣٠٤
(٦) السورة ١٢ / ٥٥

لا تزكيهما مهارة مشهورة أو كفاءة معروفة حتى لقد أغفل رواة الحديث ذكر اسميهما ، فأما يوسف عليه السلام فقد سألها بخير مسوغ ، إذ ذكر حفظه وعلمه ، وهو كما قال القرطبي : « إنما طلب الولاية لأنه علم أنه لا أحد يقوم مقامه فى العدل والإصلاح فرأى أن ذلك فرضا متعينا عليه »[١] كما أن وصف الإنسان بالفضل عند من لا يعرفه جائز ، وليس بالمحظور من تزكية النفس فى قوله تعالى « فلا تزكوا أنفسكم ».[٢]

وهكذا لا يجوز لمؤمن أن يطلب الإمارة بدون مسوغ من كفاءة ، فإذا كان للإمارة أهلا ، وعلم أولوا الأمر ذلك ، وكل إليهم أمر اختياره دون أن يسألها ، فإذا جهلوا كفاءته ، وخشى أن يوسد الأمر إلى غير أهله كان فرضا عليه أن يطلبها ، فإنه بهذا يعين أولى الأمر على حفظ الأمانة التى حذر الرسول من ضياعها بقوله : « إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ، قيل يا رسول الله وما إضاعتها ؟، قال : « إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة »[٣] .

وغاية القول أن اختيار العمال فى الإسلام إنما يقوم على الكفاءة من قوة وأمانة ، فلا المودة ولا القرابة ولا الجاه ولا المال ، تصلح مسوغا للعمل أو تقدم الضعيف على القوى ، والخائن على الأمين وفى هذا يقول عمر – رضى الله عنه – من استعمل رجلا لمودة أو اقرابة ، لا يستعمله إلا لذلك ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين »[٤] .

(١) الجامع لأحكام القرآن ، ج ٩ ، ص ٢٠٦

(٢) الجصاص ، أحكام القرآن ، ج ٣ ، ص ١٧٤

(٣) ابن تيمية ، السياسة الشرعية ، ص ١١ . (وسد الأمر إلى فلان أى أسند اليه القيام بتصريفه

(٤) ابن الجوزى ، سيرة عمر بن الخطاب ، ص ٦٧

الكفاية والعدالة فى مقابل القوة والأمانة :

وقد ذكر البعض فى مجال الحديث عن بعض الولايات اصطلاحين مقابلين للقوة والأمانة ، هما : الكفاية والعدالة[١]، باعتبارهما شرطين للتولية .

أما الكفاية ، فهى – كما قال الرملى : الاهتداء إلى التصرف[٢] (الذى فوض له الوالى أو العامل) وأما العدالة ، فهى ليست قاصرة على الأمانة ، وإنما تعنى عندهم : الاستقامة أيضا[٣] ، فهى عند الجمهور كما قال ابن رشد : صفة زائدة على الإسلام ، وهى أن يكون المسلم ملتزما لواجبات الشرع ومستحباته ، متجنباً للمحرمات والمكروهات[٤] .

فسق العامل : متى يمنع التولية ويبرر العزل ؟

وهكذا ، فقد أدخل هؤلاء السلوك الشخصى فى اعتبارهم ، بالنظر إلى بعض الولايات ، فجعلوا الاستقامة شرطا للتولية ، كمثل القوة والأمانة ، كما جعلوا الفسق مبررا للعزل ، كمثل العجز والخيانة ، وربما قاسوا بهذا الولاية على الشهادة ، فلم يأتمنوا الفاسق على العمل قياساً على اتهامه بالكذب فى الشهادة[٥] .

وربما جاز لنا أن نقول : إن الفسق ، وإن كان منطقة اتهام ، فإنه ليس بالضرورة سبيلا إلى الخيانة فمن الجائز أن تتوفر دوافع الأمانة أو موانع الخيانة فيؤدى الفاسق عمله على الوجه الأكمل ، كأن يكون أميراً على الغزو ، ويكون حريصاً على النصر طمعا فى الغنيمة ، أو رغبة فى الشهرة ، أو كراهية العدو

(١) راجع : الرملى ، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ، ج ٤ ، ص ٢٩٠

(٢) نفس المكان

(٣) نفس المكان

(٤) بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ج ٢ ، ص ٤٦٢

(٥) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٤٥

أو دفاعا عن الوطن ، أو حماية الأهل والعشيرة ، فإذا عرف أحد القادة بالفسق ، وبأن هذه الدوافع تدفعه وتستثيره ، جاز تقديمه على أهل الصلاح ممن هم دونه فى الكفاءة .

وأكبر الظن أن الإمام أحمد قد فطن إلى هذا المعنى حين سئل عن الرجلين يكونان أميرين فى الغزو ، وأحدهما : قوى فاجر ، والآخر صالح ضعيف ، مع أيهما يغزى ؟ فلقد قال : أما الفاجر القوى فقوته للمسلمين ، وفجوره على نفسه ، وأما الصالح الضعيف ، فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين ، فيغزى مع القوى الفاجر [1] .

ومن باب الدوافع المانعة من الخيانة إحصاء الخليفة على الجباة أو ولاة الصدقات أموالهم قبل الولاية كما كان ، يفعل عمر فيما قدمناه ومعرفة مقدار الصدقات المنتظر جبايتها ، ومراقبة أعمال الولاية مراقبة دقيقة ، بحيث تتضح السرقات بنقص فى الجباية أو بزيادة غير متوقعة فى ثروة العامل ، ويتضح أى تقصير فى العمل بالمراقبة الدقيقة ، فيضطر العامل إلى الأمانة ، إن لم تكن الأمانة من خلقه ، ولا يكون لفسقه أثر على العمل

ومتى كانت أمانة الفاسق ممكنة ، فإن ما رآه البعض من جواز تولية الفاسق الأمين هو الرأى الصحيح ، لأن العبرة بقوة العامل وأمانته كما أشار القرآن : « إن خير من استأجرت القوى الأمين » ، بحيث ينتفى كل سبب لعزل العامل ما دام قوياً على العمل أميناً .

ومن الملاحظ أن طبيعة العمل قد تسمح للعامل بالخيانة دون أن ينكشف أمره ، كأن يكون إماما للصلاة ويوهم الناس أنه استكمل شرائطها ، ثم يصلى بهم جنباً أو دون وضوء مثلا ، ولهذا حرم البعض على الفاسق إمامة المصلين [2] ، وربما جاز لنا أن نقول : إن كل عمل هذا شأنه لا ينبغى للفاسق أن يشغله ، لأن الفاسق متهم ، ولو لم يكن كذلك ما منع من الشهادة ، ومتى صح اتهامه ، وافتقد الدوافع التى تضمن أمانته ، أو استحالت مراقبته ، وانتفت موانع خيانته ، كان من السفه استعماله ؟

محمد جمال الدين عياد

(١) ابن تيمية ، السياسة الشرعية ، ص ١٦

(١) ابن رشد ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، جـ ١ ، ص ١٤٠

من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لا إيمان لمن لا أمانة له

إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة

إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه

التعليم الإسلامي في إفريقيا
دور النشأة والازدهار

للأستاذ محمد جلال عباس

– ١ –

مقدمــــة :

خلف الاستعمار فى حياة القارة الإفريقية الكثير من المخلفات الثقافية من لغة أجنبية فرضها ، وولاء ذهنيا للمستعمر لدى بعض المثقفين من أبناء الشعوب الإفريقية ، فضلا عن النظم التعليمية التى أدخلها ودس فى مناهجها ما يوحى بالتخاذل ويثبط الهمم فضلا عما بثه المستعمر فى ثنايا الكتب التعليمية من تجسيم لصعوبات التطور الثقافى والاجتماعى والاستقلال الاقتصادى وإرجاع التأخر الذى أصاب الشعوب الإفريقية إلى الإسلام ، مدعيا أنه دين يعوق النمو والتطور الحضارى ويقف بالشعوب الإفريقية التى تعتنقه عند حد معين من الحضارة لا تتعداه .

وبرغم هذه المخلفات الاستعمارية ، وبرغم المحاربة الشديدة التى لاقاها الإسلام فى العهد الاستعمارى ، فإن الإسلام ظل يكسب أرضا وشعوبا جديدة ، واستمر التعليم الإسلامى فى أداء مهمته وتحقيق أغراضه ، ولئن كان التعليم الإسلامى قد أصابته بعض الهزات العنيفة فى عهد الاستعمار ، إلا أنه قد أخذ يستعيد مكانته فى حياة الشعوب بعد أن جازت استقلالها ، وزال عنها كابوس الاستعمار .

وسوف تتناول دراستنا هذه التعليم الإسلامى : تاريخه وحاضره ومستقبله فى هذا المقال وما يتبعه .

التعليم الإفريقى فيما قبل الإسلام :

عاشت الشعوب الإفريقية قبل دخول الإسلام فى نظم قبلية دقيقة اشتملت على جميع ألوان النشاط ، وكان التعليم أحد تلك النظم الدقيقة التى كانت تقع مسئولياتها على عاتق المجتمع بمختلف مستوياته ، ولئن لم توجد مؤسسات تعليمية واضحة ، إلا أن وسائل التربية والتعليم كانت تسير على مستويات ومراحل يمر بها الطفل منذ ولادته حتى يصل إلى الأهلية الكاملة للمشاركة فى النشاط الاقتصادى والاجتماعى والروحى للقبيلة .

وكانت حياة الفرد فى طور التربية والتعليم تنقسم إلى مرحلتين : الطفولة ، والتعبئة .

ففى مرحلة الطفولة تختلف طبيعة التربية والتعليم باختلاف مراحل السن ، وترتبط ارتباطا وثيقا بمراحل نمو الطفل ، فكان الطفل فى فترة الطفولة الأولى (من الولادة حتى السادسة) يخضع خضوعا تاما لرعاية أمه وتقتصر حياته على اللعب والتغذية لتربية الجسد وخلق الروح الاجتماعية ، وفى فترة الطفولة الثانية (بين سن السادسة والعاشرة) يبدأ الطفل فى تلقى بعض التعليمات الأخلاقية والاجتماعية وبعض التدريبات على الأعمال البسيطة والمساعدة التى يشارك بها فى نطاق الأسرة أو المحلة ، مع استمراره فى طور اللعب والتغذية ، أما بعد سن

العاشرة حيث يدخل الطفل مرحلة الطفولة النهائية فإنه يعد إعدادا أكبر للمشاركة فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية بل وفى المراسيم الدينية والروحية ، وذلك عن طريق الاشتراك فى الأعمال الرئيسية بقصد اكتساب بعض الخبرات والمعلومات عن الحياة الاقتصادية ، وحضور احتفالات القبيلة فى مختلف المناسبات للتشبع بالقواعد الاجتماعية ، والمعتقدات التى تسير عليها القبيلة ، ويتم فى هذه المرحلة نقل حرفة الآباء إلى أبنائهم .

وإذا ما بلغ مجموعة من أطفال العشيرة أو المحلة سن الخامسة عشرة ، فإن ذلك يكون حدثا عظيما فى حياتهم ، فإنهم يدخلون مرحلة جديدة من الحياة فيجمع هؤلاء اللدات ، وتقام لهم مراسيم خاصة لإدخالهم فى مجموعة السن ، وتكوين الدفعة التى تمر باختبارات عديدة ، وتترك الدفعة لتكتسب بنفسها خبرات جديدة فى الغابات والمراعى والمزارع وتتحمل مسئوليات جساما ، وتكلف بأعمال شاقة ، وفى ذلك تعليم وتربية اجتماعية وأخلاقية وروحية وإعداد للمستقبل ، واكتشاف المواهب والقدرات التى يمكن أن يفيد بها كل فرد مجتمعه ، وتستمر فترة التعبئة هذه سنوات عديدة يعود بعدها الشاب ليدخل فى المجتمع بصفته عضوا عاملا متكامل الشخصية له قدرات معينة اكتسبها ، وتخصص يسهم به فى حياة المجتمع .

دخول التعليم الإسلامى :

وبانتشار الإسلام بين القبائل الإفريقية بدأ التعليم يأخذ صورة جديدة تتفق مع التغيرات الحضارية التى دخلت على حياة القبائل ، ويقتبس من النظم التعليمية السابقة عليه ما يلائمه ، وقد اتخذ التعليم منذ فجر العهد الإسلامى فى إفريقية صورتين :

١ — تعليم الكبار فى مجالس العلم التى كان يعقدها الدعاة والمعلمون من علماء جدالة والمرابطين والتجار المغاربة المهاجرين فى غرب إفريقية ، والمهاجرين العمانيين والحضارمة واليمنية فى شرق إفريقية ، وكانت هذه المجالس تعقد فى المنازل أحيانا وفى المساجد أيضا لتعريف معتنق الإسلام بقواعد دينهم وتحفيظهم القرآن ورواية السيرة والحديث مع تعلم بعض اللغة العربية ، وكان يحضرها أيضا بعض المؤلفة قلوبهم حتى يشهروا إسلامهم .

٢ — تعليم الصغار حيث كان المسلمون يرسلون أبناءهم وبناتهم إلى المشايخ فى منازلهم أو فى الكتاتيب أو أركان المساجد لتلقى اللغة العربية والدين والحساب .

وبهذا دخلت المؤسسة التعليمية لأول مرة فى الحياة الافريقية ممثلة فى المسجد والكتاب ثم المدرسة ثم الجامعة الإسلامية .

مراحل الدراسة فى المجتمع الإفريقى المسلم :

وبدخول التعليم الإسلامى أخذ التعليم القبلى يتغير وتحل محله مراحل جديدة تبدأ من فترة الطفولة الثانية على النحو التالى (١) .

١ — الدراسة فى الكتاب من سن الخامسة إلى سن العاشرة حيث كان الآباء يرسلون أبناءهم وبناتهم جميعاً إلى الألفاوات أو المعلمين أو الفقراء (الفقهاء) لتلقى مبادئ القراءة والكتابة والحساب وحفظ القرآن ودراسة السيرة النبوية الشريفة والحديث ، وقواعد الإسلام ، وتنتهى الدراسة بانتهاء هذه المرحلة بالنسبة للفتيات .

٢ — الدراسة فى المدرسة فى مرحلة الطفولة الثالثة من العاشرة إلى الخامسة عشرة حيث كانت

(١) معلومات مستقاة من رواية الشيوخ فى غرب افريقية .

حياة الذكور من الأطفال مقسمة إلى قسمين : وقت يكرس للدراسة فى المدرسة ، ووقت يكرس لمشاركة الآباء فى الأعمال . بينما الفتيات يبقين بالمنازل مع أمهاتهن للتدرب على شئون المنزل استعدادا للزواج .

أما تقسيم الوقت بين الدراسة والعمل فإما أن يكون على أساس موسمى بمعنى أن يكون وقت العمل فى موسم معين مثل موسم الحصاد أو موسم الهجرة الصيفية للرعى وتخصص بقية السنة للدراسة ، أوعلى أساس تقسيم اليوم إلى فترة صباحية للعمل وفترة مسائية للدراسة .

وفى مرحلة المدرسة كان الأطفال يدرسون الفقه والتفسير ومزيد من السيرة والتاريخ ويضاف إليها النحو والصرف ومبادئ الفلك وبعض الأحكام الشرعية ، وتنتهى الدراسة بذلك بالنسبة لغالبية الأطفال .

٣ — الدراسة الإسلامية العالية وهى اختيارية صرفة ، فأما أن يتخصص الشاب فى عمل معين بعد سن الخامسة عشرة ، ويشارك المجتمع مشاركة كاملة فى نشاطه الاقتصادى بأن يلتحق الأولاد بآبائهم فى الحقول أو المراعى أو يلحقون (باسطوات) المهن لتعلم الحرف ، أو أن يتابع القليل منهم الدراسة الإسلامية لتأهيلهم كمعلمين أو أئمة أو دعاة وكثيرا ما كان يجمع الشباب فى معسكرات لتعلم الرماية والمبارزة وركوب الخيل استعدادا لحرب أو لغزو .

وهكذا حل نظام التعليم الإسلامى بصورته هذه محل التعليم القبلى وأدخل الإسلام المؤسسة التعليمية المتخصصة فى شكل كتاب أو مدرسة ذات فصول أو مجالس علم فى المساجد والمنازل .

ومما يستحق الذكر أن عبدالله بن ياسين مؤسس دولة المرابطين كان أول من أدخل التعليم المنظم فى غرب إفريقية حيث أقام فى رباطه بجزيرة فى نهر السنغال مركزاً لتخريج المعلمين والدعاة والمحاربين من أبناء الملثمين الذين اعتنقوا الإسلام وبخاصة أبناء قبائل لمتونة وجدالة الذين نشروا العلم بعد تخرجهم من رباط السنغال فى الصحراء وبلاد السودان الغربى .

الدرجات العلميه وألقاب المتعلمين .

ولقد تبع دخول التعليم المنظم ظهور الدرجات العلمية والألقاب التى تدل على مستوى العلم الذى بلغه حاملوها ، أو مستوى الدراسة التى وصل إليها الشخص ، فالدارس كان يسمى طالبى أو (صان) فى لغة الصنغاى ، ومعلم الأطفال كان يعرف فى غرب إفريقيه باسم ألفا ، وهو الذى تخرج فى الكتاب وتابع دراسته فى المدرسة ، ولا يحصل على هذا اللقب إلا من أجازه شيخه بعد اختباره فى دروس عملية يلقيها أمامه على صغار الطلاب .

وإذا تابع بعض الألفاوات دراساتهم العليا فى حلقات الدراسة بالمساجد الكبرى مثل مسجد جاد وجامعة ستكورى ، بتمبكتو أو المسجد الكبير فى كانو وغيرها من مدن نيجيريا فإنه يحصل على لقب مالام (تحريف لكلمة معلم) أو موديبو (تحريف لكلمة مؤدب) ، أو سيكو (تحريف لكلمة شيخ) ولا يحصل على هذا اللقب إلا من ألقى أمام أستاذه دروسا وأجازه لتدريس الفقه والشريعة والنحو والفلك والتفسير .

وقليل من هؤلاء كان يتابع دراسته للتخصص فيقرأ فى المصادر والمراجع ويزيد تحصيله فى مجالس كبار المشايخ ومشاهير العلماء والفقهاء ، فإذا ما استطاع أن يجلس فى حلقة علم يلقى دروسا عليا

فى الفقه والشريعة والنحو والتفسير ويظهر تخصصه الدقيق فى المذهب المالكى السائد فى غرب إفريقيه) فإن تلاميذة يطلقون عليه لقب مولاى أو الإمام بعد أن يجيزه بعض كبار العلماء الذين تلقى عليهم ، ومن هؤلاء أئمة المساجد الكبرى فى حواضر غرب إفريقيه .

فإذا ما زاد علم الإمام وكانت له مؤلفات وكتب يتداولها الدارسون ، وإذا ما اشتهر بين الفقهاء بقدرته على الفتوى الصحيحة فإنه يلقب بلقب (بابا) وقد حصل على هذا اللقب قليل من العلماء فى تمبكتو مثل أحمد بابا الذى ترك أكثر من أربعين كتابا ورسالة فى مختلف العلوم الشرعية والفلك والتاريخ والسير والفتاوى ، كما أطلق اللقب على جلال الدين السيوطى الذى عرف بين أهل تمبكتو باسم بابا سنطاو (تحريف لكلمة السيوطى) . وكان يعادل هذا اللقب أيضا لقب سيوى الذى جد فى القرن الثامن عشر بظهور زعماء الصوفية الذين اشتهروا أيضا بالعلم الغزير مثل المختار ، وسيدى أحمد البكاوى والإمام سيدى يحيى من علماء تمبكتو .

وقد عرفت مثل هذه الألقاب أيضا فى شرق إفريقية وسودان وادى النيل حيث كان العلماء والمعلمون يميزون بلقب فقير (تحريف لكلمة فقيه) أو ملا (تحريف لكلمة مولاى) ولذلك لقب شيخ وحاج وسيدى وإمام لمن يزداد علمه .

التعليم فى ظل الممالك الإسلامية :

ارتبط هذا الازدهار الذى بلغه التعليم الإسلامى فى إفريقيا باهتمام السلاطين والملوك الذين تتابعوا على حكم بلاد إفريقية ، ففى بلاد غانة القديمة أقام عدد من العلماء والدعاة ينشرون الإسلام ، وكان لهم فى حاضرة غانة حى خاص ، كما اهتم ملوك مالى اهتماما بالغا بالتعليم الإسلامى ، فأحاطوا أنفسهم بالفقهاء والعلماء ، ومما يذكر أن السلطان منسى موسى فى عودته من حجه المشهور حمل معه أحمالا من الكتب الدينية والفقهية ، ودعا علماء مصر إلى تنبكت وجاو ، وقد ذكر ابن بطوطة فى رحلته أنه رأى فى تنبكت طبيبا مصريا ، وقد ذكر القلقشندى[1] أن منسى سليمان الذى خلف منسى موسى بنى المساجد والمدارس والمنارات وجلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب مالك من مصر والمغرب وقد شاهدهم ابن بطوطة حينما زار تلك البلاد فى القرن الرابع عشر .

وسار سلاطين الصنغاى على نفس النهج ففى عهدهم أقيم مسجد سنكورى بتمبكتو ذلك المسجد الذى اشتهر حتى أواخر القرن السادس عشر بأنه جامعة إسلامية تضم الكثير من العلماء والفقهاء وتخرج فيها الكتاب والمؤرخون ومن أشهرهم أحمد بابا التمبكتى ومحمود كعت وعبد الرحمن السعدى ، وقد اتصل اسكيا محمد فى رحلته للحج بعلماء القاهرة وخاصة الإمام السيوطى ، وأحاط نفسه بالعلماء ، ويذكر محمود كعت صاحب تاريخ الفتاش أن السلطان أسكيا محمد قد أبطل البدع ، واهتم كثيرا بشئون الدين ، كما حظيت جامعة تمبكت فى عهده بعناية فائقة ، وذكر أيضا أن أسكيا إسحق قد شجع العلماء وأكرمهم وأغدق عليهم ، وأن أسكيا داوود كانت له خزائن تضم أمهات الكتب ، ينسخ منها النساخ لإرسالها إلى حواضر ملكه ، وقيل إنه كان يحفظ القرآن ، وإنه قرأ الرسالة حتى أتمها على

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ـ الجزء الخامس ص٢٩٧ ـ ٢٩٨ .

يد شيخ كان يأتيه بعد الزوال ويظل يقرأ معه حتى الظهيرة (١) .

وإذا ما اتجهنا شرقا فى بلاد السودان نجد أن ملوك برنو قد اهتموا أيضا بالتعليم الإسلامى ، ومن أهم مظاهر اهتمامهم أن أرسلوا أبناء بلادهم لتلقى العلم فى كانوا بشمال نيجيريا وفى الخرطوم وجدة والقاهرة حيث كانت لهم مدرسة لدراسة مذهب المالكية وكان لهم رواق خاص بالأزهر يسمى رواق البرنادية .

أما سودان وادى النيل فقد انتشرت به المدارس الإسلامية فى جميع أنحائه وكانت بين أهل السودان ومصر صلات فى مجال العلم ، وعلماء من أهله جلسوا للتعليم فى الأزهر الشريف .

وفى الحبشة كانت هرر ومسجدها الكبير مركزا من مراكز العلم الإسلامى كما ظهرت سوفاك ودار السلام ومقديشو وكلوا فى ساحل المحيط الهندى ، وازدهرت جميعا واشتهرت بالفقه الشافعى ، وقد ظهرت فيها فيما بعد تعاليم الأباضية التى حملها معهم المهاجرون من عدن وعمان ، وقد اشتهر فى شرق إفريقية من العلماء والفقهاء الكثير نذكر منهم الشيخ على الجبرتى الذى اعتقد السلطان قايتباى فى ولايته ، والذى سمى رواق الأحباش باسمه ، كما ذكر ابن بطوطة أنه شاهد فى مقديشو عالما مصريا اسمه ابن البرهان ، وقد وفد إلى مصر عدد كبير من أبناء شرق إفريقية للدراسة بالأزهر ، وأقاموا فى الأروقة العديدة التى أنشئت خصيصا لهم مثل رواق الأحباش ورواق الجبرت ورواق زيلع وغيرها مما انشأه ثراة القوم والسلاطين الذين حكموا تلك البلاد ليسروا لأبناء بلادهم تلقى العلم فى الأزهر الشريف .

* * *

وقد تأثر التعليم الإسلامى منذ القرن السابع عشر بالأحداث التى مرت بالقارة الإفريقيه من اضمحلال فى ممالك الغرب واضطراب فى ممالك الشرق بسبب الحروب الصليبيه التى شنها البرتغاليون وطلائع المستعمرين مما سنتناوله فى مقالنا التالى .

محمد جلال عباس

(١) محمود كعت التمبكتى : تاريخ الفتاش فى أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ترجمة هوداس باريس سنة ١٩١٣ ص ٥٩ و ٨٧ و ٩٤ .

العلم أولى

لقاء الناس ليس يفيد شيئا سوى الهذيان من قيل وقال
فأبعد عن لقاء الناس إلا لأخذ العلم أو لصلاح حال

(الإمام الشافعى)

الحياة الأدبية فى عصر سيف الدولة الحمدانى

محمود محمد شبكة

لم يكن الأمير الحمدانى ذا موهبة حربية فحسب بل كان إلى جانب شجاعته وحروبه الكثيرة التى أحرز فيها انتصارات خالدة على الروم وحفظ البلاد العربية من شرهم وخطرهم ؛ يهوى العلم والأدب ويحب العلماء والأدباء وقد وجد الجميع فى رحابه كل تقدير وتشجيع لذلك توافدوا على مجلسه وحشوا المعالى القائه وقديماً قال الشاعر : —

تسقط الطير حيث ينتثر

الحب وتغشى منازل الكرماء

وقد دفعهم ذلك إلى الإنتاج والتجديد ؛ فقد كان لسيف الدولة مجلس يعقده فى الفترات التى تضع فيها الحرب أوزارها بينه وبين أعدائه فيجتمع له فى هذا المجلس العلماء والأدباء والشعراء والفلاسفة ويدلى كل منهم بما جادت به قريحته فكان ذلك خيرا وبركة على العلم والأدب ، ولذلك كان أبو بكر الخوارزمى شيخ أدباء نيسابور يقول : « ما فتق قلبى وشحذ فهمى وصقل ذهنى وأرهف لسانى وبلغ هذا المبلغ بى إلا تلك الطرائف الشامية واللطائف الحلبية التى علقت بحفظى وامتزجت بأجزاء نفسى » ولقد كان الصاحب بن عباد يحرص على تحصيل الجديد من إنتاج شعراء سيف الدولة ويستملى الطارئين عليه من حلب ما يحفظونه من تلك البدائع واللطائف حتى كتب دفترا ضخم الحجم وكان لا يفارق مجلسه ولا يملأ أحد منه عينيه غيره وصار ما جمعه فيه على طرف لسانه فى محاضراته ورسائله (١) .

ويحدثنا صاحب اليتيمة عن الحركة العلمية والأدبية فى بلاط سيف الدولة فى معرض الكلام عن شعراء الشام فيقول : «وقد رزقوا ملوكا وأمراء من آل حمدان وبنى ورقاء وهى بقية العرب والمشغوفون بالأدب والمشهورون بالمجد والكرم والجمع بين آداب السيف والقلم وما منهم إلا أديب جواد يحب الشعر وينقده ويثيب على الجيد منه فيجزل ويفضل وسيف الدولة مشهور بسيادتهم وواسطة قلادتهم وحضرته مقصد الوفود ومطلع الجود ومحط الرحال وموسم الأدباء وحلبة الشعراء . ويقال : إنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر وكان أديباً شاعرا محبا لجيد الشعر شديد الاهتزاز لما يمدح به» .

ويذكر صاحب مطالع البدور : أنه قد اجتمع له ما لم يجتمع لغيره من الملوك فكان خطيبه ابن نباته الفارقى ومعلمه ابن خالويه ومطربه الفارابى وطباخه كشاجم وخزان كتبه الخالديان والصنوبرى ومداحه المتنبى والسلامى والوأواء الدمشقى والببغاء والنامى وابن نباته السعدى وغيرهم .

ولم يكن حظ سيف الدولة فى مجلسه الحافل بمجرد

---

(١) مصادر المقال : الجزء الأول من يتيمة الدهر للثعالبى معجم الأدباء — الفهرست لابن النديم — وفيات الأعيان سيف الدولة الحمدانى للدكتور مصطفى الشكعة

السماع بل كان يشارك فى الحديث ويدلى برأيه فى كثير من المسائل التى تعرض أمامه وينتقد كثيراً من الأشعار التى تقال فى مدحه بما يدل على عمق ثقافته وسعة اطلاعه وبصره باللغة والأدب والشعر فبينما كان المتنبي ينشد قصيدته التى مطلعها :

على قدر أهل العزم تأتى العزائم فلما بلغ قوله :

وقفت وما فى الموت شك لواقف
كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة
ووجهك وضاح وثغرك باسم

قال سيف الدولة : قد انتقدنا عليك هذين البيتين كما انتقد على امرىء القيس بيتاه :

كأنى لم أركب جوادا ولم أقل
لخيلى كرى كرة بعد إجفال
ولم أسبأ الزق الروى للذة
ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

ولك أن تقول :

وقفت وما فى الموت شك لواقف
ووجهك وضاح وثغرك باسم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة
كأنك فى جفن الردى وهو نائم

فقال المتنبي : أيد الله مولانا إن صح أن الذى استدرك على امرىء القيس هذا كان أعلم بالشعر منه فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ومولانا يعرف أن الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك ، لأن البزاز لا يعرف جملته والحائك يعرف جملته وتفاريقه لأنه هو الذى أخرجه من الغزلية إلى الثوبية ، وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد وقرن السماحة فى شراء الخمر للأضياف بالشجاعة فى منازلة الأعداء ، وأنا لما ذكرت الموت فى أول البيت أتبعته بذكر الردى ، وهو الموت ليجانسه ، ولما كان وجه الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوسا وعيناه من أن تكون باكية قلت : ووجهك وضاح وثغرك باسم لأجمع بين الأضداد فى المعنى وإن لم يتسع اللفظ لجميعها ، فأعجب سيف الدولة بقوله ووصله بخمسين دينارا من دنانير الصلات وفيها خمسمائة دينار .

وكان أبو بكر وأبو عثمان الخالديان من خواص شعراء سيف الدولة ، فبعث إليهما مرة وصيفة ووصيفا ومع كل واحد منهما بدرة وتخت من ثياب مصر فقال أحدهما من قصيدة طويلة :

لم يغد شكرك فى الخلائق مطلقا
إلا ومالك فى النوال حبيس
خولتنا بدرا وشمسا أشرقت
بهما لدينا الظلمة الحنديس
رشأ أتانا وهو حسنا يوسف
وغزالة هى بهجة بلقيس
هذا ولم تقنع بذاك وهذه
حتى بعثت المال وهو نفيس
أتت الوصيفة وهى تحمل بدرة
وأتى على ظهر الوصيف الكيس
وبرزتنا بما أجادت حوكه
مصر وزادت حسنه تنيس
فغدا لنا من جودك المأكول والـ
مشروب والمنكوح والملبوس

فقال سيف الدولة : أحسنت إلا فى لفظة المنكوح فليس مما يخاطب به الملوك ، وكان السرى الرفاء جالسا يوما بحضرة سيف الدولة وجرى ذكر المتنبي فبالغ الأمير فى الثناء عليه وكان يجله ويكرمه ويتعصب له فقال السرى : أشتهى من الأمير

أن ينتخب لى قصيدة من غر قصائده لأعارضها له ويتحقق أنه أركب المتنبي فى غير سرجه فقال له سيف الدولة: عارض لنا قصيدته القافية التى مطلعها

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقى
وللحب ما لم يبق منه وما بقى

ويقول السرى: إنه كتب القصيدة واستعادها فى تلك الليلة فلم يجدها من مختارات أبى الطيب ولكنه لحظ أن الشاعر يقول فى آخرها عن ممدوحه

إذا شاء أن يلهو بلحية أحمق
أراه غبارى ثم قال له الحق

فقال: والله ما أشار الأمير إلا إلى هذا البيت وأحجم عن معارضة القصيدة ولم يقف الأمر بسيف الدولة عند تذوق الأدب ونقد الشعر ومعرفة الجيد من الردىء وتمييز الغث من السمين بل كان يقول الشعر نتيجة لثقافته الواسعة ودراسته العميقة ولذلك جاء شعره عذبا رقيقا ومن ذلك ما كتبه لأخيه ناصر الدولة.

رضيت لك العليا وقد كنت أهلها
وقلت لهم بينى وبين أخى فرق
ولم يك بى عنها نكول وإنما
تجافيت عن حقى فتم لك الحق
ولا بد لى من أن أكون مصليا
إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق

وقال يصف قوس قزح:

وساق صبيح للصبوح دعته
فقام وفى أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم
فمن بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت أيدى الجنوب مطارفا
على الجو دكنا والحواشى على الأرض
يطرزها قوس السحاب بأصفر
على أحمر فى أخضر تحت مبيض
كأذيال خود أقبلت فى غلائل
مصبغة والبعض أقصر من بعض

وكان طبيعيا أن يطلق سيف الدولة لكرمه العنان وأن يغمر الشعراء والعلماء بصلاته وعطاياه ولا يدخر وسعا فى هذا الشأن طيبة بذلك نفسه حتى أنه ضرب دنانير خاصة بالصلات عليها اسمه وصورته فى كل دينار منها عشرة مثاقيل وقد أمر يوما لأبى الفرج الببغاء منها بعشرة دنانير فقال ارتجالا:

نحن بجود الأمير فى حرم
نرتع بين السعد والنعم
أبدع من هذه الدنانير لم
يجر يوما فى خاطر الكرم
فقد غدت باسمه وصورته
فى دهرنا عوذة من العدم

ولم تكن عطايا سيف الدولة مقصورة على المال بل كانت تصل أحيانا إلى (ضيعة) كما حدث مع أبى فراس، فقد كان وما بين يديه فى نفر من ندمائه فقال لهم سيف الدولة: أيكم يجيز هذا البيت:

لك قلبى تحله
فدمى لم تحله

فارتجل أبو فراس:

أنا إن كنت مالكا
فلى الأمر كله

فاستحسن ذلك الأمير وأعطاه ضيعة بمنبج تغل ألف دينار.

ولما أنشد المتنبي سيف الدولة قصيدته التى أولها:

أجاب دمعى وما الداعى سوى طلل
دعا فلباه قبل الركب والإبل

وناوله نسختها وخرج فنظر فيها سيف الدولة فلما انتهى إلى قوله :

يا أيها المحسن المشكور من جهتى
والشكر من جهة الإحسان لا قبلى
أقل أنل اقطع عل سل أعد
زد هش بش تفضل ادن سر صل

وقع تحت أقل : أقلناك وتحت أنل : يحمل إليه من الدراهم كذا وتحت أقطع : قد أقطعناك الضيعة الفلانية ضيعة ببلاد حلب ... وهكذا حتى وقع الأمير تحت سر قد سررناك قال ابن جنى : فبلغنى عن المتنبي أنه قال : إنما أردت سر من السرية فأمر له بجارية .. وهذا كله يدل على مبالغة فى تكريم الشعراء وإسراف فى عطاياهم ، هذا التكريم الذى انفسح وامتد حتى شمل المغمورين منهم فقد كان الشعراء بين يدى سيف الدولة ينشدون فتقدم أعرابى رث الهيئة فاستأذن الحجاب فى الإنشاد فأذنوا له فأنشد :

أنت على وهذه حلب
قد نفد الزاد وانتهى الطلب
بهذه تفخر البلاد وبال
أمير تزهى على الورى العرب
وعبدك الدهر قد أضر بنا
إليك من جور عبدك الهرب

فقال له الأمير : أحسنت وقه أنت وأمر له بمائتى دينار .

وقد شمل جود سيف الدولة وكرمه الشعراء فى بغداد وإن لم يحضروا مجلسه فقد أرسل إليه أبو إسحاق إبراهيم الصابى هذه الأبيات :

إن كنت خنتك فى الأمانة ساعة
فذممت سيف الدولة المحمودا
وزعمت أن له شريكا فى العلا
وجحدته فى فضله التوحيدا
قسما لو انى حالف بغموسها
لغريم دين ما أريد مزيدا

فلما عاد الرسول إلى بغداد أخرج لأبى إسحاق كيساً بختم سيف الدولة مكتوبا عليه اسمه وفيه ثلثمائة دينار .

ولقد كان الشعراء فى حلب كالعقد النضير يتسابقون فى مدح سيف الدولة وكل منهم يلقى من التقدير الأدبى والمادى ما يرضيه فلا عجب أن يضم بلاطه أعظم شعراء العربية من مختلف الأوطان بعضهم من أبناء الشام والجزيرة والبعض الآخر وافدون فكان من حلب الصنوبرى والخليع الشامى ومن منطقة الموصل السرى الرفاء وأبو بكر الخالدى وأخوه أبو عثمان والببغاء وابن جنى ومن أصقاع الشام كشاجم والوأواء الدمشقى والتلعفرى وأبناء كيغلغ وأبناء ورقاء والنامى وأبو الفرج العجلى وأبو الفتح البكشمرى ، ومن العراق أبو الطيب المتنبى والزاهى والناشىء الأصغر وابن نباته السعدى والسلامى ، كما وفد على مجلسه كثير من أدباء أقاليم العراق العجمى كخراسان وفارس وجرجان مثل ابن خالويه وعلى بن عبد العزيز الجرجانى وأبى بكر الخوارزمى .

ولقد ازدهر التأليف كذلك فى عهد سيف الدولة إذ كان يحب العلماء ويقربهم ويسمع منهم ويجزل لهم العطاء . ولذلك ألفت الكتب الكثيرة فى الفنون المختلفة .

« ولئن كان سيف الدولة يدين بما تم له من شهرة عريضة لنضاله الموفق ضد الروم فى المحل الأول فليس من شك فى أنه مدين بذلك فى المحل الثانى لعطفه على الفنون والعلوم ورعايته لها » .

محمود محمد شبكة

الرّوحيّة الحديثة تلبيس من الشيطان

للأستاذ احمد حنفى نصار

لقد راجت عندنا منذ سنين دعوى تحضير الأرواح ، وكان لها أول ظهورها دوى فى كثير من الأوساط ، وكانت تعقد لها اجتماعات « جلسات الاتصال الروحى » أى الاتصال بين أرواح الأموات والأحياء ، وقال أصحاب هذا الادعاء : إن الأرواح تحضر هذه الجلسات ، وتتحدث إلى الحاضرين فى مسائل كثيرة : كالأخبار بالغيب ، والقيام بمعالجة المرضى إلى غير ذلك من الأمور ، ولم يك للقائمين على هذا الإفك المبين فيما ذهبوا إليه سند من قواعد مسلمة أو مرجع من علم مستيقن ؛ وإنما خدعتهم الظواهر التى يقولون : إنها تحدث فى جلساتهم دون أن يكلفوا أنفسهم البحث فيما وراءها على هدى العقل الفاحص وفى نور العلم عن حقيقة الموضوع ، فخدعوا العامة وسموا هذا العبث « علم تحضير الأرواح » أو « الروحية الحديثة » ، وقد ساعدهم على فشوها وتعلق بعض الناس حينا بها ، ما ركز فى طبيعة البشر من شدة تطلعهم إلى معرفة المجهول ، والركون إلى كل من يدعى الكشف عن المستقبل ، فهم يسلمون أنفسهم إلى هؤلاء فى غفلة أقرب إلى الذهول عن حكم العقل والمنطق لوقوعهم تحت سلطان هذه الرغبة الملحة المتمكنة فى قرار النفوس ؛ ولهذا شاعت هذه الفتنة الكبرى .

والسبب الأساسى فى ضلالة القائمين على هذه الدعوى أنهم حسبوا جزافا أن المتحدث إليهم فى جلساتهم هو أرواح الموتى ، وعلى هذا الوهم الفاسد بنيت كل المعلومات التى تتابعت فى هذا الموضوع اتكالا على ما هو معلوم ، من أن الأرواح المجردة ترى ما لا يرى الأحياء ، وتدرك ما لا يدركون ، مما هو مكشوف لها محجوب عن الأحياء ، بحكم انطلاقها ، وزوال حجاب الأجسام عنها واطلاعها على جوانب من عالم الغيب المستور ولكن من أين جاءهم أن المتحدث إليهم هو روح إنسان قضى ؟ وكيف يمكنهم إثبات صحة ذلك ؟ وهو ضرب من المحال !

والروح هى ذلك الجوهر اللطيف ، يظهر أثرها لنا بحياة الجسم ، ولا يعلم كنهها ، كما لا تعلم هيئتها على وجه القطع ، ولا كيفية اتصالها بالجسم على التحديد ؛ لأن الروح سر إلهى خفى عن الخلق ، فالله تعالى يقول : « ويسألونك عن الروح ؛ قل الروح من أمر ربى » ، أى من شأنه وحده وسر من أسراره ، استأثر بعلمه ، ولم يطلع عليه أحدا ؛ وبعد ذلك يقول : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » . وفى هذا التقرير إشارة إلى أننا لن نصل إلى العلم بالروح ، فكل ما يقال فى خلق الروح ، وكيفية اتصالها بالجسد ، فإنما هو من وادى الظنون ، ويستحيل إثباته بدليل .

ولا شك أن اتصال الروح بالجسد هو سبب حياة الإنسان ، وانصرافها عنه هو الموت له ، وأن مقرها فى داخل الجسد ، فهى متحدة به ، مقيدة بأغلاله ، ولكن لاعلم لأحد بكيفية هذا الاتصال .

والإنسان فى نومه يمسى فى حالة غيبوبة ، بين الحياة والموت ، وروحه مقيدة بجسمه لا تنفك عنه ، ولتوسطها بين عالمى الغيب والشهادة تبقى مذبذبة ، فلا هى تعمل عملها تاما فى عالم الحس الظاهر ، ولا هى قادرة على ترك الجسد نهائياً إلى عالم الغيب : « الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتى لم تمت فى منامها ، فيمسك التى قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى » . أى يبعد الأرواح عن الأبدان حال النوم ظاهراً فقط ، فيمتنع التصرف والشعور ، أو يبعدها عن الأبدان ظاهراً وباطنا ، فتمتنع كل آثار الحياة وذلك إن قضى عليها الموت .

ومن تحضره الوفاة تنتزع روحه من كل أعضائه دفعة أو تدريجا ، حتى تبلغ الحلق كما هو مشاهد محسوس ، ثم تخرج فيذتهى من دنياه : « فلولا إذا بلغت الحلقوم ، وأنتم حينئذ تنظرون . . » « كلا إذا بلغت التراقى ، وقيل من راق ، وظن أنه الفراق ، والتفت الساق بالساق ، إلى ربك يومئذ المساق » . « ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت ، والملائكة باسطو أيديهم ، أخرجوا أنفسكم » .

والثابت أن الروح باقية بعد خروجها من الجسم ، ونعيم القبر وعذابه ثابتان كذلك : « ... أخرجوا أنفسكم ، اليوم تجزون عذاب الهون ، بما كنتم تقولون على الله غير الحق ، وكنتم عن آياته تستكبرون » ، وهذا الجزاء يبدأ من وقت خروج الروح ، لأن هذا الخطاب موجه للمستكبرين ساعة الموت . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة » . وقال : « القبر إما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النيران » . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال : « إنهما ليعذبان ، وما يعذبان فى كبير - ثم قال - بلى أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستبرئ من بوله » .

ومما ذكر فى القرآن وورد فى الأحاديث الكثيرة يعلم أن الروح بعد انتقالها من هذا العالم ، تصير فى قبضة الله تعالى وحده لا سلطان لأحد عليها ، وهى إما فى العذاب فلا تستطيع الخلاص منه ، وإما فى النعيم فلا ترغب فى الانصراف عنه . ومعنى هذا : أنها وهى فى عالم البرزخ ، لا اتصال لها إطلاقا بعمل فى الحياة الدنيا ، ولا بأهلها . ولو جاز أن يكون لها عمل ، لكانت كل روح تعين أبناءها ، وأهلها ، وأحباءها ؛ فهم أولى برعايتها وأحق بعونها ؛ ولكشفت عما كان فى حوزتها ، وهو مخبوء عن ورثتها ، ولدلت على قاتلها ، وهلم جرا ؛ وهذا ما لم يقل أحد : إنه حدث قط . وقد قال تعالى : « حتى إذا جاء أحدهم الموت ، قال رب ارجعون ، لعلى أعمل صالحا فيما تركت . كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون » . وفى الحديث الشريف : « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » . والمعنى أنه يكف عن هذا العالم ، لانتهاء وقت التكليف بالنسبة له ؛ أما ما بقى له من ثواب الصدقة الجارية ، أو العلم النافع ، أو دعاء الولد الصالح ، فإنما هو ثمرات عمله الطيب الذى كان منه قبل مفارقته الدنيا . وفى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع على أهل

القليب - قليب بدر أى البئر التى رميت فيها جثث قتلى المشركين فى غزوة بدر - فقال : «هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ؟ فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقا» . فقال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ما تخاطب من أقوام قد جيفوا ؟ فقال : «والذى بعثنى بالحق، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون جوابا» أى لا اتصال لهم بالأحياء إطلاقا . .

أفبعد هذه النصوص القاطعة ، يقال : إن الإنس يستطيعون تحضير أرواح الموتى ، طوعا أو كرها ، وإن إظلام المكان ، وعزف الموسيقى ، وإيقاد الأنوار الملونة ، هى الوسيلة لحضورها أو إحضارها فتسمع أصواتها وترى أشباحها ؟ !

والعجيب أن أصحاب هذا الادعاء ، يقولون فى غير حياء : إن بعض أرواح الكافرين ، المقطوع بأنهم فى عذاب ، تحضر وتنبىء أنها منعمة ، وفى حالة طيبة ، ثم تسأل وتجيب ! !

ويقولون : إن بعض الأرواح التى تحضرهم تضحك ، وتتندر ، وتقبل على السخرية ، وتكذب أحيانا . والأرواح طاهرة لا يجوز أن يصدر منها شىء من هذا العبث على الإطلاق .

وإذن فما هو المصدر الصحيح لما يدعون حدوثه فى جلساتهم هذه ؟ .

نقول : إن ذلك من عبث الشيطان بيقين ؛ إذ لا جدال فى أن هناك عوالم غير منظورة لا نراها «فلا أقسم بما تبصرون ، وما لا تبصرون» لأن لنا بحسب طبيعتنا طاقة محدودة ، تتناسب مع تكليفنا ، ونحن واقفون عند حدود حسنا الذى تكيفه لنا أبصارنا وأسماعنا ؛ وذلك من حكمة الله سبحانه ، الذى رتب لكل عالم ما يناسبه ، ولا إحاطة لنا بهذه العوالم «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا» .

وعالم الجن من هذه العوالم ، يعيشون معنا فى هذه الأرض ، ويخالطوننا بحيث لا نراهم ما داموا على صورتهم التى خلقوا عليها «إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم» . ومن هذا الجنس الشيطان : إبليس وجنوده . وقد حذر الله الإنسان منه ، وأكد له أنه عدوه المبين فقال : «إن الشيطان لكم عدو ، فاتخذوه عدوا» أى على الدوام ، لأنه لا يهادن ، ولا يقلع عن عدوانه للإنسان بحال ، ولا يزال الشيطان بما جبل عليه من القدرة على الشر والعدواة للبشر ، يزين لبنى آدم الفحشاء والمنكر ويجرهم إلى السفه ، ويدخل عليهم لأجل ذلك من كل باب ، وقد ذهب فى محاولاته إلى أبعد مدى ، حتى إنه لم يترك عالما ولا عابدا ، إلا تخابث له . وكثيرا ما يخرج عن صورته الخلقية ، ويتشكل ، لأن ذلك من خصائصه . فيظهر لابن آدم - إذا أعجزه بكثرة الذكر ومراقبة الله عن أن يوسوس فى صدره - لأن ظهوره أقوى فى التلبيس وأجدى فى إنفاذ الحيلة ، ولم يتورع كذلك عن الظهور للأنبياء ، مع علمه بأن لا سلطان له عليهم ولا على الذين يؤمنون بالله ويتقونه من أتباعهم «لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين» .

«إن عبادى ليس لك عليهم سلطان» . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه مسلم « ... إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ، ليجعله فى وجهى ، فقلت : أعوذ بالله ، ثلاث مرات ، فلم يستأخر ، ثم أردت أخذه والله لولا دعوة أخى سليمان ، لأصبح موثقا ، يلعب به ولدان أهل المدينة» ، وروى البخارى عن أبى هريرة ،

من أمر الشيطان ، الذى ظهر له ، وتعرض للزكاة ثلاث ليال ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى هريرة : « أما إنه صدقك وهو كذوب . تعلم من تخاطب منذ ثلاث يا أبا هريرة قلت لا ـ قال : « ذا الشيطان » .

ولما كان الجن يخالطوننا ، من حيث لا نشعر ، وهم مستخفون ، فهم يوسوسون لنا ، ويعلمون منا نوايانا ، وأخبارنا . ومن نوازع الشر عند عصاة الجن والشيطان ، الدءوب على معاكسة الانس ، ومحاولة التسلط عليهم ، والسخرية بهم ، استخفافا بهم يقظة ومناما لأنهم يحبون ذلك ، ويتلذذون به . وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال لأعرابى جاءه ، فقال : إنى حلمت أن رأسى قطع ، فأنا اتبعه فزجره النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال : لا تخبرن بتلعب الشيطان بك فى المنام » .

ويغرم بالجن الإنس ، لمعرفة ما غاب عن أبصارهم ، وللاستعانة بهم فى الأمور التى لا يقدرون عليها إلا بهم ، من فعل الأعاجيب ، ومعرفة الأخبار الغريبة ، والإتيان بها من الأمكنة البعيدة ، ليختالوا على غيرهم ، ويوهموهم أن لهم قدرة خاصة خارقة ، يسيطرون بهـــا على عقولهم ، ويبتزون منهم ما يريدون ، وهم مستسلمون .

والشيطان ـ كما ذكرنا ـ قادر على أن يتمثل بالإنسان فيظهر على شاكلته تماما ، وقد ورد فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « من رآنى فى المنام ، فقد رآنى ، فإن الشيطان لا يتمثل بى » وهذا كما أنه يدل على أنه من المستحيل عليه أن يتشبه بالرسول صلى الله عليه وسلم ، فإنه يجيز أنه يتمثل بغيره ، ويأتى فيحاكى صوته ، ويتحدث بصفته ، ويلبس على الناس ، ويخيل إليهم بالتقليد والتمويه ، إنه روح الميت .

والشيطان لا ينفك عن إغوائه لمن يستجيب له من الإنس ، بمثل هذا الاتصال غـــير المشروع « وقال أولياؤهم من الإنس : ربنا استمتع بعضنا ببعض ، وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا . قال النار مثواكم ، خالدين فيها ، إلا ما شاء الله » .

وعلى هـذا ، فكل ما يحدث فى جلسات تحضير الأرواح ، عبث بالإنس من طوائف الشياطين ، الذين يغررون بالناس ، ويضلونهم بهذه الخـدع والأباطيـــل .

أحمد حنفى نصار القوصى

ما يقال عن الإسلام

الحضارة العربيّة

للدكتور أحمد فؤاد الإهوانى

قلنا ، ولا نزال نقول ، وسنكرر القول حتى يرسخ فى الأذهان : إن الإسلام ليس ديناً فقط ، ولكنه دين ودنيا ، دين ودولة ، دين وحياة ، دين وحضارة ، دين وثقافة .

وكان القدماء يقولون : إن الإسلام دين ودنيا . ومصطلح الدنيا ، أو الحياة الدنيا ، مصطلح قرآنى ، ورد فى أكثر من آية ، وهو الذى يقابل ما يجرى الآن على الألسنة عند قولنا : الحضارة أو الثقافة ، أو الحياة ، يقصدون الأحوال المعيشية للإنسان ومظاهر سلوكه من مأكل ومشرب وملبس ومسكن وزينة ، والأدوات المختلفة التى يتخذها لتسهيل سبل العيش وتجميل الحياة .

وقد تميز الإسلام عن المسيحية بأن الإسلام جمع بين الدين والدنيا ، وتغلغل فى شئون الحياة من سائر نواحيها ، ورسم السلوك الحلال والحرام طبقاً للشرع ، على حين أن المسيحية فصلت بينهما ، وحثت الإنسان على أن يعيش لمملكة السماء فقط ، واحتقرت كل ما يتصل بالمادة والجسد . وهذا وإن تيسر لقلة قليلة من الناس ، فإنه لا يصلح لجمهرتهم الغالبة ، وقد أنزل الدين للناس كافة لا لطائفة مختارة . وقد كان فضل الإسلام فى أنه نادى بالمساواة بين البشر ، ولا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى .

لم يكن إذن من الغريب أن يتسع صدر الإسلام منذ ظهوره ، ومنذ انتشاره المفاجىء السريع ، للحضارة التى تبغى رفاهة الإنسان ومعيشته الرغدة . ولذلك اصطنع عمر بن الخطاب النظم الإدارية للفرس والروم كما هى ، وظلت الدواوين تكتب بالفارسية أو الرومية ، إلى أن عربها ، عمر بن عبد العزيز فى أواخر المائة الأولى . ولم يكن من الغريب كذلك أن يعهد المسلمون ـ خلفاؤهم وأمراؤهم وجمهورهم ـ بأمور معاشهم ومظهر عمرانهم لليهود والنصارى والصابئة والمجوس ، وبخاصة الطب والهندسة . ذلك أن الأعراب الخلص لم تكن لهم مشاركة فى هذه العلوم . فلما اتسع ملكهم ، وامتدت أطراف دولتهم ، واستتب لهم الأمر ، وتدفقت عليهم الأموال لم يكن بد من ابتناء الدور ، والقصور ، والمساجد الجامعة ، وإقامة السدود والقناطر والجسور ، وغير ذلك من مظاهر الحضارة التى تصاحب كل دولة مزدهرة قوية .

وكانت الدولة الإسلامية أمبراطورية كبيرة واحدة ، زمان الأمويين ، فكانت دمشق قلب الإسلام النابض تشرف على حكم الأقاليم شرقا حتى حدود الصين ، وغربا حتى الأندلس . فلما سقطت الدولة الأموية وانتقل الحكم إلى العباسيين خسفت بغداد بنورها دمشق على عراقتها ، وأصبحت

بغداد عروس العالم كله ، وقلب الإسلام النابض ، وقبلة أنظار المسلمين وغير المسلمين من أقطار الدنيا الأربعة . حتى إذا بدأت الأقاليم تستقل عن الخلافة في بغداد منذ أواخر القرن الرابع الهجرى ، ظلت هذه الأقاليم والإمارات عامرة بالعلم زاخرة بالعلماء ، تتنافس فيما بينها على حمل مشعل الحضارة . واستمر الحال على هذا المنوال إلى عهد قريب ، في القرن الحادى عشر الهجرى ، حين بدأ عصر التأخر والانحلال ،

إن حضارة تستمر مزدهرة متماسكة زهاء عشرة قرون من الزمان ، لاشك ظاهرة فريدة تحتاج إلى تفسير ، وبخاصة لأن معظم الحضارات الأخرى ، الأقدم منها ، والمعاصرة لها ، لم تكن تظهر حتى تزول .

فلا غرابة أن يقال : إن العامل الجديد الذى أسهم في بناء هذه الحضارة هو « الإسلام » ذلك الدين القويم المتين الذى أنزل على محمد عليه الصلاة والسلام في أوائل القرن السابع الميلادى ، وفي قلب جزيرة العرب ، أنزل عليه قرآنا عربياً ، وانتشر الإسلام مع انتشار العروبة ، فكانت الحضارة الجديدة إسلامية ، أو عربية .

وقد اعترف بهذا العامل الجديد وفضله جماعة من المستشرقين ، فوقفوا من التاريخ موقف الإنصاف ، ومن أحدث الكتب التى أنصفت هذه الحضارة ، كما أنصفت الإسلام ، كتاب أصدره الأستاذ « جاك رسلر » الأستاذ بالمعهد الإسلامى في باريس ، بعنوان « الحضارة العربية » مهد له بقول : إنه يرجو مخلصاً لمن يتصفح هذا الكتاب - من الغربيين طبعا - أن يحسن فهم الروح الإسلامية ، وكيف تشكلت على مر الزمن .

وإنا لنجد لأول مرة كاتباً غربياً يعلى من شأن العرب ، وينظر إلى الأمور بعين جديدة ، ونظرة جديدة . فقد طال ماكنا نسمعه من المستشرقين من أن العرب كانوا أجلافا خلوا من أى معرفة وحضارة ، حتى إذا اتصلوا باليونان بخاصة أخذوا عنهم كل شيء ، حتى علم النحو وعلم البلاغة ؟ هذا فضلا بطبيعة الحال عن علوم الطب والهندسة والفلك وغيرها . وكان ذلك قولا غريباً يستهدف التشكيك في العقلية العربية ، وبالتالى في الدين الذى أنزل باللغة العربية وهو الإسلام . وهى مقالة قديمة وقف لها المسلمون ، وبخاصة أهل السنة ، بالمرصاد ، وهاجموا الحضارة اليونانية ممثلة في فلسفتها وفي منطقها . وموقف ابن تيمية وتلميذه ابن القيم معروف في هذا المجال .

وقد فتن في أوائل هذا القرن جماعة من كتابنا بالحضارة اليونانية ، وزعموا كما يذهب معظم المستشرقين أن فضلهم على الحضارة العربية عظيم ، وأنه لولا اقتباس العرب هذه الحضارة ما استطاعت أن يقوم لها قائمة . بل لقد ذهب بعض غلاتهم إلى أن الحضارة العربية في شتى مظاهرها ليست سوى الحضارة اليونانية كتبت بحروف عربية .

ولكن الأستاذ جاك رسلر يرى خلاف هذا الرأى .

* * *

وخلاصة رأيه أن اللغة العربية تميزت بخصائص جعلتها أداة طيعة للحضارة . ولذلك سمى هذا الفصل في كتابه « فتوحات لغوية » ، وجاء فيه : « إن أعز رغبة للإسكندر المقدونى كانت تحقيق الاندماج بين الإغريق والشرقيين على قدم المساواة ، ومن أجل ذلك أغرق الشرق في بحر من المستعمرات اليونانية ،

وشيد سبعين مدينة . وأدى نظامه إلى ربط الشعوب المغلوبة وانتهى الأمر إلى ازدهار عظيم ، غير أن خلفاءه فشلوا فى سياسة التقريب بين الشعوب والاحتفاظ بالامبراطورية . وفى ظل الحكم الرومانى الذى بقى ظاهريا فقط ، احتفظت المجتمعات والثقافة بطابعها "يونانى ، وبقيت اللغة اليونانية اللغة الرسمية زهاء ألف عام ولكن لم يكد العرب يظهرون على المسرح حتى انهار ذلك البنـــاء كله دفعة واحدة ، ابتداء من اللغة اليونانية إلى الفكر اليونانى نفسه . لاشك أن الروح اليونانية كانت قد غزت المدن ونمذت إلى بلاط الحكام ، ولكنها لم تستطع أن تنفذ إلى أعماق قلوب أفراد الشعب فى القرى . ومعنى ذلك أن الإدارة والتشريع والتجارة كانت يونانية فى المدن ، ولكنها قامت على عرف من التقاليد الموروثة التى تختلف اختلافا عميقا فى أساسها فى الأقاليم عنها فى المدن . وعلى الرغم من طول احتلال الثقافة اليونانية للشرق ، فإنها لم تستطع على الجملة أن تحل محل الحضارات الشرقية القديمة . أما الإسلام ا لدكان أقرب إلى الروح الشرقية فقد رأى نفسه منذ أول وهلة وكأنه فى بيته » .

وهذا تفسير جديد ولا نزاع ،

وهو تفسير لا يذهب إلى حد القول بأن الإسلام قد فرض على الشعوب فرضاً بالغلبة والقهر ، وحد السلاح ، فهذا أبعد الأقوال عن الصواب .

ولكنه تفسير أدنى إلى المعقول باعتبار أن الإسلام دين يلائم الناس كافة ، الخاصة والجمهور على السواء .

إنه الدين الذى يلائم الطبيعة البشرية فى جميع صورها وسائر مستوياتها .

فهذا تفسير ، والتفسير الثانى الذى يقدمه لنا المؤلف هو تقارب اللغة العربية مع لغـــة البلاد المفتوحة باعتبار أن اللغة العربية من اللغات السامية ولذلك لم يجد العرب مشقة فى أن يفهم منهم سكان فلسطين وسوريا وفينيقيا والعراق وأرمينيا ومصر وشمال أفريقيا ، ولم يذكر المؤلف فارس ، إذ يبدو أن لها وضعا آخر .

إن مجموعة اللغات السامية تختلف فى بنائها وتركيبها ونحوها وصرفها من اللغات المسماة « إندوأوربية» ومنها لغات الهند وفارس واليونان والرومان ، لهذا السبب لم يذكر المؤلف فارس فى جملة الشعوب التى سهل على الإسلام الانتشار فيها بسبب اللغة العربية مهما يكن من شىء فإن مشكلة فارس لها وضع خاص يختلف عن غيرها من البلاد .

وفى رأى المؤلف أن « القرآن » يحوى خلاصة المعارف ، وهو يسمى فى الدول الإسلامية : « الكتاب » . وكانت كلمتا : قرأ وكتب ، تفيدان قراءة القرآن وكتابته ، وقد ظل القرآن زمنا طويلا أول كتاب يتعلم منه القراءة حتى أصبح وحده مرجع المعرفة والتعليم ، ولا يزال حتى الآن المرجع الكلاسيكى التقليدى الذى يقوم على أساسه التعليم فى الجامعات الإسلامية ، ثم إن « ترجمة » القرآن لا يمكن أن تؤدى ما فيه من روعة ، لأن جمال اللغة العربية ينطفىء مع الترجمة كما تذبل الزهرة حين تقطع عن شجرتها ، ولهذا يجب أن يقرأ القرآن فى لغته الأصلية . (ص ٤٥) .

إن قضية جواز ترجمة القرآن قضية قديمة ثار حولها الجدال بين الفقهاء ، وثارت مرة أخرى عنيفة منذ بضعة وثلاثين عاما ، وأخيراً قالوا : « ترجمة معانى القرآن » ، ولست أدرى ما الفرق بين ترجمة القرآن ، وبين ترجمة معانى القرآن ، لأن الترجمة

لا يمكن أن تكون إلا للمعانى ، وانظر معى إلى هذا المؤلف الفرنسى الأجنبى المسيحى كيف حكم بأن القرآن لا يمكن ترجمته ، وأن قراءته لا بد أن تكون بالعربية ، وهى اللغة التى أنزل بها ، وهذا هو الرأى الذى انتهيت إليه منذ زمن طويل ، ولا أزال أعتقده حتى الآن .

* * *

بهذه الروح العاشقة للإسلام أقدم المؤلف على تأليف كتابه(١) ، ورتبه على مقدمة ، وأربعة أبواب كبيرة ، استعرض فى الباب الأول جغرافية الشرق وأصل الأديان ، وشعوب الشرق ، وظهور محمد والقرآن ، وانتشار الإسلام ودولة الخلفاء الراشدين وعادات المسلمين وأخلاقهم وتقاليدهم فى الأسرة والجنازات واتخاذ العبيد وحجاب المرأة والصحة العامة ، واللهو والألعاب ، والأغذية ويشتمل الباب الثانى وهو فى بلوغ الإسلام الأوج على خمسة فصول ، الأول فى الحياة الاجتماعية ، والثانى فى الحياة الثقافية والفنية ، والثالث فى الزراعة والصناعة والتجارة ، والرابع فى بغداد وبلاط الخلفاء ، والخامس فى الإسلام فى المغرب ، والباب الثالث يتحدث عن تأثير الإسلام فى الحضارة الغربية وتحته خمسة فصول ، الأول فى الآداب والفنون ، والثانى فى العلوم (الكيمياء ـ الرياضة ـ الفلك ـ الجغرافيا النبات ـ الطبيعة) والثالث فى التطبيقات العملية ، وصناعات الورق والزجاج ، والنسيج ، والجلود ، والمعادن وغير ذلك ، والرابع فى الطب ، والخامس فى الفلسفة ، والباب الرابع والأخير فى انحطاط المسلمين ، وفيه ستة فصول ، الأول الأندلس ونهاية المعتمد ، الثانى فى تفكك الأمبراطورية وأسباب ذلك ، الثالث فى الحروب الصليبية ، والرابع فى شعراء فارس ، الخيام وسعدى وشيرازى ، والخامس : فى الأسرات العربية الأخيرة ، والغزو المغولى ، والمماليك ، ومملكة غرناطة ، والسادس فى رقدة الإسلام ، والتوسع التركى فى أوربا ، ثم تراجع الأتراك .

* * *

ومن الواضح أن المؤلف يفصل بين العروبة والإسلام ، وقد تلتحم الدائرتان كما كانت الحال فى دولة الخلفاء الراشدين ، والدولة الأموية والدولة العباسية إلى أن زالت الخلافة من بغداد ، وانتقلت راية الإسلام إلى الأتراك فى القسطنطينية وعندئذ لم يعد للعرب كلمة مسموعة ، بل لم تعد اللغة العربية وقتها صاحبة المنزلة الأولى كما كانت من قبل ، ومنذ ذلك الوقت بدأت الحضارة العربية فى التأخر ، بل بدأ الإسلام نفسه ـ يقصد المسلمين لأن الإسلام شريعة إلهية ثابتة ـ يضعف مع ابتعاده عن اللغة العربية .

إن النهضة الحديثة للإسلام ، والتى تبدأ من القرن الماضى ، والتى تستهدف تجديد الإسلام بتقوية العروبة ، والعمل على الارتفاع باللغة العربية عن حضيض العامية ، وقد ارتقت فعلا ، ثم تقوية الروابط السياسية والاقتصادية والثقافية بين الدول العربية الناطقة بالضاد من المحيط إلى الخليج جديرة أن تثمر ثمارها فى القريب بالمساهمة فى الحضارة العالمية ، كما أسهمت فى الماضى عشرة قرون والعمل على نشر السلام فى العالم ، لأن الإسلام نفسه من السلام .

إن الناظر إلى الحضارة العربية إبان ازدهارها زهاء عشرة قرون من الزمان ، ليعجب من العمران

(١) نقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية ، ويصدر قريبا .

الذى ساد فى كافة الأقاليم الإسلامية، إلى درجة أن أوربا كانت تفتتن ببراعة العرب فى الفنون والصناعات، وكانت تجارة المسلمين من المنسوجات والورق، والمصنوعات الجلدية، والأسلحة وغيرها رائجة رواجا شديدا فى أوربا ومنذ القرن الثالث عشر الميلادى بدأ الغرب يتعلم هذه الصناعات عن العرب سواء فى فلسطين حين جاءت الحملات الصليبية، أم فى صقلية، أم فى طليطلة فى أسبانيا.

ولم يقف الأمر عند حد الفنون والصنائع، بل إن العلوم نفسها التى كان الأوربيون صفرا منها، قاموا بنقلها عن العربية، فترجم إلى اللغة اللاتينية كثير من كتب الفلسفة والطب والفلك والهندسة والكيمياء، حتى لقد كان «قانون» ابن سينا فى الطب يدرس فى جامعات أوربا حتى القرن السابع عشر الميلادى.

وهكذا نرى أن الحضارة أخذ وعطاء، أخذ العرب عن الحضارات القديمة، وحثهم الإسلام على العناية بالعمران، فتقدموا بالحضارة وحملوا مشعلها وحفظوا نارها متوهجة، ونفخوا فى تلك النار وزادوها اشتعالا، وبذلك سجلت هذه القرون العشرة بمداد من الفخار فى سجل التاريخ.

إن الحضارة الأوربية الحديثة هى ثمرة الحضارة العربية، وامتداد لها، وإذا كان أساس الحضارة الراهنة هو النزعة التجريبية، فإن الاعتماد على التجريب فى ضبط الوقائع العلمية والوصول إلى القوانين العامة إنما جاء من علماء العرب الذين توسعوا فى المعامل وابتكروا وسائل الاختبار وأدوات البحث من بواتق وأنابيب وذلك فى الوقت الذى كان فيه علماء أوربا يخشون إجراء التجارب حتى لا يتهموا بالسحر والشعوذة، ولا يستطيعون إبداء آرائهم العلميـــة فى حرية حتى لا تحاكمهم الكنيسة، وتتهمهم بالإلحاد والزندقة.

إن تاريخ الحضارة الغربية يدل على أن رجال الكنيسة حاربوا العلم وحرية الفكر وكانوا حجر عثرة فى سبيل التقدم. على العكس من ذلك فإن تاريخ الحضارة العربية يدل بما لا يدع سبيلا إلى الشك أن الإسلام دينا هو الذى حث المسلمين على البحث والمعرفة والتعمق فى العلوم حتى ينعم الناس فى حياتهم الدنيا بمعيشة رغدة، وما داموا يأكلون حلالا طيبا.

وانظر إلى حجة الإسلام أبى حامد الغزالى الذى حمل راية الإسلام عالية مهاجما الفلاسفة أعنف هجوم، وكفرهم تكفيرا فى كتابه «تهافت الفلاسفة»، تجد أنه فى «المنقذ من الضلال» يتحدث عن العلوم الرياضية والعلوم الطبيعية، ويثنى عليها، ويبين ضرورتها ومنفعتها للعمران، ولكنه يخشى أن يتمادى العلمـــاء فى علومهم، وأن يعتقدوا فى «وثاقتها» مما يؤدى بهم إلى الاقتصار على هذه العلوم والابتعاد عن الدين.

صفوة القول: الإسلام دين وحضارة، لا ينفصل أحدهما عن الآخر، ومن واجب المسلمين فى الوقت الحاضر أن يعيدوا إلى الإسلام مجده بألا يقتصروا على الناحية الروحية فى الإسلام فقط، بل عليهم أن يرتفعوا كذلك بالجانب الخارجى من الحضارة، كما كان الحال زمان الأمويين والعباسيين.

أحمد فؤاد الأهوانى

أنباء وآراء

من الإمام الأكبر شيخ الأزهر إلى حكومتي الهند وباكستان

زارني السيد سفير الباكستان بمصر، وقص على ما تتعرض له بلاده من عدوان وما يعيش فيه شعبها من روع وفزع، والحق أني قد استمعت لحديثه المؤثر بلا عصبية وبلا تحيز، حتى أستطيع أن أعلن كلمة الإسلام بلا هوى يفسد الرأي أو ميل ينحرف بالحكم، وقد انتهيت والله يشهد إلى انفعال معقد لمزيج كريه من الأسف والحسرة والمرارة.

أما الأسف فلإهمال البت في قضية كشمير إهمالا يطيل أمد النزاع، ويؤجج انفعالات التحرش، ويمكن لأعداء الشرق من الكيد له. والنيل من استقراره، حتى لا يفرغ إلى طموح آماله، ولا لرفاهية شعوبه.

وأما الحسرة فلما يجري بين دولتين يجمعهما تاريخ ويربط بينهما جوار ويوحدهما جنس.

وأما المرارة فلأن ما يحدث بين الدولتين يقع على سمع وبصر المنظمات الدولية التي أنشئت لإقرار الأمن وصيانة السلام - ومع هذا لم تحرك ساكنا، ولم تبادر بتدخل سريع حازم يوقف التوتر، ويحول دون تفاقم الخطب واستفحال الخطر.

وإني بواجب الإيمان، وحق الإنسان على أخيه الإنسان. أهيب بأولياء الأمور في الدولتين أن يواجهوا المشكلة بالعقول الواسعة التي لا تضيق عن حلول الحكمة، وعدالة الاتزان، وأن يوقفوا القتال في كل مكان، ويعيدوا إلى أرض الدولتين الأمن والاستقرار والسلام، وأن يقبلوا على حلها بالقلوب الكبيرة، التي يعمرها الحق والإيمان، وأن يكرموا العواطف الإنسانية النبيلة التي كرم الله بها الإنسان.

وإذا كانت السياسة قد اتسعت قديما لتقسيم الوطن الكبير إلى دولتي الهند وباكستان، فإن من تمام الرشد، سماحة الاتفاق على هذا القدر اليسير من كشمير لتعيش الدولتان في طمأنينة استقرار وتراحم جوار.

وحينئذ تقر عيون أصدقاء الدولتين، وتهدأ الأعصاب التي ترتبط بكلا الشعبين.

وأهيب أيضا برواد السلام في العالم كله أن يسارعوا بالتدخل بوسائلهم السلمية بين الدولتين ليثبتوا للدنيا جدية الشعارات التي ينادون بها، ويضمنوا للبشرية تعايشا سلميا يجمع الشعوب على كلمة سواء، يقوى بها الضعيف ويحترمها القوي.

وإني والله يشهد، لم أفقد الثقة في نخوة القادة، ولا الرجاء في إنسانية الزعماء، ولا الأمل في عواطف الشعوب.

فهيا يا دعاة الأمن وأنصار السلام.

والله معكم على إصلاح ذات البين، وإقرار السلام بين الشعبين، وبهذا أمر الله، وعليه تلتقي الأديان ويكون الإنسان في عون أخيه الإنسان.

حسن مأمون

• نشرت إحدى المجلات الإسلامية فتوى ببطلان زواج المسلمة بالشيوعي ونسب الخبر خطأ إلى لجنة الفتوى بالأزهر وببحث الموضوع تبين أن لجنة الفتوى بالأزهر لم تسأل في الموضوع ، ولم يطلب منها فتوى فيه ، وقد صدر بيان للأستاذ الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر ليعرف الناس « حكم الإسلام في هذا الزواج منعا للبلبلة ، وأداء للواجب الذي أوجبه الله على علمـــاء الإسلام » وجاء فيه :

« وواضح أن المسلم الذي يعامل بأحكام الإسلام ويحل له الزواج بالمسلمة هو المسلم الذي يؤمن بالله وحده ، ويؤمن برسله ، ويؤمن باليوم الآخر ، ولا ينكر شيئا مما علم من الدين بالضرورة ، وإلا عد مرتدا وعومل معاملة المرتدين ، فيحرم عليه الزواج بالمسلمة ، ويبطل زواجه إن كان متزوجا بها » .

اتيين دينيه = ناصر الدين

جاء في كتاب عن « إيتين دينيه » أنه مستشرق فرنسي شديد التعصب ضد الإسلام والذي نعرفه أن إتيين دينيه مستشرق فرنسي أسلم وحسن إسلامه وتسمى باسم « ناصر الدين » [1] ودافع عن الإسلام دفاعا مجيدا — بقلمه ولسانه — ولم يأل جهدا في الذود عن عقيدته الإسلامية ومن بين مؤلفاته القيمة : « أشعة خاصة بنور الإسلام » و « الشرق كما يراه الغرب » و « محمد رسول الله » و « الحج إلى بيت الله الحرام » الخ . .

ومما يذكر عن اتيين دينيه (ناصر الدين) موقفه من أعداء الإسلام من المستشرقين والمبشرين وكيف نواجه أكاذيبهم وأضاليلهم ، وذلك حيث كتب يندد بهم ويفضح نواياهم السيئة للإسلام وأهله فيقول : « وصية الله لنا معشر المسلمين ألا نعتدى على الطيبين من أهل الكتاب وهم في سلام معنا لا يعتدون . أما أهل السوء منهم لا ينفكون يهاجموننا بالأباطيل ويحاربوننا بالمفتريات ، فليس علينا جناح بعد ذلك إذا ما أوريناهم من نوع سلاحهم ودفعنا به عن بيضة الإسلام بهتانهم فواحدة بواحدة والبادى أظلم .

وإذا نحن شئنا أن نحصى أكاذيبهم عاجنا وجدنا منها صفحة هي أســـود الصفحات خزيا في سجل التعصب ، بل وجدناها مجموعة كبيرة تلك المثالب التي قام بها منهم إعداد الإسلام ، قديمهم وحديثهم ، سواء كانوا من علمائهم أو رواده أو قساوستهم أو رجال حكوماتهم أو كتابهم أمثال : بيرون ، وبلجراف ، وجلادستون ، ومرجليوث ، وقسيس كانتربرى ، والأب لوى برتران ، وسرفييه ، وغيرهم .

ولقد نشأ اتيين دينيه من أبوين مسيحيين ، ومارس الطقوس المسيحية كمثل مسيحى نشأ في بيئة مسيحية يؤمن بالآب والابن والروح القدس ، وناقح ، وناضل عن عقيدة التثليث والصلب ، والفداء ، وما أن شب الصبي عن الطوق ، وشق طريقه في الحياة حتى صار من كبار رجال الفن والتصوير فكان صاحب حس مرهف ... كثير التأمل في ملكوت السموات والأرض .

وهكذا الفنان دوما يسرح بوجدانه وإحساسه في الكون ، ويتدبر عظيم صنع الله ليهتدى بفكره

(١) أنظر المقدمة التي كتبها د . عبد الحليم محمود لترجمة كتاب محمد رسول الله لإتيين دينيه .

إلى الحق ... والخير ... والجمال . وكذلك نفس الفنان تتجلى فيها نورانية الفن وينعكس عليها جمال الطبيعة فيصير صاحبها من طلاب الحق والحقيقة .

وكان إتيين دينيه (ناصر الدين) يبحث عن الدين الحق الذى يتفق وكرامة الإنسان ، ويعمل لصالح المجموعة البشرية ، ويتسق والفطرة الإنسانية ولا يغمط لها حقا ، ولا يكبت لها نزعة سوى نزعة الشر .

أخذ إتيين دينيه يبحث فى الكتب المقدسة حتى هداه تفكيره ودراسته فى الإنجيل أن يقول عن نصوصه : هذه النصوص تبعث فى النفس الشك فى صحة الأناجيل التى بين أيدينا ، وكذا يقول : « إنه لا شك أن الله قد أوحى الإنجيل إلى عيسى - عليه الصلاة والسلام - بلغته ولغة قومه ، ولا شك أيضا أن هذا الإنجيل قد ضاع واندثر ، ولم يبق له أثر ، أو أنه باد ، أو أنه قد أبيد » (١) .

ويقارن إتيين دينيه بين المسيحية والإسلام فيقول « لا يتمرد الإسلام على الطبيعة التى لا تغلب وإنما هو يساير قوانينها ويزامل أزمانها وبخلاف ما تفعل الكنيسة من مغالطة الطبيعة ومصادمتها فى كثير من شئون الحياة مثل ذلك الفرض الذى تفرضه على أبنائها الذين يتخذون الرهبنة فهم لا يتزوجون وإنما يعيشون عزباء .

على أن الإسلام لا يكفيه أن يساير الطبيعة وأن لا يتمرد عليها ، وإنما هو يدخل على قوانينها ما يجعلها أكثر قبولا وأسهل تطبيقا فى إصلاح ونظام ورضا ميسور مشكور حتى لقد سمى القرآن لذلك (بالهدى) لأنه المرشد إلى أقوم مسالك الحياة ، ولأنه الدال على أحسن مقاصد الخير (١) .

وبعد دراسة وبحث عميقين هدى الله أتيين دينيه إلى الإسلام ، وأعلن إسلامه وسمياً بالجامع الجديد بمدينة الجزائر عام ١٩٢٧ ، وبعد جهاد وكفاح من أجل الإسلام انتقل « ناصر الدين » إلى جوار ربه .

ويكتب الأستاذ راشد رستم عن ناصر الدين (إتيين دينيه) فيقول : « وإنك لتجد الكاتب واسع الاطلاع ، لذلك كان صحيح الحجة ، ناهض البرهان ، فهو شديد الهجوم ، شديد الدفاع : لأنه غيور على دينه الذى لم يتخذه إلا بعد أن بحث وفكر ، وهكذا كان فى عقيدته مكينا وفى إسلامه كاملا (٢) » .

فكرى زكى الجزار
جامعة الأزهر - كلية أصول الدين

« نجح الأستاذ محيى الدين الألوائى المبعوث الهندى بجامعة الأزهر والمدرس بكلية الطب فيها فى امتحان الدراسات العليا لدرجة التخصص فى شعبة الفلسفة بكلية أصول الدين بتقدير ممتاز فى فترة يوليو من العام الحالى ، ويعتبر الأستاذ أول مبعوث يحصل على درجة التخصص هذه منذ إنشاء قسم الدراسات العليا بجامعة الأزهر .

على الخطيب

---

(١) انظر أشعة خاصة بنور الإسلام . إتيين دينيه ترجمة راشد رستم ص ٤١ .

(١) المصدر نفسه ص ٣١ .
(٢) المصدر نفسه ص ٣١

الكتب

للأستاذ علي الخطيب

ابن رشيق الناقد الشاعر :

تأليف : عبد الرءوف مخلوف .

(٤٥) سلسلة أعلام العرب مكتبة مصر .

في خمس وثمانين ومائتي صفحة .

قد سبق للسيد : عبد الرءوف مؤلف الكتاب دراسة علمية أخرى في ابن رشيق حظيت بها الجامعة وهو في مقدمته لكتابه في السلسلة بين أن له نهجاً مختلفاً ، عن نهج الدراسة الجامعية ، وإن كان « يضع الحقيقة في الصف الأول من الاعتبار ، ويلتزمها ما بدت له ص ٥ » .

وفي الحق يطالعنا في هذا التأليف شباب منصف ليس مولعاً بنقض القديم أو النيل منه ، بل لقد بينت تلك الدراسة في ابن رشيق ، كيف كان شمساً استمد منها الضياء كثير من الوجوه المعاصرة التي تحفل بالأدب وتتحدث فيه .

وقد أدت فصول الكتاب السمة - في معظم أحوالها - أغراضها فيما عقدت له ، وكانت دراسته الموضوعية في الفصل الأول : مصر ابن رشيق ، قيمة أدت إلى نتيجة باهرة في محاربة دعوى اتخاذ العامية لغة أدب وكتابه . . « ومن ثم كانت محاربة هـذه الدعوى دائماً وأبداً مسئولية كل مخلص للعرب والعروبة ص ٣٦ » .

وجهد المؤلف بارز فيما كتب من قضايا ، وفيما أبرز من تحقيق لا سيما في بيانه عن : زمن كتابة « العمدة » ، وفي استبعاده كتاب « تزييف نقد قدامة » عن مؤلفات ابن رشيق ، وتجليته بصدد هذا الكتاب ما يحيط به من غموض ، ورده دعوى أن يكون ابن رشيق مؤرخا ، وعنايته الدقيقة في الإشارة إلى مضطرب النسخ فيما استنسخ من كتاب العمدة ، وتنبيهه إلى الصفحات التي اختلف ترتيبها ، وأبلى أحسن البلاء في الحديث عن مصادر ابن رشيق ، ومثله الأدبية في المشرق ، وتنتهي تحقيقاته بجهد مشكور في مراجعة التاريخ الفلكي لوفاة ابن رشيق واختيار تاريخ وفاته ليلة غرة القعدة عام ٤٥٦ هـ .

وفي الكتاب جانب من الخطأ لا يحسب على المؤلف . فثمة أخطاء مطبعية كثيرة جداً ، منها ما يسهل دركه ومنها ما لا يدرك ، كما أن منها ما يفسد المعنى ، ومنها الساقط من الكلام ، ومنها فوق ذلك ما يكسر الشعر ويفسد فيه الوزن والقافية ، وحسبنا هنا التنبيه على بيتين :

قال : (يا موجعي) شننا على أنه ص ٦٦ والصواب : يا موجعي فالبيت من « السريع » .

وقوله : هكذا تبني المعالي . ليس الأكل خير ص ٦٧ والصواب . ليس إلا فالبيت من الرمل .

وإعادة الشطر الأول بوضعه في الشطر الثاني ص ٢٩ حيث تكرر قوله : ولي نحو أكناف العراق صبابة . ثم بعد :

نلاحظ السيد المؤلف استمدادا لجلاء الأمر فى قضية « اقتداء ابن رشيق بابن شرف فى تأليفه رسالة قراضة الذهب ، ويعد بفصل القول فيها حيث يقول ص ٥٧ : « وذلك ما نقف منه وقفة نتبين فيها وجه الصواب بمقدار ما يتسع له المقام ، ويتسع المقام لخمس صفحات نخرج منها بلاشئ حيث يقول : « ولعل ظروفا تسمح بتحقيق القضية فيما بعد» ص ٦١ .

وقد يكون ابن رشيق غير مؤلف شرحا للموطأ كما يقول السيد المؤلف لكن ما ساقه بياناً لرأيه ليس بشئ حيث يقول : « وليست ثقافة الرجل على ما عرفنا ترشحه لشرح الموطأ ، ولا هو بالذى اتجه إليها ، وإنما تنزع ثقافته منزع اللغة وشعرها ونقدها ص ٨٥ » على أن نظير ذلك موجود فقد ألف الإمام النحوى بدر الدين العينى شرحا لصحيح البخارى أسماه « عمدة القارى » والعينى - كما لا يخفى - منزعه جانب النحو .

كذلك نرى المؤلف - وهو جامعى - أعلا الأخذ بالأسباب ومراجعة الأصول العلمية طبق مناهجها الخاصة ، ولا أدرى كيف تستقام له فى جانب التأليف أن يرد حديثاً بالرأى كما فعل ص ١٢٥ ، وكان عليه أن يلم برجال السند ، ثم يكر على مراجع الجرح والتعديل فيحظى الحديث بمرتبة من وضع أو ضعف أو صحة ، ومثله - أمام المناهج العلمية - كبير منه أن ينأى عنها إلى الرأى .

وهل من الاستطراد فى كتاب العمدة أن يذكر ابن رشيق أنساب العرب وبيوتها ، أو جواز الصلات للشعراء ص ٩٧ ؟ فكيف إذن يتمرس الشعراء السابقون إلى ابن رشيق فى الدراسة ، وكيف يدلون فى بابى الهجاء والمفاخرة ، ثم كيف يتمكن دارس النقد إن غاب عنه ذاك ، وأما الصلة فهى أحد شيطانى الشعر للجود فيه .

وأما بعد التكرار الذى وقع فيما هو بدهى ص ١٨ ، ٢٣٥ بشأن بيان أن تقسيم الدولة إلى دويلات كان سببا فى قوة الأدب والعلم ، فالكتاب جهد رائع ، وعلم مفيد .

أصداء الدين فى الشعر المصرى الحديث ج - ١

تأليف سعد الدين محمد الجيزاوى

مكتبة نهضة مصر

قطع كبير فى سبع وعشرين وأربعمائة صفحة

وهذا الكتاب رسالة علمية حظيت بدرجة الماجستير فى الأدب والدراسات الإسلامية، وقد قصر المؤلف رسالته على « بحث العوامل الدينية ، وصداها فى الشعر ، من مطلع العصر الحديث إلى نهاية الثورة المصرية فى سنة ١٩١٩ » وحوت الرسالة بعد المقدمة تمهيداً ، وبابين ، وجعل المؤلف التمهيد فى جزئه الأول للحديث فى الدين ومفهومه وأهميته فى سلوك الإنسان ، وفى الجزء الثانى والأخير منه تحدث عن الأدب ، وعلاقته بالدين وأصالة هذه العلاقة من القدم ، وخلص إلى تحديد إطار لألوان من الشعر المصرى الحديث تختلف ظروفها ومناسباتها لكن باعثها عامل دينى روحى خالص كالزهد ، أو ناشىء عن مناسبات دينية كتهنئة فى مناسبة عيد .

ويتناول الكتاب بعد ذلك موضوعه فى بابين خص الأول منهما للفترة من الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ إلى نهاية الثورة العرابية سنة ١٨٨٢ ، والثانى من أول عهد الاحتلال إلى سنة ١٩١٩ ، وتناولت الدراسة فى كلا الفصلين الحديث عن الحالة السياسية والعامل الدينى . كما يتفق البابان فى الحديث عن الشعر والشعراء ، ويزيد الأخير منهما فى موضوعاته نظراً لانبعاثات مختلفة لأغراض مختلفة

فى الشعر لم تكن فى الحقبة الأولى، ويخلص فى النهاية منهما إلى حديث فى تقييم هذه الشعر عامة .

والكتاب - بعد - ليس جهداً محتملا ، وإنما هو مجهود ضخم للفت الأنظار إلى جزء أدبى مهمل كان بعيداً - قبل هذا الكتاب - عن مجال الدراسة والاعتبار ، وجهود المؤلف فى كثير من أجزائه شاقة مقسمة بروح الاستقصاء كاشفة أحيـــانا عن جديد غريب فى بابه كحديثه عن الشاعر حافظ إبراهيم الذى لم يجد له مدحة نبوية ، ويظفر الكتاب فى فصوله السياسية بتسجيل الجهاد الدينى والوطنى الذى تحمله المصريون فى بطولة وعزة وفدائية عجيبة ، وخطط الكتاب هنا بيانا ثرا لنفسية المصريين وشعرائهم وجهودهم ضد أعداء الدين والوطن . وحماس الشعراء الذى دفع الجهود فتضاعفت حتى قضت على عوامل الفتنة وأبقت على مصر دينها ووطنيتها . وتوصيات المؤلف فى كتابه تدل بجانب إنصافها على ما ينبغى بذله من جهد لتكملة هذا اللون من الدراسة حتى يستوعب خيوطه ، ويؤتى ثمـاره .

وفى الكتاب بعد أخطاء مطبعية نادراً ما تخلو منها صفحة ، وبعض الصفحات ص ١٥ يحوى خمسة أخطاء ، وكانت الأخطاء سببا فى كسر البيت ص ٤٥ فقد كتب هكذا :

ربة الشعر عن أخيل بن قيـلا
أنشدينا واروى أحتداما وبيلا

وهمزت فيه ألف (احتداما) والبيت ص ٩٠ وكتب :

لعلك يا سويجع كنت شفعا
وقد أصبحت فرع الحب روعا

وفتحت واو (روعا) والحق التسكين ، والأول من الخفيف والثانى من الوافر ، ولا حساب على المؤلف فى هذه الأخطاء .

وللنقول فى هذا الكتاب موضوع ، وقد اشتملت إجمالا على ملاحظات ندونها فيما يأتى :

فهى أولا : كانت عقبة كؤودا فى سبيل تركيز الموضوع لعدم القصد فيها إلى موضع الاستشهاد أو للإكثار منه .

ثانيا : سلم المؤلف ببعضها على ما فيه من اضطراب فمثلا - نقل عن اليونان أنهم (كانوا فى جاهليتهم ورعين فى عبادتهم مخلصين فى معتقدهم) والحق أنهم كانوا غافلين عن الصلة الروحية بالله ، غافلين عن المعصية والتوبة وكتب عنهم لويس ديكنسون فقـال : إنهم وهبوا (أنفسهم أحرارا خالصين لفن الحياة) وقال : عاش الإغريقى ، وعمل دون أن تقلقه محاسبته نفسه محاسبة ارتياب أوشك ، وكانت وظيفة دينه هى تهدئة الضمير بالطقوس لا إحياؤه بالتحذير والملامة ص ٩٣ الفن والمجتمع - هربرت ريد .

والأستاذ الجيزاوى عبارة عن العهد القـــديم ص ٣٩ تتضمن نصوصها أن هذا الكتاب حوى عقيدة الحساب ومصير الإنسان . وليس العهد منا ببعيد فهذا العهد المتداول حذف منه تماما هذان الأمران . الحساب الأخروى ومصير الإنسان

ثالثا وضع نقولا ذات مبادىء خطيرة فى عالم الأدب كتلك التى تريد فرض قيود على الإنتاج الأدبى ، ومر بها مر الكرام . وقد كان عليه أن يحدد وجهة النظر فيها مهما كان ما يتجه إليه .

رابعا : كانت نقوله عن الأزهر فى الفترة الأولى نقولا تقليدية فلا عجب أن تنتهى إلى أحكام تقليدية تضع الأزهر والأزهريين فى مقام التخلف والركود وتبرز محمد عبده فى الطرف المقابل ، والشيخ عليش

فى الدائرة الأولى ، ومن دون حساب على بيت الشيخ محمد عبده وموقفه من الثورة العرابية حين قال:

قامت عصابة جند فى مدينتنا
لعزل خير رئيس كنت راجيه

قال ذلك . والشيخ عليش والأزهريون قد أصدروا فتوى بخيانة الخديوى وخلع طاعته وقــد سجلها الكتاب نفسه ص ٧٧ ، ومن الوطنى الأول من صفحات الكتاب من الكرام .

ولنترك حديث النقول إلى نقاط أخر :

فقد رأى الباحث استبعاد دراسة التواشيح ص ٤٨ من كتابه دون رأى يفصح عنه .

وجميل بالمؤلف ـ وهذا موضوعه ـ أن يعطيه حقه من الدراسة الدينية المتصلة بهذا الموضوع . لكنه خرج إلى أكثر من ذلك فتناول ـ فى حديث عام ـ التوبة وما ينبغى أن يكون عليه المسلم ، وليست دائرة الوعظ من اختصاص كتابه .

وكتابة المؤلف طرق لباب جديد فى الأدب ـ ينبغى أن تكون معايير الدين فيه مأخوذة فى نقد الأبيات المتصلة بالدين ، فليس الدين أقل منزلة من « الممدوح » ومن الممدوحين من سخط على مادحه حين تعدى حدود اللياقة . وهذه اللفتة ما كان ينبغى أن تفوت المؤلف حين ساوى بين بيتى الساعاتى وابن حجة الحموى .

قال الأول فى مدحة نبوية :

قالوا : هو البدر ، والتفريق يظهر لى
فى ذاك نقص ، وهذا كامل الشيم

وقد عارضه الساعاتى بقوله :

قالوا : هو الدهر ، قلت : الفرق متضح
فى الدهر غدر ، وهذا حافظ الذمم

ولا يمكن أن يواجه شاعر رسول الله بقوله : فى الدهر غـدر ويرضى عنها رسول الله بعد أن قال عن ربه : فى حديث قدسى : يؤذينى ابن آدم يسب الدهر ، وأنا الدهر بيدى الأمر ، أقلب الليـل والنهار ، رواه الشيخان .

وللشعر فى الرسالة موضوع .

فقد آثر المؤلف أن يلقى لبعضهم شعره فى سلة الهامش مع ماله من قيمة فى موضوع الكتاب ، وعدم خروجه مطلقا عن دائرة الموضوع ، وليس أصحابه ـ فوق ذلك ـ بالزهد بين الشعراء كما وقع ص ٢٤٢ ، ٢٧٥ .

وأهمل قصيدة مصطفى صادق الرافعى حين كتب (أى المؤلف) عن السفور والحجاب وموقف المعارضين بالذات والقصيدة بعنوان « التبرج » وتقع فى تسعة وثلاثين بيتا طبعت بمطبعة الشعب لصحيفة الحال وصدرت بمقدمة اشتملت ست صفحات بدأها المرحوم الرافعى بقوله :

دلالك فى التبرج من ضلالك
وما عاب الدلال سوى دلالك

ومنها :

أهذى مشية الخفرات ، أم قد
غدا الشرف المفدى فى نعالك

. . الخ

والرسالة ـ بعد ـ لا تعطيك تقييما فنيا لكل أديب فى هذا الباب ، وإنما اكتفت بالجمع والحكم فى باب مستقل كما مرت بالتراجم فلم تعطها عنـاية فإما ترجمة يسيرة . وذاك قليل نادر ، أولا ترجمة أصلا وهو الكثير الشائع .

ثم هى ـ بعد تلك الملاحظات خططت لموضوعها بعناية وألمت به فى بابه فشقت طريقا فى الدراسات الأدبية إلى معالم نافعة ومفيدة .

علي الخطيب

فتاوى مختارة

(الاجابة للجنة الفتوى)

السؤال :

حديث لعائشة رضى الله عنها :

أرسل إلينا السيد / محمد على حسن المغترب العربى بالبرازيل خطابا أوضح فيه أن الجريدة العربية التى تصدر هناك نشرت حديثا نسبته إلى السيدة عائشة رضى الله عنها ، قالت : كنت أنام بين يدى رسول الله وأضع رجلى فى قبلته فإذا سجد غمزنى فقبضتها وإذا انتهى من الصلاة مددتها .

وقد اتخذ المغرضون هناك هذا الحديث وسيلة للتعريض بالديانة الإسلامية فنرجو موافاتنا بالبيانات الوافية عن هذا الحديث والتفسير الصحيح له ؟

مدير إدارة العرب فى الخارج

الجواب :

الحديث صحيح ولا مجال لاتخاذه مطعنا فى الدين فإن الحديث يدل على سماحة الدين وجواز الصلاة فى فراش نومه وما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم مع عائشة لم يكن أمراً متكرراً ، ولم يكن فى فرض بل كان فى صلاة التهجد ليلا .

وكان السبب ضيق الحجرة وظلمتها فلم يتبين الرسول صلى الله عليه وسلم مكان سجوده ، وعائشة كانت نائمة فلم تدر أن رجلها تقع موضع سجوده عليه السلام فكان الرسول ينبهها لذلك فتقبض عائشة رجلها ليتمكن عليه السلام من السجود .

وفى تلك الحادثة تشريع لجملة من الأحكام منها جواز الصلاة فى الفراش وأن لمس المرأة لا ينقض الوضوء ، وقد أخذ بذلك بعض الأئمة وأن هذا العمل الميسور فى الصلاة لا يبطلها والله تعالى أعلم .

السؤال :

الذبح باستعمال الآلات الحديثة :

هل يجوز فى الذبح استعمال الآلات الحديثة كالماكينات أو غيرها من الوسائل المستعملة فى السلخانات الآلية ؟

السيد / همايون كبير
وزير البترول والكيماويات بالحكومة الهندية

الجواب :

لا مانع شرعا من استعمال الآلات الحديثة فى الذبح من الماكينات وغيرها متى كانت محددة مسيلة للدم كالسكين ونحوه وكان الذبح فى موضعه المعروف شرعا ، ولم يكن إزهاق الروح بها بخنق أو نحوه ، واستعملها من تحل ذبيحته من مسلم أو كتابى ، لما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم : « ما أنهر - أسال - الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا ليس السن والظفر » .

فكل محدد أسال الدم من سكين أو حجر أو خشب أو ليطة - قشرة القصب - داخل فى عموم الحديث بل إذا كانت الآلات الحديثة أحد وأسرع فى الذبح كانت أولى بالاستعمال لأنه من باب الإحسان والرفق بالحيوان والله أعلم .

السؤال :

الشيوعية الملحدة :

راجت فى هذه الآونة فكرة يقال : إنها تقف فى وجه الشيوعية الملحدة وهى :

أن الإسلام يجعل مجرد الانتساب إلى الدين كافياً وحده للنجاة ، بل يجعل النجاة مرتبطة كل الارتباط بالإيمان والعمل الصالح بقطع النظر عن الدين الذى ينتهى إليه المؤمن .

ووضع الإسلام للجميع مقياساً واحداً للتقرب من الله واستحقاق ملكوته وإن ذلك المقياس يتلخص فى كلمتين : الإيمان والعمل الصالح ، فكل من آمن بوجود إله أياكان تصوره للإله وعمل صالحاً فى هذه الدنيا فله أجره عند ربه سواء فى ذلك المسلم أو المسيحى أو اليهودى أو الوثنى ...

فما مدى ذلك من الصحة ؟

وما مدى الارتباط بين قوله تعالى : « إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذاباً مهينا » . وبين قوله تعالى : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .. محمد سيد أحمد المسير

الجواب :

أولا : إن القول بأن اعتقاد أى دين من الأديان السابقة على الإسلام يكفى فى النجاة بدون الإسلام قول مفترى ، وضلال ، فإن الإسلام يدعو إلى الإيمان بالله وحده ، والتصديق بملائكته ، وكتبه وجميع رسله واليوم الآخر .

وقد أرسل محمد - صلى الله عليه وسلم - خاتم المرسلين وجاء بالقرآن مهيمنا على جميع ما سبق من الشرائع : « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب - الكتب - ومهيمنا عليه » ، « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً » .

فالقول بأن غير الإسلام يكفى فى النجاة قول باطل : « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

فالمقياس الذى جعله الإسلام مقياساً للقبول والنجاة هو ذلك الإيمان الحق بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله إلى آخر ما تقدم .

والعمل الصالح إنما يعتد به ، ويكون عملا صالحا إذا اقترن بالإيمان القلبى بجميع ما سبق .

ثانيا : أما ما يتعلق بالآيتين اللتين ذكرتهما فالآية الأولى منهما : « إن الذين يكفرون بالله ورسله ... الآية » واضحة فى ضرورة الإيمان بجميع الرسل وبما جاءوا به حتى يتحقق أصل الإيمان ولا يمكن أن يتحقق أصل الإيمان ببعض ذلك دون البعض الآخر ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ... أولئك هم الكافرون حقا » .

والثانية : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى .. الآية » ، القصد منها فتح باب القبول أمام جميع الملل وأرباب الديانات الأخرى ، وأن من دخل منهم فى دين الإسلام وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدق برسالته فهو مؤمن مقبول ولا خوف عليه بما فرط منه قبل الإسلام ؟

شمس الدين محمود

في محيط العالم الإسلامي

إذا عز العرب عز الإسلام :

● كان من أنباء العالم الإسلامي في رقعته العربية . نبأ الاجتماع الحافل في الدار البيضاء لأقطاب العرب في مؤتمرهم الثالث ، وفيه وقع أقطاب العروبة ميثاقا دعم التضامن العربي ، وصدرت قراراته التاريخية لتحرير فلسطين ، وتوحيد الدفاع عن قضيتها ، ومقاومة دسائس المستعمرين ، وأبواق الصهيونيين وتدعيم القيادة الموحدة ، وتدعيم منظمة تحرير فلسطين ، واستكمال جيش تحريرها مع المضي في مشروعات استثمار نهر الأردن . .

وقد سادت المؤتمر ودوائره المختلفة موجة ارتياح عقب توقيع هذا الميثاق . وقالت الدوائر المطلعة : إن التعهد بمواصلة العمل في مشروعات مياه الأردن لإحباط مشروعات إسرائيل لتحويلها كان من أهم قرارات المؤتمر .

● ومن القرارات التي كان لها دوى ارتياح في نفوس العرب بما قوته من روابط ، وفي نفوس المسلمين بما أزالت من خلاف قرارات قضية اليمن في اتفاق جدة ، وقد تم فيها اتفاق بين السيد الرئيس جمال عبد الناصر وأخيه جلالة الملك الفيصل تضمن تسع نقاط في صالح اليمن ، مستقبله ، وشعبه ، وتتعاون فيه الجمهورية العربية المتحدة . والمملكة السعودية على تنفيذ الاتفاق ، وإمداد العمل من أجله بكافة التسهيلات التي تضمن نفاذ الاتفاق ، وجاء في البيان الرسمي :

ولقد كانت الأهداف الكبرى التي توخاها جلالة الملك فيصل ، والرئيس جمال عبد الناصر طوال المحادثات بينهما للتمكين للإرادة الحرة اليمنية ، وحماية المكاسب الوطنية للشعب اليمني ، وتوفير الاستقرار على الأرض اليمنية لكي يستطيع شعبها المجيد أن يبدأ عملية بناء حياته شرقا ، وتقدما لنفسه وللأمة العربية كلها .

● تلقى « دار الحديث الفقهية – مدرسة المعلمين الإسلامية العليا » بـ « ما لانغ » أندونسيا نجاحا كبيراً في أداء رسالتها الإسلامية في هذا الوطن الإسلامي الكبير حيث تهتم بالطلبة الوافدين من مختلف أنحاء أندونسيا ، وفيه يتلقون المعارف الإسلامية بجانب مناهج تربوية تؤهلهم للعمل المثمر للإسلام .

وقد أسس هذا المعهد المغفور له الأستاذ الإمام السيد عبد القادر بن أحمد بلفقيه العلوى رحمه الله وهو أحد المجاهدين الوطنيين في أندونسيا ، وبطل من أبطال الإسلام والإنسانية ، وقد أذاع (راديو) أندونسيا نبأ ذكراه الثالثة مصحوبة بكلمة تقدير ، وحضر حفل ذكراه السيد سفير الجمهورية العربية المتحدة بجاكرتا .

● في ملحق لمجلة « المشيخة الإسلامية العليا » بيوغوسلافيا قال الأستاذ حسين جوزو في نهاية مقاله في تفسير قوله تعالى : « وإذ قال موسى لقومه ياقوم إنكم ظلمتم أنفسكم ... الآية – : إن العرب والمسلمين لم يضطهدوا اليهود لأنهم اليهود ؛

بل لم يضطهدوهم على الإطلاق، ولكن لما كثر اعتداء اليهود على العرب والمسلمين سراً وعلانية، لم يبق بد من دفع الاعتداء، ولقد دفعه العرب بالحسنى أيضاً، وبالحق وأما الذين يعرفون تاريخ اليهود فى فلسطين فإنهم يعلمون ما يكن اليهود للعالم من الحقد، وما يضمرونه من إثارة القلاقل، والإفقار، وإضاعة الأخلاق.

● قال الدكتور ريتشارد دول الطبيب الأمريكى: إن مرض السرطان فى الرحم غير موجود عند نساء المسلمين واليهود الذين يتخذون الختان لذكورهم.

وقد حمل هذا أحد علماء أميركا أن يطالب ويقترح على العالم أن يقرر وجوب إجراء الختان لكل ذكر بينما يقرر الدكتور كريستيا ديكرس الخبير البلجيكى أن مقاومة السرطان والعمل على إزالته وتخفيف خطره من الأمور الممكنة، وأنه يوصى لكل ذكر أن يتخذ الختان.

● شغلت أنباء القتال بين الهند وباكستان بشأن كشمير ـ الرأى العام فى العالم عامة، والعربى الإسلامى خاصة، واستغلت الدول المغرضة الموقف لتنال من ورائه مكاسب خاصة على أن الشعب كشمير نفسه رأيا فى مصير بلاده ينبغى أن يكون فى الاعتبار الأول، وقد ترددت أنباء من باكستان أن أهالى كشمير أنفسهم كونوا مجلساً أعلى يسمى بمجلس الثورة تألف من شخصيات كشميرية تجمع بين مختلف العلم والثقافة والقيادة الحربية، كما تألفت فرق لشن حرب العصابات تسعى لاستخلاص حقوق البلاد.

والعالم الإسلامى خاصة يرجو لتلك القضية حلا سلميا يرضى الأطراف المتنازعة، ويحقق رغبة مواطنى كشمير أصحاب الحق الأول والأخير فى بلادهم. وقد أذاع الأستاذ الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر بياناً فى هذا النزاع جاء فيه:

وإذا كانت السياسة قد اتسعت قديما لتقسيم الوطن الكبير إلى دولتى الهند وباكستان، فإن من تمام الرشد، سماحة الاتفاق على هذا القدر اليسير من كشمير لتعيش الدولتان فى طمأنينة استقرار، وتراحم جوار.

● يبدأ تنفيذ مشروع إقامة المعارض الإسلامية الذى نظمته إدارة العلاقات العامة بوزارة الأوقاف بمولد سيدى عبد الرحيم القناوى فى قنا الذى يحتفل به ليلة النصف من شهر شعبان المقبل، ثم ينتقل المعرض خلال ليالى شهر رمضان المعظم فى جميع محافظات الجمهورية، وستضم هذه المعارض تسجيلا وعرضاً للمصحف المرتل والتواشيح والأغانى الإسلامية والكتاب الإسلامى، واسطوانات الوضوء والصلوات الخمس وشعائر الحج، كما ستعرض الأفلام الإسلامية وستقوم الفرقة المسرحية الإسلامية التى شكلتها وزارة الأوقاف بتقديم مسرحيات عن قصص البطولة فى الإسلام، وعرض للتاريخ الإسلامى وفق مصادره الصحيحة، وقد وافق المهندس أحمد عبده الشرباصى نائب رئيس الوزراء على ألا تقتصر رسالة المعرض على الجمهورية العربية المتحدة بل تشمل بلاد العالم الإسلامى كله؟

على الخطيب

News From the Muslim World

☆ An Islamic Conference was held in Alexandria under the auspices of the Supreme Council for Islamic Affairs. It was attended by six thousand (6000) muslim students representing 75 countries. The Conference was addressed, among others, by H.E. Ahmed Abdu Al Sharabasi, Deputy primeminister for Al-Azhar Affairs, Sheikh Ahmed Hassan Al-Baquri, Rector of Al-Azhar University and Mr. Muhammad Tawfik Oweida Secretary General of the Supreme Council for Islamic Affairs.

They spoke about the role to be played by youth in building the Islamic Society.

They also spoke about the unity of Islam and Muslims and the heroic role played by the U. A. R., under president Gamal Abdul Nasser for the welfare of Muslims and the realisation of peace and the freedom of all people.

☆ The Arab Kings and heads of state held their third summit Conference in Casablanca. The most important outcome is the charter for the strengthening of Arab Solidarity and the struggle against the zionist-imperialist plan. The Charter Contains the following points :

1— The Solidarity of the Arab Countries in the service of the Arab Nation and the case of palestine in particular.

2— Respect for the systems of Goverment in every Arab Country, and the compliance with all constitutions which stipulate non-interference in the internal affairs of any Arab country.

3— Respect for international laws in accordance with the laws of every country relating to the right of political asylum.

4— Discouragement of any coup whatever their nature may be.

5— The Arab press must assume its duty in the service of Arab causes and Palestine. In other words to stop once and for all the exchange of press compaigns among Arab countries.

6— A revision of Press Laws in all Arab countries to stop the recurrence of press campaigns.

☆ The peace Agreement which has been concluded in Jeddah between president Nasser and King Feisal, is a Shining example of Arab Solidarity and care for Arab relations. King Feisal's visit to the U.A.R. which followed the Jeddah peace Agreement, Consolidated the bonds of friendship and brotherhood between the U.A.R. and Saudi Arabia. President Nasser and King Feisal agreed to resume meetings and visits between the U.A.R. and Saudi Arabia as a means of strengtheninb bilateral relations and fortyfyin the general Arab Struggle.

☆ King Feisal has issued a decree rasing all restrictions on travelling from Saudi Arabia to the U. A. R. Previous to that president Nasser himself abolished restrictions on travellers from the U. A. R. to Saudi Arabia.

☆ The delegation of Al-Azhar University Signed during its recent visit to Hungary an agreement with one of the foreign trade companies to supply Al-Azhar University with the Scientific instruments required for Al-Azhar's Scientific Colleges.

a tree, he rested under it for a while and then went on in his way.

His austere manners were not due to want or poverty but a concomitant to altruism; thus setting an example to be followed by his poorer companions. He was quoted as saying, "God offered me as much wealth and Gold as Mecca's desert would hold, but I refused. If one day I feel hungry I shall pray to you and glorify your name, if I am content I shall express my gratitude to you".

His wives fell in two groups, but all lived in peace and harmony. Sometimes, jealousy brought them into trouble; but Muhammad, through his impartiality and tender care, used to set things right without violating a religious rule or principle.

Once it happened that all his wives appealed to him to improve their conditions and to be more generous to them as rich people do. He was so angry with them that he deserted them for nine months and 20 days. Then God ordered him to tell his wives to accept their status quo and to think only of the next life. God rewarded them in the following terms, "It is not permitted thee to take other wives hereafter, nor to change thy present wives for other women though their beauty charm you". 33:52

Again, two of his wives divulged a secret entrusted to them by the Prophet. God warned them not to do such a thing again. He says, "If ye both be turned to God in penitence, for now have your hearts gone astray, God will pardon you. But if ye conspire against hte Prophet, then know that God is his protector and Gabriel and every just men among the faithful and the angels are his helpers besides. Haply if he put you both away, his Lord will give him in exchange other wives better than you, Muslims, believers, devout, penitent, obedient, observant of fasting, both known to men and virgins". 66 : 5

Muhammad's family life can be written in volumes, since there are aspects of this life that illustrates his perfection, purity and piety which are the cornerstones of family happiness.

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » . (التوبة : ١٢٨)

" There hath come unto thee a messenger, (one) of yourselves, unto whom aught that ye are over burdened is grievous, full of concern for you, for the belivers full of pity, merciful ". (IX : 128)

when these battles came to an end, he did not marry. This, however, is an undisputable proof that his polygamy was due to certain circumstances created by war; each of his marriages had a high moral purpose.

Muhammad lived at Mecca until the age of fifty-one. Then he moved to Medina and lived there until his death at the age of 63. Therefore, he had two houses, one in each of these two cities.

He stayed at his first wife's house in Mecca until he emigrated to Medina. In Mecca Khadija gave birth to all their children, 2 sons and 9 daughters.

His daughter Zeinab married her cousin Ibn El Aas; Rokeya marr (Utba ben Abi Lahab and his brother Utaiba married the third daughter Um Kolthom; this took place before God chose Muhammad to be a prophet. Rokeya and Um Kolthom were divorced and returned to their father's home. In this connection God says "Let the hand of Abu Lahab perish, and let himself perish!"

Othman - who had become the 3rd Calipha later on - married Rokeya. both emigrated to Abysiinia, Thus only Muhammad, Khadija and their two daughters Um Kolthom and Fatima stayed at Medina.

Khadija died three years before the Hijra. Then Muhammad married Sawdah. Later on, he emigrated to Medina with his family. He, after building a mosque, built a house for Aisha' southeast the mosque ; he also built a house for Sawdah and for his other wives later on.

El Suhayli the historian, said that Muhammad's houses were nine; some were built of mud and some of stones. All these houses were annexed to the Prophet's Mosque during the rule of Umar ben Abd El Aziz.

Muhammad's bed was so simple; he used to sleep on a mat, on the ground or in bed.

His life was simple; he devoted his efforts to the spreading of God's message and to the guiding of his people to the right path. He devoted his life to the good of mankind.

On the Seventh Year of Hijra, the ruler of Egypt at that time Presented Mary as a wife to Prophet Muhammad. He married her and she gave birth to his son Ibrahim in the 8th year of Hijra; he died when he was two year old.

Muhammad had a number of servants, but he was very modest and he never abused them. Anas says, "I served Muhammad ten years during which he showed no impatience.

When "Aisha" was asked about his behaviour at home, she said that he was very tender. It was reported that he used to mend his clothes, shose and to depend on himself in discharging his own affairs. When he had time, he used to hold meetings to listen to the complaints of his people and to solve their problems. He was in direct touch with his followers.

Once he said, I have nothing to do with this world. I am just like a horseman travelling on a hot day. On seeing

Prophet Muhammad's Family Life

By Dr. Gamal El Din El Ramadi

If one tries to study the family life of historical heroes and social reformes, one may find weakness or injustice, surrender and submission, violence and fierceness as well as rashness. Muhammad's life was unique; at home, he was tenderly just, manly perfect, and considerate.

He treated his family in a noble way, respected all its members, and dealt with them tactfully.

We can divide his family life into four periods:

THE FIRST PERIOD:

This period covers 25 years, i.e. the period before his marriage. It provides a concrete evidence against those who claim that he was obsessed by voluptuous desires. If that was true, he would not have been able to control his sexual desires for 25 years. Through this stage his life was characterized by piety and purity that made the tribes call him Al Amin "the trustworthy". His enemies later on, did not find fault to be a handle of attack against him. In his book "The Life of Muhammad" Sir William Muir said that all references he had read spoke highly of Muhammad's behavionr during his youth.

THE SECOND PERIOD:

In this period, Muhammad lived for 29 years with Khadija, his first wife, until the age of 54. When he married Khadija, she was 15 years older. His life with her was sincere and pious until she died. After her death he married an old lady called "Sawdah" who had been the widow of one of those Muslims emigrated to Abyssinia after being persecuted on account of their faith.

THE THIRD PERIOD:

The third period in Muhammad's life opens with the 2nd gear of his Hijra "emigration" when the conflict with Quraysh and other tribes started. This led to the death of a large number of men. This series of battles lasted until the 8th year of the Hijra. During this period, Muhammad married more than one. The motive behind his polygamy was sympathy and tenderness rather than voluptuousness. Each marriage was effected under political circumstances or religious and social motives.

THE FOURTH PERIOD:

It was in the 8th year of Hijra that the Muslims conquered Mecca; this put an end to the civil strife. The situation was back to normal despite som minor disturbances. From this year until the 10th of Hijra, which marked the death of Muhammad, he did not marry again.

Yet, before the battle with Quraysh, Muhammad married only Khadija, and

In such a statement, Abu Bakr has placed in juxtaposition his previons occupation as a trader and his new responsibilities as a Caliph. Both, in his view, are occupations and sources of income, both are "'amal" and the one who follows either is a "'amil" even though the nature and the rank of the two occupations be quite different.

Abu Muslim al-Khawlani also expressed this attitude when he said to the Caliph Mu'awiyah Ibn Abi-Sufyan: "Farewell, Oh hireling!" Mu'awiya's court asked him to say "Farewell, Oh prince!", but he repeated once more "Farewell' Oh hireling!" Mu'awiya then said to his court: "Leave Abu Muslim alone, he knows best what it is he says".

Then Abu Muslim said to Mu'awiya: "You are the hireling whom the Master of these sheep has hired! If you cure their mange and treat their sickness and gather together their vanguard with their rearguard, then their master will pay you, but if you do not, then He will punish you,

Thus, we can essay the initial definition that every Muslim who earns a living is a amil no matter whether his occupation he high or low. True, the higher one's occupation is in rank and value, the higher it carries his status as a "amil". Even so, however high it becomes, it never carries him beyond the definition of the term.

(From page 10)

instead, assaulted the peaceful Arabs in the country which gave them refuge and applied on them the worst kinds of torture. They killed women, children, and the aged; they dispersed millions of Arabs; attacked houses of worship; bombarded the holy Rock and wiped out mosques and graves without fear or reproach.

Gentlemen :

The Israelites talk about the balance of power in the Arab East while our usurped country is inhabited by nearly two million Israelites as against nearly inhabitants in the Arab world. Again, the Jews totals number ts 15 million inhabitants as against 500 million Muslims and Arabs; what kind of balance of power is that which makes a handful of people blance a multitude ?.

Have we become so insignificant as to weigh fifty, or one hundred Muslims against one Israelite ? God has led Muslems to victory when they were in small numbers, against their great hosts of enemies.

When we follow the spirit of Islam, its generous principles, kind and charitable teaching when our hearts are united and we stand together like a solid monument, God will lead us to victory and destroy our enemies.

May God unite our thoughts, purify our hearts, lead us to victory against our enemies and not hold us responsible for the deeds of those among us who are led astray.

Peace be upon you.

THE MEANING OF "AMAL" IN ISLAM

By : M. Gamaluddin Ayyad

According to the Arabic lexica, the term "amal" (عمل) means both a man's deeds and his occupation. A person who eats, drinks, fasts, or says his prayers, is thus said to be a "amil" (عامل) in the first sense, in regard to the deed which he performs; he who occupies a job in order to earn a living is, likewise, called "amil", but in the second sense.

While every occupation is a series of deeds, not every deed or group of deeds is necessarily an occupation. When people eat they perform a deed without receiving wages for it, but when they work in fields or markets, they both perform deeds and earn a living at the same time.

It is obvious, therefore, that the main difference between an occupation and a deed is that the first is often a source of income and the second is often not. But when a deed, which is ordinarily a mere act, becomes a constant source of income, it then acquires the status of an occupation. A man who volunteers, for instance, to lead the prayers or to deliver an address in a mosque performs a deed; but when he is paid for leading daily prayers and delivering Friday speeches, the act of leading the prayers, or delivering an address, will then become an occupation.

The term "'amil" is used in the Qur'an and the Hadith in both meanings, that is to say, the deed which is not a source of income, and the occupation which is.

The usage of the term "'amil", in the second sense as one who earns a living through an occupation, and it should be noted that it is the latter meaning around which our thesis revolves, was not confined during the age of the Prophet and the caliphs to hirelings and labourers but was used also to indicate some employées of high rank in the Islam state, such as the wali or the governor of an Islamic province.

It was even used to indicate the Caliph himself, the head of the Islamic state, as is shown in the following tradition: "That which I leave", says the Prophet, "beyond that which is sufficient to support my widows and my "'amil", is an alm". The term "'amil" [in this tradition, according to al-Qastalani, al-Nawawi and Ibn Hajar, means either the man who is employed to administer the "Wakf" (الوقف), or the man who succeeds the Prophet in the capacity of a Caliph. Abu Bakr used "ista'maltu" (استعملت) ('I have appointed as a 'amil) instead of "istakhlaftu" (استخلفت) (I have appointed as a Caliph, a successor) to indicate that he has chosen Umar, as a Caliph after him. He justified his taking a salary from the treasury upon being chosen as the first Caliph by saying: "All Muslims know that my previous occupation (as a trader) was quite sufficient to support my family. I am now obliged to engage myself fully in the affairs of the Muslim community, and so my family will be provided for from the treasury".

and I will overthrow the chariots, and those who ride in them, and the horses and their riders shall come down, everyone by the sword of his brother ".

In the Book of Zechariah we find " In that day will I make the governors of Judah like an hearth of fire among the wood, and like a torch of fire in a sheaf ; and they shall devour all the people round about, on the right hand and on the left.

In the Book of Jeremiah : " Then the Lord put forth his hand, and touched my mouth. And the Lord said unto me, Behold, I have put my words in Thy mouth. See, I have this day set thee over the nations and over the kingdoms, to root out, to pull down, and to destroy, and to throw down, to build, and to plant ",

Gentlemen :

These are the sinister intentions of the enemy which stifles us, and occupies a spot of the earth which is dear to the hearts of all Muslems and Arabs. Our enemy has a past full of evil and transgression, a present armed with fire and iron ; it is an enemy who threatens us ruthlessly.

What are we going to do about that ? What is our attitude, whether in the past or now ?

God is our witness, that we have never been anti-semitic. Judaism is essentially a living, heavenly inspired religion. The Jews are among the people of the Book and Islam has always safeguarded their rights. It is a true fact that throughout our history, we have never oppressed the Jews. If any of them were ever severely treated, it certainly was in the form of punitive or corrective measures.

Their history in the West however, abounds with revolutions, and uprisings, pro and anti ; but even though this is not the subject of this paper, there are two points which need clarification :

1 — The Islamic World has always been a refuge for the Jews even during the Occidental persecution era. They have lived in Islamic cities from Bagdad, to Cordova in perfect peace. Their commerce, transactions and studies have flourished under the protection of Muslims, and when the Inquisition persecution became unbearable in Spain during the 15th century A.D., most of the Jews emigrated to North Africa where they established themselves and became wealthy. Many of their descendant from Spain and North Africa became philosophers and scholars. Before Palestine was plagued with criminal Zionism, the Jews had a decent and wealthy existence.

The second point I want to clarify is that the Jews have not been grateful to either the Christians, or the Arabs ; on the contrary, they have gloated in evil, and their old and new hatred they had for the Occident was turned against the Arabs who had fed them when hungry and protected them from danger.

The Nazi persecution was no lesson for them, and they did'nt learn from the human tragedy of racial discrimination how to broaden their horizon and develop their humanitarienism. They have

(continued on page 12)

disappearance of Judea in 586 B.C. the Jewish rule would have lasted 414 years, whereas the Roman rule would have covered 677 years, and the Islamic rule, 1300 yearswith the exception of 200 years during which the Crusaders were in power over part of the country.

Thus, the three bases on which the children of Israel built their argument to prove their rights from an historical point of viow are undermined.

The historical right itself is basically annulled. We can see, for example, that Muslems have ruled Andalusia for nearly 800 years, that is double the time that the Children of Israel have ruled Palestine. Would the Spanish people, under existing circumstances aceept to have the Arabs back in Spain ? It is worthy to note in this respect, that the Arabs left in Spain a great cultural heritage, highly praised by historians, whereas there is not one single cultural trait left by the Children of Israel in Palestine.

On the other hand, what about the danger threatening Arab and Islamic countries and the sinister plans of the Children of Israel ? they hope to lay their hands on our country stretching from the Nile to the Euphrates, or even from the Ocean to the Gulf. Their policy aims at raising an army of men and women, young and grown ups, who would get hold of our land but by bit, who would destroy our villages and towns, our mosques and worship buildings, and annihilate our children and belongings. This has been clearly proved by their aggression against the U. A. R. in 1956, with the help of two imperialistic countries, and their proclamation that they would not give up the land they have occupied. Fortunately, God has sent an Egyptian Arab leader who has plodged himself to the service of God and homeland, led his nation to victory and forced the aggressors to a disgraceful withdrawal from the country.

The Children of Israel, however, are imbued with an aggressive spirit inspired by their religion which spurs them towards a war of annihilation, fills them with a superiority feeling over humanity as a whole, and induces them to overcome all other nations. Here is the proof in the Book of Genesis : "In the same day the Lord made a covenant with Alram saying, Unto thy seed have I given this land, from the river of Egypt unto the great river, the river Euphrates ". Again, in the Book of Isaih : " Lift up your eyes to the heavens, and look upon the earth beneath : for the heavens shall vanish away like smoke, and the earth shall wax old like a garment, and they That dwell therein shall die in like manner : but my salvation shall be for ever, and my righteousness shall not be abolished ".

We also find in the same Book : " And strangers shall stand and feed your flocks, and the sons of alien shall be your plowmen and your vine dressers ". " But ye shall call you the Ministers of our God : ye shall eat the riches of the gentiles, and in their glory shall ye boast yourselves ".

In the Book of Hosea we find : " I will shake the heavens and the earth ; and I will overthrow the throne of kingdoms, and I will destroy the strength of the kingdoms of the heathen,

Palastine and Israel

By : Dr. Ishaq Musa Al-Husainy

(CONTINUED)

As to God's promise that the Israelites would return to Palestine their own God has cancelled it because of their evil-doings. Thus we find in the book of Numbers: "And the Lord said unto Moses, How long will this people provoke me ?... I will smite them with the pestilence, and disinherit them ... Doubtless, ye shall not come into the land, concerning which I swear to make you dwell therein, save Caleb the son of Jephunneh, and Josua the son of Nun. But your little ones, which ye said should bo a prey, them will I bring in, and they shall know the land which ye have despised. But as for you, your carcases, they shall fall in this wilderness. And your children small wander in the wilderness forty years, and bare your whoredoms, until your carcases be wasted in the wilderness.

God helped the Children of Israel to enter Palestine and establish a kingdom there. But they were no better than their ancestors who had been driven out of it.

In 600 B. C. they were cursed by God for indulging in evil deeds, so they forfeited the priviledge and lost the Promised Land. Thus we can see that God's promise had been fulfilled with the rise of kingdom of David and his son Solomon, the kingdom which ended in slavery, and was wiped out forever with the coming of Christ who predicted the disappearance of the Temple." And as he went out of the temple, one of his disciples said unto him, master, see what manner of stones and what buildings are here . . And Jesus answering said unto him, Seest thou these great buildings ? there shall not be left one stone upon another, that shall not be thrown down." And ever since, the temple of Jerusalem has not been rebuilt.

The Israelites "kingdom in Palestine was, according to the Old Testament, the worst kingdom that existed in history ; thus we find in the Book of Ezekiel: "Thus saith the Lord God: This is Jerusalem : I have set it in the midst of nations and countries that are round about her. And she hath changed my judgement into wickedness more than the nations, and my statutes more than the countries that are round about her: for they have refused my judgements and my statutes, they have not walked in them."

The kingdom of David and Solomon lasted forty years under each one of them. After that it fell apart, a prey to discord, and since then, neither Israel nor Judea enjoyed real independence.

If we presumably admit that the ancient Jewish kindgoms were permanently independent, from the time David conquered Canaan in 1000 B.C. up to the

disbelivers in truth., and for disbelievers we prepare shameful doom. But those who believe in Allah and His messengers and make no distinction between any of them unto them Allah will give their wages, and Allah was ever forgiving, Merciful). (4: 150, 151, 152)

After establishing the necessity of belief in all prophets imperatively, the Quran declares that all believers are one community.

« وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ، فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً ، وكل حزب بما لديهم فرحون»

(And lo! this your religion is one religion and I am your Lord, So keep your duty unto Me. But they (mankind) have broken their religion among them into sects, each group rejoicing in its tenets). (23: 52, 53)

The above Quranic verses call the believers to work for communal amity and harmony. In this way Islam aims at to establish unity, equality and brotherhood in humankind, through different means. All those means should be based on the idea of the peaceful spreading of Islam.

It is reported that the first introduction of Islam into Europe was the work of a muslim scholar who was taken prisoner in one of the wars between the Byzantines and the muslims. But we can not forget the muslims bigots and fanatics who ignored the high ideals of Islam and spirit of the Quran. The spread of Islam should be done on the example of the Prophet. There is not the least ground for the allegation that Islam was propagated by force and no war is permitted against non-muslims by the Quran or traditions.

A Single instance is not recorded in the whole history of the Prophet showing the conversion of an individual to Islamic faith under the pressure of the sword. As we not find any instance of an expedition being undertaken by him to convert unbelievers. It is the nature of Islam to face the realities of life because the true religion is to follow mans original nature.

This is clear in Islam's attitude to war and fighting. While it stresses peace as an ideal towards which muslims should strive as indicated in the very name of Islam, it permitted to muslims to conducting of war when the liberty of their faith and freedom of worship were threatend or they were actually attacked.

Islam, therefore, puts certain rules which govern both the causes and the conduct of wars. According to the strict instrictions of the Prophet Muhammad and his succors to their army personal, it was forbidden to kill women, children, old an weak people, priests and monks. They did not allow their forces to kill animals and cut trees even some muslim Jurisprudents prohibited enemy horses in the batle field. The prophet strictly prohibited any kind of mishandling of enemy women. In the Islamic point of view fighting is not the thing to be liked and sought and the peace should be clung to as far as that is possible. This great human idea of a true Muslim is embodied in the following verses of Quran:

« كتب عليكم القتال وهو كره لكم » (٢١٦ البقرة)

(Fighting is enjoined upon men, although it is something disliked by them). (2: 216)

« وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » (٦٢ الأنفال)

(But if they lean towards peace, you also lean to it (peace)). (8: 62)

ISLAM AND LIFE

(2)

By: *A. M. Mohiaddin Alwaye*

Universality of Islam :

The Quran declared the Universality of Islamic faith in the following verses :

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »

(And we have not sent you but as a mercy to the worlds). (21 : 107)

and : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً »

(And we have not sent you but as a bearer of good news and as a warner to all mankind). (34 : 27)

and : « قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً »

(Say : O ! mankind : Surely I am the messenger of God to you all). (7 : 158)

Thus the Holy Quran stated that the message of the prophet Muhammad is general to all nations till the end of this world. Those early muslims ardently belived that they were doing a great service to other people by guiding them to a faith that secures for its adherents the happiness of the two worlds. Although they were ready to give up their lives for propagating their faith, but they were carrying on that duty by preaching and Conveying the peaple the message of God in peaceful way.

The use of force in the spread of Islam is Contrary to the very spirit of Quranic principles. As an out come of the Universality of Islam it was Carried out side boundaries of Arabia through different means ; but all those means were based on the idea of the peaceful spreading of religious faith. The prophet put this general call into practice by sending envoys Carrying the message of Islam, firstly to Arabian chiefs in the different parts of Arabia and then to the rulers of other countries.

Religious tolerance :

« لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » .

(There is no compulsion in religion, the right direction is henceforth distinct from error. And he who rejects 'satan' and believes in Allah grasped a firm handhold which will never break. Allah is Hearer and Knower). (2 : 256)

In this verse Quran declares that there should be no compulsion in religion. The Quran repeats also that the belief in all prophets is an essential part of Islamic faith. As the Holy Quran says : "

« إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيما » .

(Lo ! those who disbelieve in Allah and His messengers, and seek to make distinction between Allah and His messengers, and Say : We believe in some and disbelive in others and seek to choose a way in between ; Such are

in every page, the Quran makes of truth the basis for its guidance, rests an knowledge and testimony of scholars, it warns against imagination which cannot replace true facts derides superstitions and old wives tales, sets a definite demareation line between the divine and the human, and sternly warns against pitfalls ; the Quran puts man in contact with God directly without mediator ; it leaves the door open for those who repent and ask him forgiveness. Is there any room then, for fallacies or superstitions in such a Book ?

Should the younger generation follow the true Sunnah which is the sum total of the theoretical and applied teachings of the Prophet, it would find that there is no trace in it of any fallacies or superstitions ; that it has no place for magic, fetishism, bedevilment etc. According to the Prophet, we should appeal to God only ; he never pretended to know the future or attempted to live above the level of his fellowman.

On the day his son Ibrahim passed away, it so happened that there was a sun eclipse which the peeple attributed to the death of the boy. Hearing this news, the Prophet hurried to the mosque, led the man in prayer, then addressed them saying : " The sun and the moon are heavenly phenomena. They are not eclipsed by the death or birth of any one. When you see an eclipse, remember God ".

The Prophet prayed and fasted, but never exaggerated in conforming with the commands of God. He led a Godly life, but never went to extremes in expressing his devotion but kept his poise and sedateness all the time. He was austere and asectic but never trespassed the normal bounds. All the blemishes we find now crept into Islam from nations with which it came in contact after the conquests.

I do hope our younger people would realize all this.

The Suppression Complex :

Repression is among the reasons that lead the young astray from religion.

I know many educated young people who do not observe religious rites because when they were young their fathers or teachers forced them to perform these rituals.

Instead of forcing these rites upon them, we showed preset our guidance in an appealing, interesting, persuasive way and refrain from applying stern measures except when necessary, and always within limits.

A father can induce his child to pray by giving him some extra money the school can give him higher conduct markes, we could make of the first day of Ramadan an occasion for rejoicing, and presents may be given to children who fast. We can ancourage children who help the poor by iucreasing their pocket-money etc.

The adolescents, however, need different persuasive methods. The scouts and sports teams should include the practice praying and fasting in their regulations. The force of persuation in this respect, is by for stronger and more effective than rewards, promises or threats.

Employees and workers who observe prayers and fasting should be given certain priviledges in the field of their annual leave, promotion, bonuses, etc.

Finally, I should like to point out that purification before prayer must be rendered easy so that whenever ablution is not within easy reach, other means (al tayammum) may be permitted so that the youth would get into the habit of praying and thus be automatically induced to avoid other moral deviations. Again, we should allow them to join two prayers into one when necessary ; that is bettar for them than not to pray at all when they are rushed in the struggle for work which is characteristic of this era. *(to be continued)*

sinking in a muddy spring) just as we see it setting in the Nile, although we are fully aware that it does not.

7 — To the cultured, youths, here is one more explanation showing, why they should not follow science blindly : I refer to verse 91 of Surah The Cave (Al-Kahf) again " Till when he reached the rising-place of the sun, he found it rising on a people for whom We had appointed no shelter thereform ". This verse was anomalous when people believed that the earth was flat and immobile while the sun revolved around it. How was it, then that God left (the people) exposed to the sun ? Again, how could it be so, although the Quran admits the existence of night and day ?

Nowadays, however, when the old theory was replaced by the one stating that the Earth is round, that its annual potation keeps one of its poles in permanent daylight and the other in total rarkness during several months of the year, the meaning of the above mentioned verse became clear.

This is one of the best examples that warns us not to be so rushy, as to reject religious statements because of their seemingly apparent incongruity.

Compreheneston simplified :

Simplifying the comprehension of religious teachings is one of the best means to attract youths towards observing the religious rites. These simplified teachings are not available, imfortunataly, either in homes or in schools. They way to religious teaching is blocked by the huge pile of books which startle the youths by their size, and are difficult to understand even by some scholars. The way is also blocked by the mental stagnation of some teachers and leaders who answer the questions and enquiries with anger and cursing and look upon any objections as anathema.

Here is an example of how difficult our religious teachings are for the Arabs.

The Quran, wherein God says to the Arabs : " We have sent it down as an Arabic Quran, in order that ye may learn wisdom " contains over one thousand Arabic words unintelligible to the Arabic speaking cultured youths who hear them night and day on the radio ... to say nothing of the non-Arabic speaking Moslims.

If we want an easy and effortless conveying of the religious teachings, we should furnish our youths with clear, simple, attractive books, we should provide them with broadminded, comptend teachers, well versed in educational Bsychology, and capable of coping with the modern youths of to-day.

The facilities we find in Cairo U.A.R. and some of the other Arab countries are not sufficient, many Moslems in Africa and Asia Know nothing of Islam, except its name. They are as much in danger of being exposed to the attaks of atheism as those who are living in the neighbourhood of Al-Azhar.

Culture versus superstition :

The cultured youths feel a repuynance towards religion because of the falacies, superstitions, fetichism etc, which stuck to Islam unjustifiably.

It is therefore imperative that the Academy of Islamic Research should free the religion from these blemishes.

If the youths read through the Quran, they will find that in every Surat, even

light of atomic laws ? power of gravity ? electricity ? all the history illasions which are robed in definite truths, opinion, and scientific theories which the progress of science has proved basically wrong, while others were partly altered. As science marches on, it uncovers the hidden secrets of nature, as we have witnessed with the theory of relativity.

Under the circumstances, the youths of to-day must not build their final opinions on religious matters on the basis of science, since the very theories which they use as arguments to prove their atheistic views might turn out to wrong, after all.

1 — *Examples of the power of reason in Islam* :

The existence of God as a Creator is an undeniable truth which has been stated in the Books of the living religions. Examined by reason, as commanded by God in many a Quranic verse, it is readily grasped by the mind. It is not the acceptance of the idea that arouses rational controversies, but rather its denial ; the latter makes of the effectively existing world a creation without a creator and that is a blatant, unacceptable contradiction ; it also makes the result responsible for its cause, and that also is a rational impossibility. The Quran refers to these two impossibilities when it says : "Were they created of nothing, are were they themselves the creators ?".

2 — Monotheism is one more truth mentioned in the holy Books. Its acceptance rationally presents no obstacles like the idea of polytheism.

3 — Refuting miracles is an anomaly, because belief in God implies belief in Hin as Creator of that laws of nature ; if a miracle is a breach of law, the creator of that law can surely break it at His will. Hence, it is wrong to say that it is impossible for God to do that.

I should like to montion here that miracles are not to be explained from a scientific point of view because such an explanation would be incongruous with the nature of miracles, as mentioned by Shaikh Abu el Nour al Mawzoun al Samarqandin his book.

4 — Resurrection, mentioned and ascertained in the Quran, is no more than a new creation, God who created man a first time can surly recreate him again . . .

On this subject, the Quran states ;

It is He who begins creation, then repeats it ; and for Him it is most easy.

5 — Al Isra'a is a miracle, He that laid the laws of nature can break them. Besides, through science, it is possible, now to cross the distance between Mecca and Jerusalem in a shorter time than did the Prophet Muhammad, God's blessings upon him.

6 — If, however, we meet a statement in the Quran which is rationally unacceptable, such as in verse 86 of Surah The Cave (Al-Kahf) mentioning "the man with the two horns" . . . . . "and he followed a road. Till, when he reached the setting place of the sun, he found it setting in a muddy spring . . " In such cases, an explanation becomes imperative, since the earth is definitely smaller than the sun, (the Sun being 1,300,000 times bigger) and the whole picture is thus impossible. Our predecessors did not fail to clear it up by saying that (the man with two horns saw the sun setting at the horizon, beyond the sea or some lake, as if it were

OUR CULTURED YOUTH AND RELIGIOUSNESS

By : Sheikh Nadim Al-Jisr
Mufti of Tripoli and Northern Lebanon

(CONTINUED)

Any young man who argues with himself or any one else about any religious problem, should first be fully aquainted with these contradictory opinions so as not to fall a prey to illusive thinking.

The impossible thinking is that which is incompatible with rational thinking such as saying: one is half of three; or the fraction is bigger than the unit; or, the mokattam hills could be put in a cup.

The ordinary impossibility, however, is not incompatible with rational thinking. We only consider it impossible because it does not conform with our habits, such as breaking the laws of nature by divine miracles.

I should like our youths to watch this difference between the impossibility of comprehending something and the difficulty of imagning it.

There are many facts which are rationally accepted which we find difficult to imagine such as the following examples :

a) if you cut a thin pieces of paper into two pieces, put them on each other, repeat the process fifty times, and make a pile of the whole lot, it would reach the moon.

b) Science proved beyond doubt that sound is produced by $^1/_2$ a million vibrations per second. — All this can be grasped by the mind, but is impossible for us to picture it to ourselves.

I hope our youths would keep in mind this difference between the impossibility and the difficulty to imagine certain things so that when they can't imagine something, it does not necessarily follow that this something is impossible in itself. Should they pay attention to this difference between rational comperehension of problem and seeing its picture in the mind's eye, they would save themselves the trouble of arguing and fooling about in the strugle between belief and doubt or any other questions concerning faith, when they think or talk about them with others.

This should also be applied in distinguishing between a rational belief universally accepted and the individual differences in points of view. A man cannot impose his idea against public opinion with the mere excuse that he is free to do so. No new idea is accepted ipsofacto ; it must first be universally approved.

Again, there is the difference between scientific facts that have been proved correct beyond doubt, and the scientific facts which are still pending approval and might turn out to be incorrect, examples of which are many and sundry for instance : the earth is round, it rotates, what is light ? colour ? the rainbow ? the visible and the invisible world ? cosmic elements in the

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYYAT

Jumâdal-ûla 1385	ENGLISH SECTION EDITED BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE	September 1965

Islam and Terroristic Conspiracies

The Grand Sheikh of Al-Azhar, has issued a statement condemning the serious conspiracies of the terrorist group of the "Muslim Brotherhood" (Al-Ikhwan — Al-Muslimeen). After explaining what 'Islam' means he said : " Terrorist societies have been able to distort Islamic teachings and to give false interpretations to a handful of beginners. An Islamic orientation cannot be implanted by force or terror ".

The Grand Sheikh added : " If Islam has made it a sin for a muslim to take another muslim's money illegally how, then, one can legalizes taking the lives of innocent people and spreading panic among the peaceful society. How can he calls for destroying the properties of the masses and utilities vital for the life and wellbeing of the people and the country ". . . . "how can a person claim to be a muslim and then collaborate with the enimies of Islam against his Muslim country men ? ".

He explained in his statement the role of colonialism in this conspirasy and said : " Colonialism, having lost hope in being able to live amongst you, to control you, and to feed on your country's blessings, has tempted a faction of you to destroy your gains and put obstacles in the way of your progress. Beware of the evil envy of these people and their plotting, in order to protect your revolution from relapse and keep your country free from subjugation, feudalism and capitalism ". He added : " God knows what responsibilities Egypt and her leaders are shouldring today. He, therefore, guides them and guards aginst traitors and enemies, in order to allow them to proceed on their great task and to attain the ends of a United Arab World, an honest Islamic belief, and noble human ideals ".

The Grand Sheikh warned Muslims against deception in disguise and he said : " Islam is without enigmas and without secret implications ". He ended the statement : "Al-Azhar with all its colleges, institutions and other means of informations, gives you all teachings of Islam as God wills, clear of deceptive interpretations ".

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الرابع ـ السنة السابعة والثلاثون ـ جمادى الآخرة سنة ١٣٨٥ هـ ـ أكتوبر ١٩٦٥ م

ح ١٢
م ٢٢٣٢٦
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

لماذا يقدس المصريون الخبز؟

بقلم:
أحمد حسن الزيات

من العادات التي اعتادها المصريون دون غيرهم من سائر الناس تقديس الخبز دون غيره من سائر الأقوات. فترى المصري ولا سيما القروي يرى بقايا اللحم أو الخضر أو الفاكهة مطروحة على الأرض فلا تلفت نظره ولا تشغل باله.

وربما سقط من يده أو من فمه بعض البيضة أو الثمرة أو السجارة فيأنف أن يلتقطها، ولا يكلف نفسه أن يجنبها وطء الأقدام التي تليه. ولكنه إذا وجد كسرة من الخبز على سواء الطريق، أو على جانبه، وقف وانحنى وبسمل وتناولها بخشوع، ونفخ ما عليها من التراب، وقبلها ثم حملها معه أو دفنها في مكان أمين!

وترى القرويين إذا قعدوا للأكل جماعة حرصوا على أن يضعوا الخبز على شمائلهم أو فوق مناديلهم، فإذا انتثر منه فتات على الأرض سارعوا إلى التقاطه وتقبيله. فإذا ندت عن أحدهم فتيتة ولم يبادر إليها نهروه وقالوا: « اللي ما يلم النعمة يعمى »، وهم يطلقون على الخبز وحده لفظ (النعمة) أو لفظ (العيش) لأنه سبب النعيم والحياة.

ومن آيات حبهم الخبز أنهم يسرفون في أكله، وأنهم يضعونه بركة في أساس البيت الذي يقيمونه، ويجعلونه تميمة في حزام الطفل الذي يعزونه، فما السر في هذه القداسة؟ وما السبب في هذا الحب؟

كان القمح وحـــده هو مادة القوت منذ درج المصريون على جنبات الوادى (لأن الذرة جاءتنا متأخرة من أمريكا) . وكان فلاحنا القديم عبدا لهذه الحبة ، لا يعمل إلا لها ، ولا يهتم إلا بها .

يبذرها فى غرين النيل حين ينحسر الماء بعد مائة يوم من شهر مسرى ، ثم يطلق الخنازير فى الحقل لتدفن البذور بأرجلها فى التربة ، ثم يتتبع أطوارها المتعاقبة من إبراق وإسبال وإحصاء ، فيستفيد بالملاحظة والتجربة بعض العلم يصوغه فى ضوابط مسجوعة لا تزال الأفواه تتناقلها من جيل إلى جيل كقولهم مثلا : إذا صح قمح بابه ، غلب النهابة هاتور ، أبو الذهب المنثور . فى برمهات ، اسرح الغيط وهات . فى برموده ، دق بالعودة . وهكذا تدور أمثالهم وتقصر أحلامهم على إنتاج هذه الحبة ، وكان إنتاجها موقوفا بحكم الجفاف على فيضان النيل وكان النيل بحكم الطبيعة يفى ويخلف .

فإذا وفى انطلق المنادون بالبشرى فى الشوارع والأزقة واحتفلت الحكومة بوفائه فى العواصم والأقاليم ، وجرت الجوارى على مائه الذهبى بالبهجة والغبطة ، فيرقص النساء ويغنى الرجال ويكون من كل أولئك عيد قومى يدخل الأنس فى كل بيت والسرور فى كل قلب . ذلك لأن وفاء النيل معناه وفرة القمح ورخص القوت وتخلف الوباء . وإذا أخلف اقشعرت الأرض وماتت الحياة واشتد القحط وغلا القوت وفشا الطاعون وأصاب الناس بلاء عظيم .

كان نقص الفيضان نذيراً بالغـــلاء والوباء والانحلال والفوضى ، وفى المقريزى وابن إياس وأبى المحاسن والبغدادى من مؤرخى مصر صفحات سود عن المجاعات التى كابدها المصريون فى السنين العجاف التى دبر أمثالها من قبل نبى الله يوسف ابن يعقوب عليهما السلام .

من هذه المجاعات التى لازمها الطاعون (الشدة العظمى) التى ضربت على مصر الجوع والخوف والموتان ثمانية أعوام فى عهد المستنصر بالله الفاطمى سنة ١٠٥٣ م حتى أكل الناس القطاط والكلاب ثم أكل بعضهم بعضا .

والمجاعة الكبرى التى حاقت بالبلاد فى عهد الملك العادل سنة ١٢٠١ م فحولتها فى بضعة أعوام مقبرة هائلة وارى فيها الموت الأسود أكثر الأحياء من غير لا حد ولا شاهد ! وكان يزور مصر وهى فى هذه المحنة عبد اللطيف البغدادى الكاتب العالم المؤرخ فكتب يصفها ! « ودخلت سنة سبع (٥٩٧ هـ) مفترسة أسباب الحياة ، وقد يئس الناس من زيادة النيل ، وارتفعت الأسعار ، وأقحطت البلاد ، وأشعر أهلها البلاء وهربوا من خوف الجوع ، وانضوى أهل السودان والريف إلى أمهات البلاد وانجلى كثير منهم إلى الشام والمغرب والحجاز واليمن ، وتفرقوا فى البلاد أيدى سبا ، ودخل إلى القاهرة منهم خلق عظيم ، واشتد بهم الجوع ، ووقع فيهم الموت ، واشتد بالفقراء الجوع حتى أكلوا الميتات والجيف والقطط والكلاب والبعر والأرواث . ثم تعدوا ذلك إلى أن أكلوا صغار بنى آدم ! فكثيرا ما يعثر عليهم ومعهم صغار مشويون مطبوخون فيأمر صاحب الشرطة بإحراق الفاعل لذلك والآكل ...

ورأيت صغيرا مشويا فى قفة وقد أحضر إلى دار الوالى ومعه رجل وامرأة زعم الناس أنهما أبواه

فأمر بإحراقهما ... ثم فشا فيهم أكل بعضهم بعضا حتى تفانى أكثرهم ودخل فى ذلك جماعة من المياسير والمساتير ، منهم من يفعله حاجة ، ومنهم من يفعله استطابة !... وكثيراً ما يترامى النساء والولدان ، الذين فيهم صباحة على الناس أن يشتروهم أو يبيعوهم وقد استحل ذلك خلق عظيم ، ووصل سبيهم إلى العراق وأعماق خراسان ... ولو أخذنا نقتص كل ما نرى و نسمع لوقعنا فى التهمة أو فى الهذر وجميع ما حكيناه مما شاهدناه لم نتقصده ولا تتبعنا مظانه وإنما هو شىء صادفناه اتفاقا ، بل كثيراً ما كنت أفر من رؤيته لبشاعة منظره » .

ذلك بعض ما كان يقاسيه المصريون فى سنى يوسف من فقدانهم حبة القمح وحرمانهم لقمة الخبز وما يتبع ذلك بالضرورة من انتشار الطاعون واضطراب الأمن فإذا أدبرت السنون العجاف وأقبلت الأعوام السمان امتلأت الأجران بالحبوب الذهبية وأقبل الناس عليها فرحين مستبشرين يقلبونها بالأيدى ، ويقبلونها بالأفواه ، وينزلونها من أنفسهم منزلة حبات العيون وحبات القلوب ، فلا يتركون منها سنبلة فى حقل ولا حبة فى بيدر ولا عودا فى طريق ثم يذكرون كلما رأوها تسيل دقيقا فى الطاحون أو تستدير رغفانا فى الفرن ، أو تستحيل لقما فى الفم ، كيف كانوا يمسكون رمقهم فى غيبتها بأكل الميتة وما هو شر من الميتة ، فاذداد حبهم لها وضنهم بها فينسبون إليها الأعاجيب وينظمون فيها المواويل ، وينسجون حولها الأساطير فيقولون مثلا : إنها الحبة الوحيدة التى هبطت مع آدم وحواء من الجنة ! .

تلك عهود خلت ! وهيهات والحمد لله أن تعود ! فمنذ العام الثانى من هذا القرن أمنا بخزان أسوان الموت الأصفر وهو موت الجوع ، وأمنا بالطب الوقائى الموت الرخيص وهو موت الوباء ، وعلى الرغم من ذلك ما زلنا متأثرين بآلام الماضى ومآسيه فنسمى الخبز بالعيش (أى الحياة) وندعو على العدو بالكبة (أى الطاعون) ! وأغلب الظن أن هاتين الكلمتين المأثورتين لن تمرتا من لغتنا المصرية حتى بعد (السد العالى) الذى سيحول الصحراء جنة وسيجعل الناس من طغيان الصحة والقوة جنة ! :

احمد حسن الزيات

هيئة الأمم في رأى الأستاذ الأكبر
"بمناسبة عيدها العشرين"

يستقبل العالم اليوم العيد العشرين لهيئة الأمم المتحدة، وتحتفل الدنيا بتكريم إنشاء هذه الهيئة، وبواعث ميلاد هذه المنظمة، وإن حياتها لهذا اليوم دليل الإيمان بحتمية وجودها، وضرورة امتدادها، حتى تقتلع من النفوس الشريرة هوس القوة، ورعونة التسلط، وحمق الدوافع، وضراوة الأساليب، وبهذا يعيش العالم بقانون الحق يتعاون على خير الوجود ويستمتع بجمال الحياة.

وإن هيئة الأمم المتحدة بشمول تكوينها، ومواد ميثاقها، واستيعاب أهدافها ودولية إمكانياتها، تستطيع إذا أخلصت النية ـ وجدت في العزم، أن تخلص الدنيا من خلافات تعيش أمم الأرض منها في قلق يبدد الطاقات، وحيرة تضل عن السبيل، وتربص يستنفد الإمكانيات، وإعداد يوهن المصادر، ولا يتم لها ذلك النجاح إلا إذا مسحت أراضى هذه الخلافات مسحاً نزيها، لا يعترف بخرائط رسمها الهوى، وحددها الطغيان ولا يبقى على استعمار يهدر كرامة الأمم، وينال من عزة الشعوب، ولا يقيم وزنا لخداعات استعمارية حتى يقطع سبيل الاحتيال على تسلل النفوذ، أو اختلاس القواعد.

وإن الأمم المتحدة حين تواجه مشاكل العالم، بغيرة إيمان، وحيدة درس، وعدالة وساطة، وعزم رجولة، تستطيع أن تعزل المصر على العدوان، عن مجالها الإنساني وتجمعها العالمى، ما دام قد خالف عن أمرها، ولم يخضع لقراراتها.

وبموقف جدى واحد تثبت الأمم المتحدة جدية شعاراتها، وإخلاص منهاجها وصدق نواياها، وفاعلية وسائلها.

وإذا كانت الأمم المتحدة قد رأت أن تميز هذا العام بأنه عام التعاون الدولى لخدمة السلام والتقدم ـ فإنى لا أعلنها أن التعاون بمعناه الجدى لا يتم إلا فى صفاء أجواء، واستقرار أوضاع، واطمئنان خواطر، ولا يكون ذلك ـ وفى الأرض عدوان يحمى، وباطل يجامل.

وإن خير تحية يقدمها الإسلام فى عيد السلام، هى أن نعرض المنهج الذى شرعه الله للقضاء على كل ما يبدد سلام الأرض وأمن العالم. من خلافات تنشب إلى حرب تشب، فإن الإسلام الذى ارتضاه الله للناس دينا، وجعله للأديان ختما يعتبر السلام على الأرض غاية منهجه، وهدف تعاليمه، ليعيش البشر بنعمة الله إخوانا ينعمون بما سخر الله لهم من قوى الكون وأسرار الوجود ـ ولهذا كان السلام شعار الإسلام، فتحية المسلمين عند اللقاء السلام ـ وتحيتهم يوم يلقون ربهم سلام وحين يسود السلام يصبح التقدم الإنسانى نتيجة حتمية للفراغ للخير، والتسامى فى الطموح، لأن طاقات البشر حينئذ تتساند ولا تتعاند.

وإن المنهج الإسلامى الذى يضمن سلام الأرض،

بجمعه قول الله تعالى « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين » .

فالصلح بما يشمله من مفاوضة ووساطة وتحكيم، وسيلة الإسلام الأولى لإنهاء الخلاف ، فإذا وضح له المتنازعان فقد كفى الله المؤمنين القتال ، وإلا فعلى الباغى يجب أن يكون التجمع حتى يفئ إلى الحق ، وحين يفئ إلى الحق ، وتهدأ العواطف يكون الصلح ، على أساس العدل ، الذى لا يميل ، والحق الذى لا يتحيز ، « ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله » .

فهذا المنهج الإسلامى الواقعى ، يوضح للعالم أسباب فشل المنظمات الدولية فى فض الخلافات وإنهاء المنازعات ، لأنها إلى الآن لا تملك من الحلول ، إلا التوصيات غير الملزمة ، وإن ظهر الإلزام فى بعض قراراتها فهو إلزام نظرى لا يستند إلى قوة تحميه ، وتجبر عليه ، ولهذا فشلت عصبة الأمم فى فض النزاع قديما بين اليونان وإيطاليا وبين اليابان والصين ، وبين إيطاليا والحبشة ،

وهيئة الأمم المتحدة إلى الآن ، لم تصل إلى حل لمشكلة فلسطين ، على وضوح العدوان فيها ، ولا لمشكلة التفرقة العنصرية فى جنوب إفريقيا ومشكلة الحرب فى فيتنام .

فالأمم المتحدة ـ لا يتم لها ما تريد من إقرار الحق ، وتمكين السلام إلا إذا كان لها من القوة ما يعينها على فاعلية قراراتها ، وواقعية مواقفها .

وعلى الشعوب أن تشد أزر الأمم المتحدة ، فإن خطر الحرب لا يقتصر على الحكومات التى تشعلها ـ ولا على الحاكمين الذين يحالفونها ، ولكن الشعوب هى التى تدفع أثمانها غالية ـ فزعا ورعبا ، ودماء وأشلاء ، وترملا ويتما ، وتشويها وخرابا ، فعلى الشعوب جميعا أن تعين الأمم المتحدة بكل وسائل العون ، والتأثير على حكوماتها لتجعل من الأمم المتحدة قوة تقدر على إنفاذ ما تقرر ، وإرغام من يحيد .

والله أسأل أن يجعل عامها الجديد خيراً على الإنسانية ، وسلاما على الأرض وأمنا للبشر وإسعاداً للشعوب .

شيخ الأزهر

حسن مأمون

سلطة الشعب في نظر عمر بن الخطاب

للأستاذ محمد محمد المدني

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أشد الناس حرصا على أن يشعر الولاة والعمال الذين يسند إليهم أمور الناس أنهم أجراء الشعب وخدمته ، فليس لهم أن يحيدوا عن مصالحه ، ولا أن يتحكموا فى أفراده ، ولا أن يميزوا أنفسهم وأهليهم بحقوق أو مزايا لا تكون لغيرهم .

كان حرصه على ذلك ربما دفعه إلى لون من القسوة فى معاملة الولاة ومحاسبتهم والتحقيق معهم فيما يقدم إليه من شكاوى فيهم ، وبعض الناس يأخذ عليه هذه الشدة ويرى أن الولاة وقادة الناس يمثلون هيبة الحكم ، وسلطان الدولة ، فإذا شعر أفراد الشعب بأنهم قادرون على دفعهم إلى التحقيق والسؤال أطمعهم ذلك فيهم ، وجرأهم عليهم ، ومن شأن ذلك أيضا أن يضعف الوالى ، فلا يستطيع أن يسير فى سياسته قويا لا يبالى بأحد ، بل يرى أنه فى حاجة إلى مصانعة هذا ، ومداراة ذاك ، وأن يستجيب لمن يعلم فيه الجراءة والتبجح والقدرة على المشاكسة ولو كانت هذه الاستجابة على حساب الحق والمصلحة ومن يغلبهم الحياء من الناس ، أو يقعدهم الضعف عن تطلب ما لهم ، أو التشكى مما يحل بهم .

وهذه النظرة التى يقوم عليها نقدهم لأسلوب عمر فى معاملة الولاة ، إنما هى مستمدة من أصول للحكم غير الأصول التى يبنى عليها الإسلام ، ويستمد منها عمر ، فقد يكون تفخيم الولاة وتضخيم أمرهم والعلو بهم عن مستوى الشكاية أو النقد شأنا من شئون الحكم فى دولة تقوم على الاستبداد والتعالى على الشعب واعتباره رعية يملكها راع ، لا رعية يسوسها واحد منها ، ولكن ذلك لا يصلح فى أمة تؤمن بالحرية والمساواة وأن الحكم إنما هو خدمة عامة تؤدى فى الشعب باسم الشعب ، وأن الحاكم ما هو إلا فرد قد اختاره المحكومون ليجلس فى مكانه باسمهم ، وينفذ الحق والعدل فيهم ، ويرعى المصالح بينهم ، خاضعا لرقابتهم ، ممثلا لإراداتهم .

إن هذا هو ما كان يؤمن به عمر على أساس ارتضاه منذ أول لحظة حين قال له قائل من أفراد الشعب : « لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناك بسيوفنا فقال : « الحمد لله الذى جعل فى المسلمين من يقوم أعوجاج عمر إذا اعوج بحد السيف » .

والواقع أن هذه النظرة إلى الحكم هى النظرة الصائبة التى تتحقق بها سعادة الشعب ويطمئن أفراده ويستقيم ولاته وحكامه ، فإن الولاة وأصحاب السلطة فى أى جانب من جوانب الدولة ، إذا علموا أنهم محاسبون مراقبون ، وأن لكل فرد من أفراد الشعب أن يراجعهم ويجادلهم عن حقه ، ويشكوهم إلى الرئيس الأعلى إذا لم ينصفوه ، فإنهم يجتهدون فى إقامة العدل ، وتحقيق المصالح ، والابتعاد عن الظلم والتفرقة والإهمال .

والشأن فى الإنسان أنه يطغى بالسلطان ، وتزداد شراهته إلى الظلم بالظلم ، فإذا ترك لهذه الطبيعة الغالبة ، مع قدرته وتمكنه ووسائل تسلطه ، أهلك الحرث والنسل وأفسد الأمور وأتعب الناس والله لا يحب الفساد :

ولا شك أننا لو خيرنا بين احتمال طغيان الحاكم وجبروته واحتمال تجنى المتجنين من الشاكين والناقدين لاخترنا الثانى ، لأننا نستطيع أن نتدارك ما فيه من انحراف ، وأن نخلصه للخير والإصلاح ، ولا نستطيع أن نصد تيار الظلم والطغيان إذا انحرف الحاكم فطغى وتجبر .

فعمر رضى الله عنه وازن بين أن يطلق أيدى الولاة فى الشعب ، ويتركهم كل إلى أسلوبه فى الحكم ليحفظ هيبتهم ، ويصون كرامتهم وبين أن يحاسبهم ويجعل للشعب رقابة عليهم ، ورأيا فيهم ، فاختار الثانية ، وكان موفقا أعظم التوفيق ، ومسايرا لعدل الإسلام وحكمته أعظم المسايرة ، وسباقا إلى ما يعتبر الآن أحدث النظم « الديمقراطية » التى تقوم على أساس مراقبة الحاكم ومحاسبته ، وأنه مسئول عما يعمل أمام الشعب الذى ولاه وأنابه عنه .

* * *

ونحن نوردهنا بعض ماروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، مما يدل على شدة يقظته ، وعمق إدراكه للأمور ، وحرصه على تمكين سلطة الشعب على الولاة وأصحاب الإدارات والرئاسات .

فمن ذلك ما جاء فى كتابه إلى أبى موسى الأشعرى وهو الكتاب الذى أودعه دستور القضاء .

« آس بين الناس ــ أى سو بين الناس ــ فى وجهك وعدلك ، ومجلسك ، حتى لا ييأس ضعيف من عدلك ولا يطمع شريف فى حيفك » وفى رواية أخرى : « سو بين الناس فى مجلسك وجاهك ، حتى لا ييأس ضعيف من عدلك ، ولا يطمع شريف فى حيفك » .

وهذا التوجيه الذى وجهه به عمر أبا موسى رضى الله عنهما يدل على فقه وبصر بالسياسة التى يستقيم بها أمر الوالى مع الرعية ، فإن مركز الولاية يمكن للوالى من ثلاثة أشياء يتطلع إليها الناس ويرقبونها ولا يفوتهم أمرها ، وهى :

(١) وجاهة الحكم .
(٢) مجلس الحاكم .
(٣) العدل فى الحكم .

فوجاهة الحكم ــ وهى المعبر عنها فى النص بالجاه أو الوجه ــ هى تلك الهالة التى تصحب عادة من آتاه الله نصيباً منه ، فإنها تجعل له مهابة ومظهراً وروعة ورونقاً وتجعل الناس يؤخذون بها ويدهشون لها فإذا صدر من الحاكم قول أو فعل يدل على أن جاه الحكم ، أو وجاهة الحاكم ، قد اختل توازنها وانحرف حيادها بدأ الخلل يعترى الحكم من جانب المحكومين ومن جانب الحاكم ، فالمحكومون يشكون ، فيساور الضعيف منهم قلق تضطرب به نفسه ، ويداخل القوى منهم طمع يغريه ، أما الحاكم حين يميل بوجهه أو جاهه ، فإنه يكون قد بدأ أول خطوة فى طريق الانحراف عن العدالة ، والترجيح لدوافع الحب أو البغض الشخصيين ، فيمهد بذلك لما يساور المحكومين أو يداخلهم من حكمه .

ومجلس الحاكم هو المظهر الآخر لهيبته ووقاره ، وإليه أيضا تتطلع الأنظار وتتوجه الرقابة ، فإذا خص به ، أو قدم فيه ، أحد على أحد دون مبرر لذلك ، فقد مال ميزان العدل ، وبدأ الشك فى الحاكم يداخل النفوس .

والعدل هو الثمرة التى لا ينبغى أن تعرض لآفات الهوى حبا كان أو بغضا ، واسمه يؤذن بالقسوية فإذا وقعت فيه التفرقة انهدم ولم يبق له مفهوم مطابق لفظه .

فمن هذه الجوانب الثلاثة يؤتى الحاكم ، ويشقى المحكوم ، والقسوية فيها هى سر صلاح الحكم ، واطمئنان الحاكين والمحكومين .

ومن ذلك ما روى فى التاريخ وكتب السير من أن عمر رضى الله عنه كان إذا بلغه أن عاملا له لا يعود المريض ، ولا يدخل عليه الضعيف ، نزعه - أى عزله عن ولايته .

ولا شك أن هذا فيه إعزاز وتكريم للشعب وفيه ربط لصلة المــــودة والتراحم بين الحاكين والمحكومين .

وما أعظم أن يشعر المريض بحنو الرئيس أو الوالى عليه ، وعيادته له ، إن ذلك يفعل فى نفسه فعل السحر ، وربما أعان على شفائه أو على سرعة هذا الشفاء .

وكذلك إذا شعر الضعيف أنه يستطيع أن يصل الى من يتولى أمره ، فيبثه ما يجد ، أو يستعين به على ما لا يطيق ، فلا شك أن ذلك يقويه ، ويطمئنه ، ويشعره بأنه عزيز كريم .

● وكان عمر رضى الله عنه يقول : « أيما عامل لى ظلم أحدا ، و بلغتنى مظلمته فلم أغيرها ، فأنا الذى ظلمته » .

● ومن أمثلة تحقيقه مع الولاة إنصافا للرعية : تحقيقه مع عمرو بن العاص فيما فعله ابنه مع أحد المصريين ، إذ ضربه بالسوط على إثر سباق بين فرسيهما وقال له « أنا ابن الأكرمين » وهذه القصة معروفة ، وفيها قال عمر لعمرو كلمته المشهورة : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ » ومن ذلك أيضاً ما رواه ابن الجوزى ، قال :

كان عمر بن الخطاب جالسا مع أصحابه ، فمر به رجل ، فقال له : ويل لك ياعمر من النار ! فقال رجل : يا أمير المؤمنين ألا ضربته ؟ وقال له رجل آخر ألا سألته ؟ فقال عمر : على بالرجل ، ثم قال له : لم قلت ما قلت ؟ قال : تستعمل العامل ، وتشترط عليه شروطا ، ولا تنظر فى شروطه ! قال عمر . وما ذاك ؟ قال عاملك على مصر ، اشترطت عليه شروطا فترك ما أمرته به ، وانتهك ما نهيته عنه ! - وكان يقصد بذلك عاملا لعمر على مصر يدعى « عياض بن غنم » - فبعث عمر إلى مصر رجلين ، فقال : سلا عنه ، فإن كان كذب عليه فأعلمانى ، وأن كان صدق فلا تملكاه من أمره شيئا حتى تأتيانى به ، فسألا عنه ، فوجداه قد صدق عليه - وهذا نوع من البحث يشبه ما نطلق عليه فى عصرنا الحاضر اسم « التفتيش الإدارى » -

فاستأذن الرجلان ببابه ، وأعلماه أنهما رسولا عمر إليه ليأتيه ، فأتيا به عمر ، فسلم عليه فقال له عمر من أنت ويلك ؟ قال : عاملك على مصر « عياض ابن غنم » وكان عياض هذا رجلا بدويا ، فلما رأى من ريف مصر ابيض وسمن - فقال له عمر : استعملتك وشرطت عليك شروطا فتركت ما أمرتك به ، وانتهكت ما نهيتك عنه ، أما والله لا أعاقبنك عقوبة أبلغ إليك فيها - أى أشدد عليك وأؤثر فيك بها - ثم قال عمر : ايتونى بدراعة من كساء - أى جبة مشقوقة - وبعصا وثلاثمائة شاة من شاء الصدقة ، وقال له : البس هذه الدراعة ، وقد رأيت أباك وهذه خير من دراعته ، وهذه العصا خير من عصاه ، اذهب بهذه الشاء فارعها فى مكان كذا وكذا - وذلك

فى يوم صائف ـ ولا تمنع السائل من ألبانها شيئاً ، واعلم أنا آل عمر لم نصب من شاء الصدقة ومن ألبانها ولحومها شيئاً، فمضى الرجل ، فلما أمعن فى سيره رده وقال : أفهمت ما قلت لك ، وردد عليه الكلام ثلاثاً ، فلما كان فى الثالثة ضرب الرجل بنفسه الأرض بين يديه ، وقال : ما أستطيع ذلك ، فإن شئت فاضرب عنقى ! قال عمر : فإن رددتك إلى عملك فأى رجل تكون ؟ قال : لا ترى إلا ما تحب ، فرده فكان خير عامل ! .

● وكما كان يراقب الولاة ويحاسبهم على هذا النحو ، كان يعرف أخبار الصالحين منهم ، وسيرتهم الحسنة فيعينهم ، ومن أروع ما يروى فى ذلك ماجاء فى كتاب « أسد الغابة » من أن سعيد بن عامر الجمحى كان واليا لعمر على « حمص » فكان كريما جوادا بالمال على الناس لا يقع فى يده منه شىء إلا فرقه ، حتى اشتدت فاقته ، وتحدث الناس بفقره ، فبلغ ذلك عمر ، فأرسل إليه بأربعمائة دينار ، وكتب إليه يعزم عليه لينفقنها على نفسه وأهله ، فلما قرأ الكتاب اهتم هما شديداً حتى تبين ذلك عليه ، فقالت له امرأته : نفسى فداك ، مالى أراك مهتما ؟ أبلغك موت أمير المؤمنين ؟ قال : أعظم من ذلك ! قالت : أبلغك من ثغور المسلمين شىء ؟ قال : أعظم من ذلك ، قالت : وما هو ؟ قال : ابتليت بالدنيا ، وقد كنت صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أبتل بها ، وصحبت أبا بكر فلم أبتل بها ، وابتليت بها فى صحبة عمر ، ألا إن شر أيامى لأيام عمر ! قالت له امرأته : وما ذاك ـ بأبى أنت وأمى ـ قال : إنى أخافك ! قالت . إياى تعنى ، قال : نعم ، قالت : فأنت آمن من هذا ، قال : فإن أمير المؤمنين أرسل إلى بأربعمائة دينار ، وعزم على أن أنفقها على وعليك ، وإن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا ، ووالله ما أحب أن لى حمر النعم وأنى أحبس عن الفوج الأول ! قالت له امرأته : فدونكها فاصنع بها ما شئت ، فقال : هل من خرق ؟ فأعطته قميصا لها خلقا فمزقه خرقا ، ثم صر فيه ما بين أربعة إلى عشرة ، ثم طرحها فى مخلاة ، ثم خرج إلى باب الرستن من حمص ، فجعل يعطى الناس صرة صرة حتى بقيت صرة فى المخلاة ، فدفعها والمخلاة إلى رجل ، ثم رجع فذهب عنه همه واستراح !

● وكان لعمر وال على حمص اسمه « عمير بن سعد » ـ وكان مثلا أعلى فى العفة والأمانة والنصح لله ورسوله وعامة المسلمين ، فكتب عمر ذات يوم إلى جماعة من أهل حمص يقول لهم : اكتبوا لى فقراءكم ، فكتبوا إليه أسماء الفقراء ، وذكروا فيهم « عمير بن سعد » ـ الوالى ـ فلما قرأ اسمه قال : من عمير بن سعد هذا ؟ قالوا : أميرنا ! قال : أوفقير هو ؟ قالوا : ليس أهل بيت أفقر منه ! قال : فأين عطاؤه ؟ ـ أى راتبه الذى يتقاضاه ـ قالوا : يخرجه كله ، لا يمسك منه شيئا ، فوجه إليه عمر بمائة دينار فأخرجها كلها فتصرف بها ، فقالت له امرأته : لو كنت حبست لنا ـ أى أبقيت لنا ـ منها ديناراً واحداً ، فقال : لو ذكرتنى لفعلت ؟

محمد محمد المدنى

نفحات القرآن

تقلبات الإنسان فى سرائه وضرائه

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

(ا) وإذا مس الإنسان الضر . دعانا لجنبه ، أو قاعدا ، أو قائما
(ب) فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه
(ج) كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون — يونس — ١٢

(ا) يحدثنا القرآن فى هـــذه الآية عن بعض ما فى الإنسان من خصائص ، ونزعات تتغلب على كثير من البشر . . وبهذا البيان لا يكون المرء جاهلا بذاته ، ولا يزعم لنفسه شأنا غير شأنه ، فيظل بعيدا عن مستواه الإنسانى فى التعقل الذى من أجله ، وبسببه كرمه ربه ، وفضله على كثير من خلقه تفضيلا والآية ـ تقرر أن الإنسان ـ فى مجموعة أفراده ـ حينما يمسه ضر فى نفسه ، أو فيما يتصل به من أهـــل ، ومال يفرغ إلى دعاء الله : ضارعا ، متلهفا بما تجيش نفسه من رغبات ، ولا يفتر عن دعائه وهو على جنبه ، أو فى قعوده أو فى قيامه . . حتى كأنه مستعصم بالله فى كل آونته .

وتلك ظاهرة العبودية المتعلقة بربها فى إقبال دائم . . وهى ـ حقا ـ أكرم ما يليق بالإنسان : تواضعا فى نفسه ، وقداسة لله تعالى .

(ب) غير أن القرآن يكشف عن طوية الإنسان ويبدى أنه قد يكون على غير هذا الصفاء . وإنما هى ضرورة ألجأته ـ وحاجة أخضعته . فعندما تتجلى رحمة الله ويكشف عن عبده ضره ، ينسى ما كان يدعو إليه ، ويمر فى مسلكه الذى كان عليه فى عوج «كأنه لم يصادف بلاء ، ولم يواصل دعاء .

« فلما كشفنا عنه ضره مر ، كأن لم يدعنا إلى ضر مسه » .

(ج) وحيث تنكل الإنسان عن الوفاء ، ولم يشكر لله تفريج بأسائه ، فإن الله يتركه لشيطانه الذى أنساه ذكر ربه ، فيظل مستحوذا عليه ، وسادرا به فى الانحراف « كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون » « ولئن أذقناه ـ الإنسان ـ نعماء بعد ضراء مسته : ليقولن ذهب السيئات عنى ، إنه لفرح فخور » يعنى يغتر بتفريج كربته ، ويتمادى فى بطره .

ثم يعرج القرآن فى هـــذا الإنكار على حالة الإنسان حينما يكون فى البحر ، وتلاحقه المخاوف أكثر ، وأكثر . فيتعرف إلى الله ، ثم يكون من شأنه مثل ما كان ، أو أشد نكرا . « هو الذى يسيركم فى البر والبحر . حتى إذا كنتم فى الفلك ، وجرين بهم بريح طيبة ، وفرحوا بها ، جاءتها ريح عاصف . وجاءهم الموج من كل مكان ، وظنوا أنهم أحيط بهم : دعوا الله مخلصين له الدين ، لئن أنجيتنا من هـذه لنكونن من الشاكرين فلما أنجاهم : إذا هم يبغون فى الأرض بغير الحق ، يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم » .

« وإذا مسكم الضر فى البحر ، ضل من تدعون إلا إياه ، فلما نجاكم إلى البر أعرضتم ، وكان الإنسان كفورا » .

وهكذا : من آيات مترادفة ، تعيب على الإنسان أن يكون إقباله على الله حين شدته فحسب ، فإذا تكشفت غمته انقلب إلى عتوه . وكأنه أمن من السوء ، أو نسى أن الدهر حوله قلب ، وأن نعمة الله لا تكتسب من طريق الكفران بها .

على أن للإنسان شأنا أقبح من هذا التمرد ... وهو أن يكون فى ساعة شدته غير لاجىء إلى الله ولا آبه للدعاء ، ولو تظاهرا .

بل يقف موقف اليأس فى تجهم . فلا تهزه البؤسى ولا يلين قلبه لضراعة .

وهذا شر ما تتمخض عنه نفسية الإنسان : فإنه - حتى فى فترة بلائه - يكون قلبه متحجرا على نفسه أو أشد قسوة من الحجر . فهل يكون هذا الإنسان متفاهما ، أو متجاوبا مع أحاسيسه الشخصية ، كما كان سلفه الذى أخذ بالدعاء وقتا ما ، هذا دون ذاك على ما بالأول من قصور وتقصير ... « وإذا مسه الشر كان يئوسا » ، « ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء ، لعلهم يتضرعون . . فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا » ، والمعنى أنهم لما بغوا على رسلهم : بلوناهم بالأضرار فى أنفسهم ، وفى أموالهم ... لنعطيهم فرصة الرجاء المفروض فيهم ، ليتضرعوا إلى الله بالتوبة ، والدعاء ويحاولوا كسب مرضاته .

ولكنهم لم يخشعوا لقدر الله ولم يطمعوا فى فضله بل قست قلوبهم تلك القسوة الصخرية .

فهذا الإمعان فى صلف الإنسان ، حتى فى فترة بلائه ، غاية ما نتصوره من عماية عن الرشاد .

وهى غفلة لم تقارنها فطنة ، فجاء القرآن تنبيها لنا من سكرات الغرور ، أو الجهالة ، واجتذابا للعبد أن يكون قريبا من ربه ؛ بعقله ، وقلبه ، ولسانه .

وهو حينما يأخذ نفسه بهذا الاتصال يكون معدودا فيمن ذكرهم الله بقوله : « والذاكرين الله كثيراً ، والذاكرات . . أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما » .

ولسنا نسوق هذه التوعية لمجرد الترغيب ، أو لمجرد التوجيه : تلقفا من أسلوب القرآن بل المنطق الصحيح أن المرء بحاجة قصوى إلى موالاة ربه ، ومناجاته : فى يسره ، وعسره .

فإن تلك الموالاة ، والمناجاة ، يحصن بهما العبد نعم الله عليه حين مسراته ، ويستديم بهما رعاية الله من زوالها ، ومن عاديات السوء .

وتلك الموالاة ، والمناجاة - أيضا - حين ضرائه يلطف بهما الإنسان مأساته ، فتشيع فى جنباته ملامح الأمل لأنه تعلق دائما بذكر الله فاطمأن ، وحسبه ذلك الاطمئنان « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .

وإلى جانب المنطق : واقع الحياة ، وما نرى على مسرحها من شئون ، فإن تعقل ذلك ، يوحى إليك فى هوادة من التفكير أنه لا بد لكل ذى نعمى ، أو بؤسى أن يمد أسبابه إلى الله ، وأن يحتمى دائما فى رحاب الله ، فإن الله - وحده - هو الذى يسدى نعماءه لمن والاه ، بل ، ولمن عاداه ، وهو - وحده - الذى يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء عن عباده ، لا سواه ...

وإن يكن الإنسان مأخوذا عليه أنه يتلون فى موقفه حينما يدعو ، ثم ينصرف ، أو حينما ييأس ويحجم ، فإن له مسلكا ثالثا يهدف إليه القرآن - كما أشرنا من قبل - وهو أن يفتح عقله ، وذهنه لوعى جديد ، وأن يستشعر من تلك التوجيهات المقرونة بالترغيب ، والترهيب أن الله لا يضن على عبده بالعفو ، والتوفيق ، إذا وجه نفسه إلى تزكية نفسه « قد أفلح من تزكى » ، « ومن يؤمن بالله يهد قلبه » ،

عبد اللطيف السبكى

الإخوة الفتيان : صورة من اشتراكية الإسلام

للأستاذ محمود الشرقاوى

« رحلة ابن بطوطة » من أهم مصادر المعرفة عن البلاد الإسلامية والعربية قبل ستمائة سنة ، ومن أعظم ما سجلت فيه صور المجتمعات التى عاشها الناس فى تلك البلاد قبل هذا التاريخ ، وناهيك برحلة يقوم بها رجل يخرج من أقصى الشمال الغربى « من طنجة » فيسير مخترقا بلاد الساحل الشمالى الأفريقى كلها : المغرب والجزائر وتونس وطرابلس وليبيا حتى يصل مصر فيهبط إليها ثم يتركها إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والصومال والبحرين والعراق وتركيا والقسطنطينية — قبل فتح الأتراك لها — والقرم والهند وجزر ملاديف ، التى يسميها : « ذيبة المهل » ، ثم يرحل إلى الصين ، ويعود بعد هذا إلى المغرب ثم يخرج منه مرة أخرى فيهبط الصحراء الكبرى حتى يدخل مجاهل إفريقيا فنهر النيجر وينعطف منه صاعدا حتى يصل أسوان .. أليس هذا هو : « العالم المسكون » يوم ذاك ، عدا بعض الدول الأوربية ..

فإذا انتهى من رحلاته تلك كان قد أمضى سائحاً فى الأرض نحو ثمان وعشرين سنة ... ! وهو فى كل ذلك يشاهد البلاد ويتعرف إلى الناس ويدرس ويسجل ويختزن فى ذاكرته العجيبة حتى ينتهى من رحلاته كلها فيجلس إلى الناس فى مدينة « فاس » يحدثهم عما شاهد من العجائب والغرائب فى هذه البلاد كلها ، ويكون من ذلك كتابه العظيم الحافل : « تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » ...

من هذا السجل الحافل الذى يصور حياة الناس فى هذه الفترة : « القرن الثامن الهجرى والرابع عشر الميلادى » نختار صورة جماعة عاشت فى بعض بلادنا الإسلامية كان نظامها وكانت فضائلها وآدابها أقرب ما تكون إلى مجتمع التآزر والتآخى الذى يدعو إليه الإسلام .

صورة كانت أقرب ما تكون إلى تلك المؤاخاة التى سجلها التاريخ لمجتمع المهاجرين والأنصار عندما هاجر الأولون إلى المدينة فتلقاهم إخوانهم الأنصار وآخى بينهم النبى عليه الصلاة والسلام فقسموا فيما بينهم أموالهم وما يملكون .

ونجد مما سجله ابن بطوطة عن جماعة : « الإخوة الفتيان » هؤلاء أنهم لم يكونوا طائفة قليلة العدد ولا ضعيفة الجاه ، بل نجده يذكر أنه لقى منهم مائتين فى بلد واحد صغير ، ويذكر أنه لقيهم فى كل بلد وقرية حل بها فى تلك البقعة من البلاد الإسلامية التى زارها ويذكر أنه كان منهم الصانع العامل والفقيه العالم والأمير ذو السلطان .

ولو أن أن هذه الجماعة الممتازة من الجماعات شملت رقعة البلاد الإسلامية كلها ؛ ولو أن منهجها هذا

فى هذه الاشتراكية التى تقوم عن طواعية ورضى نفس ، وتمكن الأسس القوية الراسخة للتكافل الاجتماعى الذى يأمر به الإسلام ، ولو أن الناس فى شرقنا العربى أدركوا هـــذه الحقيقة وساروا ـ وبخاصة أغنياؤهم ـ على نهج هذه الجماعة فأقاموا هذه الاشتراكية المرضية فيما بينهم وبين الفقراء ، لو أن الأمر سار فى هذا المسار لما قهرهم الحاكم على الاشتراكية بسطوة القانون .

* * *

أهلها : « أجمل الناس صوراً وأنظفهم ملابس وأطيبهم مطاعم وأكثر خلق الله شفقة ، ولذلك يقال : البركة فى الشام والشفقة فى الروم » .

بهذه الكلمات الطيبات بدأ ابن بطوطة حديثه عن بلاد الروم . وما فصله من الأحاديث والأخبار عن زيارته لها ، وما حدثنا به عن الصور والمشاهد والوقائع التى شهدها فيها ، كل ذلك ينبئ عن صدقه فى وصفهم بهذه الأوصاف ويفصح عن وجودها عندهم ، وبخاصة تلك الأنباء والأحاديث والوقائع التى ذكرها عن طائفة « الأخيه » التى كانت منتشرة فى كل بقعة من تلك البلاد والتى كان أفرادها مثلا رائعاً كريماً فى الشهامة والكرم وصفاء النفس والتهافت على استضافة الغريب وإكرامه والقيام على خدمته . يصفهم ابن بطوطة بقوله : « لا يوجد فى الدنيا مثلهم أشد احتفالا بالغرباء من الناس وأسرع إلى إطعام الطعام وقضاء الحوائج والأخذ على يد الظلمة ومن لحق بهم من أهل الشر ... وهم بجميع البلاد التركمانية الرومية فى كل بلد ومدينة وقرية » ..

وكان نظام هذه الجماعة أن يختار أهل كل صناعة نقيبا لهم ، ويكون النقيب وجماعته من الشبان العزاب ، ثم يبنى هذا النقيب زاوية ودارا للضيافة ، ويشترك الجميع فى نفقاتها وخدمتها ونفقات ضيوفها : يخرج الجميع إلى صناعاتهم وأعمالهم ثم يجيئون فى عصر كل يوم بما كسبوا فيشترون به الطعام والفاكهة ويضعونه بين يدى نقيبهم ، فإذا شهدوا ضيفا أو غريبا أوسمعوا أن واحدا منهم نزل بلدهم اوقريتهم أنزلوه فى زاويتهم ، وهى دائما مفروشة مضاءة بالسرج والقناديل ، ولا يزال الضيف أو الغريب مقيما عندهم يأكل الطعام الطيب والفاكهة التى يجمعونها ويقدمونها إلى رئيسهم عصر كل يوم ، ويظل هـذا حاله معهم حتى يستريح أو يرغب فى السفر مهما طالت به وبهم الأيام ، فإذا لم يجدوا ضيفا اجتمعوا على طعامهم وشرابهم فأكلوا وشربوا وغنوا وأقاموا زمناً فى مرحهم داخل زاويتهم ثم انصرفوا إلى بيوتهم . وفى الصباح يقومون لأعمالهم ثم يجتمعون فى العصر بما كسبوا واشتروا من الطعام والفاكهة ، وهكذا كاليوم السابق .

وقد التقى هؤلاء الفتيان الإخوة بابن بطوطة أول دخوله بلاد الروم : « الترك » فتحدث واحد منهم إلى صديق له ـ لابن بطوطة ـ باللغة التركية ـ وكان لم يتعلمها بعد ـ فلما أنتهى حديثهما سأله الصديق : هل تعرف ما يقول الرجل ... ؟ ثم أخبره بأنه يدعوه ومرافقيه إلى ضيافته ، ونظر ابن بطوطة إلى ثياب الرجل وهيئته فأشفق عليه ولكنه لم يشأ أن يرد ضيافته أمامه فيخجله ، فلما انصرف قال ابن بطوطة لصديقه : هذا رجل ضعيف لا قدرة له على ضيافتنا ولا نريد أن نثقل عليه ، فضحك الصديق وقال له : هذا فتى من الإخوة وهو خراز ، ولكنه

كريم النفس ، وأصحابه نحو مائتين ، قدموه عليهم واختاروه نقيبا ، ثم شرح له نظامهم وأنباء مجالهم ، فإذا جاء المغرب قدم الفتى الخراز فأخذ ابن بطوطة ورفاقه إلى زاويتهم فوجدوها حسنة مفروشة بالبسط الحسان . معلق فيها الكثير من ثريات الزجاج العراقى والمواقد النحاسية الجميلة والفوانيس عليها خادم خاص بها . وكان فى الزاوية جماعة من الإخوة فى لباس حسن ونظام حسن فى وسط كل واحد منهم سكين طوله ذراعان ، ويجلس الجميع وفى الوسط وضعت « مرتبة » الضيوف . فلما استقر ابن بطوطة ومن معه فى مجالسهم جاء لهم الإخوان بالطعام الكثير والفاكهة والحلوى ثم أخذوا يغنون ويرقصون حتى انصرفوا عنهم آخر الليل ، وهم يعجبون من سماحتهم وكرم نفوسهم

وفى جميع البلاد والقرى كان هؤلاء الإخوة الفتيان يتلقفون ابن بطوطة ومن معه فيصنعون معهم هذا الصنيع الذى يصنعونه مع كل ضيف وقادم .

ويقول ابن بطوطة إنه نزل قرية صغيرة ، عند إمامها ، فجاء الإخوة لاستضافتهم ولكن الإمام أبى عليهم ذلك ، فجاء الفتيان بطعامهم وضيافتهم إلى بستان واحد منهم وذهب الجميع فأكلوا وسعدوا ثم يقول : إنه وقومه لم يكونوا يعرفون لغة القوم ، وكذلك هؤلاء لا يعرفون العربية ، ومع ذلك أمضوا يومهم فى هناء ومرح وسعادة .

وعندما دخل ابن بطوطة وقومه مدينة « لاذق » أزعجه وهم يمرون فى سوقها أن رأى جماعة يخرجون من حوانيتهم فيمسكون بأعنة خيلهم ويرز آخرون ينازعونهم ذلك حتى سل كل من الفريقين السكاكين

وخاف ابن بطوطة وقومه وظنوا أنهم لصوص قتلة وسخر الله عند ذلك رجلا يعرف العربية فسأله ابن بطوطة عن شأنهم فقال : هم فريقان من الإخوة الفتيان ، يريد كل فريق أن يستضيفكم . ولم يقع بين الفريقين شر ، رضوا أن يقترعوا على الضيوف وذهب القوم إلى من وقعت عليه القرعة ، فجاء باقيهم وسلموا وأخذوهم إلى زاويتهم وجاءوهم بالطعام الوافر الجيد ، وذهب رئيسهم مع ابن بطوطة وقومه إلى الحمام فكان يقوم على خدمته بنفسه ويقوم أصحابه بخدمة رفقاء ابن بطوطة ، وكان الثلاثة والأربعة يخدمون واحدا من الضيوف ، وبعد الطعام والفاكهة والحلوى قرأ القراء آيات من القرآن ثم أخذوا فى الغناء والرقص ، وأرسلوا من أخبر السلطان خبر الضيوف فبعث بطلبهم .

فلما عاد ابن بطوطه ومن معه من زيارة السلطان وجدو الفريق الذى لم تقع عليه القرعة ينتظرهم فذهبوا بهم إلى زاويتهم ، وهناك صنعوا معهم مثل ماصنع الأولون وزادوا عليهم أن صبوا ماء الورد على أيديهم بعد خروجهم من الحمام ، وأقاموا على هذا الحال عندهم أياما وقد لقى ابن بطوطه وقومه من الإخوة الفتيان فى بعض البلاد والقرى أكثر مما لقى وروى فى هذه القصة .

ويقول : إن بعض الفتيان الإخوة هؤلاء كان يتولى منصب القضاء ، وبعضهم كان شريفا يتولى النيابة عن ملك العراق . وكان بعضهم من الأمراء والحكام وكانت البلاد التى لا يوجد بها حاكم تخضع لحكم الفتى من الإخوة فيها . وله نظام الحاكم فى ركوبه وخروجه . وبعضهم كان من الزهاد الصالحين وحيثما سار ابن بطوطة فى تركيا شمالا وجنوبا وشرقا وغربا كان ينزل عند واحد من هؤلاء الفتيان

وكانت زواياهم لا تنطفىء نارها فى الشتاء أبدا ، يصنعون فى كل ركن من أركان الزاوية مـــوقدا ويصنعون فوقه مداخن يصعد منها الدخان فلا يؤذى الزاوية ولا من فيها .

وفى بعض البلاد كانت توجد ـ إلى جوار الزوايا الخاصة بالإخـــوة الفتيان ـ دار أخرى تسمى « دار السيادة » لا ينزلها إلا الأشراف ، وكان نقيبهم يقيم فيها ، ويخرج لهم ، مـدة مقامهم فيها ، الفرش والطعام والشمـــع وغيره ثم يتزودون منها عند منصرفهم .

المـرأة : شجاعة عاملة كريمة :

ونعرف بعض أحوال البلاد الاجتماعية مما سجله ابن بطوطه فيها : وأكثر ما نعرف مـن ذلك عن المرأة ، فى حديثه عن « كوناهية » يقول إن أكثر الصناع فيها من النساء يقمن بنسج الثياب من القطن المعلم بالذهب . وفى حـديثه عن « قيسارية » يقول إن إحدى زوجات أميرها عـلاء الدين كانت من أكـــثر الناس ذكاء وأكرمهم وأحسنهم خلقا وأبرعهم حـديثا ، ولم تـكن تحتجب عن الرجال دخـل إليها ابن بطوطة « فقامت وأحسنت السلام والسكلام وأمرت بإحضار الطعام فأكـلنا ، ولما انصرفنا بعثت إلينا بفرس ملجم وخلعـة ودراهم مع أحـد غلمانها واعتذرت من التقصير ، وفى مـدينة « يزنبك كانت « الخاتون » زوج السلطان هى التى تحـكم المدينة ، وهى فاضلة صالحة كما يقول وكانت من النساء فى تركيا من تعـــرف الفروسية وتركب الخيل ، عند خروجه وقومه من « تكجاء » كانت تتقدمهم امرأة على فـــرسها ومعها خادم ، وكانت تقصد البلد الذى يقصدون ، فتبعوها وكان فى طريقهم ماء عميق أرادت أن تجـوزه على فرسها فلما توسطته ألقت بها الفرس عن ظهرها ، وشهدها جماعة فـــرموا بأنفسهم إلى المـاء حتى لحقوا بها وأخرجوها وقد كاد أن يدركها الغـرق . ومات خادمها غرقا .

ولم تـكن زوجات السلاطين وحدهن السافرات بل كانت نساء الترك جميعا غير محجبات : يقول إنه ومن معه كانوا كلما نزلوا بلدا يتفقد أحـــوالهم الجيران من الرجال والنساء ، وهن لا يحتجبن فإذا سافـروا عنهم ودعوهم وودعنهم كأنهم أقارب ونرى النساء باكيات لفراقنا متأسفات » .

ومن ذلك نعرف ما كان للمرأة التركية يوم ذاك من منزلة وخلق وأن منهن من كانت تسافر مع خدمها وتواجه المخاطر على فرسها حتى تـكاد أن تهلك غرقا .

ومن المظاهر الاجتماعية التى سجلها خروج بعض السلاطين لصلاة العيد فى مدينة « لاذق » حل عليهم عيد الفطر فخرجوا وخرج السلطان إلى المصلى يحيط به عسكره والفتيان الأخـوة وكلهم يحمل سلاحه كما يخرج أهل الصناعات يحمل أهـــل كل صناعة أعلامهم وأبواقهم وطبولهم يفاخر بعضهم بعضا فى حسن الهيئة وكمال البهاء والرونق وكثرة السلاح وهم يسوقون أمامهم البقر والغنم وأحمال الخـبز يتوجهون أولا إلى المقابر فيذبحون الذبائح ويفرقون لحومها وما معهم من الخبز على الفقراء ثم يقصدون بعد ذلك إلى صلاة العيد . وبعد الصلاة يذهب الرحالة ورفقاؤه مع السلطان إلى منزله حيث يقوم سماط للفقهاء والمشايخ والفتيان وآخر للفقراء ، فيأكل الجميع ولا يرد يوم ذاك عن طعام السلطان أحد .

محمود الشرقاوى

الجبال في القرآن الكريم

للأستاذ الدكتور محمد أحمد الغمراوي

— ١ —

جاء ذكر الجبال في القرآن الكريم بلفظها في نحو تسع وعشرين آية ، وبوصفها أنها رواسي في نحو تسع آيات ، وما كلمة نحو هنا إلا من باب الاحتياط فقد يكون ندعنا موضع في العد أثناء الاستقراء .

الجبال والقيامة :

ومن الآيات التسع والعشرين التي ذكرت فيها الجبال بلفظها إحدى عشرة آية تتعلق بالقيامة وأشراطها جاءت في إحدى عشرة سورة هي حسب ترتيب السور في المصحف : الكهف وطه والطور والواقعة والحاقة والمعارج والمزمل والمرسلات والنبأ والتكوير والقارعة .

أو هي حسب ترتيب نزول الوحي بها : المزمل والتكوير والقارعة والمرسلات وطه والواقعة والكهف والطور والحاقة والمعارج والنبأ .

من بين هذه الإحدى عشرة سورة أربع أنبأت أن الجبال تسيَّر فتسير ألا وهي : التكوير والكهف والطور والنبأ — في آيات أربع هي حسب ترتيب النزول .

(وإذا الجبال سيرت) التكوير .

(ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة) الكهف (يوم تمور السماء مورا ، وتسير الجبال سيرا) الطور (وسيرت الجبال فكانت سرابا) النبأ

وآية سورة التكوير جاءت تتلوها آية (وإذا العشار عطلت) فدل ذلك على أن تسيير الجبال علامة من علامات الساعة أو هي بدء قيامها إذ العشار كانت لا تزال موجودة في الدنيا وإنما أصابها التعطيل ، وهاتان الآيتان وما قبلهما وما بعدهما أحداث يتلو بعضها بعضا ، والله أعلم بفترات ما بينها ، وهي في العدد اثنا عشر حدثا عظيما ، وتأملها يدل على أن نصفها الأول من الأشراط ، ونصفها الثاني من الوقائع التي تكون بعد قيام الساعة في يوم البعث فتسيير الجبال حدث من أحداث ستة عظمى تقع بين يدي يوم البعث ولذا جاء الفعل فيها مبنيا للمجهول (وإذا الجبال سيرت) كما جاءت أفعال الآيات العشر الأخرى في أوائل سورة التكوير .

وتجيء آية سورة الكهف (ويوم نسير الجبال) بضمير المتكلم ، ضمير الجلالة ، فتدل على أن الجبال حين سيرت إنما سيرها الله سبحانه ، فبأمره قامت وبأمره سارت سيراً فعلياً كما تدل عليه آية الطور (وتسير الجبال سيرا) ثم تجيء آية النبأ فيها الفعل مبني للمجهول مرة أخرى بعد أن سبق النص بضمير الجلالة في آية الكهف على أن المسير هو الله سبحانه. لكن ليس في هذه الآيات الثلاث بترتيب نزولها هذا ما يدل على مصير الجبال بعد مسيرها ، حتى تأتي ثالثة آيات التسيير ، آية سورة النبأ : (وسيرت الجبال فكانت سرابا) فتنبيء بأن الجبال حين تسير فتسير إنما ينتهي بها سيرها إلى الفناء فلا يبقى لها من الوجود الذي كان إلا كالموجود الذي يكون في السراب .

هذه أربع آيات كريمة يجمع بينها اشتراكها في ذكر ظاهرة تقع بالجبال عند الرجفة الأولى بين يدي يوم البعث يوم القيامة الكبرى . وهناك أربع آيات أخرى تتعلق بظاهرة أخرى تقع أيضاً بالجبال هي ظاهرة

النسف. هذه الآيات الأربع هى حسب ترتيب نزولها :

(يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلا) المزمل .

(وإذا الجبال نسفت) المرسلات .

(ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) طه .

(إذا رجت الأرض رجا . وبست الجبال بسا . فكانت هباء منبثاً) الواقعة .

والآيات الأربع المقصودة هى طبعاً التى ذكرت الجبال فيها بلفظها . وقد ذكر معها من الآى ما يزيد موضوعها وضوحاً . وقد ذكر النسف صراحة فى الآيتين الثانية والثالثة ، وذكر بمعناه فى الآية الرابعة. أما الآية الأولى ، آية المزمل فهى تمهد النسف بذكرها مقدمته من صيرورة الجبال كثيباً مهيلا ، إذ من الواضح أن الجبال إذا صارت كثيباً مهيلا فقد أعدت لأن تنسف نسفاً وتكون هباء منبثا . ومن هنا ألحقت آية المزمل بالآيات الثلاث الأخرى وإن لم يذكر فيها النسف لا باللفظ ولا بالمعنى .

هاتان إذن مجموعتان كل من أربع آيات تتحدث عن ظاهرة تقع بالجبال ، ظاهرة تسيير وسير (وتسير الجبال سيرا) ، وظاهرة نسف (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا) فهل هما يا ترى ظاهرة واحدة فيكون تسيير الجبال هو عين نسفها ، أو هما ظاهرتان مختلفتان ؟ إن التسيير الذى تطيعه الجبال فتسير سيراً حقيقياً غير النسف الذى تُبَس به الجبال بَسّا فتكون هباء منبثا . واتحادهما يقتضى حمل أحدهما على المجاز . والمجاز يقتضى قرينة تدل عليه فى نفس الكلام ، وهذه القرينة مفقودة فى أى الآيات الثمان . فالتسيير والنسف إذن على حقيقتهما . هما ظاهرتان مختلفتان تنزلان بالجبال أما على التعاقب فيسيَّر الجبل ثم ينسف ، وإما على التقسيم فيسير بعض الجبال وينسف البعض الآخر ، ولا ثالث لهذين الاحتمالين . لكن الاحتمال الأول تمنع منه آية سورة النبأ : (وسُيرت الجبال فكانت سرابا) إذ الجبال بعد أن انتهى بها التسيير إلى أن تفنى وتكون سرابا لا يمكن أن يلحق بها نسف وقد انعدمت بالفعل . فلم يبق إلا الاحتمال الثانى . ويتعين أن يكون الفناء عن طريق التسيير خاصاً ببعض الجبال ، والفناء عن طريق النسف خاصاً بالبعض الآخر . وهذا يقتضى أن تكون الجبال صنفين :

أحدهما : يقبل بفطرته التى فطره الله عليها أن ينسف بعد أن يصير بالرجفة كثيبا مهيلا والآخر يقبل بفطرته أن يسير حتى يصير سرابا ولا بد من تغيير فى هذا الصنف يمهد للتسيير كما مهد للنسف فى الصنف الأول بالانهيال ، إذ كل من الصنفين فى حالته الدنيوية راسخ راس ، لا بد فى حكمة الله من إعداده للنسف والتسيير .

وفى آيتى المعارج والقارعة - أو القارعة والمعارج حسب ترتيب النزول - ما يؤيد هذا الاستنباط من أن الجبال صنفان ؛ لأنهما تذكران تحولا تصير إليه الجبال يخالف ويقابل ما تصير إليه من كثيب مهيل كما فى آية المزمل . فإن الآيتين كلتيهما تذكران أن الجبال تكون كالعهن ، وتزيد آية القارعة وصفا للعهن : (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش) والعهن هو الصوف المصبوغ ؛ فالآية الكريمة تقول : إن الجبال يوم القارعة تكون كالصوف المصبوغ المنفوش ، ولكل من هذه الكلمات الثلاث دلالتها .

فالصوف فيه من التماسك ما ليس فى الرمل الذى يكون فى الكثيب المهيل ، وإذن فالجبال التى تصير

بالرجفة كثيبا مهيلا غير الجبال التى تصير كالصوف فى طبيعتها وتكوينها وفيما تصير إليه يوم الرجفة ، وإذا كان انهيال الأولى يهيؤها للنسف ، فنفكك الثانية حتى تكون كالصوف يهيؤها للسير بالتسيير الذى تصير به بعد سرابا .

والجبال التى قال الله عنها فى الآية من سورة فاطر (ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود) .

هى التى تصير بالقارعة كالصوف المصبوغ ، (ومن) التبعيضية فى هذه الآية الكريمة تدل على أن الملون من الجبال هو الذى يصير كالعهن ، وأن ليس كل الجبال كذلك . ففيها مثلا الأبيض كله مثل جبال الطباشير والحجر الجيرى المتبلور أو غير المتبلور ، وهذه لا يمكن أن تكون هى المشبهة بالعهن ، والصوف المصبوغ .

فالجبال فى الآيتين الكريمتين (وتكون الجبال كالعهن) (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) مقصود بها الملون من الجبال لا مطلق الجبال وهذا يحل لنا الإشكال الناشىء عن المعنى المتبادر من فهم الجبال على إطلاقها فى هذا النص وغيره من نصوص الآيات الثمان السابقة . فالجبال كلها مصيرها إلى الزوال والفناء بين يدى الساعة أو حين تقوم الساعة لكن لا بطريقة واحدة . فليس كلها يصير كثيبا مهيلا ، وليس كلها يصير كالعهن قبل أن يذهب ويزول ، إذ ليس كلها ذا تكوين واحد ولا خواص واحدة ، وعلماء طبقات الأرض الذين تعددت أقسام الجبال عندهم هم الذين يستطيعون زيادة هذه الناحية من الموضوع بيانا .

ووصف العهن بالمنفوش فى آية سورة القارعة له أهميته ودلالته ، لا من حيث تيسير تسيير الجبال بعد أن تصير إلى هذه الحال فيما يبدو ، ولكن من حيث توكيد تقسيم الجبال إلى ذينك الصنفين اللذين يصير أحدهما بالرجفة كثيبا مهيلا ويصير الآخر كالعهن المنفوش ، فلولا وصف العهن بالمنفوش فى الآية الكريمة لجاز أن يكون تشبيه الجبال بالعهن راجعاً إلى التشابه فى اللون والصبغة فحسب لا إلى التشابه فى شىء من صفات الصوف الأخرى كالتماسك الذى يكون بين اليافه وفيها ، والذى استندنا إليه فى التفرقة بين الجبال التى تنهال كثيبا والجبال التى تنفش كالصوف .

تبقى من الإحدى عشرة آية المتعلقة ، بالجبال وأحداث القيامة آية واحدة هى آية الحاقة : (وحملت الأرض والجبال فدُكّتا دكة واحدة) . والله أعلم بكيفية ذلك الحمل ثم بكيفية ذلك الدك . لكنهما على أى حال يستتبعان تلك الأحداث التى تقدمت بها تلك الآيات الكريمة العشر . فالدك يحول الجبال إما إلى كثبان مهيلة ينسفها الله بما يشاء كيف يشاء ، وإما إلى حالة من التحلل والتفكك تصير بها بقية الجبال كالصوف المصبوغ المنفوش ثم يسيرها الله بعد ذلك بما يشاء كيف يشاء حتى تصير سرابا وأثرا بعد عين .

بقيت آية عن الجبال هى معجزة قرآنية علمية لأنها تقرر حركة انتقالية للأرض قبل أن يعرفها العلم بقرون، ويلحقها قدامى المفسرين بالآيات السابق ذكرها إذ لم يكن يخطر ببالهم أن للأرض حركة ، وينكر بعض المحدثين أن تكون الآية عن الجبال فى الدنيا ، فى حياتنا هذه ، صونا للآيات القرآنية أن تقحم عليها النظريات العلمية ، بل أن تقحم عليها الحقائق العلمية ناسين أن الطريق الصحيح لصون القرآن عن مثل هذا ليس هو إيصاد الباب دون إثبات الإعجاز العلمى للقرآن ولكن هو النقد الدقيق لدليل ذلك الإعجاز .

تلك الآية العجيبة هى آية أواخر سورة النمل : (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب ، صنع الله الذى أتقن كل شىء ، إنه خبير بما تفعلون) .

وكل حجتهم فيما أنكروا أن آية الجبال مسبوقة بآية النفخ فى الصور : (ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ، وكل أتوه داخرين) فالسياق فى رأيهم يقتضى أن تكون آية الجبال متعلقة بيوم النفخ فى الصور .

وقد تناولنا هذه المسألة فى غير إفاضة فى أواخر مقال سابق (١) لم يسمح المقام فيه باستيفاء بحث نقطة السياق هذه اكتفاء بما سبق معها من دليل على أن الآية الكريمة تنبىء بحركة للجبال فى الحال تشبه حركة السحاب الذى يتحرك لا بالذات ولكن بواسطة الرياح التى تحمله ، وإذن فللجبال حركة لا بالذات ـ لأنها فى مرأى العين جامدة ـ ولكن بواسطة الأرض التى تحملها . أى أن الآية الكريمة تثبت للأرض حركة انتقالية عن طريق إثبات حركة للجبال تشبه حركة السحاب وهى معجزة علمية قرآنية لا شك فيها والسياق الذى استند إليه منكرو هذا المعنى أو المغزى للآية الكريمة لا ينبغى أن يقتصر فيه على الآية قبلها فحسب . وإذا توسعنا فيه ليشمل أربع آيات آخر وجدنا مثالا كالذى احتجوا به إلا أن الحجة فيه عليهم لا لهم وجدنا ثلاث آيات فى يوم البعث أو الحشر تليها آية كونية لا يمكن أن ترجع إلى يوم الحشر بوجه ما . والآيات الأربع هى : (ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون حتى إذا جاءوا قال : أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما ، أم ماذا كنتم تعملون ، ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون . ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ؟ إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) .

فلو صحت حجة من يزعم أن آية (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب) متعلقة بيوم النفخ فى الصور لمجرد أنها مسبوقة بآية (ويوم ينفخ فى الصور) الآية لصحت حجة زاعم أن يزعم إن آية (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا) متعلقة بيوم الحشر لمجرد أنها مسبوقة بآيات ثلاث عن يوم الحشر أولاها (ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون) .

فالسياق فى هذه الآيات الكريمة الأربع دلالته على عكس ما يظنون : يذكر بيوم القيامة إنذارا ووعيدا وزجرا لغير المؤمنين ثم يأتى ببعض آيات الله فى الكون الدالة عليه سبحانه لعلهم يؤمنون ، وكذلك الحال فى الآيتين التاليتين للآيات الأربع : يذكر وينذر بيوم القيامة فى آية (ويوم ينفخ فى الصور) ثم يذكر آية أخرى لله فى الكون تدل عليه سبحانه فى آية : (وترى الجبال تحسبها جامدة) الآية ثم يتابع حديث يوم القيامة فى الآيتين بعدها :(من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) ثم يعود إلى الدعوة إلى الله على لسان رسوله وهى المقصود الأول فى هذا وفى القرآن كله : (إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شىء وأمرت أن أكون من المسلمين) الآيات الثلاث حتى آخر السورة .

محمد أحمد الغمراوى

(١) عدد ذى الحجة سنة ١٣٨٤ من هذه المجلة .

إلى أى مدى تتغير الأحكام الشرعية بتغير الأزمان؟

للأستاذ بدر عبد الباسط

— ٨ —

قلنا فى المقال السابق : إن هناك أحكاما تطورت بالنص ثم استقرت - أخيراً - على وضع لا يجوز لأحد - مهما كانت مكانته - أن يغير فيه أو يبدل أو يرجع إلى تشريع قد فسخ وصار غير مشروع ؛ وتحدثت عن تطور الدعوة ، واليوم نتكلم عن تشريعات أخرى تطورت ثم استقرت وهى على سبيل المثال لا الحصر .

١ — الصلاة وهى الركن الثانى من أركان الإسلام ، وقد دخلها التطور من حيث العدد وبعض الشروط وكيفية النداء إليها .

(ا) التطور من حيث العدد :

روى البخارى بسنده إلى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « فرض الله الصلاة ركعتين ركعتين فى الحضر والسفر ، فأقرت صلاة السفر ، وزيد فى صلاة الحضر .

وذكر ابن حجر فى شرح البخارى (فتح البارى) عن ابن خزيمة والبيهقى وابن حبان عن عائشة رضى الله عنها من طريق الشعبى عن مسروق أنها قالت : « فرضت صلاة الحضر والسفر ركعتين ركعتين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واطمأن،زيد فى صلاة الحضر ركعتان ركعتان وتركت صلاة الفجر لطول القراءة وصلاة المغرب لأنها وتر النهار » .

هذا ومن المعلوم أن الصلوات الخمس شرعت ليلة الإسراء والمعراج وكانت بمكة قبيل الهجرة بثلاث سنوات تقريبا .

وذهب جماعة من أهل العلم إلى أنه لم تكن - هناك - صلاة مفروضة قبل الإسراء اللهم إلا ما كان قد وقع الأمر به من صلاة الليل من غير تحديد ثم نسخت فرضيتها ، وفرضت الصلوات الخمس على الأمة ، وبقيت مشروعية التنفل بها ، وبالنسبة للرسول صلوات الله وسلامه عليه بقى افتراضها على أصح الأقوال ؛ هذا وقد روى غير ذلك ولا حاجة إلى استيعاب ما قيل لقلة الجدوى بعد أن أصبح أمر هذه الصلوات غير ذى موضوع كما أنه لم يرد إلينا نص يعتمد عليه عن كيفية الصلاة قبل الإسراء .

هذا ولا يجوز لأحد أن يقول بالاكتفاء بركعتين - فى الحضر - فى كل من صلاة الظهر والعصر والعشاء لأية علة كمرض أو مطر أو خوف بعد انقضاء الإجماع على أن الصلوات الرباعية لا يجوز قصرها فى حالة الحضر ، نعم شرع فيها التخفيف على وجه آخر كأن تكون من قعود أو اضطجاع أو إيماء .

(ب) التطور فى بعض شروطها :

وأذكر من ذلك استقبال القبلة وتحريم الكلام .

روى البخارى ومسلم بسنديهما عن البراء بن عازب رضى الله عنه أنه قال : كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يتوجه إلى الكعبة ، فأنزل الله عز وجل « قد نرى تقلب وجهك فى السماء » ، فتوجه نحو الكعبة ، وقال السفهاء من الناس ـ وهم اليهود : « ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » .

والبراء هذا أنصارى وخبره عما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم حينما هاجر ؛ ومن المعلوم أن الصلاة ـ كما تقدم ـ فرضت ليلة الإسراء بمكة قبل الهجرة فإلى أى قبلة كان يتجه فى صلاته ؟ أخرج الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما : كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه ، فكأنه كان يتجه إليهما معا ، وهذا ممكن ما دام بمكة بأن يتجه إلى الشمال بحيث تكون الكعبة أمامه ، وأما فى المدينة فلا يتأتى ذلك لأن بيت المقدس شمالها ومكة جنوبها فإذا استقبل أحدهما استدبر الآخر ؛ وهذا الأثر المروى عن ابن عباس رضى الله عنهما من تخريج الإمام أحمد أولى بالقبول من الأثر الذى رواه الطبرانى عن ابن جريج من أنه صلى الله عليه وسلم أول ما صلى إلى الكعبة ثم صرف إلى بيت المقدس وهو بمكة فصلى ثلاث حجج ثم هاجر فصلى إليه بعد قدومه المدينة ستة عشر شهراً ثم وجهه الله إلى الكعبة .

والذى تضافرت عليه الروايات أن توجهه إلى الكعبة أولا وثانياً وتوجهه إلى بيت المقدس كله كان بوحى وتوقيف من الله تعالى ، وما ورد أن توجهه إلى بيت المقدس كان عن اجتهاد منه صلى الله عليه وسلم ـ لأن النبى صلى الله عليه وسلم حينما هاجر كان اليهود كثرة فى المدينة فأراد أن يتألفهم ، ـ فقول ضعيف قد رواه الطبرى عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وهو كما قال ابن حجر ضعيف ، ثم هو قول مردود لقوله تعالى « وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه » فقد أسند جعلها قبلة إليه تعالى بضمير التعظيم ، وهذا ينفى أن يكون اتجاهه إلى بيت المقدس بمحض اجتهاده صلى الله عليه وسلم لقصد التأليف ؛ ومع هذا فإنه على فرض صحة الخبر بأنه توجه تأليفا لليهود ، فإنه يمكن أن يقال : إن التوجه إلى بيت المقدس كان عن وحى وإن الحكمة فيه هو تأليف هؤلاء اليهود وإقامة الحجة عليهم بأنهم قوم أشربوا العناد وحب المخالفة وإقامة الحجة عليهم ـ أيضاً ـ أنهم قوم لا تنفع معهم سياسة الملاينة والملاطفة فمن يقل : إن الرسول توجه لتأليفهم فقد نظر إلى الحكمة من التشريع ؛ ولم ينظر إلى مصـــدر التشريع اطمئنانا منه إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم « لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى » ، وما كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه أن يشرع شيئا من تلقاء نفسه ـ مهما كانت الدوافع إليه ـ ولا سيما فى أمر كأمر الصلاة .

وأيا ما كان فليس لأحد بعد أن نزل قوله تعالى « فول وجهك شطر المسجد الحرام » ، وكررها فى أكثر من آية أن يقول بجواز التوجه فى الصلاة فى حال الأمن والقدرة إلى غير الكعبة مهما كانت المسوغات التى يتوهمها ، فليست هذه المسوغات إلا حبالات تمليها الأهواء الكاذبة وما هى إلا من وحى الشياطين .

هذا ما يتعلق بأمر استقبال القبلة ؛ وأما مسألة

التكلم بكلام الناس فى الصلاة فقد اجتاز طورين الأول الإباحة والثانى الحظر .

فقد روى البخارى ومسلم بسنديهما إلى عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : « كنا نسلم على النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى الصلاة فيرد علينا فلما رجعنا من عند النجاشى (أى فى المرة الثانية) سلمنا عليه فلم يرد علينا ، وقال صلى الله عليه وسلم » إن فى الصلاة شغلا ، أى بقراءة القرآن والذكر والدعاء ، ولأنها مناجاة بين العبد وربه تستدعى الاستغراق فى خدمته فلا ينبغى أن يشتغل بغيره .

وكذا روى الشيخان عن زيد بن أرقم أن كنا نتكلم فى الصلاة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم أحدنا صاحبه بحاجته حتى نزلت « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » فأمرنا بالسكوت وزاد مسلم : ونهينا عن الكلام ولا شك أن الكلام المنهى عنه هو كلام الناس وإلا ففى الصلاة قراءة ودعاء وهما كلام .

ومن هذا الباب ما رواه مسلم بسنده عن عطاء ابن يسار عن معاوية بن الحكم السلمى قال : بينا أنا أصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم فقلت : يرحمك الله فرمانى القوم بأبصارهم ، فقلت : واثكل أمياه !! ما شأنكم تنظرون إلى ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتوننى ... سكت ؛ فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبأبى هو وأمى ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه ، فوالله ما كهرنى (أى ما انتهرنى) ولا ضربنى ولا شتمنى قال : « إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شىء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن هذا وقد أجمع العلماء على أن التكلم بكلام الناس من عالم بالتحريم متعمد لغير مصلحة الصلاة أو لغير إنقاذ مسلم من هلكة مبطل للصلاة ؛ وأما إذا فقد قيد من هذه القيود ففيه اختلاف بين الفقهاء ليس هذا مجال تفصيله ؛ والذى يهمنا أن كلام الناس فى الصلاة أخذ طورين الإباحة مطلقا والحظر مطلقا عند بعض الفقهاء أخذا بظواهر هذه النصوص التى سقتها أو الحظر فى بعض الأحوال دون بعض لأدلة رجحت عند البعض الآخر .

ولا يجوز لأحد ـ الآن ـ أن يقول بإباحته مطلقا مهما كانت الأسباب والدواعى .

(ج) النداء للصلاة :

لم يصح من وجه يمكن الاعتماد عليه أنه كان للنبى صلى الله عليه وسلم ولأصحابه وهم بمكة وسيلة خاصة يدعون بها إلى الصلوات إلى أن هاجروا وكثر المسلمون بالمدينة ؛ ويحدثنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما على ما رواه الشيخان بسنديهما أنه قال : كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلوات وليس ينادى بها أحد فتكلموا يوما فى ذلك فقال بعضهم : اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى ، وقال بعضهم : قرنا مثل قرن اليهود فقال عمر رضى الله عنه أولا تبعثون رجلا ينادى بالصلاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بلال قم فناد بالصلاة .

وكان هذا النداء مجرد إعلام بالصلاة ليس على صفة الأذان الشرعى ؛ فإن الأذان لم يكن قد شرع بعد .

وروى مسلم بسنده عن أنس بن مالك أنهم ذكروا من وسائل الإعلام بالصلاة أن ينوروا نارا .

هذا وقد بقى الاكتفاء بالإعلام فترة إلى أن شرع الأذان بالصيغ المعروفة وكان ذلك فى السنة الأولى من الهجرة أو السنة الثانية ، ولذلك قصة لا بأس من ذكرها .

حقوق العمال فى الإسلام

للأستاذ جمال الدين عياد

من العمل :

أتى رجل من الأنصار رسول الله يسأله ، فأمره عليه السلام أن يأتيه بما يملك ، وكان يملك قدحا وكساء ، فباعهما له ، ثم أمره أن يأكل بنصف الثمن هو وأهله ، ويشترى بالنصف الآخر قدوما ، فشد عليه السلام عودا ، وأمره أن يحتطب به ، ولا يأتيه قبل خمسة عشر يوما .

وقد استدل بعض الكتاب بهذا الحديث على مبلغ اهتمام الدولة الإسلامية ، ممثلة فى شخص الرسول عليه السلام ، بمحاربة البطالة ، وتيسير سبل العمل للمواطنين ، وتتبع أخبارهم ، حتى يستقروا فى أعمالهم الجديدة ، ويحققوا النجاح (١) .

ومن الملاحظ أن المجتمع الإسلامى نفسه ، ممثلا فى بعض أفراده ، كان له دوره فى تيسير سبل العمل للأنصارى العاطل ، فلقد عرض الرسول عليه السلام ممتلكات الرجل على من حضر مجلسه من المسلمين ، وقال : من يشترى منى هذين ؟ يريد القدح والكساء ، فقال رجل : أنا آخذهما بدرهم . فقال عليه السلام : «من يزيد على درهم» مرتين أو ثلاثا ؟

(1) The Islamic Review, September, 1952

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

روى أبو داود فى سننه والترمذى فى صحيحه وغيرهما أن عبد الله بن زيد بن عبد ربه رأى فى المنام رجلا يؤذن فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقص رؤياه فقال عليه السلام) إنها لرؤيا حق إن شاء الله تعالى فقم مع بلال فألقها عليه فإنه أندى صوتا منك ؛ وأن عمر رضى الله عنه جاء وأخبر أنه رأى مثل ذلك .

وسواء كان أمره صلى الله عليه وسلم لبلال أن يتعلم الأذان من عبد الله بن زيد كان عن وحى أو عن اجتهاده صلى الله عليه وسلم فإنه تشريع لا يجوز أن نحيد عنه ونتخذ وسيلة أخرى للإعلام بدخول وقت الصلاة ؛ فإن كان عن وحى فالأمر واضح وإن كان عن اجتهاد منه فإن تقرير الله تعالى على اجتهاده يعتبر تشريعا من الله تعالى يجب العمل به .

ولا عبرة باختلاف العلماء فى صيغ الأذان والإقامة كتثنية التكبير أو تربيعه أولا وكالترجيع فى الشهادتين وكإفراد ألفاظ الإقامة إلى غير ذلك فإن كل هذه وردت عن صاحب الشرع وترجح عند كل منهم صيغة خاصة أخذ بها لكن أصل الأذان وألفاظه متفق عليه ؛ لا يجوز لنا أن نستحدث وسيلة أخرى للإعلام بدخول أوقات الصلاة ؛ فإن الأذان من شعائر الإسلام .

هذا وإلى مقال آخر لنتحدث ـ إن شاء الله تعالى ـ عن تشريعات أخرى تطورت وتدرجت ثم استقرت على وضع ثابت .

بدر المتولى عبد الباسط

فقال رجل : أنا آخذهما بدرهمين ، فباعهما إياه . وكان ثمن هذه الصفقة رأس مال الأنصارى فى عمله الجديد ، وهكذا تضافرت جهود الأمة ممثلة فى رئيسها عليه السلام ، وبعض أفرادها ، ليجد أحد العاطلين سبيله إلى العمل والكسب الحلال .

ومن الملاحظ أيضا أن الرسول عليه السلام لم يعن الرجل من بيت المال ، لأنه كان يملك ما يستطيع بثمنه أن يشق طريقه فى الحياة ويكسب قوته من طريق حلال، وعليه فربما جاز لنا أن نقول : إن الدولة لا ينبغى لها أن تعين العاطلين من بيت المال متى كان لهم ملك يستطيعون استثماره بالعمل .

ومع أن الرجل لم يكن يملك غير حاجات ضرورية لا غنى عنها بغير مشقة ، فلربما آثر ـ عليه السلام ـ أن يحمله هذه المشقة بدلا من أن يعينه من بيت المال ليشعره بفضيلة الاعتماد على النفس وليضرب المثل للعاطلين أن يكونوا عونا للدولة فى حل مشاكلهم ، بدلا من أن يلقوا بثقلهم كله عليها .

تأمين العامل ضد الإرهاق :

ومن حق العامل ألا يكلف من العمل ما لا يطيق إذ يقول عليه السلام فى حق العمال من الرقيق : « ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم »(١) ويقول : « للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف من الأعمال إلا ما يطيقه »(٢) . وكان عمر يذهب إلى العوالى (وهى القرى المجتمعة حول المدينة) كل يوم سبت ، فإذا وجد عبداً فى عمل لا يطيقه وضع عنه منه (٣) .

ومن الملاحظ أن هذه الأحاديث خاصة بالرقيق كما قدمنا ، غير أن الرسول ـ عليه السلام ـ إنما خصهم بها فى أكبر الظن ، لأن وضعهم الاجتماعى ـ باعتبارهم مملوكين ـ ربما دفع سادتهم إلى إرهاقهم بالعمل ، لا لأنهم وحدهم الجديرون بالرفق دون إخوانهم العمال الأحرار .

ويؤكد هذا أن دعوة الإسلام إلى الرفق عامة ، إذ يقول الرسول عليه السلام « إن الله يحب الرفق ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف »(١) ويقول : « من يحرم الرفق يحرم الخير »(٢) ويقول « لا يكون الرفق فى شىء إلا زانه ولا ينزع من شىء إلا شانه »(٣) إلى غير هذه من الأحاديث التى لا تقصر الرفق على الرقيق دون الأحرار ، أو على الإنسان دون الحيوان .

بل الإسلام ينهى عن إرهاق النفس بالعمل حتى فى مجال التعبد نفلا لله سبحانه ، فالله تعالى يقول : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها »(٤) ويقول « يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً »(٥) ويقول « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر »(٦) والذين يجدون فى الصوم مشقة لا تحتمل لكبر أو مرض أو سفر شاق يعفون منه « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين »(٧) والذى يطيل الصلاة حتى يفتن الناس بالإرهاق ملوم أفتان أنت يا معاذ ؟ ومن يصارع الدين يغلبه « لا يشاد الدين رجل إلا غلبه » والرسول عليه السلام يقول « اكلفوا من العمل ما تطيقون فإن خير العمل أدومه وإن قل »(٨) .

---

(١) صحيح البخارى ، ج ١ ، ص ١٥ .
(٢) محمد بن إسماعيل الأمير ، سبل السلام ، ج ٣ ص ١٧٧
(٣) مالك بن أنس ، الموطأ ، ص ٩٨٠ .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ، ج ١٦ ، ص ١٤٦ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٤٥ .
(٣) المصدر السابق ، ١٤٦ .
(٤) السورة ٢ ، الآية ٢٨٦
(٥) السورة ٤ ، الآية ٢٨ .
(٦) السورة ٢ ، الآية ١٨٥ .
(٧) السورة ٢ ، الآية ١٨٤ .
(٨) سنن ابن ماجه ح ٢ ، ص ١١٨ .

ولقد سمع عليه السلام امرأة من الليل تصلى ، فقال من هذه ؟ فقيل له : هذه الحولاء بنت تويت ؛ لا تنام الليل ؛ فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرفت الكراهية فى وجهه ثم قال « إن الله تبارك وتعالى لا يمل حتى تملوا ، أكلفوا من العمل ما لكم به طاقة (١) » .

وعن عبد الله بن عمرو قال : « دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار ؟ قلت بلى . قال : فلا تفعل : قم ونم وصم وأفطر فإن لجسدك عليك حقا ؛ وإن لعينك عليك حقا وإن لزورك عليك حقا ، وإن لزوجك عليك حقا (٢) .

وخليق بدين ينهى عن إرهاق النفس بالعمل الدينى أن يكون أشد نهياً عن إرهاقها بالعمل الدنيوى(٣) .

وعليه فربما جاز لنا أن نقول : إن من حق العامل ألا تطول به ساعات العمل بحيث ترهقه سيما وأن الله سبحانه قد فرض على العامل فرائض شتى غير العمل كعبادة ربه ، ورعاية زوجه ، وتربية ولده وأداء حق (٤) بدنه وطلب العلم النافع له فى الدين والدنيا ، بحيث لا يجوز أن يشغله العمل عن شئ من هذا ، وهى حقيقة ينبغى أن يضعها موضع الاعتبار كل قانون يحدد ساعات العمل .

ومن حق العامل نفيا للإرهاق أن يستريح بين الحين والحين بما يجدد نشاطه ، وقدرته على العمل وقد أشار أبو الحسن بن مفتاح إلى هذا الحق فقال : ويستثنى للخاص — أى للأجير الخاص — (من وقت العمل) ما جرت به العادة من الوضوء والصلاة وسننها والرواتب وقضاء الحاجة والاستراحة المعتادة عند الحمل على الظهر ونحوه ...

وكذا السبت لليهودى ، والأحد للنصرانى ، والأجرة لازمة (١) .

وربما تضمن هذا الحق الراحة أثناء العمل اليومى أو تضمن راحة أسبوعية أو شهرية أو سنوية ، أو تضمن هذا كله أو بعضه تبعا لظروف العمل المختلفة .

وكذلك كانت سنة الرسول فى العبادات إذ كان عليه السلام يضطجع للراحة إذا أتعبته العبادة ، كما كان لا ينهض من سجوده حتى يستوى جالساً وتسمى هذه الجلسة فى كتب العبادات جلسة الاستراحة (٢) والفقهاء فيها على قولين : فريق يعدها من سنن الصلاة بحيث يستحب فعلها لكل مصل ، وفريق لا يعدها من السنن وإن كان يجيزها لمن يحتاج إليها أو لمن يجد فى نفسه حاجة إلى الراحة (٣) أثناء الصلاة (٤) .

وقد كان عليه السلام يقعد بين السجدتين ويطيل القعود حتى يقول الصحابة قد أوهم أو نسى (٥) .

كفالة العامل عند عجزه عن العمل :

فلقد صالح خالد أهل الحيرة على أمور منها : كفالة كل عامل ضعف عن العمل لكبر أو مرض أو كارثة وفى ذلك يقول « وجعلت لهم أيما شيخ (عامل) ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه ،

(١) مالك بن أنس الموطأ حـ ١ ص ٢٩٠ .
(٢) صحيح البخارى حـ ٨ ص ٣١ .
(٣) كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته «حديث شريف» .
(٤) راجع ما رواه عبد الله بن عمرو عن رسول الله فى هذه الصفحة .

(١) أبو الحسن عبدالله بن مفتاح ، شرح الأزهار حـ ٣ ص ٢٧٨ .
(٢) راجع أيضا الرملى ، نهاية المحتاج ، حـ٤ ص٢٠٨ .
(٣) ابن السبعين ، زاد المعاد فى هدى خير العباد حـ١ ، ص ٨٣ .
(٤) المصدر السابق ص ٦١ .
(٥) نفس المكان .

طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام .

كما أمر عمر بكفالة العامل إذا أقعدته الشيخوخة عن العمل ، إذ مر يوما بشيخ كبير ضرير يسأل الناس. فضرب عضده من خلفه وقال : من أى أهل الكتاب أنت ؟ فقال يهودى . قال : فما ألجأك إلى ما أرى ؟ قال : أسأل الجزية والحاجة والسن فأخذ عمر بيده وذهب إلى منزله فرضخ له بشئ ، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال : أنظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم .

ولهذا يقول أبو يوسف : لا تؤخذ الجزية من أعمى لا حرفة له ولا عمل ولا من الشيخ الكبير الذى لا يستطيع العمل ولا شئ له » .

ولئن كانت هذه الأخبار خاصة بأهل الكتاب ، فإن المسلمين أولى بالرعاية وهذا واضح من قول عمر « والفقراء هم المسلمون » .

ومن الملاحظ أن كفالة العامل أو سد حاجته عند عجزه عن العمل قد تكون بالرخيص كما تكون بالغالى النفيس ، فهل تكفل الدولة العمال على اختلاف أقدارهم بمستوى واحد ، أو تكفلهم بدرجات متفاوتة تفاوت أقدارهم أو أقدار المناصب التى كانوا يشغلونها ؟

هذه مسألة لم تعرض لها المراجع الإسلامية ، ولا نجد نصا صريحا بشأنها ، غير أن العدل الذى أمر الله به يقتضى أن يأخذ كل إنسان بقدر ما أعطى ؛ وعليه فلا يجوز أن يعطى من أكلت الدولة شبيبته - على حد قول عمر فى قصة اليهودى - أو من قدم لها الجليل من الخدمات كمن لم يعط شيئا أو لم يقدم غير اليسير ، ولهذا ربما جاز لنا أن نقول : إن كفالة الدولة للعمال لا يجوز أن تكون بمستوى واحد ، وإنما يجب أن تتفاوت بتفاوت الأعمال التى أنجزوها كما وكيفا .

وهذا بطبيعة الحال ، لا يمنع الدولة من أن تقرر حدا أدنى للكفالة يضمن للعاجزين عن العمل حياة طيبة مهما يقل مستوى خدماتهم السابقة كما أو كيفا .

كفالة زوج العامل وأولاده بعد وفاته :

وفى هذا يقول الرسول عليه السلام - بوصفه رئيساً للحكومة الإسلامية الأولى : « من ترك مالا فلورثته ، ومن ترك كلا فإلينا » ، والكل كل عيل ، والذرية منهم فجعل كفالتهم على أولى الأمر أو على بيت المال ، والحديث - كما نرى - عام يعم أبناء الدولة الإسلامية ، بما فيهم عمال الدولة وسائر طوائف العمال .

وكان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - خير مطبق لهذا المبدأ الذى وضعه الرسول عليه السلام . فلقد خرج يوما إلى السوق فلحقته امرأة شابة : فقالت : يا أمير المؤمنين ، هلك زوجى وترك صبية صغاراً ، ولا لهم زرع ولا ضرع ، وخشيت عليهم الضبع (أى السنة المجدبة) ، وأنا ابنة خفاف بن أيمن الغفارى ، وقد شهد أبى الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوقف عمر ولم يمض ، وقال : مرحبا بنسب قريب ، ثم انصرف إلى بعير ظهير (أى قوى) ، كان مربوطاً فى الدار ، فحمل عليه غرارتين ملأهما طعاما وجعل بينهما نفقة وثيابا ، ثم ناولها خطامه فقال : اقتاديه فلن يفنى هذا حتى يأتيكم الله بخير .

ولقد عمر كان - عليه الرضوان - يقرر للأرامل حقهن فى بيت المال مهما تختلف بهن الديار ، حتى ليقول : « أما لئن بقيت لأرامل أهل العراق لأدعهن لا يحتجن إلى أحد بعدى » .؟

جمال الدين عياد

مكانة الأسرة فى الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

من الوالدين والأقربين تتكون الأسرة ، وقد لوحظ فى تسميتها بهذا الاسم معنى الأسر وهو القوة ، ومعنى الإسار وهو الرباط القوى أو السير من الجلد يشد به الشيء . وبحكم جمعه ووضعه ، والمناسبة فى ذلك قوية غير خفية ، فإن الإنسان يتقوى بعشيرته وأهل بيته كما تتقوى به عشيرته وأهل بيته ، لأن رابطة قرابته منهم تجمعه بهم . وتصل حبله بحبالهم . وأمله بآمالهم ، هذا إلى ما يسود جو الأسرة من المعانى الفطرية السامية كالود المتبادل . والشعور بمعانى الأمومة والأبوة والأخوة والعمومة والخئولة وما إلى ذلك من المعانى التى تحقق التقارب والتجارب والتعاون على جلب الخير ودفع الشر ، وهذه المعانى هى الأساس أو المنبع الذى تقوم عليه أو تنبع منه المعانى الإنسانية العامة ، كالرحمة فإنها مشتقة من الرحم وكالمساواة فإن أساسها الشعور بالأخوة الإنسانية ، وكالكرامة فإنها ترد إلى شعور الإنسان بقيمته التى منحه الله إياها حين جعل أباه آدم خليفة فى الأرض وحين جعل بنى آدم كما يقول فيهم : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » فإن المتأمل فى التعبير بكلمة « بنى آدم » عن الناس أجمعين يشعر بأن البنوة لأصل واحد تقتضى الشعور بالأخوة بين الجميع ، وبأن تكريم الله لهم يقوم على أساس هذا الشعور وهذا الاعتبار ، فبين الناس جميعا رحم جامعة ، وهم على اختلاف ألسنتهم وألوانهم أسرة كبرى تتكون من أسر صغرى وتنتهى بهم وبآبائهم وأجدادهم سلسلة النسب إلى ذكر وأنثى كما يقول الله : يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

فالأسرة هى حجر الأساس فى بناء المجتمع ، والمجتمع القوى السليم هو الذى يتكون من أسر قوية سليمة ، ومن ثم نجد الإسلام - وهو دين الفطرة - يؤكد روابط الأسرة ويقويها . ويباركها ويزكيها ثم يتعهدها بما يصلحها ويتجه بها الوجهة المثلى حتى لا تنحرف إلى عصبية ظالمة تطغيها القوة . وتنسيها حق الضعيف كاليتيم والمسكين ، وحق الجار القريب والجار البعيد وحق الصاحب بالجنب وابن السبيل ، وكل ذلك بعض ما يفهم من قوله تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا » .

وتظهر عناية الإسلام بالأسرة فى تكرر الأمر بالإحسان إلى ذوى القربى . وفى الحث على صلة الأرحام ، كما تظهر فى النفقة التى أوجبها على القادرين الموسرين للمحتاجين المعسرين من الأصول والفروع كالأب والجد والابن وابن الابن ، وفى تحريم الزواج بمن يتصل بقرابة قريبة كالعمة والخالة وأم الزوجة وبنتها ، والأخوات من الرضاعة .

كل هذا وما إليه من الأحكام التى أوجبها الإسلام يدل على أن للأسرة حرمة يجب أن ترعى ، وكرامة يجب أن تصان ، وحقوقا يجب أن تؤدى ، ولاشك أن فى نظام الميراث ما يؤكد ذلك ، فإنه يقوم على

أن التركة شركة بين الأقربين . يأخذ كل منها بمقدار ما فرض الله له فيها . على حسب درجة القرابة ووفق ما يقضى به العدل والفضل « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً ، وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا » .

بل إن عناية الإسلام بالأسرة تبدأ من حيث تنشأ الأسرة ، فهو يعنى أول ما يعنى بالعلاقة الوثيقة بين الزوجين ، فيسمى عقد الزواج « ميثاقا غليظا » ثم يتعهد الحياة الزوجية بما يصلحها ويجعلها واحة خضراء ، تجد فيها الأسرة نعيمها وسكينتها وأمنها واطمئنانها كما يفهم من قول الله تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » فإن فى قوله تعالى « إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » ما يشعر بأن التفكير فى ذلك يهدى إلى خير كثير ، وبأن نعيم الحياة الزوجية خليق بهذا التفكير ، وبأن الأسرة التى تنشأ من هذه الحياة ، وفى جو هذه الحياة . سينشأ أبناؤها على ما ألفوه فيها من توافق بين الزوجين وتواد وتراحم ، وأخلاق فاضلة كريمة سمحة ، وقد جمعت الآية على إيجازها كل ما يطمح له الزوجان ، وأى نعيم يطمح إليه رجل أعظم وأكرم من أن يفىء إلى بيته فيجد فيه ملاذ راحته ، وسكون نفسه ، وهدوء باله ، ويجد فى ظل الود المتبادل بينه وبين زوجه والرحمة التى تسودها وتسود جوهما ما لا يرقى إليه تعبير أو تصوير ، وأى نعيم تطمح إليه امرأة أكرم وأعظم من أن يجد زوجها فيها ذلك . فيغمرها بحبه ، ويسعى ما وسعه الجهد ليوفر لها ولأبنائها أسباب الخير والرخاء والحياة الطيبة الكريمة ، فإن رأى منها ما لا يسره فى بعض الأحيان ذكر لها ما يسره فى كثير من الأحيان وتذكر مع ذلك قول الله فى ذلك « وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » وقوله تعالى « والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون » .

من ذلك - وغيره - تظهر عناية الإسلام بالأساس الذى تقوم عليه الأسرة ، وبالمكانة التى ينبغى أن تكون عليها الأسرة ، لأن الأسرة هى أساس المجتمع كما جاء فى أول دستور أعلنته الثورة ولأن أبناءها كما يقول الله فيهم « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين » ، وقد قرن الله صلة الأرحام بتقواه حيث يقول : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا » وامتدح اسماعيل عليه السلام بحرصه على هداية أهله حيث يقول : « وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا » ، وأمر المؤمنين بأن يقوا أنفسهم وأهليهم نارا حيث يقول « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة » ، ومن ثم يتبين مدى التبعة التى ألقاها الله على كل مؤمن نحو أسرته وأهله ، كما يتعين مكانة الأسرة من اهتمام الإسلام ولهذا قال صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى » .

صلى الله عليه ، ونفعنا بالصلاة عليه ، والاقتداء به ، والسير على هداه فإنه كما يقول الله فيه « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » ؟

عبد الرحيم فوده

الفراغ النفسي عند الشباب

للأستاذ محمد محمد أبو شهبة

— ٣ —

الفراغ الخلقي :

وقد كان لاتصالنا بالغرب ، وتقليدنا له بعد أن غلبنا على أمرنا ، أكبر الأثر فى إفساد أخلاقنا الموروثة ، وعاداتنا الكريمة ، وأصبح الكثيرون ولاسيما الشباب والشابات مولعين بالتقليد فيما لا ينفع وأوغلنا فى باب التقليد حتى زدنا عنهم فى التحلل ، وكادت تذهب النخوة العربية ، والغيرة الإسلامية من النفوس ، وأصبح الحياء مفقوداً عند الكثيرات من النساء ، وبالغن فى التبرج حتى صرن كاسيات عاريات ، بل وبما يؤسف له أنه ما من بدعة من بدع الغرب فى الزى والدل ، واللهو والمجون إلا وتجد لها عندنا فى بلاد الإسلام والعروبة أنصاراً ومقلدين ، فلا تكاد البدعة تظهر هناك حتى تنتشر عندنا انتشار النار فى الهشيم ، والمرض فى الجسم الذى تقل فيه المناعة ، فبدعة الرقص بالأطواق ظهرت هناك وسرعان ما انتشرت عندنا ، وكان منظر مؤلماً حقاً أن تبارى فى هذا الشباب والشابات ، والصغار والكبار ، ثم أذن الله لها أن تموت ، وبدعة إطالة الأظافر ، وصبغها بالأصباغ أصبح أمراً مألوفاً ، ولازماً عند الكثيرات من النساء ، على ما بها من مخالفة الدين ، وإضرار بالصحة ، وتشويه لأنوثة المرأة ، وجمالها عند أصحاب الفطرة السليمة ولا أدرى أى جمال فى أن تظهر المرأة فى هذا المنظر الذى يسلخ عنها وداعتها ورقتها ويظهرها بمظهر الحيوان المفترس .

وإنى لأضع أمام هؤلاء قول الحق تبارك وتعالى مخاطباً خير نساء هذه الأمة : « يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض ، وقلن قولا معروفاً ، وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة ، وآتين الزكاة ، وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » ، وقد ذكر المفسرون أن هذه الآداب التى أدب الله بها نساء النبى ليست خاصة بهن وأن نساء الأمة كلهن تبع لهن فى ذلك ، وإنما خاطب نساء النبى ؛ لفضلهن وكرامتهن ومنزلتهن وقد ذكروا فى تبرج الجاهلية أن المرأة كانت تلقى الخمار على رأسها ولا تلفه حتى يوارى قلائدها وقرطها وعنقها ويبدو ذلك كله منها فنهين عن ذلك وأمرن بأن يضربن بخمرهن على جيوبهن[1] حتى لا يظهر شىء من زينتهن فأين تبرج الجاهلية الأولى مما وصل إليه التبرج اليوم ؟ !

وإليكن أيتها النسوة قول الله تعالى أيضاً : « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ، ويحفظن فروجهن ، ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن ، أو آبائهن ، أو آباء بعولتهن ، أو أبنائهن ، أو أبناء بعولتهن ، أو إخوانهن ،

---

(١) فتحات ثيابهن من عند العنق والخمار ما تشده المرأة على رأسها وصدرها وعنقها .

أو بنى إخوانهن ، أو بنى أخواتهن ، أو نسائهن ، أو ما ملكت أيمانهن ، أو التابعين غير أولى الأربة من الرجال ، أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء . ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن . وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » .

روى الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، رؤسهن كأسنمة البخت(١) المائلة . لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » .

وقد تضمن الحديث وصفا دقيقا لما نعانيه اليوم من مساوىء التبرج والسفور ، والأزياء القصيرة الضيقة الشفافة ، التى تصف ولا تستر ، والمشية المتثنية المتكسرة ، والإغراء المسف المشين ، والتسريحات المتكلفة المصطنعة .

وروى الشيخان فى صحيحيهما عن عبد الله بن مسعود قال « لعن الله الواشمات ، والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله (٢) ، فقالت أم يعقوب ، ما هذا ؟ قال عبد الله : وما لى لا ألعن من لعن رسول الله ، وهو فى كتاب الله ، قالت : والله لقد قرأت ما بين اللوحين ، فما وجدته فقال :

(١) فى القاموس : البخت : الابل الخراسانية !

(٢) الواشمة : التى تصنع الوشم والمستوشمة : طالبة ذلك والمتنمصات : المزيلات حواجبهن مع صنعهن غيرها بقلم ونحوه ، أو الآخذات منها بما يغير من خلقتها ، والمتفلجات محدثات الفلج وهى الفرجة بين الثنيتين الأماميتين .

والله لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه (١) ، قال الله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » . وقد ثبت رفع ذلك إلى النبى صريحا فى الصحيح ، قال العلماء : إن كل ذلك حرام بل كبيرة للعن صاحبه وأن المعين على ذلك يشارك فاعله فى الإثم ، وإنما حرم الشارع ذلك لما فيه من التغرير والخداع ، وظهور المرأة بما ليس فيها ، والمتشبع بما ليس فيه كلابس ثوبى زور ، وكثيرا ما جر هذا على الأسر والبيوت الخراب والطلاق .

ولو أن الأمر اقتصر على دور الملاهى والمسارح والخيالة لهان الأمر ولكان الضرر مقتصرا على روادها ، ولكنه أصبح يهدد الناس فى بيوتهم عن طريق التلفزيون والإذاعة ، والصحافة والنشر حتى أصبح أنصار الفضيلة والأخلاق الكريمة فى حيرة وحرج من تنشئة أبنائهم وبناتهم تنشئة أخلاقية سليمة ، أيبعدون كل هذه الوسائل عن بيوتهم وأسرهم ويعيشون فى عزلة عن الدنيا ؟ وكيف وهذا أمر متعسر متعذر ؟ ثم إن وسائل الإعلام إن كان فيها شر ففيها خير ، وإن كان فيها لهو ففيها جد ، فلم يكن بد إذا من أن تعدل وسائل الإعلام من منهجها ، وتنقى مادتها ، وتترفع عن اللغو والرفث والإسفاف .

إن هذا الفراغ الخلقى فى النفوس لابد من القضاء عليه ، وذلك بالقضاء على الأسباب الباعثة عليه ، فإذا ما قضينا على هذه العوامل الهدامة فى نفوس الشباب نبدأ نبنى ونعمر ما خربته ، وذلك بملء هذا الفراغ بالأخلاق الكريمة ، والمعانى الفاضلة ، ولن تجد أفضل فى هذا الباب من الأخلاق الفاضلة

(١) زيادة الياء انة وعليها جاء لفظ الحديث .

التي دعا إليها الإسلام ، والتي هي خير ما يقوم عليها إصلاح الأسر والجماعات .

لا بد أن نربي نفوس هؤلاء الشباب والشابات على أن للدماء حرمة لا تدانيها حرمة ، وللأعراض حرمة وقداسة، وللأموال حرمة واحتراما، وصدق المبلغ عن رب العالمين حيث قال : « ألا أن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا » رواه الشيخان وأن نربي النشء على أن الفلاح في الدنيا والآخرة إنما هو بتزكية النفس ، وتطهيرها من الأقذار والأرجاس الخلقية والنفسية « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » وأن الحياة ليست بهيمية ولا شهوانية وإنما الإنسان بروحه وخلقه وأدبه ، وأن الحياة ليست لهواً وعبثاً ومجونا وإنما الحياة جد وعمل وعفة وكرامة وترفع عن الدنيا وسفاسف الأمور من أقوال وأفعال ، وأن نغرس في نفوس الشباب والشابات أن المسلم يجب أن تكون له شخصية إسلامية مستقلة متبوعة لا تابعة ، ومبدعة لا مقلدة ، وأن يعتز بشخصيته تلك غاية الاعتزاز ، وأن هذه الشخصية هي خير الشخصيات وأزكاها وأصلحها لحياة حرة كريمة فاضلة ، وأن تصل التربية في هذا إلى حد الاعتقاد واليقين حتى يكون لها أثرها في سلوك المسلم أو المسلمة وهديه وسمته ، وإيجابيته في الحياة .

لقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن المسلم ينبغي أن يكون ذا شخصية مستقلة تؤثر ولا تتأثر ، وتبدع ولا تقلد حينما قال « لا يكن أحدكم إمعة يقول إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساء الناس أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم إذا أحسن الناس أن تحسنوا ، وإذا أساء الناس أن تحسنوا » وطبعي إذا نجحنا في ملء فراغ النفوس الخلقي بهذه المعاني النبيلة ، والأخلاق الكريمة والاعتزاز بالشخصية الإسلامية فسيكون للشباب عاصم من ذات أنفسهم ووازع من ضمائرهم ينأى بهم عن التقليد الأعمى ، ويعصمهم عن الزلل والانسياق في تيار الأهواء والشهوات ، والترفع عن الإسفاف .

إن هذه الشخصية الأخلاقية الإسلامية هي التي ترفعت بكثير من المسلمين الصادقين أن يفجروا أو يخونوا أو يغدروا حتى في مواطن الحرب والانتقام من الأعداء . وإليك مثلا كريماً لذلك لما أسر السيد الجليل خبيب بن عدى في سرية الرجيع ، وأخذه بنو الحارث بن عامر ليقتلوه بأبيهم أبقوه أسيرا عندهم حتى يقتل ، حتى إذا أجمعوا على قتله ، وعزموا على ذلك استعار موسى من بعض بنات بني الحارث ليستحد بها ويتطهر فأعطته إياه ، ثم غفلت عن صبي لها فدرج إليه حتى إتاه فوضعه خبيب على فخذه وربت على كتفه فلما رأته أمه فزعت خشية أن يناله بمكروه ، ولا سيما أن بيده « الموسى » وأنه يعلم يقينا أنه سيقتل ظلما بعد قليل ، وقد استشعر خبيب هذا المعنى في نفسها فقال لأم الغلام : أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل هذا إن شاء الله !!

نعم ما كان ليفعل هذا بغلام برئ ، لأنه ليس من خلق المسلم الغدر ولا الخيانة ، ولا الإسفاف حتى ولو ظلم ثم كان من أمر خبيب أن قام إليه أخو هذه المرأة وخال هذا الطفل عقبة بن الحارث فقتله ، فرضى الله عن خبيب وأرضاه ؟

محمد محمد أبو شهبة

ممّن تطلب الحاجات

للأستاذ على الجندى

لا تطلبن إلى لئيم حاجة … فتعود منه بصفقة المغبون
سيصد عنك ! ! وإن أراك بشاشة … فبشاشة الخداع ذى التلوين
لا حبذا خلق اللئيم ! ! وحبذا … خلق الكريم الشامخ العرنين ! !
كالتمر من « هجر » وعذب الماء من … « مصر » وحر المسك من « دارين »
يقريك بشراً بالنجاح مبشراً … كالريح تحمل نفحة النسرين
وعليك يجلو بسمة رفافة … من ثغر مأمون الوداد أمين
وكأنما هو من تهلل وجهه … ـ فرحا لمن يرجوه ـ بدر دجون
يرضيك فى قول وفى فعل وفى … غلظ ـ إذا جد الحفاظ ـ ولين
أما اللئيم فأنت من أخلاقه … تأوى إلى خنث الطباع أفين
فطر اللئيم على غرائز لم تكن … معهودة إلا من « التنين »
هو خصم إخوان المروءة والندى … وعدو إخوان التقى والدين
فاصمد بقدرك لا تذله لمطلب … من كيذبان (١) مذمم ملعون
وابخل بماء الوجه لا تسمح به … فالسيف ـ لولا الماء ـ كالسكين
والسحب لولا الماء تمريه (٢) لنا … كانت أذى لمسامع وعيون
واربأ بنفسك أن ترى مستعبداً … لجميل منخسوب الفؤاد مهين
زمن المروءة لا تدر صفاته (٣) … خلقت يداه كخلقة العرجون
وأشد من وقع الأسنة فى الطلى (٤) … طلب الرفيع ابانة من دون

على الجندى

---

(١) الكيذبان ـ بفتح الكاف وإسكان الياء وفتح الدال وضمها : الكذاب . لا تذله : لا تهنه .
(٢) تمريه : تستخرجه .
(٣) لا تدر صفاته : كناية عن البخل كقولهم : لا يرشح حجره . وزمن المروءة : مقلها .
(٤) الطلى : الأعناق جمع طلية بضم الطاء فيهما .

تيارات منحرفة في التفكير الديني المعاصر

للأستاذ على العمارى

٧ — محمد رسول الحرية

هذا عنوان كتاب ألفه أحد العاملين فى الصحافة وقد ضمنه مواقف من سيرة رسول الإسلام محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، واختار الأسلوب القصصى شكلا عرض فيه هذه المواقف .

ولعل القارىء المتوسط الثقافة يدرك بدون عناء أن الأسلوب القصصى يجنى على الحقائق ، ويبالغ فى تجسيمها ، وتلوينها .

وإذا ساغ هذا وهو عندى غير سائغ فى عرض تواريخ الخلفاء، والملوك، والولاة والقواد - كما فعل جورجى زيدان فى رواياته الإسلامية فإنه لا يسوغ فى كتابة سير الأنبياء والرسل ؛ ذلك أن أى تزايد فيها ، أو تحوير فى نصوصها يعد انحرافا فى التفكير الدينى .

وقد بذل العلماء السابقون ، والمعاصرون جهودا مضنية لتنقية سيرة الرسول وأحاديثه من كل دخيل عليهما ، فمن غير المقبول أن نقر كاتبا على زيادته فى سيرة الرسول ما ليس منها ، ونرى أنه من الحتم على كل من يوجه نفسه للكتابة عن الإسلام، أو عن رسوله أن يشعر بجلال الموضوع، وأن يقدر كل كلمة يسطرها.

وعنوان الكتاب يوحى بادىء ذى بدء - أن المؤلف سيعمد إلى مواقف خاصة من مواقف الرسول يتجلى فيها إقراره لمبدأ الحرية ، ودفاعه عنها والمبادىء التى جاء بها ، وأكد بها حق الإنسان فى أن يكون حرا فى عقيدته ونفسه وماله .

ولكن المؤلف لم يبرز هذا الجانب ، بل لم يبد أنه يعنى به عناية خاصة ، وإنما عرض لطرف من حياة الرسول ، وأرخ لأكثر غزواته - فى أسلوب قصصى طبعا - دون أن يقف منها ومشيرا إلى ما فى هذه الغزوات من عناية الإسلام بالحرية فى شتى مظاهرها

ومع أنى لا أميل إلى هذا النوع من العناوين ؛ لأن دعوة الإسلام لم تكن فى جانب من جوانب الحياة الإنسانية أظهر منها فى بقية الجوانب ؛ فقد عالج الإسلام كل القضايا التى تشغل الناس فى حياتهم من اجتماعية ، وسياسية ، ودينية ، وأخلاقية ، كما بين لهم طريق الخير والشر ، وأكد لهم أن هناك يوما آخر يحاسبون فيه على أعمالهم ، إلى غير ذلك مما عنى به الإسلام : (وكل شىء فصلناه تفصيلا) .

مع هذا كنت أحب للمؤلف أن يتجه فى بحثه إلى ما ألزم نفسه به ، وعنون له حتى لا يكون العنوان لمجرد اجتذاب القارىء .

وسواء كان الموضوع متفقا مع العنوان ، أو مختلفا معه فليس هذا من مآخذنا على الكتاب ، هذه المآخذ التى نعنى بها فى هذه الأحاديث ، وإنما قدمتها لأنبه على خطأ فى أسلوب التأليف شاع بين المؤلفين المحدثين الذين يرون التأليف عملا تجاريا أكثر منه تعبيرا عن فكرة اختمرت فى رأس المؤلف ، وأحب أن يذيعها فى الناس .

وأول ما نأخذه على المؤلف اعتماده الاعتماد الكلى على ما كتبه (المستشرقون) ولا أظن أن

أحدا من الذين لهم أدنى دراية بأغراض الاستشراق ونشأته ، وتطوره يجهل أن هؤلاء المستشرقين لا يلتزمون الأمانة العلمية ، وأن من أغراضهم الأولى محاربة الإسلام ، وقرآنه ورسوله ، وتاريخه .

فمن الخطأ والخطر أن يعتمد مؤلف يكتب عن الإسلام - بعامة - وعن سيرة الرسول - بخاصة - على ما زوره هؤلاء الأعداء الذين يتخذون من قداسة البحث العلمى وسيلة للطعن والتجريح ، بل ولسوء الأدب ، واستغلال الشعوب .

ولكن من المؤسف حقاً أن بعض الكاتبين عندنا لا يرون أوثق من هؤلاء ، وبعضهم يتابعهم عن هوى ، ومرض نفسى ، وآخرون يتابعونهم عن غفلة ، أو عن شهوة للتعالم وأياً ما كان الدافع إلى الاعتماد على هؤلاء فهو جناية وطنية قبل أن تكون جناية دينية ، ونحن نلوم - وبشدة - أولئك الذين يكتبون عن سيرة الرسول بروح هؤلاء المستشرقين وتوجيههم .

عرض المؤلف فى كتابه لقصة (الفيل) ولهذه القصة أصل معروف ، واضح ، صادق كل الصدق ، فمن الانحراف فى العقيدة أن تتابع أحدا يتجهم لهذا الأصل ، ويحاول أن يعتسف فى تأويله وتفسيره ، أو يحاول - بخبث ومكر - أن يكذبه .

والمستشرقون قد حرفوا فى هذه القصة ، فادعوا أن (أبرهة) الذى جاء بجيشه ليهدم الكعبة لم يكن يقصد مكة ، وإنما مر بها فى طريقه لمحاربة الفرس بجاملة من الأحباش للروم ، قالوا : والطريق الطبيعى الممتد من اليمن إلى حدود فارس يمر بمكة ، وينتهى عند وادى الرمة أحد روافد الفرات فيما مضى .

وزعموا أن ما أصاب جيش أبرهة كان وباء جاء معه من اليمن ، وأن العرب أيقنوا أن ذلك أثر من تدخل العناية الإلهية .

وزعم المستشرقون - كذلك - أنه لا يمكن وجود فيل أو فيلة مع جيش أبرهة ، لأنه - كما زعموا - لا يمكن الاحتفاظ بالفيلة فى اليمن ، وتسييرها فى صحارى نجران ، وأن الفيلة الإفريقية التى قد يكون الأحباش جلبوها إلى اليمن من الصعوبة ترويضها ، حتى أن بعض الفئات من علماء الحيوان يرون استحالة ذلك ، وأن الأحباش لم يكونوا على دراية بترويض الفيلة .

هذه بعض مزاعم المستشرقين حول قصة الفيل ، نقلتها عن كاتب كان مسلماً ، وقد كان الواجب على كتابنا إذا عرضوا لمثل هذا الموضوع أن يرجعوا - أولا - القرآن الكريم ولتفاسيره ، غير أنهم ينظرون إلى ما كتبه المستشرقون ، فنهم من يأخذ كل ما قالوه قضايا مسلمة ، وفى ذلك تردى بعض كتابنا ، ومنهم من يأخذ بعضاً كما فعل هذا المؤلف .

فقد تابعهم فى جزئية من هذه الجزئيات ، فزعم - كما زعموا - أن مكة قبل ميلاد النبى بقليل كان يغشاها الوباء (جاء مع أبرهة ملك الحبشة) وأن جيش أبرهة (لم يكد يتقدم حتى عصف برجاله الوباء الذى كان يعصف بمكة ، فإذا برجال أبرهة يتساقطون مرضى بالجدرى ، ومعهم أبرهة نفسه) .

وغير المؤلف يتخابث ، ويتعالم ، ويدعى أن ذلك تؤيده المصادر العربية ، ويؤيده القرآن .

قال إسماعيل أدهم فى مقال له بمجلة الرسالة القديمة (العدد ٣٤٨) : (تقدم الأحباش بقواتهم شمالا ، لكنهم لم يكادوا يقربون مكة حتى ألمت بهم كارثة أودت بهم . وبعض المراجع العربية ترجح أن تكون هذه الكارثة هى تفشى الجدرى فى جيش الأحباش ، والقرآن الكريم يؤيد كلام المؤرخين العرب) .

وزعم أن ذلك فى كتاب الكشاف للزمخشرى .

وواضح من كل ذلك - وهو كما قلت متابعة لتحريفات المستشرقين - القصد إلى تكذيب القرآن .

فالقرآن أثبت أن الذين جاءوا بالحملة كانوا (أصحاب الفيل) . ومن البدهى أنه لا يصفهم بذلك حتى يكون

معهم فيل ، والمؤرخون العرب ، والغربيون لا يشكون فى أن الجيش الذى جاء إنما هو جيش حبشى ، والأحباش غير معروفين بالفيلة حتى تحمل التعبير (أصحاب الفيل) على أنهم شهروا بذلك ، وإذن فلا يمكن إضافتهم للفيل إلا إذا كان فى حملتهم فيل .

والقرآن يثبت أن أصحاب الفيل كانوا يريدون بمكة شراً : « ألم يجعل كيدهم فى تضليل » فهم قد جاءوا كائدين ، والكيد لا بد أن يكون بالبيت الحرام ، ولا يمكن أن يكون الكيد للفرس ، لأن الله لا يمنح عنايته لقوم وثنيين ، ثم يمتن بهذه العناية، ويوجه إليها رسوله الذى بعثه ليدعو إلى التوحيد الخالص .

والقرآن يثبت أن الله هو الذى أهلك جيش أبرهة فأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل .

ولا أدرى ما الذى يدعونا إلى أن نلجأ إلى التأويل فى مثل هذا . والقرآن قد صرح بأن الله أرسل طيراً ، وأن هذه الطير رمت الجيش بحجارة ، وأن هذه الحجارة هدت قوتهم ، وجعلتهم كعصف مأكول ، فما الذى يحدث لو آمنا بهذا كله على ظاهره ؟ والحياة كل يوم تأتينا بالعجائب والغرائب التى تكاد تنكرها العقول لولا المشاهدة ؟

ولكن الذى لاحظته أن مؤلف كتاب (محمد رسول الحرية) يميل إلى تجاهل كل ما أيد الله به رسوله من أمور غير معتادة . وسنعرض لذلك فيما يأتى من حديث .

أما ما زعمه (أدهم) من أن الزمخشرى يرجح - كغيره من بعض مؤرخى العرب - أن الذى حل بجيش أبرهة هو الجدرى ، فهو كذب واختلاق .

فالزمخشرى لم يرجح هذا الرأى ، بل لم يذكره بصورة تناقض ما جاء فى القرآن ، وعبارته - كما جاء فى تفسير سورة الفيل - : (فأرسل الله طيراً سوداً ، وقيل خضراء ، وقيل بيضاء مع كل طائر حجر فى منقاره ، وحجران فى رجليه أكبر من العدسة ، وأصغر من الحمصة) ، وبعد أن يتحدث عن بعض الغرائب فى هذا الموضوع يقول : (وعن أبى سعيد الخدرى : من أصابته - يريد الطير - جدرته ، وهو أول جدرى ظهر على الأرض) .

فالزمخشرى فسر الآية - أولا - بما هو الظاهر منها ثم أضاف - ثانياً - رواية عن أحد الصحابة لم ينف فيها أن الله أرسل طيراً ، بل جعل (الجدرى) ناشئاً عن رمى الطير الجيش بالحجارة . فأين الترجيح فى هذا الصنيع ؟

الحق أن بعض الكاتبين يريدون أن يفهموا القرآن على أهوائهم ، بل هم لا يريدون بالقرآن خيراً ، وربما أداهم ذلك إلى الكذب والافتراء على المؤرخين وعلى المفسرين .

وهذا هو ما عرفته من كل منحرف : يرى الرأى، ثم يبحث عن رواية أو قول يؤيده ، فإذا وجده أشاد به دون أن يحاول معرفة درجته من الصحة ، ولا بأس عنده أن يتكذب على الرواية ، أو يحرفها .

وإنى لأعتقد أن ما جاء به القرآن مما يحاول هؤلاء تحريفه أو تكذيبه لو جاء من طرق أخرى لآمنوا به ، وناضلوا دونه ، ولكنها الرغبة الدفينة فى النفوس التى تبغى الحط من الإسلام ، وتشويه نصوصه ، ولكنه - أيضاً - الحطب فى حبال المستشرقين والإيمان الأعمى بهم ، وبما يكيدون للإسلام ؟

على العمارى

للإنصاف : ذكر المؤلف الذى عناه الكاتب وهو الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى فى مقدمة كتابه أنه لم يكتبه للمسلمين ، كما ذكر ذلك لبعض من لاموه على ذلك من أصحابه . (عبد الرحيم فوده)

حول كتاب :

الصّراع الأدبى بين القديم والجديد

للأستاذ على العمارى

للأستاذ كامل السيد شاهين

— ٢ —

١ — بل كل شاعر أكبر من العروض :

الفصل المعقود بعنوان « أكبر من العروض » فصل ضاف ، مشحون بما ليس منه ، فأما القضية فلا ينبغى أن تكون محل خلاف ، فكل شاعر أكبر من العروض .

وما العروض إلا علم حصر الأوزان العربية القديمة فى ثمانية وستين ضربا . وهى الأوزان التى جرى عليها الأوائل ، ودار فيها الشعر العربى القديم ، ولسنا ننكر أنها اتسعت لتسجيل العواطف عنيفها وهادئها ، وللغناء بالمواقف جادها وهازلها . ووسعت الأغراض النبيلة والخسيسة ، وأن فيها ما يطرد اطراداً ، وفيها ما يفور فورانا ، وفيها ما يتزايل ويتخنث ، وفيها ما يهيج فى المعمعة ، وفيها ما يبعث على الرقص وهز الأعطاف ، وفيها ما يمكن أن يزدوج ليتسع لنوعين أو أنواع .

ولكن ذلك كله لا يعنى أن السلائق العربية قد استوفت كل ما يمكن أن تستطيبه الأذن من ألوان الموسيقى ...

فالمعيار الذى لا يخون : أن يتزن الكلام بحيث ترتاح إليه الأذن الموسيقية ويلذ لها . والحكم فى ذلك هم الشعراء والمطبوعون من النقاد .

ومن ثم جاءنا الوزن المحدث :

يأيها المعمود قد شفك الصدود

فلم يستطع أحد أن يدفعه عن ميدان الشعر ، ولم يقل أحد إنه خارج عليه لمجرد أنه خارج على الأوزان الواردة عن العرب . .

وجاءنا الموشح سائراً على نهج الشعر القديم ، وخارجاً على هذا النهج ، فلم يدفعه أحد عن ميدان الشعر باعتبار هذا الخروج . .

ولو استقام فى الزجل أن تكون ألفاظه عربية صحيحة فهو شعر ، وإن يكن خارجاً على الموازين الموروثة .

إذن فكل شاعر أكبر من العروض ، وليس للعروض أن يهيب بالشاعر أن يقف عند حدوده فليس للشعر حدود ، وإنما العروض تسجيل لما جاء عن العرب القدامى ، وذلك لا يلزم غيرهم بالوقوف عندما داروا فيه .

فلسنا إذن مع المؤلف الفاضل فى دعوته إلى عدم الخروج على الوزن القديم ، فإن الأوزان لا تنضبط .

هذا حديث الأوزان ، فأما نبأ القوافى ، فالأمر فيه — عند شعرائنا — أمر تقليد محض .

فإن شعراءنا وجدوا الشعر الغربى — إلا أقله — لا يلتزم القافية ، فظنوا ذلك تحرراً من القيد ، وإطلاقا للعاطفة ، وإجراء للمعنى إلى منتهى غايته ، وإعفاء من اللازمة الرتيبة البغيضة المرهقة .

وإذا كانت اللغات الأجنبية تضن طبيعتها بالقوافى ولا تسمح بالتقفية منها إلا اللاتينية فى حدود ضيقة ، ومن طريق الضمائر ، فإن هذا لا يتخذ حجة على العربية التى تسخو ولا تعوز ، وتتدفق ولا تنضب .

ومن العجيب أن قوما من شعراء العرب جربوا الخروج على القافية فوقعوا فى الثرثرة حينـاً وفى التكلف أحيانا.

ولو قارنا بين قصيدة فرحات فى اللاجئين :

أضحية الكذب المقنع والخيانة والرياء
أورث الذئاب إلى مضاجعكم وأنتم فى العراء

وفيها بعد خروج على القافية .. وبين سائر شعره فى هذا الموضوع .

وقارنا بين قصيدة نعيمة التي زعم المرحوم الدكتور مندور أنها من الشعر الهامس ، ومطلعها « أخى إن ضج بعد الحرب .. » وبين سائر شعره .

وجدنا هاتين القصيدتين ليستا فى حرارة قصائدهما السائرة على النهج العربى الذى تلتزم فيه قافية واحدة ، ولا فى حرارة معانيها .

مما يدل على أن القصد إلى التحرر من القافية إنما هو ضرب من التعنت والمعاناة ، لا ترتاض له اللغة ولا تطوع .

وادعاء قلة المحصول اللغوى عند شعراء اليوم ، ذلك المحصول الذى تتيسر معه القوافى الملزمة ... ليس مما يستحق الاعتبار ، فإن الأمر فى ذلك أمر دربة ومعاناة وملاحظة وجيشان معنى فى قلب ...

ومع ذلك فليس هناك ما يدعو إلى استعمال القوافى الحوش ، والقوافى النفر ، فإن فى القوافى الذلل مراراً لمن أراد .

ولم أطالع لكاتب كبير انتصاراً لتعدد القوافى أو لإرسالها ، وليس ذلك راجعاً إلى أن العادة ألزمتهم بذوق لا يستطيعون عنه حـولا . فإن المقارنة بين الشعر المرسل والشعر الملتزم ، من ناحية الغرض والمعنى والخيال والمتانة والتماسك ، يبوء منها الشعر المرسل بالخسار والسقوط .

ولعل أقرب شىء إلى الشعر المرسل من شعرنا القديم ما جاء عن العرب من مقصورات فإنها تشبه الشعر الحر فى أنها لا تلتزم إلا ألفا فى آخرها تشبه أن تكون إطلاقا للحركة . لا التزاما للقافية . كقول أبى الطيب :

وماذا بمصر من المضحكات
ولكنه ضحك كالبكا
بها نبطى من أهل السواد
يدرس أنساب أهل الفلا
وأسـود شفره نصف
يقال له أنت بدر الدجى
ومن جهلت نفسه قدره
رأى غيره منه مالا يرى

وهذه المقصورات لم ترج عند العرب ولم يكتب لها النجاح إلا فى ضرب من الطرديات ، ونوع من الحكم على أنها - مع ذلك - لا تفوق نظائرها من الشعر غير المقصور القوافى .

ولما قرأ المؤلف لبعض الباحثين من دعاة التحرر من القافية ، أن التزام القوافى قرت على العرب القول فى الملاحم . . دفع هذا الادعاء بأن هناك خبرين وثيقين يثبتان وجود الملاحم فى الشعر العربى هما ما جاء فى النجوم الزاهرة من أن لمحمد ابن أحمد بن الربيع قصيدة فى أخبار العالم ، وقصص الأنبياء ، بلغت ثلاثين ألفا ومائة بيت ، وما ذكره ياقوت من أن لعلى بن عبد الجبار ابن سلامة قصيدة فى الرد على المرتد البغدادى تبلغ أحد عشر ألف بيت على قافية واحدة

وهذا كلام عجيب من العالم الباحث .

فشعر الملاحم ينبغى أن يعتبر ميزة للشعر اليونانى على الشعر العربى ؛ لأن لكل شعر طبيعة تتصل بالبيئة والمعتقدات .

والملاحم اليونانية القديمة أشعار أسطورية تقوم على ادعاء أعمال خارقة يأتيها الآلهة والأبطال ، وقوامها الخيال ، ولا تتصل بالوقائع الجارية ، وإنما تكون هذه الملاحم فى طفولة الشعر . . . فالملحمة الآن ليست ذات موضوع ، ولم يكن من الممكن وقوعها فى الشعر العربى القديم ؛ لأن العربى لا يعرف الآلهة الذين يمتزجون بالناس ، ويقتتل بعضهم مع بعض ، ويصرع بعضهم بعضا .

على أنه من الطبيعى ألا تكون القصيدتان اللتان جرى حديثهما فى النجوم الزاهرة ومعجم الأدباء من الملاحم بهذا المعنى ، ضرورة اختلاف الموضوع ومباعدته مباعدة تامة عن موضوع الملحمة ... فلا أخبار العالم ولا قصص الأنبياء ، ولا جدل الموتدين يصلح أن يكون موضوعا للملحمة ... وليس بين القصيدتين وبين الملاحم صلة إلا مطلق الطول .

وليست الملاحم على أية حال بذات قيمة أدبية أكثر من أنها تسجل لونا من الخيال والشعر اليونانى إبان طفولتهما.

٢ — الدعوة إلى العامية :

أما الفصل المعقود للدعوة إلى العامية ، فيبدؤه الكاتب الفاضل بكلمة للجاحظ يقول فيها :

« ومتى سمعت — حفظك الله — بنادرة من كلام الأعراب ، فإياك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها ، فإنك إن غيرتها بأن تلحن فى إعرابها وأخرجتها مخارج كلام المولدين والبلديين ، خرجت من الحكاية » .

ثم يقول :

« واللحن من الجوارى الظراف ومن الكواعب النواهد ، ومن الشواب الملاح ومن ذوات الخدور الغرائر أيسر ، وربما استحلى ذلك منهن » .

ودلالة هذا الكلام بينة ، فى أن الجاحظ إنما يتكلم عن اللحن ، وهو خروج الكلمة العربية من الإعراب الصحيح ، بنصب المرفوع أو جر المنصوب ... وليس هو فى عامية الكلمة أى بنائها على غير الوجه الذى يتكلم به الفصحاء ... والفرق بين اللحن الذى يتعلق بآخر الكلمة المعربة عند التركيب ، وبين العامى ، وهو خروج الكلمة من البناء العربى لا يخفى على دارس ، وكلام الجاحظ فى شأن استحلاء اللحن أو استهجانه ظاهر .

ثم انثنى المؤلف يناقش ابن خلدون فى أمر بلاغة العبارة الملحونة ، وخروجها من البلاغة . ولم يتبين الباحث الجليل أن ابن خلدون يتكلم عن البلاغة من حيث هى بلاغة ، وأن كل قوم لهم بلاغتهم التى شقيت بها أعراقهم ، ومرنت عليها سلائقهم .

ومهما يكن من شىء فكلام ابن خلدون ككلام الجاحظ ، من حيث إن موضوعه الكلمة الملحونة وليس الكلمة العامية ، فالإفاضة فى مناقشتهما مع اعتبار أن قصدهما الكلمة العامية ، عن إصابة الغرض بمعزل .

على أن مسألة إشاعة العامية أمر تقرره ظروف قومية ودينية ، وليس أحد يقر تعميمها . لأن العامية ليست لغة فردة موحدة كالعربية ، بل هى لهجات تفوت الحصر ؛ إذ تختلف من إقليم إلى إقليم ، وتختلف فى الاقليم الواحد من منطقة إلى منطقة ، وربما نالها بعض الاختلاف بين بلد وبلد .

ولكن هذا لا يمنع أن لهجة الإقليم تكون أحلى وقعا ، وأكثر صدقا إذا كان هذا الإقليم مسرح الحوادث ، وقد سقطت كثير من المسرحيات التى اعتمدت العربية لغة للأداء .

ومن ثم فإننى مع الكاتب الموفق فى أنه لا بد

من ازدواج اللغة ، وأن حرب العربية حرب جائرة ظلوم ، وإشاعة العامية أمر ما إليه سبيل .

ولقد حاول الدكتور محمد حسين هيكل فى رواية « زينب » أن يدس بعض الكلمات العامية فى أطوائها فجاءت محاولة موفقة ، وقد طابت - وأنه - مواقعها ولكن هل يستطيبها غيرنا نحن أبناء الفلاحين ، ممن نشئوا فى المدن ، ولم يعرفوا لكنة القرى ؟ ثم هل يستطيبها أبناء الأقطار العربية الأخرى فلاحوهم ومدنيوهم ؟ . ما أحسب أن موقعها من نفوس هؤلاء موقع الرضا والاستحسان .

٣ — فى مستقبل الشعر :

تسود هذا الفصل الأحكام الشخصية المنفصلة التى تحتاج فى قبولها لأسانيد لم يسمح لنا الكاتب بشىء منها ، وأعتقد أن مثل هذه الأحكام لا تطلعنا على جديد ، اللهم إلا رأى الكاتب فى بعض الشعراء والأسانيد تحتاج إلى جهد . ونقدها يحتاج إلى تحليل ، وكل هذا وراءه عمل طويل لا يسمح به فصل ضيق كهذا الفصل .

ورأى الكاتب قد يقبل أو يرد ... فالأوفق إذن أن يفرد مستقبل الشعر بتأليف ضاف يحدد أهداف الشعر ، ويبين مواقع شعرائنا من هذه الأهداف ، ومبلغ قدرتهم على الأداء الفنى ... فأما الشريط الاستعراضى الذى أورده المؤلف ، فالفائدة به بالغة غاية الضآلة .

ومما جاء فى هذا الفصل ، قول الكاتب : « إننى لم أقرأ قصيدة جيدة فى حرب السويس ، أو فى مأساة فلسطين ، أوفى السد العالى ... قصيدة ترتفع إلى مستوى الأحداث : » ثم يقول : « ولست بذلك أدعو إلى الأدب الملتزم » الخ .

وحق ما قال من أن ما انتحل من القصائد لا يشعر بأن الشعراء قد ارتفعوا إلى مستوى هذه الأحداث الجسام .

ولكن ما علاقة وصف الأحداث الجارية بالالتزام فى الأدب ؟ .

إن وصف مأساة فلسطين ، وحرب السويس ، والسد العالى ، ليس من الأدب الملتزم فى شئ .

إن الالتزام فى الأدب أن يحدد الشاعر موقفه من الأحداث الحائرة التى تضطرب فيها الآراء اجتماعية أو دينية أو سياسية ، ثم يلتزم الأديب الترويج له ، والمحاماه دونه ، ودعوة الناس إليه ، ومصاولة المعارضين له .

ومعنى هذا ألا يقف موقف المتناقض الذى يمدح الشئ ، ويمدح ما يعارض ذلك الشئ ولا موقف الحائر الذى لا يستطيع لاضطرابه أن يجزم بشئ .

ومأساة فلسطين ، وحرب السويس ، والسد العالى ؛ ليست من الأمور التى تختلف فيها الآراء ويختصم الناس فى أمرها ، وينقسمون إلى محامين منها ، ومهاجمين لها ..

وإنما هم يختصمون حول تحديد النسل ، وعمل المرأة فى المصنع وحول الذاتية والموضوعية وحول الحكم المطلق والحكم الشورى . فإذا اتخذ الأديب موقفا منها ، ونافح عنه ، وروج له ، فهو أديب ملتزم .

ثم إن الكاتب عاب فى هذا الفصل على شعرائنا تجهمهم للحياة ، وزعم أنه لم يجد منهم من ابتسم للحياة إلا اثنين : صاحب ديوان « لهو وعبث » ، وصاحب ديوان « الفجر الضاحك » أراد نفسه .

وليست المسألة مسألة عنوانات تطبع على أغلفة الدواوين .

فديوان الفجر الضاحك لا يجرى مع تسميته ، فهو يفيض بالشكوى والألم .

وما الفخر الذى يشيع فيه إلا شكوى من قلة الإنصاف، ولو وجد الشاعر من الناس تقديرا ونصفة، ما احتاج إلى أن يعلن عن نفسه، ويكاثر بفنه.

فصاحب الفجر الضاحك كصاحب الطلل الباكى يفيض شعرهما بالألم والشكوى، ويصطبغ باللون «الرومانسى» الحزين.

ولكن لماذا كانت هذه الظاهرة؟.

أهى نتيجة واقعنا الاجتماعى فنتلقاها بالقبول؟.

أم هى ظاهرة مستوردة من الأدب الفرنسى فى صدر هذا القرن؛ فنقبل منها ما يلاقى واقعنا، ونرفض ما يجافى هذا الواقع؟.

ذلك هو ما كنا ننتظر من المؤلف المحقق أن يفصل فيه ... لا أن يلاحظ الظاهرة، ثم يمضى ...

٤ — خاتمة:

ولقد كنت أوثر للكاتب أن يستغنى عن الفصل الأخير فى «النقد التطبيقى» لأنه من ناحية خارج على موضوع الكتاب، وهو «الصراع الأدبى بين القديم والحديث»، ثم إنه وقف عند قصائد ثلاث لشعراء ثلاثة، كلهم من ذوى اللون الاتباعى.

ومهما تكن نفاسة هذا النقد، فإن ذلك لا يبرر إلصاقه بالكتاب، دون كبير مناسبة.

وبعـــد:

فأنا لا أنكر أن هذا كتاب مفيد فى تسجيل الحركات الأدبية، وفى شرح الظواهر التى ترامت فيها، وأن هذا كتاب كتبه صاحبه فى تجرد فأصاب فى أكثر أحكامه، وأخطأه التوفيق فى قليل منها، وأن هذا هو الكتاب الأول الذى يعبر عن وجهة نظر الأزهرى المثقف الواسع الاطلاع الشامل النظرة، الذى زاول الأدب قراءة وفهما وإنتاجا ونقداً.

ولا أنكر كذلك أن كثيرا مما فى هذا الكتاب كان يغيظنى..

فهو أحيانا يغيظنى بالحدة والانفعال. فإذا جازت الحدة واستحمد الانفعال فى المقالات لأنها تتصل بأحداث الساعة فإنها لا تجوز فى كتاب يقرأ على مهل، وبعد فوات الأحداث التى توجب الاهتياج.

وهو أحيانا يغيظنى بأن يورد كلاما لغيره، ويناقشه ويعاسره، ويخاشنه ويغلظ له، ثم لا يذكر ذلك الذى نقل عنه وأغلظ له، ونسى أن من حق القارئ أن يسئ الظن بالكاتب، وأن من حقه أن يراجع ما نقله عن غيره، لعل فى النقل تحريفاً أو سوء فهم كثيراً ما يقع فيه الكتاب، ومن يدرى فلعل فيه تدليساً أو ابتسارا لغرض يسره الكاتب، ويرى إليه.

وهو يغيظنى أيضا بالاتهامات الكثيرة التى تشيع فى كتابه، وبسوء الظن الذى لا يفارقه حتى إن العالم الاجتماعى الجليل ابن خلدون، قد ناله نصيب من لوافحه، فرمى بالعصبية فى شر صورها، وهى عصبية الإقليم.

ولقد كنت أوثر أن ينهج فى نقاشه وعرضه المنهج التحليلى. يعطيك المجهر الذى يكشف الصغير، ويكبر الجليل. أو يسلط الأشعة لنرى ما لم نكن نرى، ونستبين ما وراء الأطلية ثم يترك لك الحكم وهو مطمئن إلى أنه فتح عينيك.

ولكن المؤلف آثر أن ينهج فى نقاشه وعرضه المنهج التدليلى، يأتيك بالحكم، ثم يكر على مقدماته أو على نتيجته فى جبرية تدعوك أحيانا إلى معاندته والوقوف منه موقف الخصومة والمكابرة.

ولكنى أشهد أنى تمتعت بالكتاب وأفدت به، سواء فى ذلك ما غاظنى، وما طيب نفسى؟

كامل السيد شاهين

الفكرُ الدّينى فى مصر

للأستاذ عبد الجليل شلبى

امتاز الشعب المصرى من قديم جداً بنزعته الدينية العميقة ، وألهمته هذه النزعة صفات خلقية خاصة ، من الصبر على المكاره وعزاء النفس عما يفوتها من متاع الحياة الدنيا بارتقاب الجزاء فى الدار الآخرة ، إلى صفات أخرى كانت ذات أثر ملحوظ فى سلوك المصريين وطريقة تعاملهم .

وبينما أهملت التوراة - والمفروض أنها دين سماوى — ذكر الدار الآخرة والجزاء على ما عمل الإنسان فى الدنيا ، فصلت ديانة المصريين القدماء حياة الناس بعد البعث ووضحت الجزاء على الأعمال بما لم نجده فى الديانات القديمة .

وأبرز مظاهر التدين فى حياة المصريين - بعد العهود الوثنية — هى مظاهر النسك والرهبنة فى العهد المسيحى ، ثم حياة التصوف فى العصر الإسلامى ، وقد سبقت مصر بهذين المظهرين كل دول العالم ولا يعزى ذلك إلى مجرد المصادفة وإنما كان له أسبابه من طبيعة المصريين قبل كل شىء .

وهناك عوامل أخرى غذت هذه الفطرة المصرية ، ويمكن أن تكون أسبابا مباشرة أو غير مباشرة لظاهرتى الرهبنة والتصوف .

فهناك التراث الذى تخلف عن مدرسة الإسكندرية وأخصه بما يناسب موضوعنا خلاصة الفيثاغورية والرواقية والأبيقورية ، فثلاثتها تتلاقى إذا وقعنا عند - الجانب الروحى منها - فى نمط سلوكى يقوم على رياضة النفس وتوجيهها تدريجيا إلى الترفع عن المادة ولذائذ الحياة .

وفى تعاليم الفيثاغورية بصفة خاصة ما يلائم المسيحية ويدعو أتباع المسيح إلى الأخذ به ، فأتباع فيثاغورس كانوا يعتقدون أنه ابن الإله «أبولون» وأن الذى مات منه إنما هو الجسد الفانى وأنه سيعود إلى الحياة بعد حين ، وكانوا يتآخون فى العبادة وإقامة الشعائر ويفضلون الابتعاد عن صخب الحياة ويحرمون ذبح الحيوانات وأكل لحومها ويؤثرون التقشف بوجه عام .

ووجدت تعاليم فيثاغورس فى مدرسة الاسكندرية وبين المصريين تربة صالحة لنموها فمن الجائز والتوقع أن تكون بقاياها سرت إلى العهد المسيحى وأثرت فى نساكه ورهبانه ، وهذا أمر لا يجد ما يعارضه غير أن هناك أمرين لا ينبغى أن نغفل عنهما ، أولهما أن أفكار فيثاغورس كانت مزيجا من الهندية والفارسية والمصرية إلى جانب عنصرها اليونانى ، فهناك إذن جانب مصرى فى هذه الفلسفة ، وثانيهما أن هذه التعاليم لم تلق رواجا فى بقعة أخرى كالذى وجدته فى مصر .

وأما الأبيقورية والرواقية فكانتا كلتاهما رد فعل لحالة الترف ومعيشة البذخ التى شاعت فى عصرها فكان منهجهما - على ما بينهما من خلاف - يدعو الى التقشف وطلب اللذة الروحية وترك الشهوات وأعمال الفكر ، وامتازت الرواقية بإيمانها بالقدر واطمئنانها لما يصيب النفس بما تكره ثقة منها بأنه خير فى حقيقته وان كان شرا أو بغيضا فى ظاهره .

وكانت الرواقية إلى جانب هذا ذات سمات شرقية وظفرت بانتشار واسع فى البلاد الشرقية .

وقد لاقت هذه المذاهب الثلاثة قبولا بين طوائف من اليهود لاسيما الآسيثين والسامريين ولم يَنبُ عنها جماعة الفريسيين الذين كان المسيح من تلاميذهم فى صباه وناصبوه العداء بعد رسالته .

ومن السهل إذن أن تكون هذه الأفكار تسربت إلى المسيحية عن طريق المسيح نفسه وعن طريق أتباعه ممن تأثروا بها ، وقد كانت دعوة المسيح فى حياته روحية بحتة ثم كان أتباعه بعد ما يزيد على قرن من انتهائه هم الذين أدخلوا على المسيحية تعاليمها الأخرى وكان من أصحاب الأناجيل والرسائل والوعاظ من لهم صلة وثيقة بهذه الفلسفات كما يبدو ذلك لدى لوقا الطبيب ويوحنا صاحب الإنجيل المسمى باسمه وصاحب سفر الرؤيا ، والفلسفة فيهما واضحة كل الوضوح .

وهناك آخرون دخلوا المسيحية أخيراً لهم صلة بمدرسة الاسكندرية ولهم فى تلوين المسيحية دور خطير ، وتلمع دائماً بينهم أسماء أوريجين وكليمنس Clement .

هؤلاء كان لهم أثر ملحوظ فى نشأة الرهبنة وصبغها بصبغتها الخاصة ، وغنى عن الذكر أن المصريين أخذوا من كل هذه الفلسفات جانبها العملى التعبدى دون الجانب النظرى .

والمسيحية أيضاً كانت دعوة صارخة تهيب بالناس إلى ترك الدنيا والدخول فى ملكوت الله وحسبما تصورها الأناجيل تنحصر فى ثلاثة جوانب ، دعوة إلى الزهد وترك الدنيا رداً على ما شاع فى عصره من الترف وحب البذخ والتظاهر بالثراء ، وحملة على الرياء بطلب الإخلاص وتوجيه الأعمال لله ، رداً على ما شاع بين اليهود من التراثى بالأعمال الصالحة والتظاهر بالعبادة خداعاً للناس وطلباً للكسب عن طريق الدين ، ودعوة إلى التسامح والصفح محاربة لما تخلق به اليهود من الإصرار على الأحقاد وإضمار السوء للناس .

لهذا نفر المسيح من الانهماك فى طلب الدنيا وجمع المال : لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون ، بل اكنزوا لكم كنوزا فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون . ، لا يقدر أحد أن يخدم سيدين ... لا تقدرون أن تخدموا الله والمال . . دخول جمل فى سم الخياط أقرب من دخول غنى فى ملكوت الله . طوبى للفقراء والمساكين . . طوبى للجياع العطاش إلى البر .

فهذه ـ وأمثالها كثيرة ـ دعوة إلى الزهد وتنفير من متاع الدنيا وترغيب فى التوجه إلى الله .

ويقول :

لا تقاوموا الشر . . . من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين . . . أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم ، صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم .

هذه الأقوال كلها تركت فى نفوس المصريين أثراً عميقا وجعلتهم يستسلمون للرومان يذبحونهم ويحرقونهم وهم راضون مستسلمون طمعا فى ثواب الآخرة وطاعة لأقوال المسيح ، ويكفى تأييدا لهذا ما فعله أوريجين بنفسه تأثرا بكلمة المسيح : من الناس ناس يخصيهم الله وناس يخصيهم الناس وناس يخصون أنفسهم ، إذ حمل الكلمة على ظاهرها

يجب نفسه . . فإذا كان هذا حال الذكى المفكر فكيف بالبسطاء قليلى التفكير .

والشىء الذى يحد من عزو الرهبنة إلى تعاليم المسيحية وحدها هو أن الرهبنة لم توجد بالأقطار المسيحية الأخرى كما وجدت بمصر ، بل قد وجدت بمصر طائفة متنسكة تقرب فى نسكها من الرهبنة قبل المسيحية بنحو قرنين وكانت تعيش بمقربة من بحيرة مريوط نفس المكان الذى بدأ منه الرهبان المسيحيون ، وهؤلاء هم أساتذة الآسيينين اليهود الذين اشتهروا بنسكهم .

وعن مصر أخذ العالم كله نظام الرهبنة ، وجاء الناس من بعيد ليروا رهبان الصحراء ، ونقل إلى الهند وفارس ورقعة الشام كلها وإلى البلاد الأوروبية هذا النظام بل والاسم أيضا حتى إن الصوامع التى أنشئت فى جزر أيرلندا سميت أيضا باسم الصحارى وليس هناك صحراء .

أظن أنه من السهل بعد هذا كله . ومع الأخذ بالأسباب السابقة جميعا . أن نعزو إلى الطبيعة المصرية كل هذه المظاهر الدينية ، ولا تكون هذه الأسباب الأخرى أكثر من موجه لها ، فهى طبيعة تجنح إلى التدين وتتجه إلى الله ترتقب عونه وتخشى انتقامه ، وتؤمن بحساب الآخرة ، وهى فى هذا الإطار قابلة للتوجيه حسبما تملى عليها النصوص التى تؤمن بها .

وليس من المستنكر أن يترك كل دور من هذه الأدوار أثرا ما فى الدور الذى يليه ، فالعهد الوثنى ترك أثراً واضحا فى العهد المسيحى إذ أقبل كثير من المصريين على المسيحية من غير أن يفقهوها ، وتحولت بعض المعابد إلى أديرة أو كنائس ولم يكن من الهين اليسير أن يتخلى الذين تنصروا عن كل عقائدهم السابقة ، وفى عهد الاضطهاد لم يكن التبشير بالمسيحية الحقة وبث تعاليمها ميسورا .

فاذا انتقلنا إلى العهد الإسلامى وجدنا أن التصوف لم يظهر إلا فى القرن الثالث الهجرى ، وظهر فجأة بلون لم يألفه المصريون ولا يناسب طبيعتهم إذ ظهر فى ثوب فلسفى وكان ذو النون المصرى أول من طلع على المصريين بهذا اللون ، وغنى عن الذكر أن التصوف غير الرهبنة والإسلام لا يرضى عنها ولا يقرها ، ولكننا نجد صلة بينهما بوجه ما ، فقد عاش ذو النون فترة مع الرهبان ، ويقال إن أول باعث للفكر الصوفى فى قلبه حكمة قديمة رآها مكتوبة على بعض المعابد المصرية القديمة وظهور التصوف بعد هذه المدة من فتح العرب مصر يعنى أنه لم يظهر بهذا الوجه إلا بعد أن ظهر الفكر الفلسفى بين المسلمين ، وفى العصر الفاطمى تلون التصوف بلون آخر جديد ، واستجاب له المصريون وأقبلوا عليه إقبالا لم يحدث مثله مع دعوة ذى النون ، ولا تزال آثار التصوف الفاطمى باقية إلى الآن ، لأن هذه الدعوة كانت أنسب لطبيعة المصريين وأقرب إلى عواطفهم ، ويعنى هذا أن الطبيعة المصرية أقوى من السبب الطارىء .

فإذا انتهينا من هذا كله إلى أن الطبيعة المصرية على استجابتها للمؤثرات الدينية المختلفة كانت هى أيضا ذات توجيه لهذه المؤثرات ، وأن العوامل المؤثرة فى طبيعة المصريين فى مختلف أدوارها كانت تنفعل بهم أيضا ... لم نكن بعيدين عن الحق والصواب ؟

عبد الجليل شلبى

من بحوث مجمع البحوث

التأمين

للأستاذ على الخفيف

— ٣ —

أسس آراء المانعين :

ذهب فريق من الباحثين إلى تحريمه ومنعه بجميع أنواعه وقد بنوا رأيهم هذا على الأسباب الآتية : —

الأول : أنه يقوم على المقامرة والمراهنة وكلاهما أمر محرم شرعا . يقول المرحوم الشيخ محمد بخيت فى فتياه التى أصدرها فيه : إنه عقد فاسد شرعا لأنه معلق على خطر تارة يقع وتارة لا يقع فهو قمار معنى .

ويقول أستاذنا المرحوم الشيخ أحمد إبراهيم فى التأمين على الحياة قد يموت المؤمن له بعد دفع قسط واحد من أقساط التأمين فتؤدى الشركة المبلغ المتفق عليه كاملا لورثته أو لمن جعل له ولاية قبضه دون أن يكون ذلك فى مقابلة شىء أخذته الشركة إلا قسطا ضئيلا وقد يكون المبلغ عظيما . أليس فى هذا مقامرة ومخاطرة وإذا لم يكن هذا من صميم المقامرة ففى أى شىء تكون المقامرة إذن . على أن المقامرة حاصلة فيه من ناحية أخرى فإن المؤمن له بعد أن يوفى جميع الأقساط يكون له مبلغ التأمين، وإذا مات قبل أن يوفيها كان المبلغ لورثته أليس هذا قماراً ؟ إذ لا علم له ولا للشركة بما سيكون .

وهذا المعنى موجود أيضاً فى صور التأمين الأخر فإن الشركة لا علم لها فيها بما سيقع فقد يقع الخطر فتلزم بأدائه مبلغ التأمين أو بالتعويض وهو لا يتناسب مع ما دفع من أقساط التأمين .

وقد لا يقع فلا تلزم بأداء شىء وقد سلمت لها أقساط التأمين دون مقابل وكذلك فيه معنى المراهنة ذلك لأن التزام الشركة معلق على خطر قد يقع وقد لا يقع فإن وقع ألزمت الشركة بأداء مبلغ التأمين أو بالتعويض وإن لم يقع لم تلتزم الشركة بشىء من ذلك — ويقول أصحاب هذا الرأى أيضاً فى بيان معنى المراهنة والمقامرة فيه : إن هذا العقد لا يقوم إلا على المراهنة والمقامرة فإن ما يدفعه المستأمن ليس إلا رسما يقامر به على ما أمن من حريق أو من تلف أو من موت وحدوث شىء من ذلك أمر مجهول فإن وقع ما قامر عليه خسرت الشركة فدفعت له أضعاف الرسم المدفوع وإن لم يقع خسر رسم المقامرة وهو قسط التأمين .

ذلك ما يذكره المانعون فى هذا السبب وهو بيان لم يؤسس إلا على النظرة السطحية الخاطفة التى حال دون نفاذها إلى حقيقة عقد التأمين بشكله الخارجى وأغنتها الصورة الظاهرة عن الاستيعاب والدقة والتحقق .

فليس فى عقد التـــأمين تلك العناصر والمعانى الجوهرية التى توجد فى المراهنة والمقامرة وتستوجب حظرهما شرعا وقانونا إذ ليس بمجرد وجود الخطر والاحتمال فيهما هو الذى استوجب منعهما فإن كثيراً من الالتزامات والتصرفات تصح مع التعليق على شرط هو على خطر الوجود فتترتب عليها آثارها إن تحقق الشرط المعلق عليه ، ولا يترتب عليها أثره إن لم يتحقق ـ وليس هذا إلا نوعا من خطر تضمنه هذا التصرف ومع ذلك لم يستوجب بطلانه ـ وإنما الذى استوجب الحظر شرعا فى المراهنة والمقامرة ما فى كل منهما من تعريض المال للضياع جريا وراء طمع فى ربح أو مال موهوم علق تحققه على حدوث أمر حدوثه معلق على المصادفة والحظ المجردين دون أن يتخذ لوجوده وتحققه أية وسيلة من الوسائل العادية فى الأحداث والخلق فيعطى الشخص ماله من غير دافع سوى الطمع فى الحصول على أكثر منه إذا ما حدث مصادفة أمر موهوم هو على خطر الوجود فإذا حدث كان له من المال ما طلب وطمع فيه وإلا ضاع عليه ماله ـ وكالذى يراهن بماله على حدوث أمر قد يقع وقد لا يقع فيلزم نفسه بمال لصاحبه عند تحقق حالة معينة من حالتيه وإلا كان له من صاحبه مثل هذا المال أو أكثر منه إلى غير ذلك من الصور التى يكون فيها دائما أحد المتراهنين غانما والآخر غارما والتى تلعب فيها الحظوظ وتؤدى بالأخلاق وتوقع العداوة والبغضاء بين المتراهنين وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وعقد التأمين ليس فيه شىء من ذلك إذ أنه عقد يقوم على المعاوضة بين بدلين أحدهما ما يدفعه المستأمن من الأقساط والثانى ما يلتزم به المؤمن ويلزم به نفسه من الضمان وتحمل التبعة عند وقوع الخطر وهو ضمان أو تحمل يورث المستأمن أمناً وطمأنينة باعتباره وسيلة إلى أمنه بتعويضه عما يصيبه إذا وقع ما يخشاه ثم هو إلى هذا يهدف إلى ترميم آثار الكوارث التى تصيب الإنسان فى نفسه أو فى ماله وذلك عن طريق التعاون بين المستأمنين أصحاب العقود الأخرى على توزيع الخسائر التى تحدث من تلك الكوارث عليهم فيما يدفعونها من أقساط وذلك بواسطة الشركة التى تقوم على تنظيم هـــذه العملية وإدارتها كوسيط بينهم . .

وليس يحول دون هذا التكييف ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من أن الضمان لا يصح أخذ العوض منه ذلك لأنه رأى لهم بنوه على ما صرحوا به من أن الضمان من قبيل المروءات وليس يؤخذ على المروءة وعمل الخير عوض لمنافاة ذلك للخلق الكريم القويم ، وعلى ذلك قام عرفهم وأسسوا رأيهم أما وقد تغير العرف فاتخذ الناس من الضمان وتحمل التبعة وسيلة أمن وطمأنينة تدفع إلى النشاط فى العمل والجد فيه وتوحى بالإقدام والمثابرة على تنمية الأموال واستثمارها فى المجال التجارى والصناعى وسائر نواحى النشاط الاقتصادى فليس ما يمنع شرعا من تقويم هذه الوسيلة ومعاوضتها بالمال لقاء ما تدعو إليه ويترتب عليها من الجد فى تنميته ، والأمن فى مباشرة وسائل استثماره وعما قد تأتى به حوادث الزمن ومصائبه ـ على أن من الفقهاء السابقين من ذهب إلى جواز ـ الاعتياض عن الضمان فأجاز الكفالة نظير عوض يأخذه الكفيل .

وخلاصة القول أن ما يوجد فى المراهنة والمقامرة من الأوصاف التى اقتضت حظرهما هى التى جاءت الإشارة إليها فى قول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا

إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » .

وذلك ماينبعث عن المقامرة من العداوة والبغضاء واضطراب النفوس وثورتها وسوء الخلق وقتل الرغبة فى العمل المثمر وليس يوجد شىء منه فى عقد التأمين بل أنه ليرى أن ما يصدر عنه على خلاف ما يصدر عنهما فهو مبعث أمن وطمأنينة ومصدر آثار طيبة فى المجال التجارى والصناعى والاجتماعى مما لا تستقيم معه مقايسه أو انتظامهما تحت حكم واحد .

الثانى ما فيه الغرر والجهالة — قالوا أيضاً إن الغرر والجهالة مبنى عقد التأمين وأساسه أو هى طبيعة هذا العقد ألا يرى أن فقهاء القانون الذين أجازوه عدوه ضمن عقود الغرر وذلك هو نظر البديهية فإن كلا من طرفى هذا العقد لا يدرى عند إنشائه ما سيأخذ وما سيعطى بناء عليه فالمؤمن لا يدرى كم قسطا يأخذ قبل وقوع الحظر ولا أى مقدار يعطيه تعويضا فى الصور التى لا تضمن الاتفاق على مبلغ معين للتأمين — وكذلك المستأمن لايدرى أيضا عند التعاقد كم قسطا سيدفع ولا ماذا سيأخذ بل أنه لا يدرى أهو الذى سيأخذ ما تم الاتفاق عليه أو يأخذه ورثته وهكذا يرى أن هذا العقد يكتنفه الجهالة والغرر ولقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن بيع الغرر — ونهيه عن بيع الغرر يقتضى النهى عن كل معاوضة فيها غرر لأنها فى معنى البيع والتأمين من ضروب المعاوضة .

ذلك قولهم فى منع التأمين لهذا السبب . غير أننا نراهم قد جعلوا الغرر بإطلاق سببا للحظر ولكنا نجد أن كثيراً من البيوع يلاحظ فيها الغرر وهى معه جائزة ، وإذن فليس كل غرر يصلح علة للحظر منه ما لا يصلح — وعلى ذلك يجب البحث فيما يحويه عقد التأمين من غرر أهو من النوع الذى يصلح سببا للحظر أم من النوع الذى لا يصلح سببا له ، ولبيان ذلك نذكر فيما يلى معنى الغرر وأنواعه وما يصلح منها سببا للحظر وما لا يصلح .

فى القاموس : غره خدعه وأطمعه بالباطل والاسم الغرر — وقال القاضى عياض : الغرر لغة هو ما له ظاهر محبوب وباطن مكروه ولذا سميت الدنيا متاع الغرور — والغر الشاب لا تجربة له — ويطلق الفقهاء الغرر على الجهالة لما بين معنى الغرر لغة ومعنى الجهالة من الاشتراك والاتصال سواء تعلقت الجهالة بالوجود أو بالصفات ولذا يستعملون أحدهما فى موضع الآخر كثيراً ويتبعون أحدهما الآخر للبيان والتفسير ، ويقول ابن تيمية : إن الغرر هو جهل العاقبة فكل عقد جهلت عاقبته فيه غرر والتصرفات بالنظر إلى الغرر ثلاثة أنواع . أحدها ما هو إحسان صرف لا يقصد به تنمية المال كالصدقة والهبة والإبراء والضمان . وثانيها : ما هو معاوضة يقصد بها تنمية المال كالبيع والإجارة .

وثالثا : ماكان وضعه بين النوعين السابقين فلم يتمحض للمعاوضة ولا للإحسان كالنكاح إذ المال غير مقصود منه وإنما المقصود منه المودة والألفة والولد وليس المال فيه تبرعا محضا .

وليس للغرر فى النوع الاول تأثير فى صحته

ونفاذه إذ قد اقتضت حكمة الشارع وحثه على البر والإحسان فيه بكل طريق دون أن يمنع من نفاذه غرر إذ أن ذلك أيسر لوقوعه ولهذا صحت الوصية مع الجهالة والغرر كالوصية بسهم من المال وصح الإبراء مع جهالة المبرئ مقدار الدين الذى أسقطه وصحت الكفالة إذا قال شخص : أنا كفيل بما بايعت به فلانا وصحت هبة مال مجهول العين أو القدر للعاقدين أو لأحدهما كوهبتك ما فى جيبي وهو لا يعلم . ذهب إلى ذلك المالكية كما فى الشرح الكبير للدردير . وإنما جاز ذلك فى التبرع والإحسان لأنه خير لا ضرر فى الجهل به ولا يؤدى الجهل فيه إلى نزاع إذ لم يعط فيه عوض حتى يتوهم الغبن فيه وليس يضير المتبرع أن يصير إليه بالتبرع شئ قليل .

أما فى النوع الثانى وهو المعاوضة التى يقصد منها تنمية المال فقد اقتضت حكمة الشارع أن تجنب من الغرر والجهالة ما إذا فات بسببه المبيع ضاع المال المبذول فيه وهو العوض أو الثمن ولا يستثنى من هذا الأصل إلا ما دعت الضرورة إليه عادة — وقد قسموا الغرر بالنسبة إلى هذا النوع من المعاملة ثلاثة أقسام : أحدها ما لا يحصل معه المعقود عليه أصلا ، وثانيها ما يحصل معه المعقود عليه دنيا وزرا وثالثها ما يحصل معه غالب المعقود عليه — فيتجنب الأولان فى المعاوضة لفسادها معهما ويغتفر الثالث فيها .

ويقول ابن الوليد : الغرر كثير وقليل ووسط وجعل الكثير عبارة عن القسمين الأولين السابقين وذكر أن الفقهاء متفقون على أن الغرر الكثير فى المبيعات لا يجوز ، وأن القليل يجوز وأنهم يختلفون فى بعض أنواع الغرر فمنهم من يغتفره ومنهم من لا يغتفره فى مثل بيع أحد شيئين معينين اختلف الفقهاء : منهم من منع هذا البيع كالشافعى ومنهم من أجازه كأبى حنيفة ، وذلك بناء على اعتبار ما فى ذلك من غرر كثيرا أو قليلا بينما أنهم متفقون على منع بعض البيوع لما فيها من الغرر الكثير وقد جاءت الآثار بمنعها لما فيها من الغرر ومن هذه البيوع بيع ما لم يخلق وبيع ما ليس عند البائع وبيع الثمار قبل بدو صلاحها وبيع ما يتعذر تسليمه وبيع المبيع المجهول سواء أكانت الجهالة فى جنسه أو فى مقداره مثل بعتك عبداً وبعتك جميع ما فى هذه الدار ولا يعلم المشترى ما فيها أو بعتك ما فى هذا الصندوق ونحو ذلك مما وردت بمنعه الآثار كبيع الملامسة وبيع المنابذة .

ومما اختلفوا فى تقدير ما فيه من الغرر فاختلفوا لذلك فى حكمة بيع المعين المعلوم جنسه وقدره ولكن جهل نوعه وصفته مثل بعتك الثوب الذى فى كمي أو العبد الذى أملكه — وكما اختلفوا فى جواز بيع ما فى الصندوق إذ أجاز ذلك الحنفية ومنعه الشافعية وكذلك بيع الأعيان الغائبة أجازه الحنفية ومنعه الشافعى فى الجديد وعن أحمد فيه ثلاث روايات — أحدها لا يصح بحال وهو قول الشافعى فى الجديد وثانيها يصح وأن لم يوصف وللمشترى الخيار وهو قول أبى حنيفة وروى عن أحمد جوازه بلا خيار وثالثها يصح مع الوصف ولا يصح بدونه .

(للبحث بقية)

على الخفيف

ما يقال عن الإسلام

بحث فى الإيمان والإسلام

للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

تحدثنا منذ عام فى هذا الباب الذى يدور حول « ما يقال عن الإسلام » عن المستشرق اليابانى الدكتور طوشيهيكو إيزوتسو ، الأستاذ بجامعة كيو ، بمناسبة كتابه الذى أصدره فى ذلك الحين بعنوان « الله والإنسان فى القرآن » .

واليوم نحدثك عن أحدث كتبه ، الصادر هذا العام ١٩٦٥ بعنوان « معنى الإيمان فى علم الكلام الإسلامى » ، وله عنوان فرعى هو « تحليل سمنتى للإيمان والإسلام » . والسمنتية : هى هذا العلم الجديد الذى يعرف باسم علم المعانى أو علم الدلالات وهو منهج فى البحث يتخذ من المصطلحات الأساسية محوراً تدور الدراسة حوله مع النظر فى الدلالات المختلفة لهذه المصطلحات بحسب تطورها وفهم الناس لها .

ولا نزاع فى أن مفهوم الإيمان والإسلام من المفاهيم الأساسية فى علم الكلام ، وهو علم أصول الدين والعقيدة ، ولقد كان بدء النزاع حول العقيدة ، والذى عنه نشأ علم الكلام وظهرت الفرق المختلفة ، هو البحث فى هذا الشخص أو ذاك أهو مسلم أم كافر . والإسلام نفسه دين أنزل على محمد عليه السلام الذى بعثه الله إلى العرب يدعوهم إلى الإيمان بالله وينهاهم عن الكفر به . ثم أقيم بنيان الدين بعد الإقرار بوجود الله على توحيده ، وعدله ، والاعتقاد فى صحة النبوة والرسالة والبعث فى الآخرة ، وعلى عبادات معينة كالصلاة والزكاة .

وبعد موت النبى ارتد العرب ، أرادوا عدم دفع الزكاة بوجه خاص ، فعدهم أبو بكر كفاراً وحاربهم وفى خلافة عثمان زعم بعض المسلمين أن عثمان بن عفان بما تم من أعمال قد خرج على الإسلام ، من أنه ابتنى الدور والقصور بما لم يكن معروفاً فى عهد الرسول ، من أنه أعطى المناصب الكبرى لأقربائه ، وغير ذلك مما نسبه أصحاب الفتنة إليه ، وهم الذين اعتدوا عليه وقتلوه . فأصحاب الفتنة رأوا أن عثمان قد كفر ، ولذلك استحق فى نظرهم القتل . وفى خلافة على بن أبى طالب ظهر جماعة يرددون هذه النغمة نفسها ، نغمة التكفير التى تستلزم القتل . وقد سمى أصحاب هذه الفتنة بالخوارج ، خرجوا على الخليفة لأنه قبل التحكيم . فكان الخوارج أول الفرق الكلامية ، وأساس ظهورهم البحث فى الإيمان والكفر . والخوارج يتشددون فى الحكم بالتكفير ، ولا يكتفون بإصدار حكم نظرى بل يلحقون ذلك بالتنفيذ ، على عكس فرقة أخرى ظهرت فيما بعد ، وأرجأت الحكم على مرتكب الكبيرة ، ولذلك سموا بالمرجئة . وعندما ظهر المعتزلة فى أواخر المائة الأولى ، زمان واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ، قالوا : إن مرتكب الكبيرة لا هو مؤمن ولا هو كافر

بل هو فاسق ، فهو فى منزلة بين المنزلتين ، فكان هـذا أحد أصولهم الخمسة .

وبهذا الفهم الكلامى أقدم الأستاذ إيزوتسو على عرض وجهات نظر الفرق المختلفة من خوارج ومرجئة ومعتزلة وأشعرية وماتريدية وحنابلة متقدمين ومتأخرين فى قضية الإيمان والكفر . رجع فى ذلك إلى كتبهم المطبوعة بل والمخطوطة . وإذا كنا نمتدح سعة اطلاعه وإحاطته التى تكاد تكون تامة ، فإنا نأخذ عليه أنه غفل عن الرجوع إلى كتاب حديث يبسط آراء المعتزلة بسطاً مستفيضاً ، ونعنى بهذا الكتاب المغنى فى أبواب التوحيد والعدل للقاضى عبد الجبار الهمدانى ، وهو كتاب يقع فى عشرين جزءاً صدر منها حتى الآن ما يقرب من عشرة أجزاء ، وننبه بوجه خاص إلى الجزء الثانى عشر الذى يبحث فى « النظر والمعارف » ، لأنه يتناول معنى المعرفة العقلية الضرورية التى اشتهر المعتزلة بالقول بها . وكنا لا نعرف رأى المعتزلة فى هذه المسألة ، وغيرها من المسائل ، إلا من خلال ما يذكره عنهم خصومهم بمناسبة الرد عليهم . أما الآن بعد ظهور كتاب القاضى عبد الجبار ـ ونضيف إلى ذلك أيضا كتابه شرح الأصول الخمسة ، والمحيط بالتكليف ، وكلاهما ظهر هذا العام وطبع ـ فإن عدم الاطلاع عليه يعد نقصا كبيرا . وقد عقد الأستاذ إيزوتسو الفصل السادس من كتابه على « الإيمان والمعرفة » ، وناقش رأى المعتزلة الوارد على لسان مخالفيهم . والحق فى ذلك أن المعتزلة على خلاف فى الرأى ، فكان أبو القاسم البلخى يقول : إن العلم غير الاعتقاد ، ومن رأى أبى على الجبائى وابنه أبى هاشم : أن العلم من جنس الاعتقاد .

ونود بهـذه المناسبة أن نتجه بملاحظة أخرى لصاحب الكتاب ما كنا نشير إليها ، لولا التزام المؤلف منهج « السمنتية » ، وهو البحث فى دلالة الألفاظ والملاحظة أن المؤلف يخلط ، أو على الأقل يسوى بين الاعتقاد والإيمان ، مع العلم أن بينهما فرقا واضحا ، سواء فى اللغة العربية أم فى الإنجليزية . يفتتح المؤلف الفصل الأول من الكتاب بقوله : « لا ينكر أحد أن الاعتقاد belief » أو « الإيمان faith » جوهر الدين » ولكنه جرى بعد ذلك فى سائر الكتاب على ترجمة الإيمان بالإنجليزية بما يقابل الاعتقاد ومن أجل ذلك كان ينبغى أن يعقد فصـــلا خاصا يميز فيه بين الإيمان والاعتقاد .

ويتألف الكتاب من أحد عشر فصلا وخاتمة وملحقاً . أما الملحق فهو ترجمة إلى اللغة الإنجليزية لكتاب الإيمان من صحيح البخارى ، ألحقه المؤلف فى آخر الكتاب . ومن هنا نرى أن الكتاب نافع لقراء الإنجليزية من الأجانب ، أو من المسلمين الذين لا يعرفون اللغـة العربية . وتبحث الفصول الثلاثة الأولى فى الكافر والتكفير والفاسق . والرابع عن الإيمان والإسلام . والخامس تحليل لمفهوم الإيمان ، والسادس والسابع والثامن والتاسع عن الإيمان والعلم ، الإيمان والتصديق ، الإيمان والعقول ، الإيمان ، والعمل ، والفصل العاشر تحليل عبارة « أنا مؤمن إن شاء الله » ، والحادى عشر فى خلق الإيمان . وهـذه كلها موضوعات مألوفة عند قراء العربية تدارسوها . وعرفوها ، وحفظوها ، وبخاصة الذين تدارسوا علم الكلام .

ولكن الجديد فى الكتاب هو هذا التنظيم الجديد

للبحث ، مع سلوك المنهج السمنتى . ومن نماذج تطبيقات هذا المنهج أن مفهوم المؤمن والكافر ، والإيمان والكفر ، ورد فى القرآن ، مع التمييز الحاسم بين الكفار والمؤمنين . وهنا يفترض المؤلف أن المؤمن والمسلم شئ واحد . فالذين قبلوا دعوة الرسول إلى الإسلام أصبحوا مسلمين مؤمنين ، ودخلوا فى دائرة الإسلام . وتوجد خارج هذه الدائرة ، دائرة أخرى تشمل الكفار والمؤلف يوضح رأيه برسم دائرتين بالفعل . واتسعت بطبيعة الحال دائرة المسلمين مع انتشار الدعوة الإسلامية فى حياة النبى ، وبذلك أخذ ينتقل بعض الكفار شيئاً فشيئاً من دائرة الكفر إلى دائرة المسلمين .

أما تفسير الخوارج للإيمان والكفر فإنه يختلف عن الصورة القرآنية ، لأن الكافر عندهم بعض المسلمين ، وبمعنى آخر وطبقاً للتحليل السمنتى أن دائرة المسلمين تشتمل على كفار فى نظرة الخوارج . ألم يكن على بن أبى طالب مسلماً ، ولكنه فى نظرهم وعندما قبل التحكيم أصبح كافراً ، وكذلك المسلم الذى يرتكب كبيرة من الكبائر . وعلى هذا النحو يفسر رأى المرجئة والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم من الفرق .

والجديد أيضاً فى هذا الكتاب تمييز صاحبه بين الماتريدية والأشاعرة ، والرجوع فى هذا التمييز إلى كتب الماتريدية أنفسهم وهذا التمييز ضرورى لصاحب البحث التاريخى . أما المسلمون أنفسهم فإنهم ابتداء من القرن الخامس الهجرى ، بعد أن مزقت المنازعات الكلامية أوصالهم ، وفرقت بينهم ، وأدت إلى فتن شديدة يؤسف لها ، أخذوا يوفقون المذاهب المتعارضة حتى انتهى بهم الأمر إلى « عقيدة » رسمية لا هى اعتزالية ولا ماتريدية ولا أشعرية وإنما هى مزيج من هذا كله ، وانتقاء للأوفق من الآراء التى يكاد يكون عليها شبه إجماع ، أنظر مثالا لذلك « العقائد » للنسفى ، وشرحه للتفتازانى ، فإن صاحبه من الماتريدية ، ومع ذلك فإن الأشاعرة يتخذونه أساساً للعقيدة ، وكان ولا يزال يدرس بالأزهر .

وكنا نود ألا يقف المؤلف فى عرضه التاريخى عند القرن الثامن أو التاسع الهجرى ، عند ابن تيمية أو البياضى الماتريدى ، بل يمضى إلى أواخر القرن الماضى وبداية القرن الحاضر ، وعند الشيخ محمد عبده بوجه خاص ، لأنه يمثل روح التجديد فى الاتجاه التقليدى ، أو عند تلميذه مصطفى عبد الرازق ، وله مباحث معروفة مشهورة يجدها فى كتابه « الدين والوحى والإسلام » ؟

أحمد فؤاد الأهوانى

الكتب

لألاء القمر

للدكتورة عاتكة الخزرجي
تقديم: الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات

هذا الديوان الثاني من شعر الدكتورة «عاتكة الخزرجي» أستاذة الأدب بكلية الآداب من جامعة بغداد، صدر منذ أسابيع في القاهرة، وقد قدم له الأستاذ رئيس التحرير بهذه المقدمة:

في الكرخ نشأت، وفي الكرخ تعيش، والكرخ منذ تعطر جوه الصافي بأنفاس الملائكة يسبحون بالجمال ويهتفون بالحب على ألسنة المصطفين الأخيار من المتصوفين والزهاد الذين اجتباهم الله ليكونوا حقيقة لشريعته، وشريعة لحبه، لا يزال مبعثا للحب الإلهي المجرد، ومسرحا للجمال الروحي المطلق، ومثارا لذكريات «الجنيد» و«الحلاج» و«معروف» وأضرابهم ممن يتمثلون جمال الله في خلقه، ويعبرون عن حبهم إياه، وفنائهم فيه بالرمز الموحي، والغزل المثير؛ فينتشي بباطنه الزاهد، ويلتهي بظاهره الماجن، والقصور إنما هو في اللغة المحدودة التي لا تستطيع أن تعبر عن معاني الروح إلا بألفاظ الحس ولا أن تصور مداخل النفس إلا بمخارج الحروف.

فبينما كانت الشياطين في الرصافة تتنزل بالغزل الجسدي الشهواني على القيان والمجان فيجدون الألفاظ الطيعة والتراكيب السمحة كانت الملائكة في الكرخ تتنزل بالمواجد الروحية والأحاسيس العلوية على العباد والزهاد فلا يجدون الكلمة المواتية، ولا الجملة الدالة فيصطنعون لغة بشار والعباس وأبي نواس فينعتون المرأة، ويصفون الخمر، ويذكرون السكر والعشق، والشوق والفناء، يرمزون بذلك كله للمعبود الأزلي الأبدي الذي لا يحيط به علم، ولا يتعلق به وهم، ولا تعبر عنه لغة.

فإذا جمعت إلى ذلك أن «عاتكة» صريحة النسب في العروبة، فأبوها خزرجي، وأمها عبيدية، وأنها عريقة النزعة في الصوفية، فجدها كان يقرض الشعر الصوفي، وأبوها كان يكثر من المحفوظ منه، وأنها قوية الفطرة بحكم الطبع والوراثة والبيئة على استقبال مواحي الحب، واستكناه أسرار الجمال، أدركت سر هذا التفتح الذهني الباكر في التلميذة عاتكة، وهي لا تزال في العاشرة من عمرها، توقع شعرها الغزلي على صبوات الذكر في مغاني الكرخ وشدوات الطير في أعالي النخل، وصفقات الماء على غوارب دجلة، كان شعرها في هذا الطور إرهاص شاعر ودندنة قيثار، وسقسقة بلبل،

ثم لم يلبث أن صار بقوة السليقة ، وسخاء القريحة ، وفيض الخاطر ، وعمق التأمل واكتمال الأداة أغاريد صبابة ، وأناشيد حماسة ، وتراتيل أرغن ، وتسابيح صلاة .

إن الينابيع الصافية الثرة التي ارتوى على فيضها واغتذى على جناها شعر الدكتورة عاتكة هي : الله والطبيعة والنفس ، والينبوع القدسي هو أندى على كبدها ، وأروى لشعورها من الينبوع النفسي والينبوع الطبيعي لأنها حين تصف النفس أو تصور الطبيعة يتمثل فيها بديع السموات والأرض الذي أحسن كل شيء خلقه ، ومنح كل جميل جماله :

بالذي رقرق الصبابة في القلب
وو شي بالحب أثناء نفسي
والذي برأ الحنايا وأصفا
ها صفاء الأنداء في ضوء شمس
أنت عندي معنى به أجد الله
حيالي في الصبح أو حين أمسي(١)

وإذا تقسم هواها خواطر النفس ، وظواهر الحس فقالت في النخل والنهر ، ونوهت بالوطن والإنسان ، وغنت بالحب والحبيب ، فذلك لأن الحب من طبيعة قلبها يصدر عنه كما يصدر العبير عن الزهر أو النور عن السراج لا يقصد به سمعا بعينه ، ولا بصرا بذاته إنما هو الحب للحب ، والعبق للعبق ، والغناء في الوجود ، واللذة في الألم ، وكثيرا ما يضيق جسدها المشفوف بقلبها المشغوف كما يضيق الغلاف البلوري الهف بوهج المصباح المحرق فتقول :

أأنا أهواك يا دنياي أم ذلك قلبي ؟
شأنه العيش ، ولا عيش له من دون حب
إنه يحيا ... وإن كان بمحياه عذابي
سادرا نشوان يحسو الخمر من كرم شبابي
إنه ريان لا يعنيه من يشكو الأواما
آه لو حطمته حتى ولو كنت الحطاما (١)

إن الشبابة من قصب ، ولكن اللحن من نار ، فكلما نفخت فيها من روحها ذاب قلبها في حبها فتئن أو تحن أو تشكو أو ترجو أو تثور بألفاظ منسقة كالنغم مونقة كالزهر منمقة كالوشي تسري فيها المعاني الشاعرة سريان النشوة في الرحيق ، أو الفوحة في الطيب ، فأسلوبها نسق مطرد من الفكر والخيال والعاطفة ، يصقله طبع وذوق ، ويقومه درس واطلاع ، فلا تجد فيه ما تجد في أكثر الشعر النسوي من قلق في لفظ ، أو نبو في قافية ، أو غموض في معنى ، أو تجوز في قياس ، أو شذوذ في غرض ، ولقد وقاها كل ذلك تنشئة عربية قويمة ودراسة أدبية عميقة ، ومرانة فنية طويلة وحصيلة متخيرة من روائع الشعر الخالد طبعتها على الأسلوب الصحيح ، وهدتها إلى الطريق الواضح ، وعصمتها من الزيغ الذي أصاب نفرا من الشعراء والشواعر فسموا العجز فنا ، والنثر شعرا ، والفوضى طريقة فهي تتصرف في المضمون الشعري تصرف الفنان المتطور الحر الذي يواكب ركب الحضارة ويتعمق أسرار الطبيعة ويتقصى أطراف المجتمع ، ويدفع المتخلف بفكره إلى الأمام ، ويرفع المتدلي بشعره إلى فوق ، ولكنها تقف في الشكل الأدبي عند الخصائص التي تميز أدبا من أدب ، وتفصل جنسا من جنس ، فهي تعدد في الأوزان ، وتنوع في القوافي في حدود الأوتار الستة عشر التي تتألف منها قيثارة الشعر العربي .

(١) أنفاس السحر .

(١) أنفاس السحر .

وما كان لابنة بغداد ، وفتاة العروبة ، ومريدة الحلاج ، وصاحبة ابن الأحنف ، وربيبة المعلمين وخريجة « السربون » وأستاذة الأدب أن تفتكر لأدبنا ، وتتمرد على شعرنا طمعاً فى اقتحام الأدب من الباب الخلفى ، واكتساب الشهرة بالرأى المخالف فإن موهبتها الأدبية ، ومنزلتها الاجتماعية ، وثقافتها الجامعية وتتاجها المتصل لتربأ بها عن التحلى بالعطل والتفرد بالشرود .

تهيأت لى الفرصة مرتين أو ثلاثا للقاء صاحبة « أنفاس السحر » و « لآلاء القمر » بالقاهرة وكانت اللقيا الأولى وهى على وشك الرجوع إلى بغداد فلم يكن بين السلام والوداع إلا بعض ساعة تبادلنا فيها التحايا وتهادينا الكتب وتذاكرنا الأدب بالقدر الذى يشير ولا يعرف ، ثم عادت إلى الكرخ وفى نفسها أن تزيدنى معرفة بها ، وعلماً بأدبها ، فكانت ترسل إلى ما تجد من شعر ، وما تصدر من بحث فأنشره فى الرسالة ومن طريق هذا الاتصال الأدبى المتجدد استطعت أن أعرف أى كاتبة كانت ، وأى شاعرة تكون .

فأما الشاعرة فلعلك تستخرج رأيى فى شعرها من جملة هذه الكلمة ، وأما الكاتبة ، فالأمر بينها وبين الشاعرة جد مختلف : الكاتبة تستمد موضوعها من الحقيقة التى يثبتها العلم ، ويؤيدها المنطق ، ويصقلها الطبع فالتعبير عنها واضح لا مبهم مفصل لا مجمل ، مقيد لا مطلق ، مجسد لا مجرد ، كما تراها فى كتابها القيم عن العباس بن الأحنف ، والشاعرة تستنبط شعرها فى الغالب من وعيها الباطن لا من حسها الظاهر ، فهى تعبر عن حب لا صورة له ، وعن معنى لا ذات فيه ، وأحيانا يدق الخيال ، ويرهف الحس ، ويصدق الحدس فيجتمع فى غزلها وضوح الصورة ، ودقة العبارة ، وقوة التأثير ، فيقول الناقد الذى لا يؤمن بصوفيتها : إنها تدخل فى الغزل باعتباره بابا من أبواب الشعر لا يجرى من مجارى الشعور ، فهى تعبر بالفن لا بالوحى ، وتؤثر بالصنعة لا بالطبيعة ، ومهما يكن الاختلاف فى ماتكة بين الكاتبة والشاعرة فإنه لا يتطرق إلى بلاغتهما فى الحالتين ، وبراعتها فى الصناعتين ، وقديماً قالوا : إن إجادة النثر والشعر قلما تتفق لأحد ، وصاحبة الأنفاس من هذه القلة .

أما اللقيا الثانية فكانت منذ أيام فى فندق البرج على النيل ، وكان قد مضى على اللقيا الأولى قرابة عام توثقت فيها بيننا صلة الأدب بما تحدثت عنى فى الرسالة والإذاعة ، وبما قرأت لها من المقطعات والمقالات ، فلما التقينا ، التقينا على ألفة . وجرى بيننا الحديث كأنه صلة حديث انقطع لا بداية حديث نشأ ، ثم أخرجت من حقيبتها مخطوطة ديوانها الجديد (لآلاء القمر) وأخذت تنشدنى بعض مقطعاته وأقول « تنشدنى » لأن إلقاءها المطرب المعجب بصوتها الرخيم ، وجرسها الواضح ونبرها المجهور ، ولهجتها المعبرة كان أشبه باللحن الموسيقى فى حسن تنويعه ، وجمال توقيعه ، فإذا أضفت إلى ما تسمع بعض ما ترى من أناقة فى الشكل ، ولباقة فى الدل ، وسحر فى الجاذبية ، تذكرت أو تصورت (مىّ) وهى تحدثك حديثها الشهى الذى يمتزج بالقلب والروح ، ويتصل بالعقل والعلم ، وتيقنت أن الله جل شأنه لن يخلى دنيا العروبة من (مى) ما دام فى الأرض حياة ، وفى الناس حى ؟

أحمد حسن الزيات

فتاوى مختارة

(الإجابة لجنة الفتوى)

أحوال شخصية :

السؤال :

موظفة تعمل بإحدى الوزارات ، وتبلغ من العمر عشرين عاما ، ويعمل معها بنفس المكتب مدير يبلغ من العمر أربعين عاما .

كانت ظروف العمل تجمع بينهما فكان يتحدث معها عن ظروفها العائلية القاسية ، حتى استدرجها وتدخل فى شئونها وعلم أنها يتيمة الأبوين وليس لها إخوة .

وفى أحد الأيام قال لها : قولى كما أقول ، وبدأ بقوله « وهبتك نفسى » فرددت هذه الجملة بعده ، ولم يكن معهما أحد بالمكتب وقتئذ ، كما لم تدون ورقة بهذا المعنى .

وقد أفهمها بعد ذلك أنها أصبحت زوجة له أمام الله .

وبعد أيام سألها أمام اثنين من الموظفين « أنت مش بقيتى زوجتى ؟ » فقالت « أيوه » فقال لها : مش احنا اتجوزنا . فقالت « أيوه » .

وبعد فترة تشاحنا وقررت هى أنها لم تتزوجه ولم يحدث عقد زواج أو غيره ، وإنما قالت هذا الكلام أمام الناس بناء على طلبه ، وهى لا تعرف أن هذا الكلام يقوم مقام عقد الزواج .

وتفرقا وانتهى الموضوع على ذلك وتقدم للفتاة شخص يريد الزواج بها وقد عرف بما سبق أن حدث للفتاة المذكورة مع مديرها ويريد أن يعرف حكم الشرع فى مدى صحة الزواج السابق وهل هناك ما يمنع من تزوجه بها .

الجواب :

نفيد أن ما حصل بين الفتاة المذكورة والرجل الذى كان يحتال على الزواج منها بهبة نفسها له لا يعتبر شرعا عقد زواج عند الأئمة الأربعة رضى الله عنهم .

أما عند أبى حنيفة فلعدم الشهود وأما عند باقى الأئمة فلعدم المهر والولى وما حصل منهما أمام الشاهدين من قوله لها ماهش احنا اتجوزنا وقولها له أيوه فلا يعتبر عقد زواج : هذا إذا صح ما جاء بالاستفتاء والله تعالى أعلم ؟

السؤال :

سيدة مطلقة وليس لها عائل سوى بنت تعمل فى حانة للرقص وتنفق عليها وتقيم السيدة المذكورة فى مسكن مستقل عن بنتها ، وفى بعض الأحيان تقيم معها مضطرة حينما تهددها البنت بمنع النفقة عنها إذا لم تقم معها فى مسكن واحد والسيدة تتحاشى الإقامة معها بسبب سوء سلوك البنت .

وفى العام الماضى أرادت السيدة أن تؤدى فريضة الحج وكان معها بعض المال الذى لا يكفى لأداء الفريضة فتبرعت بنتها بتكملة المصاريف وقد زاد المال فاشترت بعض الثياب للتجارة وهى تسأل عن الآتى :

١ — صحة الحج ؟

٢ — الإقامة مع بنتها والصرف من المال الحرام؟

٣ — النفقة التى تأخذها منها من المال المذكور ؟

٤ — هل المال الذى باعت به الثياب حلال ؟

الجواب :

نفيد عن الأول بأن هذه السيدة غير مكلفة بالحج

لعدم استطاعتها ماليا وحيث إنها حجت من المال المخلوط بالحرام ، فحجها صحيح إذا كان قد استوفى شروطه وأركانه وأما قبوله والثواب عليه فالأمر فيه إلى الله تعالى .

وعن الثانى وما بعده بأن إقامتها مع بنتها والصرف من مالها الحرام منهى عنه لا يجوز لها أن تفعله إلا إذا اضطرت إليه كما تقول ولم تجد بابا تنفق منه سواه ، فحينئذ لها أن تأخذ منه بقدر الضرورة ، وإذا لم تجد طريقا مشروعا تعيش منه سوى الاتجار بما بقى من المال المخلوط بالحرام ، وكان ذلك أخف من أن تمد يدها إلى بنتها للأخذ منها والصرف من هذا المال الحرام جاز ارتكابا لأخف الضررين والله تعالى أعلم .

السؤال :

زوجت ابنتى من أحد أقاربى ، وقد ادعى يوم دخوله بها أنها ليست بكرا ، وقد اجتمع بها فى اليوم الثالث ونزل منها بعض نقط الدم ، ولكنه لم يقتنع ويريد أن يطلقها ، واشترط أن يسترد جميع ما دفعه من هدايا وشبكة ومهر ، وأهل الفتاة فى حيرة من هذه المشكلة ، مع العلم بأن الثقة فى هذه الفتاة لا يشوبها أى شك ، فماذا نفعل ؟

الجواب :

إن البنت قد تخلق بلا بكارة وقد تكون غوراء (عميقة) وقد تسقط بكارتها بسبب وثبة شديدة فلا يصح الزوج بمجرد الحالة التى ذكرها فى السؤال أن يدعى أنها ثيب ، أو أنه سبق لها اتصال بغيره ، ولا سيما أنه دخل بها ، ووجد منها أثر الدم فى ثالث يوم وإن عده قليلا ، ولا يحل له أن يستولى على شىء من المبالغ التى تنارلها من أهلها بهذا السبب بل بدخوله بها تقرر لها جميع مهرها المعجل والمؤجل وجميع حقوق الزوجية بما فيها النفقة والمسكن وغير ذلك .

وتنصح اللجنة هذا الزوج بأن يمسك عن الكلام فى مثل هذا ، وأن يحسن إلى زوجته ، ويعاشرها بالمعروف ، ولا نرى فيما ذكره عيبا يستوجب نفورا أو سوء عشرة والله تعالى أعلم .

السؤال :

والدى رجل متدين يحفظ القرآن جميعه ويلم بتفسيره ، وشاءت الأقدار أن تقع بعض خلافات عائلية زالت بمرور الأيام ثم حدث أن قص والدى هذه الخلافات على أحد أصدقائه فإذا بهذا الصديق يعرفه بأحد الأشخاص الذين يدعون أنهم على صلة بالجن ويقوم بتحضير الأرواح وبدأوا يعقدون الجلسات فى الظلام ويذبحون الحمام ... الخ .

فأرجو التكرم بإفادتى برأى الدين فى هذه المسائل ؟.

الجواب :

للجن وجود حقيقى لا ينكره مسلم ، ولبعض الناس نوع اتصال خبيث بأفراد من الجن ، كما يستفاد ذلك من نصوص شرعية ولكن هذا كله لا يدل على تصديق كل ما يدعيه المشعوذون والدجالون الذين يتخذون من هذه وسيلة فى التظاهر بمظهر المستخدم للجن وتحضيرهم وذبح الذبائح من أجلهم وتكليفهم بما يطلبون معتقدين أن الجن يخبرون بأمور الغيب ويشفون المريض ، ويحققون رغبات الناس ، وهذا كله من قبيل الدجل الذى يتخذه المحتالون سبيلا إلى الكسب على حساب البسطاء .

فالواجب إهمال هذه الخرافات التى شاعت بين الأغرار ، وأن يكون إيمان المسلم وتصديقه فى بعد عن هذه السذاجة الضارة به ، وبسمعة الدين الإسلامى والله تعالى أعلم ؟

شمس الدين محمود

فى محيط العالم الإسلامى

● تم فى اجتماع قريب بين الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وسفير باكستان فى القاهرة بحث أحوال المسلمين ، والنشاط الإسلامى فى باكستان ، والمساعدات التى يمكن أن يقدمها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لنشر الوعى الدينى كما اجتمع السيد الأمين العام للمجلس بالسفير السنغالى للغرض نفسه .

● تشغل أنباء أندونيسيا اهتمام المسلمين فى العالم أجمع ، ومما يطمئنهم على سلامة هذا الوطن الإسلامى وكمال وعيه إعلان الرئيس سوكارنو تأييده المطلق الجيش فى كل ما يتخذه من قرارات لاستئصال الشيوعية من هذا البلد الأمين ، ونأمل أن يقضى الجيش على فتنتهم فى تلك المناطق التى يقومون فيها بحركات تخريبية مسلحة ، وقد استطاع الجيش والشعب كما دلت أنباء ١١ / ١٠ / ١٩٦٥ من أن يجمد نشاط المنظمات الشيوعية كمنظمة الشباب ، واتحاد نقابات العمال اليساريين ، ومنظمة السيدات الشيوعيات ، كما ناشد الجيش الشعب مساعدته فى التخلص من العناصر المناوئة للحكومة ، وفى ١٩٦٥/١٠/١٤ وردت أنباء تفيد حل الحزب الشيوعى الأندونيسى .

● شرعت لجان المجلس الأعلى للفنون والآداب بالجمهورية العربية المتحدة فى إعداد تقرير مفصل عن نشاط الجمهورية فى ميادين الأدب والترجمة وغيرهما فى كافة الاتجاهات السائدة فى كل ميدان وذلك استجابة للتوصية التى أقرها مجلس جامعة الدول العربية بأن يقدم هذا التقرير إلى الإدارة الثقافية بالجامعة ، وتقرر الانتهاء من هذا التقرير قبل ١٠ ديسمبر القادم .

● عقد مجمع البحوث الإسلامية اجتماعا فى ٢٧ / ١٠ / ١٩٦٥ برياسة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر لمناقشة تقرير اللجنة الفرعية المكلفة بدراسة نشر الثقافة الإسلامية فى الخارج ، وإعداد البرنامج الخاص بتنفيذ المشروع ، وتدبير الإمكانيات المادية والفنية اللازمتين له حتى يتم التنفيذ .

● تتفاوض وزارة الثقافة بالجمهورية العربية المتحدة فى شراء مكتبة المرحوم الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق ، وقد كان رحمه الله ثانى شيخ للأزهر يطوف بالبلاد الإسلامية فى الشرق الأقصى ، وترك مكتبة ضخمة تشهد بفضله وسبقه .

● أصدرت الحكومة السودانية قراراً بالموافقة على تنفيذ مشروع إحياء مصلحة الشئون الدينية كما تقرر إنشاء مركز تجريبى نموذجى للمحافظة على القرآن الكريم بإحدى ضواحى الخرطوم ليكون قريبا من المراقبة المتصلة بالشئون الدينية ، وينتظر إقامة مركز آخر بمديرية دارفور .

● ستنشأ مدرسة إسلامية بتايلاند . تقوم بخدمة أبناء المسلمين فى هذه المنطقة للتعريف بالإسلام ، وخدمة اللغة العربية ؟

(O mankind ! Lo ! We have created you male and female, and have made you nations and tribes that ye may know one another. Lo ! the noblest of you, in the sight of Allah, is the best in conduct. Lo ! Allah is knower, Aware.) XLIX : 13. Thus we are reminded that the man is the purposeful product of a single and Divine Creator. He is not the product of chance and he has not an unguided destiny. God created man and provided for him the wherewithal of life. He also gave him freedom to act and to use that wherewithal as he desired.

It is for man to use his opportunity well or ill and it is his own responsibility that whether he extracts good or evil from his environment, for he is not a puppet but a free agent. As a guide to him the Quran gives to man a code of social and moral conduct. The Quran addresses always to man's natural instinct because the sentiment of God worship is, according to the Quran, is ingrained in human nature. Once his instinct is awake and active he will need no argument or guide to take him to his natural upright.

« فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ... »

(So set thy purose for religion as a man by natural upright, the nature (framed) of Allah, in which He has created man. There is no altering (the law of) Allah's creation).

One of the basic facts of Islam is the common origin of all mankind and it condemns any form of discrimination, whether it is class division or racial prejudice. This argument naturally leads also to the oneness of God, who cherishes and sustains the entire universe.

« وأن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاتقون »

(And this your community is one community and I am your Lord, So keep your duty to Me).

The Lord Who has created man and provided every necessary thing for his material well-being, He also has provided a order of life and a moral code for his spiritual sustenance and progress. The spirit has needs just as much as the body. This Divine order comes to world of human by revelation through messengers from God. The Qu'ran calls this Divine order "Islam". It means complete and unqualified Submission to God. The Qu'ran has Stressed the universality of Divine guidance and proclaimed that there have been countless messengers of God in various placs and differnt times. In this way Islam gives to man a code of social and moral conduct so as to help him to live as a good member of the human community and a most perfect creature on the earth. He walks through this guided path. His acts are always abiding by the order and design framed by his Lord. He regards himself to be the real agent (Khalifa) of Him on the earth, striving after truth, upholding justice and supporting goodness of the entire humanity.

Islam and Life - 3

Why man is Created ?

By: A. M. Mohiaddin Alwaye

Everything in the Universe is so made that it is subject to a particular law and order and part of a well ordered system. There is nothing without benificent ultimate purpose and good reason. The Quran says :

« خلق الله السموات والأرض بالحق ، إن فى ذلك لآية للمؤمنين » . (العنكبوت ـ ٤٤)

(God has created the heavens and the earth with good purpose. verily, in this there is a sign for those who believe). XXIX : 44

The doctrine of purposeful creatien is applied to, in a special way, man who is 'God's finest hand work' and the most perfect link in the chain of His Creation. The Lord who has created, Cherished, nourished and fashioned man through many stages and forms will not leave him without purpose or aim. God says :

« أيحسب الانسان أن يترك سدى . ألم يك نطفة من منى يمنى . ثم كان علقة فخلق فسوى » (القيامة ـ ٣٦ـ٣٨)

(Does man think that he will be left aimless ? Was he not a drope of fluid emitted, then a clot and then shaped and fashioned in due proportion ?)
LXXV : 36-38

Thus man is created to be the agent (Khalifa) of God on the earth. He upholds justice among the people, he inhabits the earth and reforms it. The Holy Quran says :

« وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إنى أعلم مالا تعلمون » (البقرة : ٣٠)

(And when thy Lord Said unto the angels : Lo ! I am about to place an agent (Khalifa) in the earth, they said : will you place therein one who will do harm therein and will shed blood, while we, we hymn Thy praise and sanctify thee ? He said : Surely I Know that which ye know not) 11 : 30.

This agency of man on earth requires, first of all that man should Know his Lord in a real Knowledge and serve Him Sincerely. As the Quran says :

« وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون » .

(I created the jinn and Human Kind only that they might serve Me).

Man by his nature and by his position in the universe, is created for the service of God alone and nothing else. What differentiates man from the animal species is his capacity to this knowledge. It is his beauty, perfection and honor in this world and his reward in the hereafter. By this knowledge he excels other kinds of creatures. It is the service of God and piety which entitles man to be the agent of God on earth and makes him the most noble in the sight of Him.

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » . (الحجرات : ١٣)

Pre-Islamic women of noble descent would prefer to starve rather than work as wet-nurses. The Arabic proverb says: "It is better for a freeborn woman to suffer hunger than to earn a living by means of her breasts". It was not even an execuse for the Jahilite to work as a wet-nurse for the children of Kings. This is clearly illustrated by the following incident. Hajib ibn zurarah boasted one day of the fact that his family included the wet-nurses of the children of kings, saying: "We had nursed the children of Ma'ul-Muzn and Muharriq antil their beards and moustaches appeared." But people criticized him for that, saying: "We have never seen any other man who beasts of such infamies" Abu Hilal al-'Askari, the author of Jamharat al-'Amthal, commented on their criticizm by the following: "That is because the wet-nurse is a servant and serving (others) does not honour but degrade." Thus, jahilites despised serving others in general, and wet-nursing in particular.

(To be Continued)

(From page 4)

his light shines through all the intervening centuries to guide us in this bewildering perplexity of our civilization's discordancy. The music of the Qurân which the Prophet gave us will erase the cacophony of contemporary life if we will only listen to the grandeur which cannot be surpassed. Open your ears, your eyes, your heart, shed the chains that imprison your mind, live Islam as the Prophet intended you to live it and life will know a fullness you have never known ... banished will be sorrow and despair to be replaced by a happiness and contentment that is achieved only by one's submission to the will of Allah, by being a Muslim.

In every way the Prophet is the supreme example for us and if we study the various aspects of his life we find it is like a fine jewel cut with many facets, each facet showing us how to approach life at it's various levels, from the standard one should maintain in the humdrum world of trade to the correct way of worshipping Allah; he has given us the perfect blueprint to follow. We know that no two persons are ever born absolutely alike, not even twins, and that while for some it is easy to follow the example of Muhammad for others it is very difficult no matter how much they may try, but the major thing to remember is this most important fact that Muhammad gave us certain immortal principles to observe and honour. They are like the silvery stars that shine in the heavens of night by which travellers guide themselves to their destination, even so are these perfect principles and if we follow them to the very limit of our capabilities then they will guide us our destination ... The One and Only God, ALLAH.

THE MERITS OF LABOUR IN ISLAM

By : M. Gamaluddin Ayyad, M.A.

Islam's attitude to labour and labourers was quite different from that of " al-jahiliyah ". To the Bedouin of the pre-Islamic age, animal husbandry, hunting, robbing, and guiding the commercial caravans across the desert were the only occupations worthy of men. They held in contempt agriculture, handicrafts, navigation, and trading.

Ibn Khaldûn, in his Muqaddimah, has a chapter entitled : " Places that succumb to the Arabs are quickly ruined " One of the reasons he gives for his theory is : —

> *" Arabs, (i. e. Bedouin) cause damage to the work of professional workers and craftsmen. They neither see any value in it, nor find it worthy of any price or wage. Now, as we shall mention, labour is the real basis of profit. When labour is not appreciated and is done for nothing, the hope for profit vanishes and no (productive) work is done. The sedentary population disperses and civilization decays ".*

The settled Arabs held many occupations wich the nomads scorned. Some were farmers like the dwellers of Medina, others were tradesmen like the people of Mecca, and a third group were navigators like the inhabitants of Oman. There were, in addition, the craftsmen such as the carpenter, the blacksmith, and the hirelings in different fields of labour. However, their acceptance of earning a living by such occupations did not give dignity to labour, or labourers in general. Some occupations continued to be held in contempt and some individuals were scorned and ridiculed for choosing such occupations. Navigation, for example, was held in contempt by the Tamimites, who scornfully called the Azd " sailors " because their kindred in Oman were navigators.

Quraysh, also, looked down on the inhabitants of Madina because they tilled the soild. When Abou Jahl was dying in the battle of Badr, he did not regret his approaching death so much as the fact that his death was at the hand of an agricultural worker who tilled the soil. He said : "Would that I had been killed by someone other than an agricultural worker !" As Ibn Al Athir puts it "Abu Jahl indicated by such a phrase how he scorred the man who killed him, how he was astonished when an agricultural worker such as Ibn Mas'ud dared to kill a nobleman such as Abu Jahl.

According to another "version" Abu Jahl exclaimed when Ibn Masoud placed his foot upon his neck : "O, miserable little shepherd ! you have mounted a very difficult place of ascent ! " Such statements show quite clearly how the agriculturalists and hired herdsmen were scorned, by Abu Jahl and other Arabs of noble descent.

contemplation amidst the vast solitude of sand and burning rock. It was during one of these periods that he received his first divine revelation from Allah and when the Angel Gabriel appeared to him in a wonderous vision after he had heard the words of Allah, the words now known as the Surah "The Clot", "Read in the nam of Thy Lord who-creates, creates man from a clot. Read, and thy Lord is most Bounteous, who teaches by the pen, teaches man that which he knew not...". It was a dazed man who stumbled out of the cave after this soul chaking experience only to find that his trial had not yet finished for there before him stood a dazzling figure which said to him, "O Muhammad Thou art Allah's messenger, and I am Gabriel", whith this mysterious message the figure vanished leaving a very bewildered man. One may imagine the effect this experience must have had on this exceptional being, a man of the world and yet also of the spirit with a character both strong and noble. We know he instinctively turned to his wife in his need and she encouraged him with her firm belief in him and the turth of his revelation from Allah. In the following years he had more revelations from Allah but these he told only to his intimate family until in one vision he was finally given the command, the command to preach to the world for the time had now come for all peoples to hear the last prophet of Allah tell His eternal message once more.

Now the fight began, a fight that has really been waging from the dawn of time between the lower and higher forces of man until this present day and which will continue untill all men sumbti to the will of Allah, this is the inevitable tragedy of humanity which bears such stains as genocide and other acts of vile bestiality that sprawl across the pages of man's recent history like an ugly and vicious virus — one has only to peruse these pages to see the truth of this statement. In spite of the strong opposition, our beloved Prophet never wavered even though he was attacked from all quarters and his cause appeared hopeless to all, but with Allah giving him guidance and strength he went forward like a might surging tidal wave... a wave that was to eventually swamp the then known world, bringing in it's wake the light of knowledge and progress to a tyrant ridden people of darkness and giving the world the impe us it needed to escape from the labyrinth it was lost in.

Muhammad, through his affinity with Allah, was able to give the world a sanity and way of life it had never known before, so checking humanity's mad rush into oblivion. He enjoined the liberties and rights of man which are only now beginning to be practised and recognised as the essential birthright of all both in the west and, after long disuse, in the East. It is the tragedy of the Muslim world that it has neglected the command of the Prophet to seek knowledge even if it be at the ends of the earth, such neglect of this and other teachings of the Prophet has cost much and is in many ways responsible for our present position today. Muhammad lived a life which is a beacon to us all in this present wilderness we live in,

(See page 6)

THE MAGNIFICENT MAN

By: RASCHID ANSARY

(ROBERT WELLESLEY)

"It was the unique life of Muhammad that first attracted me to Islam, I admired him tremendously for being so true to his belief and refusing to compromise, which is a degree of perfection that is unfortunately very rare in this world"

In the 53rd year before the Hijra, during the month of April, there was born into the family of Hashim which belonged to the Tribe of Kuraish at Mecca, the last of a long line of blessed beings whose illustrious name was to become an essential part of this world's history and who was to renew in its purity the true religion of Allah, Islam. This man who is reverenced by millions is known by the name of Muhammad and given the imposing title of "The Prophet" he was, and still is, the honoured leader of Islam, the Theocracy of Humanity.

The Prophet lived in a world as careless and ignorant of Allah as it had ever been, many worshipped idols and were full of a superstitious nonsense that made their lives a mockery and was an insult to the world they lived in, they defiled the wonderous beauty that Allah had given them and wallowed in their stupidity which was often most foul and cruel. Ever since the creation of Adam, Allah had sent prophets to help humanity in it's struggle through life towards the eternal Light, He must have sent many throughout the world and in every case the essential purity and truth of their message had been distorted by the pettiness of man . . . until the coming of the last prophet of all when Allah in His wisdom caused His message to be written down for all time, His message which He sent through our Prophet Muhammad and which is known as the Quran. A blessed book which has remained unaltered in any way since it was first written in the Arabic language of that time, this is a true fact which no one can dispute,

It was the unique life of Muhammad that first attracted me to Islam, I admired him tremendously for being so true to his belief and refusing to compromise, which is a degree of prefection that is unfortunately very rare in this world. The picture that is formed after studying the Prophet's history is a really fascinating one for although he had little formal education he was a man of such inherent genious that this proved no problem and, apart from this, it becomes obvious that he was blessed with divine guidance all through his life.. a life which started so sadly with the death of his father before he was born followed by that of his mother when he was but a child. His mystic nature showed during his happy marriage with Khadija when he annually retired for the month of Ramadan to a desert cave and there spent his time in prayer and

not disorder and maling for improvement and progress not deterioration and retrogression? Human knowledge and reason have not been able to answer this question; they can only say that this constant constructiveness and improvement are due to the adjustment of the primeval elements and to an inherent balance and proportion in matter. To the further question however as to why there should be this balance and proportion in nature, why matter should have these characteristics or why the elements should come together in the right proportion and a balanced order, man's knowledge and intellect have no answer to give, except to say lamely that the "law of necessity" demands that nature should be both constructive and selective, that not only should there be construction but good construction. There is no answer at all to the further obvious question as to why there should be such a law, why everything should be according to 'need' and why the 'need' shond be construction and good order and form, not destruction and disorder. Philosophy can take us no further, but the Quran offers guidance and says that nature is merciful and it is the quality of mercy always to better not to worsen.

We see from each and every thing around us that all acts of nature have separately the characteristic of being systamatically and uniformly useful, and together they make it appear that the entire universe is organised for our bebefit, to fulfill our needs.

« الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله فلا تحصوها »

(Allah is He who has created the heavens and the earth and causes water to descend from the sky, thereby producing fruits for your food. And He has made the ships subject to you, that they may traverse the oceans by His command. And He has subjected to your service the rivers and also the sun and the moon, constantly pursuing their courses, and the night and the day. He has granted you all that you require and if you would count His gifts you could not reckon (His bounty). (XIV : 32 - 34).

« ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش ، قليلا ما تشكرون » .

(We have placed you upon earth, with power to make use of it, and have provided for you there (all) the requisites of life. Little do you render thanks (for these gifts). (VII : 10).

« إن الإنسان لظلوم كفار » .

(Verily, man is given to injustice and ingratitude). (XIV : 34)

No matter how restricted and uncivilised the life of a man may be, he cannot be ignorant of the fact that he derives all kinds of benefit from his environment. A wood cutter in his forest hut, as he looks around, cannot but be aware of how that forest ministers to all his needs. When he is ill, the forest provides him with health-giving herbs; when the sun is hot, the trees offer him shade ; when he has leisure, he can refresh himself with the soothing scenery of the forest and the pleasing colours of flowers ; the trees, which provide him with fruit while they are young, supply him with planks of wood when they are mature and with fuel when they are old. [1]

(1) The Quintessence of Islam.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYYAT

Jumâda'l-Akhirah 1385	ENGLISH SECTION EDITED BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE	October 1965

The Qurânic Conception of God-V

By : Moulana Abul Kalam Azad

« الرحمن الرحيم »

(THE MERCIFUL, THE COMPASSIONATE)

The Two words « رحمن » (rahman) and « رحيم » (raheem) are akin, alike in their root and in their meaning, but they are not the Same. The root word is « رحم » (raham) and the Arabic word « رحمة » (rahmat) means mercy but in a comprehensive sense which includes the sentiments of kindness, compassion, love, bounty and favour. It is in this sense that both words mean merciful'. The difference between them can be fully appreciated by only those who are conversant with the Arabic language. These are two forms of the same adjective, one which indicates a passing quality and the other which denotes that the quality is a permanent distinguishing mark of the person to whom the adjective refers. "Rahman" means merciful in the former sense and raheem in the latter sense. Both the words are to gether used here in order to emphasise this divine attribute from which, in a sense, flow the other attributes and without which the world could not exist.

« ورحمتي وسعت كل شيء »

(My mercy embraceth all things).
(VII : 156.)

Then we look at the universe around us, the first thing that strikes us is the functioning of some force organised for the sustenance of all beings. Reflection leads us to another stage of knowledge, and we see that there is a force even greater than that of sustenance, that of improvment.

This whole set-up of life and motion would not have come into existence if it did not carry within it the quality of correction and improvement. But why is it that nature is essentially constructive not destructive, bringing about order

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الخامس والسادس ـ السنة السابعة والثلاثون ـ رجب وشعبان سنة ١٣٨٥ هـ ـ نوفمبر وديسمبر ١٩٦٥ م

ح ١٢
م ٢٢٢٢٦
دورية
المكتبة الأزهرية

بسم الله الرحمن الرحيم

من معالم القاهرة

جزيرة الروضة في التاريخ

بقلم أحمد حسن الزيات

ضحوت للشمس على سطح داري بجزيرة الروضة، وكانت برودة الريح قد ضربت في حرارة الشمس فدفئ الجو دفئاً معتدلا يلذ الشعور به ويطيب المكث فيه. وإذا عمك الدفء وشملك السكون وعزلتك الوحدة فلا مفر من حديثك إلى نفسك وانطوائك على وعيك.

وكان الذي مهد للحديث بيني وبين نفسي وقوع بصري على جامع قايتباي الذي بناه القاضي فخر الدين ناظر الجيش سنة ٧٣٠ هـ وجدده الملك الأشرف قايتباي، وهو قبالة داري من جهة الغرب فتمثل لخاطري الشيخ جلال الدين السيوطي وهو يغدو إليه كل يوم من داره المجاورة له فيعقد فيه مجلساً للعلم والأدب يغشاه طلاب المعرفة من القاهرة والجيزة. ثم يخرج في أيام الثلاثاوات إلى « المشتهى » وهو متنزه أريض كان يقع في شرقي هذا الجامع ويطل على الفرع الصغير للنيل. وقد طاب مقام السيوطي بجزيرة الروضة وأحبها فاقتضاه هذا الحب أن يكتب في تاريخها كتابا جامعاً سماه « كوكب الروضة ».

ثم رجعت بي الرؤيا الخيالية إلى ماضي هذه الجزيرة التي خلقتها الطبيعة على صورة سفينة هائلة أرست على مدى قصير من ساحل مصر القديمة، مقدمها اليوم قصر المناسترلي والمقياس، ومؤخرها المستشفى الجامعي والفندق الجديد العتيد، فوجدتها على توالي القرون وتعاقب الدول قد كانت إما حصنا يحفظ الأموال والأنفس، وإما روضا يمتع الأرواح والحواس.

اعتصم بحصنها القديم المقوقس حين استولى العرب على قصر الشمع فحطم الجسر ثم مكث بها هو ومن تبعه من الروم والقبط ردحا من الزمن، ثم أخلاها للمدنية العربية فقامت بها القصور والدور والرياض في ولاية عبد العزيز بن مروان. وكان

مقياس النيل فى حلوان ، فلما سقط عموده هناك أمر سليمان بن عبد العزيز عامله أسامة بن يزيد أن يقيمه فى الطرف الجنوبى من الجزيرة ، فأقامه ولا يزال .

وكان على الأرض الواقعة على الشمال من المقياس دار الصناعة فنقلها محمد بن طغج الإخشيد إلى ساحل الفسطاط سنة ٣٢٥ هـ وشاد فى مكانها قصراً سماه المختار كان آية فى جمال الفن وغاية فى حسن الزخرف ، وظل بستانه متنزه الخاصة فى عهدى الإخشيدية والكافورية وأوائل عهد الفاطمية . وكان البنيان فى الجزيرة قد اتصل والعمران قد استبحر حتى عينوا لها والياً وقاضياً وقالوا فى التقسيم الإدارى لحاضرة الدولة: القاهرة ومصر والجزيرة . فلما استبد الأفضل ابن أمير الجيوش بأمور الخلافة خطط فى شمال الجزيرة بستاناً وقصراً سماه الروضة فسميت الجزيرة كلها باسمه .

وكان الخليفة الآمر بأحكام الله مولعاً بالبدويات الحسان ، فترامى إليه أن بالصعيد أعرابية بارعة الحسن تقول الشعر وتجيد الحديث تسمى العالية ، فتزوجها بقوة السلطان ونقلها إلى قصره فضاقت نفسها فيه واشتهت الفضاء ، فبنى لها على النيل فى جنوب الروضة قصراً على طراز فريد سماه الهودج .

وكانت العالية تحب فتى شاعراً من بنى عمها يقال له ابن مياح ، فنازعتها نفسها إليه وبرمت بمقامها عند الخليفة . ولهج المصريون بحديث العالية وابن مياح ، وشاع فى الناس أن الشاعرة أرسلت إلى الشاعر هذه الأبيات :

يا ابن مياح إليك المشتكى
مالك بعدكم قد ملكا

وأنا الآن بقصر موصد
لا أرى إلا خبيثا ممسكا

كم تثنينا كأغصان النقا
حيث لا نخشى علينا دركا

وتلاعبنا برملات الحمى
حيثما شاء طليق سلكا

فأجابها بقوله :

بنت عمى والتى غذيتها
بالهوى حتى جلا واحتبكا

بحت بالشكوى وعندى ضعفها
لو غدا ينفع منا المشتكى

مالك الأمر إليه يشتكى
هالك وهو الذى قد أهلكا

شأن داود غدا فى عصرنا
مهدياً ياليته ما ملكا

وبلغت هذه الأبيات مسامع الخليفة فقال : لولا بيته الرابع لجمعت بينهما على شريعة الله .

ولهذه القصة سابقة ولاحقة : فأما السابقة فقصة ميسون زوج معاوية فقد أتى بها من القفر إلى القصر ولكنها لم تلبث أن قالت :

لبيت تخفق الأرواح فيه
أحب إلى من قصر منيف

ولبس عباءة وتقر عينى
أحب إلى من لبس الشفوف

وخرق من بنى عمى نحيف
أحب إلى من علج عنيف

وأما اللاحقة فقصة البدوية التى تيمت فؤاد الخديو عباس الأول فتزوج منها وأنزلها قصراً فى ظاهر القاهرة وأخذ يختلف إليها سراً حتى أنفذها منه من اغتاله فى قصره ببنها .

وسار على الأفواه حديث هذه البدوية فنسجت حولها الأساطير ونظمت فيها الأغانى . ولا يزال المغنون الشعبيون يرددون هذه الأغنية «ياحالى ع البدوية» .

وفى أواخر الدولة الأيوبية ابتنى الملك الصالح نجم الدين أيوب قلعة بهذه الجزيرة فخرب المختار والهودج ، ودمر الدور والمساجد ، وقطع النخل

والشجر . ثم رفع أبراجها الستين على المثلث الجنوبى كله من الروضة . ثم جعلها مقر ملكه ومعسكر مماليكه ومستودع أسلحته . وكان من مفاخر هذه القلعة الإيوان الملكى الذى افتنت فيه الأيدى الصناع فصفحوا أبوابه بالذهب ، وحلوا جدرانه بالمرمر ، ووشوا سقوفه بالزخرف ، وزينوا أرضه بالجزع . ثم جعلوا من وراء سوره معرضاً لسباع الوحش والطير يتفرج به السلطان ، ومن خلف معرضه مروجا يتدفق فيها النيل ، فيكون لها منظر رائع وهى المنيل .

فلما حكم المماليك تقسموا أبراج القلعة ونقلوا ما كان فيها من رخام وحجر وخشب فبنوا به بعض المبانى العامة . ثم جرت بعد ذلك على الجزيرة جوار بالأنس والوحشة وبالنعيم والبؤس حتى استهل العصر الحديث فاختط إبراهيم باشا البستان الكبير فى طرفها الشمالى وجلب إليه النوادر من الشجر والزهر ، والأوابد من الوحش والطير ، وشق به القنوات وسلسل فيها الماء ، وأرسى الروابى ونمنم فوقها النبت ، على نحو ما نرى اليوم فى بستان الخديو إسماعيل بالجيزة « حديقة الحيوان » ثم جعله متنزها للناس يرتادونه فى الأعياد والمواسم . وبنى حسن باشا المناسترلى كتخدا مصر فى عهد عباس الأول قصره فى طرفها الجنوبى . ثم قضى نظام الطبقات أن يسكن العامة الجانب الغربى على النيل الكبير ، وأن يسكن الخاصة الجانب الشرقى على النيل الصغير ، فبنى إسماعيل قصره وبستانه فى الشرق من جامع قايتباى وهو قصر محمد على الذى صار متحفاً فى عهد الثورة . ثم تتابع السراة على البناء فقامت قصور قاسم باشا وذى الفقار وعلى شريف وسليم الجزائرى ، ونشأت بساتين شاكر بك . والبارودية والمندورة . ثم عبثت يد الفناء بالناس ، وعصفت ريح البلى بالدور ، فذهبوا وبقيت الأطلال ؟ .

ثم جرى على هذه الأطلال حكم الديمقراطية فتوزعها الشعب وأقام على القصور دورا ومدارس ، وعلى الدوائر عمائر ومتاجر ، وعلى الملاهى إنتاجا وخدمة .

على أن الروضة كانت فى عهودها المختلفة أرحب البقاع صدرا بالشعب ، فكانت متنفسه فى الضيق ومستراده فى النزهة ومحتفله فى المواسم وبخاصة فى يوم شم النسيم وفى ليلة الغطاس ، وهى الليلة الحادية عشرة من شهر طوبة ، وكان الأقباط يحيونها فى الروضة فيوقدون النيران ويشعلون المشاعل ويقبسطون فى القصف والعزف واللهو حتى تحين الساعة فيغطسوا وينصرفوا .

وكان المسلمون حتى الخلفاء يشاركونهم فى إحيائها بالوقود واللهو . قال المسعودى فى مروج الذهب « حضرت سنة ٣٣٠ ليلة الغطاس بمصر والإخشيدى فى داره المعروفة بالمختار فى الجـــزيرة ، وقد أمر فأسرج من جانب الجزيرة وجانب الفسطاط ألف مشعل غير ما أسرج أهل مصر من المشاعل والشموع وقد حضر النيل فى تلك الليلة ألوف من المسلمين والنصارى ، منهم فى الزوارق ، ومنهم فى الدور الدانية من النيل ومنهم على الشطوط ، لا يتناكرون كل ما يمكنهم إظهاره من المآكل والمشارب وآنية الذهب والفضة والجواهر والملاهى ... وهى أحسن ليلة تكون بمصر وأشملها سرورا ، ولا تغلق فيها الدروب ، ويغطس أكثرهم فى النيل ويزعمون أن أن ذلك أمان من المرض » .

تلك صورة الروضة ومنيلها فى شتى العصور منذ الفتح ، مرت بخاطر السيوطى فجعل منها كتابا ، ثم مرت بخاطرى فجعلت منها مقالة .

أحمد حسن الزيات

التحرّر من الجوع

للإمام الأكبر شيخ الأزهر

خلق الله الإنسان وفضله على كثير من خلق ، وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه ، وضمن له قوام حياته العادية ، بما قدر فى الأرض من أقوات وسما بحياته الروحية بما أنزل له من تشريعات ، وتتابع فضل الله على البشر فأرسل رسله مبشرين ومنذرين ، يبلغون رسالات الله ، ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله ، حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، ولما شاء سبحانه وتعالى أن تبلغ الإنسانية رشدها ، أرسل رسوله الخاتم محمداً صلى الله عليه وسلم بكتاب ما فرط فيه من شئ ، يهدى للتى هى أقوم ، ويعلن فى الناس قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » ، وكانت معجزته صلى الله عليه وسلم فى القرآن ، هى عين دعوته ودستور رسالته . حتى يكون لها من الخلود ما يسعد الإنسان فى كل زمان ومكان .

وإن منظمة الأمم المتحدة التى أنشئت لضمان الأمن وإقرار السلام ، حتى ليتسع نشاطها لتنظيم حملة دولية للتحرر من الجوع ، تخدم فكرة الإسلام ، فى إنقاذ العالم من خطر الجوع ، وهى بذلك تعين الإسلام على تحقيق أكرم ما امتن الله به على البشرية ، من نعمتى الأمن من الخوف ، والإطعام من الجوع ، قال تعالى : « فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » ، وإن المنظمة ، حين تمد يدها إلى الأديان تطلب معونتها فى هذا الجهاد النبيل ـ فإنها ستجد فى الإسلام معيناً لا ينضب ومعيناً لا يكل ، وستجد للإسلام من وسائل التوعية فى هذا المجال من حرب الجوع . ما يستوعب كل الزمن ، ولا يقتصر على أسبوع ، فالإسلام حين يتعرض لهذه الناحية يتناولها تناولا جذرياً ، لا يكتفى بعلاج داء الحرمان . ولكنه يضع للمجتمع أسس الوقاية من هذا الداء حتى لا يتعرض المجتمع إلى هزال مرض ، أو إنهاك علة فالمال كما قرر الإسلام ، كله لله ، فى يد الغنى ، والغنى مستخلف فيه ، والخلق كلهم عيال الله ، فأحبهم إليه أرأفهم بعياله .

فتلك الأيام نداولها بين الناس ، والله ـ كما يقول ـ : « له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شئ عليم » ، فليحذر الأغنياء الذين يخالفون عن أمر الله أن تصيبهم بما صنعوا قارعة ، فتدور عليهم دائرة الفقر ويعضهم ألم الحرمان ويتحقق فيهم قول الله : « ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ، ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه ، والله الغنى وأنتم الفقراء ، وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » .

ولا يحملن أحدكم على الشح ، ما يعلل به نفسه من تأمين ورثته بترك ماله كله لهم والبخل بجزء منه على إخوانه فى الإنسانية ، فإن الله الذى خلقهم أرحم بهم ، وآمن عليهم ، « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم ، فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » ، وإياكم أيها الأغنياء أن يستعبدكم المال ، فإن المال سيد ردئ ، ولكنه عبد

مخلص ، واذكروا جيدا أن ما تكنزون ، ولا ينفق فى سبيل البر والخير سيعود عليكم بالويل يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

أيها الناس :

إن الله الذى خلق الأرض وقدر فيها أقواتها قد استعمركم فيها ، فأدوا واجب هذه العمارة ، كشف أسرار واستخراج كنوز وتخطيط تنمية . ولتتعاون قوى البشر بما فيها من رحمة قلوب ، وسمو عواطف ونبل مشاعر ، وأفكار عقول ، وحقائق علم ، وإمكانيات مال ، وفتوة عمال ، وحزم سيطرة ، وحكمة توجيه حتى تحيوا موات الأرض ، وتستنبطوا خيرات الوجود ، وتحققوا قول الله « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » واعلموا جيدا أن الغنى كما يكون بالمال يطلب إنفاقه ، فكذلكم يكون بالعلم تبذل حقائقه ، وتخدم نظرياته ، وتتوالى تجاربه ، ويكون بالقوة تسخو بالعمل ، ويكون بالحكم يحمل الناس على الجادة ، ورغم الأمة على النضال ، فإن الله يزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن ، ألا وإن الإسلام قد وضع التكافل الاجتماعى والتضامن الإنسانى على أساس كريم تتفاعل عناصره الكريمة لتعطى مزاجا رائعا من أريحية غنى ، ورجولة فقير ، فكما طلب من الغنى أن يبذل ، طلب من الفقير أن يعمل ، وفى ذلك يقول رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام (لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره ، خير له من أن يسأل واحدا أعطاه أو منعه) ويقول : (اليد العليا خير من اليد السفلى) .

وبهذا لا يكون المجتمع مسئولا إلا عن فقير عاجز له فى مال الغنى حق ، وعلى المجتمع واجب الكفاية له ولمن يعوله ، وإن الإسلام ليتسامى فى رعاية هذا النوع من الفقراء فلا يقنع من الغنى بإعطاء الفضل استنادا على قول الرسول صلى الله عليه وسلم (من كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له) بل يحبب للواحد إيثار المعدم . قال تعالى : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » ويقول « وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » ويقول « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءا ولا شكورا ، إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا ، فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا » .

وإن الإسلام ليستغل حب المرء لماله ، ورغبته فى الإبقاء عليه ، فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم (ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت) .

أيها الناس :

إن منظمة الأغذية قد استمانت على قلوبكم بوازع الدين ، ونور الإيمان فكونوا عند حسن ظنها بمكان الإيمان من نفوسكم ، وامتثالكم لأمر ربكم وأعينوها على أمرها ، واجعلوا هذا الأسبوع لطف تبصير ، وسماحة تذكير ، وسخاء بذل وخلوص مشورة ، فإنكم بما تبذلون من طاقات مواهبكم تسهمون فى إنقاذ نصف البشر من الدمار ، وتنقذون شرف إنسانيتكم من عار ، والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

حسن مأمون

ما لا بد منه للفقيه

للأستاذ محمد محمد المدني

إن الناظر فى الشريعة الإسلامية يحتاج إلى التمرس بنوع من العلوم لا بد من معرفته ، والتبريز فيه :

يحتاج إلى التمرس بعلم اللغة الذى يعرف به معانى الألفاظ المستعملة ، ويفرق بين موادها المختلفة .

ويحتاج إلى علم الصرف ليعرف بنية الكلمة وما تتصرف إليه من مشتقات وما يدل عليه كل مشتق بطبيعته وبصيغته ، وما عسى أن يكون قد اعترى الكلمات من قلب أو حذف أو تضعيف أو زيادة .

ويحتـــاج إلى علم النحو ليعرف التراكيب والأساليب التى تقتضى أنواعا من الإعراب ينضبط بها الكلام ، وترشد إلى مراد المتكلم .

ويحتاج إلى علوم البيان ليعرف أن التعبير عن المعنى الواحد يأتى بطرق مختلفة منها الحقيقة ومنها المجاز ومنها الكناية ، وأن أساليب هذا التعبير تختلف بين إطناب وإيجاز ومساواة ، وبين تقديم وتأخير وبين حذف وذكر ، وغير ذلك .

ويحتاج إلى علم المنطق ليعرف كيف يعصم فكره بقانون يربط بين المقدمات والنتائج ، ويميز بين ما هو صحيح منها وما هو فاسد ، وما هى الأشكال المنتجة من الأقيسة والأشكال العقيمة ، وما أسباب الإنتاج والعقم ؟

ويحتاج إلى معرفة علم الكلام ليدرك الأصول العقيدية أو النظرية التى يتأثر بها الناظرون فى الشريعة حين يقررون حكما من الأحكام ، أو يستنبطون قاعدة من القواعد .

ويحتاج إلى علم تاريخ الفقه ليكون على بينة من التطورات التشريعية ، والحركات الفقهية ، فى مختلف العصور ، وفى شتى البيئات والمناهج .

ويحتاج إلى معرفة القانون الذى يضبط أصول الفهم الصحيح ، ويجعل الناظر فى الكلام قادرا على أن يفهم مراد المتكلم من كلامه ، وأن يعرف دلالة العموم فى العام ، ودلالة الخصوص فى الخاص ودلالة الإجمال فى المجمل ، وفائدة البيان فى المبين ، ونحو ذلك ، وهذا هو ما يتكفل به علم أصول الفقه الذى عرفوه بأنه (معرفة دلائل الفقه إجمالا ، وكيفية الاستفادة منها ، وحال المستفيد) .

ويحتاج إلى معرفة مقاصد الشريعة ، أى ما يهدف إليه الشارع من تشريعه فى مختلف أبوابها وكلياتها وجزئياتها ، حتى يكون على بينة من هذه المقاصد ، فيجول فى دائرتها ، ويحذر الخروج عن مناطقها المحددة .

ويحتاج إلى معرفة قواعد الفقه ، أى دستوره الكلى الغالب المرشد إلى أحكام الفروع باعتبارها مندرجة تحت ضوابط عامة ، تجمع بين المتماثلات ، ولا يخرج عنها إلا المستثنيات .

ويحتاج مع هذا كله إلى الاضطلاع بالكتاب والسنة وكثرة التردد عليهما والاتصال بهما ، لمعرفة الروح الخاص الذى يسرى فى كل منهما ، والذوق الفنى والمعنوى الذى يحكمهما ويسيطر عليهما .

إذا توافرت هذه العشرة فى باحث ، وتوافر له من كل منها قدر صالح من العلم به ، والبصيرة فيه ، وكان إلى جانب ذلك ذا همة وعزيمة ونية خالصة وقدرة على التعبير عما يجول فى خاطره من المعانى التى يلهم بها ، أو يدركها عن غيره ، أمكننا أن نرجو منه النظر السديد ، والرأى الرشيد والتجاوب العملى مع مطالب عصره وأحوال مجتمعه ، فى دائرة ما شرع الله ، وحدود ما أنزل .

والتجاوب العملى مع العصر يقتضى فهم أحوال المجتمع وإدراك أساليبه فى الحياة ، ومعرفة ما جد فيه من أوجه التعامل ، وما له من اتجاهات فكرية أو علمية ، أو عملية ، وما هو محكوم به من نظم مباشرة أو غير مباشرة لا يستطيع الفكاك منها ، ولا الانفصال عن مقتضياتها ، فقد كان الفقهاء الأولون ـ ولاسيما الأئمة المجتهدون ـ عارفين بأحوال عصورهم ومجتمعاتهم ملابسين فى كثير من الأحيان لنظام الحياة فى مجتمعهم ، مكابدين مع شعوبهم للمشكلات التى تعرض ، والصعوبات التى تعترض ، محيطين بكل التيارات التى توجه المجتمع ، سواء أكانت تيارات ملائمة أم غير ملائمة ، وبذلك انطبع فقههم بروح الواقعية ـ ولا أقصد بالواقعية مجاراة ما هو واقع كائنا ما كان ، ولكن إبداء الرأى فيما هو واقع سواء كان ذلك الرأى موافقا له أو مخالفا وبعبارة أخرى : أقصد عدم الانعزالية والانفصالية التى يشعر بها من يدرس الفقه فى كتبه التى ألفت منذ قرون ، قبل أن يتطور العلم والفكر والصناعة والحضارة ، إلى ما تطورت إليه الآن ـ إنه يرى نشاطا عقليا فى هذه الكتب ، ورغبة فى طبع الحياة بطابع الفقه والشريعة .

ولكنه يجد ذلك مطبقا على عصور وأحداث ومشكلات ووجوه من التعامل تغيرت أو بادت أو اختلفت معالمها ، وبذلك يكون الازدواج بين حياة المتفقهين بهذا الفقه فى كلياتهم ومعاهدهم ، وحياة الناس فى مجتمعاتها ومراكز الحكم فيها وعاداتها الجديدة وتفاصيل حياتها الحاضرة منفصلا فيشعر هؤلاء وهؤلاء بالفجوة التى تفصل بينهم ، وينظر كل منهم إلى الآخر نظرة الاسترابة والشك ، أو نظرة الطائفية والانقسامية ـ إذا صح هذا التعبير ـ .

وبعض هذه العلوم التى ذكرناها ، والتى لا بد منها فى فقه الفقيه ، واجتهاد المجتهد ، إنما هو قواعد وأحكام يكتسب الحذق فيها بالمران والتعليم والتطبيق والحفظ ، كما لو عرف إنسان باب الفاعل وأحكامه ، أو باب المفعول وأقسامه ، أو باب المبتدأ والخبر ونواسخهما ، وكما لو عرف أن أصل « أشياء » « شيئاء » وأن أصل « قضايا » « قضاءى » ، وأن وزن « بع » « فل » ، أو أن « مفعل » يدل على الزمان تارة ، وعلى المكان تارة ، أو عرف أن (السالبة الكلية) نقيضها « الموجبة الجزئية » أو أن قرينة المجاز مانعة ، وقرينة الكناية غير مانعة ، ونحو ذلك .

فكل هذا من السهل تحصيله ، ومن الممكن فى العادة التبريز فيه عن طريق الحفظ والتطبيق على القواعد .

لكن نوعا آخر من هذه العلوم لا بد فيه من ذوق وموهبة ورجاحة فكر ، وقوة عارضة ، وألمعية ذهن ومن هذا القبيل معرفة علم « مقاصد الشريعة » وعلم « قواعد الفقه » فإن ذلك لا يكاد يكتسب بمران ، ولا يجمع أمره عن طريق التلقين والحفظ وإنما هو قبل كل شىء فيض من النور يفيض الله به على من يشاء . فالفقهاء كثير ، والحفاظ منهم للفروع كثير ، والمفتون كثير ، ولكن أرباب المواهب منهم ، كمالك وأبى حنيفة ، والشافعى ، وابن حنبل ، والليث ، وسفيان ، وزيد ، وجعفر ، قليل .

بيد أن المواهب تحتاج إلى كشف ، ثم تحتاج إلى صقل ، ثم تحتاج إلى إنهاض وإيقاظ وبعث ، وإنما الدراسات تهيئة لفرص قد تصادف مستعدا ، أو تضىء الطريق لسالك ، وقد يبعث الله بها فى الناس أمثال أولئك الأعلام الذين نهضوا برسالة هذه الشريعة نهضة كبرى حتى يسروها ، وذللوا من دونها الصعاب والعقبات ، ولا حرج على فضل الله ؟

محمد محمد المدنى

الطريقة الحديثة لعرض الأدب

للأستاذ الدكتور ابراهيم عبد المجيد اللبان

تمهيد :

يمر الأدب العربي القديم بفترة من أقسى الفترات التي مرت به في حياته الطويلة فقد توارى من الصحف اليومية وخلا مكانه في مجالس السمر وأجواء المرح والفكاهة وبدا وكأنه أدب أمة قديمة قد بادت منذ عصور طويلة ، فإذا أنشدت بيتا منه في مجمع مثقف أدهشك أن أحداً لا يستجيب له أو يستسيغه ، وهي ظاهرة أدبية حديثة العهد ، ولكنها تنذر بشر قريب ذلك أنها تزداد عاما بعد عام حتى ليوشك أن يأتي يوم تطلع شمسه على جيل قد انقطعت الصلة بينه وبين الأدب القديم انقطاعا تاما . وإذ ذاك تصبح ذخائر الأدب العربي في وضع مماثل لوضع الآداب الإغريقية والرومانية في الممالك الاوربية المعاصرة فإن تلك الآداب واللغات التي كتبت بها كانت تمثل الثقافة العامة في تلك البلاد ، وها هي ذي قد تخلت الآن عن مكانها هذا للغات القومية المتولدة منها ومن سواها ، فكان هذا تمزيقاً جديداً لوشائج المجتمع الغربي وإضعافا لوحدته الثقافية وليس ثمة شك في أن واجبنا في الوقت الحاضر هو مواجهة هذه المشكلة بشجاعة وجسارة حلها في عزم وإصرار .

يجب أن يتجه البحث في بدايته إلى الكشف عن الأسباب التي أدت إلى استغلاق الأدب القديم وتنحيته عن مجرى الحياة اليومية على أن ينعطف التفكير بعد ذلك إلى اقتراح الوسائل التي تعيد المياه إلى مجاريها وتحفظ على الأمه أدبها الخالد .

طرق العرض التقليدية :

وان نحاول هنا استقصاء كل الأسباب التي تضافرت فأدت إلى هذه النتيجة المحزنة فغرضنا أضيق من ذلك . ومن ثم فسنبادر إلى تقرير حقيقة أساسية ظاهرة وهي أن طرق العرض التقليدية من أهم أسباب انتشار العزوف عن تذوق الأدب القديم في الوقت الحاضر، ولن نلبث إذا ماوضعناها موضع البحث أن نرى أثرها واضحا في عزوف النفوس عنه ونفورها منه .

ومن أجل هذا رأيت أن أعرض لنماذج من طرق العرض القديمة لأبين الحدود الضيقة التي كان المؤلف يعمل في نطاقها، وأشير في إجمال إلى النواحي الهامة التي أغفلها .

هذا المبرد في كامله يختار ثم يعرض للنصوص التي اختارها فلا يكاد يهتم بأكثر من النظر في ناحيتها اللغوية البحتة وبخاصـــة ما يتصل منها بقواعد النحو والصرف .

وكذلك القالي في أماليه يستهويه من النصوص ما يحفل بالغريب ثم يحبس نفسه وقراءه على تعقب الغريب ومشتقاته بالشرح والدرس الطويل . ويبدوا أن كلا الرجلين قد غلبت عليه صناعته الخاصه في الاختيار والدرس معاً . ومهما يكن من شيء فإن الأسلوب لا الموضوع هو الجانب الذي استبد بالعناية والدراسة كلها أو جلها .

فإذا ما اتجهنا إلى شروح دواوين الشعراء وقصائدهم استوقفتنا ظاهرة جديدة . فإن العناية لم تعد بعد مقصورة على الأسلوب ، بل تناولت الموضوع أيضا ، فإذا اخترنا شرح الزوزنى للمعلقات كنموذج لهذا النوع من أساليب العرض وجدنا الشارح يعمد إلى البيت فيشرح غريبه . وقد يمس نحوه أو صرفه مساً خفيفاً ثم يتخطى حدود الأسلوب إلى الموضوع فيقدم معنى البيت بعبارة سهلة واضحة .

وواضح أن هذا النوع من العرض أكثر من سابقه شمولا لعناصر النصوص الأدبية . فإنه يمس الأسلوب والموضوع معا . ولكنه مع ذلك لا يخلو من عيوب كثيرة تحد من قيمته وتعجزه عن أداء مهمته فهو يغفل كثيراً من العناصر الأساسية فى التجربة الأدبية كالانفعال وغيره .

وثمة عيوب أخرى لا تقل خطراً عن العيب سابق الذكر . فإنه يفصل المعنى عن التعبير . والنقد الأدبى المعاصر يرى أن فصل المعنى عن الأسلوب خطأ فنى كبير ذلك أن المطلوب هو رؤية المعنى من ثنايا تعبير الكاتب والشاعر فهو وحده الذى يستطيع أن يصور ما عناه وقصد إليه ، أما نثر الشعر وتقديمه فى ثوب لغوى غير الثوب الذى أضفاه عليه الشاعر فإنه يذهب بكثير من مقومات المعنى وخصائصه حتى ليحق لنا أن نقول : ليس هذا هو المعنى بل هو بديل هزيل . أين أثر النظم وأين جرس الكلمات ورنينها وضياء الاستعارات وبريق المجازات والتشبيهات ؟

يضاف إلى هذا أن تقديم القصيدة على هذا النحو يمزق أوصالها ويخفى عنصراً من أهم عناصر التجربة الأدبية وهو الوحدة والوحدة عامل أساسى لا يمكن بدونه أن يصل إدراك التجربة الأدبية إلى كماله ويستتم جميع مقوماته .

وقد جنحت الكتب المدرسية أخيراً نحو هذه الطريقة طريقة تقديم البديل الهزيل . وهذا الصنيع الخاطئ تذهب دون شك بالتذوق الأدبى الصحيح . فإنه يغرى التلاميذ بترك الأصل فراراً من الجهد الضرورى لدراسة الأسلوب فتفوتهم بذلك فرصة لغوية من أهم الفرص الثقافية ، فدراسة الشكل فى الأدب هى السبيل الوحيد لرؤية الفروق الدقيقة بين معانى الكلمات وتعقب فن الشاعر فى صياغة التشبيهات والمجازات والاستعارات وتحديد أثر الموسيقى المنبعثة من القافية والوزن وجرس الكلمات .

وهذه الدراسة هى الذريعة التربوية الفعالة التى تربط بين الأدب وميول الناشئ برباط وثيق يدوم مدى الحياة .

وسبب كل هذه الأخطاء واضح فإن عرض الأدب فى الماضى لم يكن موضوع دراسة علمية تكشف عن مبادئه وتحدد أهدافه ووسائله الصحيحة . أما الآن فقد استطاع الباحثون فى ضوء ما جد من العلوم أن يقوموا بدراسة مستفيضة لهذه المسألة الأدبية الهامة وقد أدت النتائج التى انتهت إليها بحوثهم إلى ثورة كبيرة فى أسلوب العرض وطريقة التذوق للشعر والنثر فأصبح العرض الآن عملية فنية دقيقة تقوم على أسس علمية ثابتة .

ولا نريد أن نتوسع فى بيان العلوم المختلفة التى ساهمت فى هذا الانقلاب الأدبى الكبير ، فإن هذا يقطعنا عما قصدنا إليه وسنجتزئ من ذلك بالإلماع دون الإفاضة والإسهاب .

وطبيعى أن يجىء النقد الأدبى فى المقدمة فإن الجهود التى بذلها فى تحديد معنى الأدب وفنون الأدب قد أنارت السبيل وعبدت الطريق لإدراك عناصر الأدب ومبادىء العرض الحديث .

ولا يقل عن هذا أثرا ما قام به علم النفس من دراسات كشفت لنا عن طبيعة التذوق وعن العمليات النفسية المختلفة التى تتم متعاونة متضافرة فى إطار عملية التذوق وبينت الطريقة المثلى التى يجب أن نسلكها لرفع مستوى هذه العمليات إلى أقصى مدى وأبعد حد وإلى نظرية (الجشتالت) بوجه خاص يعود الفضل فى العثور على كثير من مبادىء العرض الأدبى الحديث وبخاصة ما يتصل من ذلك بالوحدة والجو وترتيب الخطوات .

* * *

وليس فى مقدورنا الآن ولا يدخل فى نطاق مهمتنا الحاضرة أن ندرس هذه المسائل العلمية دراسة مستفيضة ولكننا سنكتفى من ذلك بما يمس مبادىء العرض ويؤثر فيها تأثيراً مباشراً . وسنبدأ من ذلك بتحديد معنى الأدب .

الأدب وعناصره :

إن الأدب حقيقة مركبة ولا بد لمن يريد أن يدرس مبادىء العرض الحديث من الإلماع إلى طبيعة الأدب وعناصره المختلفة التى يجب أن يتناولها العرض الكامل . فإن هذا أمر يحتاج إليه كل من يحاول بعث التجربة الأدبية ، وإيقاظها من رقدتها وإضفاء ثوب الواقعية عليها .

الوحدة :

فالوحدة الفكرية أو غير الفكرية هى العنصر الأول من عناصر التجربة الأدبية وهى بالنسبة لتذوق الأدب والفنون تحل محل الصدارة ، فالقصة أو المسرحية بدون الوحدة تصبح أشلاء ممزقة وأشتاتا مبددة ، والواقع أننا إذا لم نبدأ فنجمع أجزاء القصة أو المسرحية فى وحدة مترابطة متماسكة ، فإن كثيراً من عناصر التجربة يغيب عنا وإذ ذاك تبدو فقيرة عقيمة لا تشف عن رسالة ولا تثير وجدانا أو تداعب خيالا . وذلك لأن الشعور بالوحدة شرط ضرورى لإدراك الفكرة التى ينطوى عليها الأثر الأدبى فى جملته ولا يستطيع الأدب أن يشف عن رسالته أو يؤثر فى الوجدان ويثير الانفعال إلا إذا تكونت وحدة الخيال والموضوع وظهرت لنا واضحة جلية .

والحق أنه بدون الوحدة تتزايل أوصال الخيال ويفقد تأثيره فى الوجدان ويتوارى معنى الأثر ورسالته فلا يقف له أحد على أثر . وحينئذ تضيع رسالة المؤلف ولا يتحقق الغرض الذى قصد إليه .

وهذا واضح فى القصة والمسرحية والفصل والملحمة . وهناك من يكتفى فى الشعر بالوحدة الانفعالية ولكنه مع ذلك لا يخلو من وحدة أو وحدات فكرية متعددة .

الانفعال :

قدمنا أن الشعر حقيقة مركبة من عناصر متعددة ، وقد أشرنا إلى الوحدة فاتسع أمامنا المجال لعرض سريع لأهم عناصر التجربة الأدبية .

ويعد الانفعال من أقوى عناصرها وأهمها ، فالأدب يتجه إلى الوجدان ويحاول إثارة انفعال أو انفعالات متعددة .

والواقع أن القدرة على إثارة الانفعال هى سبب ما تتمتع به الآثار الأدبية الرفيعة من حياة دائمة وخلود لا تحظى به الكتب العلمية التى تفقد مالها

من قيمة عالمية بمجرد أن تفرغ ما فيها من حقائق علمية أوفلسفية . وهذا يفسر لنا بقاء إلياذه هومير على حين أن الكتب العلمية المعاصرة لها والمتأخرة عنها قد سحب النسيان ذيله على الكثير منها .

وتختلف أنواع الأدب باختلاف مركز الانفعال فيها فإذا كان التأثير فى الوجدان هو الغرض الأكبر فذلك هو . الشعر أما إذا كانت إثارة الانفعال وسيلة أو أمراً عرضياً فتلك مؤلفات تتفاوت فى صبغتها الأدبية تبعاً لقوة تأثيرها . ولكن هذه القوة هى التى تجعل الكتاب أدبا وقد تضفى عليه صفة الخلود .

وليس هذا مقصوراً على الأدب بل هو أمر مشترك بين الفنون كلها ، ولكن يجب أن نتذكر أن الوجدان ليس العنصر الوحيد فى الفنون فإلى جانبه توجد عناصر أخرى متعددة .ومع ذلك فيبدو أن هذا العنصر يوجد منفرداً فى الموسيقى ومن أجل ذلك كانت الموسيقى تمثل جوهر الفن وخالصه ففيها وحدها يوجد بميزه الأساسى وحده بمعزل عما سواه . فالموسيقى تؤثر فى الوجدان مباشرة دون أن يتوسط فى ذلك عنصر من عناصر الفكر على الإطلاق ومع ذلك قد تلقى فى النفس أفكاراً غامضة غير تامة التكوين ولكنها متصلة بالانفعالات التى تثيرها .

ومهما يكن من شىء فالظاهر أن تأثير الموسيقى فى الوجدان مستقل عن جميع العمليات الفكرية وأنه على عكس ذلك بسيط مباشر غير قابل للتحليل واستخراج الوسائط .

الخيال :

تمتاز فالموسيقى إذاً بأنها تثير الانفعال مباشرة من غير واسطة وهو أمر لا تستطيعه الفنون الأخرى حتى الأدب فكيف يفعل الأديب إذا أراد أن يثير انفعالاتنا .

الأمر واضح فهو يستطيع أن يفعل ذلك إذا صور لنا الأشياء التى تثير الانفعال فالأشياء الجزئية المحددة تتمتع بالقدرة على التأثير فى الوجدان . ونحن نشعر بالأسى والحزن إذا عرض علينا شخص تاعس فى قصة محزنة ونشعر بالإعجاب بنفوسنا حينما يصور لنا الكاتب صورة عمل جليل لبطل من أبطال التاريخ ، والقدرة على رؤية الأشياء فى صورتها الجزئية وصبغتها الوجدانية وعرضها علينا فى قوة الحقائق الواقعة ووضوحها هى الموهبة الأدبيـــة التى تقبض على مفاتيح الانفعالات وتفض أغلاقها .

وتسمى هذه القوة قوة التخيل وهى قوة ضرورية لتكوين الشاعر والقصصى ومؤلف المسرحيات ، هى فى الواقع ضرورية لكل أديب .

العنصر الفكرى :

والعنصر الفكرى أساس كل كتابة مستنيرة وهو فى بعض الآثار الأدبية الغاية التى من أجلها ألف الكتاب، ولذا أن نتساءل إزاء أى كتاب من كتب الأدب ماذا يعنى وما هى الحقائق أو المبادىء التى تضمنها وسنجد أنه لا سمو للأدب إلا إذا تضمن فكرة كبيرة أو معنى جليلا ، وأن قيمة الكتاب تعلو تبعاً لما فيه من الأفكار وعمقها .

ويجب أن نفرق بين الوقائع والمبدأ الفكرى الذى تمثله الوقائع فالوقائع هى الحوادث الجزئية وتجىء مادة من قوة الخيال وتكون فى الأدب عنصر الأخيلة أو الصور الممثلة للإنسان والطبيعة . وهى فى الغالب مصنوعة حتى فى القصة التاريخية

فقد يكون لهيكلها العام صحة تاريخية ولكن تفصيلاتها تكون فى العادة وليدة الخيال

أما المبدأ الفكرى فهو الحقيقة الفكرية التى تتضمنها القصة ويقدمها لنا الكاتب . هو رسالة المؤلف العامة التى تمثلها لنا الوقائع والحوادث الجزئية المعروضة . ويكون عادة من النواميس الكونية أو نواميس الطبيعة البشرية ولا تشترط فيه الجدة ، فقيمة الكتاب لا تتأثر بذلك ولكنها تتوقف على الوضوح والقوة التى تعرض بها الحقائق الأساسية للكون والطبيعة البشرية وليست مهمة الكاتب الأساسية أن يعلمنا هذه الحقائق أو يحاول إثباتها ولكن مهمته أن يصورها ويستغل ما فيها من قدرة فى التأثير على الوجدان الإنسانى .

وهذه الحقائق هى روح الأدب الرفيع ومادته الأساسية ومن استطاع أن يصور أكبر عدد منها ويعطينا فهماً عميقا وجدانياً لأكبر قسم من الحياة البشرية فهو الكاتب الكبير حقاً .

الشكل :

يرتبط العنصر الشكلى بالموضوع ارتباطاً وثيقا فالشكل هو وسيلتنا إلى نقل الموضوع ويتكون الشكل من مجموع الوسائط التى يستخدمها الأديب فى نقل أفكاره وانفعالاته إلى القارىء أو السامع .

وهذه الوسائط كثيرة ومختلفة ولكن أساسها هو الكلمات ودلالتها المباشرة وغير المباشرة ، وذلك أن الكلمات إلى جانب معانيها الحرفية أو المباشرة لها قوة إيحاء وبهذه القوة توحى إلينا معانى إضافية . تذكرنا بها فى غموض أو وضوح ومن هذه القوة تكتسب قدراً غير قليل من قيمتها الأدبية وتقديرها الفنى .

يضاف إلى ذلك جرس الكلمات وموسيقى الشعر فلهذه الموسيقى الصوتية المنبعة من لغة الأدب أثر بين فى إثارة الانفعالات أو تقويتها .

ولفنون البلاغة دور تعبيرى وتأثيرى كبير وهى من أهم الوسائط الشكلية التى يستخدمها الأديب فى تحقيق أغراضه الفنية .

النتيجة :

والنتيجة العامة لهذه الدراسة النقدية هى وجوب تطور فهمنا لمعنى الأدب فليس الأدب مجرد تعبير بليغ كما ظن بعض المتقدمين ولا تقتصر عناصره على التعبير ومعنى التعبير كما تصور آخرون ولكنه أوسع من هذا نطاقا فهو حقيقة مركبة من الخيال والأفكار والانفعالات التى يثيرها الخيال والأفكار ثم الشكل الذى يستخدمه الأديب للتعبير عن هذه العناصر .

ويترتب على هذا أن يتغير تصورنا لطبيعة التذوق ، فالتذوق الكامل لا بد أن يشمل كل هذه العناصر ، وأن يستخدم الخيال والإدراك والوجدان فى تلقى الآثار الأدبية بكل عناصرها وتفصيلاتها .

وكذلك يجب أن يتغير أساس الاختيار فى ضوء هذا المعنى الجديد للأدب فلا يجوز أن يستهوينا الغريب أو يستخفنا النحو والصرف وفنون البلاغة فنختار لأسباب متصلة بالشكل وحده بل يجب أن نتوخى بالاختيار ما تكاملت فيه العناصر السابقة الذكر جميعا فاتقد خياله وسمت تعاليه وحى وجدانه ودق ورق تعبيره وبيانه ؟

الدكتور عبد المجيد ابراهيم اللبانه

نفحات القرآن

نعم الله علينا تقتضي الإيمان به وبما جاء من عنده

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

« قل من يرزقكم من السماء والأرض ، أم من يملك السمع والأبصار ؟؟ » .
آية ٣١ - ٣٥ يونس

١ — من مكارم الله علينا أن يبسط لنا في الأرزاق ، ويناجينا في كتبه ، وعلى ألسنة رسله بما يوقظ وعينا ، ويفتح قلوبنا ، ويبصرنا بما هو الخير لنا .

ولكن الناس - إلا قليلا منهم - لا يتنبهون إلى فضله فيما رزق ، أو لا يفطنون إلى معالم هدايته فيما خلق ... فغفلوا وكانت الغفلة ساجية عليهم كليل مظلم ، وكان جحودهم متغلغلا في نفوسهم بدلا من نور الإيمان ، وحجابا بينهم وبين استماعهم لدعوة الرحمن ، والعقل الواعي يأبى أن تكون نعمة الله علينا مثاراً لتمردنا عليه .

ولكن العقل وحـــده قد ينهزم أمام نزغات الشيطان ... لذلك كانت لله هداية مشكورة .

وكانت للهداية وسائل ميسورة .

٢ — ومن أساليب الهداية في القرآن أن يخاطب الله الناس كثيرا بصيغ الاستفهام ... والمعهود في الاستفهام أن يراد به تحصيل ما عند الغير من معرفة ... فهل الأمر كذلك في الاستفهامات الموجهة إلينا من جانب الله - تعالى - ؟؟

القرآن كلام الله ، وهو العليم بكل شيء ... وكتابه مصدر العلم لنا في كل ماجاء من عنده ، وعلى لسان رسوله ... ومن ذلك كان الاستفهام في القرآن لإفادتنا ... لا ليطلب العلم منا ... والاستفهام في القرآن تتنوع أساليبه ... وتتعدد أغراضه .

ومهما يكن ذلك التعدد ... فهي تلتقي كلها عند غرض عام ... هو : بيان الحق ، والإقناع به وهدايتنا إلى الصواب الذي يراد منا الأخذ به .

وإذا نظرت معنا في أساليب الاستفهام وأغراضه من تقرير ، وتأكيد ، وإنكار وتعجب وتوبيخ ، وتعظيم الخ ، فسترى ما رأينا ، من تلاقيها عند غرض عام ... كما حدثناك .

ثم - لا شك - أن تنويع الأسلوب ، وتعدد الأغراض الجزئية : فرصة للمدارك المتفاوتة .

فربما تهيأ لإنسان أن يفهم من بعض الأساليب أكثر مما يفهم من بعضها الآخر : « ولقد يسرنا القرآن للذكر » .

٣ — وفي ضوء ما أسلفنا نذكر خمس آيات متوالية في سورة يونس - التي نحن بسبيلها -

من آية ٣١ - ٣٥ . وفيها خمسة عشر سؤالا ... تلتقي كلها عند غرض عام .

(ا) « قل من يرزقكم من السماء والأرض » ؟

فهذا استفهام أول ... موجه إلى الناس عامة ... وإلى الكافرين خاصة ... ويراد منه تذكيرهم بنعمة الأرزاق ، وبأسبابها من جهة السماء والأرض : كالأمطار ، والرياح ، والضوء ، والظلمة ، والحرارة ، والبرودة ... وكالخصب فى الأرض ، واليبوسة ، والطراوة ، ونحو هذا كله : مما تسبب فى تنوع الأرزاق ، ونضجها ، وتلونها ، واختلاف صنوفها من خيرات البر ، والبحر ، وكنوزها .

فالناس يشهدون كل ذلك ، ويتمتعون به . ولا يرون له خالقاً غير الله الذى خلقهم ، وعمر بهم أرضه ، ويسر لهم أسباب العيش فيها ... فهم بحكم الفطرة ، والمشاهدة يؤمنون فى قرارة أنفسهم أن الله وحده هو الخالق لأرزاقهم ، وهو المبدع لأسبابها ...

وهم مع ذلك لا يقدرون الله حق قدره .

(ب) ثم يسألهم - ثانياً - أم من يملك السمع ، والأبصار ؟؟ أى : من الذى يخلق لكم المسامع ، والأبصار ، ويجعل فيها القوى التى تميزون بها الأصوات عن بعضها ، والمرئيات فى قربها ، وبعدها ، واختلاف أشكالها . كما جعل نصيب الإنسان فى هذا التمييز فوق نصيب الحيوان الأعجم ... وفى ذلك قدرة باهرة ، ودقة عجب ، ومع ذلك لا تستجيبون لمن خلق هذا .

(ح) ثم يسألهم - ثالثا - « ومن يخرج الحى من الميت » ؟؟ من يفيض الحياة على شىء لم يكن حيا : كالنبات من الأرض ، فيخرج نافعا ، ومتاعا لكم ولأنعامكم ... وكالإنسان ، يخرج من ماء النسل خلقا سويا فى أحسن صورة .

(د) ويسألهم - رابعا - « ومن يخرج الميت من الحى » ، بأن يسلب الحياة بقدرته ، فيصير الحى إلى العدم : كالحطاب الذى يجف بعد نضارته ، ويصبح هشيما ، وكالإنسان الذى يصبح جيفة ، ثم ترابا ، وكالبيضة تخرج من الدجاجة .

ثم يجمل سؤالنا فى غير إسهاب ، فيقول .

(ه) « ومن يدبر الأمر » ؟؟ من الذى يقدر على تدبير الأمر فى سائر الكائنات : خلقا ، وفناء ، وتحويلا من حال إلى حال ، فلا يخرج عن سلطانه شىء ، ولا يشذ عن حكمته تدبير ؟ ؟ .

ويكون عليهم بذلك كله جوابا منطقيا ، لا يجدون حولا عنه ، هو .. الله !! هو الله الفاعل لهذا .. ولا سواه .

وهم على علم وجدانى بأنه الجواب الحق .. فتكون الحجة قائمة عليهم ، ولازمة فى إقناعهم .

وإذا كان ذلك الحوار المفروض كاشفا عن الصواب ، فكيف يحيدون عن الإيمان الحق الذى تنطوى عليه الفطرة ، وتهتف به المشاهد فى ملكوت الله ؟ ؟ .

هذا مقام التقرير والإلزام بعقيدة التوحيد .

ثم ينتقل هذا الحوار إلى مجال التوبيخ ، والإنكار ، والاستنهاض إلى المبادرة ، وتدارك الفرصة .. فيقول : « أفلا تتقون » ؟؟ يعنى : هل تنكرون ما تنطوى عليه الفطرة ، وتشهد به الحواس ، فلا تتقوا الله حق تقواه ؟ ؟ يعنى : لا ينبغى هذا الإنكار منكم ، وعليكم بتقوى الله .

إن التوبيخ يكون لمن لزمته الخطيئة ، وقامت عليه الحجة . . وقد تورط هؤلاء المتخلفون أسوأ تورط ، فحمل عليهم بالتوبيخ .

وتعقبهم بأسئلة أخرى تزيدهم حرجا . وأكد لهم أن الخالق الذى اعترفوا به هو ربهم الحق ، وليس ســواه ، والحق لا يتعدد ، لأنه الشىء الموجود الذى ينتهى إليه العلم ، وتستقر عنده العقول ، ولا تتعدد فيه وجهة النظر .

ولا يتصور وجود شىء بعده إلا أن يكون ضلالا « فماذا بعد الحق إلا الضلال » .

وقد ضاقت على المجادلين سبل الفرار ، وتعثرت حيلهم فيما يصنعون . والله يأخذهم بذلك . فيقول : « فأنى تصرفون » ؟ فإلى أى جهة تتجهون للإفلات بكفركم ، وخطاياكم .

ثم يسألهم - للمرة التاسعة - تشنيعا على الآلهة التى يشركون بها مع الله « قال : هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده ؟ » إنكم ترون بدء الخلق للإنسان وغير الإنسان ، وتشهدون أن هذا عمل الله . . وتعرفون بالأدلة ، وبالعقول الرشيدة أن إعادة الخلق فى اليوم الآخر : كذلك من عمل الله .

والجواب المطلوب منهم بالنفى . . يعنى ليس لشركائنا عمل فى هذا ، ولا قدرة ، بل ولا صلاحية لأى تأثير . . « قل : الله يبدأ الخلق ثم يعيده . فأنى تؤفكون » ؟ ؟ يعنى فإلى أى جهة تنصرفون ، وتقلبون الحق إلى باطل ، تزعمون لتلك المخلوقات عبادة » .

« قل هل من شركائكم من يهدى إلى الحق » هذه أشباح تعبدونها ، وهى لا تستطيع هدايتكم إلى حق تقبعونه ، ولا حسابكم على باطل ترتكبونه ، ولا مثوبتكم على خير تظنونه .

والله - تعالى - هو الذى يملك ذلك ويستطيعه ؟

عبد اللطيف السبكى

خشوع ودموع

عن عبد الله بن مسعود قال ، قال رســول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ على . قلت : يا رسول الله آقرأ عليك ، وعليك أنزل ؟ قال : « نعم » فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية : « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيداً . » قال : « حسبك الآن » فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان .

الحقيقة فى مشكلة فلسطين

للكاتب الهولاندى ف. هـ. ليونارد
ترجمة عن الإنجليزية : محمد حسام الدين

— ١ —

إسرائيل ... دولة تتسلح من أعلى الرأس إلى باطن القدم ، تناصب جيرانها العرب العداء ، وهم بدورهم يتجمعون مقاطعة لها وتحفزا ، تطوقها خيام اللاجئين وتقوم على حدودها منذ اثنى عشر عاما .

هذه هى الصورة المبسطة لمشكلة فلسطين المعاصرة .

أما تاريخها فيبدأ فى القرن السابع الميلادى حين قدم العرب المسلمون إلى فلسطين وتركوا هذا البلد مفتوحا لهجرة اليهود واستقرارهم . وحين وجد اليهود الذين كانوا يطاردون فى كل مكان الملجأ والأمن فى هذه المنطقة فى عهد خلافة العرب وفى ظل الإسلام ، وجاءت الخلافة التركية العثمانية فاحتفظت بهذه السماحة وأقرت هذا التقليد .

ولم يرث الإسلام كراهية لليهود ولم يحتفظ العرب بشىء منها - على العكس من شعوب أخرى - وكان طبيعيا لذلك أن يعيش اليهود بين العرب المسلمين فى سلام وصداقة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى .

ثم تغيرت العلاقة وابتدأ التغير يظهر بوضوح فى أعقاب هذه الحرب .

وطوال عدة قرون كانت الهجرة اليهودية إلى فلسطين - فى نظر المسلمين - مجرد حركات دينية . وظل هذا البلد مفتوحا لهم رغم أنه يختلف عن غيره من البلاد العربية والإسلامية . فهو أقل مقدرة وأضعف اقتصادا ولذا فلم يكن قادرا إلا على استيعاب عدد صغير من اليهود .

وفى التقدير السكانى لفلسطين أن مستوطنيها من اليهود كانوا أقل من أربعة آلاف فى سنة ١٢٥٣ . ثم نما العدد إلى خمسة آلاف فى سنة ١٧٧٠ م . وكانوا وحدة من الشعب الفلسطينى والغريب أن هذه الأقلية اليهودية لم تستقر فى فلسطين فكثيرا ما كانت تنشط للهجرة منها خلال مختلف العصور حينما تجد الظروف فى البلد غير محببة إليها .

أما الشعب الوطنى العربى فقد كان على العكس من ذلك يتكاثر ويمتد امتدادا ضخما منذ القدم وقبل أن يستوطن الإسرائيليون هذا البلد ، فهو فى أصله الفلاح تربطه بالأرض وشائج .

وإذا كان شعب فلسطين القديمة قد تهود ثم انتقل إلى المسيحية فإنه أخيرا قد تعرب ثم أسلم فى أكثر الأجزاء بسبب زحف العرب المسلمين الذين تدفقوا إليه فى القرن السابع الميلادى ثم استقروا هناك .

ولقد شهدت فلسطين رخاء عظيما خلال القرون الأولى لحكم العرب فهم الذين استحضروا البرتقال وبذور الفواكه إليها بين باقى المزروعات .

ولكن هذا الرخاء لم يستقر ، نتيجة للوضع الجغرافى والأهمية الروحية لهذا البلد، فهى منذ القدم مطمح الغزاة ، وكأنما قدر لها أن تكون مجال صراع عالمى ، ولقد تحمل شعبها الفلاح قسوة

الأقدار ، ولاقى عديدا من الكوارث ، كوارث طبيعية ، وأوبئة ، ومجاعات ، وجيوش مخربة ، ومستعمرين أجانب . وجامعى ضرائب قساة ، وبقى على حقيقته لم يتغير على امتداد الزمن وتتابع المحن فلم يصرفه شىء عن أرض وطنه الخصبة .

إن الفلاح العربى الفلسطينى ذكى دءوب وجد صابر ، ولقد حاول بعنصره الصلب أن يتغلب على هذه المصائب وأن يبرأ منها إلى أن سقطت فلسطين .

كتب المفكر اليهودى (حشاد ها آم) تقريرا بعد رحلة طاف بها فلسطين سنة ١٨٩١ فقال : « إنه من العسير أن تجد أرضا صالحة للزراعة غير مزروعة هناك » .

وتقرير آخر كتبه (ازدريلون) فى مطلع القرن التاسع عشر فى سنة ١٨٨٣ عن الزراعة والفواكه قال فيه : « وغالبا ما تجد كل فدان فى فلسطين على أرفع مستوى من الإنتاج الزراعى » .

ولقد استنبت العرب حول يافا أحجاما ممتازة ونادرة من البرتقال تلفت النظر وتثير الدهشة . منذ أوائل القرن الثامن عشر .

• • •

ثم قامت الصهيونية السياسية فى مطلع القرن التاسع عشر ، وكان هذا داعيا إلى تغيير جذرى عنيف فى الموقف اليهودى بالنسبة لفلسطين ، حين تطلعت الصهيونية إلى إقامة الدولة اليهودية « دولة صهيون » فى فلسطين والمناطق المحيطة بها فوضعت تخطيطا ضخما للهجرة اليهودية إليها ولزراعة البلد بأيدى اليهود أنفسهم .

ومنذ سنة ١٧٩٨ والاستعمار الصهيونى يستند إلى فرنسا وانجلترا فى تثبيت أقدامه بسبب نفوذهما فى هذه المنطقة ، ولم يكن هذا التعاون الاستعمارى خفيا عن ملاحظة السلطات العثمانية فى فلسطين ولذا فإنه عند ما احتلت انجلترا مصر عام ١٨٨٢م ، كانت فلسطين ولأول مرة فى تاريخها تحت الحكم الإسلامى مغلقة فى وجه الهجرة اليهودية ولكن اليهود احتالوا لهذا ، ووجدوا فى فساد الأتراك الرسميين وفى استسلامهم سبيلا لتفادى وقف الهجرة ، وحينئذ دخلت الصهيونية السياسية مرحلة التحقيق والوجود العملى .

وطرد العرب من قراهم لصالح اليهود بمساعدة الأتراك العثمانيين ، وانتهج اليهود مع العرب سياسة عدوانية قاسية ، وانتقصوا حقوقهم وأهانوهم بغير سبب ، وترفعوا عنهم فى حياتهم العملية ، ولم يكن هناك من يقوم بأى عمل تجاه هذا السلوك المزرى والانحراف الخطير .

ولقد استخلص (حشاد ها آم) من تصرف اليهود إزاء العرب ، أن اليهود لم يتعلموا شيئا من التاريخ وأن التاريخ يقرر ضرورة تفادى الأعمال الظالمة تجاه الجماهير الوطنية ، وتساءل : « وماذا سيفعل إخواننا اليهود فى فلسطين . ؟ » الحقيقة أنهم كانوا عبيدا للطرد والاضطهاد وسيجدون أنفسهم فجأة فى حال من الحرية الفوضوية التى لا تخضع لقيادة أو انضباط ، هذا التغيير المفاجىء سيقودهم إلى ميل نحو التحلل والانفلات كما يحدث دائما عندما يصبح العبد سيداً » .

وفى الوقت ذاته قام فى أوربا الصحفى اليهودى النمساوى ثيودور هرتزل فوضع للصهيونية قاعدتها فى نظرية محددة . وأساس تنظيمى .

وبناء على نظريته أصبح عداء السامية الذى كان أصلا للمشكلة اليهودية غير صالح لبناء الكيان

الصهيونى وإنما كان منهجه أن ينشر فيما بين اليهود إحساس الأمة . لذا فقد أصبحت مشكلة اليهود مشكلة أمة . لا حل لها إلا بأن تجمع فى دولة واحدة جميع اليهود الذين يرغبون أن يقبضوا ثمن الصفة اليهودية ...

وكما كانت بقايا اليهود ممزقة بين الأمم أصدر هرتزل الأجزاء الأساسية من نظريته ممزقة موزعة على فترات . ونشرها سنة ١٨٩٦م فى مجلد بعنوان (دولة اليهود) .

ولقد لقيت آراء هرتزل وأمانيه مقاومة يهودية واسعة فحاول بمختلف الأساليب - ومنها الإكراه ورفع شعار معاداة السامية - أن يجبر اليهود على معاونة الصهيونية . وكان يناصر الدول التى تنحاز إلى دولته . ويهيء لها المعونة المادية لتظفر بالنصر العسكرى . وفى غيبة القوة اليهودية . رفع صوته طالبا المعونة من القوى غير اليهودية .

وكانت أساليبه فى الحصول على معونة الدول تشمل استغلال تأثير المركز التجارى ورأس المال اليهودى فى الضغط عليها . وتشمل اللعب بشهوات الدول الاستعمارية تجاه بعضها . وتنمية العداوات فيما بينها .

أما بين اليهود أنفسهم كعشرة ملايين نسمة فقد لجأ إلى الوكلاء السريين ينشرون بينهم الإغراء والتهديد معاً .

هذا الصهيونى كان يؤمن بأنه سوف يشق طريقه خلال جو من الحقد المتبادل بين الكنائس بعضها البعض وبين الدول كذلك .

وحينما قامت الحرب العالمية الأولى لم تمس الصهيونية بأذى وإنما دفعتها إلى الأمام .

ولقد أنفق هرتزل جهودا وأموالا ضخمة لنشر الانحلال والرشوة بين الشعوب . وأصبح هو واللجنة التنفيذية الصهيونية علما فى الإكراه . والابتزاز أقوى وأخس السبل لأهدافه . وكان شعاره (إن من يطلب الغاية لابد أن يقبل الوسائل) .

وكما دأب أن يرهب اليهود بالشعار المميت (عداء السامية) فإنه حاول أن يبعث بين غير اليهود الخوف من اليهود أنفسهم وبخاصة أعمالهم العقلية الثورية .

وحيثما استطاع كان يضع رجال الدولة الأوربيين فى مأزق . ثم يهددهم (إما الصهيونية وإما ثورة يهودية تفور بالدم) .

أما موقفه تجاه الشعب الفلسطينى فقد اقترح فى كتابه (دولة اليهود) أن يحصل على المساواة فى الحقوق .

ومع هذا فإن تخطيطه لهذه الدولة - كما جاء فى مذكراته التى لم تنشر إلا بعد ٢٦ سنة من وفاته - ينص على أن الأرض الزراعية يجب أن تنزع من أصحابها بالحيلة ثم تملك اليهود . على أن إعادة بيعها لملاكها الأصليين محرم نهائيا . وجميع العقارات الثابتة لابد أن تبقى فى يد اليهود خاصة .

أما الشعب الفقير فيجب أن يعمل على الحدود وفى الصحراء بعد أن يكون قد طهر الصحراء من حيواناتها المؤذية كالثعابين مثلا . وذلك لصالح اليهود أنفسهم . ثم لا يسمح بتوظيفه فى الأرض التى ولد فيها .

وفى مارس سنة ١٨٩٩ تلقى هرتزل خطابا موجها إليه ومعنونا بهذا العنوان . . « من عمدة القدس إلى الحبر الأعظم فى باريس » هذا الخطاب يحوى

تحذيرا الصهيونية من نتائج خططها العدوانية ويطالب بالأماكن المقدسة عربية . وينذر بمقاومة الشعب العربى الفلسطينى لكل عدوان .

وقد رد هرتزل على هذا الخطاب متسائلا « ومن الذى فكر فى إجلاء غير اليهود من السكان ...؟ إن هؤلاء السكان سيجدون فى اليهود إخوة مخلصين ممتازين » .

وبعد أشهر قليلة ابتدأ هرتزل يكتب قصته « الأرض القديمة الجديدة » ، « أرض الميعاد » وفيها يقول : « إن نظرة فى المستقبل لفلسطين اليهودية بعد عشرين سنة . سوف تكشف عن نموذج للدولة الراقية . وستكون فوق وصف الزائرين . وسيظهر فى الصورة فى أرض الميعاد قادة من العرب البارزين يطلعون الزائرين على الرخاء فى القرى العربية . وعلى سكانها السعداء . ويلهجون بالثناء والحب لإخوانهم يهود فلسطين الذين يدينون لهم بالشىء الكثير » .

قصة أرض الميعاد لم يكتبها هرتزل لليهود وإنما كتبها للرأى العام العالمى واستهدف بها الدعاية وأن يكسب آراء غير اليهود للصهيونية .

وفى سنة ١٩٠١ حين تمت هذه القصة تقريبا حاول هرتزل بدأب وإصرار أن يحصل على ميثاق بالحقوق لليهود من العثمانيين . وامتيازات لما أسماه « الشركة اليهودية العثمانية لتعمير واستيطان فلسطين وسوريا » .

ومن الملاحظ أنه أعطى ميثاقه صبغة استعمارية توسلا منه إلى تسجيل الميثاق وتحقيق الفكرة .

وحين توفى حاول خلفه فى قيادة المنظمة الصهيونية أن يحصل من الأتراك على ميثاق مشابه لميثاق هرتزل الذى تعطى المادة الثالثة منه لليهود حق إجلاء السكان الوطنيين .

لم ينجح هرتزل فى الحصول على ميثاقه موافقا عليه من العثمانيين . وفى نفس العام سنة ١٩٠١ انعقد المؤتمر الصهيونى الخامس المؤسس تحت قيادته باسم « أساس العالم اليهودى » ، وطالب المؤتمر طبقا لقانونه الخاص بأن تصبح أرض فلسطين فى حوزة الملكية اليهودية وأن لا يسمح ببيعها أو أن تؤجر أو تستغل لغير اليهود .

وفى سنة ١٩٠٧ وبعد ثلاث سنوات من وفاته وطبقا للخطة التى وضعها ابتدأ منع الشعب الوطنى من العمل فى الأرض اليهودية وفى نفس العام قام أول « كيبوتز » ، « مستعمرة زراعية جماعية كوسيلة لإقصاء العمال العرب . والسيطرة على الأرض بالعمال اليهود .

وأعيد تخطيط فلسطين . للاختصاص بالأرض الخصبة مع مقاطعة العمال العرب . وأتبع وذلك بمقاطعة البضائع العربية حينما بدأ اليهود أنفسهم فى إنتاج سلع مماثلة . .

وبدأ فوراً الإقصاء السرى للسكان الوطنيين - طبقا لخطط هرتزل - وتكوين جيش يهودى حقيقى . .

وقد سبق هذا بجدال حاد بين شابين من قادة الرواد اليهود الذين سبقوا إلى استيطان فلسطين . أحدهم وهو دافيد طلب أن يقام مجتمع يهودى بقوة ذاتية أما الآخر وهو شالوم فقد عارضه فى هذا . .

ثم احتدم الجدال مرة أخرى فقال شالوم « يجب أن نقود السلام فى الأرض المقدسة .....

إنه إذا طرد العرب من ديارهم فلن يكون فيها سلام إلى الأبد».

وقال دافيد «إنه العالم الذى فيه القوة .. والقوة وحدها تحظى بالاحترام» ورحل شالوم إلى باريس وبقى دافيد فى فلسطين . وهـذا هو دافيد ابن جوريون .

* * *

وتفاقم الاضطراب بين العرب الفلسطينيين . وخلقت مقاطعة العمال العرب فيهم هبوط المستوى المادى والاجتماعى وعزلتهم . وسيطر عليهم الخوف من أن اليهود سوف يطاردونهم من بلادهم .

وفى نوفمبر سنة ١٩١٤ انحازت تركيا إلى جانب ألمانيا فى الحرب ضد الحلفاء ولجأت بريطانيا إلى حركات التحرير العربية السرية . ووعدت بتحقيق الاستقلال العربى فى الأرض العربية ومنها فلسطين ... ووضعت بريطانيا فى حسابها معونة هذه الحركات التحررية فى القتال ضد الأتراك .

وقد صدر هـذا الوعد للعرب فى سنة ١٩١٥ فى معاهدة بين بريطانيا وممثل العرب الشريف حسين «الملك حسين فيما بعد» .

ثم أعادت بريطانيا هذه المعاهدة فى أشكال أخرى ولأطراف آخرين . ومنها الإعلان الإنجليزى الفرنسى بتقسيم سوريا الكبرى فى نوفمبر سنة ١٩١٨ .

ورأت الصهيونية فى الحرب العالمية «فرصة صهيون» كما هو رأى هرتزل فاتخذت لنفسها موقف الحياد . وانتشر أعضاء المنظمة اليهودية التنفيذيون سريعاً فى مختلف العواصم المتحاربة منها والمحايدة على حد سواء . وكانت علاقاتهم قائمة خلال الحرب بجميع الأطراف حتى المراكز المتعادية . وبهذه الطريقة أمكن الصهيونية أن تستغل التقدم الذى أحرزته فى علاقاتها بأحد الأطراف المتعادية . لتلعب به لدى الطرف الآخر .

وأمكن لوايزمان أن يصرح - فى اللحظة المناسبة - مهدداً وبنجاح فى لندن وفى وزارة الخارجية ذاتها بأن اليهود يمكن أن يستمالوا بعرض ألمانى فينقلوا ولاءهم . كما سبق أن حدث مثل هذا التهديد بلسان هرتزل نفسه .

وقد وضعت الصهيونية جميع الإمكانيات اليهودية من قوى بشرية وقدرات مالية فى خدمة أغراض الاستعمار . من أجل تأييدهم فى إقامة دولتهم المقترحة .

وقد أقيم تمثيل يهودى لدى الحلفاء فى أكتوبر سنة ١٩١٦ على أن يكسب الحلفاء أمريكا إلى جانبهم بفعل النفوذ اليهودى الأمريكى القوى وعن طريق الزعيم الصهيونى الكبير القاضى برانديز . الذى كان يدين له الرئيس الأمريكى ويلسون بفضل كبير . وكان يرتبط به بعلاقات قوية من أجل أنه قد أنقذ الرئيس الأمريكى من أن يظهر اسمه فى قضية ذات وقائع ثابتة وذات تأثير بالغ وضار .

ومهما يكن التغير فى السياسة الذى يعقب الحرب حينما تكون الخدمات الصهيونية قد استنفدت أغراضها وأصبحت عديمة القيمة . فإن الحقوق السياسية التى وعد بها العرب فيما سبق ظلت موقوتة وبعيدة عن التنفيذ رغبة فى تفادى العمل أو التهديد الصهيونى الذى اتسع بعد الهدنة . ومتابعة لسياسة هرتزل التى فضلت لدى التقدميين اليهود فى روسيا . وضع قادة الصهيونية روسيا فى مأزق . إما الانتصار للصهيونية وإما الثورة» . وفى حالة المعارضة هددوا بقولهم: «إن قوتنا البناءة سوف تتحول إلى قوة مدمرة تضع العالم جميعه فى حال من الضياع» .

وكان لتهديد اليهود وضغطهم القوى أثر كبير . فإن الصهيونية نجحت فى إزاحة الوعد الذى أعطى للعرب سنة ١٩١٥ بشبح تشكل فى وعد بلفور فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ .

وقد وصلت أصداء وعد بلفور آذان العرب بينما الحرب لاتزال مشتعلة . ولما كانت معونتهم لاتزال ضرورية لتحرير بلاد العرب من الأتراك فقد دعوا إلى أن يثقوا بأن تحرير فلسطين تحرير فعلى لهم . وأكد لهم الحكام البريطانيون أن إعلان بلفور يضمن لهم الحرية الاقتصادية والسياسية . بينما هو فى الحقيقة لا يضمن إلا الحقوق الدينية والمدنية .

أما وايزمان فإنه من جانبه أنذر قادة العرب فى القدس أثناء زيارته لفلسطين فى ربيع سنة ١٩١٨ بأنهم يجب أن يدركوا حقيقة التلميح الصهيونى ، بأنه يعنى المطالبة بالقوة السياسية فى فلسطين بينما اقترح فى الزيارة ذاتها وفى المحيط الخاص باليهود الفلسطينيين « أن القوة الفعالة يجب أن تتركز لحاكم « دولتنا » ما دامت القوة اليهودية ما تزال قاصرة . وحتى يأتى الوقت الذى يكون فيه اليهود قادرين على تكوين قوة ذاتية » .

* * *

أما فى بريطانيا وفى دوائر الصهيونية العالمية فقد كان واضحاً ضرورة أن تخضع الوفود العربية إلى مؤتمر السلام للضغط . حتى تظهر موافقة العرب الرسميين على وعد بلفور ليتم التظاهر بأن حق تقرير المصير فى فلسطين قد احترم . طبقا للفقرة ٤ من المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم .

وكان الأمير فيصل هو الذى حضر مؤتمر السلام ممثلا لوالده الملك حسين فسلم مشروع معاهدة لتوقيعها مع وايزمان . ووجد فيصل نفسه فى موقف صعب إزاء الضغط البريطانى العنيف . ولم يكن يعرف اللغة الإنجليزية حينما وقع هذه المعاهدة . فأضاف إلى مشروع المعاهدة تعقيباً يحتوى تحفظات شديدة كانت فى مجموعها عديمة القيمة فى نظر بريطانيا والصهيونية .

وأيا ما كان . فقد ظهرت هذه الوثيقة بمظهر الاتفاق المقدم إلى مؤتمر السلام . كما أنها أدرجت فى المحاضرة اليومية لمؤتمر السلام خالية من هذا التعقيب .

أما رد الفعل لهذا الموقف فقد ظهر فى معارضة العرب لهذا الاتفاق فى تصريح صحفى للأمير فيصل أذيع فى أول مارس أبدى فيه ترحيباً باليهود فى فلسطين . ولكنه حذر من إقامة دولة يهودية بها ورأى فى إقامتها كارثة لهذا البلد .

أما وايزمان وفرانكفورتر رئيس وفد الصهيونيين الأمريكيين إلى مؤتمر السلام فقد قدما خطابا إلى الأعضاء . زعم وايزمان أنه مكتوب من فيصل إلى فرانكفورتر . تعرض فيه لإنكار التصريحات الصحفية السابقة . وتضمن تقديراً وشكراً لفرانكفورتر كما تضمن قبولا وإقراراً لأمانى اليهود من الوفد العربى .

وقد أبدت الدوائر الصهيونية اهتماما كبيراً بهذه الوثيقة وتمسكت بها . لأنها تتيح لها فرصة من الثبات والطمأنينة لمن يترددا فى تأييد الصهيونية خشية أن يؤدى ذلك إلى اضطراع فى فلسطين .

واحتفظت بها الصهيونية كأداة فعالة تستند إليها إذا تراجعت بريطانيا إزاء ضغط أو نفوذ لقادة العرب . (يتبع)

محمد حسام الدين
مجمع البحوث الإسلامية

في مقارنة الأديان

الأديان السماوية والنقد الحديث

للأستاذ عبد الجليل شلبي

منذ قامت حركة البروتستانت فى عصر النهضة الحديثة هبت على الأديان بوجه عام عاصفة من الشك بلغت ذروتها فى القرن الثامن عشر ووضعت أقوم ما جاء فى الكتاب المقدس موضع الإنكار ، فاعتبرت إبراهيم عليه السلام ورحلته من أور الكلدانيين وما ذكر عن ذريته أسطورة خيالية لا تفترق عن إلياذة (هومير) إلا فى تفاصيل الحوادث . وقد كانت مدرسة بولنجبروك الإنجليزية التى زارها فولتير تدرس لتلاميذها أسباب الشك فى وجود السيد المسيح وترجح أنه شخصية خيالية ، وكان فولتير نفسه قائد مدرسة الشاكين وسخريته من القسس حتى ساعة احتضاره مشهورة معروفة ، وظل تلاميذه ينمون نزعة الشك من بعده ، وكان (ويلاند) الألمانى يؤكد لنا بليون ألا حقيقة لشخصية المسيح وأنها مجرد خيال .

ولما جاء القرن التاسع عشر وجد عدد من الكتاب فى مختلف البلاد الأوربية يرجحون بأدلة كثيرة ما ردده الشاكون من قبل ، ويضعون كل ما كتبه المؤرخون عن السيد المسيح موضع الزيف والتفنيد .

وبدأ طغيان هذه الموجة ينحسر قليلا فى أواخر القرن التاسع عشر إذ اهتدى أنصار الكتاب المقدس إلى أدلة جديدة فى مخطوطات المؤرخين القدامى ، ولكن الفضل الأكبر فى صد هذا التيار يرجع إلى علماء الآثار وأعمال الحفائر والتمكن من قراءة اللغات القديمة ودلائل نقوشها ومخربشاتها وما خلفت من رسوم وتماثيل ، فقد طابقت هذه الدلائل كثيراً مما جاء فى العهد القديم ، ولم تقنع بطبيعة الحال نوازع الشك الجامحة ولكنها حالت دون وضع الكتاب كله موضع الإنكار ، وأخيراً انتهى الأمر عند كثيرين إلى أمر وسط وهو فصل البحث العلمى والاستنتاجات العقلية عن مقدسات الدين ، ولهذا وجد كثيرون من المفكرين ـ يهوداً ومسيحيين ـ يحترمون الكتاب المقدس كل الاحترام ولا يؤمنون بما فيه من أخبار التاريخ .

ويرجع ذلك فى الواقع إلى أمرين يبدو فيهما جلال الإسلام وسموه عن الشبه وقدرته التى لا نهاية لها على الثبات أمام النقد والتمحيص .

وأول هذين الأمرين وجود أشياء كثيرة ـ فى العهد القديم والعهد الجديد جميعاً ـ لا يستسيغها العقل وهى أدنى إلى الوثنية وكثير منها وجد فى ديانات سابقة ، وقد كان هذا فعلا مما ردده الشاكون . وقد خلا القرآن من كل هذا لأنه نزه الخالق سبحانه كل التنزيه عن أى مشابهة للحوادث

« ليس كمثله شئ وهو السميع البصير » ثم إنه يجارى العقل ويعتمد على التفكير وأكثر من هذا أنه يعيب التقليد ويكره المقلدين - وأدع هذه المسألة الآن وإن كانت من أهم ما حمل على فصل الدين عن العلم لدى الأوروبيين ولكن تفاصيلها مما يطول الحديث فيه .

أما الأمر الثانى فهو فقدان الكتب المقدسة التى جاء بها الأنبياء وعدم تلقها وروايتها بطريقة متواترة تقطع الشك كما روى القرآن الكريم . فمن المقطوع به لدى الباحثين أن القرآن المدون فى ملايين المصاحف الآن بمختلف رواياته . هو هو القرآن الذى أقرأه محمد صلى الله عليه وسلم أصحابه لم ينقص حرف واحد منه ولم يزد عليه حرف ، وزيادة على ذلك وضع له علم خاص يحفظ طريقة أدائه والنطق به على ما كانت عليه فى عهد الرسول . وليس الأمر كذلك فى التوراة ولا فى الإنجيل فالتوراة لم يكمل جمعها إلا بعد موسى بنحو سبعمائة عام ، وقد استغرق تأليفها وجمعها زمناً متطاولا جداً تعرضت خلاله - وهذا أمر طبيعى - للزيادة والنقص والتغيير والتبديل ويقول فولدكه كبير المستشرقين فى الجيل الماضى : « إنه من العسير أن نجد جملة متكاملة فى التوراة مما جاء عن موسى ، لأن التوراة لم تدون فى عهده ولا فى الجيل الذى تلاه » [(١)] والحق أنها لم تثبت أمام النقد والدرس الحديث ، ومن قديم تخلى عنها بعض طوائف اليهود وفرقهم ، فالسامريون آمنوا بكتب موسى الخمسة وتركوا بقية الأسفار ، والصدوقيون

(١) اللغات السامية ترجمة عبد التواب رمضان ص ١٩ .

فى عهد المسيح كانوا ينكرون الحياة الآخرة ولا يؤمنون بالبعث .

وقد ذهب إنجيل عيسى أيضا ، وحفظت أناجيل الرسل جانبا من أقواله ، ولكنها لم تحفظها كلها - والرسل لم ينقلوا كلامه سماعا منه لأنهم لم يروه وإنما رووا عن آخرين ليسوا معروفين ولا معروف درجة حفظهم فهى رواية آحاد . ويقال : إن إنجيل يوحنا كتبه يوحنا حوارى المسيح ولكنه قول لم يتفق عليه ، والأناجيل على أى حال كتب سيرة وليست كتبا من السماء ، وقد كان القرآن الكريم وهو بإعجازه وصحة روايته حفيظ على ما جاء فى التوراة والإنجيل - أبر باليهودية والنصرانية من أتباعهما وصدق منهما ما كذبه الدارسون المحدثون .

من ذلك ما أثبته فرويد - العالم النفسانى المعروف - فى كتاب له عن موسى عليه السلام من أنه مصرى وليس عبرانيا وذلك رأى مشهور عنه ، وقد نصت التوراة على نسبه العبرانى وذكرت قصصه كله [(١)] ، ولكن فرويد اليهودى يؤمن بكتاب اليهود ولا يصدق ما فيه من أخبار .

ومن ذلك ما أفاض فيه المؤرخ الكبير هنرى بريستد من تأثير الديانة المصرية فى العهد القديم [(٢)] وقد رد إليها فكرة التوحيد وأقوم ما يشرق به الكتاب المقدس من لمحات روحية .

فهو يرى أن موسى عليه السلام استفاد فكرة التوحيد من المصريين ، إذ كانت ثورة أخناتون

(١) خروج ص ٢ - ١٦ .
(٢) راجع الفصلين ١٦ ، ١٧ من فجر الضمير .

في القرن الثالث عشر قبل الميلاد تهدف إلى عبادة إله واحد كما أن المعابد المصرية على تباين معبوداتها وكهنتها كانت في الواقع ترمز إلى عبادة إله واحد .
وقد كانت دعوة موسى في الجيل التالي لثورة أخناتون وكانت أفكاره لا تزال تعيش بين المصريين ، وحتى اسم موسى يرى أنه في الأصل كلمة « مس » المصرية بمعنى ابن أو هبة إذ يقولون بتاح مس أورع مس ، وقد حذف المضاف إليه من اسم هذا النبي وأطيل نطقه بهذا المد ، والذي في التوراة أن بنت فرعون انتشلته من الماء وتبنته وسمته موسى (٢) وقال الشراح معناه المنتشل من الماء .

فهذا المؤرخ المسيحي بدوره لا يصدق أخبار التوراة وهي كتابه المقدس .

وقد عقد موازنة طويلة بين أدعية أخناتون وسفر المزامير ورأى من التشابه بل المماثلة بين النصين - أن ذلك لا يمكن أن يرد إلى مجرد المصادفة والاتفاق العارض في الفكرة والتعبير .

ومن ذلك أخيراً ما كتبه أرنست رينان في كتابه « حياة المسيح » إذ فصل بين العقل والعقيدة ، وأعلن - مع إيمانه بالمسيحية - عدم إيمانه بشخصية المسيح لأنه لم يجد من أدلة التاريخ ولا من منطق الأناجيل ما يقنعه بوجوده فاعتبره من خلق الخيال .

ونحن - المسلمين - نؤمن بموسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء رسالة وشخصية ، وتنزههم جميعا عن شوائب الوثنية وكل ما يدعو إلى الاتهام ، وليس في القرآن ، ولا عقيدة الإسلام ما يدعو إلى فصل العقل عن العقيدة .

وقد حمل التقليد الأعمى صاحب كتاب « في الشعر الجاهلي » أن يحاكي رينان في منهجه فوضع أخبار القرآن موضع الشك أيضا لكن أعوزته الأدلة التي توفرت لدى صاحبه إذ القرآن ثابت الرواية والإعجاز ، فلم يثبت أمام المحاكمة ، ولم يثبت كتابه أمام النقاد ولم يصر بعد ذلك على رأيه ولعله كان نزوة من نزوات الشباب ، وقد خيل لبعض الناس أن شهرته قامت على هذا الكتاب ، وأنهم قد يظفرون بمثل هذه الشهرة إذا عادوا لفكرته أو ما هو قريب منها ، وقدمت للجامعة - بغية الشهرة - إذ ذاك - رسالة هزيلة باسم « الفن القصصي في القرآن الكريم » وخيل لصاحب الرسالة والمشرف عليها أنهما أصبحا من المفكرين لا من المقلدين ، وكان من المضحك أن ماتت الرسالة قبل أن تولد . فلم تظفر بالقبول ولا شرف المناقشة ، وكانت أضعف من أن تحيي الفكرة أو تجلب الشهرة ، وصدق الله تعالى : إذ يقول : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ؟

عبد الجليل شلبي

(١) خروج / ٢ / ١ - ٩ .

إلى أى مدى تتغير الأحكام الشرعية بتغير الأزمان؟

للأستاذ بدر عبد الباسط

— ٩ —

تطور أحكام الصيام

من التشريعات الإسلامية التى تدرجت مع الزمن - بالوحى - ثم استقرت أخيراً على وضع لا يقبل التغيير ولا التبديل الصيام ؛ نعم فى الصوم أحكام تفريعية اختلف فيها الفقهاء لاختلاف أنظارهم فى الأدلة من الكتاب والسنة ؛ ويسع المسلم أن يأخذ بأى رأى منها متى كان من أهل التقليد ، وهم الكثرة الكثيرة من المسلمين الآن ؛ وإن وجد واحد من أهل الترجيح فلا يسعه أن يأخذ إلا بالرأى الذى ترجح عنده دليله ، وإذا تتبعنا تشريع الصوم فى الإسلام وجدناه أخذ أطواراً مختلفة حتى استقر أخيراً على ما عليه المسلمون الآن ؛ وهذه الأطوار ثلاثة :

الطور الأول : كان المفروض صيامه - أولا - ثلاثة أيام من كل شهر ويوم عاشوراء على ما ذهب إليه جماعة من العلماء ؛ وقد استدلوا على ذلك بما رواه الإمام أحمد بسنده إلى معاذ بن جبل رضى الله عنه فى حديث طويل قال فيه : « أحيلت (أى تطورت وتحولت) الصلاة ثلاثة أحوال ، وأحيل الصوم ثلاثة أحوال » إلى أن قال « وأما أحوال الصيام ؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فجعل الصوم من كل شهر ثلاثة أيام وصام عاشوراء » إلى آخر الحديث ؛ وليس فى هذا الحديث ما يدل على أن هذا الصوم كان واجبا ؛ ولكن ورد فى شأن عاشوراء ما يدل على أنه كان واجبا ؛ فقد روى مسلم من عدة طرق عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أنها قالت : كانت قريش تصوم عاشوراء فى الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فلما هاجر إلى المدينة صامه وأمر بصيامه ؛ فلما فرض شهر رمضان قال من شاء صامه ومن شاء تركه ، وظاهر هذه العبارة أنه لا تخيير قبل وجوب صيام رمضان ، ولا معنى للفرض سوى ذلك ؛ وروى مسلم - أيضا - من عدة طرق عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما حديثا قريبا من الذى رواه عن عائشة رضى الله عنها ؛ وروى - أيضا - بسنده عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بصيام يوم عاشوراء ويحثنا عليه ويتعاهدنا عنده فلما فرض رمضان لم يأمرنا ولم ينهنا ولم يتعاهدنا عنده » .

ولعل أصرح حديثين عن وجوب صوم عاشوراء - أولا - هو ما رواه مسلم - أيضا - بسنده إلى سلمة ابن الأكوع رضى الله عنه أنه قال : « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من أسلم يوم عاشوراء فأمره أن يؤذن فى الناس من كان لم يصم فليصم ، ومن كان أكل فليتم صومه إلى الليل » أى فليمسك عن المفطرات لحرمة اليوم .

وروى - أيضا - بسنده عن الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت « أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار التى حول المدينة ، من كان أصبح صائما فليتم صومه ، ومن كان أصبح مفطراً فليتم بقية يومه ، فكنا - بعد ذلك - نصومه ونصوم أطفالنا الصغار منهم إن شاء الله ونذهب إلى المسجد

فنجعل لهم اللعبة من العهن (الصوف) فإذا سألونا الطعام أعطيناهم اللعبة نلهيهم حتى يتموا صومهم».

فهذه الأخبار صريحة فى أن صوم عاشوراء كان واجبا قبل إيجاب صوم رمضان، كما أن الإجماع منعقد على عدم وجوب صومه الآن؛ فهذا هو الطور الأول فى تشريع الصوم.

الطور الثانى: التخيير بين صوم رمضان وبين الفدية عن كل يوم طعام مسكين.

من الحديث الذى رواه الإمام أحمد رضى الله عنه بسنده عن معاذ رضى الله عنه أنه قال بعد العبارة التى نقلتها عند الحديث عن الطور الأول «ثم إن الله تعالى فرض عليه الصيام وأنزل الله تعالى (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) إلى قوله (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكينا فأجزأ عنه؛ ثم إن الله عز وجل أنزل الآية الأخرى (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن) إلى أن قال (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فأثبت الله صيامه على المقيم الصحيح، ورخص فيه للمريض والمسافر، وثبت الإطعام للكبير الذى لا يستطيع الصيام؛ فهذه حالان» اهـ من حديث معاذ. ويؤكد هذا الرأى ما رواه مسلم بسنده عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية «وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين» كان من أراد أن يفطر ويفتدى حتى نزلت الآية التى بعدها فنسختها».

وفى رواية أخرى لمسلم عنه أيضا أنه قال: كنا فى رمضان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من شاء صام ومن شاء أفطر فافتدى بطعام مسكين حتى أنزلت هذه الآية «فمن شهد منكم الشهر فليصمه».

هذا وقد ذهب ابن عباس رضى الله عنهما إلى أن الآية لا نسخ فيها؛ فقد روى البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: ليست منسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا، ففسر الإطاقة فى قوله «يطيقونه» بالتجشم والمشقة وقد وردت فى هذا المعنى ثلاث قراآت شاذة وهى «يُطَيَّقونه»، «يَطَّيَّقُونه»، «يُطَوَّقونه» وكل هذه القراءات تدل على المشقة والجهد وذلك فى الشيخ الفانى والشيخة الفانية والمرضع والحبلى.

والذى تميل إليه النفس هو ترجيح الرأى الأول وذلك لجملة أدلة.

الأولى: أن سنة الله تعالى فى تشريع الأمور التى فيها مشقة ولم تكن معتادة وقت التنزيل هو التدرج والترقى حتى لا يقع الناس فى الحرج كما فى تحريم الخمر والميسر والربا (وسنذكر ذلك إن شاء الله فى مكانه).

الثانى: أن فهم الآية على هذا الرأى متجه وسليم ولا تكلف فيه، وذلك أن الله تعالى قال عقب ذلك: «فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم» ويكون معنى الآية فمن تطوع بأن أطعم أكثر من مسكين فهو خير له وأن تصوموا أيها الأصحاء المقيمون خير لكم، وأما على الرأى الثانى فيكون المعنى فمن تطوع خيرا بالإطعام فهو خير له وإن تصوموا أيها المتجشمون للصيام من الشيوخ والمرضى والمسافرين والحبليات والمراضع خير لكم، وهذا لا يتفق مع مبدأ الإسلام العام من رفع الحرج ودفع المشقة.

الثالث: إذا أسقطنا القراءات الشاذة من اعتبارنا ـ ويجب أن تسقط ـ وقارنا بين الخبرين المرويين عن سلمة بن الأكوع وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم؛ تبين لنا أن ما ذهب إليه ابن عباس إنما هو تفسير فهمه من الآية بينما خبر سلمة بن الأكوع فى حكم المرفوع فإنه قال: كنا فى رمضان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من شاء صام ومن شاء

افطر » ، وهذا - كما قرر الأصوليون يعتبر فى حكم المرفوع فيكون أولى بالقبول من رأى ابن عباس فإنه موقوف ؛ وأيضا فإن خبر سلمة رضى الله عنه فيه إثبات وخبر ابن عباس فيه نفى وإذا تعارض النفى والإثبات قدم الإثبات على النفى .

ولعل قائلا يقول : إنه لا يصار إلى النسخ متى أمكن القبول بعدمه ويرد على ذلك بأن هذا إذا كانت الأدلة فى درجة واحدة من القوة ، وقد تبين لك توجح القول بالنسخ ، وأن المصير إلى القول بعدمه فيه تكلف واضح على أنه ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما رواية أخرى بالنسخ ، فقد روى ابن كثير فى تفسيره عن الحافظ أبى بكر بن مردويه بسنده عن ابن أبى ليلى قال : دخلت على عطاء فى رمضان وهو يأكل فقال : قال ابن عباس نزلت هذه الآية أى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فنسخت الأولى إلا الكبير الفانى إن شاء أطعم عن كل يوم مسكينا وأفطر » فهذا الخبر صريح بأن ابن عباس رضى الله عنهما كان يرى النسخ الجزئى فى حق المقيمين الأصحاء .

الطور الثالث :

وقد ذكره معاذ رضى الله عنه فى الخبر الذى رواه عنه الإمام أحمد فقال بعد أن ذكر الحالين الأولين: وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء مالم يناموا فإذا ناموا امتنعوا ، ثم إن رجلا من الأنصار يقال له صرمة كان يعمل صائما حتى أمسى فجاء إلى أهله فصلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح فأصبح صائما فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جهد جهداً شديداً فقال « مالى أراك قد جهدت جهداً شديداً ؟ » قال يارسول الله : إنى عملت أمس فجئت حين جئت فألقيت نفسى فنمت فأصبحت حين أصبحت صائما قال : وكان عمر قد أصاب من النساء بعد ما نام فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأنزل الله عز وجل (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم - إلى قوله - ثم أتموا الصيام إلى الليل) وأخرج حديث معاذ المذكور أبو داود فى سننه والحاكم فى مستدركه من حديث المسعودى بهذا اللفظ .

وقد روى مثل ذلك عن البراء وابن عباس وأبى هريرة رضى الله عنهم بألفاظ متقاربة من شاء أن يراجعها فليرجع إلى تفسير ابن كثير فى آيات الصيام ؛ وقد ورد من عدة طرق أن الذى وقع من عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه سمر ليلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد امرأته قد نامت فأرادها فقالت : إنى قد نمت فظنها تعتل عليه ، فقال : ما نمت ثم وقع عليها ؛ وأيا ما كان الخبر فلن ندعى لعمر عصمة حتى نتكلف التماس الأعذار له ؛ ولكن الله - سبحانه - جعل للمسلمين رخصة ونزل قوله تعالى : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل » ، وبهذه الآية استقر أمر التشريع فى الصوم ، ولا يحل لمسلم أن يقول بغير ذلك : « تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون » .

ولعل فى التشديد فى أمر الصيام بعد التخيير والتخفيف إظهار رحمة الله بالمؤمنين ولطفه بهم .

نسأله دوام اللطف إنه سميع مجيب ؟

بدر المتولى عبد الباسط

الرجال الجوف فى الأرض الخراب

للأستاذ رشاد محمد خليل

— ٣ —

التقينا فى عددين سابقين(١) مع الأديب الإنجليزى الكبير ت. س. إليوت يناقش لنا بأسلوب الناقد المتمكن قضيتين من أخطر قضايا الفكر الإنسانى المعاصر :

القضية الأولى : هى علاقة الدين بالأدب .

والثانية : هى صلة الموروثات بالأدب المعاصر ومسئولية الأدب فى كلتا القضيتين .

لكن إليوت ليس مجرد أديب ناقد ذكى ، وإنما هو صورة نادرة لالتقاء ملكتى النقد والإبداع فى شخص واحد ؛ بل هو الناقد الذى استطاع أن يخضع شعره لمقاييسه النقدية ، وأن يحقق بالإبداع كل دعا إليه بالرأى . فهناك التقاء عميق ومركز بين طاقة إليوت العقلية وطاقته الوجدانية .

لقد درس إليوت التراث الأدبى والفكرى بتوسع وعمق ، كما درس المذاهب والمدارس الأدبية فى عصره وقبل عصره ، ثم نقد هذا التراث نقداً بلاغياً غير به الكثير من المفاهيم ، وأضاءه بالكثير من الأفكار الناضجة ، ووضع أسساً منهجية لدراسته ونقده ، فتغيرت بهذه الدراسة صورة هذا التراث وتعدل موضعه فى تيار الفكر الإنسانى ، كما تعدلت بالتالى صورة الفكر المعاصر فى هذا التيار .

ثم جاء إليوت الشاعر فوضع آراء إليوت الناقد موضع التجربة الفنية ، واستطاع بعبقريته الخلاقة المبدعة أن يخلق من كل ما دعا إليه إليوت الناقد صورة شعرية خالدة طارت بشهرة إليوت فى كل أفق .

فقبل إليوت كانت المدرسة الرومانتيكية بفروعها المختلفة ترى أن الأدب تعبير عن تجربة شخصية الأديب سواء أكان هذا التعبير عن ذات الأديب كما ذهبت المدارس السيكلوجية التى تأثرت بفرويد ، أم كان تعبيراً عن الظروف البيئية والاجتماعية كما ذهبت المدارس المادية التى تأثرت بجدلية كارل ماركس .

ثم جاء الناقد الإيطالى العظيم (بنديتو كروتشى) فى مطلع القرن العشرين لينادى بأنه ليس صحيحاً أن كل فن تعبير ، ولكن الصحيح أن كل تعبير فن ، وعلى ذلك فليست مهمة الناقد أن يكشف عما يعبر عنه العمل الفنى بل يرى العمل فى ذاته ولذاته فلا يقيمه بمقاييس خارجة عنه سواء أكانت هذه المقاييس خلقية أم اجتماعية أم تاريخية أم لغوية لأن كل ما لا ينبع من العمل الفنى نفسه هو فى الواقع دخيل عليه .

فلما جاء إليوت عمل على تعميق دعوة كروتشى ووضعها على الصعيد العالمى ؛ ونادى بأن العمل الفنى خلق لا تعبير ؛ وأن العمل الأدبى كائن مستقل له حياته الخاصة ، كما أنه يستمد وجوده من عناصره الكامنة فيه . وأن الأديب لا تقاس أهميته بقدرته على التعبير ولكن بقدرته على الخلق ، وعلى ذلك فلا تقاس قيمة العمل الأدبى بمقاييس من خارجه بل تقاس قيمته بمقاييس من داخله ، أى أن قيمة العمل الأدبى ترتكز أساساً على مقدرته الداخلية على الإقناع .

(١) مجلة الأزهر حـ ٩ ، ١٠ السنة الرابعة والثلاثون ، حـ ٧ ، ٨ السنة الخامسة والثلاثون .

وليس معنى ذلك أن إليوت يقطع كل صلة بين العمل الأدبى ونفسية الأديب ، أو ظروف المجتمع والبيئة ، فلم يكن إليوت أبداً بهذا القدر من السذاجة ، وإنما كان إليوت حريصاً على ألا ينقلب العمل الأدبى إلى دعاية يفرض باسمها على الكاتب ما لا يؤمن به وما لا يستجيب فيه لداعى أصالته وصدقه ، أو أن يتحول إلى مجرد وثيقة نفسية يسجل فيها الأديب بأسلوب الشهر المقارى - أحاسيسه وانطباعاته ... كما أن ذلك لا يعنى أن إليوت يذهب إلى القول بنظرية الفن للفن ، بل هو على العكس من ذلك يدعو إلى أنه « يجب أن يكمل النقد الأدبى بنقد من وجهة نظر دينية وخلقية محددة ... وعظمة الأدب لا يمكن أن تتحدد بمعايير أدبية فحسب ، على الرغم من أن علينا أن تتذكر أنه سواء كانت أدبية أم غير أدبية ، فإنه لا يمكن تحديدها إلا بالمعايير الأدبية (١) » .

بل إنه يذهب إلى نظرية الفن للفن « كأن دعوة أصابع النقد والأحكام الجمالية(٢) » .

ولقد رأينا فى تقديمنا لآرائه فى صلة الدين بالأدب والتراث كيف شدد على أهمية وجود وجهة نظر أساسية يتناول الأديب الوجود من خلالها ، وكيف شدد على ضرورة ارتباط الإنتاج المعاصر بالتراث القديم باعتبارهما وحدة لا تتجزأ .

ومن هنا كان اهتمامنا بالتعريف بإليوت وعرض آرائه فى محاولتنا عرض وجهة نظر مماثلة تدعو إلى ضرورة ربط الأدب العربى المعاصر بوجهة النظر الإسلامية ، واعتبار الإسلام قاعدة يصدر عنها فى تصوره للوجـــود ومعالجته لمشكلاته الفردية والاجتماعية والبيئية ، وإلى ضرورة الاهتمام بالتراث الإسلامى ككل واعتباره الجذور الأساسية لأى حركة أدبية أصيلة يراد لها الامتداد والاستمرار .

وقد حقق إليوت الشاعر ما دعا إليه إليوت الناقد من آراء ونظريات مثل الأدب: خلق لا تعبير « البناء الداخلى » النقد الداخلى . المعادل الموضوعى . وجهة النظر الدينية والأخلاقية المحددة . التشاكل العضوى ... فى مجموعة من القصائد الرائعة التى أصبحت إنجيل الشعراء الشبان المعاصرين .

وإليوت الشاعر مثقف جداً ، والقارىء الذى تريد قراءته سيجد نفسه مضطرا إلى معرفة الكثير من ثقافة إليوت ومصادرها ، فإليوت لا يكتب للتسرية أو التسلية ، وإنما تحس إحساساً عميقا بمسئوليته إزاء عصره ؛ ومن ثم فهو يحاول أن يفهم رحلة الإنسان التاريخية ، وأن يستهديها فى أمر الإنسان المعاصر ومصيره ، ومن ثم لجأ إليوت إلى الرمز يملأ عن طريقه قصائده بإشارات كثيرة إلى قصص وأساطير ، وأحداث من تاريخ الإنسانية ، وأدبها ، وهو يعطى هذه القصص والأساطير دلالة جديدة ، ويحملها عن طريق الرمز بكل الإيحاءات الكاشفة لروح العصر ومأساته .

وبرغم "الصعوبة التى يعانيها قارىء إليوت فإن قارئه سرعان ما يحس بالانبهار وهو يتابع رحلة الحياة والمصير مع إنسان العصر الذى يعيش مأساته التاريخية .

إن إليوت يصور مأساة الإنسان المعاصر الذى يعانى من رد الفعل العنيف لحضارة المادية الجوفاء التى تجردت من الروح والإحساس الإنسانى والهدف النبيل . .

حضارة الدولار والاسترلينى ، والضجيج الرهيب .

إن إليوت فى القرن العشرين هو الصوت الصارخ

(١) T.S. Eliot : Essays Ancent and modern, London, 1935. P. 93.

(٢) TS. Eliot : Salected Essays, P. 382.

فى العربية ، وهو النذير العريان الذى أدان فى شعره لاتجاه المغرق فى المادية للحضارة الغربية ، التى أطلقت كل شهوات الإنسان ونزواته إلى أقصى طاقتها فى ثورة معربدة ، وشدت كل أوتار الجنس واللذة الحسية ، ثم تركته عبدا لغرائزه قد اتخذ إلهه هواه ، وأضله الله على علم ، وجعل على بصره غشاوة ، ثم سلطت عليه الإرهاب الذرى بعد أن طحنته بلا رحمة فى حربين عالميتين متتاليتين .

إن إليوت ينبهنا إلى المصير الذى يمكن أن تنتهى إليه متابعتنا الغرب فى بناء حضارة لا يكون الإسلام قاعدتها الأساسية ، ويكون بناء الإنسان فيها بناء متوازنا - روحا وجسدا ، فكرا وعقيدة مبدأ وسلوكا - هدفا أساسيا لها .

كما ينبهنا إلى مسئولية الأدب ، وإلى النتائج الخطيرة التى تترتب على تجاهل الأديب لمسئوليته مما يمكن أن يتعرض له وجودنا العربى والإنسانى من تصدع نتيجة لإصرار الأدب على عزل القيم الروحية عن تياره ، ودفع الإسلام بعيدا عن مناطق الرؤية ومراكز الإشعاع ، وإغفال وجوده الحيوى ، وأهميته فى بناء الإنسان المتوازن فى المجتمع المتوازن .

صور إليوت أزمة الإنسان المعاصر وأزمة الحضارة الغربية فى قصائد كثيرة أهمها « الرجال الجوف ... الأرض الخراب ... أسقف كانتربرى أربعاء الرماد .

فهو فى قصيدة الرجال الجوف ، يصور الإنسان المعاصر فى صورة الإنسان التافه الفارغ الذى يعيش حياة خالية من المعنى ، فى أرض موات لا تنبت إلا الصبار .

وتشتد مأساة الإنسان بإحساسه بهذه الحياة وإحساسه بفراغها وعمقها وهنا تكمن أزمة مأساته مأساة الإنسان الذى يعيش حياة ضائعة بلا معنى والذى يعى تماما أنه يعيش هذه الحياة الضائعة بلا معنى .

والرجال - كل الرجال - يعيشون كذلك ، ويحسون بذلك ، ويعيشون فى جحيم هذا الإحساس : إنهم يهتفون جميعا :

نحن الرجال الجوف
بالقش حشينا
نميل معا
وقد حشيت بالقش رءوسنا . ووا أسفاه !
إن أصواتنا الجافة ،
حينما تتهامس .
هادئة خالية من المعنى
كالريح فى الحشائش الجافة
أو كأقدام الجرذان على الزجاج المهشم
فى قبونا الجاف
حيث نخزن المؤن .
شكل بلا قالب . ظل بلا لون ،
قوة مشلولة ، إشارة بلا حركة
إن من عبروا
إلى مملكة الموت الأخرى ، شاخصة أبصارهم .
لا يذكروننا ، إن ذكرونا ،
كأرواح هائجة ضائعة ،
ولكن يذكروننا
كالرجال الجوف
بالقش حشينا
لا أكثر من ذلك .

وهذا الإنسان الذى يعيش حياته التعسة الضائعة هذه لا يجرؤ على أن يحلم بحياة مريحة أو سعيدة راضية النفس والضمير ، بل إن أحلامه على العكس من ذلك تواجهه بعالم من الفراغ المرعب الرهيب ؛

وهو من أجل ذلك يريد أن يهرب ، لا من نفسه فقط ، بل من أحلامه أيضاً ، وأن يستخفى فى صور أحط المخلوقات وأهونها :

ليتنى لا أدنو من ذلك
فى مملكة الموت ، دولة الحلم .
ليتنى أيضاً أستخفى عامداً
فى جلد فأر ، فى ريش غراب ،
فى زى ناطور المقات
بحقل
أميل مع الريح حيث تميل
لا أقرب من ذلك
فلا أشهد ذلك اللقاء الأخير
فى مملكة الغسق .

وهو فى يأسه الأسود هذا ، يعلم أنه أضاع مملكته وبدد بيديه أمنه وراحته ، إنه يسير فى عالمه مشدوداً إلى لا هدف ، مسلوبا بلا إرادة لا ينتظر لنفسه خلاصاً لأن خلاصه لن يكون إلا إذا استعاد روحه ، ولكن هيهات فذلك أمل فات ، ولا مطمع فيه إلا لأحمق أو مجنون ، لقد كتب عليه أن يسير ، وأن يدور بلا أمل حول شجرة الصبار إلى أن تنتهى الدنيا لا بقعقعة ولكن بنشيج :

العيون ليست هنا
لا عيون هنا
فى هذا الوادى
وادى النجوم الخابية
فى هذا الوادى الأجوف
فى هذا الفك المحطم
حيث مملكتانا الضائعتان
ههنا مكان اللقاء الأخير ،
نتلمس معاً طريقنا
ونتجنب الكلام
وقد تجمعنا على شط النهر المكتظ
كالمكفوفين
إلا إذا
تجلت العيون من جديد
كالنجم الدائم
الوردة الكثيرة الأوراق
فى مملكة الموت ، دولة الغسق ،
التى لا يطمع فيها
إلا الرجال الجوف .
ها نحن ندور حول شجرة الصبار ،
شجرة الصبار ، شجرة الصبار .
ها نحن ندور حول شجرة الصبار
فى الساعة الخامسة صباحا

* * *

هكذا تنتهى الدنيا
هكذا تنتهى الدنيا
هكذا تنتهى الدنيا
لا بقعقعة ولكن بنشيج .

* * *

من قصيدة « الرجال الجوف The Hollou men » .

ماذا كسبت الحضارة المادية من تمردها على الدين !!

وماذا انتجت بعد أن وضعت المال فى محرابها مكان الله . . !!

ماذا أنتجت ... هؤلاء الرجال الجوف . !!؟

صدق الله العظيم : « إن ربك لبالمرصاد » .

ولكن كيف بدأت مأساة إنسان الحضارة الحديثة ، وكيف انتهت ، إن إليوت يحدثنا عن ذلك فى قصيدته الخالدة : « الأرض الخراب The wast land. » ؟

رشاد محمد خليل

حقوق العمال فى الإسلام

للاستاذ جمال الدين عياد

٢ — حق الأجر

أجر العامل حق ثابت له ، إذ يقول تعالى فى حق المرضعات : « فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن » وكل عامل كمثل المرضعات فى هذا الحق .

وقد حذر سبحانه من منع الأجور أو إنتقاصها إذ يقول فى الحديث القدسى : « ثلاثه أنا خصمهم يوم القيامة ، : رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ، ولم يعطه أجره ، وفى رواية أخرى ولم يوفه أجره .

وقد ضرب عليه السلام المثل الطيب فى حفظ هذا الحق ورعايته ، إذ روى ـ فى مقام المدح والثناء ـ قصة ثلاثة أووا إلى غار فى جبل لما أخذهم المطر ، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم ، فقال بعضهم لبعض : انظروا أعمالا عملتموها صالحة لله ، فادعوا الله بها لعله يفرجها عنكم فدعا أحدهم بدعاء فأفرج الله لهم فرجة فرأوا السماء ، ثم دعا الثانى بدعاء فأفرج الله لهم فرجة أخرى ، ثم دعا الثالث بدعاء ، فأفرج الله لهم ما بقى ، فنهضوا من الغار سالمين .

ودعاء الثالث هو الذى يهمنا ، فلقد قال « إنى استأجرت أجيرا بفرق من أرز ، فلما قضى عمله قال اعطنى حقى ، فعرضت عليه ، فرغب عنه ، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرا وراعيها ، فجاءنى فقال : اتق الله ! فقلت : اذهب إلى هذا البقر ورعاتها فخذ ! فقال اتق الله ولا تستهزىء بى ، فقلت لا أستهزىء بك فخذ ! فأخذه .

وهكذا حفظ الرجل للعامل أجره سنوات طوالا استحال فيها العامل القوى إلى شيخ ضعيف وزاد من عنده أن رعى له هذا الحق ونماه حتى استحال من فرق من أرز إلى بقر ورعاة ! .

وكان رسول الله بسلوكه العملى خير راع لهذا الحق ، إذ كان عليه السلام لا يظلم أحدا أجرا ، كما روى عن أنس .

والأجر ـ أو العوض المقابل ـ لا يسقط لفساد العقد ، فللعامل ـ فى حالة الإجارة ـ أجر المثل بالغا ما بلغ ولو كان صبيا محجورا عليه ، وله ـ فى حالة المضاربة ـ أجر المثل أو ربح المثل ، على خلاف فى الرأى ، وله ـ فى حالة المزارعة والمساقاة ـ حظ المثل أو أجر المثل ، على خلاف فى الرأى أيضا وإذا فسد العقد فى شركة الأبدان والأموال اقتسم الشركاء الربح على قدر رءوس أموالهم ، ورجع كل واحد منهم على الآخر بأجر عمله . وطبعى أن يأخذ العامل من أجر المثل أو ربح المثل بقدر ما عمل إذا فسخ العقد ـ لفساده ـ قبل تمام العمل . وهكذا لا يضيع عمل العامل أو يسقط أجره لفساد العقد سواء أكان العقد إجارة ، أو شركة من الشركات بمختلف أنواعها ، ذلك أن العمل حرمة ، كما يقول ابن حزم ـ والحرمات قصاص ، ومن حق العامل أن يقتص بمثل عمله .

والأجير يلزم من استعمل الصغير فى غير المعتاد من العمل اليسير الذى يتسامح فيه كمناولة شىء قريب ، كما يلزم من أكره الكبير على عمل له أو لغيره .

وللعامل - كما يرى البعض - حبس العين بعد الفراغ من العمل حتى يقبض الأجرة ، ولا يحتاج فى هذا إلى حكم حاكم ، وإذا حبس العين لاستيفاء الأجرة بقى الضمان بحاله ، ضمان أجير مشترك لا ضمان غصب ، بمعنى أنه لا يضمن التلف الناتج عن أمر غالب لا حيلة له فى دفعه ، ذلك أن العمل - كما يقول ابن القيم - يجرى مجرى الأعيان ، ولهذا يقابل بالعوض ، فصار العامل كأنه شريك لمالك العين بعمله ، فأثر عمله قائم بالعين ، فلا يجب عليه التسليم قبل أن يأخذ عوضه .

ولا يمس الأجر ولا أداة العمل وفاء لضريبة أو خراج . فقد قال رجل من ثقيف : استعملنى على بن أبى طالب رضى الله عنه على عكبراء . فقال لى ، وأهل الأرض معى يسمعون ، أنظر أن تستوفى ما عليهم من الخراج ، وإياك أن ترخص لهم فى شىء ، وإياك أن يروا منك ضعفا ، ثم قال : رح إلى عند الظهر ، فرحت إليه عند الظهر ، فقال لى : إنما أوصيك بالذى أوصيت به قدام أهل عملك . انظر إذا قدمت عليهم فلا تبيعن لهم كسوة شتاء ولا صيفا ، ولا رزقا يأكلونه ولا دابة يعملون بها ، ولا تضربن أحدا منهم سوطا واحدا فى درهم ، ولا تقمه على رجله فى طلب درهم ، ولا تبع لأحد منهم عوضا فى شىء من الخراج ، فإنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو ، فان أنت خالفت ما أمرتك به يأخذك الله به دونى ، وإن بلغنى عنك خلاف ذلك عزلتك .

لقد قدم عبد الله بن السعدى على عمر فى خلافته ، فقال له عمر : ألم أحدث أنك تلى من أعمال الناس أعمالا ، فاذا أعطيت العمالة كرهتها ، فقال عبد الله : بلى . فقال عمر : ما تريد إلى ذلك ؟ قال عبد الله : إن لى أفراسا وأعبدا ، وأنا بخير ، وأريد أن تكون عمالتى صدقة على المسلمين . قال عمر : لا تفعل . . . فانى كنت أردت الذى أردت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطينى العطاء فأقول : أعطه أفقر إليه منى ، حتى أعطانى مرة مالا فقلت : أعطه أفقر إليه منى . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : خذه فتموله وتصدق به ، فما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه ، وإلا فلا تتبعه نفسك .

والأجر يحل لولاة أمور المسلمين ولو كانوا أغنياء ، إذ يقول عليه السلام لا تحل الصدقة - أى الزكاة - لغنى ، إلا لخمسة « لغاز فى سبيل الله ، أو لعامل عليها ... ... الخ » فللعامل على الزكاة أن يؤجر منها - ولو كان غنيا - بنص الحديث .

على أن الله سبحانه قد أمر بالتنازل عن الأجر عند الغنى فى حالة الولاية على مال اليتيم ، رفقا به ورعاية له وإحسانا إليه ، وفى هذا يقول تعالى : - والخطاب لولى اليتيم - « ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف » والمعروف ضد المنكر ، كما يبدو من المقابلة بينهما فى قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » ، فهو - أى المعروف - ما سكنت إليه النفس من قول أو عمل ، لحسنه عقلا وشرعا ، والذى تسكن إليه النفس وترضاه فيما يتعلق بالأجور هو أن تكون على قدر المنفعة

المبذولة ، فبهذا يتحقق العدل الذى أمر الله به ، ولا يضار الأجير ولا المستأجر .

غير أن قيمة المنفعة قد تزيد على حاجة الأجير ، وكل ما زاد عن حاجته فهو عنه فى غنى ، وقد أمر الله الوصى بالاستعفاف عند الغنى ، ولهذا وجب أن يتنازل عما يزيد عن حاجته من الأجر ، وهذا يتفق تماما مع ما ذهب إليه الشافعى من أن لوالى اليتيم الأقل من أجر المثل وحاجته ، وأما ما ذهب إليه مالك من أن له أجرة مثله مطلقا ، ولو زادت عن كفايته فربما جاز لنا أن نقول أنه مذهب لا يستقيم لأنه لا يحقق ما أمر الله به من الاستعفاف عند الغنى .

وقد ذهب البعض إلى أن والى اليتيم لا يستحق على الولاية أجرا ولو كان فقيرا ، وقد استندوا فى ذلك إلى الآيات الناهية عن أكل مال اليتامى ، كقوله تعالى : « وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ، إنه كان حوبا كبيرا » وقوله : « فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ، ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا » وقوله : « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده » وقوله : « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا » .

وقد أول هؤلاء قوله تعالى : « ومن كان غنياً فليستعفف ، ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، على وجهين :

١ — فقال البعض : إن المراد أن ينفق على نفسه من ماله حتى لا يصيب من مال اليتيم شيئاً ، وربما جاز لنا أن نقول إن هذا القول لا تحتمله ألفاظ الآية ، ولا دليل عليه من السياق بل إن السياق ينفيه ، لأن الأمر بالاستعفاف فى الآية إنما يراد به الاستعفاف عن أكل مال اليتيم عند الغنى ، فلزم أن يكون الأكل بالمعروف من مال اليتيم ، لا من مال الولى .

٢ — وقال البعض : إن الآية منسوخة بالآيات الناهية عن أكل مال اليتيم ، وهو قول لا دليل عليه ، حتى أن أصحابه حملوه على الجزم ، فقالوا : يجوز أن يكون منسوخا .

وربما جاز لنا أن نقول : إنه لا تعارض بين الآيات حتى نقول بالنسخ ، فالآيات التى احتجوا بها يفسر بعضها بعضا بما لا يتنافى مع آية الأكل بالمعروف ، إذ يقول تعالى فى إحداها : « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً » ، محدداً بصفة الظلم الأكل المنهى عنه ، وليس الأكل بالمعروف ظلما .

وقد رأى الذين حرموا أكل الوصى من مال اليتيم أنه لا يجوز له استحلال الأكل باعتباره أجرة على عمل ، لأنه لو كان أجرة لما سقط بالغنى ، ولوجب تعلم به ، كما هو الحال فى سائر الإجارات .

وربما جاز لنا أن نقول : إن ولاية الغنى على مال اليتيم تطوع لأن القرآن أمر بالاستعفاف عند الغنى . وولاية الفقير إجارة ، لأن الله أباح له الأكل بالمعروف ، ولا سبب لاستحقاقه الأكل غير العمل ، حتى أنه لو اعتزل العمل لم يجز له الأكل ، فصح أن ولاية الفقير إجارة ، لأنها لقاء عوض . ولكن الأجرة فيها مقدرة بالأكل من الحاجة وأجر المثل بخلاف سائر الإجارات ، لما يفيده النص الذى ورد فى هذه الولاية خاصة ، فهو استثناء من القاعدة العامة التى تجعل الأجر على قدر العمل فى الإجارات عامة وتضع الحاجة موضع الاعتبار بالنسبة لعمال الدولة خاصة .

وتقدير الأجر على النحو الذى قدمناه لا ينطوى

على جهالة مفضية إلى نزاع ، لأن أجر المثل متعارف عليه ، وقدر الحاجة يعرفها العامل ، ويعرف تبعاً لهذا إذا كانت زائدة عن أجر المثل فيستحقه أو ناقصة عنه فيستحقها .

ويؤكد ما قدمناه من الأكل فى ولاية اليتيم عوضا عن العمل ما ورد من أن رجـلا جاء إلى ابن عباس فقال إن فى حجرى أيتاما لهم أموال ثم استأذنه أن يصيب منها ، فقال ابن عباس ، ألست تهنأ جرباها ؟ قال : بلى ، قال : ألست تبغى ضالتها ؟ قال بلى ، قال : ألست تلوط حياضها ؟ قال بلى ، قال ألست تفـرط عليها يوم ورودها ؟ قال : بلى . قال فاشرب من لبنها غـير ناهك فى الحلب ولا مضر بنسل .

ومن الملاحظ أن من حـرموا أكل الوصى الفقير من مال اليتيم قد أباحـوا له القدر المتفق عليه من الربح إذا ضارب بالمال ، واحتجوا بأن الربح الذى يستحقه الوصى لم يكن مالا لليتيم ، لأنه لو كان ملكا لرب المال مشروطا للمضارب بدلا من عمله لوجب أن يـكون مضمونا عليه كالأجـرة ، وربما جاز لنا أن نقـول : إن ما احتجوا به غير صحيـح ، لأن الربح فى المضاربة نماء مال المالك الضامن للملك ، فهو له بدليل أنه لو شرط للمضارب ولم يشرط لنفسه استحق باقى الربح ، أما قولهم : إن ربح المضارب لو كان ملكا للمالك مشروطا للمضارب بدلا من عمله لوجب أن يكون مضمونا عليه كالأجرة فقول غير ذى موضـوع ، لأن ربح المضارب إنما يتحقق فى حوزته لا فى حـوزة المالك ، فلا مجال للقول بضمان المالك له إذا هلك ، أما إذا كان المراد ضمان المالك ربح المضارب إذا لم يتحقق الربح ، فقـول لا يستقيم أيضا ، لأن ربح المضارب نسبة مئوية من الربح العام ، فإذا انعدم الربح العام انعدم ربح المضارب ، وانعدم بالتالى حقه على المالك ، فلا مجال للضمان .

وهـكذا فللمضارب بمال اليتيم نصيبه من ربح المضاربة ، لا لأن نصيبه هـذا لم يـكن مالا لليتيم ، وإنما لأن الأكل بالمعـروف من مال اليتيم حق للوصى كما قدمنا ، ولـكل عامل فى مال اليتيم تحت إشراف الوصى ، ومتى جاز للمضارب الأكل من مال اليتيم ، فهو كـكل عامل فى مال اليتيم إنما يحل له الأقل من الحاجة وربح المثل ، وما ذكروه من أنه يأخذ مقدار ربحـه ، لا يجوز إلا إذا كان ما يأخذه أقل من الحاجة .

وقد ألحق عمر ولاية اليتيم ولاية الوقف ، فقد وقف أرضاً له بخيبر ، فتصدق بها فلا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث ، فى الفقراء والقربى والرقاب وفى سبيل الله والضيف وابن السبيل ، وأباح لواليها « أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقاً غير متمول به . وفى رواية أخرى غير متأثل مالا » .

وربما جاز لنا أن نقول : إن ورود الأكل بالمعروف فى الآية الخاصة بوالى اليتيم ، وفى حديث عمر عن ناظر الوقف ، يوحى بأن المراد بالمعروف فيهما واحد ، وهو الأقل من الحاجة وأجر المثل كما قدمنا ، سيما وأن ثم شبها بين ولاية اليتيم ونظارة الوقف ، ووجه الشبه كما قال المهلب هو أن النظر للموقوف عليهم من الفقراء وغيرهم كالنظر لليتامى . وهو ما تنبه إليه البخارى فى صحيحه ، إذ عقد فصلا عن حق الوصى فى أن يأكل من مال اليتيم ، واستشهد لذلك بقول عمر حين وقف أرضه بخيبر : « ولا جناح على من وليه أن يأكل منه بالمعروف » .

أضف إلى ذلك ما يفيده قول عمر « غير متمول به » أو « غير متأثل مالا » من أن ولاية الوقف لا تجوز أن تكون سبيلا إلى اتخاذ مال أو ملك ، فالتأثل اتخاذ أصل المال ، وأثلة كل شيء أصله ، فاشتراط نفس التأثل لا يجوز للوالى إلا الأقل من الحاجة وأجر المثل لأن أجر المثل إن زاد عن حاجته أمكنه التأثل بما زاد ، كما أن الحاجة إن زادت عن أجر المثل ، وأخذ الوالى بقدر حاجته ، كان مستحلا من مال الوقف أكثر من قيمة عمله ، وكلا الأمرين لا يجوز .

وقد عد الفقهاء ، ولاية اليتيم وولاية الوقف ولاية نظر ، أى ولاية نفع وفائدة ، لليتيم ، ولأهل الوقف من اليتامى والمساكين حتى أن أبا حنيفة لم يجز فسخ العقد لزيادة أجر المثل إلا فى إجارات الوقف ، كالعقار مثلا ، ولم يجز الفسخ فى هذه الإجارات إذا نقص أجر المثل .

ومن الملاحظ أن عمر بينما يأمر عبد الله ابن السعدى بأخذ العمالة رغم غناه ـ كما قدمنا ـ تراه ينزل نفسه منزلة والى اليتيم ، فلا يجيز لنفسه العمالة على الخلافة لو كان غنياً ، ويريد لبعض ولاته أن يكونوا مثله ، فقد ولى عمار بن ياسر على الصلاة والحرب وعبد الله بن مسعود على القضاء وبيت المال ، وعثمان بن حنيف على مساحة الأرضين ، وقال لهم « إنى أنزلت نفسى وإياكم من هذا المال بمنزلة والى اليتيم ، فإن الله تبارك وتعالى قال : « ومن كان غنياً فليستعفف ، ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » .

وليس فى الأمر تناقض ، فعمر فى الحالة الأولى يقرر حكما شرعياً ، وهو أن الأجرة لا تسقط بالغنى ـ إلا فى حالة الولاية على مال اليتيم وما شابهها كنظارة الوقف ، وهو فى الحالة الثانية يأخذ نفسه بالزهد الذى عرف عنه ، وتستبد به نزعة الزهد هذه ، فيوصى ولاته الثلاثة بما يأخذ به نفسه من إنزال النفس منزلة والى اليتيم ولعل هذا رد فعل لما ثار من شبهات بسبب الثراء الذى أصاب بعض الولاة بعد فقر .

والئن كان الأجر حقاً للعامل كما قدمنا ، فإنه يسقط متى أخل العامل بالتزامات العقد على وجه يفسد المنفعة التى استؤجر لتحقيقها كأن يصبغ الثوب لوناً آخر غير ما وقع عليه العقد .

وكذلك الحال إذ هلكت المنفعة بتعدى العامل أو بإهماله قبل تسليمها للمستأجر ، بل إن العامل يضمن فى هذه الحالات كل ما ضيعه على المستأجر .

وإذا سقط الضمان عن العمل لقيام البينة على أن المنفعة هلكت منه بسبب خارج عن إرادته ، وجب له الأجر فى رأى البعض ، لأن المصيبة إذا نزلت بالمستأجر وجب ألا يمضى عمل الصانع باطلا ، ولم يجب فى رأى البعض ، لأن إلزام المستأجر بالأجر مضاعفة لغرمه ، وإعفاءه منه تخفيف من هذا الغرم .

وربما جاز لنا أن نقول : إن الرأى الأخير هو الرأى الصحيح ولكن لغير السبب الذى أبدوه ، لأن العامل غير ملزم بتخفيف ما يصيب المستأجر من كوارث . والسبب الذى نرتضيه هو أن المستأجر إنما يلزم بالأجر إذا وقعت المنفعة مسلمة إليه ، فإذا لم تسلم لم يلزم بالأجر لأن إلزام المستأجر بالأجر على منفعة لم يتسلمها إلزام له بعوض ليس له مقابل ، وهذا مخالف لمقتضى العقد ، فهو عقد معاوضة ، وسواء فى ذلك أن يكون حرمانه من المنفعة بسبب يوجب الضمان على العامل

أو لا يوجبه ، فالعبرة بالتسليم ، لا بسبب هلاك المنفعة .

وتسقط الأجرة أيضاً بالبطلان الكلى الدائم للمنفعة بتعذر أدائها أصلا طيلة الفترة المتعاقد عليها ، فإذا مرض العامل مرضاً يعجزه عن أداء العمل بالكلية مدة العقد انفسخت الإجارة ، كمثل انفساخها بخراب الدار المستأجرة أو غصبها ، وما أشبه .

فإذا لم تزل المنفعة المعقود عليها بالكلية ، وإنما تعيبت ، كأن يصاب العامل بعاهة تقلل إنتاجه ، لم تنفسخ الإجارة - كما يرى البعض - وللمستأجر خيار الفسخ : إن شاء أمضى العقد ، وإن شاء فسخه للعيب .

فإن رضى العامل ، رغم عيبه ، ولم يفسخ ، فقد لزمه جميع الأجر لأنه رضى به ناقصاً أو معيباً ، فأشبه ما لو رضى بالمبيع معيباً .

وهكذا فإن الفقهاء إنما ذكروا حالتين اثنتين ، هما : حالة البطلان الكلى الدائم للمنفعة ، وحالة تعيبها تعيباً ينقصها كما أو كيفا ولا يفوتها بالكلية . فأما الحالة الثالثة ، وهى حالة البطلان الكلى المؤقت للمنفعة بتعذر أدائها أصلا لوقت محدود - طال أو قصر - من الفترة المتعاقد عليها ، فلم نر فيما بين أيدينا من مراجع إشارة إليها .

والرأى عندنا - إذا جاز لنا أن نبدى الرأى - إن للمستأجر الحق - فى هذه الحالة - فى إسقاط الأجرة عن الأجير مدة عجزه عن أداء المنفعة ، كما أن للأجير الحق فى استئناف العمل بعد شفائه ، وإلى أن تنتهى الفترة المتعاقد عليها .

ذلك إن الله سبحانه إنما أمر بالوفاء بالعقود ، بحيث لا يجوز الفسخ دون ضرورة ، وفسخ العقد - فى هذه الحالة - لا يكون له ما يبرره ، ما استطاع المستأجر أن يتعاقد مع عامل آخر على العمل عنده طيلة الفترة المقـــدرة لشفاء الأجير الأصلى . كما أن إلزام المستأجر بدفع أجرة لا تقابلها منفعة يتنافى مع مقتضى العقد ، إذ العقد عقد معاوضة . واستحلال العامل لهذه الأجرة - إن كان قد أخذها سلفا - أكل لأموال الناس بالباطل وليس المستأجر مسئولا عن كفالة العامل أثناء المرض ، إنما المسئول الدولة . .

وكذلك الحالة الرابعة ، وهى حالة تعيب المنفعة فترة مؤقتة دون فواتها بالكلية ، فطالما أمكن استئجار عامل آخر لسد النقص فى إنتاج العامل الأصلى إلى أن يبرأ تماما ، لم يكن الفسخ مبرر وللمستأجر أن يخصم من أجر العامل الأصلى بقدر ما نقص من إنتاجه .

وفى كلتا الحالتين ينبغى أن تتدخل الدولة بما تسن من قوانين لكى لا يفسخ المستأجر العقد ، لهوى فى نفسه ، متعللا بعجز عماله المؤقت أو بقلة إنتاجهم العارضة ، فى الوقت الذى يجد فيه من يتعاقد معهم لأداء عملهم فترة مرضهم ، أو لسد النقص فى إنتاجهم فترة ضعفهم .

ومن الملاحظ أن الخلفاء والولاة وغيرهم من عمال الدولة كان يصيبهم المرض ويقعدهم بعض الوقت عن أداء أعمالهم . من ذلك أن أبا بكر رضى الله عنه مرض قبل وفاته بخمسة عشر يوما ، كما أن عمر رضى الله عنه مرض فى خلافته شهراً يعوده الناس لا يدرون ما مرضه ومن المؤكد أن الشيخين لم يكفا عن الأكل من بيت المال بسبب المرض ، فقد اعتزلا التجارة بعد ولاية أمور المسلمين ، ولم يكن لهما مصدر للرزق غير بيت

المال . ولكن الراجح أنهما استحلا ذلك لا باعتباره أجراً على عمل ، وإنما باعتباره حقا على الدولة لكل محتاج أقعده المرض عن الكسب . وقد كان عمر - كما قدمنا - ينزل نفسه منزلة والى اليتيم ، إذا استغنى استعفف ، وإذا افتقر أكل بالمعروف ، وأكبر الظن أن أبا بكر رضى الله عنه كان كذلك .

وإذا امتنع العامل عن إتمام العمل دون عذر ، فالعبرة - فى رأى البعض - بالنص على مقدمات العمل فى العقد ، فإذا نص عليها استحق العامل من الأجرة بقسط ما فعل ، وإذا نص على بلوغ الغاية من العمل دون المقدمات لم يكن للعامل شىء . .

ويرى البعض أن العبرة بإمكان الانتفاع بمقدمات العمل ، فإذا كانت المقدمات التى أتمها العامل مما ينتفع به ، استحق العامل من الأجر بقدر ما عمل ، وإلا سقط حقه فى الأجر . وفى هذا يقول الكاسانى : « الخياط الذى يخيط له فى منزله قميصا فإن خاط له بعضه لم يكن له أجرته ، لأن هذا العمل لا ينتفع ببعضه دون بعضه ، فلا تلزم الأجرة إلا بتمامه . ومقتضى هذا الرأى أنك إذا تعاقدت مع عامل على بناء بيت من طابقين أو ثلاثة فبنى العامل طابقا واحدا ، وامتنع عن العمل لغير عذر ، استحق أجر بناء هذا الطابق ، لأنه مما ينتفع به بسكنى صاحبه له ، أو بتأجيره للغير .

وربما جاز لنا أن نقول : إن الرأى الأول يضيع على العامل ما أنجز من عمل ، وهو من جانب المستأجر « أكل » لأعمال الناس بالباطل ، كمثل المنهى عنه من أكل أموالهم بالباطل ، فلا يجوز .

وأما الرأى الثانى فلا يضيع على العامل عمله ، ولكنه لا يعوض المستأجر عما قد يصيبه من أضرار بسبب نكث العامل للعقد ، فلا نرتضيه أيضاً . .

والرأى الذى نرتضيه هو أن يكون للعامل من الأجر بقدر ما أنجز من العمل مما ينتفع به ، على أن يضمن ما قد يؤدى إليه امتناعه عن العمل من أضرار بالمستأجر . فبهذا لا يذهب عمل العامل باطلا ، ولا يضار المستأجر ، ويكون الضمان رادعا عن النكث .

محمد جمال الدين عياد

الحلال والحرام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الحلال بين وإن الحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام : كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه . ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه. ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب »

رواه البخارى ومسلم

عبقرية إمام

للدكتور محمد محمد أبي شهبة

لما اتسعت رقعة الإسلام ، وأظل بلوائه دولتى فارس والروم ، اعتنق هـذا الدين عن طواعية واختيار الألوف المؤلفة من أبناء هاتين الدولتين ، وصاروا عربا بالمربى واللسان ، وقد تناسى هؤلاء ماورثوه من عقائد وأفكار وأخلصوا غاية الإخلاص لهذا الدين الحق : دين الإسلام ، وللغته العربية : لغة القرآن ، ولقد صقل الإسلام بثقافته الكثير من هؤلاء وكون منه فئة يشار إليها بالبنان فى العلم والفقه ، والقيادة والسياسة ، والفصاحة والبلاغة ، والورع والزهد ، والفضائل والأخلاق العالية وتاريخ الإسلام حافل بالأئمة الأعلام ، والعلماء المبرزين فى كل فن ، وقد بلغوا من الكثرة حدا لا نكاد نجده فى أى أمة من الأمم قديما وحديثا ، وتركوا لنا رصيدا ضخما ، وثروة طائلة من العلوم والمعارف ، والخصائص النفسية والمذاهب العقلية .

والإمام الذى أعنيه بهـذا العنوان هو إمام الأئمة أبو حنيفة النعمان إمام المذهب الحنفى ، والمقدم إذا ما ذكر الفقهاء المسلمون بله غيرهم من فقهاء الأمم والشعوب ، ويحسبنا تبيانا لمنزلته فى الفقه والاجتهاد مقالة الإمام محمد بن إدريس الشافعى رحمه الله ، « الناس فى الفقه عيال على أبى حنيفة » ، وما أجلها شهادة من مثل الإمام الشافعى .

وليس من قصدى فى هـذا المقال التحدث عن الإمام أبى حنيفة من جوانبه الخصبة المتعددة فذلك أمر يطول ، ولكنى سأتناول جانبا من جوانبه المشرقة وهو ذكاؤه المفرط وألمعيته الصادقة ، وسرعة بديهته الفائقة ، وقدرته العجيبة على حل المشكلات من أقرب طريق ، وبدون لجاج فى الخصومة والجدال ، وعلمه الغزير بالغرائز وأحوال النفوس البشرية فى وقت لم تكن المباحث النفسية قد نضجت ، ووصلت إلى ما بلغته فى العصر الحديث .

وليس أدل على براعتـه وقوته فى الحجاج والمناظرة بما روى أنه قيل للإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة : هل رأيت أبا حنيفة ؟ : « قال : نعم رأيت رجلا لو كلمك فى هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته » .

ومن لطائف الإمام أبى حنيفة وأجوبته المسكتة التى تدل على العقلية الناضجة وقوة العارضة أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود البارى جل وعلا فقال لهم : دعونى فإنى مفكر فى أمر قد أخبرت عنه : ذكروا لى أن سفينة فى البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر ، وليس بها أحد يسوقها ولا يحرسها ، وهى مع ذلك تذهب وتجىء ، وتخترق الأمواج العظام حتى تتخلص منها ، وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد ، أو يرشدها مرشد فقالوا : هـذا لا يقوله عاقل !! فقال لهم : ويحكم فكيف تكون هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوى والسفلى ، وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع ؟ !!! فبهت القوم ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه .

وبهذه الطريقة السهلة توصل إلى اقناع هـــؤلاء الزنادقة وإلزامهم بالإقرار بالخالق جل وعلا من غير أن يسلك معهم ما ساقه علماء الكلام والمناطقة من ذكر الأقيسة والمقدمات من مثل قولهم : العالم حادث ، وكل حادث لا بد له من محدث وقولهم : إن الممكن لا يترجح أحد طرفيه إلا بمرجح ، وهذا المرجح لا بد أن يكون قديما ، وإلا لزم الدور أو التسلسل وكلاهما باطل .

وإذا كان الشئ بالشيء يذكر ، فقد روى أن الإمام مالك سئل عن وجود الصانع جل وعلا فاستدل له باختلاف اللغات والأصوات والنغمات ، وقد أخذ ذلك من قول الحق تبارك وتعالى : « ومن آياته خلق السماوات والأرض ، واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين » .

وسئل الإمام الشافعى عن ذلك فقال : هذا ورق التوت طعمه واحد تأكله الدود فيخرج منه الإبريسم وتأكله النحل فيخرج منه العسل ، وتأكله الشاة والبقر والأنعام فتلقيه بعراً وروثا ، وتأكله الظباء فيخرج منها المسك ؛ وهو شئ واحد ، وكأنى بالإمام يرد على الطبيعيين الذين ينكرون وجود الإله ويرون أن العالم وجد بالطبيعة ، ولو أن الأشياء استفادت خواصها من ذواتها لا من الله سبحانه لما تكون من الشئ الواحد أشياء متباينة ، وقد استوحى الإمام هذا الدليل من قول الحق تبارك وتعالى : « وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب ، وزرع ونخيل ، صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » .

وسئل الإمام أحمد عن ذلك فقال : ههنا حصن حصين أملس ، ليس له باب ولا منفذ ، ظاهره كالفضة البيضاء ، وباطنه كالذهب الإبريز ، فبينما هو كذلك إذ انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ، ذو شكل حسن ، وصوت مليح ، يعنى بذلك — رحمه الله — البيضة إذا خرج منها الفرخ

ومن عبقريات الإمام أبى حنيفة — رحمه الله — التى تدل على علم أصيل بالنفوس البشرية وغرائزها ومواطن الشعور فيها أنه كان للإمام جار ، وكان له « طاووس » فسرق فجاء صاحبه إلى الإمام ، فقال له : سرق طاووسى ماذا أفعل ؟ فلما غدا الإمام إلى المسجد قام بين الناس فقال : أما يستحى من يسرق طاووس جاره ثم يجئ يصلى ، وأثر الريش على رأسه ، فمسح الرجل الذى سرق الطاووس رأسه ، فقال الإمام أبو حنيفة : يا هذا رد على هذا طاووسه فما كان من الرجل وقد ظهرت إدانته إلا أن رده إلى صاحبه .

وهذه القصة تدل على أن بعض أئمة المسلمين وعلمائهم كانوا يعرفون بعض قواعد علم النفس وأصوله قبل أن يعرف الغربيون ذلك ، وهذا العلم وإن لم يدون فى الإسلام على أنه علم مستقل إلا أننا نجد الكثير من بحوثه ومسائله مبثوثة فى فى بعض كتب الأئمة الأعلام من كتب الفقه ، والتفسير والحديث ، والتاريخ والسير ، والتراجم وقد سبق الإمام أبو حنيفة رجال العصر الحديث الذين يحاولون التوصل إلى الجانى عن طريق الانفعالات النفسية وقياساتها ، وقد أسسوا لذلك مدارس تعرف بمدارس « علم النفس الجنائى » وهذا العلم يدرس عندنا الآن ببعض الكليات والمعاهد التى تعنى بالتحقيقات الجنائية والقضائية ، والجانى مهما حاول إخفاء جريمته فلا بد أن تظهر عليه

انفعالات أو تصرفات من غير قصد عند ذكر الجريمة أو ما يتصل بها إما بتغير فى قسمات الوجه أو التلعثم فى الكلام، أو القيام بحركات لا شعورية ألا ترى إلى هذا السارق قد رفع يده بطريقة لا شعورية ليزيل ما عسى أن يكون على رأسه من الريش حينما سمع مقالة الإمام، ولو أنه فكر قليلا لأيقن أن لا ريش على رأسه، ولكن الشعور بالجريمة لم يدع مجالا للتفكير وصدق القائل: «كاد المريب أن يقول: خذونى».

وما لنا نعجب من علم الإمام بالمباحث النفسية، وهذا القرآن الكريم قد أشار إلى بعض قواعده وأصوله فى أثناء آياته قال عز شأنه فى شأن أعداء الإسلام والمسلمين «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا. ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون»، ويقول فى شأن المنافقين «أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم، ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول والله يعلم أعمالكم» وقد ورد عن سيدنا ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فى تفسير (لحن القول) قوله: «ما أسر أحد سريرة إلا أظهرها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه»، وهذا الذى ذكره ذو النورين يعتبر سبقا لبعض ما يذكره علماء النفس فى مبحث (الشعور) و (اللاشعور) والعقل الظاهر، والعقل الباطن ونحوها.

ولو أن المسلمين استفادوا بهذه الإرشادات والتوجيهات القرآنية، وهذه الأقوال المأثورة عن علماء السلف الصالح لكانوا هم أسبق الناس إلى تدوينه، وتوسعة القول فيه.

ومن الأمثلة الدالة على ذكاء الإمام أبى حنيفة وقدرته الفائقة على حل المشكلات ماذكر فى الكتب التى عنيت بمناقبه، والكشف عن خصائصه ومزاياه وهو أن جماعة من اللصوص دخلوا على رجل فأخذوا متاعه واستحلفوه بالطلاق ثلاثة أن لا يعلم أحدا فأصبح الرجل وهو يرى اللصوص يبيعون متاعه وهو لا يقدر أن يتكلم من أجل يمينه، فجاء الرجل ليشاور الإمام أبا حنيفة، فقال له الإمام أحضر لى إمام حيك والمؤذن والمستورين منهم، فأحضرهم الرجل فقال لهم أبو حنيفة: هل تحبون أن يرد الله على هذا متاعه؟ قالوا: نعم، قال: فاجمعوا كل داعر وكل متهم، فأدخلوهم فى دار أو مسجد ثم أخرجوهم واحدا واحدا، ثم قولوا له: هذا لصك؟ فإن كان ليس بلصه قال: لا، وإن كان لصه فليسكت، فإذا سكت فاقبضوا عليه، ففعلوا ما أشار عليهم به الإمام، وبهذه الطريقة العجيبة التى لا تتفتق إلا عن ذهن حاد، وعقل واسع، توصلوا إلى معرفة الجناة السارقين، وردوا على الرجل جميع ما سرق منه، وفى الكتب التى تحدثت عن الإمام أبى حنيفة من أمثال هذه الحلول الموفقة شىء كثير.

ألا ما أشد حاجتنا ولا سيما فقهاؤنا وقضاتنا إلى الإحاطة بهذه الجوانب المشرقة من سيرة هذا الإمام العبقرى الذى يعتبر من أفذاذ العلم المعدودين.

الدكتور محمد محمد أبو شهبة

هل سُمّيَ النبي صلى الله عليه وسلم "أحمد" بعد وفاته؟

للأستاذ السيد احتشام أحمد الندوى

زعم بعض المستشرقين أن اسم النبي صلى الله عليه وسلم « أحمد » لم يوجد فى زمنه ، وادعوا أن الآية الكريمة التى جاء فيها : « ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد (١) » ، لم تكن موجودة فى القرآن زمن حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن المسلمين أضافوا هذه الآية إلى القرآن بعد سنة ١٣٥ من الهجرة النبوية ، وقد رأوا – أو ادعوا – أن هذا الاسم لم يستعمل من قبل ذلك ، واحتجوا لذلك بالأدلة الآتية :

١ – أن ابن إسحاق وابن هشام قد بينا فى كتابيهما أن اسم « محمنا Mohammna » فى اللغة السريانية هو « محمد » فى الحقيقة ، وهذا هو الاسم الذى يقال له : « بيركليطس Prakletos » باللغة اليونانية ، وأن هذين المؤرخين لم يكتبا اسم النبي « أحمد » فى سيرتيهما ، ولم ينقلا هذه الآية : « ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » .

٢ – أن النحاة وأهل اللغة لم يعدوا عبارة « اسمه أحمد » من اللغة الفصيحة .

٣ – أن اسم « أحمد » قد استعمل وراج بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن كتب القدماء لم تستعمل هذا الاسم للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأن كتب التاريخ والسير والمغازى لم تذكر هذا الاسم ، ولعل اسم « أحمد » قد أخذ من أحد الأناجيل ، لأنه قيل فى موضع منها : " He shall glorify me "

ومعناه أن الرسول الذى سيأتى سيعظم اسمى ويجله ولعل المسلمين أخذوا هذا التعريف من الإنجيل ثم اخترعوا له اسم « أحمد » ، وأن ابن إسحاق لم يرض بهذا الاسم لأنه يشابه ما جاء فى الإنجيل (١) .

وقد كتب الدكتور « عبد المعيد خان » ناظر دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن ، ورئيس قسم اللغة العربية بالجامعة العثمانية مقالا قيما فى هذا الموضوع باللغة الإنجليزية فى مجلة « الثقافة الإسلامية » التى تصدر بالإنجليزية ، نقل فيه هذه الاعتراضات ورد عليها (٢) مما أنقله مجملا فى التعقيب على هذه الاعتراضات التى أوردها المستشرقون على اسم النبي صلى الله عليه وسلم « أحمد » ، فقد حاول المستشرقون بهذه الحيلة أن يحرفوا القرآن ، ويفسدوا الدين مع أن هذا الاتهام لا أصل له ، ولا دليل عليه .

وهذه الأدلة الواضحة ، والحجج الدامغة تجعل هذا الاتهام باطلا ، وتكشف الآثار عن وجه الحقيقة وهى :

١ – من الحقائق البينة أن ابن إسحاق لم يقتبس جميع الآيات المتعلقة بالنبي عليه السلام فى أبحاثه ، ولم يلزم نفسه فى كتابه بأن ينقل الآيات كما زعم المستشرق ؛ فلم يكن هناك داع لنقل آيات القرآن

---

(١) الصف (٦) .

(١) The Muslim World April 1953 "His name is Ahmed" By Montgomemery Watt.

(٢) "Islamic Culture" Quarter by October 1964 Hyderabad Daccan.

فى كتابه ، وبعبارة صريحة واضحة ليس تركه لهذه الآية دليلا على انتحالها ، ثم إن الأمة الإسلامية تعرف من قديم الزمان هذا الاسم ، ولم ينكره عالم من علمائها ، ولا فرقة من فرقها فى أى زمان من الأزمان ، وأى قطر من الأقطار ، بل إن المسلمين قد حسبوه يقينا من أسماء النبي لأنه ورد فى القرآن وأجمعت الأمة أن القرآن لم يحذف منه حرف ، ولم تبدل فيه آية ، ومن ثم نرى أن المسلمين فى العالم الإسلامى كله يسمون أولادهم باسم «أحمد» لشرف الانتساب إليه ، كما يسمونهم «محمداً» ، ولم يشك فى ذلك شاك عبر القرون الطويلة إلى الآن ، ولو كان الأمر كذلك لأبرزه الزنادقة والملاحدة فى العصر العباسى ، ولوعرفه الشعوبيون لحملوا به على الإسلام ولاحتجوا به على أن القرآن محرف ، ولكن هذا المعنى ، أو هذا الاتهام ، لم يخطر ببال أحد لأنه لا يقوم على أساس كما توهم المستشرق «وات» ، فإن ابن إسحاق بين فى باب «صفة رسول الله من الإنجيل» أخبار النبي التى توجد فى الإنجيل ، ولم يكن هناك داع لنقل الآيات من القرآن .

ومن العجب أن يستنتج من هذا الأمر أن ابن إسحاق لم يعتمد على هذه الآية ، لأنه - كما زعم هذا المستشرق - خالها محرفة ؛ فمن أين تسرب إليه هذا الوهم ، أو هذا الزعم ... ؟ .

إن نقله الآيات لايثبت صحتها ، كما أن تركه الآيات لا يثبت بطلانها ! .

٢ — ومما يثير السخرية والازدراء أن يزعم أحد أن هذه الآية ليست بصحيحة من جهة اللغة والنحو فإن من له أقل إلمام باللغة العربية لا يرى فى هذه الآية ما يخالف النحو ، وذلك مما يدل على أن هذا المستشرق ليس له علم باللغة العربية فكيف يتطاول ، على جهله ، إلى أن يتهم القرآن بالتحريف .

٣ — ومن الخرافة قوله : إن المسلمين أخذوا اسم «أحمد» من «الإنجيل» دون أن يعتمد فى ذلك على حجة أو دليل ، أما قوله : إن استعمال اسم «النبي» كان بعد وفاته فهو كذلك قول يدل على الجهل لأن اسم النبي أحمد كان شهيراً فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد استعمل الشعراء هذا الاسم فى أشعارهم ، وذكروا «أحمد» و «محمدا» كليهما وأن حسان بن ثابت نفسه قد استعمل هذا الاسم مرارا ، فكيف يدعى المستشرق «مانت كومرى وات» - مع هذه الأدلة الواضحة - أن اسم النبي أحمد لم يعرف فى زمانه ، بل سمى به بعد وفاته .

لقد عرف الشعراء اسم أحمد وذكروه فى أشعارهم ومنها على سبيل المثال قول عطية بن يغوث :

فوارسنا من خير فرسان أحمد
لهم همة تعلو على همم الدهر [1]

وقول كعب بن مالك :

يرى القتل مدحا - إن أصاب شهادة
من الله يرجوها وفوزا بأحمد [2]

احتشام أحمد الندوى
مدرس بقسم اللغة العربية
جامعة ونكتيشور الهند

(١) مجلة الثقافة الإسلامية أكتوبر ١٩٦١ ص ٢٨٦ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٨٣ .

فلسفات شرقية

الفلسفة الجينية

للأستاذ محيي الدين الألوائي

هى فلسفة هندية قديمة ، بنيانها الزهد والتقشف والتشدد فى العيش والبعد عن ملذات الدنيا وعمادها الرياضيات المتعبة والمراقبة الذهنية الشاقة ، أسس بنيانها ، فى القرن التاسع قبل الميلاد ، الحكيم الهندى الشهير « بارشونات » المولود فى مدينة « بنارس » بالهند . ويقول المؤرخ الكبير اليعقوبى فى معرض الكلام عن الجينية :

إن بارشونات هو المصدر الذى ينتهى إليه الآن سلسلة رجال هذه الطريقة ، ووضع أربعة أصول رئيسية لفلسفته : وهى عدم العنف ، والصدق فى القول والعمل ، وعدم السرقة ، والبعد فى الدنيا عن جميع أنواع المتع والملذات . وقسم أيضا النظام الجينى إلى قسمين : نظام الخاصة ، ونظام العامة .

ويراد بالأول الرهبنة التامة ، والتبتل الكلى والانغماس فى الرياضة الشاقة ، والمراقبة النفسية ، وهو النظام المختص بالرهبان والكهنة ، ويراد بالثانى مساعدة الرهبان فى جهودهم بالأموال وغيرها ، واتباع أوامرهم والإيمان بدعوتهم ، والتمسك بمبدأ عدم العنف .

وساعد هذا التقسيم على انتشار الجينية فى العامة والخاصة بطريقة ملحوظة .

ودامت هذه الفلسفة على هذه الحال بدون توسع فى بيانها وشرح فى تفاصيلها إلى زمن ظهور المبشر الجينى المشهور « مها ويرا » فى القرن السادس قبل الميلاد ، فرفع شأنها ووسع نطاقها ، وترك أثرها فى الفكر الشرقى عامة والهندى خاصة . وإن نظرية عدم العنف التى تعد بمثابة الجوهر الأخاذ فى وشاح الفلسفة الهندية ناتجة عن الفلسفة الجينية .

ولخص أصول ومبادىء هذه الفلسفة وأهدافها فى الوصايا والخطب والرسائل التى وجهها فى مختلف المناسبات أمام أتباعه .

مهاويرا - مجدد الجينية :

« مهاويرا » هو الرابع عشر من سلسلة دعاة الجينية من عهد مؤسسها الأول « بارشونات » ، ولد مهاويرا فى عام ٥٩٩ قبل الميلاد فى قرية « وايشالى » فى ولاية « بهار » بالهند .

وكان أبوه من أمراء القرية ، فنشأ فى وسط حياة هانئة ، وفى حظيرة النعيم ، وكان بيته محط الرهبان والنساك من جميع البقاع ، وجرت العادة أن ينزل عدد منهم فى بيته يقيمون فيه مدداً عديدة ، تحت كنف الإكرام والاحتفاء البالغين .

هكذا نشأ « مهاويرا » الطفل فى بيت له صلة وثيقة بالرهبانية والرهبان ، وكانوا يتلقون فيه كل أنواع الحفاوة والترحيب ، وكان يعيش منذ الطفولة بعيداً عن الترف ، متزهداً فى الملذات والمتع التى يرغب فيها أقرانه .

ولما بلغ رشده قرر أن يعيش عيشة الرهبان المتبتلين الأصفياء . ولكن لم تكن الظروف تسمح له تماما للاقتداء بهدى هؤلاء الرهبان نظراً لوضع الوالد الأمير والعائلة الكبيرة التي تعودت على الترف والبذخ ورفاهية الحياة منذ أمد بعيد ، فتزوج وولدت له بنت ، وعاش كما يعيش أفراد عائلته دون أن يلج باب التزهد والتقشف فلما توفى أبواه واتته الفرصة لتنفيذ رغبته الملحة ، واشتدت فيه بواعث الرهبنة والتزهد والورع والبحث عن الحق طلبا للنجاة الأبدية .

وانتقلت إمرة القرية والعائلة بعد وفاة الوالدين إلى أخيه الأكبر - وكان « مهاويرا » أوسط أنجال أبيه - وعقب وفاة الوالدين طلب « مهاويرا » من أخيه الأكبر أن يصرح له بالانضمام إلى الطريقة الرهبانية ، فخاف أخوه الأكبر أن يتهمه الناس بأنه أساء معاملة أخيه فضاق بالعيش واختار الرهبنة ، وأشار على مهاويرا أن يؤجل رغبته سنة كاملة من موت أبيهما ، فوافق على ذلك بكل سرور ، حتى إذا بلغ الثلاثين من عمره ، وانتهى الأجل عقد احتفال عام اشترك فيه أفراد العائلة وأهالى القرية ، وكان الاحتفال تحت الشجرة المشهورة باسم « شجرة أشوكا » .

وأعلن « مهاويرا » رسمياً رغبته على الملأ وتنازل عن كل ما يملكه من متاع الدنيا ، وخلع ثيابه الفاخرة ونزع حليه وحلق شعره ، وترك الدنيا على أعين الناس ، لئلا يشك أحد فى حقيقة الأمر وصدق الخبر .

وفى أول الأمر صام مهاويرا يومين كاملين ، ثم بدأ يجوب البلاد حافياً وفى زى الرهبان والنساك ، فأمضى اثنتى عشرة سنة كاملة فى السفر والتجوال متأملا فى نفسه ، ومفكراً فى أمره ، ومستغرقاً فى معرفة الحقيقة ونيل العرفان ، وكان حــذراً فى أقواله وأعماله ، بل فى جميع حركاته وسكناته ليلا ونهاراً سراً وجهاراً ، ويطهر نفســه بالرياضات الصعبة والتأملات النفسية العميقة حتى نال العلم الأعلى المعروف بـ « العلم المحيط » - على حد تعبير أتباع الجينية - وبعد سنة من الرياضات والتأملات فاز بدرجة « هادى السبيل » المعروف لديهم باسم « سير تنكرا » ، ثم بدأ يدعو الناس إلى الطريق المستقيم بما يلوح له من الدعوات القيمة والإرشادات النبيلة التى تؤدى إلى الفوز بالنجاة الأبدية .

وكانت دعوته موجهة أولا وقبل أى شىء إلى أقاربه وأسرته ، فدعا أفراد عائلته ، وهم أهل السيطرة والبذخ والرفاهية - فأجابوه بغير جفاء . حتى التف حوله آلاف الأتباع الخواص والعوام ، مهتدين بتبشيره ، وملبين لدعوته ، وصار قطبا لدعوة رهبانية خاصة . واستمرت دعوته الشخصية حتى تجاوز سن الاثنين والسبعين من عمره .

وفى عام ٥٢٧ من قبل الميــلاد ، ألقى خطبته الأخيرة العامة من سلسلة خطبه البالغ عددها خمسا وخمسين خطبة . وعقب إنتهاء الخطبة الأخيرة التى ألقاها فى قرية (بناپورى) التى كانت تدعى قديما باسم (پاپا) فى مدينة (پاتنا) بمقاطعة (بيهار) حان أجله وتوفى بعد أن ترك وراءه تراثا عظيما من الوصايا والموعظة والفلسفة التى تستحق البحث الدقيق لكل من يتطلع إلى الوقوف على حقيقة الأديان القديمة ، والآراء الفلسفية الهندية الأصيلة -

ويدعى الجينيون أن طريقتهم هذه هى الطريقة المتوارثة عن الكاملين أمدا بعد أمد وجيلا بعد جيل ، وما من دورة للكون إلا أتى فيها دعاة لهذه الطريقة ، وتنتهى الدورة الحديثة من الكون (بمهاويرا) .

واشتهرت الطريقة باسمه ، فلا تعرف الجينية الآن إلى منسوبة إلى مبشرها الكبير الأخير (مهاويرا) وهو الرابع والعشرون ، وخاتم سلسلة المبشرين للكون - كما تقول الأساطير الجينية .

تصور الكون فى نظر الجينية :

إن الكون فى نظر الفلسفة الجينية عبارة عن الروح وتأثيرها فى المادة ، وتآلفها بها ومكان التآلف وطارقه ومقوماته وموانعه . وحصروا الكون كله فى تسع مقولات هى الأجناس العالية للكون ، وتسمى أيضا فى اصطلاح الجينيين الحقائق التسع أى (نواتاتوا) وهذه هى الحقائق التسع المعروفة لدى الجينيين :

(١) الحى (٢) اللاحى
(٣) الحسنة (٤) السيئة
(٥) النجاة (٦) التطهير
(٧) الوثاق (٨) العقدة
(٩) مجرى الأفعال

ولهم بيان مفصل ، وتحقيق مدقق حول كل من هذه الحقائق التسع .

الحى : . . ويطلق فى الأدب الجينى على القوة الروحية ومظاهرها : من الحياة والشعور وقوة العمل والحركات ، ويشمل التصورات الذهنية ، وله أقسام مختلفة من حيث الكمال والنقصان ، وهذه القوة قابلة للزيادة والنقص حسب العقيدة الجينية والروح أى « جيدا » لدى الجينيين قسمان : الأول روح مطلقة وهى الروح التى تخلصت من جميع أنواع شوائب المادة ومظاهرها ، وبعدت عن أوساخ الأعمال الفاسدة ، وبقيت على فطرتها الأصيلة دون أن يعلوها صدأ الماديات الفانية ، والثانى : روح مقيدة وهى التى اختلطت بالمـــادة وتأثرت بها وانطبعت بمظاهرها الدنيوية . ويقال للقسم الأول من الروح فى اللغة السنسكريتية « سدها » ، والثانى « نتياسدها » .

وتقول الجينية : إن الروح الواحدة لا تقيم فى جسم واحد أكثر من اثنين وعشرين ألف سنة وأقل مدة للإقامة فيه ثمان وأربعون لحظة أو ما يعادلها . والأرواح تختلف مراتبها ، فهى فردوسية أو جهنمية ، أو إنسانية ، أو حيوانية ، أو نباتية ، أو جمادية ، أو مائية ، أو ترابية ، أو هوائية ، أو نارية ، وكذلك تختلف بالنظر إلى تعدد قوة الحواس فيها ، ذات حس واحد مثل الجمادات ، وحسين مثل الحشرات ، وذات حواس ثلاث كالنمل ، أو حواس أربع مثل الزنابير أو خمس كالدواب أو خمس مع القوة الذهنية أو الفكرية كالإنسان .

وتقول الجينية بوجود أشجـــار ذات أرواح استقرت فيها بعد أن تخلصت من الأجساد البشرية المادية ، حتى قالوا : إن فى الكون بعض الأشجار غير المرئية لشدة لطافتها تسبح فى الفراغ ؛ ولكل منها أرواح غير متناهية ، وهى الروح التى تشعر وتتألم وتسر وتحس عندما تكون فى الجسد الإنسانى ، وهى قابلة للتخلخل والتكاثف .

اللاحى : وينقسم إلى قسمين : الأول ذو الصورة والثانى : عديم الصورة ، أما ذو الصورة

فهو المادة الخالصة ، وأما عديم الصورة فينحصر في ثلاثة أنواع : الخلاء ، والمقام ، والمسافة .

وعرفوا المادة بتعريفات كثيرة ، ويقال لها في الأدب الجيني « بدكال » منها ؟ حاملة للصورة والأخرى المتواردة عليها . وقابلة للاتصال والانفصال وغير متغيرة بذاتها ، وعرضة للشعور ؟ غير شاعرة ، وجواهر غير منقسمة ، وغيرها من التعريفات النادرة الرائعة ، وتنقسم المادة أيضا إلى أجزاء لا تتألف وتبقى منفردة ، ومن المادة ما هو مادة لأجسام كثيفة كأجساد الحيوانات ومنها ما هو مادة لأجسام لطيفة كأجسام الكائنات السماوية ، أومادة لأجسام منتزعة كأجساد المرتاضين الإشراقيين التي ينتزعونها من أنفسهم عندما يريدون وفقا للإرادة الروحية ، وكذلك منها مواد للألفاظ والأنفاس وللأزهار والأفكار والأعمال .

وأما عديم الصورة أي الخلاء أو الفراغ والمسافة والمقام فلكل منها أوصاف خاصة تمتاز عن أخواتها امتيازا وفق الأجسام المتمكنة فيها من الحركة والسكون والانساع والابتعاد .

١ — الخلاء : يقال له « آكاشا » وهو جوهر خارجي ذو حجم وغير مرئي . وهو نوعان : خلاء كوني وخلاء غير كوني ، مقسم وراء الكون .

٢ — المسافة : ويقال لها « دهرما » وهي أيضا جوهر خارجي وراء الخلاء يساعد الأشياء على الحركة والعمل والتنقل .

٣ — المقام : أو « أدهرما » جوهر خارجي وراء الخلاء والمسافة يساعد الأشياء على السكون والاستقرار في مكان واحد ، وبعبارة أخرى ، قسموا عديم الصورة من اللاحي إلى ثلاث ظواهر مستقلة ، فالخلاء هو المتسع ، والمسافة هي ما فيه الحركة ، والمقام عبارة عما فيه السكون .

الحسنة : هي عبارة عن فعل الخيرات التي تبعث على الطمأنينة والأمن الروحي ، ومنها على حد تعبير الجينيين - إطعام المساكين خصوصا الرهبان الجينيين وسقي الماء وغيرهما ، وقسموا الحسنات إلى تسعة أقسام ، وقالوا : إنها تتجزأ إلى اثنين وأربعين جزءا نظرا إلى الطرق التي تؤدي بها هذه الأعمال .

السيئة : وهي عبارة عن ارتكاب الأعمال الخبيثة والفواحش وقسموها إلى ثمانية عشر نوعا ، منها : الكذب ، والسرقة ، والفسق ، والفجور ، والخيانة والطمع وما إلى ذلك ، وأشد أنواع الجنايات وأفظعها لدى الجينيين هو الاعتداء على الحياة ، وبعبارة أخرى العنف والتشدد ووضعوا كفارات خاصة لكل نوع من السيئات ، منها الفقر والزهد في الحياة ومتاعها والتناسخ في قوالب الحيوانات والجمادات وأنواع من النباتات وغيرها على سبيل الكفارات .

النجاة : هي من أنواع الحقائق الرئيسية . وكأنها غاية السكون كله وهدفه المنشود ، هي عبارة عن التطهر من أوساخ العواطف والشهوات الحيوانية والتخلص من قيود الحياة الدنيا والتمسك بالخير والتخلي عن السيئات وارتكاب الشر .

وللجينية تعريف رائع ، وبين النجاة فقد قالوا : إن النجاة طور من الوجود يختلف عن أطوار الحياة الدنيا الفانية ، والفوز بالسرور الخالد الذي لا يشوبه ألم ولا حزن ، ولا هم ، ولا تكون للأرواح الناجية فيه مطامع خاصة ، ولا أهداف

تهدف إليها ، ولهم وصف عجيب للشخص الناجي قالوا : إن الناجي من غير جسد مادي وليس بطويل ولا قصير ، ولا متصف بالسواد والزرق ، ولا بارد ولا حار ، وهو محيط بكل شيء ، وهو مطلق من جميع القيود ، وهو دائما في سرور وطمأنينة . وخلود واستقرار ، ونعيم مقيم ومكانة فوق الخلاء الكوني ، يسكن فيه بدون عائق أو ازدحام ، وليست للنجاة نهاية ، وهي أبدية سرمدية ...

ويعتقد الجينيون أن النجاة الحقيقية لا تحصل إلا بعد عبور المرحلة البشرية ، فلا يتخلص أحد إلا بعد اجتياز هذه المرحلة المليئة بأنواع من العوائق والمصاعب ، ولمؤسس الجينية « مهاويرا » وصف مفصل لهذه النقطة الهامة من الحقائق التي تتألف منها الحياة الكونية ، وقد ألقى « مهاويرا » هذا البيان في شكل نظم ألقاه على أحد أتباعه العظام « كوتم اندرا » وهذه نبذة ومقتطفات من آراء « مهاويرا » حول هذا الموضوع .

إن الحياة كورقة تذبل يوما فيوما ، فإذا جاء أجلها سقطت بنفسها كقطرة ، عمرها قصيرة المطر على ورق العشب ولا ينال الإنسان النجاة السرمدية إلا إذ صادف مولدا بشريا في سلسلة موالده المتكررة ، فالذي للروح لا يتقيد بالهواء والنار والتراب أمداً طويلا وربما يتطور بمظهر الفجوة أو الحشرات أو الدواب ، وفي الحقيقة لا حياة ولا نجاة إلا للبشر ، ثم أردف .. مهاويرا مرشداً لصاحبه « كوتم » أن يفك عنه أغلال الاعتلاق التي تربطه بتناسخ المولد وقد جعل الزهد والرهبة سبيلا إلى النجاة الأبدية وقال له « مهاويرا » في الختام : الآن قد عبرت البحر المحيط فلماذا توقفت في متابعة السير ؟ وما أقرب الشاطيء ؟ فمر إلى الأمام ، وبادر إلى الكمال ، حتى تستقر في دوام السرور حيث القرار ، وفي هذه الكلمة الوجيزة لخص مهاويرا الخطوط الرئيسية لتعاليمه ، ومبادىء وأصول طريقته :

التطهير : وهو عبارة عن إقلاع مادة الأعمال واستئصال مظاهرها الشفافة ، والسبيل المتبع للوصول إلى هذا الهدف المنشود هو القيام بالرياضات الصعبة بدنية ونفسية بوضع منظم ، وفقا لطرق مقررة خاصة ، وعندهم أنواع وأشكال في باب الرياضات النفسية والبدنية ، ويقولون : إن الصوم والإمساك عن الطعام والشراب قيمة جليلة واضحة في الرياضات التي تساعد الإنسان على استئصال مادة الأعمال وصقل الروح والنفس في شتى الميادين .

الوثاق : وهو العواطف والميول الإنسانية : وتختلف باختلاف الطبائع حسب تمدنها وتضخمها وتركيبها الفطري .

أما العقدة : فتطلق على العوائق والعقبات التي تمنعها عن الأعمال وتسد طريقها السوي .

فيكون مجرى الأعمال : عبارة عن الأعمال ومجاريها وآثارها ونتائجها المادية والظاهرية ومنها الحواس الخمس الطبيعية للإنسان .

وللجينيين تعريف طريف للدهر ، ويقال له في السنسكريتية « كالام » يقولون : الدهر جرم خارجي مستمر أزلي دائم وهو عبارة عن استمرار محض ودوام خالص وليس له حجم ولا لون ولا شكل معين وهو ينقسم إلى الأعوام والشهور والأيام ولا يرى ولا يسمع ولا يمشي ولا يشم ، ومظاهر وجوده الحركة والتغير والحدوث والفناء والتطور ؟

محيي الدين الألوائي

تيارات منحرفة في التفكير الديني المعاصر

للأستاذ علي العماري

٨ — محمد رسول الحرية

زيد بن عمرو بن نفيل أحد الحنفاء الذين كانوا يتعبدون على ملة سيدنا إبراهيم ، وقد هجر عبادة الأوثان ، وأطال البحث عن التوحيد الخالص ، ونفر مما كان عليه قومه من باطل وزور .

وقد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال « زيد بن عمرو كان أمة وحده » وقال يجيب سيدنا عمر بن الخطاب — وهو ابن عم زيد — حين سأله عنه : « غفر الله له ورحمه فإنه مات على دين ابراهيم » .

كل هذا حسن ، ولكن مؤلف كتاب (محمد رسول الحرية) يحاول أن يجعل من زيد سلفا للرسول ، يقتفي أثره ، ويسير على نهجه ، فهو يقول متسائلا عن الرسول : (أهو مبشر جديد إذن مثل زيد بن عمرو) ويبدئ ويعيد في هذا المعنى .

بل يبلغ به الأمر أن يضع محمداً صلى الله عليه وسلم في مقارنة مع زيد بن عمرو ، ويصرح في العبارة بتفضيل زيد .

يقول في صفحة ٣٧ من الكتاب بعد أن ذكر أن محمداً كان في إحدى البلاد يعمل أجيرا بإحدى القوافل ، وأن زيداً حل هذا البلد باحثاً عن الحقيقة يقول بعد هذه المقدمة : (وعلى مائدة الطعام رفض زيد أن يأكل ما ذبح تحت قدمي تمثال أحد الآلهة وحاور محمدا ... أما محمد فأكل ، ولكن زيداً آثر الجوع على الشبع من ذبيحة نحرت أمام صنم ، ولم يذكر عليها اسم رب إبراهيم) .

وللقصة أصل في التاريخ ، ولكن رواية المؤلف لها على هذا الوجه سيجعلنا نتهمه بقصد الإساءة إلى الرسول ، أو على الأقل يجعلنا نؤكد أنه لا يعني بتحري الحقيقة عندما يتحدث عن هذا المقام الكريم .

ذكر البخاري هذه القصة ، مبهمة مرة ، ومفصلة مرة أخرى ، ففي الأولى روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم[1] دعا زيدا أن يأكل من سفرة كانت قدمت إليه فأبى زيد أن يأكل قائلا : إني لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه .

وفي الثانية روى عن ابن عمر — رضي الله عنهما — (أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي زيد بن عمرو ابن نفيل بأسفل بلدح قبل أن ينزل على النبي الوحي فقدمت إلى النبي صلى الله عليه وسلم سفرة فأبى أن يأكل منها ، ثم قال زيد : إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه) .

ففي هذه الرواية تصريح بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأكل ، وفي الأخرى إبهام ، فليس ما فيها يدل على أن النبي أكل أو لم يأكل ، فمن البدهي أن تحمل الرواية المبهمة على الرواية المفصلة .

على أن العلماء قد أجابوا عما عساه يفهم من الرواية الأولى ، وكان من إجاباتهم أنها خالية مما يثبت أن النبي أكل .

قال السهيلي : « فإن قيل فالنبي صلى الله عليه وسلم كان أولى من زيد بهذه الفضيلة ، فالجواب أنه ليس

(١) فتح الباري جـ ٧ صـ ١١٢ .

فى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم أكل منها ، وعلى تقدير أن يكون أكل فزيد إنما كان يفعل ذلك برأى يراه ، لا بشرع بلغه وأيا ما كان فقد كان على المؤلف ، وهو يكتب كتابا يشيد فيه بعظمة محمد أن ينأى به عن مقام التفاضل والحق أنى لم أفهم لماذا عنى المؤلف بتسجيل هذه القصة على هذا الوجه

وكما حاول المؤلف أن يجعل النبى صلى الله عليه وسلم مقلداً لزيد بن عمرو وغيره ممن تركوا عبادة الأصنام حاول أن يثبت أن محمداً أخذ (علمه) عن آخرين .

فالنبى صديق أبى بكر ، وأبو بكر - كما يذكر المؤلف - ما زال يقرأ ، ويحفظ كل ما ينتهى إليه ، ويحول رحلاته التجارية إلى فرص لمزيد من الاطلاع حتى أصبح اليوم أكثر فتيان قريش ثقافة ... وفيم كان يقرأ أبو بكر ؟ يجيب : كان يقرأ ما انتهى إليه من كتب الأولين .

وطبيعى - عند المؤلف - أن محمداً - وإن لم يكن يعرف القراءة - كان يأخذ عن صديقه أبى بكر ما قرأه فى كتب الأولين . بل إنه - عند المؤلف أيضاً - أخذ عن الأحبار والرهبان ، فهو يقول : (لقد طالما تحدث محمد بن عبد الله مع صديقه أبى بكر بن أبى قحافة فى هـذا كله - يريد ما عليه قومهما من ضلالات - ولقد رحلا معاً ، وعانيا معاً ، وشاهدا الرهبان والكهان فى بلاد بعيدة ، وسمعا معا من الأحبار) .

وليست هذه فقط مصدر ثقافة محمد ، بل إن فتيان قريش ورجالها كانوا يجتمعون فى ساحة حول رجل يروى لهم حكايات تلهب خيالهم المعذب . وكان محمد قد شهد هذا كله .

وكان نتيجة لهذا كله - عند المؤلف - أن محمداً صلى الله عليه وسلم أقبل ليلا مكانه المرتقب مسلحا بفهم كامل لطبيعة دوره ، وبنظرية كاملة عن الحياة والموت ، وبإدراك كامل لحاجات البشر المعذبين .

فكأن النبى كان يعد نفسه لهذا العمل ، وكأنه قبل أن يهبط عليه الوحى - قد رسم منهجاً دقيقاً لما يريد أن يعمله ، وحسبنا بهذا إبعاداً فى فهم طبيعة الرسالة .

فالنبى لم يتلق علماً عن أحد قبل النبوة ، ولا بعدها إلا عن الله عز وجل ، وقديما ادعى المشركون أنه صلى الله عليه وسلم كان يتعلم من بشر فرد عليهم القرآن الكريم : « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذين يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين » .

* * *

وعلى نهج المؤلف من مجانبة الدقة ، وتحرى الحقائق ساق قصة بدء الوحى على هـذا النحو : (ولكنه فى تلك الليلة من رمضان أغفى قليلا فنام ، فرأى من يعرض عليه كتابا ويطالب منه أن يقرأ ... فقال له : (ما أنا بقارئ) ... ولكنه ألح عليه أن يقرأ ، فسأله : (ماذا أقرأ) فقال له : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » ... وعندما استيقظ من نومه كان يحفظ ما سمعه فى النوم ، ولهو يستوضح حلمه فيما بينه وبين نفسه إذا به وهو بين اليقظة والنوم كأنه يسمع صوتا من بعيد يقول له : يا محمد ... أنت رسول الله ، وأنا جبريل) .

فالمؤلف - كما يبدو من كلامه - يحاول أن يؤكد أن بدء الوحى إنما كان فى النوم ، وأن الذى جاء محمداً إنما هو حلم . وهـذا - كما قلت - تقصير فى تحرى الحقيقة . إلا إذا كان للمؤلف هدف آخر . حديث بدء الوحى حديث معروف مشهور ، روته

كل كتب السنة ، وها هو ذا كما رواه مسلم :

«عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أنها قالت : كان أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه ، وهو التعبد الليالي أولات العدد ، قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجئه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال : ما أنا بقارئ قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ . قال : قلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني ، فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : «اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم» . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره ...» .

والحديث واضح في أن الرسالة إنما جاءت للرسول يقظة ، والعلماء يقولون : إنما ابتدئ صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا تحتملها قوى البشر ، وقال العلماء أيضا : والحكمة في الغط شغله من الالتفات والمبالغة في أمره بإحضار قلبه لما يقوله له ، وكرره ثلاثا مبالغة في التنبيه .

نعم . جاء في بعض كتب السيرة أن ذلك كان مناما ، ولكن المحققين من العلماء ردوا هذا القول ، فلا ينبغي لمن يكتبوا سيرة الرسول بعد هذه التحقيقات أن يتتبعوا بنيات الطريق .

وكما يجمح بالمؤلف خياله في تصوير حياة الرسول يجمح به أيضاً في تصوير حياة أصحابه ، ولعل أشنع ما وقع فيه المؤلف اتهامه لحمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم ، ورميه بجريمة شنعاء .

فقد ورد في حديث صحيح رواه البخاري أن سيدنا علي كرم الله وجهه شكا حمزة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه ــ أعني حمزة ــ جب سنامي ناقتين له ، وبقر خواصرهما ، وأخبر علي النبي أن حمزة في بيت معه شرب من الأنصار ، فذهب النبي مع علي ، وزيد بن حارثة : (حتى جاء البيت الذي فيه حمزة فاستأذن فأذنوا لهم فإذاهم شرب فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يلوم حمزة فيما فعل ، فإذا حمزة قد ثمل محمرة عيناه) .

هكذا أورد البخاري الحديث في أول (كتاب الخمس) ثم أعاده عند الكلام على غزوة بدر ، وزاد فيه ــ والضمير لحمزة ــ (وعنده قينة وأصحابه ، فقالت في غنائها : ألا يا حمز للشرف النواء [1]) .

وكل ما في الروايتين أن حمزة ــ رضي الله عنه ــ كان قد سكر ، في جماعة من أصحابه ، وكانت معهم مغنية تغني .

وقد كان ذلك قبل أن تحرم الخمر ، ولكن المؤلف ــ كما قلت ــ جمح به خياله ، فهو يقول : إن حمزة يعود إلى سلوكه السابق ، وحياته القديمة من الخمر والغزل ، بعد أن انقطع طويلا عن حياة الليل هكذا (حياة الليل) ، وقد عاد (يجرع من متاع الحياة بظمأ غريب) ، لا يرويه شيء .. حتى

---

(١) الشرف ــ بضمتين ــ جمع شارف وهو من المسن من النوق ، والنواء ــ بكسر النون ــ جمع ناوية وهي الناقة السمينة .

لقد ظل ليلة كاملة يشرب الخمر ، مع فاتنتين من بنات إسرائيل ، رقصتا له ، وغنتا ، ومتعتاه ، فغدا على المسجد يتحدث عن جمالها ، ولا يخفى أنه استمتع بهما . كان يتطوح ويتضاحك ، وهو يقبل على المسجد) .

وأخيراً يعلنها المؤلف صريحة ، وهى نكراء شنيعة ، فيرمى حمزة فى عفته ، دون سند أو دليل ، فيقول : (على أن حمزة أفاق لنفسه ، فأعلن ندمه أمام الجمع ، وأقسم ألا يقرب الخمر ، ولا نساء غير زوجاته) .

وإذن فحمزة عند ـ المؤلف ـ كان يفجر بفاتنات إسرائيل . كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا .

حمزة الذى كان قد بلغ الخامسة والخمسين فى ذلك الوقت ، والذى أعز الله به الإسلام مع عمر ابن الخطاب ، يقرب نساء غير زوجاته . والنبى محمد صلى الله عليه وسلم الذى أعلن يوما كلمته الخالدة : (لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) هذا النبى الذى لا يتهاون فى حدود الله . يرى حمزة يرتكب الفجور ، ويراه يعترف ويبكى من الندم فلا يصنع إلا أن (يخفف عنه) ـ وهذه الأخيرة عبارة المؤلف .

وهكذا يسف المؤلف عند الحديث عن الصحابة فعلى ـ كرم الله وجهه ـ فتن بابنة أبى جهل الصغيرة الجميلة الغنية ، ويضعف حين يدخل مكة فيديروا أسه جمال بنت أبى جهل ويطمعه مالها . لقد أعجبك حسنها وفتنك مالها . هذا هو كل ما فى الأمر .

وعثمان ـ رضى الله عنه ـ إنما مال قلبه للإسلام ، لأن محمدا رجل أمين ، ولأنه والد رقية ، وقد وقع منها فى قلبه شىء .

لحب رقية ـ إذن ـ أحد الدوافع القوية التى دفعت عثمان إلى الإسلام ، وعبد الرحمن بن عوف ـ رضى الله عنه ـ وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، اتهم ـ كما يذكر المؤلف ـ من كبار الصحابة بأنه ـ وهو التاجر الغنى ـ ما زال على الرغم من إسلامه يعطف على نفس أفراد طبقته القديمة من أسرة قريش . ما زالت صلاته الشخصية وعواطفه الخاصة أعمق من إيمانه ... وهو لا يأبى القتل لصديقه أمية ابن خلف إلا لأنه غنى مثله .

هذا هو منطق المؤلف . . وله من أشباه ذلك كثير ، حتى عند حديثه عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يحسن اختيار الألفاظ فى بعض الأحايين .

بقيت كلمة واحدة أحب أن يعرفها المؤلف ، وبعض المؤلفين الآخرين ، ذلك أن دخول النبى وأصحابه مكة بعد صلح الحديبية بعام لم يكن للحج ، وإنما كان للعمرة ، فالنبى صلى الله عليه وسلم لم يحج فى حياته إلا مرة واحدة هى حجة الوداع . ولكن المؤلف تبعا لبعض المؤلفين المحدثين يظنون أن النبى حج فى ذلك العام الذى تلا عام الحديبية ، فهو يقول مثلا : (وذو الحجة يقترب) . (هذا هو موسم الحج) . (فقد أقام المسلمون فى مكة ثلاثة أيام وانقضت مناسك الحج) ـ (لقد أتاح لهم هذا الحج أن يحادثوا كثيرين من أهل مكة) ، (وحشد محمد كل الذين صدوا عن مكة فى العام الماضى) يريد عام الحديبية .

هذا ما رأيناه ، وقرأناه فى السطور ، أما الذى وعيناه بين السطور فنمسك عنه ، فربما كنا مخطئين فيما فهمناه ، وإن كانت الدلائل واضحة ، والله يهدينا جميعا إلى سواء السبيل ؟

علي العماري

أرسل الأستاذ الشرقاوى ردا على المقال الأول فى هذا الموضوع سينشر فى العدد التالى لأنه جاء وقت تم فيه طبع هذا العدد . المجلة .

الأدب الفاحش

للأستاذ محمد عباس محمد

قرأت أخيرا خبرا استوقفنى ، وهو أن أدب الانحلال والانحراف الخلقى فى العالم يحتضر وأنه إلى البوار سائر .

هذه الظاهرة الحديثة الملموسة فى الآداب العالمية سببها ما أصابهم من ذعر من جراء حالة الفجور والشذوذ الجنسى التى اجتاحت العالم وبلغت بهم الحضيض ، كما استبانوا سوء تقييمهم الغريزة الجنسية وأنها ليست الدافع الأول لحوادث الحياة ورأوا أن هناك محركات أقوى : إنها القوت ، ويتلوه حق الشعور فى الحياة الحرة .

صح هذا الخبر أو فيه مبالغة من راويه إلا أنه أيقظ فى نفسى أحاسيس طالما جاهدت فى أن أخفف أثرها على أعصابى ، فحفظتها فى صدرى ساتر الأسرار وهى تنتقل بين أضلعى فى كل آن ، والله يشهد أنها جعلت الحياة على نكدا ، وعلى أبناء الشعوب العربية منغصة .

أوحى مدلوله إلى نفسى ذكريات أيام أليمة كنا نعيشها فى حسرة من جراء ما فرطنا فى حق مبادئنا وعقيدتنا وبلادنا حتى أصبحنا لعبة عابثة فى أيدى حكام الدول الاستعمارية الذين لم يتركوا وسيلة فيها هدم لشعوبنا إلا اقترفوها .

وقد رأوا ضمانا لطول استغلالهم لبلادنا وقهرهم لنا السيطرة على عناصر المقاومة فينا ، فأتوا على أجسام الشبان فهدموها بالمخدرات والإغراء الجنسى الرخيص وحولونا عن تراثنا ولغتنا حتى يمتلكوا أرواحنا بعد عقولنا .

فالأجسام باتت عليلة فارغة ، والعقيدة والأخلاق أصابهما العطب وتسرب إليهما الشك والانحراف .

وجذبونا نحو ثقافتهم حتى بات من يتكلم لغة أجنبية هو الراقى ومن يدعو لثقافتهم هو المتدين ، وما قاله الأجنبى هو الصواب وما كنا عليه أطلال ، ومن يستدل به رجعى ، حتى كثر بيننا من يعتقد أن أسلوب معيشتهم هو الأصلح ، وما ورثناه عن أجدادنا غير صالح لأن نطبقه فى حياتنا ، وخير لنا أن نطويه فى دار المحفوظات ، أو نعرضه فى دور الآثار ، وأصموا آذانهم عن الأبحاث القيمة التى أخرجها منصفوهم عن التراث العربى والإسلام ، وسمعوا توجيه رهبانهم وأحبارهم الذين رأوا ـ لكى يخففوا حالة الصراع العقائدى بيننا وبينهم ، وما دام قد عز على بعضنا الهجر ـ أن لا بأس بتطويره حيث إنه سبب تأخر ركبنا عن ركب الحضارة لأنه لزمان غير زماننا . هكذا قالوا ؟ .

وهذا يقال عن الفرنسيين كما يقال مثله وأكثر عن الإنجليز والأسبان والهولنديين والأمريكانيين والطليان ودول أخرى استحلت لنفسها استعمار غيرها من الشعوب الآمنة .

ولكن الله أكبر وهو الحكم العدل واقف للظالم

بالمرصاد فلا يغرنك الدعايات الجوفاء ، إنهم يعيشون وفى داخل نفوسهم نار مشتعلة .

استمع معى لهذا الكلام إنه للسيد القائد الأردنى عبد الله التل جاء فى كتابه عن « خطر اليهودية على الإسلام والمسيحية » :

« سار الشعب الفرنسى فى الطريق الذى رسمته اليهودية العالمية ، طريق الهلاك والخراب . فقد يسر اليهود للفرنسيين الانغماس فى حياة الترف والفجور بحجة المدنية النابعة من باريس ، مدينة (الموضة) السنوية والأزياء وأدوات الزينة وأصناف الخمور الجيـــدة وملاهى الدعارة والانحلال والإباحية والوجودية . وفى أقل من نصف قرن حول اليهود فرنسا إلى ماخور كبير يؤمه جميع طالبى المتعة الحرام من مختلف بقاع الأرض ، وتخنث الشعب الفرنسى وأصبح لا يهمه إلا المتعة والرفاهية التى أوجد اليهود جميع أسبابها ومغرياتها ، وسار الفرنسيون فى طريق الضعف والانحـــلال والميوعة » .

على مبدأ : « تشجيع الانحلال فى المجتمعات غير اليهودية فيعم الفساد والكفر وتضعف الروابط المتينة التى تعتبر أهم مقومات الشعوب ، فيسهل السيطرة عليها وتوجيهها كيفما تريد » .

ومقصدها : « تدمير الأخلاق فى العالم ونشر الرذيلة والفجور والإباحية والتجسس والإرهاب والحروب والفتن على اعتبار أن الكذب والغدر والافتراء من الفضائل » .

والوسيلة : « السيطرة على وسائل الإعلام : الصحافة والإذاعة والسينما والمسارح والملاهى لتدمر بواسطتها أخلاق الشعوب وتخرجها من دينها وتحولهم إلى قطيع أعمى لأهوائهم حتى يصبحوا آلة صماء تخدم الأهداف الصهيونية من حيث يشعرون أو لا يشعرون » .

فى بريطانيا : هذه صورة وأمامى صورة أخرى عن الامبراطورية البريطانية العظمى سابقا وهى التى اشتهرت بيننا بأنها أمة محافظة على تقاليدها المسيحية والحقوق بين أبنائها مصونة ، وعلاقتهم ببعضهم طيبة .

وهذه الصورة فى خبرين ، تستجلى منهما حقيقة حالتهم وتعرف منهما ما يغلى فى بطونهم :

فأما الأول : فهو خبر منقول عن جريدة (الصنداى ميرور) البريطانية تقول فى تحقيق صحفى لها ما ترجمته : « من بين كل ثلاث آنسات بلغن سن الخامسة والعشرين فى بريطانيا توجد آنستان فقدتا عذريتهما إلى الأبد » .

ولا داعى لذكر جزئيات الخبر فإن الله يحب الستر حتى على الباغى ، ويكفى أن أذكر أنه ورد فى ختامه ما يفيد « أنه حامل لحقائق خطيرة وينتهى بصراخ على الحالة التى آلت إليها الأخـــلاق البريطانية » .

وأما الخبر الثانى فظهر فى كتاب صدر فى بريطانيا لطبيبة إنجليزية مشهورة اسمها الدكتورة « دى كوك » صرحت فيه بمعلومات أحدثت ضجة كبرى فى بريطانيا سيما وأن الاتحاد الطبى البريطانى وهو أعلى هيئة طبية ، أقر ما جاء فيه وجميعه يصور الانهيار الاجتماعى ، منه : الماضى المشين للزوجات بلا استثناء وانتشار العلاقات غير الشرعية بين الجنسين وتعداد الأبناء غير الشرعيين الذين يئن من مسئولياتهم المجتمع الإنجليزى ، وتفكك الأسر وتدهور القيم الأخلاقية .

وقفة : هل تتصورون أن ذلك وليد يوم وليلة ، إنه نتاج سنين ، وانسياق وراء موجات من الاستهتار والغفلة . إنه ثمرة عوامل متعددة لها مقدمات مغرية لاهية .

فإن أردتم التفصيل أو إيضاح أكثر ، فاسألوا أرباب الثقافات الفرنسية أو الإنجلوسكسونية أو . أو .. ماذا نقلوا إلينا من آداب أجنبية ، وفلسفات فكرية ، وروايات وقصص تمثيلية و ... و ... ؟! .

واسألوا التاريخ ماذا كنا ؟ وكيف صرنا ؟ .

وارجعوا إلى مقررات مؤتمر الإعلام العربي المنعقد أخيراً بالأردن ؛ سيجيب لكم صوته الذي ارتفع من ممثل البلاد العربية منبها إلى خطورة أجهزة الإعلام والثقافة والدور الذي يجب أن تلعبه في حياتنا وفي مواجهة أعدائنا ، كسلاح لا يقل أهمية عن القذائف والمعدات الحربية : حامية الأوطان .

إن الشباب المنحل المحطم لا يمكن أن يخوض حربا أو يصبر على جهاد .

الخيانة : إما أن تكون الأجهزة معاول هدم وتخريب ! فتلك خيانة . وبيد من ؟ . بيد أخي وأخيك ، وأبي وأبيك ، وأختي وأختك ، وأمي وأمك . فذاك عذر .

وبأي أسلوب ؟ ... بانتهاز غفلة الضعفاء ، وانشغال الدعاة بما هو أكبر ، وبالتغلب على المحافظين المعتزين بالقيم الأخلاقية حيث هم قلة زاهدة . فانتهازية رخيصة .

إن هذه هي الطامة الكبرى ، فالطاقات التي هي ملك للشعب استخدم بعضها في هدم البناء الاجتماعي لهيكل العروبة ، وفساد العقول ، وانحلال الأخلاق وتحطيم العزائم .

والرجال الذين ننتظر منهم الأخذ بيدنا أساءوا إلينا أكثر من عدونا .

الخلاصة : أن الحياة لا تتسع للجدليات والقوى لا يحسن استهلاكها في الصراع بين الإخوان وقد فاتنا الكثير ، وأولى بالنفوس الضارة أن تتوارى عن عالمنا فكفانا ما لاقينا طوال السنين على أيديهم وأيدي أعداء الشعوب العربية .

سر الاندهاش : بعد هذا الكلام الواضح يتردد على نفسي سؤال منذ أكثر من ربع قرن ، طالما شغل بالي وهو : هل هناك رابطة بين ما رسمه اليهود لشعب فرنسا وغيرهم من شعوب الأرض ، وبين ما يرسمه لنا بعض القائمين على الشعوب العربية من توجيه وتخطيط ؟ . أم أن الأمر لا يعدو توارد خواطر ؟ ! ...

إني لا أصدق أنهم لعبة في يد يهودية ، كما استبعد أنها مصادفات وأميل إلى التصديق بأن علة ذلك خداع النفس .

البشائر : إني ألمح في الأفق لافتات صارخة ضد الأدب المكشوف أدب الفراش ، ونقد للقصص الفاضحة في السينما ، وعدم ارتياح للأغاني المراهقة ، وضيق من الإنتاج المعروض للشبان المستهترين وأسمع أصواتا تنادي بالعودة إلى الأخلاق الفاضلة والتخطيط للمبادىء المثالية القائمة على ديننا .

وإن كان الصراخ والنقد والنفرة والضيق والنداءات غير جديدة ، إلا أن ذلك جميعه دليل يقظة ، وحيوية ، وحسن إدراك ـ نحن أحوج ما نكون إليه ليقف بجوار الثورات السياسية والنزعات التحررية ويكون لها أساساً وظهيراً .

محمد عباس محمد

المواسم الإسلامية وصداها في الشعر الحديث

للدكتور سعد الدين الجيزاوى

تشهد الأعوام الهجرية ليالى ذات شأن ، يحتفل المسلمون بها على صورة ما . وبعض هذه الليالى يكون الاحتفال بها عاما ، تشترك فيه سائر الأقطار الإسلامية حكومات وشعوبات وذلك مثل مناسبة المولد النبوى الشريف . وبعضها يلق اهتماما فى بعض الأقطار مثل الاحتفال بأول العام الهجرى ، وليلة السابع والعشرين من رجب بمناسبة الإسراء والمعراج ، وليلة النصف من شعبان . وهناك ليال يكاد الاحتفال بها أن يكون محليا ، يقتصر على أهل المنطقة التى يكون بها مقام واحد من آل البيت الكرام ، أو ضريح ولى من أولياء الله الصالحين ، وذلك مثل الاحتفال بمولد الحسين رضى الله عنه ومولد السيدة زينب ، والسيد إسماعيل الامبابى ... وهكذا ، ومثل مولد السيد البدوى بطنطا ، والسيد عبد الرحيم القناوى بقنا ، وأبى الحجاج بالأقصر ...

والمعروف أن العصور الإسلامية - إلى العصر الفاطمى - لم تكن تعرف من المواسم الإسلامية غير العيدين : عيد الفطر عقب صوم رمضان ، وعيد الأضحى فى الحجة إبان موسم الحج ، ثم ما كان يصحب ليالى رمضان من حفاوة بتلاوة القرآن الكريم ومظاهر الكرم ، وما كان يصحب أيام الجمع من أبهة بخروج موكب الخليفة لصلاة الجمعة فى عاصمة الخلافة ، وما يضفيه هذا اليوم من روحانية خاصة على سائر المسلمين .

وعيد الفطر ، وعيد الأضحى ، هما العيدان اللذان سنهما صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ، وقد وردت فى شأنهما أحاديث كثيرة ، وشرعت فيهما ألوان خاصة من العبادات ، ، مثل صلاة العيد ، ومثل الأضحية ، وتكبيرات التشريق عقب الصلوات فى العيد الكبير ، واستحباب التزاور والتآخى فيهما لحكم بالغة أرادها الله تعالى .

وقد مرت سنوات وسنوات من لدن ظهور الإسلام ، والمسلمون لا يعرفون الاحتفال بغير هذين العيدين ، إلى أن قامت الدولة الفاطمية فى حوالى منتصف القرن الرابع الهجرى ، فعرف المسلمون مواسم أخرى .

والمعروف أن الفاطميين أقاموا دعوتهم على أساس أنهم أحق الناس بخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنهم وحدهم الذين ينبغى أن توكل إليهم حراسة تراثه ، ورعاية شريعته ، لأنهم من سلالته الطاهرة التى تنحدر من السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، وأنهم بهذا أشد الناس حرصا على الإسلام ومبادئه ولا سيما بعد أن أصاب الدولة ما أصابها من ضعف وتفكك على يد العباسيين بسبب تهاونهم ، وتمكينهم للفرس ثم للأتراك من تملك القيادة والتوجيه ، والعبث بما رسمه الإسلام من سياسة عليا .

وطبيعى أن يلجأ الفاطميون للقيام بأوفر قسط من الدعاية فى الميدان الجماهيرى ، لإحياء مآثر

الرسول الكريم وتذكير الناس بالصلات التي بينه وبين آل بيته الأطهار ، والإشادة بفضل بضعته الزهراء وزوجها على بن أبي طالب الذي اعتبروه وصى الرسول الكريم وأحق الناس بالأمر من بعده ، ثم سلالته الحسن والحسين ، ومن جاء بعدهما من ذريتهما حسب ما رتبه الفاطميون من أئمة مقسترين ثم آخرين ظاهرين في مراتب سبع واعتبروا أن عبد الله بن المهدى أول طبقة الظاهرين وأنه جدير بتأسيس الدولة الإسلامية الجديدة التي عرفت باسم « الدولة الفاطمية .

ولقد استغل دعاة الفاطميين ما ذكره التاريخ من أن آل على رضى الله عنه كانوا مضطهدين من بني أمية ، إذ حاربوهم بلا هوادة وقتلوا منهم بلاهوادة ولم يتورعوا عن قتل الحسين بن على . ثم صرفوهم عن أمور السياسة والحكم بشتى الوسائل ، ثم إن العباسيين لم يفتحوا صدورهم للعلويين بل استمروا في مناداتهم وإبعادهم عن السياسة ، ومن ثم أخذ الفاطميون يشيدون بآل على ومآثرهم وصبرهم على الاضطهاد .

وقد رأى الفاطميون أن خير وسيلة للدعاية هي أن يتخذوا من سيرة الرسول الكريم وآل بيته الأطهار مناسبات تكون موضع الاحتفال والإشادة ، تتقبلها الجماهير بنفوس راضية وسرور وقد اختاروا مصر مركزاً لتركيز دعوتهم ، وقيام دولتهم وسط الأقطار الإسلامية ، وهم يعلمون ما في نفوس المسلمين من سرعة الاستجابة لكل نداء يوجه تكون فيه ذكرى للرسول الكريم أو آل بيته الأبرار .

وكانت مناسبة مولد النبي صلى الله عليه وسلم في مقدمة ما اختاروا ، فأحيوا هذه الذكرى العطرة بعد أن تحروا تاريخها في أرجح الأقوال فكان الثاني عشر من ربيع الأول ، وصارت هذه المناسبة موسماً عظيماً يحتفلون به في كل عام ، ثم ظل احتفال المسلمين بهذه الليلة المباركة موضع اهتمام المسلمين في سائر الأقطار إلى يومنا هذا ، وسيظل كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ثم اختاروا مناسبات أخرى عديدة مثل : مولد الإمام على بن أبي طالب ، وزوجه البتول وولديه الحسن والحسين ... ثم الخليفة القائم ، وحددوا موعداً لكل من هذه الاحتفالات حتى ليكاد الناس حينذاك لا يخرجون من احتفال إلا ليدخلوا في احتفال ، ثم أضافوا مناسبات لأيام مشهودة في الإسلام ، مثل ليلة أول العام الهجرى لما فيها من رمز التضحية والفداء ، ثم ليلة الإسراء والمعراج في السابع والعشرين من شهر رجب لما عرفت به من رحلة الرسول الكريم من بيت الله الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى ، ثم ليلة النصف من شعبان .

وقد ذاع عن هذه الليلة أن الدعاء فيها مستجاب إذا تلى بصيغة خاصة عقب صلاة المغرب .

والواقع أن هذه الليلة جديرة بالاحتفال بها ، ولكن لسبب آخر ، وهو أن هذه الليلة قد تم فيها تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة ، وهذا أمر له أهميته في تاريخ الدعوة الإسلامية .

وقد كان هذا التحويل أثناء تأدية الرسول الكريم صلاة الظهر جماعة في مسجد عرف بمسجد القبلتين ليلة الخامس عشر من شعبان في أرجح الأقوال ، حيث نزل جبريل الأمين على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلى بالآية الكريمة : « قد نرى تقلب وجهك في السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها ،

فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » ، فانتقل الرسول الكريم من أول صف ووقف أمام آخر صف فتبعه أصحابه ، لأنهم يعلمون أنه لا يصدر إلا بأمر ربه.

وعندما حاول اليهود بلبلة الأفكار بسبب تحويل القبلة ، ردت عليهم السماء فى تهكم لاذع : « سيقول السفهاء من الناس : ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ؟ قل : لله المشرق والمغرب . يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » .

ولنا الآن أن نسأل :

هل كان المسلمون يجهلون هذه الأيام والليالى التى شرع الفاطميون إحياءها والاحتفال بها ؟

الواقع أن المسلمين كانوا شديدى الحرص على دراسة السيرة النبوية منذ أول عهد الرسالة ، وقد اهتموا بتمحيصها وتدوينها منذ أن عرفوا التدوين فى أواخر بنى أمية ... وقد عرف العلماء والمفسرون كل هذه الأيام والليالى ، غير أن أحداً من رجال العلم والسياسة لم يفكر فى إقامة الاحتفالات بها كما فكر الفاطميون ، إذ كان العلماء منصرفين إلى الدراسة والتمحيص والتأليف ، وكانت الدولة تعتمد على القوة والسلطان زمان بنى أمية ، وقامت الدولة العباسية على ما يشبه دعاية الفاطميين غير أنهم لم يحتاجوا إلى ما احتاج إليه الفاطميون إذ استطاعوا بث دعايتهم سراً بعيداً عن أعين الحاكمين ، ثم كان لمساعدة الفرس فضل فى الإسراع بتأييدهم ، وثم أمر آخر ، وهو أن العباسيين كانوا يخشون شوكة العلويين ، فلو سمحوا لهم بالدعاية لتحول الأمر إليهم لما لهم من المكانة فى نفوس الجماهير .

أما الفاطميون ، فإن أساس دعوتهم كان الإشادة بآل البيت ، فسلكوا كل سبيل يوصلهم إلى هذا ، والفكرة جاءت من الخلفاء أنفسهم ، تأييداً لتلك الدعوة ، وتثبيتاً لها .

ولنا أن نسأل مرة أخرى :

هل أخطأ الفاطميون فيما ذهبوا إليه من تلك المواسم العديدة ؟

إننا لو دققنا النظر لوجدنا أنهم أحسنوا صنعاً للتاريخ الإسلامى - عن قصد أو عن غير قصد - ؛ فإن فى إحياء هذه المناسبات ، وتدارس ما فيها من عبر وذكرى ، لخيراً كثيراً فى استعادة الصور الأولى للإسلام ، والذكرى تنفع المؤمنين ، ولكن علينا فى زماننا هذا أن ننظم إحياء تلك الليالى على صورة تضمن الإفادة منها ، ولقد رأينا الاتجاه إلى تنظيم الاحتفالات فى عهد الثورة المبارك يأخذ صوراً جدية مجدية ؛ فكان المراقص وتجمع المشعوذين رأينا السرادقات تقام ، وتصف الكتب الدينية والاجتماعية والأدبية والسياسية تصف على جوانبها للاطلاع ، وبدلا من حفلات الصفير وتدخين المخدرات أصبحنا نرى التجمعات لاستماع المحاضرين فى سيرة صاحب الاحتفال .

وبعد : فماذا كان من موقف الشعراء إزاء هذه الاحتفالات ؟

قد يطول بنا الحديث ، ويطول كثيراً لو أننا حاولنا أن نتتبع ما أنشده الشعراء فى هذه المناسبات منذ أن عرفت فى عهد الفاطميين إلى يومنا هذا ؛ فإن هذا يحتاج إلى مجلدات ومجلدات ...

وكيفما كان الأمر فإن هذه المناسبات كانت خيراً وبركة على الشعر العربى ؛ إذ كانت مصدراً لفيض قرائح الشعراء : سواء بإظهار الشعور الطيب نحو المناسبة وبيان ما فيها من فضائل . . أو للتقرب والزلفى كما كان يحدث فى تهانى الخديوية والحكام بتلك المناسبات

أو بتصوير الشعور العام أيام المحن وتذكير المسلمين بالأمجاد التي تشير إليها المناسبات ، وحثهم على استعادة تلك الأمجاد ، كالشعر الذي كان ينشده شعراؤنا في مناسبات المولد الشريف ، وذكرى الهجرة ، وبدر .. أيام ضغط الاستعمار على الشعوب الإسلامية ، لاستيحاء صور البطولة من ذكرى تلك المناسبات .

وسنكتفي بعرض نماذج لما قيل في هذه المناسبات من بعض شعراء عصرنا الحديث ، والمعروف أن الشعر في كل فترة من الزمن يأخذ الطابع العام للحياة الاجتماعية والظروف السياسية والتيارات الفكرية والأدبية لتلك الفترة .

ولنأخذ مثلا مناسبة ذكرى الهجرة لنرى كيف تطور الإنشاء فيها بتطور الأحداث ومرور الأيام فالسيد علي أبو النصر شاعر الخديو إسماعيل حينما كان ينشد في هذه المناسبة لا يذكر إلا فضائل الخديو واستحقاقه للمجد .. يقول من قصيدة في عام ١٩٢٠ هـ :

وقد أقبل العام الجديد بسعده
يقول له : أبشر : فلا كانت العدا
له ممن تحيي الوجود ، وجوده
يفيد من استسقى غواديه سؤددا
وما دمت حيا لا أزال مؤرخا
أهنئ الخديوي كل عام تجددا

وحافظ إبراهيم يرفع تهنئة للخديو في عام ١٩٠٤ بمناسبة ذكرى الهجرة يقول فيها :

عسى ذلك العام الجديد يسرني
ببشرى . وهل لليائسين بشير ؟
وينظر لي رب الأريكة نظرة
بها ينجلي ليل الأسى وينير

ولكن بعد أن بدأ الوعي الشعبي يتنبه وظهرت آثار دعوة مصطفى كامل وتحمس الشعب أنشد حافظ قصيدة عامرة بدأها بقوله :

أطل على الأكوان ، والخلق تنظر
هلال رآه المسلمون فكبروا

وهي من خمسة وستين بيتا ذكر فيها أحداث العالم الإسلامي وما أصاب سائر أقطاره بنكبات الاستعمار ومنها قوله .

مضى زمن التنويم يا نيل وانقضى
فقي مصر أيقاظ على مصر تسهر
إذا الله أحيا أمة لن يردها
إلى الموت قهار ؛ ولا متجبر

وفي عام ١٩١٩ إبان انفجار الثورة المصرية أنشد أحمد محرم قصيدة عامرة ذكر فيها فظائع الإنجليز ومطلعها .

حيوا الهلال ، وحيوا أمة النيل
واستقبلوا العيد ، عيد العصر والجيل

ومنها في فظائع الإنجليز :

ما تبصر العين من شيء يلوح لها
إلا رأت عنده تمثال عزريل

ثم يتهكم بوعود الإنجليز ومبادىء ولسن المشهورة في تقرير المصير :

لو قيل : يوم يقوم الناس موعدنا
قالوا : مساويع ، راعونا بتعجيل
قالوا : السلام ، فهز القوم صارخهم
عن منهل بدم الأبطال معلول
واسترسلت ترفع النجوى وتنفثها
أيدي اليتامى ، وأفواه المراميل
ويشرونا بما شن الرئيس لنا
من شرعة ذات تبيان وتفضيل

وفى عام ١٩٤٥ بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها أنشد الشاعر محمود غنيم قصيدة بهذه المناسبة ، وكانت الدعوة إلى توحيد صفوف العرب قد أخذت طريقها إلى القلوب ، قال فيها :

يأيها العام المطل تحية
من خير سكان لخير بقاع
أمل العروبة فيك أعرض جانباً
من سؤدد نبكى على مضاع
أبناء يعرب : لا حياة لأمة
بالذكريات ، بل الحياة مساع
فثبوا إلى الأهداف وثب مغامر
لا واجب قلبا ، ولا مرتاع

وهكذا لو تتبعنا كل المناسبات . خذ مثلا ما جاء فى إحدى قصائد محرم عن مناسبة المولد النبوى الشريف (عام ١٩٣٦ والإنجليز يلعبون بمقوماتنا ويفرضون علينا معاهدة جائرة) .

القوم صم فى السلاح ، وقومنا
مستصرخ يعوى ، وآخر ينعق (١)
إن كنت ذا حق ، فخذه بقوة
الحق يخذله الضعيف فيزهق
لغة السيوف تحل كل قضية
فدع الكلام لجاهل يتشدق
وكن اللبيب ، فليس من كلماتها
شرع يداس ، ولا نظام يخرق
الخيل ، والرهج المثار ، حروفها
والنار ، والدم ، والبلاء المطبق
فتشت ما بين السطور ، فلم أجد
أن الأسود بصيدها تتصدق

ومن العجيب أن الشاعر فى تلك الحقبة من الزمن كان قوى الإيمان بالمستقبل ، وكأنى به يتنبأ فى ختام قصيدته بقيام ثورة الجيش المباركة فى عام ١٩٥٢ إذ قال :

لا بأس من نفحات ربك ، إننى
لأرى السنا خلل الدجى يتألق

ومما جاء فى قصيدة له بمناسبة ذكرى غزوة بدر من عام ١٣٦٠ هـ :

سلام علينا يوم يصدق بأسنا
فيمضى بنا فى كل أمر نحاوله
ويوم تكون الأرض تحت لوائنا
فليس عليها من لواء يماثله
ألا همة بدوية تكشف الأذى
وتشفى من الهم الذى اهتاج داخله
ألا دولة للحق تسلك نهجه
وتصغى إلى القول الذى أنا قائله :
إذا نحن لم نرشد ، ولم نتبع الهدى
فلا تنكروا ياقوم ما الله فاعله

ورحم الله (محرم) فقد استجاب الله رجاءه ، ومن على هذه الدولة بدولة الحق التى قوضت معالم الظلم ، واجتثت جذور الشر والطغيان ورفعت منارة العروبة عالية ، وضربت أروع الأمثال فى التقدم والنهوض للعالمين ؟

سعد الدين الجيزاوى

(١) القوم : يقصد الإنجليز . وقومنا : يقصد الزعماء المتطاحنين . والقصيدة من سبعين بيتا تفيض حماسة وتصويرا لأمجاد البطولات الإسلامية فيما مضى وما ينبغى أن يكون عليه الزعماء .

الأدب بين قديمنا وجديدهم

للأستاذ أحمد أبو الخضر منسي

جاء فى كتاب خزانة الأدب لعبد القادر البغدادى : «علوم الأدب ستة : اللغة ، والصرف ، والنحو ، والمعانى ، والبيان ، والبديع» . يعنى أنك لن تقبض على ناصية الأدب ، وتبلغ منه الذروة حتى تكون ألممت بهذه العلوم الستة وجهدت جهدك حتى تستوى لك . فإذا وقع ذلك واستقام غدوت إلى دواوين كتب الأدب ، وعيون مصنفاته : كالكامل للمبرد ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، والبيان والتبيين للجاحظ ، وخزانة الأدب للبغدادى ، والأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ، ونهج البلاغة للإمام على ، وما صنف ابن المقفع من نفيس الكتب تستوعب منها دررها ، وتستق من أفانينها فتروى .

ونحن فى عجب من أصحاب دعوى الجديد والتجديد فى الأدب ، أيامنا هذه . فقد برزوا إلى الميدان ولهم عجيج ونعيق ، زاعمين أنهم أتوا بما لم يأت به الأوائل ، ولا سيما أولئك الذين خرجوا علينا ببدعة ينكرها الأدب القديم ، والشعر البارع النظيم ، وما بدعتهم تلك إلا شعر جاءوا به بشكر هجين . لا هو بشعر ولا هو بنثر ، بل لم يبلغ أن يسمى شعراً منثوراً ، وإنما هو شىء كالدعى الزنيم فى قومه . قد عرى من جمال الموسيقى ، ومؤتلف الإيقاع ، موسيقى التفاعيل التى لا يمكن أن يطربك شعر وتهتز به جوانحك ، وتغنيه إلا بها .

فوحقك ما ذاق طعم هذه العلوم ، علوم الأدب ودواوينه من أدباء وشعراء هذا الجديد أحد إلا وشلا ، أولم يصب أوفى سهم منه . أما فى اللغة أول علوم الأدب ، فقد أصبحنا نقرأ فى أقلامهم (قفل الجدول) ويريدون أقفل بالهمز ، و (عضوة فى مجلس الأمة) ويجمعونها عضوات ، والعضو لا يؤنث ، و (الرضوخ له) بمعنى الخضوع ، بينما معناها العطاء القليل ، و (الباروكة) ويريدون الشعر المستعار للرأس بترجمة عن الفرنسية (perruque) وهى الجمة أو الجمة المستعارة ، وأشباه ذلك عشرات وعشرات مما أشرنا اليه فى كتابنا (حول الغلط والفصيح على ألسنة الكتاب) .

وأما النحو أس تقويم اللغة واللسان ، وعصام الكاتب ، فانك تعجب للكاتب منهم ، والخطيب والمذيع . فإنه ليحصبك بما يروعك من الأخطاء النحوية . بل لقد قرأنا لهم فيما يكتبون قولهم (لم ولن نستطيع أن) فيجمعون على هذا الفعل المسكين حكمين : الجزم بلم الذى لم يظهر بحذف حرف العلة ، والنصب بلن ، فى حكم واحد !

وما أحسن ما قال فى ذلك الخليفة عبد الملك ابن مروان : (اللحن فى الكلام أقبح من التفتيق فى الثوب والجدرى فى الوجه) .

وكان طالب فى السنة الثالثة فى كلية الآداب بالجامعة المصرية ، يقرأ على مذكرات بالفرنسية فى أحد علومه ، فأقبل يوما فى ساعة درسه لامثاً بادى الهم ، واستأذن فى ترك الدرس فى ذلك اليوم . فقلت : ماخطبك ؟ لقد شغلنى أمرك . قال : لاشىء . وإنما أنا خريج مدرسة ... الثانوية . . . وقد أقام أولو الأمر فى هذه المدرسة اليوم حفلا حاشدا ، يحضره الوزير والموظف الكبير ، وسألقى خطبة

كأحد خريجيها . . فأرجوك أن تحررها لى مكان درس اليوم فقلت : وأنا لا يخالجنى شك فى أنها ليست بالعربية : بالفرنسية طبعا ؟ - فقال غير متلعثم : لا ، بالعربية . عجبت ، وتألمت ، وكظمت ولم أر إلا أن ألبى طلبه ، وأخذ الخطبة ليلقيها فى الحفل شامخ الأنف على أنها من إنتاج قريحته ، ونخيل أدبه ، زوراً وبهتانا !

ألا تعجب ، ويمعن فى غيظك أن يكون هذا الغلام ، وهو واحد ممن يدعون الأدب الجديد ، والشعر الجديد ، وقد أوشك أن يزايل الجامعة ، فيكون مثلا أستاذا يعلم أبناءنا ، أو أديبا يفهق المقالات ؟ فما أس علمه، ليت شعرى؟ وما كنه أدبه ؟ وكيف إنشاؤه وقلمه ؟ فقل ، يا أديب الأمس ، يا أديب الأدب القديم الفحل ، وقد عايشت أدب أصحاب زعم الجديد والتجديد اليوم ، ما قال لبيد :

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم
وبقيت فى خلف كجلد الأجرب

إى وربك . فلولا بقية كريمة هم بين ظهرانينا من كتاب وأدباء مبرزين ، تعرفنهم بنصاعة البيان ومتانة البلاغة العربية ، لكان الأدب مطويا فى رمسه ، ذاهبا مع أمسه .

الجديد ! الجديد ! .. ياويلتا من هذا الجديد ! لوثة وخبال ، وعجز وصغار فمن أراد فى الناس أن يعرف ، وأن يظهر ، ولم يكن عض على العلم بضرس قاطع ، وكان دعياً فى أدب أو فن ، زعم لنا أنه قد جاء بجديد ، وما جديدهم إلا مذق وترقيع ، وما ينعق فينا ناعق بهذا الزعم إلا من سفه نفسه ، وهانت عليه همته .

يا هؤلاء ! إن هذا القديم ، لو تعلمون تراث أجيال طوال ضم جيل خلف إلى جيل سلف جهدا جديدا ، فإذا الجهود ركام بعضه فوق بعض من "فن العجيب المتين ، وبنيان مرصوص من الأدب يروع الناظرين ، فترى الدخيل المدعى الأدب ، إذا حسر وعى دون جزالة القديم وسموه ، راح يتشكك ويتنطع ، وما هو إلا كما قال معاوية (ما تزيد متزيد فى أمر إلا لنقص يجده فى نفسه) .

لقد ولوا وجوههم شطر هذا الذى سموه بجديد دون تدبر ولا وزن ، فكل جديد أمسى فى عيونهم شيئا جميلا ، ولو خالف النصوص والأصول ، بل صاروا وياعجبا ! يتظاهرون بحب الجديد ، ولو كانوا له كارهين ، لئلا ينعتوا بالتأخر ، ويوصموا بالانحطاط !

لقد تراكض إلى هذا الذى سموه بجديد كل مسترخ فاتر الهمة ، يستقرب الموارد ، ويستصعب المطالب يروم السعى من حيث يهون ، والكد من حيث لا يكون ، فكلما ضاق ذرع كاتب ولوى به استرخاؤه وكلما أبى أن الأدب ، كما علمناه ، يتطلب ممن تورد موارده ، الغوص لاستخراج درر اللغة العربية ، وإدمان الاطلاع على كتب اللغة ، وبسطة العلم بأساليب البلاغة المضرية وإطالة الكد فى استيعاب علوم الأدب وفنونه ، ويكون مع هذه الهمة الفاترة فيه والقريحة الكاسدة ، قد تعلم لغة من لغات الفرنج وأولع بها ، غدا إلى أساليب هذه اللغة الأوربية يخلطها بأساليب العربية ، فأقبل يخاطبنا بمذق عجيب ، ويلطم وجوهنا به على أنه تجديد ! ونظير ذلك أولئك المتشاعرون الذين ظلموا أنفسهم ، وظلموا الشعر بانتسابهم إليه ، والشعر برىء منهم . إن مس السماء لا يسر لهم من ذلك ! .

يا هؤلاء . ليس معنى الجديد أن تجعلوا اللغة مسخا ، وأن تعدوا على الجمال فتحيلوه قبحا ، وعلى الفن فتردوه إلى عبث وهوجة . لقد رميتم إلى غير

مرمى، إنما الجديد فرع من القديم وغرس منه. إن يتجه الغصن إلى وجهه فأسه مع ذلك فى أصل الشجرة، ومغرسه فى عروقها ثابت، أما أن يتنكر الجديد لقديمه، ويكون جنساً آخر غيره، والقديم مع ذلك صالح قويم، فذاك ما لا يستقيم بحال. ولا جرت به سنن الطبيعة والاجتماع.

كذلك هو الحال فى الأدب عند الغربيين. ففى فرنسا مثلا، كان القديم، ويسمى كلاسيك (Classique) وحده لا شريك له، هو السائد على أقلام الكتاب، حتى إذا أهل القرن التاسع عشر نبت منه غصن، وسمى ذلك الغصن رومانتيك (romantique) وهو الجديد.

وكان رائده الأول فكتور هوجو وتابعه جان جاك روسو وتلاهما الكاتبان الأشهران شاتوبريان ومدام دوستال، فهل كان الاختلاف بين قديمهم وجديدهم فى اللغة وذات أساليبها، ومحاسن صياغتها كلا. ففكتور هوجو، مثلا، وهو كبير أدباء هذا الجديد، كان أدبه من الروعة فى غاية، وكان قلمه ينثر الدرر الغوالى وبيانه كان الناصع الباهر هو والقديم صنوان مؤتلفان، إلا وجهة هو موليها مع معشر أدباء الرومانتيك، من أنداده ممن ذكرنا أمثال لامرتين، وروسو، وشاتوبريان، ودوماس الكبير، ودوماس الابن، وجورج ساند وألفريد دوموسيه وألفريد دى فينى الذين خلصوا من قيود جماعة الأدب الكلاسيكى.

فماذا كان تحررهم؟ وما جاء به جديدهم؟ ليس إلا أنهم أخذوا بألوان مستحدثة ونهجوا مناهج لم تكن فى الأدب القديم، كالانطلاق فى آفاق الخيال، ومطاوع العواطف الإنسانية، وتغليبهما على العقل وأحكامه، وبروز الشخصية فى أقلام كتابهم، والرجوع إلى أدب العصور المتوسطة، والآثار الخوالى فى ذات بلادهم، والوقوف على الآداب الأجنبية وأميز ما امتاز به أدبهم هذا الجديد، ظهور الشعر الغزلى والغنائى فى أقلامهم هذا مع ما اكتسى به أدبهم من تعابير جديدة بنشأة العلوم المتطورة فى ذلك العصر.

كانت صحافة القديم عندنا، صحفاً ومجلات سوق عكاظ. كنت تقرأ الأعلام الذين أوتوا معجزات البلاغة وسحر البيان فى عربية خالصة ناصعة: أحمد فارس الشدياق، واليازجى، ونجيب الحداد، وأديب إسحق، والمويلحى، وتوفيق البكرى، والمنفلوطى، والسباعى، وولى الدين يكن، ومصطفى صادق الرافعى، ومن إليهم.

إنما الأدب فن، والفن تصرف فى إعمال فكر، وإطالة روية، وإبداع نقش يتلهب ضياء وحسناً. فتخرج الصورة على قدر وافر من الاتقان والرونق، فيها لك متاع واستطابة سمعاً وبصراً. وحساً وإدراكاً. فماذا يؤهلك لذلك إلا الحذق، والجهد، والذوق السليم. فإذا أنت تزف إلينا المقال أو القطعة من أدبك صفيفاً من الكلم الثواقب، والتأليف المحكم، والصنعة البارعة. فهذا، وأبيك، الحسن الذى ما يخرجه للناس إلا الجهد، والنصب، ولطف الذوق.

والأدب رفيع يتسامى إلى الطبقات العلى، ويرتفع بمن يتلوه، إن كان من غير الخاصة، أى هو لا يتهافت ولا يرك، ولا يكتسى ثوب العامية والابتذال. أو يدثر رداء العجمة. بل يرفع سامعه وقارئه إلى الفصيح المبين، والبديع المتين.

أما الزعم بأن الجمهور لا يفهمك إلا إذا هبطت إلى مستواه، كأن تنزل بقلمك إلى السوقية والركاكة وتجرد كلامك من الجمال ومستلزمات الفن، فذاوهم وخطأ محض، فالجمهور إن ترتفع به ارتفع معك

وإن تنزل به، نزل حيث نزلت، ولا يقول ذلك إلا رجل انقطعت علائقه بالأدب الصحيح، وعرى من ملكة البلاغة، ولم يشرب من معين اللغة بالكأس الرويه، ولم يدر أن ما يلتقطه السمع، ويتعاقب عليه من الألفاظ والمعانى، إن فصاحا، وإن سواقط سوقيات، نطقت به الألسنة ولم تنطق بسواه، فالطفل إنما يتعلم الكلام بذات الألفاظ التى طرقت مسامعه، فلو كلمه أبواه بالعامية، كبر واشتد ساعده لا يتكلم إلا بها، ولو أخذ الآباء والمربون أنفسهم على أن لا يكلموه إلا بالكلم الفصاح إلى أن يبلغ تمام نموه، أصبح الفصيح ملكة له واستقام على ذلك، وإن أردته على أن يكلمك بكلام العامة استعصى عليك ونفر نفورا شديدا.

لقد كانت المقاهى البلدية منذ عهد بعيد يحتشد فيها ارهاط من الشعب، خليط من عامة الناس الذين لم يدخلوا مدرسة قط: هذا نجار، وهذا حوذى، وذاك بدال، وما أشبه، يحسون صنوفاً من الشراب الحلال، ويدخنون (الجوزة) والبرجيله فيقضون سواد ليلهم يستمعون إلى القاص الذى استوى على منصة فى صدر المنتدى يقص عليهم قصة عنترة بن شداد، باللغة الفصحى، والشعر العربى الفصيح، وكلهم آذان صاغية انشرحت صدورهم بما سمعوا، وغدوا يروون ما وعوه من هذا القصص الفصيح، بما يقرب من نص ألفاظه الفصيحة لفرط تكراره على أسماعهم، أو ليس جمهورنا، وأعنى به العامة قبل الخاصة، هو الذى يفهم ويطرب بشعر شوقى، وما ماثله مما تغنية أم كلثوم ويغنيه عبد الوهاب؟ أو ليس هو هو الذى كان تغص به المسارح فى عهد النهضة الماضية ليشاهد روايات، شكسبير وغيرها مترجمة إلى اللغة العربية الفصحى

نثرا وشعرا ناصعا جزلا، بأقلام الكتاب المبرزين أمثال خليل مطران، ونجيب الحداد وأندادهما؟

واقرأ الأدب، إن كنت ذا بسطة فى علم لغة أجنبية كالفرنسية مثلا، فانك تجده فى أبهى صورة، وأبرع نقش، وأسمى منزلة حشوه الاستعاره، والمجاز، والمحسنات البديعية. وعندهم من علوم البلاغة، وتسمى ريتوريك (rhétorique)، ما عندنا، فتجد الاستعاره، والتشبيه، والمجاز، والكناية، والطباق، وهلم جرا ويعدون من عيوب الفصاحة مثل ما نعده كمخالفة القياس، والتنافر، وضعف التأليف، والتعقيد اللفظى إلى ما هنالك.

وليت شعرى كيف صرت تسمع بكتاب فرنسا النوابغ وأدبائها العباقرة وتقرألهم؟ أليس لأنهم هم الأعلون عند قومهم، لهم منزلة الإبداع فى التعبير، والإجادة فى الصياغة، وروعة الصناعة فى تصفيف الكلم، ونسج العبارة، أمثال روسو وفولتير، وأناطول فرانس؟

واسمع ياسيدى، ما يقول فولتير فى ذلك: «إن المعانى أكثرها فى قلوب الناس، وقد تجد رجلا من عامة الناس وسوادهم، ما تعلم حرفا ولا تلا كتابا، فتسمع منه الرأى الحصيف، والفكر السديد، ولكنه يلقيه إليك على عواهنه، لا إحسان ولا تزويق، وتسمعه هو عينه من رجل ممن أصابوا حظا من الثقافة، أوتى حلاوة القول، وبلاغة التعبير، فيجد من نفسك مولجا عجبا، وتطرب له طربا جما. وكأن ما جاء به فكر جديد، وأنه لم يكن هو نفسه الذى اسمعك اياه ذلك الرجل الساذج».

لعل فيما أوردتك الحجة الصادمة لفئة منا أرادوا بالأدب القديم، نثره وشعره، السوء. وعسى أن نكون أوعيناها أذناً واعية.

أحمد أبو الخضر منسى

الأزهر بين القديم والحديث

للأستاذ محمد علوى عبد الهادى

احتفل يوم السبت الرابع من ذى القعدة من العام الماضى بافتتاح الدراسة فى القسم العالى بجامعة الأزهر لتكون الدراسة فيه إحياء واستمراراً للأزهر فى قديمه . وإذ شاركت فى الاحتفال وهزتنى فرحة الأخوة من المشايخ الأجلاء بعودة تراث قديم نشئوا فى رحابه وعاشوه شبابهم وصباهم . فقد كان الأمر فى نظرى أعمق وأخطر .

فمنذ اتصلت بى الأسباب بالتعليم الجامعى فى مصر والخارج . ومنذ أن اطلعت على نظم التعليم الجامعى فى النمسا وألمانيا وبعض البلاد الأوربية الأخرى التى كانت تابعة للامبراطورية النمساوية القديمة ، والأسى يملأ القلب لما أصاب أسلوب التعليم وشكله فى الأزهر من تغيير .

فلقد كان نظام التعليم بالأزهر هو النموذج الذى نقلت عنه أوربا فى بداية نهضتها هذا النظام القائم على احترام الأستاذية وإعلاء شأنها وجعل اختيار الفرد لهذه الوظيفة السامية متوقفا على قدراته الذهنية وعلى تحصيله ـ هو النظام السائد الآن فى جامعات النمسا وغيرها من بلاد هذه الامبراطورية السابقة .

فالدراسة فى هذه الجامعات مفتوحة حتى ينتهى الطالب بالاجازة العالية المسماه بدكتوراه الفلسفة . Dr. PHIL وليست هناك مواعيد محددة للامتحانات العامة ، إنما يسجل الطالب نفسه فى إدارة الجامعة للاستماع لعدد من المحاضرات أو الدروس المعملية لا تقل عن ساعات محدودة أسبوعيا من جدول المحاضرات الجامعية الذى تنشره الجامعة فى أول كل فصل دراسى . والفصل الدراسى نصف سنة . وعندما يستشعر الطالب القدرة على الامتحان يتقدم للأستاذ فى أى وقت يشاء ليمتحنه فيحدد له هذا موعدا تخطر به إدارة الجامعة لتوافق عليه والامتحانات نوعين محلية Colloquium وحكومية Rigorosum فالامتحان المحلى وما يعادل الاختبارات الدورية عندنا يعقده الأستاذ أو أحد مساعديه بحضورهما وعادة يكون فى أحد فقرات البرنامج الدراسى كل فقرة على حدة ، أما الامتحانات الحكومية وتعادل امتحان نهاية الدراسة السنوى أو امتحان النقل فتتم بحضور ممتحن يمثل وزارة المعارف مع الأستاذ المشرف ، فى الموعد الذى وافقت عليه إدارة الجامعة وتعلن النتيجة لها ، فيمنح الطالب شهادة بنجاحه إن كان ناجحا . أو يترك للتقدم مرة أخرى إن رسب وعندما يحصل الطالب على عدد من شهادات النجاح فى الامتحانات الحكومية التى تقررها اللائحة يسمح له بإجراء بحوث معملية إن كان من أصحاب الدراسات المعملية أو نظرية إن كان من أصحاب هذه الدراسات لمدة حوالى سنتين (١ ـ ٤ فصول دراسية عادة) يتقدم فى أعقابها برسالة مكتوبة يمتحنه فيها ثلاثة أساتذة كل على حدة فى الجوانب المختلفة المتعلقة بموضوع البحث ويمنح بعدها درجة الدكتوراه .

ويعين طلاب البحوث وحاملوا الدكتوراه عادة فى الجامعة كمساعدين وهى وظيفة تعادل معيد عندنا ومهمتهم مساعدة الطلاب فى تفهم الدروس ، ويتم تعيين المحاضرين من بين هؤلاء المساعدين عقب اختبار عام تجريه هيئة الأساتذة مشتركة ويعين

الناجح فى وظيفة محاضر خاص Privat Dozent ويدوج اسمه فى كشوف المحاضرين أول كل فصل دراسى ويكون مسئولا عن تدريس مقرر بعينه ويسجل الطلاب أسماءهم فى أول كل فصل دراسى لدى المحاضر الذى يروق لهم ، وعادة يأخذ المحاضر الخاص أجره من المصاريف الدراسية التى يدفعها الطلاب فى أول كل فصل دراسى ، وإذا ما أثبت المحاضر الخاص جدارة فى التدريس ، وفى البحث العلمى ، وأصبحت له مكانة وسمعة فى الوسط الجامعى بين الطلاب والأساتذة عين محاضرا رسميا ويحصل على مرتبه من ميزانية الدولة .

ويختار الأساتذة أو رؤساء المعاهد [1] . من بين المحاضرين الرسميين إذا خلا محل أو إذا أثبت المحاضر من واقع أبحاثه وقدراته العلمية جدارته بأن يرأس معهدا من معاهد الجامعة [2] .

قارن هذا بما كان عليه الأزهر فى قديمه .

كان الطالب يسجل[3] اسمه لدى شيخ معين يتلقى عليه العلم فى مادته حتى إذا أنس فى نفسه القدرة طلب من الشيخ إجازته ، فإذا وجده الشيخ كفئا منحه إجازة بذلك يذكر فيها ما تلقاه الطالب وما أتقنه ويختمها بالدعاء له بالتوفيق .

وكان الطالب الذى لا يرغب فى البقاء بالقاهرة يحصل على العدد من الأجازات من المشايخ فى شتى فروع العلوم وفقا لما يعد نفسه له .

أما إذا كان ينوى البقاء فى القاهرة ومزاولة التدريس بالأزهر ، فإنه يلتمس الإذن له بالتدريس وعندئذ يخصص له جانب ويحضر درسه الأول شيوخه وجميع الطلاب ، فإذا انتهى من درسه تعرض لعواصف من الأسئلة والاستفسارات من الطلاب والمشايخ ، فإذا ثبت لها وأثبت قدرته أجيز للتدريس بالأزهر ، أما إذا اضطرب وخانه التوفيق ، عاد ليجلس إلى شيوخه يستزيد منهم العلم .

ألا ترى معى أن النظام النمساوى قد أخذ روح نظام الأزهر وأعطاها شكلا محسنا .

وألا ترى أن الأزهر فى تيارات الإصلاح المتعاقبة منذ سنة ١٨٧٢ حتى سنة ١٩٦١ قد ترك تقاليد عبرت معه القرون ليأخذ بشكل لا روح فيه[1] .

إن قصة الإصلاح بالأزهر - ولست هنا لأرويها فهى معروفة للمشايخ الأجلاء الذين أردت أن أسوق هذا الحديث إليهم - ترتبط أشد الارتباط بقصة الشعب المصرى كله منذ أن بدأت يقظته قبيل عهد الحملة الفرنسية حتى الآن ، وهى قصة تشابكت فصولها واختلطت أحداثها واختلطت الأسباب بالمسببات ، وقد نشأ عن عدم وضوح الرؤيا أن ضلت كثير من حركات الإصلاح السبيل .

---

(١) يسمى القسم معهدا ويرأسه أستاذ المادة ويكون مسئولا عن إدارة شئون الدراسة والأبحاث والأساتذة والمحاضرين وللساعدين أن يقوموا ببحوثهم داخل المعمل ويجوز لهم أن يقدموا الخبرة والمشورة إلى الهيئات الخارجية بأجر لهم ، وفى كلية الطب يجوز لهم استقبال مرضاهم الخصوصيين فى مستشفيات الجامعة وفى عياداتها الخارجية ويحصلون على ٩٠٪ من الأجور التى يدفعها المرضى للعلاج .

(٢) قد يسمى أحيانا الأستاذ فى هذه الحالة أستاذا زميلا Assotcie Parofessor

(٣) كان تسجيل الأسماء تقليدا متبعا منذ بدأ ابن النعمان محاضرته الأولى فى الأزهر سنة ٩٧٢ .

(١) من بين تقاليد الحلقة التى نبذت فى حمى الإصلاح ما خلفه الأزهر من تراث على يعرف « بالأمالى » وهى مجموعة الدروس أو المحاضرات التى كان يمليها المشايخ ويقيدها المستمعون فى أوراقهم ثم ينشرونها بعد اعتمادها من الشيخ ، وهذا النظام كان معمولا به فى الجامعات المصرية لعهد قريب حيث كان يقوم الطلاب بطبع محاضرات الأساتذة فى ملازم كما يقوم بعض الطلاب بالجامعات الأجنبية بطبع محاضرات الأساتذة وبيعها لزملائهم .

ولما كان السيد الرئيس « جمال عبد الناصر » قد نقل حركة الإصلاح من صفوف المصلحين المغلوبين على أمرهم ، إلى كرسي الحكم وصولجان القوة ، فإن حركة الإصلاح التي أشعلها قد أضاءت العالم العربي والإسلامي والإفريقي ، فتلفت إلى مصر يستمد منها العون والمدد والتأييد وأي شيء في مصر أشهر من الأزهر وأثبت مكانه في قلوب الناس في مشارق الأرض ومغاربها ، لذلك لم يكن غريباً أن تساط الأضواء على الأزهر وتبرز الحاجة إليه ليساند دعوة الإصلاح والتحرر والجد ، وليعد لها من يقودها ويغذيها .

ولهذا فمسئولية الأزهر الآن لم تصبح مجرد دوره التعليمي على جلالة شأن هذا الدور ولا كونه مستودع الفتيا ودار البحث والاجتهاد .

ولكن الأزهر مسئول الآن، ولعله يحمل الآن وحده هذه المسئولية، هو مسئول أمام الله وأمام هذا الجيل والأجيال القادمة ، عن « إعادة البعث » إعادة بعث روح الإسلام تلك الروح التي عمرت جوانبه وملأت جوانح المسلمين من قبله فانطلقوا عبر الصحراء ، لينشروا في العالم رسالة المحبة والسلام والعزة والكرامة والقوة .

هو مسئول أن يقدم للإنسانية جمعاء : الإسلام روحا حية متحررة ، تواجه مطالب الحياة وتحل أزمات الفرد والأسرة والجماعة ، وترسم الطريق للإنسان المسلم ليشق سبيله في هذا العصر وسط زحام التيارات والأفكار المذهبية المستوردة أو التي رسبتها أحداث القرون الماضية ووسط احتياجات المجتمع "صناعي الغريب على فقهاء المسلمين الأوائل وبين شرور المفاتن التي يبثها أعوان الشيطان في كل وقت وآن لتملأ سمعه وتشد بصره .

وبعث هذه الروح وإشاعتها في الناس ، رسالة سامية ، أمانة في عنق كل مسلم قادر .

والأمر لها ، يستدعي أن تجتمع القلوب وترضى وأن تشرق النفوس بضياء المحبة وأن ينطلق الجميع رحماء بينهم ليجتمعوا على تحقيق هذا الهدف .

وأن يتسامح كل عن بعض ما يظنه صوابا أو أصولا ، فلا يضيق المنهجيون بترك الصورة إلى المضمون ، ولا يلزم أن يضيق أهل « الحقيقة » بالتمسك بالشريعة .

وإذا كان إهدار الحلقة والانتقال إلى المدرج قد اعتبر في عرف أقوام إصلاحا أنكره قوم آخرون ، فلعل افتتاح الدراسة في القسم العالي لا يضيق به قوم ويفرح به أقوام .

ولعل التقاء النظامين معا ، يعني معنى آخر . هو بلا شك إضاءة مستنيرة واعية ، تسمى المرونة تحقق لكل نفس هداها فلا تبيت نفس على هوى وتنطوي أخرى على مرارة ، بل يجد الجميع في النظامين شفاء .

والأهم بعد ذلك أن يستشعر الناس حرية العلم وحرية التعليم . وتتخلص الأجيال المقبلة مما عاناه هذا الجيل من صراع حطم طاقات هذا الشعب وأوقف تقدمه منذ بدء يقظته الأولى حتى قيام الثورة .

والسبيل إلى ذلك ليس مجرد العودة إلى الحلقة كما سبق القول بل هو في انبعاث روح جديد. وحتى يتهيأ هذا الانبعاث ، يقتضي الأمر وقفات طويلة من التأمل ، تحلل فيها أحداث التاريخ لنتلمس الطريق وسط متاهاته إلى مصدر الداء الذي أصاب المسلمين بالوهن ، فإذا عرف الداء أمكن التماس السبيل إلى الدواء ؟

محمد علوي عبد الهادي

العلم لا يغني عن الدين

للأستاذ محمد ابراهيم الجيوشي

نحن والحمد لله نملك أثمن ثروة من المثل والقيم والمبادىء في العالم . وهي ثروة قادرة على تحقيق سعادة الإنسان ، وعلى أن تهيىء له الاتزان النفسي والرقي الفكري إلى جانب السبق الحضاري ، والوقوف على أسرار الكون وكنه الحياة ، ولكننا لم نقف على حقيقتها وقدرتها على صنع سعادة البشر وتحقيق رفاهية الإنسان على هذه الأرض .

ولهذا كان لا بد لنا أن نتزود دائما من هذه المبادىء بما يمكننا من الوقوف في وجه المغريات في قوة لا تعرف الخور ، والرد على الطاعنين والمتعصبين والحاقدين حينما يتناولون ديننا بالغمز لا أن ننظر نظر البلهاء ، ونحن نستمع إلى الطعن في ديننا والازراء على عقائدنا ، وهي في الواقع افتراءات لا تمت إلى الحقائق بصلة .

ولكي نكون منصفين لأنفسنا قبل إنصافنا لغيرنا نرى لزاما علينا أن نستعرض الخطوط العريضة لأساليب التربية في العالم ، ونضع بإزائها أساليب الإسلام في تربية الأفراد ، وإعدادهم للحياة .

أما هذه الأساليب فنراها تركز على جانب من جوانب القوى الإنسانية ، وتهمل بقية الجوانب الأخرى ، فبعضها يركز على تربية القوى الجسمانية وبعضها يركز على تربية القوى الروحية وبعضها يركز على تربية القوى الفكرية في الإنسان ، وهذه النظرات التي تلونت على أساسها أساليب الإعداد والتوجيه تبعاً لاختلاف المبدأ الذي صدرت عنه لا يمكن أن تعد الإنسان السوي الذي يعمق إحساسه بمعاني الإنسانية النبيلة وقيمتها العليا من غير تفريق بين جنس وجنس ، ولا بين لون ولون .

ومما لا شك فيه أن الاتجاه السائد في أمم الحضارة الغربية من الاهتمام بالناحية الفكرية والسير في طريقها إلى أبعد الغايات قد حقق للإنسان تقدما حضاريا باهراً ، ومكنه من التحكم في قوى الطبيعة والوقوف على أسرار الكون .

ولكن هل استطاع هذا السلاح الجبار الذي سخر له كل قوى الكون أن يبسط عليه جناح الأمن .

إن الإنسانية في عصرها الحضاري الزاهر لازالت تتوق إلى لحظات تنعم فيها ببرد السعادة ، وتبعد عن أحلامها أغوال القلق المدمر الرهيب ؛ وإذا كانت هذه هي نتيجة هذه الأساليب ، فماذا عند الإسلام ؟ وما الذي يمكن أن يقدمه للإنسانية لينتشلها من هذا اللج المتلاطم الذي أغرق سفينة أمنها واستقرارها ؟

إن علينا أولا - قبل أن ننتهي إلى الإجابة عن هذا السؤال - أن نبحث عن الخطة التي رسمها الإسلام للإعداد والتوجيه ، وأن نتعرف خطوطها النظرية ، ونعرض بعض تطبيقاتها العملية ، لكي نرى إذا كان من الممكن حقاً أن يحقق الإسلام بمنهجه للنفس الإنسانية التقدم والرفاهية ، والسلام ، أو أنها دعوى لا يسعفها التطبيق العملي .

ونبادر فنقول : إن الإسلام ينظر إلى الإنسان نظرة شاملة تتناول كل جوانبه المختلفة ، ويشرع لكل منها ما يحقق لها النمو والاطراد إلى جانب الاتساق التام مع بقية الجوانب الأخرى ، والتعاون

مع كافة القوى العاملة فى النفس الإنسانية من غير أن يسمح بطغيان واحدة منها على الأخرى .

إنه ينظر إلى الإنسان : جسمه وعقله وروحه ، إلى حياته المادية ، والروحية ، وألوان نشاطه فى شتى ميادين الحس والعقل والروح .

وعن طريق النظرة الشاملة ، والتناسق بين القوى المختلفة فى النفس الإنسانية يحقق الإسلام التوازن النفسى للبشر ، وهو الدعامة الأولى التى لا بد منها لكى نبنى فرداً سوياً ، ومجتمعا قوياً ، وأمة فتية .

وإنما كان ذلك كذلك : لأن الإسلام دين الفطرة ومبادئه أوحى بها من يعلم خفايا النفوس وأسرارها . فطرة الله التى فطر الناس عليها ...

أما وسائل النظم الأخرى ، فهى من صنع البشر ، والناس مهما بلغوا من المقدرة الفكرية لا يستطيعون أن يتخلصوا من سلطان الوراثة ، ولا من أثر البيئة ، فأى توجيه أو تخطيط أو تفكير إنسانى ، إنما هو خاضع لمؤثرات البيئة والوراثة من غير أن يشعر صاحبه ، وليس ذلك عيبا فيه ، لأنه بذلك يصدر عن الطبيعة التى فطره الله عليها .

وآية ذلك ما نراه من الصراع الرهيب بين معسكرات الأرض التى تتنازع على سيادتها والتحكم فيها ، وسبب ذلك كله أن النظرة التى بحثت فى آفاق العلم ، وجابت فى نواحيه لم ترتبط بمثل أعلى تسعى إليه ، ولم يكن عملها هذا استجابة لدعوة أخرى هى دعوة الله إلى التفكير والعمل ، ومراقبته حينما تفكر وتعمل ، وهذا هو الفيصل بين الإسلام وغيره من النظم .

فكل عمل أو تفكير أو سعى فى الإسلام مرتبط بالله مقصود به وجهه سبحانه سواء كان فى ميدان الجسم أو العقل أو الروح ، والعبادات الإسلامية كلها تجمع بين هذه المعانى وتبرز هذه الخطوط ، وما ذلك إلا لأن العقل والروح والجسم وحدة يتكون منها الإنسان . حقا إن لكل منها ميدانه ومجاله ، ولكنها مع ذلك لا ينفك واحد منها عن الآخر ، وأول ما ركز الإسلام ركز على الجانب الروحى ، لأن النفس إن سلمت طواياها ونظفت حناياها ، واستضاءت بصيرتها سارعت إلى جلب الخير للإنسان وتفانت فى تقديم العون له ولأمر ما ركز الإسلام على تحقيق السلام الداخلى للنفس الإنسانية لأن الإنسان إذا كان مدفوعا من داخله بالرغبة فى السلام انعكست هذه الرغبة على على أعماله كلها ، وأصبح يسيرا على الناس أن يحققوا السلام بينهم ، وهذه القوة الدافعة الموجهة هى التى يسميها الباحثون المحدثون (بالضمير) ولعلماء الإسلام بحوث مستفيضة فى هذه الجوانب ليس المجال محتملا لها - ولعل فى قول النبى صلى الله عليه وسلم « ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » أقول لعل فى هذا القول المضىء الموجز ما يشير إلى التفسير الذى ذهبنا إليه .

وإلى جانب عناية الإسلام بالجانب الروحى فى تربية المسلم وإعداده نبه إلى العقل وقيمته فى إدارك الحقائق ، والتعويل عليه فى معرفة الكون والحياة ، واتخذ القرآن منهجا فريدا فى التدليل على قدرة الله والإقرار بربوبيته ، وذلك بلفته الأنظار إلى بدائع مخلوقاته فى السموات والأرض ، وأثر حكمته فى تقدير الأمور وضبطها ، ثم التعقيب على ذلك بلفت الإنسان إلى التفكير والتدبر والبحث حتى يقف على سر الكون وكنه الحياة ، فيبنى ويشيد

ويعمر ويخترع ، ويجوب آفاق المجهول ، ولكن ليحقق سعادة الإنسان ويعمر فى الأرض ، ويحظى برضا الله الخالق البارئ المصور .

ولنلق بأسماعنا إلى بعض آيات الكتاب الحكيم التى تهدف إلى هذه الغاية ، يقول سبحانه فى سورة (ق) : « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ، ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ، والنخل باسقات لها طلع نضيد ، رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج » .

وما أجدر الشباب أن يمضى على الطريق ويحمل الراية ، ويبنى كما بنى الأسلاف على أساس أصيل من دعوة القرآن إلى المعرفة ، ووقف هذه المعارف على خدمة الإنسان ورفاهية البشر ، بدلا من أن تكون سلاحا يدمر حياته ويقضى على أمنه واستقراره .

أما الجانب الأخير فلم تكن عناية الإسلام به أقل من سابقيه ، فكما نشد الإسلام الإنسان القوى الروح ، وهيأ السبيل ليأخذ العقل سبيله السوى إلى البحث والدرس والتأمل والإبداع وربط كل ذلك بالمثل الأعلى ، واعتبر كل جهد فى هذه السبيل عبادة يتقرب بها إلى الله ، وعملا ينال المرء به ثواب خالقه ، كذلك دعا إلى أن يكون المسلم قويا فى بدنه وأعضائه سليما من النقص والآفات والأسقام فوجه المسلم أولا إلى أن يتخير لأعقابه فقال : « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس » وبهذا التوجيه كشف عن أثر الوراثة فى الأجيال بل زاد على ذلك حينما أشار إلى أن زواج الأقارب ربما يكون سببا فى ضعف النسل وقد أكد العلم الحديث هذه الحقيقة وقال : إن التزوج بالقريبات يجعل الأولاد عرضة للأمراض أكثر من التزوج بغير القريبات ، وقد سبق الإسلام إلى ذلك منذ أربعة عشر قرنا حينما قال على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم : « اغتربوا لا تضووا » أى لا تضعفوا .

وبعد ما وجه إلى الأساس السليم الذى تنشأ على أساسه الأجيال المتعاقبة ، دعا إلى التربية السليمة والإعداد القوى لتكون الأجيال أصح أجساما وأقوى بنيانا ، وشجع كل ما من شأنه أن يحقق هذه الغاية من غير عدوان أو ظلم حتى قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل ، بعد أن سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « إن لبدنك عليك حقا » ونهى هؤلاء النفر الذين تعاهدوا أن يقوموا الليل ولا يناموا ، ويصوموا ولا يفطروا ، ويجتنبوا النساء بقوله : أما أنا فأصلى وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » ، فهل استبان لنا بعد ذلك أن الإسلام قادر على تلبية حاجات الروح والعقل والجسد وأنه سن من النظم التربوية ووسائل الإعداد ما يجعل المسلم قويا فى روحه فيتحمل المصاعب ، ويتغلب على العقبات ، قويا فى عقله ، فينشئ ويعمر ويبنى ويبحث ويكتشف ويخترع ويحقق السعادة لبنى الإنسان ، قويا فى بدنه فلا يكسل ولا يخمل ولا تنتابه العلل وتنهشه الأسقام حتى قال نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » ؟

محمد إبراهيم الجيوشى

الدراسات الإسلامية وعلاقاتها بالتشريع القانوني

للأستاذ عباس طه

أكثر ما اهتم به المسلمون من فروع المعرفة الإسلامية هو درس القرآن والحديث ، وتركزت الدراسة بادىء ذي بدء على استخلاص القوانين والأحكام الشرعية ، فبعد عصر الرسول صلى الله عليه وسلم دعت الحاجة وتجدد الحياة إلى استعمال الرأي في كثير من المسائل ، وكان لا بد - ليكون الرأي إسلامياً - أن يرتكز على القرآن والحديث حتى لا يكون رأياً شخصياً منبتاً عن أصول الإسلام .

وبعد أن اتسعت الفتوحات وتنوعت المراكز العقلية تباينت البيئات وتباين تبعاً لها اتجاه الفقهاء ، وأبرز ما ميز اتجاهاتهم هو حظوظهم المختلفة من الأحاديث ومقدار ما صح منها لدى مجتهد أو فقيه ، فالبيئة الحجازية توفر لها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة أعماله ما لم يتوفر لأية بيئة سواها ، وبيئة العراق واجهت من مشاكل الحياة وأعمال الزراعة ومستلزماتها ما لم يواجهه الحجازيون ، وكانت الفترة التي سبقت تمذهب المذاهب وظهور الأئمة المجتهدين فترة فتيا يرجع فيها إلى البارزين من رجال الفقه والدراسة الإسلامية القانونية ، وفي القرن الثاني ظهر عدد من المجتهدين كان لكل منهم أتباع قليلون أو كثيرون ، واختلف المجتهدون في مدى تقيدهم بالآثار أو جرأتهم على استعمال الرأي كما اختلفوا في مدى التضييق والإباحة ، ونظر بعضهم إلى حاجة الناس وتطور الحياة ونظر آخرون إلى مبدأ الحيطة والبعد عن الحرام فاتسعت المسافة بين مذهب وآخر ، ثم بدأت هذه المذاهب تقل باندثار بعضها حتى انحصرت في المذاهب الأربعة المعروفة ومذهب داود الظاهري الذي عاش فترة أطول ، ثم فشل أتباعه ولا يزال منهم بقية إلى اليوم .

أما المذاهب الأربعة المشهورة فأقدمها هو مذهب أبي حنيفة - وهو المذهب الذي كفل لحرية الفكر المكان الأول وهيأ مجالا واسعاً لأعمال الرأي والاعتماد عليه .

وقد ولد أبو حنيفة النعمان صاحب هذا المذهب بالكوفة عام ٨٨ هـ ، وكان جده من الموالي الفرس . وكان من المنتصرين للعلويين ، ووضع بضع رسائل صغيرة ، وجمع تلاميذه من بعده مجموعة الأحاديث التي كان يعتمد عليها في أعماله الفقهية ، كما وضع مؤلفاً في العقائد لا يثق الكثير من المؤرخين بنسبته إليه .

وعلى الرغم من أن أبا حنيفة لم يكن مؤيداً للسياسة العباسية لقيت تعاليمه لديهم رواجا ووصلت على يد تلاميذه الأول إلى مرتبة الحكم واتخذ الصبغة الرسمية إبان عصره .

وأبرز تلاميذه وأولهم هو أبو يوسف المتوفى سنة ١٨٢ هـ ، وهو صاحب كتاب الخراج الذي أهداه إلى الخليفة هرون الرشيد ، وتولى القضاء ببغداد في عصر الرشيد وعصر المهدي .

ونال هذا المذهب تصفيته الأخيرة على يد محمد

ابن الحسن الشيبانى وهو ممن تفقوا على أبى حنيفة نفسه فى بادىء الأمر، وأتم الدراسة على أبى يوسف، واختتمها فى المدينة على الإمام مالك مؤسس المذهب المالكى المعروف بتمسكه بالحديث. وكان لهذه الدراسة أثر فى اجتهاده فخالف فى بعض المسائل أستاذيه وتوفى سنة ١٩٠.

وقد اهتمت الأجيال المتعاقبة بتكملة بناء هذا المذهب الحنفى وكثرت فيه المؤلفات فلما قصر القضاء الشرعى فى مصر عليه نال اهتماما أكثر وكثر أتباعه ومقلدوه واشتهرت فيه مؤلفات الكمال بن الهمام والقدورى ولا تزال كتبهما تدرس إلى الآن وتعتبر مرجعاً هاما فى المذهب.

والمذهب التشريعى الثانى ظهر به مالك بن أنس بالمدينة وتوفى مالك سنة ١٧٩ هـ.

ويختلف مالك عن أبى حنيفة فى جعله الحديث قبل كل شىء مرجع الأحكام والتشريع وترك مؤلفه الكبير الشهير المعروف باسم الموطأ ولم يحو كل الأحاديث التى أخذ بها كما أنه كان يسقط منه أحاديث لا يطمئن إليها ولوجوده فى المدينة المنورة ووفرة الحديث حوله ومعرفة الكثير عن أحوال النبى وأعماله اعتمد على الحديث واتخذ عمل أهل المدينة قاعدة يعتمد عليها فى بناء الأحكام. وانتشر مذهبه فى غرب العالم الإسلامى وخاصة فى شمال افريقية وفى الأندلس، ووضع تلميذه عبد الرحمن ابن القاسم كتاب المدونة وهى متنازعة بينه وبين أسد بن الفرات ولكنها قوام المذهب فى دراسته ثم وضع أبو زيد القيروانى رسالته المشهورة خلال القرن الرابع فنالت رواجا واسعاً.

وتوفى أبو زيد سنة ٣٩٠ هـ.

أما المذهب الثالث من المذاهب السنية المعروفة فهو مذهب الشافعية أسسه محمد بن إدريس الشافعى وكان يطلب العلم أول أمره على الإمام مالك فلما فرغ منه اتجه إلى العراق ثم إلى اليمن حيث تعرض لتهمة سياسية سيق للمحاكمة عليها فى العراق فأقام به فترة.

وقد قامت بينه وبين محمد بن الحسن الشيبانى مناظرات معروفة كشفت عما يمتاز به الشافعى من مهارة وذكاء وقدرة على استنتاج الأدلة وتعمقه فى درس الآثار.

ومذهبه وسط بين المذهبين الأولين يأخذ بجانب من الرأى وجانب من الآثر ووجد مذهبه أنصارا فى جهات عديدة وبقى من مؤلفاته كتابه الأم الضخم وهو مجموعة من الرسائل رواها تلميذه البويطى وكان وقد وضع رسالته الأولى بالعراق ثم عدلها فى مصر وأقام عليها مذهبه الجديد.

ويجمع هذه المذاهب الثلاثة نوع من التسامح وجمع بين الرأى والحديث ثم جاء المذهب الرابع على يد أحمد بن حنبل وهو شديد التقيد بالحديث قليل الأخذ بحرية الرأى وقلة تسامحه سببت قلة أنصاره.

وأحمد بن حنبل تلميذ للشافعى ببغداد ويعد من المحدثين وقد لقى محنته المشهورة على يد المعتصم لامتناعه عن القول بخلق القرآن.

وقد قل أنصار هذا المذهب وكاد يضيق جداً حتى أتيح له أن يحيا على يد محمد بن عبد الوهاب بالحجاز.

ومن مجموع هذه المذاهب الأربعة الآن يمكن أن نستخلص مجموعة واسعة منظمة من القوانين التشريعية بمختلف جوانبها وهذه الثروة فى القانون الإسلامى مما لم يتوفر مثلها فى أية نحلة أخرى؟

عباس طه

من بحوث مجمع البحوث

التأمين

للأستاذ علي الخفيف

— ٤ —

قال ابن تيمية : إن مفسدة الغرر أقل من مفسدة الربا ولذا رخص فيما تدعو إليه الحاجة مثل بيع العقار وإن لم يعلم ما بداخل جداره وكذلك اختلفوا في بيع اللبن في الضرع : منعه بعضهم إلا أن يحلب، وأجازه بعضهم إذ أجاز مالك بيع لبن الغنم أياما معدودة إذا كان ما يحلب منها معروفا في العادة ولم يجز ذلك في الشاة الواحدة .

وقال أيضا في فتاويه : أشد الفقهاء قولا في الغرر أبو حنيفة والشافعي ؛ فقد أدخل الشافعي فيه مالا يدخل فيه غيره مثل بيع الحب في قشره كالبندق واللوز والجوز والحب في سنبله إذ منع ذلك في الجديد وجوز ذلك أهل الرأي ومالك وقد روى عن الشافعي أنه رجع عن هذا القول فأجازه واغتفروا الغرر في إجارة الأجير بطعامه وكسوته ـ وأجاز جمهور الفقهاء الجهالة في المهر كعبد ومهر وأوجبوا في ذلك الوسط ـ وكان مذهب مالك أوسع المذاهب في الغرر فجوز معه ما تدعو اليه الحاجة أو ما كان فيه الغرر محتملا لا يؤدي إلى نزاع كبيع المقاثي جملة وبيع ما غيب بعضه في الأرض كالجوز واللفت والفجل ومنع ذلك الشافعي، وجوز بعضهم بيع جميع ثمر البستان إذا بدا صلاح بعض نخله أو شجره واختلفت الرواية عن أحمد في حديقة من الحدائق هل يجوز بيع ما فيها من الثمر جميعا أم لا يباع إلا ما صلح منه على روايتين : رواية بالجواز لأن صلاح البعض يدل على الأمن بالنسبة للباقي وهذا اختيار كثير من أصحابه ، ورواية لا تجوز إلا بيع ما صلح .

هذا ويقول ابن تيمية كذلك في فتاويه : إنه لا يصح أن يقاس كل عقد فيه غرر على بيع الغرر في عدم الجواز إذ أن كثيرا من العقود لا يكون فيها المال مقصودا فإذا كان فيه غرر لم يؤد ذلك إلى مفسدة .

وأما ما كان من العقود خارجا عن المعاوضة وليس فيه معنى التبرع والإحسان كالزواج فقد اغتفر فيه من الغرر ما لا يغتفر في عقود المعاوضة فبينما يرى أن الحنفية لا يجوزون بيع فرس أو عبد يرى أنهم يجوزون أن يكون المهر فرساً أو عبداً ويوجبون الوسط وإلى هذا ذهب المالكية ومنعه الشافعية وعلل المجوزون ذلك بأن المال ليس مقصوداً في عقد الزواج ؛ فلا يكون مثلا للمشاحة والضنة ، ولا يتوقع بسبب ذلك فيه نزاع بخلاف البيع .

وجملة القول أن الغرر الذى عده الفقهاء مانعاً من جواز المعاملة هو ما أدى إلى نزاع يدل على ذلك ما روى عن زيد بن ثابت : كان الناس فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبايعون الثمار فإذا جد الناس وحل تقاضيهم . قال المبتاع : إنه أصاب الثمر عاهات يذكرونها ويحتجون بها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كثرت عنده هذه الخصومات : لا تتبايعوا حتى يبدوا صلاح الثمر ، وروى أحمد فى سنده قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونحن نتبايع الثمار قبل أن يبدو صلاحها فسمع رسول الله فيه خصومة فقال : ما هذا ؟ فقيل له : إن هؤلاء ابتاعوا الثمار ويقولون : أصابها الدمان والقشام . فقال صلى الله عليه وسلم : « لا تبايعوها حتى يبدو صلاحها » ، فقد تبين أن سبب نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك ما أفضت إليه من الخصام والنزاع .

ذلك ما يتعلق بالغرر وما يصلح منه سبباً لمنع المعاوضة وما لا يصلح وقد تبين مما سبق اختلاف الفقهاء فى تقدير ما تضمنه منه بعض العقود فمنهم من اعتبره كثيراً فمنعها ومنهم من اعتبره قليلا فلم يمنعها وقد استظهرنا أن مرد ذلك التقدير والاختلاف فيه إلى ما قد يؤدى إليه هذا الغرر الذى هو محل النظر أيؤدى إلى نزاع فيمنع أم لا يؤدى إلى نزاع فلا يمنع ولا شك أن لتعارف الناس فى معاملاتهم الأثر فى ذلك فما تعارفوه دون نزاع يجب أن يحرز لعدم المفسدة المترتبة على الغرر فيه أما ما لم يتعارفوه فهو الذى يكون محل النظر والخلاف وما يظن أنهم يتعارفون عقداً يحوى غرراً يؤدى إلى نزاعهم ، ثم يشيع بينهم ولا يتركونه إذ المقبول أنهم إذا تعاملوا به فتنازعوا تركوه ولا شك أن مثل هذا يكون غير جائز وما ذكرناه مرويا عن زيد بن ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما جاء فى مسند أحمد عنه صلى الله عليه وسلم يدل على أن علة المنع فى الغرر يؤدى إلى نزاع هى عاقبته أما ما لا يؤدى إلى نزاع فقد أجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألا يرى أنه أجاز السلم فرخص فيه على الرغم من أنه نهى عن بيع ما ليس عند البائع والسلم منه وإنما أجاز ذلك حين رأى الناس يتعاملون به دون نزاع يترتب عليه بينما يرى أنه نهى عن بيع الثمر قبل بدو صلاحه وقد كان الناس يتعاملون عليه حين قدم إلى المدينة وذلك لما رأى من حدوث النزاع بسببه وما فى عقود التأمين من غرر وأن عد أنها تتضمنه ـ غرر لم يؤد إلى نزاع على كثرة تعامل الناس به وشيوعه فيهم وانتشاره فى كل مجال نشاطهم الاقتصادى وعليه فإذا كان فهو غرر لا يترتب عليه منع ولا خطر .

ذلك ما يتعلق بالغرر — أما ما يتعلق بالجهالة فليس تمنع صحة العقد بل يفرق فى الحكم بين جهالة تؤدى إلى عدم إمكان تنفيذه أو إلى نزاع فيه وأخرى لا تؤدى إلى ذلك — فالنوع الأول منها يمنع صحة العقد مثل أن تبيع شاة من قطيع تتفاوت آحاده دون تعيين فإن البائع يرغب عادة فى إعطاء المشترى أدناه ، والمشترى يرغب عادة فى أن يأخذ منه أعلاه فيتنازعان ويؤدى ذلك إلى عدم التنفيذ .

أما الجهالة التى لا تؤدى إلى مثل ذلك فلا تؤثر فى العقد كما لو صالح شخص آخر على جميع الحقوق التى له قبله نظير بدل مالى معين دون أن يعرف ماله قبله من حقوق ، فإن الصلح يصح وتسقط جميع الحقوق فى ذمته فلا يكون للمصالح أن يطالب بحق سابق على هذا العقد ذلك لأن جهالة هذه الحقوق لا تحول دون سقوطها بالصلح ولا تؤدى إلى نزاع مع هذا الوضع وهذا بخلاف ما لو صالحه على بعض

هذه الحقوق دون بعضها من غير بيان أو صالحه على بدل غير معلوم فإن هذه الجهالة تمنع صحة الصلح ونفاذه لأنها تؤدى إلى النزاع فيما سقط من الحقوق وما لم يسقط أو فى مقدار البدل (١) .

وبناء على ما قدمنا من بيان نستطيع أن نقرر أن ما قد يوجد فى التأمين من غرر أو جهالة لا يؤدى شيء منهما إلى نزاع بل إنه ليرى أن هذه المعاملة مع ذيوعها وانتشارها وتدخلها فى كثير من المجالات التجارية والصناعية والمنزلية لم يحدث منها نزاع أساسه الخلاف فى عنصر من عناصرها الجوهرية التى تقوم عليها وأن ما حدث فيها وهو قليل نادر يرجع إلى خلاف فى قيام المستأمن فيما اشترطه عليه المؤمن من شروط تضمنتها هذه المعاملة وهى شروط لا تعد عنصراً فيها ولا تقتضيها طبيعتها .

إن عقد التأمين إذا ما كان مع جمعية تعاونية أقيمت لهذا الغرض من المستأمنين أنفسهم خلا من معنى المعاوضة بتاتا إذ أن ما يدفعه كل مستأمن إنما يريد به التعاون مع زملائه فى تخفيف الضرر أو رفعه عن أحدهم إذا ما نزل به بحدوث الكارثة المؤمن عليها فكان ما يدفعه إنما يدفعه لهذا الغرض وكان ما يأخذه إنما يأخذه بما خصصه أصحابه لذلك تبرعا منهم وإرصادا فانعدم بذلك معنى المعاوضة ، وانتفى لذلك معنى الجهل والغرر أو مفسدة الجهل والغرر فى هذا النوع إذ لا يوجد ذلك إلا فى معاوضة تقوم على التكافؤ والتعادل بين البدلين

وإذا كان مع شركة من الشركات التى أسست لهذا الغرض فإن ما تباشره ابتداء من هذه العقود تحوى فيما يرى من الجهالة والغرر ما يظن أنه يؤدى إلى فسادها ويمتنع معه جوازها ولكن بعد تكاثر العقود بالقــدر الذى نوهنا عنه فيما مضى ينقلب ما فسد منها صحيحا ويكون ما يعقد منها لذلك صحيحا لانتهاء ما بها من الجهالة والغرر بسبب ذلك إلى الضآلة التى لا يمتنع معها تعاقد بل يقبل ما هو أشد من ذلك كثير من العقود فتصح معه فقد أشرنا فيما مضى إلى أن المؤمن إنما يجمع بين أكبر عدد تتيحه له مكنته من المستأمنين يشتركون جميعا فى التعرض للخطر المؤمن ضده ، فيتقاضى منهم من الأقساط الكفيلة بوفاء ما يجب من التعويض لمن أصابه ذلك الخطر منهم ، وذلك بناء على أساسين فنيين أحدهما تقدير الاحتمالات وثانيهما قانون الكثرة وقواعد الإحصاء فالمؤمن من خطر معين كالحريق يجمع بين أكبر عدد ممكن من المستأمنين المعرضين لهذا الخطر ويقدر احتمالات وقوع الحريق بالنسبة إليهم جميعا طبقا لقوانين الإحصاء فيحصى عدد مرات الحريق التى وقعت فى الماضى ومبلغ أهمية كل حريق منها ومـــدى احتمال تحقق ذلك أو توقع حدوثه فى المستقبل وعلى هذا الأساس يستطيع تقدير ما يطلب منه من التعويض على وجه يقارب الدقة كلما كثر عدد المستأمنين وعلى هذا الأساس يقدر القسـط المطلوب من كل مستأمن مع مراعاة ما يتطلبه العمل من نفقات وأرباح - ويزيد هذه العملية أمنا ما أشرنا إليه فيما مضى من اللجـــوء إلى إعادة التأمين وبهذه العملية تستطيع الشركة أن تبين ما سيطلب منها فى مدة معينة وأن تبين كذلك أن ما تتقاضاه فى هذه المـــدة يزيد عما يطلب منها

(١) البداية لابن رشد ج ٢ ص ١٢١ وما بعدها الفروق للقرافى وتهذيبه ج ص ١٥ ، ١٧ ج٢ ص ٢٦٠ ، ٢٢ ، ص ٢٧ والباجى على الموطأ ج ٤ ص ٢١٧ وج ٥ ص ٤١ - فتاوى ابن تيمية ج ٣ / ٢٧٥ - ٣٢٢ نيل الأوطار ج ٥ / ١٢٥ الدر المختار وابن عابدين عليه ج ٤ من أوائل كتاب البيع

بما يحقق لها الربح المطلوب لها وبناء على ذلك لا يكون فى هذه المعاملة بالنسبة للمؤمن غرر أو جهالة وإذا وجد شيء من ذلك فهو غرر يسير جدا لا يؤدى إلى نزاع ولا إلى امتناع عن دفع التعويض وهذه النظرة تقوم على مراعاة جميع المستأمنين ولكن إذا نظرنا إلى عقد كل مستأمن على حدة فإننا نجد أن الغرر ظاهر فيه . ذلك أن المؤمن لا يدرى عند العقد أيدفع إليه تعويضا أم لا وإذا اقتضى الأمر دفع تعويض إليه لم يدر عند العقد ماذا سيدفع إليه من المال أهو كثير أم قليل ولا شك أن هذا غرر غير أنه غرر يتوقعه المؤمن بناء على ما قدره ابتداء وقد أعد لذلك عدته فلم يكن بالغرر المفاجيء المربك ولكنه غرر أعد له ما يذهب بضرره ويفارق الغرر الممنوع وكان إلى العدم أقرب .

هذا بالنسبة إلى المؤمن أما بالنسبة إلى المستأمن فعملية التأمين بالنسبة إليه نفع محض إن نزل به الخطر إذ أن ما يأخذه لدفع الضرر أو تخفيفه يفوق ما دفعه وليس يضيره أن يكون ما دفعه دون ما قدره لأن من رضى بالكثير فقد رضى بالأقل منه أما إذا لم ينزل به الخطر فى مدة العقد ولم يدفع إليه شيء من المؤمن فإن ما دفعه من الأقساط فيها قد دفعه وهو عالم بمقداره دون جهالة أو غرر نظير أمنه وطمأنينته عن طواعية واختيار مصحوبين بالرضا والمسرة بما قدره له من سلامة ينشدها طيلة المدة وذلك ما لا يجتمع معه غبن ولا غرر .

وليس يضير أن تكون العقود الأولى فاسدة حتى إذا تكاثرت العقود استحالت صحيحة فذلك أمر له نظير فى المعاملة إذا جرى بها التعارف فإن ما يكون منها فى البداية قبل أن تصير عرفا قد يكون فاسدا ولكنها بعد أن تصير عرفا عاما تنقلب صحيحة لصيرورتها أمرا متعارفا عليه وذلك ما نص عليه فى الشرط الذى جرى به العرف ولولا ذلك لكان فاسدا ، ومن هذا البيان يظهر أن ما قد يرى فى التأمين من غرر أو جهالة هو دون ما يوجد فى كثير من العقود التى أشرنا فيما مضى إلى صحتها عند كثير من الفقهاء كبيع ما فى هذا الصندوق دون أن يعلم المشترى ما فيه وكدخول الحمام نظير أجر معين دون أن يتحدد مقدار ما سيستعمل من الماء وما يقضى فيه من الزمن وكبيع السلم وهو بيع لمعدوم لا يتصور أن يسلم من الغرر وكبيع الثمر قبل بدو صلاحه وكإجارة الأجير نظير كسوته وطعامه إلى غير ذلك من المعاوضات التى تحوى من الغبن والغرر ما يفوق ما يحويه التأمين منهما وليس يفوتنا فى هذا المقام أن نذكر أن من أشبه العقود بعقد التأمين عقد الموالاة وأنه عقد صحيح مع ما فيه من الغرر . ذهب إلى صحته عدد من كبار فقهاء الصحابة منهم عمر وابن مسعود وابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم وإلى رأيهم هذا ذهب الحنفية وكان مستندهم فى ذلك حديث تميم بن أوس ابن خارجة الدارى إذ سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن الرجل ليأتينى فيسلم على يدى ويواليني فقال عليه السلام هو أخوك ومولاك فأنت أحق به محياه ومماته - يعنى محياه فى تحمل عقل الجناية عنه ومماته فى الإرث منه [1] وصورة هذا العقد : يتعاقد شخص مجهول النسب مع آخر فيقول له : أنت مولاى ترثنى إذا مت وتعقل عنى إذا جنيت فيجيبه صاحبه بقبلت وما فى معناه ويصير القابل بذلك العقد وارثا عاقلا ويسمى مولى الموالاة ، وإذا كان الآخر أيضا مجهول النسب وقال للأول مثل قوله هذا ورث كل منهما صاحبه وعقل عنه [1] .

(١) المبسوط جـ ٣ ص ٤٣ ، ٤٤

وهذا العقد كما يرى فيه من الغرر ما قد يظن أنه يمنع صحته ومع ذلك فقد ذهب هؤلاء جميعا إلى أنه صحيح مع ذلك وإن خالفهم فى ذلك سواهم وليس بنزل بهذا الرأى عن أن يكون رأيا له مكانته واعتباره أن يخالف فيه آخرون فيذهبون إلى عدم صحته أما الغرر فيه فواضح إذ لا يدرى من التزم بالعقد أيحدث ما يستوجبه أم لا ، وإذا حدث ما يستوجبه فكم مرة يحدث وبأى مقدار من المال يطالب كما أن العاقل لا يدرى أيموت صاحبه عن تركة فيرث أم لا وإذ ورث فماذا يترك صاحبه ليصير إليه ميراثه .

ولا شك أن الغرر فى هذا العقد أشد وأكثر من الغرر فى التأمين فإذا جاز هذا العقد فى رأى من ذكرنا مع ما فيه من هذا الغرر فأولى أن يجوز عقد التأمين والغرر فيه أقل وليس مما يقدح فى ذلك ما يعقد الموالاة من أثر فى إنتماء عاقده الأدنى إلى قبيلة الأعلى بحيث يصير به غير العربى عربيا ينتمى إلى أسرة من تعاقد معه فإن التماثل من حيث الغرر باق لا يرتفع باختلافهما فى الأثر ولو كان الغرر يستوجب الفساد دائما لاستوجبه على أى وضع وعلى هذا يرى أن منع التأمين لما فيه من الغرر أو الجهالة لا يقوم على أساس ويؤيد ذلك أنا قد وجدنا من فقهاء المالكية من يجيز اتفاقا يشبه عقد التأمين تمام الشبه ويحوى كثيرا من الغرر لا يحميه عقد التأمين فقد جاء فى شرح المنتقى على موطأ مالك للباجى ج ٥ ص ٤١ / ١٣٣٢ : ومن دفع إلى رجل داره على أن ينفق عليه حياته روى ابن المواز عن أشهب قال لا أحب ذلك ولا أفسخه إن وقع وقال أصبغ هو حرام لأن حياته مجهولة ويفسخ وقال ابن القاسم عن مالك لا يجوز إذا قال على أن ينفق عليه حياته ـ فنرى من ذلك أن أشهب أجاز هذا الاتفاق مع الكراهة وأن مالكا قيد عدم جوازه بجهالة مدة الإنفاق وهى مدة الحياة ومقتضى ذلك أنه إذا تم الاتفاق على أن ينفق عليه مدة معينة صح عنده مع ما فى ذلك من الغرر وعليه فلو عرض عقد التأمين على مالك لذهب إلى تجويزه بناء على ذلك .

٣ ـ أنه أكل للمال بالباطل :

جاء فى كلام بعض المانعين أن التأمين من قبيل أكل المال بالباطل وقد نهى الله عن ذلك فى قوله تعالى. « يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » .

وليس التأمين من باب التجارة ويقوم هذا الاستدلال على أساس أن أخذ المؤمن للأقساط محظور يتناوله اسم الباطل وأن استيلاء المستأمن على مبلغ التأمين محظور يتناوله اسم الباطل وأن هذه المعاملة معاملة التأمين ليست من قبيل التجارة وذلك ما يستوجب بيان ما تدل عليه كلمة الباطل فى الآية وبيان معنى التجارة حتى نتعرف انطباق الآية على موضوع التأمين أو عدم انطباقها .

الباطل لغة الضائع والذاهب والزائل وضد الحق والحق هو الموجود الثابت وقال السدى المراد بالباطل ما خالف الشرع كالربا والقمار والنجس والظلم وهو مروى عن الباقر . وقال الحسن هو ما كان بغير استحقاق من طريق الأعواض وفسر الطبرى أكل المال بالباطل بأكله من غير الوجه الذى أباحه الله لآكله وقال الزمخشرى أكل المال بالباطل أكله بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا ؟

« يتبع »

على الخفيف

ما يقال عن الإسلام

نظرة جديدة إلى الفلسفة الإسلامية

للأستاذ الدكتور احمد فؤاد الإهوانى

ظهر فى عالم الكتب أخيراً ، وبالتحديد فى العام الماضى (١٩٦٤) مؤلف باللغة الفرنسية عن تاريخ الفلسفة الإسلامية ، للأستاذ « هنرى كوربان » . وهو مستشرق معروف مشهور ، اختص بدراسة الإسلاميات ، وبخاصة من زاويتها الفارسية ، ذلك أنه قبل أن يشغل الآن منصب مدير مدرسة الدراسات العليا بالسوربون ، كان ولا يزال مديرا للمعهد الفرنسى للدراسات الإيرانية فى طهران ، وهو معروف بمؤلفاته ودراساته عن السهروردى صاحب حكمة الإشراق . وقد أشرك معه فى الكتاب الذى نعرضه تلميذين له درسا فى باريس ، أحدهما إيرانى شيعى اسمه سيد حسين نصر ، وهو الآن أستاذ بكلية الآداب بجامعة طهران ، والآخر سورى سنى يسمى عثمان يحيى ، يعيش فى باريس ومكلف بأبحاث علمية فى مركز البحوث الشرقية .

قال المؤلف فى ختام مقدمته ما نصه : « وبيننا نحن الثلاثة نظرة عميقة موحدة مما يؤلف جوهر الإســــلام الروحى أحسب أن الصفحات التالية تعكسه » .

وهذا صحيح . لأن لحمة الكتاب وسداه تدور حول تفسير الإسلام تفسيرا شيعيا ، أو بالأحرى باطنيا . وما بالك بكتاب فى ٣٤٧ صفحة ـ ما عدا الصفحات الخاصة بالمراجع والفهارس ـ يبدأ الفصل الأول منه بما يسميه التفسير « الروحى » للقرآن ، والروحى مصطلح يخفى وراءه ستار الباطنية ويقع هذا الفصل من الصفحات ١٣ إلى ٣٠ . ويشمل الفصل الثانى الترجمة (من ٣٠ إلى ٤٠) . وعنوان هذا الباب هو مصادر التفكير الفلسفى فى الإسلام ولا تكاد تمضى فى قراءة بضعة سطور من الفصل الأول حتى تجد حديثا عن الكتب المقدسة كالتوراة والإنجيل ، والأفستا كتاب زرادشت ، وعن المسيحية وأن الكنيسة تؤلف جزءاً لا يتجزأ من عقيدتها ، على خلاف الإسلام الذى يخلو من الكهنوت حتى إذا تناول الإسلام وتفسير القرآن رأينا تقسيم الكتاب المنزل إلى « شريعة » و « حقيقة » . ثم ينقل عن المؤلف الشيعى الإسماعيلى ناصرى خسرو أن الشريعة هى الجانب الظاهر من الحقيقة ، وأن الشريعة هى « المثال » ، وأن الحقيقة هى « الممثول » من أجل ذلك كان لا بد فى معرفة الحقيقة من « مرشدين » ومن « مريدين » . ثم ينقل عن الإمام جعفر الصادق أن كتاب الله يشتمل على أمور أربعة هى : العبارات ، والإشارات ، واللطائف ، والحقائق . فالعبارات هى الكلام الظاهر ، والإشارات المعنى الباطن ، واللطائف هى العلوم الخفية المتعلقة بعالم ما فوق الحس ، والحقائق هى المذاهب العالية الروحانية .

ويتناول الكتاب من الصفحات ٤١ إلى ١٥١ الباب الثانى وهى الشيعة وفلسفة الإمامية أما الباب الثالث فيحدثنا فيه عن علم الكلام السنى من الصفحات ١٥٢ إلى ١٧٨ . فانظر إلى اختلال التناسب بين الحديث عن الشيعة والسنة ، كأن الإسلام هو الشيعة ، بل هو الشيعة الإسماعيلية فى نظر المؤلف .

أما الباب الرابع فعنوانه فلسفة الطبيعة وعلومها . ويكفى أن ننظر إلى فصوله التسعة ليتبين لنا كيف يؤول الفلسفة الطبيعية بحيث يخضعها للشيعة والنزعة الباطنية . فى الفصل الأول يتكلم عن الهراسة ، والثانى جابر بن حيان ، والثالث عن إخوان الصفا (ويعلم القارىء أن أصحابها قد كتموا أسماءهم وأنهم كانوا من الشيعة الإسماعيلية) ، والرابع عن الرازى الطبيب والفيلسوف ، والخامس عن فلسفة اللغة والسادس عن البيرونى ، والسابع عن الخوارزمى والثامن عن ابن الهيثم ، والتاسع عن شاهمردين رازى .

وهو يسمى الباب الخامس الفلاسفة الآخذين بالفلسفة اليونانية ، كالكندى ، والفارابى ، وابن سينا ، وابن مسكويه ، وأبى البركات البغدادى ، مع اختتام الباب بهجوم الغزالى على الفلسفة . وإنه ليوجه هؤلاء جميعا توجيها يتفق مع نظريته ، فالكندى شيعى لأنه نشأ بالكوفة ، والفارابى عاش فى بلاط سيف الدولة الأمير الشيعى ، وابن سينا تعلم على أيدى دعاة الإسماعيلية ، وابن مسكويه اتصل بابن العميد ثم بعلاء الدولة الديلمى ، مما يدل فى نظر المؤلف ـ على أنه شيعى (ص ٢٤٦) ، وأبو البركات البغدادى صاحب كتاب المعتبر فى الحكمة يتحدث عنه فى أربع صفحات كاملة ؛ على حين تكلم عن الكندى ومدرسته فى خمس صفحات مما لا يتناسب مع ما يجب أن يكون ، لأن منزلة أبى البركات لا ترقى إلى الكندى أو الفارابى أو ابن سينا وغيرهم . ويبدو أن الذى يشفع عند المؤلف لأبى البركات أنه يهودى اعتنق الإسلام ، عاش حتى بلغ الثمانين أو التسعين وتوفى سنة ٥٦٠ هجرية . فأنت ترى أنه فيلسوف متأخر ، كانت له بعض نظرات شخصية فى الفلسفة ، ولذلك ذهب أحد المستشرقين وهو الأستاذ « بينس » ـ وهو يهودى كذلك ـ إلى أن تسمية الكتاب بالمعتبر جاء من التأمل والاعتبار .

الباب السادس فى التصوف يتكلم فيه عن خمسة متصوفة هم أبو يزيد البسطامى ، والجنيد ، والحكيم الترمذى ، والحلاج ، والغزالى ، وهذا الباب كله يقع فى عشرين صفحة .

الباب السابع عن السهروردى وفلسفة الإشراق وهى فى ثلاثين صفحة . ولا غرو فإن الأستاذ كوربان متخصص فى دراسة السهروردى ، نشر كتبه وألف عن حكمته الإشراقية مقالات وكتبا .

الباب الأخير عن الفلسفة فى الأندلس من صفحة ٣٠٥ إلى ٣٤٢ ، يبدأ بابن مسرة وابن حزم ، وينتقل إلى ابن باجة وابن السيد البطليوسى وابن طفيل وابن رشد . وبذلك يتم الكتاب ، فلم نكن مغالين حين ذكرنا أن المؤلف يتجه فى كتابه اتجاها شيعيا واضحا .

* * *

وعلى الرغم من طرافة البحث ، وحسن دفاع المؤلف وتلميذيه عن القضية التى يدافعان عنها إلا أن الأمر فى الواقع ليس مسألة قضية ، وتحمس لها ،

وتزييفها للناس، والتماس الأدلة المؤيدة لها، وإنما الأمر في البحث طلب الحقيقة والدفاع عن الحق.

ونحن هنا بإزاء قضية خطيرة تمس حياة أربعمائة مليون نسمة من المسلمين في أقل تقدير ونحو ستمائة مليون في الأصح. والفئة القليلة من هؤلاء الملايين شيعة، وأقل من هذه الفئة القليلة إسماعيلية، لا يتجاوز عددهم في إيران والهند ثلاثين مليونا أي خمسة في المائة من تعداد المسلمين. فما بال المؤلف يحاول أن يزعم أن عقيدتهم تمثل الإسلام الصحيح، والفلسفة الحقة.

وليس الأمر كذلك، لأن الإسلام حين أنزل على محمد، لم يكن ثمة شيعة ولا سنة. «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل»، جاء مصدقا لما بين يديه، وأنزل عليه الكتاب الباقي بين أيدينا حتى اليوم، لا مبدل لكلماته. وقد زعم الذين أرادوا الكيد للإسلام والدس له والطعن عليه أن القرآن الموجود الآن يختلف عن القرآن الذي أنزل، وقالوا: إن هناك سوراً حذفت منه، وموجودة عند الشيعة. وهذه مقالة ينفخ في نارها المستشرقون ويحاولون تثبيتها، دون جدوى، لأن الشيعة أنفسهم، وبخاصة الاثنى عشرية، وهم الموجودون الآن بالعراق وجزء منهم في إيران لا يؤمنون إلا بالقرآن القائم، وليست عندهم مصاحف تختلف عن مصاحفنا.

ونحن نعلم أن الصهاينة طبعوا مصحفا محرفا، وأخذوا في توزيعه على مسلمي الدول الإفريقية، ولكن يقظة رجال الأزهر الشريف وعلمائه نبهت إلى هذه المكيدة واتخذت الاجراءات التي تكفل استبعاد المصاحف المزيفة والدخيلة.

ومن السهام التي صوبت قديما إلى كتاب الله بغية هدم الإسلام، القول بأن لآيات الله ظاهرا وباطنا وأن هذا العلم الباطن لا يعلمه إلا أئمة الشيعة القائمون منهم والغائبون، وأنهم المهيمنون على التأويل، المكلفون بالإرشاد، إلى آخر هذه الأباطيل التي يأخذ بعضها برقاب بعض.

وأساس قضاياهم الباطلة التي يترتب عليها بعد ذلك كل بطلان، أن القرآن كتاب له ظاهر وباطن ومتى كان الأمر كذلك فهو كتاب (مستور)، و (محجوب) عن الجمهور. والقرآن منذ أنزل على محمد، وقام النبي عليه السلام بتبليغه للناس كافة، لم يختص به قوماً دون قوم، ولا طبقة دون طبقة. آمن به أشراف العرب كما آمن به الأرقاء والعبيد. ولم يكن ثمة وسطاء في تبليغ الدعوة، وبخاصة في الصدر الأول من الإسلام، لأن كل من حفظ القرآن، وعرف تعاليم الإسلام كان يتطوع بتعليم هذا الدين الجديد. وهذا هو السر في انتشار الإسلام بهذه السرعة المذهلة. واستمر هذا التقليد جاريا إلى عهد قريب، لأن انتشار الإسلام في جاوة (إندونيسيا حاليا) وفي كثير من الدول الإفريقية لم يكن على أيدي رجال دين وفقهاء كلفوا بنشر الدعوة، وإنما قام بها التجار المسلمون بوحي من أنفسهم ومن إيمانهم.

ولقد كانت الحرية، والعلنية، أخص خصائص الإسلام، حرية الاعتقاد ومناقشة أسس العقيدة بما نجده واضحاً أشد الوضوح في القرآن نفسه حين كان النبي يحاور الكفار، وأصحاب الكتاب، وكان يجادلهم بالحسنى، ويدعو إلى سبيل ربه بالتي هي أحسن، فأنت لا تجد حرية فكر في أي مجال من المجالات أسمى من حرية الإسلام، وقد قامت

الحضارة الإسلامية على هذه الحرية المستمدة من القرآن نفسه، وكتب الفقهاء والمتكلمين والفلاسفة من أهل السنة خير شاهد على ذلك، إذ تجد فيها الرأي ونقيضه، وحجة كل فريق، ثم ترجيح رأى على آخر، بعد المناقشة والمناظرة، ولكنك لا تجد شيئا من ذلك فى كتب الشيعة، لأن عندهم أصولا لا تقبل مناقشة. وهى لا تقبل المناقشة لأنها مستورة، باطنة، وكيف يمكن مناقشة مبدأ «العصمة» مثلا، نعنى عصمة النبى، وعصمة الإمام، أو مبدأ «الرجعة».

* * *

ومن الواضح أن المؤلف جعل الكلام والتصوف والفقه والعلوم الرياضية والطبيعية داخلة فى جملة الفلسفة، ما دام قد خصص لها فصولا فى كتابه الذى جعل عنوانه «تاريخ الفلسفة الإسلامية»، وهذه وجهة نظر معظم المؤرخين المحدثين، ولكننا لا نتفق وإياهم؛ لأن الفلسفة ضرب محدد من البحث يختلف عن علوم الكلام والفقه والتصوف وعن العلوم الرياضية. ويكفى أن تفتح كتاب الفهرست لابن النديم لترى أنه يصنف المفكرين بحسب دراساتهم الغالبة عليهم، فهذا فصل عن الفقهاء، وآخر عن المهندسين، وثالث عن المنجمين ورابع عن الأطباء، وخامس عن الفلاسفة، وهكذا، مما يدل على تمييز الفلاسفة عن غيرهم.

ولنترك هذه الملاحظات العامة الشكلية، ولننظر - فيما اتسع لنا من صفحات - فى مناقشة شيعية الفارابى (٢٧٩ - ٣٣٩ هـ). وهو أبو نصر محمد ابن محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابى. ولسنا نعرف الكثير عن نشأته وأصله، ولكنه ظهر شابا فى بغداد حيث تعلم على يوحنا بن حيلان، ثم درس بعد ذلك المنطق والفلسفة والموسيقى والعلوم الرياضية، حتى أصبح يسمى «المعلم الثانى»، فأخذ بذلك الرتبة الثانية بعد أرسطو المعلم الأول، وفى سنة ٣٣٠ ترك بغداد إلى حلب ليعيش فى بلاط سيف الدولة الحمدانى، ولم تكن هذه الحماية الشيعية مجرد مصادفة - كما يقول المؤلف - لأن فلسفة الفارابى فى تفسير النبوة تقوم على أساس من تعاليم الشيعة الإمامية.

لقد اجتهد المؤلف أن يبين الصلة بين الفارابى والشيعة، فضلله ذلك عن وضع الفارابى فى إطاره الصحيح من التاريخ الفلسفى، ذلك أن نظرية الحاكم أو الإمام التى يذكرها الفارابى فى المدينة الفاضلة، والشروط التى ينبغى أن تتوفر فيه، إنما استمدها من نظرية أفلاطون فى الجمهورية المشهورة بنظرية الحاكم الفيلسوف. وكان الفارابى يعرف أفلاطون وفلسفته معرفة جيدة، كما كان يعرف فلسفة أرسطو وله فى التوفيق بينهما كتاب خاص، فإذا كان للشيعة مذهب يلتقى مع ما يذهب إليه الفارابى، فكلاهما استقى من نبع واحد، غير أن الفارابى لم يكن باطنيا ولا كتم آراءه، كما فعل الإسماعيلية. وإذا كان شيعة إيران يرددون فيما بينهم أن الفارابى أحد فلاسفتهم، فلم يكن هذا الفيلسوف خاصا بهم وحدهم ولكنه بحكم أنه فيلسوف كان مفكراً حراً، اتخذ اللغة العربية لسانا، والإسلام دينا، فهو أحد الفلاسفة الإسلاميين، وزهرة يانعة فى بستان الحضارة الإسلامية.

أحمد فؤاد الأهوانى

فتاوى مختارة

يقدمها الأستاذ : شمس الدين محمود

[الإجابة للجنة الفتوى]

السؤال :

نحن أقلية إسلامية ومن أصل تركى نعيش فى اليونان ونتبع المذهب الحنفى لنا مدارسنا ومساجدنا ولنا مؤسسة دينية يرأسها مفتى ويقوم بإدارة بعض الشئون الدينية فى الأقلية وبعض الأحيان يتهم المفتى وبعض المشايخ بالانحياز إلى بعض الأطراف السياسية وعدم مراعاة الصدق فى فتاويهم والهروب من الحقيقة فيها . لذلك نرجو الفتوى فى المسائل التى هى موضع خلاف بين علمائنا .

نحن نقيم فى دولة مسيحية وندفع جميع التزاماتنا من ضرائب وخلافها . وتقوم الدولة بمساعدتنا فى بعض الأحيان فى بناء المساجد فهل يجوز ذلك ولو أن المال أو جزءاً منه يأتى من مسيحيين ؟ وهل يجوز انتخاب المسيحى وترك المسلم إذا كان الأول يؤدى خدمات للمسلمين . كذلك اللغة فى الدولة التى نقيم فيها هى اليونانية ، وهى مفروضة علينا فى المدارس كما أن كثيراً من الكتب باللغة اليونانية فهل يجوز لنا تعلمها لقراءة هذه الكتب العلمية الهامة وما حكمها بالنسبة للقرآن الكريم .

السيد / حسن القشلل - اليونان

الجواب :

حكم الله أنه يجوز بناء المساجد بمال مدفوع من غير المسلمين لأن هذا عمل خيرى عندنا ولا مانع من قبوله من غير المسلم ؟ كذلك حكم الله أنه لا يجوز إعطاء صوتك فى الانتخابات لغير المسلم ما دام يوجد مرشح من المسلمين لأن فى انتخاب غير المسلم تمكين له من السلطة على المسلمين والله سبحانه يقول : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » .

هذا وإن كتابة القرآن الكريم وقراءته لا تجوز بغير العربية . وأما تعلم أى لغة أخرى وقراءة الكتب العلمية بالحروف اللاتينية فلا حرمة فيه ما دام ذلك بعيداً عن القرآن الكريم بل هو مستحسن شرعا للتمكن من الثقافة العلمية .

السؤال :

ما مقدار الزكاة فى المسائل الآتية :

أسهم جمعية البترول التى تحولت إلى شهادات استثمارية متزايدة القيمة واشترط ألا تسدد قيمتها إلى فى حدود ٥٠ جنيها لمدة ثلاث سنوات يمكن بعدها الاسترداد بلا شروط .

وكذلك أسهم الشركة القومية لإنتاج الأسمنت التى تحولت إلى شهادات استثمار .

والمدخرات بكل من صندوق التوفير والمدخرات النقدية .

السيد / أحمد أحمد عثمان

الجواب :

أن الزكاة فى أسهم كل من جمعية البترول والشركة القومية للأسمنت واجبة وقيمتها ربع العشر عن سنة واحدة فقط فيما مضى . وأما المدخرات من صندوق التوفير فتجب الزكاة فيها عن سنة واحدة فقط وقيمتها كما تقدم من أصل المبلغ المدخر ، أما الزكاة فى المدخرات النقدية فهى واجبة فى المال المدخر وذلك عن المدة كلها ؛ لأن المال لا يعتبر دينا بل هو مال مقدور عليه فى كل وقت ؟

الكتب

للأستاذ : تحسين عبد الحي

الفاروق القائد

تأليف : اللواء الركن
محمود شيت خطاب

مهما قيل عن نوع المعارك التي تخوضها جماهيرنا العربية في الوقت الحاضر . . سواء في معاركها الضارية في الجنوب المحتل أو يقظتها الثورية في العراق ضد تفتيت وحدة الوطن العراقي ، أو محاولة تجزئة التربة العربية في السودان لصالح عملاء الاستعمار في الجنوب . . وحتى معركتنا العربية المصيرية الكبرى على أرض فلسطين . . مهما قيل عن هذه المعارك من حيث أهميتها . فإنه لا يقل عنها أهمية ذلك الذي نراه الآن ..!!

والذي أعنيه بذلك هو التجسيد العملي لشعارين عزيزين علينا هما ـ الاشتراكية ـ والوحدة . .

إن إيماننا في الاشتراكية مستقبلا وغاية تتجه إليها ونبذل الجهد في سبيلها ، ونحن بذلك اشتراكيون متميزون بغايتنا عن القانعين والمنحرفين . والطريق إلى الاشتراكية التي نريد أن نحققها في الوطن العربي ، هو أن نرصد لها كل إمكانيات الوطن العربي ، المادية والبشرية ، كل الإمكانيات الطبيعية والعلمية وكل الجهود لتحقيق هذه الغاية ، وهذا غير ممكن عملياً ما دام المستعمرون ينهبون من ثرواتنا وجهودنا ما يبنون به الحياة في بلادهم سلباً لمصادر بناء حياتنا الاشتراكية . . ومن ثم كان النضال من أجل البناء الاشتراكي والنضال في الوقت نفسه من أجل التحرر وقهر الاستعمار قد صهرا في اتجاه موحد صحيح . . والبناء الاشتراكي الذي أعنيه هنا . . هو البناء الاشتراكي العربي الموحد . . لأن الوعي الصحيح للقومية العربيـــة لا يعرف إلا رفع الحواجز المصطنعة ليلتحم الشعب العربي في جدل حياتي هو شرط التطور ، بل هو التطور ذاته إلى الاشتراكية .

أما الاعتقاد في أن تحل المشكلات في كل جزء قبل أن تتحقق الوحدة فإدراك قاصر للقومية وللأمة التي تحتم وحدتها العضوية ألا تحل مشكلات الأجزاء إلا في الكل . إننا نسأل أنفسنا كمناضلين من أجل القومية العربية والوحدة العربية ـ وكمناضلين من أجل الاشتراكية سؤالا هاماً :

ترى لو كان من الممكن أن يحل كل جزء مشكلاته فيصبح اشتراكيا ديموقراطياً حقاً في ظل التجزئة ، فما جدوى الوحدة ؟ ونضيف أنه لو كان ذلك ممكنا امكان علينا أن نراجع فوراً فكرة القومية العربية ، ونتحقق بالتالي من وجود الأمة .. ! إذ أن وجود الأمة كوحدة عضوية ، تتضمن عناصر المشكلات وإمكانيات حلها لا يمكن أن يقوم معه تصور إمكان

حل الأجزاء لمشكلاتها حلا سليما بدون أن تسهم الأمة بمجموعها فى حل تلك المشكلات . لهذا . إذا كان المنطق الإقليمى خيانة قومية ، فإن الانطلاق إلى الاشتراكية - تقفز أفوق التجزئة - مثالية عقيمة .. ولا نعنى هنا بالطبع أن تتوقف الحياة حتى نتوحد .. لأن كل تقدم اقتصادى فى كل جزء من أجزاء وطننا هو دعامة قوية لبقية الأجزاء فى نضالها من أجل التحرر . ولا نعنى كذلك شعار لقاء الثورات على المستوى الرسمى وبخاصة بعد أن فشل هـذا الاتجاه مع رافعى الشعار نفسه ، ولـكن الذى نعنيه ألا يقلل اندفاعنا نحو الاشتراكية وبناء بعض الكيانات الاقتصادية القوية هنا وهناك . نقول : لا نريد أن يقلل هـذا الاتجاه من حدة اندفاعنا وبكل قوانا الأساسية نحو التحرر والوحدة .. ولا نريد لأنفسنا إطلاقا أن نكون مناضلين وطنيين كما يحلو للبعض أن يقول .. ولـكننا مناضلون قوميون نتجاوز ذلك مرحليا إلى النضال الوطنى عندما تـكون بعض قطاعات شعبنا سواء فى الجنوب المحتل .. أو فى غيره من الأماكن فى معركة مع الاستعمار من أجل الحرية . ولـكننا نرفض النضال الوطنى عندما نـكون أحراراً على أرضنا ولدينا المقدرة المتزايدة على حرية العمل .. إننا هنا .. وفى كل جزء محرر من أجزاء وطننا العربى يجب أن نـكون مناضلين وحدويين أولا . . . ولا مانع لدينا فى أن نـكون اشتراكيين فى الوقت نفسه فكلا المعنيين يكمل بعضهما الآخر . أما أن نركز على معنى واحد فى سبيل دحر المعنى الأساسى فهو ما نرفضه .. ولا أجد كلمة أخرى أعبر بها عما أعتقده سوى كلمة الرفض . وما دمنا الآن محتاجين فعلا إلى درجة كبيرة من الوعى واليقظة لسبل نضالنا - وللشعارات التى نناضل من أجلها خوفا من اللبس والغموض فإننا نحتاج الآن إلى قيادات واعية - حرة - مناضلة - ومستنيرة فى الوقت نفسه . . قيادات تتميز أولا بمضمونها الأخلاقى الراسخ .. ولا شك فى أن التاريخ الطويل الذى قضته الأمة العربية فى ظل الدين الذى تكونت به أمة ، ثم صنعت الحياة على هدى القيم التى أرساها ، قد وفر لها حصيلة بالغة الخصوبة والسمو معا هى ما يمكن أن نسميه بالأخلاق الإسلامية .

ولا يزال العربى يتميز بالعزة والصدق والشجاعة والمروءة والـكرم .. إلخ . ميزات لم تأته من البداوة الضارية ، ولـكن من حياة الأخوة فى ظل الثقافة الإسلامية .. وإذا كانت السمة الإنسانية العامة للقيم الخلقية الإسلامية قد تركت الفرصة للمغرضين من أدعياء الدين ، الجاهلين به ، إلى استغلالها فى اتجاه عكسى مضاد لقوى التقدم والثورة . . فإن ذلك ليس عيبا فى هذه القيم الإسلامية ، بقدر ما هو استعمال مضاد لمقدرتها على الاستحواذ على النفس الإنسانية . ونحن إذ ندعو إلى إبراز قيمنا من خلال تراثنا المضىء وتاريخ أمتنا العريق .. سواء عن طريق نماذجها البشرية - أو الحضارية . . لا نـكون بذلك مجرد عبدة قبور . . ولـكننا نـكون فقط مناضلين واعين ومدركين لأهمية دورنا الإنسانى فى عالم اليوم . .

وكتابنا لهذا العدد يتمم ما بدأناه من بحث عن هذه القيم فى صورتها البشرية .. البناءة .. وهو سيرة أحد عظماء شعبنا ، سيرة خليفة رسول الله - عمر بن الخطاب - رضى الله عنه وأرضاه . . والمؤلف وهو اللواء الركن محمود شيت خطاب . .

قد قدم لنا قبل ذلك كتابه عن الرسول القائد الذى دحض فيه ادعاء المتعصبين للإسلام .

بأن انتصار الرسول كان بالخوارق والمعجزات وبين فيه أن هذا الادعاء ! ادعاء خاطىء لا يقل خطورة عن غمز المتعصبين على الإسلام ولا يدل إلا على جهل بروح الإسلام الصحيح .

وفى كتاب اليوم (الفاروق القائد) يقدم لنا المؤلف : القائد الذى فتح بلاد الفرس كلها ، وفتح الشام والجزيرة ومصر وبرقة ، القائد الفاتح ، الفارس المغوار البطل الكرار ، القوى الأمين ، القاضى العادل ، الحاكم العبقرى ، الفقيه المحدث العالم العامل ، الذكى الألمعى ، التقى النقى ، الخليفة الورع ، المجتهد المشرع : الفاروق عمر بن الخطاب العدوى القرشى : الذى كان إسلامه فتحا ، وهجرته نصراً ، وإمارته رحمة . .

* * *

يقول المؤلف :

لقد أبدى عمر يوم إسلامه وبعده ضروباً من الشجاعة الخارقة التى قل أن تجد لها مثيلا فى تاريخ الشجاعة والفداء . فبعد إسلامه ظهر الإسلام ودعا إليه علانية ، وجلس المسلمون حول البيت حلقاً وطافوا بالبيت وانتصفوا ممن غلظ عليهم وردوا عليه بعض ما يأتى به » .

قال عبد الله بن مسعود : « ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر » وقال محمد بن عبيد : « لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلى بالبيت حتى أسلم عمر فلما أسلم قاتلهم حتى تركونا نصلى . » وقال عبد الله بن عباس « أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب ، فقد قال عمر : « يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا أو حيينا ؟ » قال : « بلى والذى نفسى بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم » ، فقال : ففيم الاختفاء ؟! والذى بعثك بالحق لنخرجن ، فخرج المسلمون فى صفين : فى أحدهما حمزة وفى الآخر عمر ، حتى دخلوا المسجد ، فنظرت قريش إلى حمزة وإلى عمر فأصابتهم كآبة لم تصبهم مثلها ، فسمى النبى صلى الله عليه وسلم عمر يومئذ بالفاروق .

لقد شد سيدنا عمر رضى الله عنه أزر الإسلام فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم ، فكان وزيره ومستشاره المقرب ، وكان من المهاجرين الأولين ، وممن صلى إلى القبلتين وشهد سائر المشاهد مع النبى صلى الله عليه وسلم وثبت يوم (أحد) ويوم (حنين) .

وإلى عمر يرجع الفضل فى تولية أبى بكر الخلافة ، وحسم النزاع الذى أوشك أن يتفاقم بين المهاجرين والأنصار على أثر التحاق النبى صلوات الله وسلامه عليه بالرفيق الأعلى .

وكان عمر الوزير الأول لأبى بكر وقاضى المسلمين وساعده الأيمن فى حرب الردة وفى حروب الفتح ، وكان موضع ثقة أبى بكر فأوصى بتوليته من بعده .

وبعد توليه أمر المسلمين .. خافه الناس لقوته وشدة سيطرته .. وإلى ذلك أشار عمر فى قول صريح حين قال لمن هابوه وتحدثوا بخوف الناس منه : .. بلغنى أن الناس هابوا شدتى وخافوا غلظتى وقالوا : قد كان عمر يشتد علينا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، ثم اشتد علينا وأبو بكر والينا دونه ، فكيف وقد صارت الأمور إليه ؟ ومن قال ذلك فقد صدق ! فقد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكنت عبده وخادمه

وكان من لا يبلغ أحد صفته من اللين والرحمة، وكان كما قال الله « بالمؤمنين رءوف رحيم » فكنت بين يديه سيفاً مسلولا حتى يغمدني أو يدعني فأمضي فلم أزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك حتى توفاه الله وهو عني راض، والحمد لله على ذلك كثيراً وأنا به أسعد، ثم ولى أمر المسلمين أبو بكر فكان من لا ينكرون دعته وكرمه ولينه، فكنت خادمه وعونه، أخلط شدتي بلينه، فأكون سيفاً مسلولا حتى يغمدني أو يدعني فأمضي، فلم أزل معه كذلك حتى قبضه الله عز وجل وهو عني راض، فاعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على أهل المسلمين فأما أهل السلامة والدين والقصد، فأنا ألين لهم من بعض لبعض.

ولقد كان خليفة رسول الله عمر بن الخطاب هو القائد الأعلى لجيوش المسلمين وكان هو المسئول الأول عن إعداد الخطط (الاستراتيجية)، ويشمل ذلك، إعداد هذه الخطط من الناحية العسكرية وإصدار الأوامر أو الوصايا لتنفيذها، وإمداد جيوشه بالإمدادات من الرجال والمعدات لإدامة الحرب، وتزويد تلك الجيوش بالأمور الإدارية ومراقبة وصول تلك المواد الإدارية إلى جيوشه، والعمل على رفع معنويات رجاله في ساحة الحرب وفي كل مكان، واختيار القادة العاملين والقادة المرءوسين القادرين على تنفيذ أوامره ووصاياه نصاً وروحاً.

ومن الأمثلة على ذلك أنه لما فرغ سعد بن أبي وقاص من أمر القادسية أقام بها بعد الفتح شهرين وكاتب عمر فيما يفعل فكتب إليه عمر يأمره بالمسير إلى (المدائن) وأن يخلف النساء والعيال بـ (العتيق) وأن يجعل معهم جنداً « كثيفاً »، وأن يشركهم في كل مغنم ما داموا يخلفون المسلمين في عيالاتهم. وفي هذا الأمر المختصر، طبق عمر مبدأ (اختيار المقصد وإدامته) ومبدأ (التعرض) ومبدأ (تحشيد القوى) ومبدأ (الاقتصاد بالمجهود ومبدأ الأمن) ومبدأ (إدامة المعنويات) ومبدأ (الأمور الإدارية) ولا نعلم رسالة قليلة الكلمات كثيرة الفائدة مثل هذه الرسالة الموجزة.

وبعد فتح المدائن، انسحب الفرس في اتجاه (جلولاء) وعسكرت قواتهم الضاربة هناك فكتب سعد بن أبي وقاص إلى عمر بذلك فكتب إليه عمر يقول « سرح هاشم بن عتبة إلى (جلولاء) في اثنى عشر ألفاً، واجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو وعلى ميمنته مسعر بن مالك، وعلى ميسرته عمرو ابن مالك، واجعل على ساقته عمر بن مرة الجهني»، ويدل هذا على معرفة عمر بالرجال وبالأساليب (الاستراتيجية) التي تحقق لجيشه مبدأ (الأمن).

وبعد معركة (اليرمـــوك) في أرض الشام، استخلف أبو عبيدة على اليرموك بشير بن كعب الحميري وسار حتى نزل بـ (الصفر) فأتاه الخبر أن الروم وحلفاءهم المنهزمين اجتمعوا بـ (فحل) وأتاه الخبر أيضا بأن المدد قد أتى أهل دمشق من حمص، فكتب إلى عمر في ذلك، فأجابه يأمره بأن يبدأ بدمشق فإنها حصن الشام وبيت ملكهم ويشغل أهل (فحل) بخيل تكون بإزائهم، وإذا فتح دمشق سار إلى (فحل) فإذا فتحت عليهم سار هو وخالد إلى حمص وترك شرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص بالأردن وفلسطين.

تلك هي الخطة (الاستراتيجية) لعمر التي بموجبها فتحت أرض الشام (سورية والأردن ولبنان وفلسطين) .

وكان عمر يثق بنفسه ويعرف قيمتها ويعتمد على شمائلها لا على المظاهر الزائفة والدعاوى الفارغة . وكان موضع ثقة الناس حتى أعدائه فقد حصر أبو عبيدة بن الجراح حصر بيت المقدس ، فطلب أهله منه أن يصالحهم على صلح أهل الشام وأن يكون المتولي العقد عمر بن الخطاب ، فكتب أبو عبيدة إلى عمر بذلك ، فسار من المدينة المنورة واستخلف عليها علي بن أبي طالب ولما قدم عمر إلى الشام ، لقيه الجنود وعليه إزار وخفان وعمامة وهو آخذ برأس راحلته يخوض الماء وقد خلع خفيه وجعلهما تحت إبطه ، فقالوا له : « يا أمير المؤمنين ! الآن تلقاك الجنود وبطارقة الشام وأنت على هذه الحال ! فقال : « إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نلتمس العز من غيره » .

وكان خليفة الرسول صلوات الله وسلامه عليه عادلا رحيما واصلا لذوى القربى واليتامى وراعياً مخلصا لأبناء أمته .

فعندما تراكمت لديه الأموال كنتيجة طبيعية لاتساع الفتوحات الإسلامية أنشأ الدواوين التي ترتب الراتب للجند والمسلمين كافة حتى لا يكون في رعيته مظلوم أو محتاج ... وقال عمر يوما ... : « والله لئن بقيت ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو مكانه قبل أن يحمر وجهه » ، وهو بذلك يعني توزيع الثروة بالعدل على الناس دون السؤال المخجل .

وفي ذلك يقول عمر لئن بقيت إلى الحول لألحقن أسفل الناس بأعلاهم ، وإذا ما ربطنا هذا القول استطعنا أن نرى إلى أي مدى كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه مقتنع تماماً بضرورة المساواة المادية بين المسلمين بحيث لا يكون هناك غني ولا فقير . . وقد مارس هذا فعلا وعلى نفسه أولا فحرم على نفسه أن يأكل اللحم والسمن طالما أن الناس لا يجدونهما . . ولا يريد وهو الخليفة الآمر الحاكم الناهي أن يكون شيئاً غير الناس . . وإنما هو واحد منهم .

هذه بعض أعمال عمر التي جعلته ينشىء دولة ويقيم وحدة وينشر لغة ويرفع بنيانا ـ لقد نسي نفسه وذكر رعيته وأخلص لله ، كانت له عقلية مدركة منظمة : يؤمن بالشورى ، ولا يحيد عن العدل المطلق ، فكان أول من كتب التاريخ الهجرى ، وأول من اتخذ بيت المال ، وأول من دون الدواوين وأول من أمم الأرض المفتوحة ، وأول من مصر الأمصار .

ولقد كان لعمر ماض ناصع مجيد في كل أدوار حياته : مرءوساً ورئيساً ، حاكما ومحكوماً ، قاضياً ومشرعاً ، إدارياً وقائداً ، في السر والعلانية ، في الحرب والسلم ، في الناس وفي أهله . في كل عمل من أعماله العامة والخاصة . لقد جمع المجد من أطرافه ، فكان ملء السمع والبصر في حياته ، ملء صفحات التاريخ بعد موته .

إنه مثال لكل ملك وأمير وزعيم ورئيس ، يريد لأمته المجد والرفعة والبقاء .

محيي عبد الحي

أنباء وآراء

● أجاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر - فى مناقشاته مع الشبان بمعسكر التدريب فى حلوان يوم ١٩٦٥/١١/١٨ - عن سؤال وجهه إلى سيادته أحد الشبان جاء فيه :

هل هناك خطة للقضاء على إسرائيل ؟

ومتى يتحقق أملنا فى استرجاع فلسطين . ؟ فقال :

إن استرجاع حقوق شعب فلسطين كاملة هى هدفنا الطبيعى ، ويعنى هذا الهدف القضاء على إسرائيل ، وقد تقرر فى مؤتمر القمة الأول أن تكون هناك وحدة عمل من أجل فلسطين ، وتحدد العمل فى هدفين : هدف عاجل هو أن نستكمل القوى الدفاعية العربية ، وهدف قومى هو القضاء على إسرائيل ، واستعادة حقوق شعب فلسطين .

وأستطيع أن أقول بعد مؤتمر القمة الأخير : إننا أدينا عملا كبيراً من أجل تحقيق الهدف الأول ، وهو إيجاد القوة الدفاعية لكل من الأردن وسوريا ولبنان لتكون تلك الجبهة قادرة على مواجهة أى عدوان إسرائيلى .

وعن الهدف القومى قال سيادته : عندنا خطة ولكن لست فى حل من أن أتحدث عنها إليكم وأرجو أن نستطيع السير فى وحدة العمل العربى حتى تتحقق الحرية لفلسطين ...

إن إسرائيل هى إسرائيل وما وراء إسرائيل ، ولذلك فإن أى عمل ارتجالى معناه أن إسرائيل تكسب ، ولابد أن يكون العمل مدروساً وكاملا وثوريا ومضمون النجاح ، وبهذا يتحقق الهدف ولا نكرر ما حدث عام ١٩٤٨ .

● استقبل الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون فى ١٩٦٥/١١/٨ السيد الحاج محمد خير الوزير الماليزى وبرفقته السيد حمدان بن الشيخ طاهر وكيل وزارة التربية والتعليم ، والسيد وان محمود وان وكيل الاستعلامات ، ودار الحديث على شئون المسلمين بماليزيا .

كما استقبل فضيلته فى ١٤ / ١١ / ١٩٦٥ سماحة الشيخ منير طاهر مدير المركز الإسلامى بالفلبين وتحدث إليه عن حاجة المركز إلى الكتب الدينية ، وقد أجاب الإمام الأكبر طلبه .

● ألقى الإمام الأكبر كلمة بمدينة المنصورة زود فيها الشباب بخلاصة حية للتعاليم الإسلامية جاء فيها : الله الذى خلق الإنسان من مادة وروح ، جعل غذاء المادة فيما قدر فى الأرض من أقوات ، وفيما سخر له من كائنات ، وجعل غذاء الروح فيما أنزل من وحى ، وشرع من هدى ، وبهذين الغذائين تنسق حياة الإنسان تنسيقاً يجمع لها بين مادة تتوثب وروحانية تهذب ، ويجمع لها بين الارتقاء الحضارى والنقاء الخلقى ، ولن يستقيم للناس أمر هذه الحياة إلا إذا نقب الناس عن أسرار هديه كما ينقبون عن أسرار كونه لأنهم - باكتشافات أسرار المادة ، ويعزوفهم عن مقومات الروح - يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ، والنار مثوى لهم .

● أعـــدت الأمانة العامة للجامعة العربية إحصائية شاملة بالجمعات الإسلامية فى الخارج ليستعين بها مجلس الوحدة الثقافية فى تأدية رسالته .

During our conquests, we fought only the warriors who resisted us ; and when the struggle was over, whether through victory or by treaty, we safe guarded the lives of the conquered. We did not follow the example of the Israelites who were told : " if you enter a city, kill all the men, women, children and infants Burn it with fire ".

We proclaimed our faith but did not impose it on the others by force. Our God Tells us " Let there be no compulsion in religion ", and tells the Prophet : " wilt thou then compel mankind, against their will, to believe ? ".

We did not torture with fire or iron, or knife. Nor did we roast our enemies on fire as others die with the Arabs in Andalusia, nor did we burn them in ovens as did the Germans.

During our conquests we fought the warriors, but never attacked peaceful civilians, women, the aged, children, or priests. We did not kill, 285000 persons with one bomb as others did in Hiroshima.

Bad example :

Bad example in the home often leads to the weakening of faith everywhere. A young man cannot respect a religious leader and obey his teachings unless he finds that he practises what he preaches. That of course requires that we prepare a whole generation of good sheikhs whose duty will be to prepare a whole generation of future parents. For this purpose, we shall have to do the following :

1 — Select a group of responsible, promising students and give them the required training.

2 — Help them financially so that they would be presentable learning in mind the old saying.

" If people saw a poor prophet, they would not follow his teachings".

3 – Keep them under strict observation to make sure that they are fit for the job.

The force of Public Opinion :

Above all, we should give a great deal of attention to public opinion. All those youths who are so misguided as to proclaim their atheisim and tempt others to follow their example, are mentally and emotionally sick and need help. They must be treated gently, coaxed, encouraged, guided, or rebuked, according to the circumstances, Guidance is the job of the leaders, severity is the share of public opinion.

In Islam, public opinion is one of the pillars of reform, As the Koran states.

"Ye were the best of peoples, evolved for mankind, enjoining what is right, forbidding what is wrong . . ." Again "let there arise out of you a band of people inviting to all that is good, enjoining what is right and forbidding what is wrong, they are the ones to attain felicity.

Public opinion is all powerful, it can be more effective than governmental authority because it can creep everywhere. So much so, that no matter how cash his behaiviour, a young man always fears public opinion and knows when and where to hold his own.

So if public opinion were to be used as a weapon, it could be most effective in this respect as a tool to reform.

(to be continued)

Such young people, who are ashamed of their own religion and origin would nevertheless stand proudly in defence of any scouts association, or measly political party, or atheistic group. Strange as it may seem, those Moslem youths belong to a great nation that represents one third of the world and possesses a heritage of high principles that gives it a supreme position in the world. Those youths who deride their own creed and would deny their origins if they could, are simply ignorant of authentic historical facts, even if they pride themselves on going university graduates. I say that because I know how history is being taught in the Arab and Islamic countries which were till the near past, under the Yoke of imperialism; I know of the additions and deletions that have been made in their history books, intentionally or not.

I feel that the remedy to this condition is to provide a book in comparative history which would cover the social moral and cultural give and take between the Muslem nation and the rest of the world.

Any great nation has had glorious periods and faltering days in the fields of thought, legislation achievement and morality. The history of cultures however, was recorded by the West and our youths hardly read any other. That history was written by people who were still influenced by their national and religious motivations, and some of them were moreover, insufficiently acquainted with the Moslem and Arab history. The result was that the authors pointed out most of our short-comings and barely mentioned our glorious past. They also attributed our short-comings to the Islamic religion. An accurate comparative history would clarify the situation and prove that our past achievements in moral fields are by far superior to those of the West and our points of weakness are markedly less serious. We would thereby prove it the Western historian who invited the Arabs to wash their dripping swords in the Mediterranean sea, that in these same waters many dripping swords have been washed before the Arabs came to them and many should be after we are gone ; we would prove to him that to this day there are many swords which carry on them not only blood but also the stains of intolerance, cruelty and barbarism which all the waters of the Mediterranean could not wash.

To clean them it would require the waters of the three oceans from the shores of the black inhabitants of Africa to the Red Indians of America plus some water from Japan and Hiroshima.

We would prove to him that like the Greeks we have held high the torch of knowledge and philosophy. That we have kept it burning with intelligent studies and research. There is a difference, however ; we had no polytheism, no licentious gods. Like the Romans we have our legislations, literature, conquests, wars and slaves, but we took no pleasure in throwing them, or the christians in the arina to be devoured by the lions in spectacular entertainement.

We had our conquests, like other nations, to spread our religion like a flowing, invigorating river, instead of leaving it to turn into a stagnating pool which will dry up in the arid Arab Penisula as " Gothe " said, still, according to Gustave Lebon, we were the most merciful of all conquerors.

Our youths find themselves in mental vacuum because of their ignorance of the essentials of Islam, because of their priggishness and complexes caused by suppression of frustration their attempt to fill this vacuum, they have been swept by misleading currents, blindly imitating the trends of the West. The economic difficulties of our era added to this mental turmoil and pushed them towards Marxism, communism and athiesm.

In this long struggle the younger generation as well as we, men of religion have not given attention to the reasons that led the European Renaissance thinkers to fight against religion, not to the reasons that led Marxism towards atheism. Had we examined these reasons, we would have found that there is no trace of them in Islam.

The struggle against religion in Europe, is due to five causes :

1 — Religious sects, controversies under the rule of Arian the Alexandrian concerning divine and human nature.

2 — The atrocious armed struggle between rulers, emperors kings and the Church.

3 — The conflict which started under luther and the Protestant Reform and led to bitter wars.

4 — Cruelty exerted against rising scientists and thinkers who were tortured or burnt at the stake for expounding new ideas in the field of astronomy or other theories which were proved correct in later years.

5 — Ownership of large property by men of religion who lived like feudal princes. This eventually led to class struggle under the French Revolution and its aftermath, until the rise of Marxism came to look upon the men of religion as capitalist feudal lords who abuse the working classes and held them responsible for class distinction.

In Islam, however, we find no such things, from the rise of Islam up to the present most of its men of religion have lived in dire poverty a very small minority on the verge of indigence while less than a handful are wealthy.

All this goes into proving that the reasons which led the West to fight religion, are nonexistent in Islam. We have to convince our youths, that Islam has been, and still is in a position to solve economic problems and to eliminate social injustice. It is hoped that the Academy of Islamic Research would give this question all its attention to help our misguided youths.

The Cowardice Complex :

Some of the youths who failed to complete their studies through carelessness or lack of interest, resorted to indifference to religion on the grounds that it is a reflection of progressive thought.

Such lost souls are not atheists in the sense of the word; some of them may even be true believers. However, they are so helpless as to cling to those around them in clubs or parties and try to save their faces by attacking their own faith and pretending that it is an old-fashioned fad.

OUR CULTURED YOUTH AND RELIGIOUSNESS

By : Sheikh Nadim Al-Jisr
Mufti of Tripoli and Northern Lebanon

(CONTINUED)

Frustration Complex :

Adolescents are exposed to moral weaknesses, If and whenever one of them makes a slip of any kind then hears of the wrath and curses of heaven against sinners, he develops sense of guilt or a frustration complex. This usually results-in making him revert to the other extreme and indulge deeper in misconduct. If the religious leaders were less stern in their teachings, and followed the Qur'an more carefully they would give such youths a chance to repeat and reform. The Almighty God gives the sinner the chance to repent as proved in His words :

" Say : " O my Servants who have transgressed against their souls! Despair not of the mercy of God : for God forgives all sins : for He is oft-Forgiving, Most Merciful.

The pleasure of giving vent to one's feelings :

The young man who suffers from a feeling of frustration finds pleasure in giving vent to his feelings through one of the following Three ways : advocating atheisim, deriding religious rites, or tempting others to follow suit. Nevertheless, the religious conscience never dies completely in men's hearts, and there is still a sense of responsibility, whatever happens. It is a feeling that has grown through past generations and become part of our being ... No one can fearlessly defy heaven, no matter what he says or writes or does, to prove his atheism. However, the one who stumbles in the mire of atheism feels that he has to have and outlet of some kind to relieve his mental turmoil, he either argues to prove atheism or he derides religious rites in self defence for his neglect of them, or he tries to pull the others down to his level so that he would be alone in his pit. That of course, being the usual behavior of hardened sinners who have gone astray : those about whom Satan said-after he had been cursed and thrown out of paradise :

"(Iblis) said : " O my lord! Because thou hast put me in the wrong, I will make (wrong) fair seeing to them on the earth, and I will put them all in the wrong :

Suffering a mental vacum and blind imitation :

Our modern youths have been influenced by the history of religious controversies that took place in Europe, controversies which led some scholars to doubt, and culminated through matealistic Marxism into atheism, contempt of religion, its men and its rites.

This point can be further illustrated by the following quotation : " The deed which is correct but not devoted wholely to God' is not accepted. If it is devoted to God, but is not correct, it will not be accepted. Deeds are not accepted unless they are both correct (i. e. according to the sunna of the Prophet), and devoted to God ". If religious deeds are so judged, it may be permissible to say that labour, even more so, is unacceptable to God unless it is accompanied by the good intention that it a means to obeying and pleasing Him.

The importance of labour and its near-sanctity are illustrated by the pasages in the Qur'an which call " iman " (إيمان), i.e. the articles of belief itself, commerce; and associate earning one's living with attending Friday prayers, and jihad i.e. the holy War.

The same attitude is relected in the permission extended to pilgrims to trade during the pilgrimage season, as the following verse shows :

« ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » ٢ : ١٩٨

(It is no sin for you that ye seek the bounty of your Lord (by trading in the pilgrimage season). (2 : 198)

Pilgrimage, in fact, was imposed upon Muslims in order that they might benefit from trading as well as from worshiping God, as the following Qur'anic verse points out :

« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات » . (٢٢ : ٢٧ _ ٢٨)

(And proclaim the Pilgrimage among men. They will come to thee on foot and mounted on every kind of camel lean on account of journeys through deep and distant mountain highways, that they may witness benefits provided for them and celebrate the name of God through appointed days). (22 : 27,28)

The benefits referred to in the verse are interpeted by al-Tabari and others as both the profits of trading during the pilgrimage season, and the rewards given in the world to come to those who carry out the pilgrimage.

The theme of the significance of labourer is further exemplified in the 'aya' of the Qur'an which refers to worship at night. This verse lightened the burnen of worshiping at night when it interfered with the responsibilities of one's occupation.

« إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك ، والله يقدر الليل والنهار ، علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤا ما تيسر من القرآن ، علم أن سيكون منكم مرضى ، وآخرون يضربون فى الأرض ، يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون فى سبيل الله ، فاقرؤا ما تيسر منه » . (٢٠ : ٧٣)

(Your Lord knows how you keep vigile sometimes nearly two-thirds of the night, or (sometimes) half or a third of it, as do a party of those with you. Allah measures the night and the day. He knows that you count it not, and turns to you in mercy. Recite, then from the Qur'an that which is easy for you. He knows that there are sick folk among you, while others travel in the land in search of Allah's bounty, and others are fighting for the cause of Allah. So, recite of it that which is easy (for you).

earn money) and supports a widow or a poor man, is rewarded as if he were fighting in a Holy war and as if he were fasting throughout the day and worshiping God all night long ". The same attitude is reflected in the following : "When is one most rewarded for freeing a slave ", asked Abu Dharr. " When the slave he frees is most dear and valuable ". said the Prophet. " But what can I do if I have no slaves to free ? " asked Abu Dharr. "You should help a labourer or do some manual work for someone who is a clumsy worker " answered the Prophet. A further example of the dignifying of labour by comparing it to devotional exercises is found in al-Bukhari : " God will reward those who go to bed exhausted by their work by forgiving their sins ". Similarly, : "Any one who builds a building or sows a seed (in his own land) and without violation (of another's possessions), will be continuously rewarded by God as long as his building or plants are utilised by others". The same point of view is reflected in the following tradition, also from al-Bukhari : " No Muslim who sows a seed or grows a plant to be eaten by any bird, man, or animal, but he is rewarded as if he had given alms ".

Al-Tibi, commenting on this last tradition, says :- " The Prophet, in his tradition, has used the word " Muslim "; in the indefinite form, put it in the negative ; added the preposition (من) in its comprehensive usage, (من الاستغراقية) , and used the words "animal" and " bird" in their generic sense : all this in order to show that any Muslim, whether he is a free man or a slave, obedient to God or disobedient who does any lawful work which profits any animal will be rewarded for it ".

It is to be remarked that the word " man " was used in some of the foregoing traditions instead of " Muslim ", although it includes both Muslims and non-Muslims. However, it is generally agreed, according to certain traditions in the Sahih of Muslim, that non-Muslims are not rewarded for their beneficial occupations except in this world.

If we take into consideration the high status of farmers in the concept of Islam, both in this world and the world to come, as revealed in the foregoing traditions, we can see how Islam has elevated the status of this group of labaurers. While farmers are rewarded in Islam for every single seed ef their fields that is utilised by any bird, man or animal, they were scorned in the Jahiliya, as we have mentioned before, to the extent that Abu Jahl, who exemplifies these Jahili attitudes did not regret his death nearly as much as he regretted the fact of his being killed by an agricultural labourer. (أكار)

It is noteworthy that worshiping God in all its forms is not accepted by God unless it is devoted to Him alone. The prophet says in this respect : Deeds are judged according to the intentions (of the doers), and every person has nothing but what he intended. He whose emigration is for the sake of God and His messenger, his emigration will be for God and His messenger. He whose emigration is for some worldly gains he wants to achieve or a woman he wants to marry, his emigration will be for what he has emigrated for ".

THE MERITS OF LABOUR IN ISLAM - 2

By : M. Gamaluddin Ayyad, M.A.

The jahilites' contempt of labour can be further illustrated by the term "al Mahna" that they gave for labour in general, and serving others in particular, and associated with humiliation. "Yumtahan", a derivation from the term, means to be humiliated, downtrodden and discarded. "al-Mahin", another derivation from the term, means the weak.

Besides the "Mutabadhdhil", which means the one who humilates himself, was used by Arabs as a description of that who does his own work by his own hands. He who hires others to do his work for him, and lives without an occupation, is, thus, the noble one who preserves his dignity and does not humiliate himself. Such was the jahilite view to labour and labourers, but when Islam came, its view was quite different, being full of respect.

Islam has honoured labour by raising it to the sacred standard of worship in general, and holy war in particular. Some companions of the Prophet said, when they saw on one occasion a healthy and active youth hurrying to his work: "It would have been better for him if his youth, health, and activity had been spent in the service of God". The Prophet said, "Don't say this! If he has gone out to work to support his children this will be in the way of Allah; if he has gone out to work to support his two old parents this will be in the way of Allah; if he has gone out to work to support himself and protect himself this will be in the way of Allah; but if he has gone out to perform an act of boastfulness and ostentation this will be in the way of Satan".

On another occasion the Prophet said: "The alms collector (or wali) is (rewarded) as if he were a fighter who has gone on a holy war, until he comes back home. Umar also said to a man who left his occupation and asked him permission to join those fighting in a holy war: "Return to your work for righteous work is as (noble and rewarding as the Holy War". Again, Sufyan ibn Malik, one of the collectors of zakat, asked 'Umar to send him to Holy war. 'Umar refused and said to him. "Are you not now in a Holy War? (i. c., being occupied in alms collecting)."

Just as a Muslim is rewarded in the other world for worshiping God by fasting, saying prayers and the like, so will he be rewarded for carrying out the responsibilities of his occupation, This is quite clear in the following traditions :- al-Tirmidhi quoted the Prophetic saying that "The honest merchant will be a companion of the Prophets, the righteous men, and the martyrs in the other world". Al-Bukhari records that "The Muslim honest treasurer who carries out what he is ordered to do with a good heart is one of the alms givers" Again "One who works (to

to these ancient manuscripts, one reading afresh the words of truth that lie there. Christianity inherited much from Judaism and the two faiths are closely connected through the Old Testament which contains the beautiful Psalms of David, here too I found another fragment of truth. However, as one must be born a Jew it offers no hope to mankind and in this respect the Jew is something like the Hindu, for not only is he a member of a religion but also of a race. It is also rather incomprehensible why the Jews are still called the "chosen people", an interesting theory is that they have been persecuted so much for this very reason.

The third revealed religion of the triology is Islam, unfortunately, apart from a few orientalists, this is not well understood in the West. I found the English translations of the Koran and other books on Islam, usually gave a picture which is a grand mixture of the Christian and Jewish faiths painted with the beauty of a legendary past; while the average person thinks of the Muslim as a completely immoral person living in the land of "A Thousand and One nights". Yet a fragment of truth was to be found here in spite of the distortion and I refused to accept this as representative of a religion which millions folow.

Hinduism offered another fragment, for the writers of the " Gitas " were originally invaders from a northern country beyond the Himalayas. Hinduism has many gods and an intersting belief in re-incarnation, unfortunately this developed the caste system which has been the curse of India and only now is it slowly releasing it self from the chains of a belief in a pre-destined fate inherited from a former life. I found a great sense of the spiritual in India and hte lines from one of their holy books, the Bhagavad Gita, are immortal... "Give Me your whole heart, love and adore Me, worship Me always, bow to Me only, and you shall find Me; this is My premise who love you dearly". Buddism is the child of Hinduism, originated by the Prince Budda who revolted, as many today, against the the empty ritual of his faith. It is a fine religion containing another small fragment of truth, but it is far too abstract, for even when Budda was asked if there was God, he kept silent inferring that such questions were a hindrance in one's attempt to escape the cycle of lifes existence in the bordage of desiring.

(5)

All these religions, and others, presented their small pieces of truth to me and, as I studied what lay before me with what I had learned three facts stood out most clear. 1) They all, essentially, worshipped One God, who was their Creator ; 2) They all originated long ago in the birthplace of man, the Arabian Continent ; 3) The Truth lay somewhere in the East. All the books I read, the people I talked with, the countries I visited, all pointed to these facts and I came to the conclusion that if I would find the answer I sought then I would have to leave the sophistication of the west for the spirituality of the East. I Hesitated over such an important decision as it meant leaving all I knew and understood, my own world, for something strange and different. It was only after much doubt and soul searching delay I made up my mind and finally said goodbye to my frinds and family to set out on the most momentous journey of my life . . . a journey I vowed would not end until I found the reason for my being, the Truth . . . the Way . . . God.

The world of the spirit appeared to have vanished with the explosion of the atom bomb. Even Thibet, which had been the refuge of centuries of mystics, was now part of the Communist empire and incense no longer burned to the Budda amid the wavering shadows of the temples. The prayer wheels had indeed ceased to turn and man only knew the physical world in which he dwelt. The world of genocide and the "cold war", the jet age, the nuclear era of mankind where man knew much but had forgotten even more. Forgotten that his first duty is to God. I searched among the ruins of man's imposing dreams, in the empty churches and even more empty hearts, trying to find the answer I knew must be somewhere... but it was only in man's music I heard the call of God. For the rest, the cacophony of civilization had blurred the celestial and eternal message of God so that only fragments remained, but it was these fragments of truth that gave me the clue as to where the whole truth was to be found, the truth of the knowledge of the Way to God.

(4)

The first fragment I found was in Christianity. As I was born into this faith it was naturally the first one I should study and as I did so I became aware of the unescapable fact of Divine Love, that God is Love and therefore must love us, His own creation to whom He gave life. Jesus, (may peace be with him), I came to understand as a great man, a prophet, but I could not accept his divinity upon which rests the whole structure of Christianity... that he was God incarnate and allowed Himself to be crucified to atone for a sin His own creation committed in a long lost Eden. Is not God the All-Forgiving and All-Powerful? To my dismay I found that Christianity had absorbed too many pagan rites in it's fight to survive, (those who have read "The Golden Bough" will know what I mean.), and while some of these rites appeal to the aesthetic sense they have no real meaning in the pure faith of man. This is true of the other religions where ritual has overcast the simple and pure worship of God, where man alone adores his Creator in silent truth.

While I found much that was self-contradictory in Christianity, I also found much beauty. I remember while staying in a majestic monastery on the Isle of Wight, sitting in the stillness of a small incense scented chapel after the evening prayers and, as the dusk gathered through the dark tinted hue of the long windows, the tiny flame over the distant alter twinkled like the far off star over Bethlehem. There was a quietness of the soul there that I often found in the old catherdrals of Europe, one felt the pious devotion of a million prayers mingling with the soft breath of heaven.

As I studied the Bible I realised the many translations that had been made, the alterations, the change of meaning which are inevitable when translating from one language into another — however good intentioned and a scholar the translator may be. Which was the true version and where was the original? The Dead Sea Scrolls promise to throw valuable new light on this subject and it will be a most interesting moment for all when the Bible is translated according

filled the world and became like an angels anthem, a glorious rhapsody of the stars; the word taking an entire new meaning yet it was as if my heart had known it all along and, exalted, my whole being surged out to Him who was the whole meaning of life. I knew then that there was God; that I had to go to Him, somehow to find the way that would lead me to my destiny no matter how or where it took me and I asked for His help, which in His mercy He gave and continued to give.

That was how in began. It was strange for I had not been a particularly religious person as a young man, going to church and all that sort of thing, frankly the Bible and the Church bored me for I could find no inspiration in either — on the contrary I found them embarrassing and incomprehensible, as a matter of fact at that time I found more mental stimulus in the book "she" by sir Rider Haggard, than in the "Thees and thous" of the new Testament. However, after my experience of that night and with a more mature mind that came with the passing of the years, I began to study the contemporary religions in an attempt to find some help in indicating the correct religious approach to life and therefore to God. I eagerly read all I could find on any and all religions, attending lectures and speaking with knowledgable people ; seeking, finding much but never what I really sought, the whole truth. Only so many platitudes and an archaic thought that had no relation to man's essential role in life. Many of them offered peace of mind if I would only surrender my persistent enquiry, but this I could not do and remain true to myself for in certain things there can be no compromise.

(3)

After the war, my subsequent rather bizarre marriage and hectic life in the artistic world, was not exactly an inducement to my spiritual aspirations and it was an impossible task seeking the Light of Truth among the lights of London. My life fast became too swift and superficially full with too many strange love affairs mixed with a too glib synthectic talk. My wife, being a materialist, was symbolic of all that was physical in me and she once made the somewhat inane remark after a rare moment I found for meditating, that to look into my eyes made her shiver with fear of the unknown. When we finally parted my life, for a while, became even more wild until I reached the very abyss where life had utterly no meaning... when suicide appeared inevitable... and nearly was. Perhaps each of us must go through certain terrible experiences in order that we may mature and so let our souls shed the surrounding darkness. For over a year I lay seriously ill and, when I recovered, I said goodbye to my old life to devote myself to social work hoping to find God in my service to others; it was very hard work and at times I found myself doing the most menial tasks, at others simply holding the hand of a dying man to ease his passing. Like many before me I found that in helping others I helped myself and I felt a change taking place within me, but as I changed so did the world about me as I looked at it anew and my heart became depressed at what my eyes beheld.

was extremely unusual. I wanted to LIVE, to taste and experience everything there was in life regardless of the cost... and live I did never looking at the price. But also I wanted God very much, to know Him completely, for I instinctively knew this was the real secret of life which man had sought throughout the years. In the end the spiritual part of me won, though not without a poignant struggle, and by the grace of God there came a point in my life when the only thing that mattered was to find Him, even if it meant my going to the ends of the earth and beyond.

(2)

Where should I begin my story — Lewis Carroll once wrote "... the best place to begin is at the beginning", but it is often difficult to find the beginning in a chain of events, the law of "cause and effect" always taking one a step further back until eventually one finds oneself as a babe in the womb. That is far enough back for anybody, unless one is studying re-incarnation and this is not on such a subject, it is merely an attempt to show how and why I decided to become a Mmslim. So many people have asked me this question again and again, by men of more than one faith and in more than one country, that I at last decided that the story of my acceptance of Islam may in some way be of help and interest to others who are also seeking to come closer to God, and I pray that God may bless their quest as He blessed mine.

I think the beginning for me was one night during the last world war. I was a very young man, with all the problems of youth and of those terrible times when all the familiar things we thought secure and safe were shown as a shattered image. I remember the moment it happened so well... I was in London at the time and the all-clear syren had not long ago sounded after a rather nasty air-raid during which I had taken shelter as the many enemy bombs came whining down to explode with an earth shaking "Blam"! My heart had now recovered it's normal pace and those of you who have lived through such times of danger know the wonderfull feeling of relief that comes when you realise you are safe for a little while longer. As I walked home idly looking at the stars which, as it was a fine night (hence the air-raid) filled the sky with a myriad magic of gleaming jewels, and as I looked at this ancient scene I began to think of how this earth was just one small star in this vast universe. That our earth was only a part of our solar system, that our solar system was but a part of our galaxy and that our galaxy, together with others, formed only a part of this immense universe. I began to think of how old was the beautiful scene I gazed up at, of the trillions of years that had past and it suddenly seemed as if I was as old as this universe too, so old one could not comprehend the years, that though this body I was in was but a puff of wind in the cyclonic gale of life, my spirit had known the weariness of centuries existence.

I pondered why this strangeness should be and as I did so my heart heard the echoing answer from the oracle of the stars... "God". The one word

« الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة الزجاجة
كأنها كوكب درى ، يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء
ولو لم تمسسه نار ، نور على نور ، يهدى الله لنوره من يشاء . . . »

(القرآن الكريم)

"Allah is the Light of the Heavens and the Earth. His light is like a lamp in a niche, the glass of which as it were a glittering star. Kindled from a Blessed Olive tree, that is neither of the East or West, whose oil would near shine though never touched by fire. Light upon Light, Allah guides to His Light whom He will". (The Qur'ân)

THE BEGINNING

It is said that each man must find his own path to God for as individuals no two men tread the same path, this is true but I would like to qualify this by adding that a man follows his own path until he reaches the only Path and it is to this that all our separate paths lead, once we attain this stage on our journey then all of us walk together joined in harmony along this Path towards our glorious destination, The Throne of God. If we would find God then we must find this Path else we stumble through the wilderness of an arid land, a soul lost in the limbo of life. It is not easy and many lose heart for the way is hard, not only does one have to struggle with one's own fears but also with the doubt and mockery of others for often the reflection of Truth causes them to feel ashamed; there are a few who understand and their encoragement helps to strengthen one's determination to go on no matter what. Really it is something like a subconscious instinct of a certain desire that will not be stilled, weak in some and strong in others and in the rare an overwhelming force that will not let them rest, these are the mystics of the world and their journey is a long and arduous one leading through a strange country that few have ever known; they are the ones who have been the guides to others along the way, by their example showing that the perilous journey is not impossible, only very, very difficult.

The mystic's prayer is an important part of his life for it provides and strengthens the link between him and God, by it the soul communicates with it's Beloved and His Light illumines the deep darkness of the heart. For all, prayer is essential to one's spiritual progress, without it one remains static and the soul is mute, for prayer is the song of the soul.

While some have called me a mystic I am reluctant to put myself among that high sphere of men for I know I have far too many faults and failings. In fact my life has been a constant pull between the physical and the spiritual, a conflect that has sometimes led me into the oddest places and most stupid situations for the pull of the spiritual part in me caused the physical part to lead a life that, to say the very least,

My Experience of Islam

THE RIGHT PATH
(1)

By : Raschid Ansari

(Robert Wellesley)

[Mr. Raschid Ansari, formerely Robert Wellesley of London, England, has kindly consented to write about his experience of Islam for Al-Azhar Magazine. This will be published in a series which are positive to be of great value for all Muslims and we take great pleasure in first presenting this valuable work by such an esteemed Muslim.

Mr. Ansari, who comes from an old aristocratic family, was educated by a tutor untile the outbreak of the last World War, during the latter part of which he saw distinguished service in the Pacific theatre of operations. After the war years he became well-known in the theatrical world of Europe due to his brilliant performance on the stage and screen, his long and serious illness brought about his retirement when he then directed his talent to painting and poetry. Here, too, he achieved success, painting many famous personalities and having his poetry published in many countries.

Though a man of the world he is foremost a Mystic and a philosopher ; in 1960 he went to India to live as a monk and it was there, after a great religious experience, that he became a Muslim. On his return to England he founded an Islamic Society where he was living and shortly after embraced his mother into Islam, propagating his faith wherever he went.

Because of his brave search into the theological realms he has become a personality here, too, giving many lectures and writing much on Islam. At present Mr. Ansari is living in Cairo to further his studies in Arabic and Islam at Al-Azhar and where he is also a lecturer at the University of Al-Azhar.]

M. Alwaye.

" the survival of the most beneficent ". The quality of mercy in nature demands that what is beneficial should increase and what is harmful should dimenish.

That is the true meaning of natural selection.

« أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً الآية » .

(He sends down water from the sky, so that valleys flow according to their measure, and the flood bears away (the dirt and litter in) its swelling foam. And so from that which they smelt in the fire in order to make ornaments and tools rises a foam like unto it . . . . . As for the foam, it passes away as scum upon the banks, while that which is of benefit to mankind remains in the earth). XIII : 17.

There is mercy not only in the principle of natural selection but also in the manner in which it operates. The laws of nature are unalterable, and because they are in exorable they appear to the Superficial observer as pitiless. That is, however, not so, for nature is essentially lenient and for giving ; it aims at reform and improvement not destruction. It acts not arbitrarily and suddenly but systematically and gradually, so as to give us ample opportunity to prepare and adjust our selves. Life and death are not sudden unforesean events but gradual processes, with clear warnings at every step. That is true for men and plants and also for all natural phenomena, such as day and night. It is to this divine mercy that the Quran. refers when it says :

« ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى » .

(If Allah took mankind to task (at once) for that which they deserve by their conduct, there would not be left a living creature on the Surface of the earth ; but (in His mercy) He reprieves them for an appointed term) XXXV : 45.

Another aspect of Divine Mercy is that even hardship assumes an attaractive character. Man's life is one continuous struggle for self-preservation and advancement, and it is thus full of heavy responsibilities, great hardships and severe trials. At the same time nature has imbued man with such desires and ambitions, sentiments and enthusiasms that every corner of life is alive with activity and interest and it is this Zest for life which not only makes every living creature bear all the hardships of life but also makes those hardships a source of interest and pleasure. The greater the hardships and exertions, the kneer is the pleasure derived from them and the more interesting and attractive ones life. If life was devoid of hard labour and challenging trials it would also be deprived of all interest and joy would become dull and unbearable.

This is true of all mankind, men and women, old and young, rich and poor, learned and uneducated, strong and weak, healthy and sick. Their circumstances are different, their natures, activities, interests and objects are all different, but they are equally interested and engrossed in their various pursuits, and it is impossible to say for whom life is more interesting, meaningful and attractive [1].

---

[1] The Quintessence of Islam.

a delight for the eye, a joy for the ear and a very heaven of peace and content for the soul. There are no doubt manifestation of nature in which one fails readily to observe beauty. One finds, for instance, beauty in the song of a nightingale but not in the crowing of a raven. One forgets, however, that music cannot be made with a single note, high or low.

« وإن من شيء إلا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ... »

(There is not a thing (in the universe) which does not (in its own way) hymn His praise, but you do not understand their (several) hymns) XVII : 44.

Human knoukedge and intellect have failed to answer the question why there should be not only construction but beauty in the world. The Qur'an answers that it is because God is 'rahman' and 'raheem' that He is merciful and His mercy is ever active. We are so engrossed in the artificial comforts of life that we overlook the far greater conforts provided by nature. So it is with the all-pervading beauty of nature. We ignore it, but life would be intolerable if it was devoid of beauty or if we were without a sense of beauty.

It is a universal failing in man that he does not value a thing until he has been deprived of it. Water is not valued on the banks of the Ganga but man would soon realise its value if he had to do without it even for a day. Similarly, we do not care to leave our bed in the morning to witness the miracl of dawn, because morning comes every day in all its glory. We do not appreciate the moonlight and its transcendental beauty, because it has become a part of routine, and we stay in closed rooms, but we would be in a desperate state if the moonlight were to disappear from our life. Only those in a cloud-laden cold region can realise what a great boon the rays of the sun are. Only a bed-ridden sick man can appreciate fully how much the sight of a clear blue sky means in life.

It seems in conceivable that anyone should consider himself poor and deprived who has the supreme gifts of light and colour, fragrance and music. The gifts of nature are indeed so great and numerous that it is impossible to count them or describe their fulness. Nor does nature content itself with dispensing external beauty alone; it also endours its creatures with an inherent balance which awakens the faculties of senseand under standing in animals and lights the flame of intellect and reason in man.

How this comes about is a secret of nature which defeats human comprehension How does a particular arrangement of matter yield an abstract quality that is beyond matter ? How is it for instance, that the insignificant material body of an ant, with a brain hardly larger than the size of a pin point, contains within it such enormous powers of perception and understanding, diligence and perseverence organisation and discipline, arrangement and balance, construction and improvisation ? The only possible answer is that it is a quality of Divine Mercy to create beautifully and to give its creation not only external beauty but also internal excellence.

The beauty and excellence of existence, with its continuous progress, could not, however, last if it did not also possess an irresistible force which preserves what is good and eliminates what is not. This force is that of natural selection, and we refer to it as "the survival of the fittest". The Qur'an, however, refers to it as

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYAT

Sha'bân 1385	ENGLISH SECTION EDITED BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE	December 1965

The Quran's Conception of God-VI

By : Moulana Abulkalm Azad

Nature's bounty is also Universal; it ministers to the needs of every creature at the same time. If a rich man in his proud palace can feel that the world is for his benefit, an ant in its humble hole can make the same boast. Is not the Sun there to provide warmth for the ant, rain to provide moisture, wind to carry the smell of food to it and the earth to furnish it with abode in every difficult climate and circumstance ? Who dare deny it, and who can reject similar boast by any other creature, for nature tends to all equally and " God's mercy embraces all things "

It is true that the world is also a place of strife and destrubance. There is along with construction, destruction and, along with consolidation, disorder. This apparent destruction, however, is only a step towards construction, and improvement, just as a sculptor breaks and mutilates a stone in order to produce a beautiful figure. No building can be constructed without first 'destroying' or 'Spoiling' many things, such as stone, earth, steel and wood. The comfort and peace of a home are obtained only after a great deal of hard labour and the discomforts of dirt, noise, etc. So it is with nature. Oceans in storm, rivers in flood and volcanoes in eruption, the snows of winter, the scorching winds of summer and the dark clouds and the inconvenient and even destructive rains of the monsoon are, all of them, uncomfortable and unwelcome and yet they are all necessary for the continuance and betterment of life; without them there would be no new life and the old life would wither away.

Perhaps the greatest gift of nature's bounty is its all-permeating beauty. Nature not only creates and gives form ; there is also beauty in everything it creates and shapes, whether one looks at creation as a whole or at its several aspects individually. The twinkling stars and the brilliant sun, the ethereal moon and the vast sky, the kalidoscopic clouds and the refreshing rain, the rolling oceans and the running rivers, the high mountains and the deep valleys, the scented gardens and the singing birds, the smiling dawn and the sky evening, they all bear witness to nature's desire to create and spread beauty, to make every corner of the world

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء السابع ـ السنة السابعة والثلاثون ـ رمضان سنة ١٣٨٥هـ ـ يناير ١٩٦٦ م

ح ١٢
ع ٢٢٢٢٦
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

المبادئ المثالية في الإسلام

بقلم أحمد حسن الزيات

عبقرية الإسلام هي ذلك الإشراق الإلهي الذي انبثق من غار حراء ، فكشف للرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ عن أطوار النفس البشرية في طوايا الغيب ، فدعا دعوته الخالدة إلى تكريم الإنسان ، وتنظيم العمران ، وتعميم الخير ، وتحقيق السعادة من طريق التوحيد والمؤاخاة والمساواة والحرية والسلام .

فالتوحيد سبيل القوة ، والمؤاخاة سبيل التعاون ، والمساواة سبيل العدل ، والحرية سبيل الكرامة ، والسلام سبيل الرخاء ، وتلك هي الغايات التي ترجو الإنسانية بلوغها عن طريق العلم والمدنية ، فلا تتكشف أمانيها بعد طول السرى وفرط اللغوب إلا عن سحاب خلب ، وسراب خادع

هذه المبادىء الإنسانية التي تضمنتها دعوة الإسلام ، معلومة من القرآن بالنصوص الصريحة ، فلا موضع فيها لتأويل أو تحميل أو تعسف .

فالتوحيد ركن من أركان الدين وعنوان من عناوينه ، وهو من الكلم الجوامع التي وعت جوهر الإصلاح وسر النجاح لكل مجتمع وأمة ، وهو توحيد الله ، وتوحيد العقيدة ، وتوحيد الغاية ، وتوحيد اللغة ، وتوحيد الحكم ، وتوحيد التشريع ، وتوحيد الدين والدنيا وشواهد التوحيد مذكورة في كتاب الله لا يختلف في مدلولها أحد .

وفكرة الوحدة الإنسانية هي مزية الدعوة المحمدية على كل دعوة ، وفي سبيلها صدق الإسلام بكل دين أنزل ، وبكل نبي أرسل ، ودعا الذين فرقوا دينهم ، وكانوا شيعا ، إلى خطة واحدة وكلمة سواء ، ثم وصل الدين بالدنيا ، وكانت اليهودية والنصرانية تفصلان بينهما ، فالأولى كان همها الصفق والاجتراح ، والأخرى كان سبيلها الرهبانية والتنسك ، ولكن الإسلام جعل الدين للدنيا كالروح للجسد ، فلا تعمل إلا بوحيه ، ولا تسير إلا بهديه ،

المؤمنين ، ليجتمعوا على المودة ، ويتعاونوا على لأواء العيش ، فلا يبغى قوى ، ولا يبخل غنى ، ولا يظلم متسلط

بدأ ذلك بالتأليف بين الأوس والخزوج والمؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين ، ثم توثقت عرى الإخاء بين المجاهدين فى سبيل الله حتى صار المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وأصبح هؤلاء القلال الضعاف فى بضع سنين أئمة للناس ، وورثة لكسرى وقيصر .

كذلك فى سبيل الوحدة الإنسانية والأخوة الإسلامية ، فرض الإسلام الزكاة ، وشرع الحج ، وأمر بالإحسان والبر ، ثم سوى بين الناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم فى الحقوق والواجبات بمحو العصبية الوطنية ، وقتل النعرة الجنسية ، وجعل التقديم والتكريم للتقوى ، فقال الرسول الكريم فى خطبة الوداع :

« إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » .

المسلمون وحدهم هم الذين يفهمون الإنسان بمعناه الصحيح ، لأنهم أتباع محمد ، ومحمد وحده هو الذى أعلن حقوق الإنسان بهذا المعنى لأنه أرسله رحمة للعالمين كافة ... أرسله رحمة للذين استضعفوا فى الأرض لقلة المال كالمساكين ، أو لفقد العشير كالموالى ، أو لضعف النصير كالأرقاء ، أو لطبيعة الخلقة كالنساء ، فكفل الرزق للفقير بالزكاة . وضمن العز للذليل بالعدل ، ويسر الحرية للرقيق بالعتق ، وأعطى الحق للمرأة بالمساواة .

والمستضعفون الذين رحمهم الله برسالته ممن لم يكونوا من جنس مبين ولا من وطن معين ، إنما كانوا أمة من أشتات الخلق وأنحاء الأرض ، اجتمع فيها العربى والفارسى ، والرومى والتركى ، والهندى والصينى ، والبربرى والحبشى - على شرع واحد هو الإسلام ، وتحت تاج واحد هو الخلافة ، والإسلام الذى يقول شارعه العظيم : « ولقد كرمنا بنى آدم » ، لم يخص بالتكريم لوناً دون لون ، ولا طبقة دون طبقة ، إنما ربأ ببنى آدم جميعاً أن يسجدوا لحجر أو شجر أو حيوان ، وأن يخضعوا مكرهين لجبروت كاهن أو سلطان .

وفى هذه الأصول الإسلامية - كما ترى - أفضل مافى الديمقراطية ، وأجمل ما فى المدنية ، فهى حرية أن تصلح ما فسد من أمور الناس ، وتقيم ما اعوج من نظام الدنيا .

ولقد كانت كذلك يوم كان لحماتها دولة ولدعاتها صوت ولمعتنقيها يقين ، فلما دالت الدولة وخشع الصوت ، وأراب اليقين ، تمزق المسلمون قطعانا فى فدافد الأرض ، فلا مرعى يجود ، ولا راع يذود ، ولا حظيرة تؤوى ، ثم كانوا بتخلفهم عن ركب الحياة حجة على الإسلام فى رأى السفهاء من مرضى الهوى أو الجهل ، فصموا عن دعائه ، وعموا عن ضيائه ، فليت شعرى متى يتاح لدعوة محمد من يجدد حبالها وينشر فضلها ، ويقول لأولئك الذين يحاولون أن يرفعوا قواعد العالم على أساس جديد : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم » .

أحمد حسن الزيات

تحية شهر رمضان

للإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون
شيخ الأزهر

لا يستطيع الإنسان وهو يعيش فى حاضره ويتطلع إلى مستقبله أن ينسى ماضيه القريب الذى عاش فيه أيامه ولياليه، وماضيه البعيد الذى عاش فيه آباؤه وأجداده وخلف التاريخ له صورا وذكريات من حياتهم يشعر براحة كلما أتيحت له فرصة استرجاعها إلى ذاكرته، واستعادتها إلى نفسه ليجد فيها تسكينا لحيرته وتهدئة لاضطرابه بعد أن حاول أن يستقرأ الغيب حوادثه وأيامه فعجز عن ذلك، وبقى كما هو فى حاضره حائرا مضطربا.

والمسلم يتطلع كل عام إلى هلال رمضان فتمر به صور لامعة ولوحات مضيئة لماضيه البعيد ويرى ببصيرته أول ما يرى منذ أربعة عشر قرنا صورة كاملة لفتى من أكرم فتيان قريش جالسا فى إحدى ليالى شهر رمضان ليقضى إحدى لياليه منفردا فى غار مظلم يقع فى أعلى جبل حراء شمالى مكة - صورة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذى هجر كعادته كل عام بيته وزوجه وأولاده، وانطلق إلى هذا الغار ليخلو بنفسه وليفكر فى هذه الحياة التى يحياها قومه ومن جاورهم من الأمم القريبة والبعيدة باحثا عن الحقيقة التى لم يجدها ماثلة أمامه ولم يكن لفضله الكبير أن يطمئن إلى ما كان عليه قومه من عبادة أصنام متعددة يصنعونها بأنفسهم لا تملك لنفسها حركة ولا سكونا ولا تضر ولا تنفع، فأنكر على قومه عبادتهم وعزفت نفسه الشريفة عن مشاركتهم فيما كانوا عليه والتمس الحقيقة عند غيرهم فوجد قوما يعبدون الله على دين موسى وعيسى لا يعبدون صنما أو وثنا فاطمأن إليهم؛ ولكنه ما لبث أن وجد فريقا من أتباع موسى يدعون أن عزيرا ابن الله وفريقا من أتباع عيسى يدعون أن عيسى بن الله - قال الله تعالى «وقالت اليهود عزير بن الله، وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون». فأنكر على الفريقين زعمهم ولم يجد فيه شيئا من الحقيقة التى يبحث عنها واستمر فى بحثه عن الحقيقة التى ضاعت وسط أصنام تعبدها قريش مكة وادعاءات ألوهية بعض البشر - يقول بها ناس من أتباع موسى وعيسى عليهما السلام والتمس أن يخلو بنفسه بعيدا عن أهله وأن يفكر فى خالق الكون الذى يشاهد بأرضه وسمائه وما فيه من إنسان وحيوان، وبينما هو غارق فى تفكيره فى ليلة من ليالى رمضان جاءه الملك فقال له اقرأ ... فأجاب: ما أقرأ فضمه الملك إلى صدره ضمة قوية حتى كاد يخنقه - ثم يرسله ويكرر عليه أن يقرأ بقوله اقرأ - فيجيب بما أجاب به فى المرة الأولى ويعود الملك إلى ضمه ضمة تكاد تخنقه ثم يرسله ويكرر عليه الأمر (اقرأ) فيجيب الرسول: ماذا أقرأ؟ فيقول الملك (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) فيقرؤها كما سمعها وقد نقشت فى قلبه كلماتها ثم ينصرف عنه الملك ويتركه إلى ما كان عليه قبل حضوره.

وبعد انصرافه يفكر محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب

فيما رآه وفيما سمعه فيسأل نفسه هل كان ما رآه من الرؤى التي يراها النائم في نومه ، أو كان ما رآه مسا من الجن أرشيئاً آخرا مما يخاف منه واشتدت حيرته فترك الغار وهام في الفضاء الذي يقع حوله وكلما نظر إلى السماء وجد صورة الملك أمامه فعاد إلى بيته مضطربا حائراً ، يملأ قلبه الخوف والرعب مما رأى وسمع إذ لم يكن له عهد بالوحي ، وأفضى بدخيلة نفسه إلى زوجته السيدة خديجة فألقت إليه كلمات هدأت من روعه وأعادت إلى نفسه الشريفة الطمأنينة والسكينة إذ قالت له « ابشر يابن العم واثبت فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ووالله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتعين على نوائب الحق - ولما انتهت زوجته من كلماتها اطمأن إلى أن ما رآه وسمعه لم يكن رؤيا من الرؤى وإنما هو الوحي الذي يرسله الله إلى أنبيائه ورسله ليبلغهم كلمات الله ، ووجد مما سمع الحقيقة التي طال بحثه عنها إذ وجد أن ربه هو الذي خلق كل شيء وخلق الإنسان من علق .

هذه أول صورة مشرقة يراها المسلم ببصيرته كلما طالعه هلال شهر رمضان ويذكر هذه الليلة المباركة التي حدثنا القرآن عنها بقوله (حم والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين رحمة من ربك إنه هو السميع العليم) والتي أنزل فيها من القرآن سورة القدر (بسم الله الرحمن الرحيم إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر) .

ففي هذه الليلة المباركة ظهر إلى الوجود نور الإسلام إذ تفضل الله سبحانه وتعالى على عبده محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بابتداء إنزال القرآن عليه فيها إيذانا برسالة الإسلام في شهر من أكرم شهور السنة : (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) والذي كرمه الله سبحانه وتعالى بفرض صيام أيامه كلها وأحياء لياليه بالذكر والعبادة والتسبيح والحمد والشكر ، ثم تطالعنا في هذا الشهر الكريم صورة الصراع بين الحق والباطل بين المؤمنين وعلى رأسهم رسول رب العالمين ، وبين المشركين من صناديد قريش بمكة حيث التقى الفريقان ببدر (قرية صغيرة تقع على الطريق من مكة إلى المدينة) في الثامن من رمضان في السنة الثانية للهجرة ووقف الفريقان جند الحق وهم قلة أمام جند الباطل وهم كثرة تزيد على ثلاثة أضعاف جند الحق عدداً وعدة ، وعند ذلك اتجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى فناجاه بقوله (اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها تحاول أن تكذب رسولك — اللهم نصرك الذي وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لن تعبد) وما زال يهتف بهذا النداء ماداً يديه مستقبلا القبلة وخرج إلى أصحابه ليحرضهم على القتال والثبات في الميدان بقوله (والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة) في هذا الجو المؤمن بالله وبنصره تصارع الحق والباطل وانتهى الصراع بنصر الله لرسوله وأتباعه المؤمنين المخلصين على أعدائه وأعدائهم المشركين الكافرين — وفي تأييد الله لرسوله نزل قوله تعالى (إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق

واضربوا منهم كل بنان . ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير . فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ، وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم . ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين) .

وبهذا النصر المبين فى غزوة بدر قويت شوكة المسلمين وزاد إيمانهم بنصر الله لهم فى كل موطن وفى كل وقت ما داموا معتصمين بحبل الله المتين مطيعين أوامر الله ورسوله ولا يسع المسلم وهو يرى هذه الصورة ، صورة القتال . . أو الصراع بين الحق والباطل ببدر إلا أن يذكر بفخر وإعجاب بطولة من قاتل من الأنصار والمهاجرين سواء منهم من استشهد فى هذه الغزوة أو من رجع منهم إلى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتابع معه الكفاح ضد الظلم والطغيان .

والصورة المثالية التى يراها المسلم ببصيرته كلما طالع هلال شهر رمضان صورة ليس فيها قتال ولا دماء إنما هى صورة كلها فرح وابتهاج صورة جيش المسلمين وعلى رأسهم القائد العظيم رسول رب العالمين يدخل مكة فاتحا بعد أن خرج منها الرسول هو وصاحبه مهاجرا من مكة إلى المدينة ثم يعود إليها بعد سنوات من الكفاح والنضال ظافرا منتصرا مؤيدا من الله سبحانه وتعالى ويدخل الرسول وجيشه إلى مكة بدون قتال أو مقاومة فلم ينقل إلينا التاريخ عن هذه الصورة أن دماء أريقت إلا النذر اليسير حتى لقد عثر غداة يوم الفتح على رجل من هذيل قتلته خزاعة وهو مشرك فغضب النبى صلى الله عليه وسلم وقام فى الناس خطيبا فقال : « يا أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهى حرام من حرام من حرام إلى يوم القيامة لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك دما أو يعضد فيها شجرا لم تحلل لأحد كان قبلى ولا تحل لأحد يكون من بعدى ولم تحلل لى إلا هذه الساعة غضبا على أهلها ثم رجعت كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد منكم الغائب ومن قال لكم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل فيها فقولوا له إن الله قد أحلها لرسوله ولم يحللها لكم يامعشر خزاعة ، ارفعوا أيديكم عن القتل فلقد كثر أن يقع . لقد قتلتم قتيلا لأودينه ومن قتل بعد مقالى هذا فأهله بخير النظرين إن شاءوا فدية قاتله وإن شاءوا فقتله » ـ ثم بعد ذلك ودى الرجل الذى قتلته خزاعة ـ ثم أمر أن ينادى مناد فى أهل مكة (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يترك فى داره صنما إلا حطمه) وذهب إلى البيت الحرام وحطم كل الأوثان والأصنام وطهره من آثار الشرك ، وخطب الناس الذين التفوا حوله وتكاثروا فى المسجد وقرأ عليهم قوله تعالى (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) ثم سأل أهل مكة بقوله : يامعشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم فقالوا : خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ـ وهكذا يعفو الرسول صلى الله عليه وسلم عفوا شاملا عن قريش وأهل مكة بعد أن مكنه الله منهم بفتح مكة من غير حرب أو قتال ؟

محمد مأمون

نظرات في فقه عمر

لفضيلة الأستاذ محمد محمد المدنى

- ١٢ -

٣ — وجاء فى الموطأ : —

« مالك عن عمرو بن يحيى المازنى ، عن أبيه : أن الضحاك بن خليفة ساق خليجا له من « العريض » فأراد أن يمر به فى أرض محمد بن مسلمة ، فأبى محمد ، فكلم فيه الضحاك عمر بن الخطاب ، فدعا عمر محمد ابن مسلمة ، فأمره أن يخلى سبيله ، فقال محمد : لا ، فقال عمر : والله ليمرن به ولو على بطنك ، فأمره عمر أن يمر به ، ففعل الضحاك » .

قوله « إن الضحاك بن خليفة ساق خليجا له من العريض » : الخليج هو الممر المائى الذى يختلج من النهر ، أى يشتق منه ، والعريض : موضع أو نهر بقرب المدينة ، وكان بين الخليج وأرض الضحاك أرض لمحمد بن مسلمة ، فأراد أن يمده فيه ، فمنعه محمد بن مسلمة ، فاحتج عليه بقوله : لم تمنعنى ذلك ولك فيه منفعة : تشرب منه أولا وآخرا ولا يضرك ؟ .

وقول عمر : « والله ليمرن به ولو على بطنك » معناه : والله لأنفذن هذا الحكم عليك حتى إنك لو عصيت وحاربت وأدت المحاربة إلى الاقتحام عليك وإجرائه على بطنك ، لفعلت ذلك نصرة للحق » .

ويتبين من هذا أن عمر رضى الله عنه كان شديد الإيمان بحقوق الارتفاق التى ينتفع بها الناس بعضهم من بعض ما دامت لا تضر المالكين ، وهى نظرة مصلحية تتفق وما نسميه اليوم « بالروح الاشتراكى » .

وأصل ذلك ما ورد فى السنة من « أن رجلا كانت له شجرة فى أرض غيره ، وكان صاحب الأرض يتضرر بدخول صاحب الشجرة ، فشكا ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأمره أن يقبل بدلها أو يتبرع له بها فلم يفعل ، فأذن لصاحب الأرض أن يقلعها وقال لصاحب الشجرة : أنت مضار » .

قال ابن القيم تعليقا على هذا الحديث فى ص ٢٤٣ من كتابه « الطرق الحكمية » :

« وصاحب القياس الفاسد يقول : لا يجب عليه أن يبيع شجرته ، ولا يتبرع بها ، ولا يجوز لصاحب الأرض أن يقلعها ، لأنه تصرف فى ملك الغير بدون إذنه ، وإجبار على المعاوضة عليه ، وصاحب الشرع أوجب عليه إذا لم يتبرع بها أن يقلعها لما فى ذلك من مصلحة صاحب الأرض بخلاصه من تأذيه بدخول صاحب الشجرة ، ومصلحة صاحب الأرض ببقائها فى بستانه أعظم ، فإن الشارع الحكيم يدفع أعظم الضررين بأيسرهما ، فهذا هو الفقه والقياس والمصلحة وإن أباه من أباه » .

ومما ورد فى السنة فى مسألة الإرفاق أيضاً :

ما رواه الجماعة - إلا النسائى - عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة فى جداره »

- ثم يقول أبو هريرة : مالى أراكم عنها معرضين ، والله لأرمين بها بين أكتافكم » .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار ، وللرجل أن يضع خشبة فى حائط جاره ، وإذا اختلفتم فى الطريق فاجعلوه سبعة أذرع » .

قال الشوكانى فى شرحه للأحاديث الواردة فى ذلك « ص ٢٦٠ ج ٥ » :

« والأحاديث تدل على أنه لا يحل للجار أن يمنع جاره من غرز الخشب فى جداره ، ويجبره الحاكم إذا امتنع ، وبه قال أحمد ، وإسحق ، وابن حبيب من المالكية ، والشافعى فى القـــديم ، وأهل الحديث » .

ثم ذكر الشوكانى أن الجمهور يشترط إذن المالك ، ولا يجبرون صاحب الجدار إن امتنع ، ويحملون النهى على التنزيه جمعا بينه وبين الأدلة التى تقضى بأنه « لا يحل مال امرىء مسلم إلا بطيبة من نفسه » ، وعقب على ذلك بأن أحاديث الارتفاق أخص من تلك الأدلة مطلقا ، فيبنى العام على الخاص ، قال البيهقى : لم نجد فى السنن الصحيحة ما يعارض هذا الحكم إلا عمومات لا يستنكر أن يخصها .

وقول أبى هريرة « مالى أراكم عنها معرضين » أى عن هذه السنة أو عن هـذه الوصية النبوية ، وهو يدل على أن طبيعة الحرص على المصلحة الخاصة تحمل بعض الناس على الامتناع من تأدية حقوق الارتفاق وما يجب من رعاية التعاون ، فيجب حينئذ حملهم على ذلك ، ولهذا يقول أبو هريرة « والله لأرمين بها بين أكتافكم » - أى لأقرعنكم بهـا كما يضرب الإنسان بين كتفيه بشىء ، ليستيقظ من غفلته - وقد رواه بعض رواة الموطأ « والله لأرمين بها بين أكنافكم » - بالنون الموحدة بدل التاء المثناة ، وهو جمع كنف بمعنى الجانب ، والمعنى : لأصرخن بها معلنا إياها بين جماعتكم ولا أكتمها أبدا ، وكأنه رآهم توقفوا عن قبول هذا الحكم ، كما وقع فى رواية لأبى داود أنهم نكسوا رءوسهم لمـا سمعوا ذلك

وقوله عليه الصلاة والسلام « لا ضرر ولا ضرار » يدل على تحريم الضرار على أى صفة كان دون فرق بين الجار وغيره ، ودون فرق بين مسألة الجدار وغيرها من مسائل الارتفاق ، وتلك قاعدة من قواعد الشريعة تشهد لها كليات وجزئيات ، وقد ورد الحديث بالوعيد لمن ضار غيره ، إذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ضار أضر الله به ، ومن شاق شق الله عليه » - أخرجه أبو داود ، والنسائى ، والترمذى ، وحسنه - .

* * *

٤ - وروت كتب الأموال والخراج ، وغيرها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان أقطع بلال ابن الحارث المزنى : العقيق - وهو واد قرب المدينة - فلم يستطع عمارتها ، ولما تولى عمر بن الخطاب الخلافة قال : يابلال ، إنك استقطعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضا طويلة عريضة ، فقطعها لك ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يمنع شيئا يسأله ، وأنت لا تطيق ما فى يديك ،

فقال : أجل ، قال عمر : فانظر ما قويت عليه منها فأمسكه ، وما لم تطق ، وما لم تقو ، فادفعه إلينا نقسمه بين المسلمين ، فقال لا أفعل والله ! شئ أقطعنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال عمر : والله لتفعلن ! فأخذ منه ما عجز عن عمارته ، فقسمه بين المسلمين - ص ٥٦ من كتاب تحديد الملكية فى الإسلام ، للسيد أبى النصر أحمد الحسينى - .

والإقطاع المذكور هنا ، هو تمليك الأرض لمن يحييها ويعمرها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله رغبة فى التعمير والإصلاح ، وفعله كذلك الخلفاء من بعده ، والجديد الذى فعله عمر فى هذا هو أنه لم يترك بلالا وتحت يده هذا الوادى الطويل العريض - كما قال - وهو غير قادر على إصلاحه وتعميره ، دون أن يتخذ قراراً حاسما فى شأنه ، وهو أن يبقى له ما يقدر عليه ، ويأخذ منه الباقى ليقسمه بين المسلمين ، وقد فعل ذلك على الرغم من معارضة مالكه وتمسكه بأن هذه منحة منحه إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو يملكها ممن يحق له التمليك ، وهو يعتز بها ، لأنها من رسول الله ، لا من خليفة أو حاكم .

ونظرية عمر رضى الله عنه واضحة ، فإن هذه الأرض التى أقطعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا ، كانت أرضا عامة مملوكة للمسلمين ، وإنما أخذها ليعمرها ويصلحها ، فإذا عجز عن ذلك فليس من الرأى أن تبقى فى يده معطلة ، بل الرأى أن يبقى له ما يطيق ، ويتخلى لغيره عما لا يطيق .

وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « عادى الأرض لله وللرسول ، ثم لكم من بعد ، من أحيا أرضاً ميتة فهى له ، وليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين » - رواه أبو يوسف فى الخراج ص ٦٥ ط السلفية - .

والمراد بعادى الأرض ما انقرض أصحابه وصار ملكا عاما ، وفى حكمها الأرض الموات التى لم يسبق أحد إلى إحيائها ، ولا إلى ملكها ، وقد كان عمر رضى الله عنه يستند إلى هذه السنة النبوية ويقول : « من عطل أرضا ثلاث سنين لم يعمرها ، فجاء غيره فعمرها فهى له » ، ومعنى هذا كله أن العمل هو المعول عليه فى ملك الأرض العامة ، وأن إهمالها أو العجز عنها يبرران انتزاعها من مالكها .

محمد محمد المدنى

عمل الخير

عن حذيفة قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم ، قالوا : أعملت من الخير شيئا ؟ قال : كنت آمر فتيانى أن ينظروا الموسر ويتجاوزوا عن المعسر ، قال : فتجاوزوا عنه .

نفحات القرآن

من مساجلات القرآن في الإقناع بالإيمان والعمل به

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

« قل من يرزقكم من السماء ، والأرض ... » . الآيات

تلك أسئلة قدمناها فى حوار القرآن للإنسان ، وللكافرين خاصة - حول الدعوة إلى الإيمان ، والإقناع به ، ووجوب العمل بمقتضاه ...

وهذا سؤال مرادف لما سبقه . فى تبصير العقول بما لابد منه فى استقامة الأنفس على هداها ، وسلامتها من الغواية .

١٢ - « أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع » ؟؟

١٣ - « أم من لا يهدى إلا أن يهدى » ؟ ؟

هل الإله الذى يرزقكم ، ويملك السمع والأبصار ، ويبدأ الخلق ثم يعيده ، ويهدى الناس إلى الحق بما شرع لهم من الدين أو بين لهم من معالم الرشد ، ومزلات الهوى : هل من ثبتت له تلك المحامد يكون أحق بالمتابعة لهديه ، والإخلاص فى توحيده . أو الذى لا شىء له من هذا كله ، ولا يستطيع أن يهدى نفسه إلى خير ، بل لا يميز خيراً من شر كالأصنام ، والكواكب التى تحسبونها آلهة ... وكذلك من لا يقدر على هداية نفسه إن كان ذا حياة كالعزير ، وعيسى إلا إذا هداه خالقه ؟ ؟

وهكذا من تظنون أن لهم جانباً خاصاً فى تدبير أمر الناس ، وتصريف الأمور مع الله من الجن أو الإنس ...

وإذا كان عجز هؤلاء جميعاً باديا لكم ، وليس لكم من مبرر فى تقديسهم ، وتأليههم .

١٤ - « فما لكم » ، فما هذه اللوثة التى ربكت عقولكم ؟ وحيرت أفهامكم ؟ ؟

١٥ - « كيف تحكمون » ... وعلى أى صفة ترضون الحكم على أنفسكم بهذه النقائص الإنسانية والمتناقضات العقلية ، وتزعمون أنكم أهل رشد فى عقيدتكم ، أو على صواب فى شىء من ضلالكم ؟ وهكذا ترى للناس شذوذات تنزل بعقولهم إلى الحضيض ، فيرتكبون ما يرتكبون من شرك ومن مفاسد ، حتى ليهون عليهم أن يطوحوا بأنفسهم إلى المهالك ، ويتمادوا فى الاستسلام إلى الشيطان ، والهوى ، ثم يغالطوا أنفسهم فى تجاهل الحق الذى بينه له ربهم ودعاهم إليه ، ويؤثروا عليه ما زين لهم الشيطان من سوء عملهم ، ويتعلقوا بالأمل الكاذب فى أن لهم شفاعة من مقدساتهم الباطلة عند ربهم يوم القيامة .

وهؤلاء الضالون لا يتبعون إلا ظناً مستمداً

من الخيال ، معنون في الباطل ، والجهالة : إلا من تفهم واهتدى ، وثاب إلى رشده قبل موته ، ومهما يكن الظن مثار الاعتقاد عند أهله المتمادين في غيهم فإنه لا يغني شيئاً من الحق الذي دعاهم إليه ربهم ، وتوافرت لديهم أماراته في هدى نبيهم .

وكأن المتعصبين للباطل في أمان من فضيحة أمرهم عند الله ، وفي مأمن من عذابه والشيطان يسول لهم ذلك ...

والله تعالى يؤكد الوعيد ، والتهديد بالعذاب على هذا كله في قوله : « إن الله عليم بما يفعلون » من الشرور ، وسوء الاعتقاد وتكذيب البراهين .

وهكذا نجد توجيهات القرآن مقرونة بالأدلة ...

ونجد الأدلة في سياق يتنوع في لهجاته ، ومن أنواع السياق الاستفهامات على نحو ما ذكرنا لك في الآيات القليلة ، التي اشتملت على خمس عشرة صيغة ، في تفصيل الخطاب ، وبيان المآخذ التي تتعلق بالعقيدة ، والأخلاق وما يقترن بها من وعد ، ووعيد الخ ...

وذلك كله من تصريف الله في هذا القرآن ليتذكر أولو الألباب .

ومع ما يبدو لنا في هذا المقام من شدة على الكافرين خاصة ، فإن في ملامح الاستفهامات رحمة من عند الله ... حتى بالكافرين أنفسهم .

وذلك : أن الله يريد بعباده جميعاً اليسر ، فهو يهدينا إلى الخير بكل ما يسوق في القرآن ولو أراد بنا العسر لأعرض عنا .

ولكن تمردنا عليه ـ سبحانه ـ لم يحجب فضله عنا ... ضرورة أن كرمه ذاتي لنفسه ، فهو الذي يفرض على نفسه الرحمة بنا ... وما يفرضه على نفسه يكون كما لائقا به .

وبهذا الجود الإلهي يمتن الله على عباده فيقول : « أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين ؟ ؟ » يعني : لا نعرض عنكم في الإرشاد ، ولا نضن بهديكم بسبب إسرافكم في العصيان ... فإن رحمته بعباده قائمة بذاته ، ولا تنفك عنها حتى في ساعة غضبه ، فالرحمة منه غالبة .

وهذا معنى قولهم رحمته سبقت غضبه ... يعني تغلبت على سخطه ، فكان لطفه بنا دائما سياجا قائما حولنا ـ جل شأنه .

وكان من شمول هذه الرحمة لطائعنا ، وعصاتنا أن يفيض في الاستفهام كما في موضوعنا ، وفي كثير من مقامات القرآن للتذكير ، والتنبيه من الغفلات .

كما ترى في سورة الروم .. وسورة الرحمن الخ : « ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا » ، ومع كثرة الاستفهامات فليست إسهابا ، ولا زائدة عن حاجات العقول : بل هي ضرورة لمقاومة النسيان الذي يلابس الإنسان بطبيعته إنسانا .

فليس في القرآن إسهاب بالمعنى الذي يعتبر زيادة .

بل كل كلمة في القرآن ، وكل حرف من حروفه إنما وضع لمعنى يراد .

حتى الحروف التي يسمونها زائدة ... فلها هدف خاص ، ولو لزينة اللفظ القرآني .

والزينة اللفظية حلية القرآن وحتمية .

فإذا قرأت « فبما رحمة من الله لنت لهم » ، ورأيت لفظة ـ ما ـ زائدة عن أصالة المعنى ... فإنها حلية لازمة وبغيرها تكون الكلمة غير عذبة كما تراها الآن ، وهكذا مما يضيق به المقام ؟

عبد اللطيف السبكي

الصوم شريعة عامة بين البشر

للأستاذ بدر المتولى عبد الباسط

ما هو السر وراء هذه الحقيقة التى سجلها القرآن الكريم وأيدها واقع البشرية فى حاضرها وتاريخها فى ماضيها ؟ تلك الحقيقة أن الصوم شريعة عامة إذ يقول الله جل ذكره «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم »، ولقد أبان القرآن الكريم عن هذا السر الخطير فى جملة واحدة ذيل بها الآية السابقة فقال جل شأنه - « لعلكم تتقون»، وكان هذا التذييل الجامع من أدلة إعجاز القرآن الكثيرة وسأحاول - جهدى - أن أكشف العلاقة بين الصوم وبين التقوى ؛ وقبل أن أفصل القول فى هذا المقام أحب أن أقول : إن صدر الآية الكريمة هو - أيضا - دليل إعجاز آخر ففيه إخبار أن الصوم كتب على الذين من قبلنا، وهذا الخبر يتطلب اطلاعا شاملا على تاريخ الشعوب ودراسة تحليلية لعوائدها وعقائدها : وهذا لا يكون إلا من متخصص يكاد يكون متفرغا لدراسة التاريخ وحده ، ونحن نعلم - والبشرية كلها تعلم - أن محمدا ابن عبد الله أمى نشأ فى أمة أمية لم يجلس إلى معلم قط فمن أين له هذا الحكم العام الذى يكفى فى نقضه وإبطاله أن تكون هناك أمة واحدة لم تعرف الصوم كقربة من القرب وفريضة من الفرائض ؛ هذا ، وبناء فعل «كتب» فى قوله جل شأنه : «كما كتب على الذين من قبلكم » يشير إلى أن فرض الصوم قد يكون من الله جل شأنه ، وقد يكون من غيره ممن نصبوا أنفسهم لقيادة الأمم ؛ فإن جميع الأمم الكتابية وغير الكتابية ، المعاصرة والمندثرة .

عرفت الصوم كشعيرة من الشعائر على اختلاف بينها فى كيفيته وزمنه وصدق الله العظيم إذ يقول « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا »، اختلافا بين آياته واختلافا بين ما أخبر به وبين الواقع .

علاقة الصوم بالتقوى :

وقبل معرفة العلاقة بينهما لابد من تحديد معنى الصوم والتقوى ، فالصوم - لغة - مطلق الإمساك ؛ وهذا المعنى لا يعنينا كثيرا ، وإنما يعنينا تحديد معنى الصوم عند المتدينين سواء كانوا أهل كتاب سماوى أو كانوا أتباع دين وضعى والمعنى الجامع بينهم : أنه كف النفس عن مشتهياتها كلها أو بعضها فترة من الزمن طالت أو قصرت ؛ وعند فقهاء الإسلام هو الإمساك عن إدخال شىء إلى الباطن أو ما فى حكم الباطن ، وعن شهوة الفرج من طلوع الفجر الصادق إلى بعيد غروب الشمس بنية التقرب إلى الله تعالى ، وعند المقربين المخلصين من عباده المؤمنين هو كف الجوارح عما نهى الله عنه تقربا إلى الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه .

وأما التقوى فاسم مصدر من الاتقاء وهو الاجتناب ، والتقوى فى عرف المتدينين هى اجتناب ما يغضب الرب المعبود بامتثال أوامره واجتناب نواهيه .

إذا عرف هذا فنقول : إن الإنسان هو خليفة الله فى أرضه ، أسكنه فيها ليعمرها ؛ بل لا أكون مغاليا إن قلت : إنه صفوة الله من خلقه فقد سخر له

ما فى السموات وما فى الأرض ، وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » وقد اقتضت حكمته تعالى السامية أن يكون الإنسان مركبا من نفس ناطقة عاقلة وروح سامية مدبرة ومن جسد مادى يعتوره الفناء ويتطلب التجدد حتى يحافظ على البقاء والروح لا تؤدى وظائفها التى خلقت لها إلا بواسطة الجسد ، والمعادلة بينهما هى أسمى ما تطمح اليه البشرية من سمو.

فطغيان المادة على الروح الناطقة تجعل الإنسان - وإن كان كائناً حياً - أشبه بالمادة الطاغية فى كثافتها وإذا ترقينا به كان كالحيوان الأعجم الذى سلب نعمة النفس الناطقة التى كرمه الله بها وفضله بها على كثير من خلقه . والروح إذا طغت على الجسد فقد حرمت من نعمة الخلافة فى الأرض وتعميرها ، وتسخير ما فى السموات وما فى الأرض له ولجنسه .

وقد زود الإنسان بغرائز تحفظ له ولجنسه البقاء إلى الأجل المحدود وتجعله يتجدد فى نفسه ونوعه وأهم هذه الغرائز تعود إلى شهوة البطن التى تجدده ذاتياً ، وشهوة الفرج التى تجدده نوعياً ؛ وهاتان الشهوتان - كما هما فى الإنسان - هما فى الحيوانات العليا منها والدنيا ؛ والمعادلة بين الروح الناطقة المفكرة والجسد المادى تتطلب أن لا تطغى إحداهما على الأخرى ؛ وذلك بالحد من نوازع الاستجابة إلى كل من شهوتى البطن والفرج ، ومن هنا شرع الصوم ؛ بل عرفته الأمم التى لا تدين بدين سماوى فقد عرفت هذه الأمم بتجاربها وبما بقى فيها من فطرة الله التى فطر الله الناس عليها أنه لا بد أن يتميز الإنسان عن باقى الحيوانات بالتحكم فى شهواته والحد من غرائزه ، ولقد تعالى بعض الناس فى ذلك إلى الحد الذى طغت فيه الروح على الجسد ، وأصبح الجسد غير صالح للحياة فى هذا الكوكب بل عطلوا الروح عن أن تقوم بواجبها فى عمارته لأنها بدون الجسد غير صالحة لهذه الحياة ولا أدل على ذلك بما يشاهد فى بلاد كالهند ممن يدين بعض أفرادها بمبدأ تعذيب الجسم وكبت غرائزه ؛ فإنهم وأن ظهرت على أيديهم بعض خوارق العادات لا يصلحون لعمارة الأرض ولا يقدمون للإنسان نفعاً يليق بهم كأناس ، ولقد غر سراب الكبت النفسى بعض شباب الصحابة ؛ وخيل إليهم أنهم بالغو الغاية التى أرادها الله من عباده إن هم قتلوا فى نفوسهم نوازع الجسد فقالوا : نصوم ولا نفطر ونقوم الليل ولا ننام ، ونعتزل النساء ؛ وعلم الرسول صلوات الله وسلامه عليه ذلك فغضب غضباً شديداً وقال ما معناه : « إنى أصوم وأفطر وأقوم وأنام وآتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » ويقول فى حديث آخر « لا صيام لمن صام الدهر » فإن كان هذا دعاء فويل لمن دعا عليه النبى الكريم وإن كان خبراً فخيبة لمن أتعب نفسه فى غير ما شرع الله لعباده .

وقد نهى عليه الصلاة والسلام عن صوم الوصال وهو أن يصل يومين فأكثر صائماً دون أن يتخلل ذلك تناول مفطر أثناء الليل معتقدا أن فى ذلك تقربا إلى الله تعالى بإضعاف غرائزه وتقوية نفسه وروحه الناطقة ؛ ولما قيل له : إنك تواصل الصوم فقال : « لست كهيئتكم إنى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقين » فهو لمقامه الشريف وما زود به من طاقات لم يزود بها سواه يشاهد من تجليات ربه ما ينسيه نفسه من غير أن ينال جسده الشريف وهن أو ضعف ، وأما غيره فليست له هذه المشاهدات وليست عنده هذه الطاقات .

والصوم فى نظر الإسلام ليس كبتا للغرائز الإنسانية ؛ بل هو تعديل لها وكبح لشذوذها ، ولذا شرعه الله أياما معدودات ، وشرعه فى فترات غير متصلات ليجمع الإنسان بين متطلباته كجسم حى يحتاج إلى التجدد فى نفسه والتجدد فى نوعه «أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل» والمسلم إذا تعود أن يكبح جماح شهوتى البطن والفرج فى فترات متفرقة متقاربة فى سره وعلنه ابتغاء وجه الله كان ذلك درساً عمليا وتدريبا نفسيا على اتقاء محارم الله تعالى فى غير هذه الأوقات ، وأعطته هذه التجربة طاقة يستطيع بها أن يتحكم فى غرائزه فيندفع معها حين يحسن الاندفاع ويكبحها حين يحسن الكبح ؛ والإنسان الكامل هو من كانت عنده قوة الدفع ، والكبح متعادلتان ، ولعل هذا هو السر فى حثه صلى الله عليه وسلم على التعجيل بالفطور وتأخير السحور .

وإذا كانت غريزة حب التملك ضرورية للإنسان ليبدع ويجد ويعمر إلا أن هذه الغريزة إذا قويت فيه وتسلطت عليه حملته على أن يضن بما فى يده حتى يحرم منه غيره ممن هو فى حاجة إليه بل ربما حملته على التغالى فى الاستحواذ على ملك الغير بأية وسيلة ، وهذه الغريزة هى منشأ كل من البخل والظلم ؛ وقد حارب الإسلام هذين الداءين بما أقام من تشريعات فحارب البخل بدواءين أحدهما سلبى وهو فريضة الصوم ؛ وذلك أن المسلم إذا ذاق مرارة الحرمان فترة من الزمن تذكر أولئك المحرومين من متطلبات الحياة أزمانا فعطفتهم إليه عاطفة الرحمة ؛ وليس كالحرمان يجمع المحرومين ، كما عالج هذا الداء بدواء إيجابى هو فرض الزكاة وجعلها حقا للسائل والمحروم ، وكذلك عالج الظلم بتشريعات كثيرة تحرم على الإنسان التمتع بلذائذ ما يملك من متع الحياة فى فترات الصوم ليعرف ألم حرمان الإنسان من التمتع بما يملكه كما حدد طرق الملكية ووضع لها حدوداً تكبح غريزة حب التملك وإن كانت لا تقضى عليها ليبقى التعادل الذى يحبه الله لعباده .

وإذا تعلم الإنسان من الصوم مراقبة الله وتدرب على التحكم فى أهوائه إيجاباً وسلباً فقد تحققت التقوى بكل معانيها وتبين لنا الارتباط الكامل بين الصوم والتقوى .

وإذا كان بعض الناس لا يهذب الصوم أخلاقهم فليس ذلك طعناً فى حكمة مشروعيته بل لأنهم غافلون عن المعانى التى يقصدها الشارع الحكيم ؛ فليس لله حاجة فى أن يدع أحدنا طعامه أو شرابه أو يعذب نفسه بحرمانها من شهواتها إنما يريد التقوى منا ، وذلك لا يكون إلا بفقه دينه والتعرف لمقاصده من شريعته .

ومع هذا فإننا نشاهد ــ رغم بعض المظاهر التى لا تليق ــ أن شهر الصوم هو أقل الشهور شراً وأكثرها خيراً وبراً .

أعاده الله على المسلمين وهم على خير ما يحبون من قوة ويقين ؟

بدر المتولى عبد الباسط

لا صوم لبخيل

للأستاذ على العمارى

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان ، فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة .

ومن صفاته صلى الله عليه وسلم أنه ما سئل عن شئ قط فقال : لا . إن كان عنده أعطى ، وإن لم يكن عنده وعد وعدا كريما . وكان يعطى عطاء من لا يخاف الفقر .

* * *

هذا هو المثل ، والقدوة الصالحة لكل مسلم ومسلمة : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » .

والصوم عبادة لم تشرع عبثاً ، وإنما شرعت لغايات نبيلة كريمة ، تهدف إلى خير الفرد ، وخير المجتمع . فما لم تتحقق هذه الغايات فالجدوى قليلة من هذه العبادة . فكل عمل أريد منه غاية معلومة كان لابد للاعتداد بهذا العمل أن تتحقق هذه الغاية . .

ولعل من أبرز الغايات فى فريضة الصوم أن يشعر الغنى بحاجة الفقير حين يلذعه ألم الجوع والعطش . فيرق قلبه ، وتسخو يده ، ويعطى مما رزقه الله ، وإذا تكرر هذا منه شهراً فى كل عام ذاق لذة الإعطاء ، وأصبح الجود سجية فيه فيستريح للبذل كما يستريح للكسب .

أما إذا صام ، وقام ، وتعبد وتهجد ، ثم ظل محكما الإقفال على يديه ، لا يشعر بحاجة المحتاج ، ولا يبذل معروفه لقريب أو غريب ، ولا يبادر لفعل الخير حين يهيب به داعى الوطن فلا فائدة من صيامه وقيامه ، وتعبده وتهجده . بل إن الأحاديث النبوية الشريفة تؤكد أن مثل هذا بعيد عن الإيمان الصحيح ، فقد سئل صلى الله عليه وسلم : أيكون المؤمن بخيلا ؟ قال : لا .

وقال عليه الصلاة والسلام : (لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى جوف عبد أبدا ، ولا يجتمع الشح والإيمان فى قلب عبد أبدا) .

وإذا كان الأمر كذلك - وهو لا شك كذلك - كان صيام البخيل شبحا لا روح فيه ، وكيف يتقبل صيام مسلم ينفى عنه رسول الإسلام الإيمان .

وقد كان أول ما يبدأ به صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العيد الحث على الصدقة ، فقد روى أن رسول الله كان يخرج يوم العيد من يوم الفطر فيصلى بالناس تينك الركعتين ثم يسلم فيستقبل الناس ، فيقول : تصدقوا . وكان أكثر من يتصدق النساء . .

وفيما روى عنه صلى الله عليه وسلم ، واشتهر على ألسنة الدارسين والوعاظ ، قوله : (صوم رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع إلا بزكاة الفطر) .

وهو حديث صريح فى أن صوم البخيل غير مقبول ، وإخراج الزكاة أول مراتب الجود ، ووراء ذلك مراتب كثيرة تصل إلى حد ما كان يفعله

صلى الله عليه وسلم ، فقد كان يعطى حتى لا يبقى عنده شيء ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يعيش فى نفسه وأهله عيشة الفاقة حتى ليمكث الشهر والشهرين لا يوقد فى بيته نار إن هو إلا التمر والماء ! . .

وقد رأى بعض العلماء أن أداء زكاة المال تكفى فى نفى صفة الشح عن المسلم ، ولكن ذلك يرده قوله تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس . أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » .

ووجه الاستدلال بالآية أن نسقها يدل على أن قوله تعالى : « وآتى المال على حبه » لا يراد به الزكاة ، لقوله سبحانه بعده : « وآتى الزكاة » . فلما عطف الزكاة عليه دل على أنه أراد بالأول شيئاً مغايراً لها ، وهو الصدقة التى قد تكون واجبة وقد تكون مندوباً إليها .

* * *

وحديث القرآن الكريم عن الشح والأشحاء ضافى الذيول ، بعيد المدى ، وهو حديث مخيف ، ينذر هؤلاء بأنهم لا مكان لهم فى الأبرار ، ولا مكان لهم عند الله .

وسنكتفى هنا بقطرة واحدة ، ولعلنا نعود إلى الموضوع فى فرصة أخرى .

جاء فى سورة محمد : « إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » .

وهذه الآيات قد نفرت من البخل أبلغ التنفير ، وهى - مع وجازتها - تعتبر أوسع حديث عن البخل فى القرآن الكريم .

وقد جاءت هذه الآيات فى آخر سورة القتال لتؤكد أن النصر كما يكون ببذل الروح يكون ببذل المال ، وأنه لا فرق بين من يضن بدمه فى سبيل الله ، ومن يضن بماله ، وأن الناس إذا لم يطيعوا الله ورسوله ، وينفقوا من أموالهم فقدوا المعنى الذى كانوا به ناسا ، يعمرون هذه الأرض ، ويقيمون دين الله ، وكان حقاً على الله أن يستبدل بهم غيرهم يكونون أطوع لله ورسوله ، وأجود بأموالهم .

والآيات مبتدأة ببيان حقيقة الدنيا ، فهى لهو ولعب ، تمضى سريعة ، ولا يبقى منها فى يد الإنسان شيء ، ومختومة بالتوعد من الله بأنه قادر على أن يأتى بقوم آخرين لا يفعلون كما يفعل هؤلاء الذين يبخلون ، ويعصون أوامر الله سبحانه .

وقد أبانت عن أثر خليقة الشح فى النفس الإنسانية ، فهى إذا هيجت دمرت ، فالله - سبحانه - يدعو الناس ، بل يدعو المؤمنين المتقين إلى بذل شيء يسير من أموالهم لأنه يعلم أنه لو طلب منهم أن يبذلوها كلها ، لبخلوا ، وظهرت أحقادهم ، ولو كان البخل غير متمكن من الإنسان هذا التمكن ما وقف هؤلاء من هذه الدعوة الكريمة هذا الموقف : « وإن تؤمنوا وتتقوا . . . . لا يسألكم

أموالكم ، أى لا يشق عليكم بطلب الأموال كلها ، لأنه إن سألكم إياها كلها ، وأجهدكم بخلتم مع الإيمان والتقوى ، وهذا غير مقبول .

أما ما يدل فى هـذه الآيات على أن الشح رذيلة بالغة الحد فى الشر ، فقوله سبحانه ـ أولا ـ : « ويخرج أضغانكم » ، فسواء عاد الضمير فى « يخرج » على الله تعالى ، أو على البخل ، أو على سؤالهم أموالهم مع الإحفاء فى السؤال ، فالمعنى أن طلب المال كله مدعاة إلى إخراج الأحقاد من النفوس ، ولن يكون الأمر كذلك حتى يكون هـذا الطلب مكروها عند النفوس .

وقوله ـ سبحانه ـ ثانيا : « ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه » ، وأكثر المفسرين على أن (عن) هنا حلت محل (على) على معنى أن من يبخل فضرره عائد على نفسه . وقليل من المفسرين من تنبه لدقيقة من دقائق القرآن الكريم ، فأقروا (عن) على معناها ، والمراد ـ كما فهم هذا القليل ـ أن من يبخل فإنما بخله عن داعى نفسه لا عن داعى ربه ، ولا عن داعى عقيدته ودينه ، ومعلوم أن النفس أمارة بالسوء ، وأن كل ما يفعله الإنسان من الشرور ليس عن داعى ربه . فلماذا خص البخل بهذا ؟ لعل السر فى ذلك هو الإشارة إلى أن الشح راسخ فى النفس فيصدر عنه البخل ، ومن هنا نلمح التفرقة بين الشح والبخل ، فالبخل المنع ، والشح هو المعنى النفسى الذى يصدر عنه ، وهـذا على ما رآه بعض أصحاب الدقائق .

وتصدير الآيات بوصف الدنيا بأنها لعب ولهو منفر أشد التنفير من البخل ، فإن هـذا الوصف يتضمن أن الآخرة هى الجد كل الجد ، وهى خير وأبقى ، فحين يدعى الإنسان إلى الإنفاق عليه أن يدرك هاتين الحقيقتين فيسـارع إلى إجابة ما يدعى إليه .

وكذلك النص هنا على أن ضرر البخل عائد على نفس البخيل ـ على التفسير المشهور ـ أو صادر عن لؤم النفس ، ففى هذا الصنيع تقبيح للبخل ، وحط منه .

وقوله تعالى : « والله الغنى » ، فيه توبيخ شديد على البخل ، فالله حين يدعو الناس إلى الإنفاق لا يدعوهم لأنه فى حاجة إلى أموالهم ، فإنه الغنى ، ولا غنى غيره .

وأخيراً هذا التهديد الشديد فى ختام الآيات : « وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم » .

* * *

هذا بعض ما جاء فى القرآن الكريم ، وبعض ما جاء فى الأحاديث النبوية عن رذيلة البخل ، فهل يأمل البخلاء بعد ذلك أن يتقبل الله منهم صياما ؟ ! .

على العمارى

البخل بين الدنيا والآخرة

مما ينسب لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه :

« عجبت للبخيل يعيش فى الدنيا عيش الفقراء ويحاسبه الله فى الآخرة حساب الأغنياء . . . »

سرّ النّصر فى بدر

للعميد الركن محمد جمال الدين محفوظ

يتعلم الدارسون للعلم العسكرى أن للحرب مبادىء معينة يسعى كل قائد إلى اتباعها إذا أراد النصر فى المعركة ، وقد استخلصت هذه المبادىء من واقع الخبرة الفعلية للقادة العسكريين على مر السنين ووصل إليها الباحثون المدققون من تحليل نتائج الفشل والنجاح معاً ... وفى العصر الحديث بلغت تلك المبادىء درجة من الاستقرار والرسوخ حتى إذا اتخذنا أى نموذج من المعارك الناجحة وأردنا الوقوف على السر فى النجاح ألفيناه هو اتباع تلك المبادىء ... وكذلك الحال فيما إذا اتخذنا نموذجا لمعركة فاشلة وجدنا أن إهمال القائد لبعض تلك المبادىء كان هو السبب فى فشله .

من هذه المبادىء مثلا ذلك المبدأ الذى يسمى « بالحشد » وهو يقضى بأن يضع القائد أكبر قوة لديه فى اتجاه الضربة الرئيسية التى يحددها فى مواقع عدوه ، فهذا « الحشد » يضمن له اليد العليا على عدوه ويبلغه النصر الذى يريد ... والدارس للتاريخ الحربى يجد على صفحاته أمثلة لمعارك فشل فيها القائد نتيجة لإهمال هذا المبدأ ، فنراه قد شتت قواته أجزاء صغيرة فى اتجاهات مختلفة فكانت النتيجة هى الفشل المحقق .

وإلى عهد قريب كانت كل مبادىء الحرب تتعلق بالقوى المادية للجيوش ولم يكن للقوى المعنوية محل واضح فيها وتحدد ... ثم أحس القادة بأهمية القوى المعنوية إلى جانب القوى المادية ، وبعضهم جعل قدرها أعلى من قدر القوى المادية مثل نابليون حين قال : إن نسبة القوى المعنوية فى الميدان إلى القوى المادية هى نسبة الثلاثة إلى الواحد .

وفى الحرب العالمية الثانية جاء مونتجمرى ليقرر إضافة مبدأ جديد إلى مبادىء الحرب التى كانت معروفة حتى ذلك الحين ... وكان هذا المبدأ هو « الروح المعنوية » ، ولم يكن هذا القائد ليصل إلى قراره ذاك إلا على أساس من الدراية الكاملة بأهمية القوة المعنوية على طول خبرته الواسعة بالحرب وقيادة الجيوش .

ومنذ ذلك الحين والدارسون للعلوم العسكرية يتعلمون مبادىء الحرب ومن بينها مبدأ الروح المعنوية ...

ثم استقر الرأى فى العرف العسكرى على أن المقاتل الكفء هو الذى يجمع بين القوة المعنوية والقوة المادية ، بل أصبح من المسلم به أنه لا قيمة للقوة المادية إذا لم تتوفر القوة المعنوية (١) .

واتجه الدارسون بعد ذلك إلى وضع الأسس للقوة المعنوية فقرروا أن يكون أولها الإيمان بالقضية التى يقاتل الرجل من أجلها ، إلى جانب الثقة فى النفس وفى قدرتها ، والثقة فى القائد وفى قدرته وحكمته ، والثقة فى السلاح إلى غير ذلك ...

ثم ننظر إلى غزوة بدر الكبرى أولى معارك الإسلام ...

قلة من المسلمين تغلب الكثرة من أعدائهم المشركين ! ! ما هو السر ؟

ما الذى جعل ثلاثمائة وأربعة عشر رجلا من المسلمين يغلبون أكثر من ألف من المشركين ؟

فى هذه الغزوة حارب النبى عربا بعرب ... بل قرشيين بقرشيين . فلا يمكن أن يكون الفضل لقوم على قوم فى المزايا الجسدية أو النفسية كما يمكن أن يكون فى جيش آخر .

السر هو قوة المسلمين المعنوية النابعة من قوة

(١) هناك حكمة تقول : « ليست العبرة بالمدفع ، ولكن العبرة بالرجال الذين يعملون عليه .

إيمانهم بالرسالة وشدة حماستهم فى الدفاع عن الدين والقضاء على أعدائه .

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صبيحة يوم بدر يشاهد قوة المشركين وكثرة عددهم فيشفق على أصحابه ، ويعود إلى عريشه فيتجه إلى ربه بكل جوارحه ينشده ما وعد ويردد .

« اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها تحاول أن تكذب رسولك فنصرك الذى وعدتنى ، اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد » .

وما زال يدعو ربه حتى رأى نصر الله ، فيقول لأبى بكر « أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع » ثم يخرج إلى الناس يحرضهم ويقول لهم :

« والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل ، فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » .

ونزل قوله تعالى : « يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين » :

انظر إلى عمير بن حمام حينما سمع قول رسول الله وهو يحرض قومه على القتال ، لقد كان فى يده بعض التمر يأكله فقال : أما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ؟ . وقذف التمرات من يده وأخذ سيفه وما زال يقاتل حتى استشهد رضى الله عنه .

وقطبة بن عامر ... رمى حجرا بين الجيشين وقال لا أفر إلا إن فر هذا الحجر ... دليلا على عزمه الأكيد على الثبات فى الميدان .

وتتجلى عظمة الروح المعنوية أيضا حينما استشار النبى أصحابه قبل التقاء الجمعين يوم بدر « أشيروا على أيها الناس » .

فيقول المقداد بن عمرو : يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك ما قاله بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون .

ثم تبلغ القوة المعنوية ذروتها حين يقتل أبو عبيدة بن الجراح أباه وكان من المشركين ، وفى ذلك يقول الله تعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » .

وهكذا يعتبر الإيمان هنا معجزة تعد أعظم من أكبر صفة بلغها القواد بفضل ما أودع الإسلام نفوس المسلمين من قوة وعزم وصبر وجهاد ، وقد عرف المسلم غاية ليس أسمى منها وهى الدفاع عن دين الله ، فإن هو أصابته فى سبيلها طعنة رمح أو رمية سهم أو ضربة سيف لقى مولاه راضياً مطمئناً إلى وعده الكريم : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » .

لقد عز على خالد بن الوليد أن توافيه المنية وهو على فراشه فى بيته ، فنراه يقول فى ألم وحسرة : « لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها ، وما فى موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح ، وها أنذا أموت على فراشى كما تموت العير فلا نامت أعين الجبناء » .

إن مبدأ الروح المعنوية قد نشأ فى صدر الإسلام على عهد النبى محمد عليه الصلاة والسلام واهتم به وكان عظيم الاعتماد عليه قبل أن يعرفه العالم بثلاثة عشر قرناً من الزمان .

والحق أنه قد آن الأوان لكى نكشف عن أمجادنا العربية والإسلامية ونبين صدق قول الله تعالى فينا : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ؟

محمد جمال الدين محفوظ

فى ذكرى أستاذنا المراغى

للأستاذ محمود الشرقاوى

الذى يظن أن رجال مصر قبل الثورة كانوا جميعا خلوا من فضائل الشجاعة والإخلاص مخطىء ظالم أما أنه مخطىء فلأن الوضع لم يكن على هذا الشمول أبدا ، وأما أنه ظالم فلأنه يغمط بعضا من الرجال نعرفهم ونعرف لهم مواقف من الشجاعة والإخلاص نجد من الجحود والظلم ألا نذكرها ونحمدها ونسجلها فى تاريخ وطننا تشريفا وتذكيرا وعبرة وقدوة ولا بد أن غيرنا يعرفهم ويعرف غيرهم أيضا .

من هؤلاء الذين لم تخل نفوسهم من الإخلاص ولا قلوبهم من الشجاعة أستاذنا الشيخ محمد مصطفى المراغى ، الذى نكتب عنه هذا المقال فى مناسبة ذكرى وفاته : (١٤ رمضان من سنة ١٣٦٤ / ٢٢ أغسطس ١٩٤٥) .

والشيخ المراغى القاضى والمشرع الفقيه المجدد شيخ الأزهر ، المراغى بأوصافه تلك وأعماله فى هذه الميادين ، عرف الناس عنه الكثير وكتب الكاتبون عنه الكثير .

أما حديثى اليوم عنه فسأقصره على بعض صفاته الخلقية وفضائله النفسية .

مع فؤاد وفاروق :

كانت مواقف الشجاعة للشيخ المراغى ، قبل توليته مشيخة الأزهر الأولى ، محدودة الذيوع يعرفها الخاصة ، مثل موقفه القضائى من الحكم فى قضية تركة « سكاكينى » . فلما اختير شيخا للأزهر ، فى مايو من سنة ١٩٢٨ ، وكانت سنه يوم ذاك ثمانيا وأربعين سنة ، وضع مذكرته المشهورة لإصلاح الأزهر ، وعرضت على الملك فؤاد فأثارت غضبه ، لأنه كان يريد أن يبقى الأزهر على حاله من الجمود ، وأن يبقى رجاله على حالهم من الضعف والتبعية والانصياع له ، وحاول فؤاد أن يثنى الشيخ عن عزمه وتشدده فى الموافقة على مذكرته فأبى وقال : إما أن تنفذ مقترحاتى كما هى بلا أى تعديل ، وإما أن أترك الأزهر ، وعرف فؤاد موقف الشيخ وحديثه فسخط أعنف السخط وأعلن غضبه عليه فقال : يريد المراغى أن يجعل طلبة الأزهر كلهم مثل طه حسين ، ويريد إرغامى على تنفيذ مطالبه ولكن الشيخ لم يخف ولم يجزع ولم يتردد ، وانتهى الأمر بينه وبين فؤاد بإصرار كل على موقفه ، فترك مشيخة الأزهر دون أن يفرط فيما رآه إصلاحا واجبا .

زواج فاروق :

أما بعض مواقف شجاعته مع فاروق ، فأكثرها غرابة قصة لا تكاد تصدق إلا من فاروق وعجائبه ، فقد طلق فاروق زوجته الأولى : « فريدة » وكان غاضبا عليها أعنف الغضب يريد أن يكيد لها بكل كيد ، وكان من عجائب تفكيره فى هذا الكيد أن يحرم عليها الزواج بعد طلاقها منه ، وتحدث فى ذلك إلى بعض مستشاريه ، فكان تفكيرهم وتبريرهم أشد إمعانا فى العجب والغرابة والشذوذ . قالوا : ولم لا ؟ إن زوجات النبى عليه السلام حرم عليهن الزواج

من بعده ، و « أفندينا » هو خليفة المسلمين ومن سلالة الرسول ، فمن حقه أن تحرم زوجاته على غيره ! وقال « أفندينا » فاروق : الشيخ المراغى يبحث المسألة ويصدر فتوى أو رأيا !.

وعرف الشيخ ما جرى فكان منه عجب شديد وسخط شديد وإباء شديد فى أن يستمع ، مجرد استماع لما يقال فى ذلك ، وعرف فاروق ذلك فأسخطه وأثار غضبه ... !

لا ناقة ولا جمل :

ومن أشد الأزمات التى أثارها المراغى عنفاً موقفه من الحكومة الإنجليزية إبان الحرب الكبرى الثانية ، فقد وقف يوما يخطب فتحول من حديث العلم والدين إلى حديث السياسة ، ثم قال كلمة صريحة قاطعة فى الحروب التى كانت رحاها تدور طاحنة بين « المحور » : ألمانيا وحلفائها ، وانجلترا وأمريكا وحلفائهما ، فكان مما قال : إن هذه الحرب التى تمس مصر ومصالحها وأهلها وتضر بهم : « لا ناقة لنا فيها ولا جمل » وهزت هذه الكلمة - فى فترة من أشد فترات الحرب حرجا - كيان الإمبراطورية البريطانية هزة شديدة وأثارت أعظم السخط عند حكومتها وعند رئيسها « تشرشل » بخاصة ، ولكن الشيخ المراغى لم يفزع ولم يخش شيئا ، لأنها لم تستطع أن تفعل معه شيئاً .

وكان الشيخ المراغى فى ذلك الوقت يكره الإنجليز كراهة شديدة ويتمنى لهم الهزيمة :

أشهد لنفسى بالذكاء ... !

زرته يوما فى « العوامة » التى كان يقضى فيها بعض أيام الصيف على النيل فى الزمالك ، ودخلت حجرته فألفيته يستمع إلى إذاعة برلين العربية بادى السرور لأن أخبارها كلها كانت أنباء هزائم الإنجليز وحلفائهم ثم دخل المرحوم الأستاذ عبد الرحمن عزام - أول أمين الجامعة العربية - فأخذنا نتحدث عن الحرب واحتمالاتها ، ولم يخف الشيخ فرحه الكبير بهذه الهزائم ، وكان عبد الرحمن عزام معروفا بخصومته للإنجليز .

وفى هذه الجلسة ، التى لا أذكر أنى لقيت المراغى أشد مرحا وسرورا فى يوم ما أكثر مما لقيته فيها . فى هذه الجلسة نظر إلى وهو يهز رأسه هزة الرضى ثم قال : اليوم أشهد لنفسى بالذكاء .

فقلنا : هذا يشهد به جميع الناس ، فقال : لا ، اليوم عندى دليل جديد على ذكائى وحذرى ، وألقيت إليه سمعى ، فقال : سأقص عليك سراً من أسرار الحرب : عندما أغارت على القاهرة طائرات المحور طلب منى الإنجليز أن ألقى أو أكتب بيانا أحتج فيه على هذه الغارات ، وأن أقول : إنها ألقيت قصداً على الآمنين من السكان . وأخبرنى محدثى أن الاستجابة لهذا الطلب تهم تشرشل نفسه شخصياً ، ولكننى رفضت الاستجابة وقلت : إن هذا عمل سياسى ليس من شأنى كشيخ للأزهر والإسلام ، على أنى لا أجزم بأن المحور قصد ضرب الآمنين من سكان القاهرة ولم تكن طائراته تضرب الأهداف العسكرية التى ألقتوها فيها . ولا تكفينى شهادة أحد ولا تقريره وتأكيده لهذا القصد .

وغضبت الحكومة الإنجليزية ورئيسها ورئيس مجلس الحرب فيها : تشرشل أشد الغضب لموقفى « العدائى » هذا .

ثم استأنف الشيخ يقول : واليوم سمعت إذاعة لخطبة ألقاها تشرشل وأعلن فيها على العالم أن

طائرات المحور لم تضرب من القاهرة سوى الأهداف العسكرية ولم تضرب أهدافا مدنية أبدا .

ونظر إلى والفرح يشع من عينيه ثم قال : بالله قل لى ، لو كنت أصدرت هذا البيان الذى طلبه منى تشرشل ، ثم جاء اليوم ، فقال ما قال وكذبنى ، فكيف يكون موقفى وماذا يقول الناس والمسلمون عنى ؟ ...

وكانت للشيخ المراغى مواقف رائعة فى شرف الخصومة والحرص على كرامة العلماء .

كانت بينه وبين شيخ كبير خصومة وخلاف ، وكان هذا الشيخ دائم الحديث عن المراغى والشكوى منه واتهامه بأنه « يحاربه » فى كل موقف وكل مكان . وحدث أن أطلقت إشاعة ظالمة تمس بيت هذا الشيخ ، وكان هذا قد طلب مقابلة فاروق ، وعرف الشيخ المراغى أن هذه الإشاعة الخبيثة الظالمة قد سمع بها فاروق ، فتحدث فى تأخير مقابلته لذلك الشيخ ، لأنه خشى أن تطغى على فاروق حماقته وشره فيجابه الشيخ بهذه الإشاعة أو يشير إليها فى حديثه . وتأخرت المقابلة ، فكان الشيخ الكبير ، وهو لا يعرف سر التأخير ، يتناول الشيخ المراغى فى مجالسه بقسوة بالغة ويقول : إنه يعاديه ويسعى لمنع المقابلة حسداً منه وغيرة ... !

وكان الشيخ المراغى ينقل إليه هذا الاتهام فيسكت ولا يعلق .

صفاء وروحانية :

وقضى أيامه الأخيرة فى مستشفى المواساة بالإسكندرية . حيث مات فيه .

وكانت أيامه الأخيرة تلك عليها طابع واضح من الصفاء والروحانية . كانت ليالى رمضان . وكان يشتغل فيها بتفسير القرآن الكريم . وقد أكمل منه جزء « تبارك » ، والذين سمعوا دروس التفسير التى كان يلقيها المراغى أو قرءوا ما طبع منها يعرفون قيمة هذا التفسير ومنهجه ، لذلك يحزنهم ، ويحزن المثقفين والمسلمين جميعاً أن يعلموا أن تفسير جزء تبارك هذا ، الذى أتمه الشيخ المراغى قد فقد . حيث أخذه فاروق يوم وفاته ، وأخذ معه مذكرات الشيخ وأوراقه .

ومن دلائل الصفاء الروحى فى هذه الفترة الأخيرة من حياته قصة وقعت قبل موته بيومين :

زاره صديق من خاصته . وكان عنده أحد أنجاله وسمع الشيخ وهو مقبل عليهما يقول : « هذا الولد أصبح ميئوساً منه » ، فقال الزائر الشيخ ، ولم يجلس : جئت للسلام على الشيخ المراغى قبل عودتى للقاهرة . ولكنى لن أجلس . فأجبره الشيخ المراغى على الجلوس ، ثم استأنف حديثه قائلا : « هذا الولد : فاروق لم يعد يرجى منه خير ولا إصلاح . بل هو ميئوس من صلاحه وتقويمه . ولا فائدة من محاولة ذلك . وكل ما أرجوه أن يتولى الله بلطفه هذا البلد : من شر فاروق » ، ثم قال الشيخ المراغى : « أما أنا فسيلطف الله بى لأنى لن أكون موجوداً يوم ذاك سأموت » ، كان هذا الحديث فى صيف ١٩٤٥ .

وبعد سنوات قليلة توالت الأحداث والنذر بنهاية فاروق ، ولم يكن الشيخ المراغى حيا ، كما أحس ، بل مات بعد هذا الحديث بيومين ؟

محمود الشرقاوى

الصّوم ... طاعة وتربية

للأستاذ عبد الجليل شلبي

كلما تحدث الناس عن حكمة تشريع الصوم، أو الفائدة التى تعود منه على الصائمين، اتجهت أفكارهم إلى مزاياه الصحية، وبحثوا عما يفيد جسم الصائم من هذا الجوع والحرمان ولهذا الاتجاه أسبابه فى حياتنا الحاضرة. فنحن فى عصر مادى، لا يحفل كثيراً بالمعنويات، وحياتنا تقوم على المنفعة العاجلة، والفائدة المحسة الملموسة، ثم إن جسم الإنسان بطبيعة الحال من أثمن ما لديه، وأعز ما عنده، فمن الطبيعى أن يتلمس له دائماً أسباب القوة، ويبحث عما يعود عليه بالصحة والعافية.

وفى الأبحاث الطبية ما يثبت أن فى الصوم فعلا صحة للجسم، وأنه وقاية من بعض الأمراض، وطب لبعضها الآخر، وأنه يفيد الصائم حظا من القوة والنشاط ولست أريد أن أنفى هذه الفائدة ولا أن أناقش فى مدى تحققها، وإنما أنفى أن تكون حكمة لتشريع الصوم، أوهى المزية الأولى من مزاياه.

أرى أن العبادات كلها: صوما أو غير صوم، تسمو على العلل المادية، وتعليل أية عبادة بعلة مادية كمزية أولى لها، يذهب بما فيها من قيمة روحية، ويغمط ناحيتها المعنوية ويسلبها أسمى معانيها، وهو الاستسلام والخضوع لرب العالمين، فالعبادة عبودية لله وترفع وسمو عن حقارة الماديات وبهذه المعانى يكون المسلم أكبر من دنياه يسترخصها بجانب معنوياته، ويضحى بها فى سبيل مبادئه، ويجد منها عوناً على التضحية والبذل، وإنكار الذات، فإذا رددنا العبادة إلى غرض؛ فقد ضاعت كل هذه الاعتبارات هباء.

ومن ناحية أخرى نحن نستطيع أن نحصل على حظ أوفى من هذه الماديات بعمل آخر غير العبادة.

قد نرغب فى الصلاة فنقول: إنها رياضة بدنية، أو يشمل أداؤها على الأقل حركات رياضية، تفيد الجسم، وتكسبه قوة ونشاطا، ولكنه من غير شك قول ساذج، ورأى خطير.

فإذا دخل هذا الاعتبار فى قصد المصلى، كانت صلاته إذن رياضة بدنية، وعملا لتنشيط الجسم، ولا تكون فى هذه الحالة عبادة مما يتقرب به إلى الله أو على الأقل لا تكون عبادة خالصة؛ إذ يشوبها نفع شخصى، وفائدة دنيوية عاجلة، وبعد هذا كله نجد فى الأعمال الرياضية المنظمة ما يفيد الجسم أكثر مما تفيده حركات الصلاة.

وهذا بعينه ما نقوله فى الصوم؛ فإذا نحن صمنا لطلب الصحة، لا نكون بصومنا متعبدين ـ وصومنا لهذا الغرض لا يلزم أن يكون يوما كاملا، ولا فى شهر معين والحمية حقا صحة، ولكنها ليست عبادة.

والكثيرون ينسبون إلى الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قال: (جوعوا تصحوا) ويوردون هذه العبارة على أنها حديث، يستندون فيه إلى حكمة تشريع الصيام. ولم أجد هذه العبارة فيما بين يدى من كتب الحديث الصحيحة، أو على الأصح لم أجدها فى باب الصوم. فإذا صح أنها حديث؛ فإنها لا تعدو أن تكون دعوة للحمية، وتحذيراً من التخمة، شأن الأحاديث الكثيرة التى جاءت لهذا الغرض. مثل: (نحن قوم لا نأكل حتى نجوع؛ فإذا أكلنا لا نشبع). ومثل: (ما ملأ ابن آدم

وجاء شراً من بطنه . .) ، إلى أحاديث كثيرة ، وعظات للصحابة والحكماء ، ولا علاقة لها بالصوم ، ولا حكمة تشريعه .

فإذا أردت بالجوع الصوم ـ على بعد هذا المراد ـ فإن فائدة الصوم لم تنحصر فى هذا الجوع .

وقد لاحظت أن الذين تكلموا على الصوم من الوجهة الطبية ، يتحدثون عن ترك الطعام ولم يتعرضوا أبدا لترك الشراب وغيره من المفطرات.

وهناك حديث آخر ذكره الطبرانى فى أوسطه ، وقال السيوطى : إنه حديث ضعيف ، أورده فى جامعه ، بناء على أن ضعف السند لا يقتضى عدم صحة الحديث ؛ بل هو مع هذا يحتمل الصحة ، فأورده لهذا الاحتمال ـ ونص الحديث (الصوم يدق المصير [1] ويذبل اللحم ويبعد من حر السعير إن لله مائدة عليها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، لا يقعد عليها إلا الصائمون)

فإذا افترضنا صحة هذا الحديث فإنه لم يزد على أن ذكر للصوم بجانب الجزاء الأخروى فائدة عاجلة ، من دقة الإحشاء ، وعدم تكرشها ، ومن تخلص الجسم من أضرار السمنة ، أما الجزاء الأخروى فقد أفاض فيه وأجزل .

لا ينبغى بحال من الأحوال أن ننظر إلى هذا الجانب المادى ـ وإنما تهدف العبادات جميعا ـ بعد كونها طاعة لله تعالى واستسلاما ـ إلى المعانى الخلقية ، والمزايا التربوية ، التى يظهر لها أثر طيب فى سلوك الفرد ، وعلاقته بالجماعات . ونحن إذ نرتب هذا الأثر الخلقى والاجتماعى على أداء العبادات والإخلاص فيها ، لا نقوله بجرد استنتاج ، وإنما نعتمد على سند قوى من القرآن والسنة . فالقرآن ينص على أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى شأن مصل يرتكب بعض المحرمات : إن صلاته ستنهاه ـ والحج وهو المجتمع الأكبر للمسلمين ويقوم جانب عظيم من أعماله على الطاعة والامتثال ؛ حرص الشرع على إحاطته بمظاهر الخلق الكريم ، « فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » والزكاة وظيفتها الاجتماعية بارزة واضحة يبطل ثوابها روح التعالى ، أو امتهان الفقير « يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ... » ، وإذن فالجانب المعنوى هو روح العبادة ـ إذ الجانب المادى فى الزكاة يتأدى ببذل المال حتى مع المن والأذى ، ولكنها عمل فارغ لا يستتبع مثوبة من الله .

هذا الجانب الخلقى ، وأثره فى التربية النفسية وتكوين العادات ، والعواطف النبيلة ـ أبرز فى الصوم مما هو فى العبادات الأخرى . فالصوم أمانة فيما بين العبد وربه ، وإتقانه أو التهاون فيه مرده إلى ضمير الصائم ، وإخلاصه فى عبادته .

يستطيع الشخص أن يتظاهر بالصوم أمام الناس ويفطر فيما بينه وبين نفسه ، وقد يمر عمره كله وهو عند الناس من الصائمين ، وعند الله من المفطرين يساعده على ذلك طبيعة الصوم ، وقصر مدته إذ هو فترة محدودة ، وشهر معين بين شهور العام ـ ولا يتأتى هذا التظاهر فى الصلاة التى تتكرر خمس مرات كل يوم ، ومنها ما لا يصح إلا فى جماعة ، ومسجد جامع ـ وكذلك الحج يوم مشهود بجموع له الناس من شتى البقاع ، وله ملابسه وميقاته ، والزكاة على الأقل يطلع عليها الفقراء ويبقى الصوم وحده لا يحتاج عمله إلى إعلان ـ ولعل فى هذا مصداقا للحديث القدسى الكريم : (كل عمل ابن آدم له

(١) المعى ـ المصران ـ ويدقه يجعله دقيقا ضامراً .

إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به) ؛ ولعله لهذا أيضاً كانت علة الصوم فى القرآن هى التقوى . « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » ، والتقوى بطبيعة الحال أسمى مظاهر الأخلاق .

وقد نص الحديث الشريف على أنه (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه) ؛ فدل على أن ترك الطعام والشراب لا فائدة فيه ، ما لم يقد إلى الحق ، ويحمل النفس على التضحية بما تشتهى فى سبيل العدل والحق والإنصاف ؟

ويؤيد هذا حادث آخر الرسول صلى الله عليه وسلم فقد أرسل جماعة من أصحابه لغزو ؛ فاختلفوا ورجعوا قبل أن يغزوا ، أو قبل أن يخرجوا للغزو ، فلما رآهم النبى غضب وقال : ذهبتم جماعة وعدتم متفرقين !! أما والله لأولين عليكم رجلا ليس بأفضلكم ، أصبركم على الجوع وأصبركم على العطش ، فالأكثر صبراً على مشقات الجوع والعطش يؤهله صبره هذا للقيادة ، حتى ولو كان فى أتباعه من هم أفضل منه .

ومعروف أن من الفقهاء ـ بله الصوفية من يرى أن الصوم يفسد بمفطرات غير مفطرات البطن والفرج ، ويرون أن منها الاغتياب والكذب وشهادة الزور والسباب ووجهتهم فى هذا ، أن الأحاديث نهت عن بعض هذه الأشياء للصائم خاصة ، وعن بعضها حتى لغير الصائمين ، فهى تبطل ثواب الصائم ، وإن لم توجب عليه كفارة ولا قضاء .

ونحن نلمح فى كل العبادات أنها تستتبع شيئين : رفع عقوبة المعصية أولا ، لأن ترك العبادة معصية تستوجب عقوبة ـ ، والحصول على المثوبة أو رفع الدرجة عند الله ثانيا ـ والأداء الشكلى للعبادة إنما هو محل لرفع العقوبة ، أما تحصيل الثواب ، ورفع المنزلة ، فإنما يأتى بإتقان العبادة ، والإخلاص فيها ، بقدر ما تترك فى صاحبها من آثار طيبة فى سلوكه وأخلاقه ، وتربية ضميره ـ وعلى هذا فالإمساك عن الطعام والشراب أبسط أنواع الصوم لأنه العمل الصورى الذى يرفع عقوبة المعصية ـ وينبغى ألا يقنع به من لا يرضون بالدرجة الدنيا من الإيمان .

وإذا نظرنا إلى البيئة الخلقية الواسعة التى هيأها الشرع للصائمين ندرك أنه يقصد منه معنويات أسمى وأرفع من مجرد الكف عن الطعام ، فرمضان موسم عبادة ، وبيئة أخلاق ـ رغب الشارع فيه فى الصدقة طوال الشهر ، وجعل الصوم معلقـاً لا يقبل إلا بزكاة الفطر ، ودعا فيه إلى الإكثار من قراءة القرآن ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أجود الناس ، أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام فيدارسه القرآن . والصائم فى كنف الأخلاق العليا لا يؤذى أحداً حتى ولو آذاه الآخرون ، وإن امرؤ سابه أو شاتمه فليقل : إنى صائم إنى صائم ، كذلك سنت فيه صـلاة التراويح لجمع عدداً من فرائض الدين ، وأمهات الفضائل كل ذلك ليهيء الصائم تدريباً عملياً على تقوية الضمير ، ومكارم الأخلاق ـ فإن وجدت للصيام بعد هذا كله فوائد أخرى مادية : صحية ، أو اقتصادية . . أو غيرهما ، فهى مما يأتى تابعا وليس أهم أغراضه ولا من أكبر مزاياه .

عبد الجليل شلبى

الصمت في الأديان

للأستاذ علي الخطيب

كان الصمت شعيرة في أديان سماوية قبل الإسلام، ولا يزال قائماً بين بعض الطوائف من أهل الكتاب إلى اليوم، وينبغي - لبيان أمره - أن نفرق بين أنواع ثلاثة منه:

أولها: الصمت عن الخوض في الناس، وهو ضرب من السلوك الاجتماعي يأخذ به الإنسان نفسه فيتقي بذلك سوء الغيبة والبهتان فلا ينال الناس من لسانه فرية سوء، ويكف عما لا يعنيه فلا يقع منه تطفل ممقوت.

وهذا اللون من الصمت تتفق الشرائع جميعاً على اعتباره (أدباً) ينبغي الأخذ به، وتحفل آداب الأمم بوصايا التزامه، وفيه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت».

وفيه يقول الإمام النووي: إنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاماً ظهرت فيه المصلحة ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه، لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه.

ثانيهما: إلزام الإنسان بالصمت قصراً بأن يحبس الله عليه لسانه دون عي فيه أو بكم، يفعل الله ذلك به إشارة لحدث أو رمزاً لحادثة يكون لهذا الإنسان ضلع فيها، ويمكن أن نطلق على هذا اللون «آية الصمت» تسمية له، وفرقاً له بها عن غيره. مستعيرين لفظ «آية» من القرآن الكريم الذي قص - عن هذا اللون - في زكريا عليه السلام، وكان قد جرى عليه ذلك. يقول زكريا عليه السلام: رب اجعل لي آية قال: «آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا». وكان هذا الأمر علامة على حمل زوجه بولده يحيى عليهما السلام.

وفي سفر حزقيال حادثة من هذا النوع يقصها حزقيال نفسه حين يجيئه هارب من بيت المقدس يخبره بضرب المدينة - وكان - إلى وقت مجيئه - لا يستطيع الكلام حتى إذا أخبره بذلك رد عليه نطقه، يقول حزقيال: (فانفتح فمي، ولم أكن بعد أبكم) حزقيال ٣٣ - ٢١، ٢٢ وتوضح حادثة حزقيال أنه قضى ليله ذاك لا يستطيع الكلام حتى أتاه هذا الهارب

ثالثها: صمت يؤديه الإنسان عن رغبة، ولا يقف به عند حدود عفة اللسان عن الناس وهو - بهذين الوصفين: الرغبة، والشمول - أعم من الأول، وليس فيه ما في الثاني من جبر. وهذا اللون هو محل بحثنا، وهو الذي نطلق عليه «صيام الصمت» تسمية، وهي تسمية لا تأباها علينا مرونة اللغة ويحفظها لنا القرآن الكريم قال تعالى لمريم: «فقولي إني نذرت للرحمن صوما، فلن أكلم اليوم إنسيا». صحيح أن مريم - في حادثتنا هذه - أمرت بأدائه، لكن رغبتها شاركت

فى الأداء . وقد أداه حزقيال أيضا عقب موت زوجه شهوة عينيه جاء فى سفره ٢٤ : (يا ابن آدم هأنا ذا آخذ عنك شهوة عينيك بضربة ، فلا تنح ، ولا تبك ، ولا تنزل دموعك تنهد ساكتا ولا تعمل مناحة ... إلخ) يقول حزقيال فكلمت الشعب صباحا ، وماتت زوجتى مساء ، وفعلت فى الغد كما أمرت .

وجاء فى المزمور الرابع من مزامير داود عليه السلام قوله - يحث بنى إسرائيل على العمل بهذه الشعيرة : « تكلموا فى قلوبكم على مضاجعكم ، واسكتوا » . كذلك جاء فى سفر صفنيا : اسكت قدام السيد الرب ، لأن يوم الرب قريب » .

والصامت عندئذ قائم على أفضل عبادة : من ذكر أو فكر دون صوت أو لفظ .

لقد كان صيام الصمت إذن موجوداً فى اليهودية وسارت به تلك الديانة عبر السنين حتى ظهرت المسيحية ولا تزال طائفة الكاثوليك تقيمه شعيرة بينها ... شعيرة منوطة بالرغبة لرعايا الكنيسة ، وبالفريضة لرجال الكهنوت .

ولقد كانت طائفة الترابيست Les Trappistes من أشد طوائف الكاثوليك التزاما له حتى قضت به على أتباعها مدى الحياة ، فكانوا ينعزلون بمهجر معين ويقيمون فيه على صمت حتى الموت ، وقد انقرضت تلك الفرقة .

* * *

وينبغى أن نلاحظ أيضا أن الصمت - كعبادة - انتشر أيضاً بين ديانات بدائية ، وأخرى وثنية متحضرة ، فتذكر السيدة « روث بندكت » فى كتابها « ألوان من ثقافات الشعوب » أن كهنة البيبلوس يلازمون الصمت فى كل خلواتهم الكهنوتية وبخاصة تلك الخلوات التى يمارسونها استسقاء للمطر حتى لا تموت الحنطة ، وهى خلوات تختلف أيامها بين أربعة وثمانية باختلاف سن الكهنة أنفسهم .

ويذكر دكتور وافى فى كتابه « الهنود الحمر » أن الأفراد منهم فى مرحلة التعميد يقضون فترة اعتكاف يقيمون فيها على صيام دائم يشارك فيه هذا النوع أحيانا .

ومما كتبته السيدة « بندكت » ، ودكتور « وافى » يمكن أن نقول : إن انتشار هذا اللون من الصيام ليس وقفا على الكهنة ، وإنما يشارك الشعب فيه بنصيب .

وإذا تعدينا هؤلاء البدائيين إلى الوثنيين المتحضرين نجد هذا الصمت بينهم ، وديانات الهند خير شاهد على ذلك ، وبخاصة ديانتا البرهمية واليوجية ، ولا تزال مدارج المعابد فى الهنـــد وقراها يجوبها الصامتون فى أوضاع جسدية مختلفة .

* * *

وعرفته العرب فى جاهليتها ومارسته ، وأطلقت عليه لفظ « الضرس » بفتح فسكون وتقول المعاجم إنه صمت يوم إلى الليل ، وظل فيهم حتى قضى فيه الإسلام قضاءه فأوقف أمره .

فمن أين للعرب به ؟

لقد كان لهم فى جاهليتهم دين ، ولكنه لم يكن منظما ولم يكن ذا طقوس من هذا النوع ، فطقوسه لا تعدو تقدمات الأصنام ، أو طوافا بالبيت ، ولم يكن كالكاهن العربى أشد هونا على الناس ، وما حفظ عنه أو اشتهر أنه أمر بصمت أو أخذ به .

لقد اهتدى العرب إليه عن طريق غيرهم ، وبأثر من ذلك الغير ، فإن قلنا : عرفه العرب عن طريق اتصالهم فى الشمال والجنوب بمدنيات زاهرة فما نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين ، وإن قلنا : إن انتشار اليهود فى الأوساط العربية هو الذى أشعرهم هذه الشعيرة توالت الأدلة يأخذ بعضها بحجز بعض .

كانت العرب تكن الود لأهل الكتاب ، وكثيرا ما حاولوا الاهتداء بهم فى المشكلات ، وهم الذين علموا العرب صيام عاشوراء فى الجاهلية ، فلم يكن غيرهم يعرف يوم عاشوراء أو يمارسه فى الجزيرة العربية بل هم الذين تولوا حساب ذلك اليوم لهم ، فقد روى الطبرانى بسند حسن عن خارجة بن زيد عن أبيه قال: ليس يوم عاشوراء باليوم الذى يقول الناس ، إنما كان يوما تستر فيه الكعبة ، وتقلس (تلعب) فيه الحبشة عند النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان يدور فى السنة ، فكان الناس يأتون « فلانا » اليهودى يسألونه ، فلما مات اليهودى أتوا زيد ابن ثابت فسألوه .

وذكر الكلبى أن « اللات » كانت صخرة يلت عليها يهودى « السويق » فاتخذها عرب الطائف إلها لهم ، ويذكر الشيخ نعمان الجارم فى كتابه « أديان العرب فى الجاهلية » أن من نساء العرب من سمت بأسماء إسرائيلية رجاء أن يعيش الولد أو دفعت به إلى الكهانة للغرض نفسه ، على أن أثر اليهود فى اليمن بلغ الذروة باعتناق ذى نواس اليهودية ، واتخاذه إياها دينا رسميا لليمن .

لا جدال - إذن - فى أن اليهود أثرا فى المعتقدات العربية ، ولا جدال أيضا فى أن الصمت لون من عباداتهم فهم إذن أقرب الجاليات - غير العربية فى الجزيرة - لنشر الصمت بين من انتشر بينهم من العرب

ثم ظهر الإسلام ، حتى إذا كان يوم جمعة ، ووقف الرسول صلى الله عليه وسلم يخطب وجد رجلا واقفا دون الناس أجمعين فسأل عنه فقالوا : هذا أبو إسرائيل نذر أن يقوم فى الشمس فلا يقعد ، ولا يستظل ، ولا يتكلم ، ويصوم . فقال عليه السلام : مروه فليتكلم وليقعد وليستظل وليتم صومه ، وأفسد عليه منذوراته جميعا إلا الصوم . فليس كل ما كان قربة فى شريعة يكون قربة فى غيرها ، وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يُتم بعد احتلام ولا صمات يوم إلى الليل .

وقد أزال أبو بكر الصديق — وهو خليفة - ما بقى من أثر لهذا الصمت فقد دخل رضى الله عنه على امرأة من أحمس يقال لها : زينب فوجدها لا تتكلم فقال : مالها لا تتكلم ؟ فقالوا : حجت مصمتة فقال لها : تكلمى فإن هذا لا يحل ، هذا من عمل الجاهلية . فتكلمت .

يقول ابن قدامه الحنبلى : « ليس من شريعة الإسلام الصمت عن الكلام ، وظاهر الأخبار تحريمه ، واحتج بحديثى أبى بكر وعلى المذكورين وكما نهى الإسلام عن هذا اللون نهى كذلك أيضا عن الصمت الذى هو ترك الكلام فى الحق لمن يستطيعه .

على الخطيب

رمضان في العالم الإسلامي

للأستاذ محيي الدين الألوائي

إن الصيام قد عرفه الإنسان منذ بداية حياته على الأرض ، وجاءت به الملل السابقة ، وكذلك كان صيام شهر رمضان فريضة رئيسية فى الإسلام .

فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

والمعروف أنه مشروع فى جميع الملل حتى الوثنية مثل الديانات الهندية القديمة من البوذية والهندوكية والجينية ، كما هو مشروع عند اليهود والنصارى وكان معروفا عند قدماء المصريين ، وانتقل منهم لليونان . وأما الصيام فرمز لوحدة المسلمين فى جميع بقاع الأرض على اختلاف أوطانهم ولغاتهم وأجناسهم ، فتتجه أنظارهم إلى هلال شهر واحد يبدءون صيامهم لرؤيته ويفطرون عند انتهائه ولكننا نرى العادات والتقاليد الدينية والشعبية تختلف فى كل بلد إسلامى عن الآخر ، فى استقبال شهر رمضان المعظم ، وصوم أيامه .

وأرى من المناسب ، والأمة الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها تستقبل شهر رمضان المعظم ، وعيد الفطر المبارك ، أن أقدم نبذة عن عادات المسلمين وتقاليدهم ومظاهرهم الدينية والشعبية فى هذا الشهر ، راجيا أن تكون هذه الجولة الإسلامية عونا على توثيق ركن التعارف ، وتدعيم أواصر الأخوة بين أبناء الإسلام فى مختلف البلدان .

« آسيا »

« أندونيسيا » : ولتكن بدء تطوافنا إلى أكبر دولة أسلامية فى العالم ، تقع فى أقصى الشرق . وهى « أندونيسيا » التى لها صفحات مجيدة فى تاريخ الإسلام والمسلمين ، وينتشر فيها المذهب الشافعى وتتألف الجمهورية الأندونيسية من آلاف الجزر المتناثرة بين جنوب شرق آسيا وأستراليا ، ولكل جزيرة منها عادات وتقاليد خاصة فى المناسبات الدينية ، ومن العادات العامة المشتركة بينهم فى شهر رمضان ، أن يستقبلوه بذبح القرابين ابتهاجا بحلوله . وتفتح المساجد طوال الليل للصلاة وتلاوة القرآن الكريم ، وبعد صلاة العشاء تقدم الحلوى من جوز الهند والسكر واللوز ، ثم يبدءون فى صلاة التراويح وتزين المنازل والمحلات بالفوانيس الملونة ، وتزداد أبهة هذه الفوانيس فى الليالى العشر الأخيرة من رمضان ، تبركا بليلة القدر التى أنزل فيها القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

وتغلق المعاهد والمدارس الإسلامية احتفالا بشهر الصيام ، ويقام فى اليوم السابع عشر من رمضا حفل كبير يشترك فيه رئيس الجمهورية مع الشعب ، احتفالا بذكرى يوم نزول القرآن : ويدب النشاط فى جميع البيوت منذ الليلة السابعة والعشرين لاستقبال عيد الفطر السعيد .

الهند والباكستان :

وإذا انتقلنا من أندونيسيا إلى الهند والباكستان نرى المسلمين ، من غروب شمس اليوم الأخير من شعبان يسرعون إلى المساجد والتكايا التى يجتمع فيها كبار العلماء المحليين وأعيان الأحياء الإسلامية

للعلم بثبوت رؤية هلال شهر رمضان ، وبدء الصيام . ومنذ ثبوت هلال رمضان تتجلى مظاهر الفرح فى بيت كل مسلم ، وتمتلىء المساجد بالمصلين . ومن الطريف فى عادات مسلمى الهند ، أن من يفطر علنا منهم يتعرض للعقاب الشعبى من المتحمسين ، وأحيانا يتجمع حوله الأولاد ويعلقون فى عنقه الأحذية القديمة وقشور جوز الهند حتى لا يقدم أحد على مثل فعله بعد ذلك . وهذه العادة شائعة فى منطقة « ملابار » المكتظة بالمسلمين فى ولاية « كيرالا » بجنوب الهند .

ومن عادات المسلمين فى الهند تأخير تناول وجبات الإفطار إلى ما بعد صلاة المغرب ، ويفطرون عادة على تمرات أو رشفات من الماء ، عملا بالسنة النبوية . وبعضهم يفطرون على الملح الخالص ، ثم يشربون كوبا من المرطبات التى تختلف باختلاف المناطق . وبعد ذلك يتوجهون إلى صلاة المغرب . وفى ليالى رمضان تضاء الجوامع بالأنوار الساطعة ، وتعلق فى أبهائها الثريات المضيئة ، وتلقى فيها المواعظ والدروس الدينية .

وإذا انتقلنا إلى العادات المتبعة فى "سحور نجد « المسحراتية » يطوفون فى كل حى يقيم فيه المسلمون وفى أيديهم المشاعل والطبول أو الدفوف ، وهم يرددون التواشيح الدينية ، ويواصلون الطرق على أبواب المنازل حتى يستيقظ أصحابها ويعدونهم بالصيام فى اليوم التالى .

ومنذ العشر الأخيرة من رمضان يستعد المسلمون لإخراج زكاة الفطر ، ومعظمهم يؤديها قبل الخروج إلى صلاة العيد ، وتؤدى عادة من الأرز وتزدحم الطرق والحارات بأكشاك بيع الحلوى والملابس المزركشة التى تصنع لأطفال المسلمين فى العيد فى شتى أنحاء الهند .

الفيلبين :

ومن عادات المسلمين فى جزائر الفيلبين الواقعة بين المحيط الهادى وبحر الصين ، إكثار الاعتكاف فى المساجد طوال شهر رمضان المعظم والتنافس بين العائلات فى عمل الخير وتقديم المساعدات للفقراء ، فتقضى الأسر الفقيرة أيام رمضان ، ضيوفا على الأسر الغنية من الجيران والأصدقاء بدون حرج . ومن العادات المتبعة فى تلك البقعة تناول مشروب خاص يصنع من الموز والسكر ولبن جوز الهند فى بداية وجبة الإفطار . ويعاد نفس المشروب فى السحور مضافا إليه قطيف شعبى مكون من الدقيق والسكر والبيض . ويجمعون زكاة الفطر فى شكل جماعى ، ثم يقوم إمام المسجد فى كل حى أو قرية بمهمة توزيعها على مستحقيها .

العالم العربى :

ولتكن جولتنا فى العالم العربى من الخليج إلى المحيط . ففى العراق التى تحمل الطابع العربى القديم وتقف كدعامة هامة لصرح العالم الموحد ، نرى المظاهر الدينية المتوارثة ، خلال شهر رمضان المعظم ، مثل حشود المسلمين فى المساجد ، وقراءة القرآن فى كل مكان بصوت عال ، ويزدحم الناس فى حلقات الذكر ومدارسة القرآن ، والاستمتاع بالتواشيح الدينية التى تستمر من صلاة المغرب حتى صلاة العشاء حيث تقام بعدها صلاة التراويح ، وتغلق المطاعم والمقاهى فى بغداد حتى مدفع الإفطار وتسمع الأطفال فى الشوارع فى أرجاء العراق يغنون بعد الإفطار بألحان بغدادية عذبة . وفى صبيحة أول أيام عيد الفطر يجمع رئيس كل أسرة عراقية زكاة الفطر ثم يوزعها على الأسر الفقيرة المجاورة وتعقد مجالس الأدب والمناظرات فى مساجد العراق طوال أيام شهر رمضان .

وإذا انتقلنا من العراق وشاح « الخليج » للعالم العربى إلى الجزائر وشاح « المحيط » نرى عادات رمضانية يتمسك بها أهل الجزائر، منها قراءة القرآن الكريم قبل صلاة العشاء فى كل مسجد، واستمرار مجالس الذكر حتى السحور، وتقام حفلات دينية فى المدارس والمعاهد الإسلامية. ونرى أهل الجزائر يفطرون على ثلاث حبات من التمر قبل تناول طعام الافطار، فليس هناك ما يعرف « بالمسحراتى » وأما وسيلة الإيقاظ للسحور فهو المؤذن. ويتكون السحور الشعبى فى الجزائر من السفوف الذى هو نوع من الأطعمة المشهورة عند الجزائريين ويؤكل مع اللبن واللوز، كما أن طعام الافطار عندهم يتكون من شربة « الفريك » والبهارات والقهوة باللبن، وبعد الإفطار يخرج الأطفال فى شكل جماعات يمرحون ويغنون فى الحارات والطرقات. وتستمر الحفلات الدينية طوال الشهر فى الأحياء العربية كما يقام حفل كبير ليلة السابع والعشرين احتفالا بليلة القدر المباركة

إفريقيا :

أما بالنسبة لعادات وتقاليد المسلمين فى رمضان، فى إفريقيا، التى كانت مهد الحضارات، وملتقى الأديان واللغات، نجد عادات وتقاليد إسلامية متأصلة فى كل بقعة يسكنها المسلمون، ففى « نيجيريا » المسلمة، فى غرب القارة الإفريقية، تحتفل القبائل ثلاثة أيام متواصلة قبل حلول شهر رمضان المعظم تيمنا بقدومه، ومن عادات المسلمين فى نيجيريا عقد حلقات الذكر فى كل المساجد بعد صلاة التراويح، ويخرج الأطفال بعد الافطار بالملابس الملونة يحملون الفوانيس ويغنون الأغانى الدينية، ويقوم « المسحراتى » بنفخ الأبواق لإيقاظ الناس للسحور، وفى أول أيام العيد يحمل شيخ كل قبيلة زكاة فطرها إلى إمام مسجد القرية أو المدينة ليوزعها على الفقراء والمساكين.

ومن عادات المسلمين النيجيريين خلال شهر رمضان، إعداد أنواع من الأطعمة الرمضانية المكونة من الذرة والسكر والدهن، كما أنهم يأكلون نوعا خاصا من الحلوى الرمضانية بعد الإفطار والسحور. وإذا وقفنا عند « الصومال » التى تقع على المثلث الذى تنتهى اليه القارة الافريقية، بين خليج عدن والمحيط الهندى، والتى ترتبط بالعالم العربى بصلات وطيدة منذ قرون طويلة. نجد من عادات مسلمى الصومال ذبح القرابين وتزيين المساجد والشوارع والمساكن بالأنوار والفوانيس الملونة، ترحابا بقدوم شهر رمضان المعظم. ومن المظاهر الإسلامية فى الصومال أن تغلق المقاهى والمطاعم فى أوقات النهار فى رمضان، وبعد الإفطار يتلى فيها القرآن الكريم. ومن الطريف أن « المسحراتى » فى الصومال يعتبر موظفا من موظفى الدولة، يتقاضى مرتبا نظير إيقاظ الأهالى للسحور ويستعمل « طبلة » خاصة تسمى « درمان » وأما الأطفال فيخرجون من منازلهم حاملين الفوانيس يرددون الأغانى الشعبية طوال الليل حتى السحور. وتقوم الحكومة بجمع الزكاة فى رمضان من التجار حسب نصابهم ثم يقوم قاضى كل مدينة بتوزيعها على الفقراء والمحتاجين فى اليوم التاسع والعشرين من رمضان وهكذا نرى مظاهر الوحدة والأخوة تتجلى فى أسمى مظاهرها فى رمضان فى كل بقعة يسكنها المسلمون فى العالم.

محيى الدين الألوائى

محمد رسول الحرية "ليس كتاب سيرة"

للأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي

[سيجد القراء فى هذا المقال شيئاً من الحدة فى الجدل منشؤه الشعور بالكرامة والحرص على الدفاع عنها كما وجدوا فيما كتبه الأستاذ على العمارى شيئاً من الحدة منشؤه الغيرة على كتاب الله وتصحيح المفاهيم الدينية بالأسلوب الذى ينم عن هذه الغيرة وهذا الحرص

وبذلك يلتقى الطرفان على معنى يحمد عليه كل منهما ، وهذا هو الذى فسح صدر المجلة لنشر ما كتبه الأول وما عقب به الثانى ، ولكننا نذكر كلا منهما بقول الله « وجادلهم بالتى هى أحسن » وقوله تعالى « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم »] .

مجلة الأزهر

قرأت فى العدد الأخير من مجلة « الأزهر » الغراء مقالا عنوانه « تيارات منحرفة فى التفكير الدينى المعاصر الأستاذ على العمارى ٧ - محمد رسول الحرية » هذا هو عنوان المقال بالتحديد .

وفى الحق أنى لم أكن أتصور أن مجلة نعلق عليها الآمال ونحترم كل ما يصدر عنها ونصدقه يمكن أن تفسح صدرها لمثل هذا الكلام ! ..

كم من الحبر والورق يضيع بلا جدوى ! .

فالمقال إهدار لآداب الدين وامتهان متعمد لقواعد الجدل التى شرعها السلف الصالح ووضع أصولها القرآن الكريم .

وما كان لى أن أهتم بالرد على مثل هذا المقال ، ولكن المقال منشور فى مجلة الأزهر . المجلة التى تحمل اسماً عزيزاً على كل القلوب ما يكاد يذكر حتى تشرق النفوس بوضاءة تاريخ باهر ، وآمال جليلة ..

وعلى صدر المجلة اسم أستاذ لجيلنا هو الأستاذ أحمد حسن الزيات ، واسم صديق أثير ، عملنا معاً لحماية شرف الكلمة منذ السنوات الخضر من حياتنا هو الأستاذ عبد الرحيم فودة . وهو أحد الذين يحملون رسالة الأزهر المتجددة إلى قلوب الشباب وبسطاء الناس . والمجلة بعد تشكل الوجدان الدينى لآلاف من القراء فى أقطار الأرض .

فأنا لا أستطيع إذن أن أهمل ما يكتب فيها أو أن أسلك هذه الشتائم الموجهة إلىّ من على منبرها مع غيرها من الشتائم التى نتلقاها فى الطرقات والتى لا تستحق عناء الرد . فلقد قال عنى الجهلاء إننى كتبت « الأرض » لحساب الإقطاع و « مأساة جميلة » لمصلحة فرنسا و « محمد رسول الحرية » دعاية الشيوعية الدولية ! .

كنت أكتفى بأن أبتسم فى إشفاق على الذين

يلتقطون من خربات نفوسهم أوحالا يلقون بها على الآمنين . . ولكن يعانى الذين يعملون فى هذه الحيـــاة من الذين لا هم لهم إلا تشويه الآخرين ! . .

ولكننى لا أستطيع هذا الآن . . فالمقال الذى يقذفنى صاحبه بالحجارة منشور فى مجلة أحترمها وأعتز بها ، وكاتب هذا المقال ينبغى أن يكون جديراً بأن تنشر له مجلة الأزهر . وأنا أثق فى حسن تقدير القائمين بالأمر فى هذه المجلة ، فلابد أن يكون لأستاذ العمارى رجلا يعلم ما يكتب عنه لا أحد الجهلاء الذين ألفت إهمال الرد عليهم .

على الرغم أن ما فى المقال لا يستحق عناء الرد إلا إننى مضطر إلى الرد عليه ، عسى أن أفلح فى تنبيه كاتب المقال إلى أن الكتابة مسئولية وإلى أنه لا يملك أن يعتزل فوق قمة باردة من الاستعلاء ويقضى على ضمائر الناس بالضلال أو الهدى ويفهم الأمور من وجهة نظره هو وحده . . ثم يدين من يخالفه .

كتاب محمد « رسول الحرية » ليس كتاب سيرة وهذا واضح لكل من يقرأ وقد نبهت إليه فى المقدمة ولكن الأستاذ على العمارى يراه كتاب سيرة . . ويقاضى ضمير كاتبه .

ويبدو لى أننى فى حاجة إلى أن أنبه الأستاذ إلى أمور كان عليه أن يعرفها بحكم دراسته الدينية . وهى أصول لا علاقة لها بالعقل المتحرر أو المتحجر . ولكنها تدور حول الوجدان ويحددها استعداد الرجل إن كان رضى النفس حلو الطبع أم فظاً غليظ القلب .

يبدو لى أننى فى حاجة إلى أن أنبه الأستاذ إلى آداب الدين . . ألم يقرأ قوله تعالى « ويل لكل همزة لمزة » فما باله يهمز ويلمز ؟!!

ولكن فليقل كاتب المقال . فليقل لنا الأستاذ على العمارى أولا . . من الذى منحه سلطان الحكم على نوايا غيره من هذه الأمة ؟ . . وحق العدوان والكيد لعباد الله . . وحق القذف والسب وتوجيه الشتائم . . ألأنه من رجال الدين ؟ . . ولكن الدين أدب معاملة وأدب جدال ، ورجال الدين ينبغى أن يكونوا أعف النـاس لسانا وأكثرهم تحرجا وأشدهم تأثما وأحرامم بفهم أصول الدين والتزام روحه . . .

ومن أين جاءه أن فى الإسلام طبقة من رجال الدين تحكم على هذا المسلم أو ذاك بالانحراف . . ؟ ألا يعرف الأستاذ أنه لا كهنوت فى الإسلام ولا مجامع كرادلة ولا حرمان ولا صكوك غفران . ؟ ؟!!

ثم بأى أصل من أصول الدين يبدأ مقاله بقوله عن كتابى « محمد رسول الحرية » ـ ألفه أحد العاملين بالصحافة ـ ؟!

إن هـذا أسلوب رخيص فى التجهيل . . وهو أسلوب مبتذل ينبو به الذوق العام ويجافى آداب الدين . أيزرى بى هو أم يزرى على الصحافة ؟ فلماذا يتعلق بها إذن ويكتب لمجلة الأزهر . . أم أن مجلة الأزهر فى رأيه ليست من الصحافة . . ربما . . فالأستاذ رأى عجب فى كل ما كتب .

ولكنى أود أن أنبه الأستاذ إلى أننى ـ لست أحد العاملين فى الصحافة ـ فأنا لم أكتب مقالا فى صحيفة يومية أو أسبوعية أو شهرية منذ خمس

سنوات .. لقد تركت هذا الشرف ليتمتع الأستاذ بهذا الشرف ثم يزرى على ! !

كتاب ألفه أحد العاملين فى الصحافة !!. ولكنك تناقش الكتاب .. ولا بد أنك قد قرأت اسم صاحبه فلماذا لم تذكره ؟ . من أنت إذن ؟ ! .. لعل اسم المؤلف لا يستحق منك أن تشرفه بالذكر .. لعلك تظن أن جريان لسانك أو قلمك بالأسماء تشريف لها ؟!.. أليس كذلك أيها العلم العلامة .. شيئاً من السمو عن هذا الأسلوب ! فما أظن أن سنك أو علمك أو مكانة المجلة التى تكتب فيها يسمح لك بمثل هذا عندك .. أهذا من آداب الدين يا أستاذ على ... ثم .. أمن آداب الدين يا رجل أن تتهم بغير علم ولا دليل لتقول عنى إنى من الذين « يرون التأليف عملا تجاريا أكثر منه تعبيراً عن فكرة » ! .. أتاجر أنا ، وما هى تجارتى ؟ .. أهو الدين .. أهى المؤلفات الدينية .. عفا الله عنك وأصلحك وأقالك من عثرات لسانك وأدبك بآداب الدين .

لو أنك تواضعت لله قليلا وأحسنت فهم ما تقرأ من كتب الدين لوفرت علينا وعلى نفسك وعلى قراء المجلة كل هذا العناء .. فما أضيع الوقت الذى نهدره للرد على شتائمك واتهاماتك !

إنى لأعجب لك عجباً لا ينقضى .. كيف تأتى لك أن تحسب نفسك أولى بهذا الدين من غيرك وأحفظ له وأقوم عليه ممن عداك من المسلمين . بم تفضلنى ؟.. بم كنت أكثر غيرة على هذا الدين منى ؟!.. لا كرادلة فى الإسلام يا أستاذ على .. ولئن كنت تظن أنك بحق ذلك الكاردينال .. فهلا التزمت بحدود الدين .. أم أنك تحسب نفسك مالكا للحرمان ولتذاكر الغفران ...

أما قرأت حديثاً ينهى المسلم عن طعن المسلم فى دينه ؟ .. ألم تقرأ مثل هذا الحديث أبدا ؟ .. لكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرى أن الدين سيمتحن بأمثالك فحمل العزاء بكلماته إلى من سيطعنون وسلك الطاعنين مع الكافرين !.. لو أنى عاملتك بمنطقك لاعتبرتك كافراً وسكت عنك .. ولكن عفا الله عنك وأصلحك وأضاء لك عقلك وأقالك من عثرات لسانك .

وما بالى أرد عليك وأنت تتهمنى « بالانحراف عن الدين وتحريف القرآن وتكذيبه وتشويه نصوصه والحط من الإسلام » .. أى إننى كافر مفسد فى الأرض عدو للإسلام .. عفا الله عنك . أهذا كلام يمكن أن يرد عليه ؟

أتعرف لماذا ألفت كتاب « محمد رسول الحرية » ؟ ! ألِلحط من الإسلام ؟ ! بل لأرفع عن شرف القيم الإسلامية ما يحط عليها من أمثالك .. ثم أتعتقد حقاً « أن ما جاء به القرآن مما يحاول هؤلاء تحريفه أو تكذيبه ، لو جاء من طرق أخرى لآمنوا به » .. أتعتقد هذا حقا ؟ .. ماذا تريد أن تقول ؟ . أنا لا أعرف هذه الطرق الأخرى يا رجل الطرق الأولى .. وويل لكل همزة لمزة ! .

أنا إذن منحرف عن الدين مكذب للقرآن (أى كافر) متاجر بالدين ، ألا تلاحظ تناقضك .. فما لكافر أن يتاجر بالدين ؟!.

أنا هذا كله .. أنت تتهمنى بكل هذا . لماذا يا أستاذ على . لأنى قلت : إن الجدرى فشا فى جيش أبرهة عام الفيل ؟.. وتتهمنى بأنى أساير المستشرقين .. أنا فى رأيك منحرف عن الإسلام وكائد له وحط

من شأنه ومحرف للقرآن ومكذب له ومشوهه .. لأنى قلت هذا . .

ولكنى لم أنقل هذا عن المستشرقين كما تزعم . . ولو كنت أنت ـ عفا الله عنك ـ تعودت قراءة كتب الدين بقدر ما تعودت التهجم لأدركت أن هذا هو ما قاله « ابن عباس » أم أنه هو أيضاً من المستشرقين فى رأيك ؟ . . ولك رأى عجب . . وغير ابن عباس يا رجل . وأنا لا أريد أن أحيلك على غيره لأضيق نطاق الطعنات والافتراءات والاتهامات والشتائم التى قد توجهها إلى السلف الصالح ممن لا يفهمون الأمور فهمك . .

كل ما فى قولك من كلام موضوعى هو اتجاهك المخالف فى تفسير الآية « وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل » .. أما بقية المقال فشتائم واتهامات لأن مأخذى فى التفسير لم يعجبك .. لقد كان يسعك أن ترفض هذا الرأى وكفى الله المؤمنين القتال . . يسعك أن ترفض تفسير ابن عباس إمام المفسرين بإجماع .. دون أن تتهمنى . . وهذا هو أدب الجدال فيما أعرفه عن الدين .. أم إنك تعرف شيئا آخر .. قل لنا أفادك الله !!

فهلا جعلتها مناقشة موضوعية فتجادل فيها بالحجة الحسنة ، فتفيد وتستفيد !!!

إن كتب التفسير مليئة بالإسرائيليات كما لعلك تعرف يا أستاذ على . ومن المجتهدين من يقع فيها ولم يتهمهم أحد بما اتهمتنى به ، وأنا لم أتورط فى خطأ كهذا .. كل ما فى الأمر أنى أخذت بتفسير « طيراً أبابيل » على تأويل الآية ولكنك تريد أن تفهمها بظاهر النص .. لقد تابعت أنا ابن عباس وتابعت أنت غيره وأنا لا أعطى نفسى الحق أن أتهمك بشىء لأنك خالفتنى فى الرأى . . فلماذا تتهمنى أنت ؟ ! أتعرف لماذا ؟ . لأنك لا ترى من حق أحد أن يكتب فى هذا الموضوع . . لأنك تريد أن تمنع حق الكتابة أو تحرمه . . لماذا ؟ . إن الإسلام ليس ميراثك الخاص ، ولا الأزهر . . الحضارة الإسلامية ميراثنا جميعا .. وربما كانت تعاليم الإسلام والأزهر هى ميراثنا نحن . . نحن الذين نريد أن نكشف الذين يتهمون الإسلام بالجمود والتحجر ، مدى ما فيه من طاقة وحيوية أنتجت أعظم حضارة عرفها التاريخ .. لو أنك رفضت الكتاب كله ، لكان هذا من حقك . . فلكل منا فهمه .. ولو إنك فندت ما فيه لكان هذا حقك .. ولكن ليس من حقك أن تشتم أو أن تكيل الاتهامات ...

ثم من قال لك أن الآية لا تقبل التأويل ـ أتستطيع أن تقطع بمعنى كلمة « أبابيل » أمفردة هى أم جمع .. ألم يختلف عليها اللغويون والمفسرون . . ثم ما هو الفرق بين أن تفسر هذه الآية بظاهر النص أو بالتأويل .. هه ؟ قل : .. هب الأبابيل كانت طيراً ترمى بحجر أو جراثيم (جدرى أو طاعون) كالطير تخترق الجسم كما يخترقه الحجر المسنن . . فما هو الفرق على أى حال . . أليست النتيجة واحدة ؟. فنحن نصل فى النهاية إلى فساد كيد أبرهة وتضليله !!. أهذا يبرر عندك أن تهجر وقار العلم وآداب الدين وتوجه إلى ما وجهت من اتهامات وشتائم .

القرآن والتفسير وكتب الدين يا أستاذ على لا كتب المستشرقين هى ما اعتمدت عليه .. وأنا أطالبك بأن تحسن فهمها بدلا من أن تحملها

فحسب ، فهي ليست أسفاراً ولكنها هدى للناس ...

ثم ما زعمك يا أستاذ على أن الأسلوب القصصي يجنى على الحقائق .. وأن الأسلوب القصصي فى سرد سير الأنبياء لا يسوغ عندك ! لا يسوغ عندك ؟؟. تواضع لله قليلا يا ولى الله !.. تواضع لله نفسه .. فبأى أسلوب إذن أنزل الله سير الأنبياء فى القرآن .. ألم تحاول أبداً - بدلا من أن تتهجم على الناس وتطعنهم فى دينهم - ألم تحاول أبداً أن تفهم قوله تعالى : « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين » .. ألم تحاول أن تدرك مغزى هذه الآية أبدا .. حاول يا شيخ على .. وسيسوغ عندك ما صدر عن الله . حاول أن تفهم .. فهذا أجدى عليك من اتهام المسلمين فى نواياهم ومن الهمز واللمز . وويل لكل همزة لمزة ! ..

وإذا كان الأسلوب القصصي فى سرد سير الأنبياء لا يسوغ للأستاذ على وقد جاء فى كتاب الله ، فوارحمتاه لنا نحن الفقراء إلى الله .

واسمع أخيراً يا أستاذ على .. ما دمت قد ندبت نفسك للكتابة فى الدين - غير مذمم - فاعلم أن الكتابة أمانة ومسئولية .. والكلمة شرف .. فاتق الله فى شرف الكلمات وارتفع بقلبك إلى مستوى المسئولية وزن لسانك عن الطعن فأنت تعرف ما جزاء هذا عند ربك .. وليكن قلبك مضيئاً بالموعظة الحسنة ، فهذا خير من أن يثير عوامل الاستفزاز والضغينة .

لا تخلق الكراهية يا رجل ، فما بهذا أمرك دينك . واعلم أن الذى تطعنه فى دينه هو رجل ما كان يعرفك وما كنت تعرفه .. ولكنه إنسان له حقوق وله أبناء يحبونه ويحبون لأبيهم ألا يطعن فى دينه .. وأنا أريد لهم أن يقرأوا مجلة الأزهر فيصدقوا ما فيها .. اخفض من صوتك وأنزل من تعاليك ، والتزم بآداب دينك ، وجادل بالتى هى أحسن ، واعلم قواك الله أن علمك هو قيدك ، فإن لم يرتفع بك علمك فوق سوقية الجدال ، فلا خير فيه .. وتذكر أن الدين المعاملة .. وأن السفه والإيمان لا يجتمعان .. فلتكن كلماتك طيبة كشجرة طيبة .. واحذر أن تكون كلمتك فى هذه الحياة خبيثة كشجرة خبيثة !

واعلم أن للكلمة المطبوعة احترامها وجلالها وتقاليدها ، فلا تشوهها بما تسخرها له من افتراء وتجريح ، ولا تسئ إلى الناس بالباطل ، أحسن الله إليك ، وقواك على أن تعرف مكانك من هذه الدنيا فتلزمه ، وأعانك على أن تحترم الآداب التى شرعها سبحانه للتعامل بين عباده ، وجنبك الزلل ، وأقالك من عثرات لسانك ، وأضاء لك السبيل .. وعفا الله عنك يا أستاذ على بما افتريت ، وبما ضيعت من وقت .

عبد الرحمن الشرقاوى

الجانب العلمي من إعجاز القرآن

تعقيب على تعقيب

للأستاذ الدكتور
علي عبد الواحد وافي

اطلعت بعد عودتي من انجلترا حيث اشتركت في أعمال مؤتمر اليونسكو بأكسفورد لدراسة حقوق الإنسان على تعقيب لفضيلة صديقنا الشيخ عبد الرحيم فودة على مقالنا المنشور بعدد جمادى الأولى بعنوان (حرية التفكير والتعبير في الإسلام) فرأيت من الخير أن أعقب عليه بما يلي:

أراد فضيلة الشيخ عبد الرحيم فودة في تعقيبه على مقالنا السابق أن يقرر أمرين:

(أحدهما) أن القرآن قد عرض لبعض حقائق علمية لم يهتد العلماء إليها إلا منذ عهد قريب. ولكنه لم يقدم بين يدي دعواه أي دليل والآيات التي ذكرها في تعقيبه لا تدل على شيء مما أراد أن يقرره؛ وإنما تدل على أن القرآن «تنزيل من حكيم حميد»، وأنه «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه» وأن الذي أنزله «يعلم السر في السموات والأرض»، وأن الذين أوتوا العلم يرون أنه هو الحق ويهدي إلى صراط مستقيم، وأن الله سيرى الناس دلائل قدرته في «الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق». وهذه هي أصول عقيدتنا الإسلامية، ولكن لا علاقة لها مطلقاً بالموضوع الذي عرضنا له في مقالنا السابق ولا بالموضوع الذي أراد الشيخ فودة أن يقرره.

(وثانيهما) أن تقرير القرآن لبعض حقائق علمية لم يهتد العلماء إليها إلا منذ عهد قريب (على فرض أن القرآن قد عرض لهذه الحقائق) هو مظهر من مظاهر إعجازه، وهذا فهم غير صحيح لحقيقة الإعجاز. فالإعجاز هو الإتيان بما لا يستطيع البشر سبيلا إلى الإتيان بمثله في أي عصر ولا في أي مكان، ويكون مقروناً بالتحدي، أما تقرير حقائق علمية تستطيع عقول البشر أن تصل إليها وقد وصلت إليها بالفعل فليس من الإعجاز في شيء. وقصارى ما يمكن أن يحكم به على مقرر هذه الحقائق أنه عبقري قد سبق عصره بعدة قرون. ولو كان مثل هذا إعجازاً لحكمنا على كثير من عباقرة العلم والاجتماع أنهم قد أتوا بالمعجزات. فابن خلدون مثلا قد عرض في أصول علم الاجتماع وبعض فروعه نظريات لم يهتد العلماء إلى مثلها ولا إلى كشف حقها وصحتها إلا بعد وفاته بنحو أربعة قرون. فلو كان ما قاله الأستاذ فودة صحيحاً لحكمنا على ذلك بأنه ضرب من ضروب الإعجاز.

أما مقالات صديقنا الأستاذ الغمراوي التي أشار إليها فضيلة الشيخ فودة في تعقيبه فيؤسفنا أنه لم يتح لنا الاطلاع عليها. ومهما يكن من شيء بشأنها فإن قارئها يستطيع الحكم عليها في ضوء ما كتبناه في مقالنا السابق وفي هذا التعقيب.

دكتور علي عبد الواحد وافي

رد ...

للأستاذ عبد الرحيم فوده

١ — عند ما كتبت تعقيبي على مقال الأستاذ العظيم الدكتور «علي عبد الواحد» لم يكن يدور في خلدي أن أدخل معه في مناظرة أو جدل، فإن له مقاما في نفسي وفي نفوس القراء الذين تابعوا ويتابعون ما يكتب وما يؤلف من كتب بكثير من التقدير والحرص والاهتمام والاحترام؛ فإذا أضيف إلى ذلك أن الدافع الذي حمله على كتابة ما كتب فيما يتصل بالجانب العلمي من إعجاز القرآن هو الغيرة على كتاب الله أن يطوع لخدمة نظريات قد تتغير

أو يظهر بطلانها . كان ذلك - إلى ما له من مكانة واحترام - اعتبارا آخر له وزنه وتقديره وتأثيره فى نفسى وفى نفوس القراء على السواء ...

٢ — ولكن للمسألة جانبا آخر يشفع لى ولكل مسلم ولكل متمرس بدراسة القرآن وعلومه أن يعقب على ما كتبه الدكتور فى هذا الموضوع ، ذلك أن الإعجاز العلمى فى القرآن هو الآن أظهر الأدلة على أنه من عند الله ، وبخاصة بعد أن فسدت السليقة العربية وفقدت المعايير البلاغية قيمتها التى كانت لها عند العرب يوم عجز العرب - وهم فى أوج قوتهم البلاغية - عن الإتيان بمثله أو بسورة من مثله ، ثم إن الإعجاز العلمى - فى عصر العلم - هو وحده الذى يفحم أعداء الإسلام ، ويقطع عليهم السبيل إلى معارضته أو مناهضته ، بل لعله هو الذى يستشف من قوله تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » بل إنه هو الذى يلوح لنا من الأفق العالى الرفيع الذى نتطلع إليه ونحن نتلو قوله تعالى : « فلا أقسم بمواقع النجوم . وإنه لقسم لو تعلمون عظيم . إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون . لا يمسه إلا المطهرون ، تنزيل من رب العالمين » .

٣ — أما ما أشار إليه الدكتور أو عرض به من أننى لم أقدم بين يدى دعواى أى دليل فأنا أكل إلى القراء الحكم على ما أوردته من الآيات التى ذكرها الدكتور ، وأنكر أنه لا علاقة لها بالموضوع ؛ بل أكل إليه أن يفسر فى ضوء العلم أو فى ضوء ما شاء قوله تعالى : « فلا أقسم بالشفق . والليل وما وسق والقمر إذا اتسق . لتركبن طبقا عن طبق » ثم يفسر بعد ذلك المناسبة التى مهدت لقول الله بعد ذلك : « فما لهم لا يؤمنون . وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون » . وأنا واثق أن رواد الفضاء من أمثال « جاجارين » وقد ركبوا أطباق الجو وداروا حول الأرض ، وعرفوا عن كثب الشفق ، والليل وما وسق ، لو أشرقت على قلوبهم هذه الآيات البينات لآمنوا بالله وسجدوا للقرآن .

٤ — أما تعريف الدكتور للمعجزة ، فقد تجاوز فيه عن أمر لا يستقيم تعريف المعجزة مع التجاوز عنه ، فقد عرفها العلماء بأنها أمر خارق للعادة ، ولا شك أن القرآن بالنسبة إلى النبى الأمى الذى يقول الله فيه : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك » أمر خارق للعادة ، والعلم الذى تلقاه النبى من القرآن والوحى كذلك أمر خارق للعادة ، وهذه الحقيقة البسيطة العميقة أشار إليها شوقى حين قال :

كفاك بالعلم فى الأمى معجزة
فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

أما العباقرة والمخترعون الذين سبقوا غيرهم أو عصرهم بما عرف لهم من نظريات أو مخترعات فلا يسمى عملهم معجزة ، لأنه يقوم على قوانين معروفة مألوفة أو تعرف وتؤلف ، ثم إنهم لم يدعوا النبوة ، ولم ينسبوا عملهم إلى الله ، والمعجزة من عمل الله لا من عمل أحد سواه ، ولا بد لنبى فى معجزة ، لأنها أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى يظهره الله على يد مدعى النبوة ، وقد تحدى القرآن الجن والإنس أن يأتوا بمثله ، فعجز الإنس والجن عن أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله ، ولم يقيد المثل بأى قيد . بل أطلقه ليشمل الإعجاز كل الجوانب التى اشتمل عليها القرآن ، فهو معجز فى أسلوبه وبلاغته . وفى تشريعه وحكمته ، وفى قصصه وعلومه ، وفى كل ما يفهم من قوله تعالى : « لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه » ، وقوله سبحانه : « قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض » .

٥ — أما الأمثلة التى طالبنى الدكتور بعرضها لتكون أدلة بين يدى دعواى فلا يسعها ، كتاب ،

ولا يتسع هذا المقال لتفصيل الحديث عنها ، وحسبنا أن نشير مجرد إشارة . لقوله تعالى : « بلى قادرين على أن نسوى بنانه » . « وأنبتنا فيها من كل شيء موزون » ، وقوله : « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب » ، وقوله : « ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً » ، وقوله : « الذى أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين » ، وقوله : « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون » ، وقوله ... وقوله . إلى أقصى ما يفهم من قوله تعالى : « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا » .

وقد قال الإمام على كرم الله وجهه جميع العلم فى القرآن ولكن تتقاصر عنه الأفهام ، ونظم شاعر هذا المعنى حين قال :

جميع العلم فى القرآن لكن
تقاصر عنه أفهام الرجال

٦ — وبعد فقد قلت فى آخر ما كتبت من تعقيب : ومهما يكن من شيء فالقرآن كتاب الله ، والعلوم الكونية وما تسفر عنه البحوث والتجارب من حقائق لا يرقى إليها الشك نرحب بها على أنها خادمة للقرآن لا مخدومة به ، وعلى أنه حاكم عليها لا محكوم بها . وكنت أقصد بذلك — مع الإقرار بالحق الذى اعتقده — أرضاء غيرة الدكتور على كتاب الله أن تحسب عليه أخطاء بعض الباحثين ، وقد قلت فيما قلت أما ما ذكره الدكتور من آراء وتأويلات ضعيفة أو فاسدة لبعض الباحثين فى هذا الأمر فحسوب على الباحث لا على القرآن . كما يحسب كثير من أخطاء المفسرين القدماء عليهم لا على هذا الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا يصح أن نتخذ من ذلك ذريعة لتغطية هذا الجانب المتألق المشرق من إعجاز القرآن العلمى .

٧ — ورحم الله الدكتور محمد عبدالله دراز فإنه يقول فى كتابه « النبأ العظيم » وتقرأ القطعة من القرآن فتجد فى ألفاظها من الشفوف والملاسة والإحكام والخلو من كل غريب عن الغرض ما يتسابق به مغزاها إلى نفسك دون كد خاطر ولا استعادة حديث ، كأنك لا تسمع كلاما ولغات بل ترى صورا وحقائق ماثلة ، وهكذا يخيل إليك أنك قد أحطت به خبرا ووقفت على معناه محدودا . هذا ولو رجعت إليه كرة أخرى لرأيتك منه بإزاء معنى جديد غير الذى سبق إلى فهمك أول مرة وكذلك ... حتى ترى للجملة الواحدة أو الكلمة الواحدة وجوها عدة . كلها صحيح أو محتمل للصحة ، كأنما هى فص من الماس يعطيك كل ضلع منه شعاعا فإذا نظرت إلى أضلاعه جملة بهرتك بألوان الطيف كلها فلا تدرى ماذا تأخذ عينك وماذا تدع ، ولعلك لو وكلت النظر فيها إلى غيرك رأى منها أكثر مما رأيت ، وهكذا تجد كتابا مفتوحا مع الزمان يأخذ كل منه ما يسر له ، بل ترى محيطا مترامى الأطراف لا تحده عقول الأفراد ولا الأجيال .

ألم تر كيف وسع الفرق الإسلامية على اختلاف منازعها فى الأصول والفروع ... ؟ وكيف وسع الآراء العلمية على اختلاف وسائلها فى القديم والحديث ... ؟ وهو على لينه للعقول والأفهام صلب متين ، لا يتناقض ولا يتبدل . يحتج به كل فريق لرأيه ، ويدعيه لنفسه ، وهو فى سموه فوق الجميع يطل على معاركهم حوله . وكأن لسان حاله يقول لهؤلاء وهؤلاء (كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) .

عبد الرحيم فودة

الحقيقة فى مشكلة فلسطين

للكاتب الهولاندى ف. هو ليونارد
ترجمة عن الإنجليزية : محمد حسام الدين

دخلت الوثيقة التاريخ بهذا الاسم «خطاب فرانكفورتر»، وقد وصفها السير بويد مهرمان المتكلم باسم الهيئة التنفيذية للصهيونية الفلسطينية بأنها : «قاعدة للانتداب على فلسطين، وكان خطاب فرانكفورتر بالتالى قاعدة للدولة الحالية إسرائيل ولكنه قاعدة مهتزة لأنه كان مزوراً. وكان المزوران هما الدكتور حاييم وايزمان أول رئيس للدولة التى أقيمت على هذه القاعدة. والدكتور فليكس فرانكفورتر عضو مجلس العدالة بالمحكمة العليا بالولايات المتحدة الأمريكية.

وارتفعت أصوات الدوائر الصهيونية بأنها تهدف إلى التعاون مع العرب من أجل تقدم البلد وخيرها. وأنكروا تخطيطهم للسيادة على فلسطين أو لإجلاء العرب عن أراضيهم. وسمعت هذه التصريحات مراراً.

والغريب أن نظرة العرب إلى هذه التصريحات كانت تتسم بالتردد والاستجابة للغش والخديعة وفى نفس الوقت كان الصهيونيون يسرون فيما بينهم أن أسرع السبل وأيسرها هو انتزاع الأرض العربية ونقل ملكيتها إلى اليهود - وكانت لحسن حظهم ناقصة التسجيل - وذلك لتحقيق وضع البلد كلها فى قبضتهم وتنشيط الهجرة إليها واستحضار أكبر عدد ممكن من الشعب اليهودى وضمه إلى ملاك الأرض فى دولتهم الجديدة.

وفى المفاوضات العربية اليهودية أصر فيصل على أساس لها. وهو أن يتمتع المسلمون والمسيحيون واليهود بالمساواة الوطنية فى فلسطين. فرفضه الاتحاد اليهودى الفلسطينى باعتباره مشروعاً خطيراً بل وجديراً بالسخرية.

وقد حاولت بريطانيا أن ترتدى ثياب البراءة فوضعت مشروعاً بمنح قروض لمساعدة الفلاحين العرب فى فلسطين وكان مستواهم قد انحدر بسبب الحرب إلى حد البؤس، فعارضه وايزمان.

واقترح الانجليزى الصهيونى زانجويل وآخرون معه أن يطرد العرب من فلسطين، ورأوه طريقاً أخصر وأفضل من خطة وايزمان وهى أن يظهرهم فى مظهر الاجناس المنحطة.

وفى لحظات نادرة كانت الأصوات اليهودية تغير نبرتها. ففى فبراير سنة ١٩١٩ قالوا : «نحن الذين نقاسى الاضطهاد فى كل مكان فى العالم، والذين نطالب بجميع الحقوق الإنسانية لأنفسنا ذاهبون إلى فلسطين لنعكس الدور».

إلى هذا الوقت كانت فلسطين ما تزال بلداً عربياً خالصاً وجزءاً من سوريا، ولا يزال أكثر من ٩١ ٪ من سكانها عربا وأقل من ٩ ٪ يهود.

ووضع الحلفاء مشروع تقسيم الشام فوقف العرب مسيحيين ومسلمين ضد الحلفاء وضد الصهيونية فى أن تقتطع فلسطين من أمها سوريا.

وأدرك العرب شيئاً من الراحة والطمأنينة على حقوقهم حين استظلوا باتفاق عصبة الأمم مستندين إلى تصريحات الحلفاء عن فلسطين.

وكان موقفهم القانونى والشرعى واضحاً لا يقبل الجدل . فإذا قيسوا بمقياس القوة الفعلية كانوا فى غاية الضعف .

جاء فى محاضر يوم ١١ أغسطس سنة ١٩١٩ لمؤتمر السلام بعصبة الأمم أن العرب تمسكوا بميثاق عصبة الأمم الذى وصفهم بأنهم أمة مستقلة ومنحهم حق تقرير المصير .

فى حين كان اليهود ـ استنادا إلى وعد بلفور ـ يعارضون ميثاق عصبة الأمم وحق تقرير المصير لعرب فلسطين . ويرفضون التصريح الإنجليزى الفرنسى سنة ١٩١٨ ويعارضون السلطة الانجليزية ذاتها لأنها لم تعلن سياستها التى تتفق فى الواقع مع مع أهدافهم فى فلسطين .

وما أكثر المصالح الذاتية التى كانت تربط بريطانيا والحلفاء بالصهيونية ، والتى جعلت مصادر القوة فى جانب الصهيونية ضد العرب الذين استغنى الحلفاء عن خدماتهم بعد الحرب ولم يبق لها غناء كبير .

كان هناك قبل كل شىء بلفور نفسه الذى صنع روابط الحلفاء بالصهيونية ، ثم اتسعت من بعده وتوثقت عالميا ، وعن طريقه حصلت الصهيونية على وسيلتها الإيجابية المشروعة وهى الانتداب على فلسطين ، وكان وعد بلفور محققا ومجسدا لآمالها .

ومع هذا فقد وصفت الدوائر الصهيونية الانتداب ، بأنه ليس شرعيا . ولكنه وثيقة سياسية هامة ، وفى رأى ابن جوريون ، أنه يمثل اتفاقا بين العرب واليهود أمام المنظمة العالمية ، .

إن من المبادىء القانونية كما وضحها ، دريفوس ، أن خطأ المنظمات العالمية يمكن أن يراجع ويعاد تصحيح الوضع فيه فى حالات خاصة مثل الوهم والغش ، ولكن هذا يحتاج على الأقل إلى استجابة الرأى العام العالمى ، وحتى هذه الوسيلة لم يكن العرب يملكونها ، بينما كان اليهود يتابعون منهج ،هرتزل، وهو استخدام النفوذ اليهودى فى الصحافة العالمية وفى الدوائر السياسية .

ونتج عن هذا أن أكثر الاصطدامات السياسية انتهت بتحطيم حقوق العرب على يد الصهيونية . إن المذكرة التوضيحية لوعد بلفور ظلت سرا إلى ١٩٥٢ كما أن الغش فى خطاب فرانكفورتر بقى خفيا مدة أربعين عاما . ثم كشف لأول مرة فى هذا المقال .

وفى سنة ١٩٤٧ انتهى التناقض بين ظاهر الانتداب البريطانى وحقيقته فى فلسطين بقرار التقسيم الذى أصدرته الأمم المتحده ، وبهذا تحدد الصراع العربى الصهيونى الإسرائيلى إلى يومنا هذا

أما مقاومة العرب للانتداب بوصفه أداة لتحقيق الصهيونية فقد كانت فى أساسها دفاعا ذاتيا عن حقوقهم التى اعترف بها الحلفاء فى معاهداتهم وفى إعلاناتهم وتصريحاتهم واعترف بها ميثاق عصبة الأمم .

وقد سوغ الانتداب البريطانى للصهيونيين المعتدين أن يهضموا حقوق العرب : بل وجعله أمرا مشروعا أما دفاع العرب عن أنفسهم فمن الغريب أن يصفه بالعدوان ، وأن تكون الصهيونية فى نظره هى الضحية البريئة ... مما يستتبع أن توصف قواتها المسلحة وأعمالها العسكرية بأنها من وسائل الدفاع .

وضعت الصهيونية خطة التفوق على العرب وحدد خطواتها الانتداب البريطانى . وفى خلال عشر سنوات منه استطاع الصهيونيون أن يملكوا زمام الأوضاع الاقتصادية جميعها فى فلسطين .

وكان الانتداب يعطى الأرض التى يكتسبها اليهود بعد إجلاء السكان الوطنيين عنها حصانة وسيادة خاصة فلا تخضع لنظم الدولة العامة . وبالرغم من أنها

كانت مستعمرات صغيرة فى المساحة إلا أنها كانت تقع فى أخصب المناطق وأقدمها زراعة وعمرانا .

ونتيجة لهذا ولمقاطعة العمال العرب والمنتجات العربية . نما المجتمع الصهيونى المغلق المتطرف الذى يجـــرى فى دمائه نزعات التمييز العنصرى والإحساس بالتفوق . فتفجرت الاضطرابات وشملت جميع الطبقات الاجتماعية للشعب العربى الذى أحس نفسيا وماديا أنه مهدد بالصهيونية .

لقد أصبح أمام دولة يهودية وسياسية عدوانية يطالب بها المتطرفون فى علانيـــة . ويستهدفها المعتدلون بطريق ذى مراحل طويلة .

وقبض هتلر على زمام القوة العالمية سنة ١٩٣٣ . وكانت المآسى التى لاقاها يهود أوربا دوافع لهم على الهجرة إلى فلسطين .

فتزايد فزع العرب حين رأوا فيضانا من الأجانب يغمر وطنهم الصغير . وقد بلغ المهاجرون فى سنة ١٩٣٥ وحدها ٦٢ ألفا فتفجرت الثورة العربية المسلحة ضد الانتداب البريطانى واستمرت ثلاث سنوات تقريبا .

وفى سنة ١٩٣٩ ظهرت بوارق حرب جديدة . وكانت تباشير النصر للنازية تخامر نفوس الفدائيين والمغامرين العرب . فأصدرت بريطانيا كتابا أبيض يحد من هجرة اليهود ، ويضيق عليهم فى شراء الأرض العربية .

وكان هذا يعنى فى نظر الصهيونية أن مهمة بريطانيا قد قاربت النهاية فى مراحل تقدمهم الطويل خطوة إثر خطوة فى سبيل الغاية المحددة ، ورأوا أنهم لابد لهم من أمرين الأول : الحصول على معونة للانتقال إلى المرحلة التالية . الثانى : التخلص من الانتداب والدولة المنتدبة ، فانتقل مركز النشاط السياسى الصهيونى من بريطانيا إلى أمريكا ، إلى مجال أوسع وأرحب ، واتجهت المناورات إلى تحريك الرأى العام فى الكونجرس والحكومة الأمريكية ضد الكتاب الأبيض الإنجليزى ، من أجل الدولة اليهودية .

ووقف من كانوا يدعون بالمعتدلين يطالبون علنا بالدولة اليهودية ، وبدأت عمليات إقامتها بالفعل ، ومنها نقل السكان العرب تحت إشراف ضابط ذى رتبة عالية من القوة البريطانية الاستعمارية .

واستدعى اليهود سيدة من سيدات التبشير المسيحى كانت خبيرة فى عمليات إجلاء السكان وتبادلهم بين تركيا واليونان ، لإلقاء محاضرات فى هذا الموضوع وكانت النية واضحة ومؤكدة بين هذه المحاضرات وبين نية إجلاء العرب ، حينما تنسحب بريطانيا من فلسطين .

بدأ الإرهاب الصهيونى ضد بريطانيا إثر صدور الكتاب الأبيض وتوقف عند قيام الحرب ، ثم استؤنف فى أعقابها .

وكان المهاجرون غير الشرعيين يهربون إلى فلسطين بأعداد ضخمة ، وأخذت مساعدة الصهيونية للاجئين اليهود صورة الحركة السياسية وصرف النظر عن الاعتبارات الإنسانية ، ولهذا فإن وسائل الدعاية للأهداف السياسية شملت العناية بدعوة السفاحين والقتلة من اللاجئين اليهود ، وكانت الأوامر تصدر إليهم من السلطات الصهيونية فى فلسطين .

وفى أعقاب الحرب استؤنف الإرهاب الصهيونى وتزايد عنف ضد الانتداب البريطانى وظهرت للضوء العلاقة السرية بين الوكالة اليهودية وبين الإرهابيين .

محمد عصام العربى
مجمع البحوث الإسلامية

الإسلام والعلاقات الإنسانية في مجال العمل

للأستاذ جمال الدين عياد

— ٤ —

وبالإضافة إلى ما قدمناه من حقوق تكفلها الدولة للعمال بصفة عامة [1] ، نظر الإسلام نظرة خاصة إلى طائفتين من طوائف العمال وهما طائفة الأجراء ، وطائفة الخدم عامة ، والرقيق منهم خاصة ، فاستوصى بهم خيرا .

فأما الأجراء ، فقد حث على إكرامهم ، والمبالغة فى رعاية حقوقهم بما قدمناه من قصة صاحب فرق الأرز الذى انصرف أجيره دون أن يأخذ أجراً ، فلم يكتف بحفظ أجره سنوات طوالا ، وإنما استثمره له حتى اشترى له بقراً وراعيها ، ثم دفع ذلك كله إليه .

وطبيعى أن الأجير ليس له الحق فى أكثر من أجره ، وأن هذا الذى فعله صاحب فرق الأرز إنما هو فضل منه لا حق عليه ، ولكن الرسول عليه السلام أراده قدوة لمن يستطيع ، فقال : « من استطاع منكم أن يكون مثل صاحب فرق الأرز ، فليكن مثله » [2] .

(١) راجع ما كتبناه فى العددين السابقين عن « حقوق العمال فى الإسلام » .

(٢) مختصر سنن أبى داود ، جـ ٥ ، ص ٥٧ .
ثمة رأيان فى تصرف هذا المستأجر من الناحية الفقهية :
فالرأى الأول يقول : إنه قد عين للعامل أجره ، ومكنه منه فبرئت ذمته بذلك ، فلما ترك العامل أجره ، تصرف فيه المستأجر بغير إذن من العامل ، ولكن تصرفه كان بطريق الإصلاح ، لا بطريق التضييع ، فاغتفر ذلك ، ولم يعد تعدياً ، بل عد قربة إلى الله تعالى . ومع ذلك فلو ==

ومن الملاحظ أن من النادر تكرر الظروف التى أحاطت بقصة صاحب فرق الأرز بحيث يكون كل

== هلك الأجر ، لكان المستأجر ضامنا إذ لم يؤذن له فى التصرف فيه : (راجع : ابن حجر ، فتح البارى جـ ٥ ، ص ١٢) .

ومقتضى هذا الرأى أن جميع ما نتج من استثمار الأجر إنما هو ملك العامل لا للمستأجر ، حيث قد عين الأجر ، فملكه العامل ، وعليه يكون للمستأجر حق المطالبة بما أنفق على استثمار هذا الأجر فهى حقوق مقررة لكل عامل فى مال الغير ولو كان غاصبا ، ولكن المستأجر تنازل عما أنفق وعما يستحق من أجر العمل فى مال العامل (أى فى أجره المملوك له) ، فتوسل إلى الله تعالى بهذا التنازل .

والرأى الثانى : أن الأجير لم يملك أجره ، لأن المستأجر إنما استأجره بفرق على الذمة لا بفرق معين ، فلما عرض عليه أن يقبضه ما هو مقرر فى الذمة من الأجر دون أن يعينه له امتنع ، فلم يدخل فى ملكه حيث لم يتعين ، وإنما بقى حقه فى ذمة المستأجر (راجع القسطلانى ، إرشاد السارى ، جـ ٤ ، ص ٢١٩) .

ومقتضى هذا الرأى أن المستأجر إنما استثمر مالا مملوكا له لا للعامل ، إذ استثمر ما فى ذمته من الأجر ، لا الأجر عينه ، حيث لم يتعين ، وبقى فى ذمته ، فكل ما نتج من الاستثمار إنما يتتج على ملك المستأجر لا العامل .

وغاية ذلك أنه أحسن القضاء حين أتاه العامل مرة ثانية يطالب بأجره ، فأعطاه حقه وزيادات كثيرة (راجع : نفس المكان) ، ويبدو أن البخارى يرى الرأى الأول حيث ساق الحديث تحت عنوان : « إذا زرع بمال قوم بغير إذنهم وكان فى ذلك صلاح لهم » وأيا كان الأمر ، فقد أحسن المستأجر إلى الأجير بصورة ما : إما بتنازله عن أجر عمله ومقدار نفقته فى أجره المستثمر ، وإما بمنحه الأجر وزيادات كثيرة .

مستأجر مثله ، على أن فرص إكرام الأجراء متسعة . فكل مستأجر لا يكتفى بأداء الحق الذى عليه قبل الأجير ، وإنما يؤتيه بعد هذا من فضله ما يستطيع ، يكون قد تشبه بصاحب فرق الأرز ، وأصبح أهلا لمثل ما أكرمه الله به من تفريج الكروب . وكل إكرام فى هذا المجال إنما هو استجابة لقوله تعالى : « ولا تنسوا الفضل بينكم » .

وهذه الدعوة إلى إكرام الأجراء تبدو عظيمة القيمة إذا تذكرنا حقيقة هامة ، أن العرب كانوا يسمون الأجير عسيفا لأن المستأجر يعسفه فى العمل والعسف الجور . من ذلك قول أحد الأعراب لرسول الله ، وقد جاء يستقضيه : « إن ابنى كان عسيفا على هذا وأشار إلى رجل معه ... » . وهكذا فقد كان الأجراء جديرين بهذه النظرة الرحيمة التى خصهم بها الإسلام .

وأما الخدم عامة ، فقد أمر عليه السلام بالعفو عنهم إذا أخطئوا ، إذ جاءه رجل يوما وقال : يارسول الله كم نعفو عن الخادم ؟ فصمت ، ثم أعاد عليه الكلام فصمت فلما كان فى الثالثة قال : « اعفوا عنه فى كل يوم سبعين مرة » ، وأتاه رجل آخر ، فقال يارسول الله : إن لى خادما يسىء ويظلم ، أفأضربه ؟ فقال عليه السلام : « تعفو عنه فى كل يوم سبعين مرة » يريد بهذا المبالغة فى العفو عنه .

وقد أوصى عليه السلام بالإحسان إلى الخدم فى المأكل والملبس : فقال : « إن اخوانكم خولكم ، فمن كان أخوه تحت يده ، فليطعمه مما يطعم ، وليلبسه مما يلبس . وقال : « إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه ، فإن لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين فإنه ولى حره وعلاجه » ، وقال : « ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة ، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة ، وأما أطعمت زوجك فهو لك صدقة ، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة » ، وفى حديث مشابه جعل عليه السلام الإحسان إلى الخادم فى المرتبة الرابعة بعد الإحسان إلى النفس والزوج والولد على الترتيب المذكور ، فعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تصدقوا ، قال رجل : عندى دينار آخر ، قال تصدق به على ولدك . قال عندى دينار آخر ، قال تصدق به على نفسك . قال عندى دينار آخر قال تصدق به على خادمك . قال عندى دينار آخر . قال أنت أبصر » .

وعن ابن عباس قال : « قدم علينا عمر بن الخطاب رضوان الله عليه حاجا ، فصنع له صفوان بن أمية طعاما ، فجاءوا بجفنة يحملها أربعة ، فوضعت بين القوم ، فأخذ القوم يأكلون ، وقام الخدام ، فقال عمر مالى أرى خدامكم لا يأكلون معكم ؟ أترغبون عنهم ؟ فقال سفيان بن عبد الله : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكننا نستأثر عليهم ، فغضب غضبا شديدا ثم قال : « ما لقوم يستأثرون على خدامهم ، فعل الله بهم وفعل ، ثم قال للخدام اجلسوا فكلوا ، فقعد الخدام يأكلون » .

وإنما دعا الرسول إلى إطعام الخادم من طعام سيده لأنه كما يقول - عليه السلام - ولى حره وعلاجه وليس من اللائق أن يوقد ناره ، ويستنشق دخانه ، ثم يحرم منه .

على أن إطعام الخادم مما يطعم السيد وإلباسه مما يلبس ، إنما هو من باب الترغيب لا الوجوب كما أشار ابن حجر ، وكما يتضح من قوله عليه السلام « فليناوله لقمة أو لقمتين » فى الحديث الذى نقلناه آنفا .

وقد ضرب عليه السلام المثل الأعلى فى الإحسان إلى الخدم ، إذ يقول أنس خادمه « خدمت النبى صلى الله عليه وسلم تسع سنين . فما قال لى لشىء فعلته لم فعلت كذا وكذا ؟ وما قال لى لشىء لم أفعله ألا فعلت كذا وكذا » ويقول : « خدمت النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين بالمدينة وأنا غلام ليس كل أمرى كما يشتهى صاحبى أن أكون عليه ، ما قال لى أف قط » ، وكلفه عليه السلام ذات يوم أمرا فخرج إلى السوق يلعب مع الصبيان متباطئا عن أمر الرسول فما زاد عليه السلام أن أتاه وقال وهو يضحك : يا أنيس ، اذهب حيث أمرتك ! وكان عليه السلام لا يضرب خادما قط ، كما كان يعود خدمه عند المرض ولو كانوا من أهل الكتاب .

وكذلك كانت زوجته عائشة رضى الله عنها ، تحسن إلى خادمتها اليهودية ، وتصنع إليها المعروف ، فكانت الخادمة كلما صنعت عائشة شيئا من المعروف دعت لها بالنجاة من عذاب القبر .

فأما الخدم من الرقيق خاصة فقد ورد الأمر بالإحسان إليهم فى قوله تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ، إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا » .

كما وردت أحاديث عديدة بهذا الشأن نخص منها الأحاديث الناهية عن لطمهم ، إذ يقول عليه السلام « من لطم غلامه فكفارته عتقه » ، ويقول معاوية ابن سويد بن مقرن : لطمت مولى لنا ، فدعاه أبى ودعانى ، فقال : اقتص منه ، فإنا معشر بنى مقرن كنا سبعة على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وليس لنا إلا خادمة ، فلطمها رجل منا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقوها ، قالوا : إنه ليس لنا خادمة غيرها قال . فليستخدموها حتى يستغنوا ، فإذا استغنوا فليعتقوها .

وعن أبى مسعود الأنصارى رضى الله عنه قال : « كنت أضرب غلاما لى فسمعت من خلفى صوتا : اعلم أبا مسعود ، الله أقدر عليك منك عليه ، فالتفت ، فإذا هو النبى صلى الله عليه وسلم ، فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله تعالى ، وقال أما إنك لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار » .

ثم الأحاديث الناهية عن التطاول عليهم ، إذ يقول عليه السلام « لا يقل أحدكم ، اطعم ربك ، وضىء ربك ، اسق ربك . وليقل : سيدى ، مولاى . ولا يقل أحدكم عبدى ، أمتى ، وليقل فتاى ، وفتاتى ، وغلامى » .

وكذلك الأحاديث الداعية إلى الإحسان إليهم بالتعليم ، وهى واردة فى الإماء خاصة ، إذ يقول عليه السلام « من كانت له جارية فعلمها فأحسن إليها ثم أعتقها وزوجها كان له أجران » وإذا كان الحديث ينصب على الإماء ، فإن الذكور من العبيد والأحرار من الخدم أشد حاجة إلى التعليم من الإماء ؟

جمال الدين عياد

الجبال في القرآن الكريم

للأستاذ الدكتور محمد أحمد الغمراوي

— ٢ —

آيات الجبال فى القصص القرآنى :

بقى من الآيات التى ذكرت الجبال فيها بلفظها سبع عشرة آية تتعلق بالجبال فيما دون القيامة أى فى دنيا الأرض هذه التى استخلف فيها الإنسان .

وقد وردت فى ست عشرة سورة هى حسب ترتيب نزول الوحى بها :

« ص والأعراف والشعراء وهود والحجر وسبأ والغاشية والنحل — آيتان — وإبراهيم والأنبياء والنبأ والنازعات والأحزاب والرعد والنور والحج .

أما ترتيبها فى المصحف فسهل معرفته بالرجوع إلى فهرست المصحف الشريف .

وآيات الجبال فى الست السور الأولى آيات قصص يلتحق بها آية سورة الأنبياء ، فهذه سبع آيات ، ثلاث منها وردت فى قصص داود عليه السلام فى ص وسبأ والأنبياء ، وثلاث فى قصص ثمود فى الأعراف والشعراء والحجر ، وواحدة فى قصة نوح عليه السلام فى سورة هود .

تسخير الجبال مع داود عليه السلام :

وأول تلك الآيات آية سورة ص يذكر الله فيها معجزة كبرى آتاها نبيه داود ، أو هما معجزتان فى آيتين كريمتين هما قوله تعالى : « إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق ، والطير محشورة ، كل له أواب) .

ولعظم دلالة هاتين المعجزتين على قدرته سبحانه من ناحية ، وفضل داود عليه السلام من ناحية أخرى ، أعاد الله ذكرهما فى إجمال معجز فى بعض آية ، إذ يقول سبحانه فى سورة سبأ : « ولقد آتينا داود منا فضلا ياجبال أوبى معه والطير) ، وإذ يقول فى سورة الأنبياء : « وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير ، وكنا فاعلين » .

ومتأمل الآيات الكريمة الثلاث يجد بينها اشتراكا واختصاصا فى التعبير ، ولكل دلالته العجيبة . فالحرف « مع » مشترك بينها وكذلك ضمير الجلالة للتكلم ودلالة الحرف أن داود كان يبدأ التسبيح فتشاركه الجبال ، ولو كان التعبير باللام لما ثبت التسبيح إلا للجبال . إما دلالة الضمير فهى أعجب وأعظم . فهو أولا لا يمكن أن يرجع إلا إلى الله عز وجل ، إذ لا يقدر على تسخير الجبال غيره سبحانه ، وهو ثانياً ضمير الجلالة للتكلم ، فدل بوضوح على أن الآيات القرآنية الثلاث إنما هى من عند الله سبحانه ، لا من عند محمد وغيره كما يزعم المستشرقون ومقلدوهم ، وكما غفل عن ذلك أو أغفله المشركون الذين قالوا : إن محمداً افتراه . وضمير الجلالة مبثوث فى القرآن كله لتكون له هذه الدلالة القاطعة بأن القرآن كله إنما هو من عند الله .

أما عن الاختصاص فى الآيات الكريمة الثلاث فقد اختصت الآية الأولى وأختها معها بتفصيل ما أجمل فى الآيتين الأخريين ، ومن بين ذلك تبيين الوقت وقت التسبيح . واختصت الآية الثانية ، آية سبأ ، بنداء الجبال وأمرها أن ترجع التسبيح مع داود . « يا جبال أوبى معه والطير » . ونداء الجبال وأمرها أمر تسخير لا يمكن أن يكون إلا من خالق الجبال سبحانه . واختصت الآية الثالثة ، آية الأنبياء ، بقوله تعالى : « وكنا فاعلين » بعد قوله

عز وجل : « وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير » ، وفى ذلك تنبيه إلى عظم المعجزتين ، ونفى لما قد يرد على الخاطر من استبعاد أن يكون التسبيح بلسان المقال ، ومن حمله على التسبيح بلسان الحال المذكور فى آية الإسراء : « وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » . فدلالة الأشياء على الله بما أودع سبحانه فيها من أسرار وخواص أمر عام للناس أجمعين ، أما تسبيح الجبال مع داود عليه السلام فأمر خاص به ومعجزة آتاها الله إياها .

الجبال فى قصص ثمود :

وآيات الجبال فى قصص ثمود تدل على أن ثمود كانوا قوما أولى عمارة وتشييد ونحت مثل قدماء المصريين وأولى الآيات الثلاث ، آية : الأعراف هى أولى آيات الجبال فى القرآن حسب ترتيب المصحف ، وثانيها حسب نزول الوحى بها . وقد وردت هى وأختها ، آية سورة الشعراء ، على لسان نبى الله صالح إذ يدعوهم إلى الله ويذكرهم بنعم الله عليهم ويحذرهم الكفران .

« واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا . فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين » الأعراف .

« أتتركون فيما ها هنا آمنين . فى جنات وعيون . وزروع ونخل طلعها هضيم . وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين . فاتقوا الله وأطيعون » . والشاهد هو طبعا فى رابعة هذه الآيات الخمس ويبدو أن ثمود كانوا يقتطعون الصخور من الجبال يبتنون بها قصورا فى السهول كما تشهد له آية سورة الفجر : « وثمود الذين جابوا الصخر بالواد » ، كما كانوا يتخذون البيوت ينحتونها فى الجبال نفسها كما تدل عليه آية سورة الإعراف . ويشهد للأمرين جميعا آية سورة الشعراء . وتحقيق هذا ميسور بدراسة مساكن ثمود فى الحجر ، فإنهم هم أصحاب الحجر الذين يقول الله فيها فى سورة الحجر : « ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين . وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين . فأخذتهم الصيحة مصبحين . فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون » . وما أظن أحدا من الأثريين الإفرنج قام بهذه الدراسة ، وأجدر الجامعات أن تقوم بها الجامعة الأزهرية ولتتعرف مبلغ التشابه بين ثمود وقدماء المصريين فى نحت الجبال ، ذلك التشابه المتوقع من قوله تعالى « وفرعون ذى الأوتاد » بعد قوله « وثمود الذين جابوا الصخر بواد » فى سورة الفجر .

ومتأمل الآيات الثلاث وسياقها يدرك أولا أن التكرار فى القصص القرآنى ليس مجرد تكرار للمعنى والتعبير بل هو صور من الإعجاز فى المعنى والأسلوب . وفى آيتى الجبال فى سورتى الشعراء والحجر مثال من زيادة الفائدة فى المعنى مع الاشتراك فى أكثر الألفاظ : « وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين » الشعراء ، « وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين » الحجر . ولكل من الآيتين فى سياقها إعجازها . ففى التعبير مثلا باسم الفاعل (فارهين) إعجاز معنوى عجيب ، لأن الفعل يختلف معناه باختلاف بابه : فره من باب كرم معناه حذق ، ومن باب فرح معناه أشر وبطر كما فى القاموس . واسم الفاعل يدل على المعنيين جميعاً .

فنبى الله صالح كان يذكر قومه بنعمة الله عليهم فيما آتاهم من الحذق فى اتخاذ البيوت ينحتونها من الجبال ، وينعى عليهم كفرانهم بتلك النعمة إذ يسيئون استعمالها بالتعالى فى تلك البيوت أشرا وبطرا ، فجمع الله ذلك المعنى كله فى لفظة واحدة (فارهين) اسم الفاعل من الفعلين جميعا وما أظن كلمة واحدة فى غير العربية كانت تحتمل كل هذا .

فمثل هذا سر من أسرار العربية التى أعدها الله فى سابق علمه لتكون لغة كتابه العزيز الذى أنزله معجزة خالدة للناس .

أما آية الحجر : (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) فإعجازها فيما يبدو هو فى الجو الذى يضفيه عليها ضمير الجلالة للمتكلم فى الآية قبلها : (وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين) وتضفيه عليها الآية بعدها : (فأخذتهم الصيحة مصبحين) بعد الأمن الذى كانوا فيه ودل على استقراره فيهم صيغة الحال فى كلمة (آمنين) .

وقد يظن أن سياق كل من آيتى الأعراف والشعراء قد خلا من دلالة ضمير الجلالة الظاهر فى سياق آية الحجر ، وليس الأمر كذلك : فآية الجبال فى الأعراف جاءت عقب قوله تعالى (وإلى ثمود أخاهم صالحا ، قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) الآية (٧٣) عطفا على قوله تعالى : (وإلى عاد أخاهم هودا ، قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) فى الآية (٦٥) فى مفتتح قصة عاد . وهذه جاءت عطفا على قوله تعالى : (لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) فى مفتتح قصة نوح فى الآية (٥٩) وهى أول قصص الأنبياء فى سورة الأعراف . فمن الواضح أن التقدير هو : وإلى عاد ـ أرسلنا ـ أخاهم هودا) ، وإلى ثمود أرسلنا ـ أخاهم صالحا) فى الآيتين الكريمتين (٥٩) و(٦٥) . وحذف جملة ، أرسلنا ، اعتمادا على ورودها فى الأول وإبقاء مفعولها منصوبا دليلا عليها فى كل من الآيتين هو مثل من الإعجاز القرآنى فى الإيجاز اللفظى .

أما آية سورة الشعراء (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) فقد ناب عن ورود ضمير الجلالة فيها وروده فى ختام قصة عاد قبلها مباشرة فى الآية (١٣٩) (فكذبوه فأهلكناهم إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ، وإن ربك لهو العزيز الرحيم (١٤٠) مع اشتراك القصتين فى المبدأ من حيث الصيغة) (كذبت عاد المرسلين) (كذبت ثمود المرسلين) وفى النهاية بالذات : (إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ، وإن ربك لهو العزيز الرحيم) . وفى ضمير الخطاب ، ضمير الرسالة ، فى قوله تعالى (وإن ربك لهو العزيز الرحيم) دليل آخر يقطع بأن هذا القصص ليس من عند محمد ولكن من عند ربه عز وجل الذى أرسله رحمة للناس .

بقيت من آيات الجبال فى القصص القرآنى آية سورة هود : (وهى تجرى بهم فى موج كالجبال الآية (٤٢) وفيها تشبيه رهيب لموج الطوفان الذى أغرق الله به قوم نوح استدل الفخر الرازى على أن الطوفان كان مصحوبا لابد برياح شديدة العصف ، وهو استنتاج صحيح فقد ذكر العالم الرياضى الطبيعى أونجتن عن تولد الأمواج بالريح أن الريح لا تحدث أى تغضن فى سطح الماء إلا إذا بلغت سرعتها ميلا فى الساعة وهو مايسميه بالأمواج الشعرية ، أما الموج كما نعرفه فلا يبدأ ظهوره إلا إذا بلغت سرعة الريح فى الساعة ميلين ، فما ظنك بسرعتها إذا بلغ الموج من العظم أن صار كالجبال ؟ والقصة التى وردت فيها الآية الكريمة تكرر فيها ضمير الجلالة المتكلم فى الأول وأثنائها وفى الآخر ، كما تكرر فيها ضمير الرسالة إذ جاء فى الوسط مرة : (أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلى إجرامى وأنا برىء مما تجرمون) الآية (٣٥) وفى الآخر مرات فى الآية (٤٩) .

(تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ، فاصبر إن العاقبة للمتقين) فكان فى ذلك برهان مضاعف أن القصة كأخواتها إنما هى من عند الله؟

محمد أحمد الغمراوى

من بحوث مجمع البحوث

التأمين

للأستاذ علي الخفيف

— ٥ —

وقال القرطبي في تفسيره جامع الأحكام من أخذ مال غيره لا على وجه إذن الشرع فقد أكله بالباطل ويدخل في ذلك القمار والخداع وجحد الحقوق وما لا تطيب به نفس مالكه أو حرمته الشريعة وإن طابت به نفس مالكه كمهر البغي وحلوان الكاهن وأثمان الخمور والخنازير. وفي تفسير المنار الباطل هو ما لم يكن في مقابلته شيء حقيقي.

ومن مجموع هذه الأقوال يرى أنها تنتهي جميعها إلى أن المراد بالباطل ما كان محظورا في دين الله ولن يتناول التأمين إلا إذ ثبت أنه محظور وذلك محل البحث والنظر إذن فليس يقوم بهذه الآية استدلال على منع التأمين وبخاصة إذا توسعنا في معنى التجارة وقلنا إنها تدل على مطلق المعاوضة بين الأموال فقد جاء في تقرير القرطبي : أعلم إن كل معاوضة تجارة على أي وجه كان العوض[1] وعلى ذلك تتناول التأمين لما فيه، من المعاوضة ولكن تناول اسم التجارة لهذا النوع من المعاملة بعيد لأن التجارة لا تدل إلا على تبادل بين الأموال بقصد الربح والاستثمار إما مجرد المعاوضة بدون هذا القصد فلا يعد من قبيل التجارة كشراء منزل للسكنى، وليس يقصد بالتأمين استثمار ولا تنمية وعلى ذلك لا يعد تجارة كما أنه لا يعد قمارا لما ذكرنا سابقا من أن القمار ضرب من اللعب واللهو يراد منه الحصول على مال عن طريق «البخت» والحظ والمصادفة لا يقصد منه غير هذا حيث تكون نتيجته دائما ربح أحد طرفيه وخسارة الطرف الآخر وإرادة الحصول على المال فيه عن هذا الطريق غرض أصلي فيه وهذا بخلاف التأمين الذي هو جد محض لا يقصد منه إلا الأمن والطمانينة والحصول فيه على المال أمر تبعي لتحقيق ذلك الغرض عند نزول الكارثة المؤمن عليها.

والنتيجة أن الاستدلال على منع التأمين بأنه من قبيل أكل المال بالباطل استدلال واه لا قيام له لأنه ينتهي في حقيقته إلى اتخاذ الدعوى دليلا عليها إذ أن موضع الخلاف في أمر التأمين أهو من أكل المال بالباطل أم لا.

ما فيه من الربا ومعنى الصرف : يقول بعض المانعين : إنه محرم لما فيه من الربا ومعنى الصرف أما أنه ربا فلأن الفائدة تعطى في بعض أنواعه وهي تلك الأنواع التي تتضمن التزام المؤمن بأن يدفع إلى المستأمن ما قدمه إلى المؤمن من المال أقساطا مضافا إلى ذلك فائدته الربوية وذلك ما يقوم

(١) القرطبي جـ ٥ / ١٢٥.

عليه التأمين على الحيـاة وما يشبهه كالتأمين ضـد العجز مثلا ويقول صاحب هذا الرأى أيضا : إن فيه ربا من جهة أخرى وهو أن المستأمن يعطى القليل من النقود ويأخذ الكثير .

وأما أنه عقد صرف فلأنه يتضمن التزام المستأمن بإعطاء نقود فى سبيل حصوله على نقود فى المستقبل والربا حرام وعقد الصرف الخالى من التقابض فى المجلس عقد فاسد فيه شبهة الربا فهو أيضا محظور لذلك وعليه يكون التأمين محظورا لذلك ، ذلك قولهم .

والنظر الصحيح فى عقد التأمين ومعناه وأساسه وأثره يستوجب رد هذا القول وبطلانه فهو من ناحية الربا يرى أن عقد التأمين بعيد عن الربا وعن معناه بعيد عن شبهته . ذلك أن الربا إنما يتحقق فى معاوضة مال بمال إذا تضمنت فضل مال لا يقابله عوض . وهذا ما يعرف بربا الفضل ، وإنما يكون ذلك عند اتحاد جنسى البدلين فى المعاوضة إذا كانا من الأموال الربوية التى جاء بها حديث « الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يداً بيد فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد . رواه مسلم » ذلك لأنه عند اختلاف الجنس لا يتصور تفاضل حتى يكون هناك فضل من مال لا يقابل بمال ، أما ربا النسيئة أو النساء فقد يكون معه هذا . وهو يتضمن فضل مال فى مقابلة الأجل أى تأخير الوفاء وذلك ما كان معروفا فى الجاهلية فقد كان الدائن يقول لمدينه : أوف دينك أو أرب وقد لا يتضمن فضلا وإنما يتحقق بتأخير قبض البدل وذلك لا يكون إلا فى الأصناف الستة التى تضمنها الحديث السابق الذكر بشرط ألا يكون أحد البدلين فضة ولا ذهباً ، فإن كان أحد البدلين منهما أو كان من غير هذه الأصناف الستة فلا يتحقق ربا النسيئة بتأخير قبض أحد البدلين وذلك محل خلاف بين الفقهاء فيما ألحق بهذه الأصناف الستة من الأصناف الأخرى وليس المحل محل بيانه وأما الصرف فهو مبادلة الذهب بجنسه أو الفضة بجنسها أو أحدهما بالآخر ويشترط لصحته التقابض بين البدلين فى المجلس وإلا كان عقداً فاسداً محظوراً .

وعقد التأمين إن كان مع جمعية تعاونية فهو خال من المعاوضة كما تقدم بيـان ذلك وعلى ذلك لا يتحقق فيه صرف ولا ربا وإن كان مع شركة من شركات التأمين فهو أيضا خال من الربا والصرف ذلك لأن المعاوضة فيه معاوضة بين نقـــود تدفع أقساط للمؤمن ومنفعة هى تحمله تبعة الكارثة وضمانه رفع أضرارها وتخفيف ويلاتها وعلى ذلك يرى أن أحد البدلين منفعة وهى ليست من الأصناف الستة ولا مما ألحق بها ، وإذن فلا يتحقق معها ربا النساء وكذلك لا يتحقق معها ربا الفضل لاختلاف جنس البدلين كما لا يتحقق كذلك معنى الصرف فيه لأنه لا يكون إلا فى مبادلة الذهب بالذهب أو الفضة بالفضة أو أحدهما بالآخر وما قد يدفعه المؤمن للمستأمن من مال ليس بدلا عن الأقساط بدليل أنه لا يدفع فى أكثر أحـــوال التأمين ولا يدفع إلا حيث يقع الخطر وذلك نادر الحصول بالنسبة إلى الأحوال الأخرى ولو كان بدلا لدفع فى جميع الأحوال وإذا دفع فإنما يدفع نتيجة الضمان وتحمل التبعة وحينئذ يتقدر بقدر ما يندفع به الضرر ولا يزيد عليه إذ لا يراد بعقد التأمين بالنسبة إلى المستأمنين جميعا ربح ولا تنمية مال ولا يراد به إلا حياطة أموالهم والحفاظ عليها دون الزيادة فيها ذلك هو أساس التأمين وما أبعـــد ذلك عن الربا وعن الصرف .

بقيت بعد ذلك حالة أراها فى حاجة إلى البيان إذ أنها أهم ما يتمسك به المانعون للتأمين فى هذا الوضع وهى حالة التأمين على الحياة وما يشبهها من الحالات ففيها يحدد للتأمين مدة إذا وقعت الكارثة فيها قام المؤمن بدفع مبلغ التأمين للمستأمن إن بقى حيا كما إذا كان التأمين ضد العجز أو الشيخوخة ويدفعه لورثته إذا كان التأمين على الحياة وإذا لم تقع الكارثة قام المؤمن بدفع مبلغ التأمين إلى المستأمن ويقول المانعون : إذا كان المبلغ الذى يقوم المؤمن بدفعه عند وقوع الكارثة قد دفع نتيجة لتحمل تبعة هذه الكارثة وضمان رفع ضررها وشأنه شأن ما يقوم المؤمن بدفعه فى التأمين على الأشياء فى الحالات الأخرى فإن المبلغ الذى يقوم المؤمن بدفعه إلى المستأمن فى نهاية المدة إذا لم يقع فيها الحادث ليس إلا هو جملة ما قدمه المستأمن من الأقساط إلى المؤمن فيها مضافا إليها فائدة ربوية عن مدة التأمين وذلك ما يصور ربا النساء فى إحدى حاليه أو يصور على الأقل قرضا جر نفعا وكلاهما حرام - ثم كيف يقدر تعويض الضرر فى هذه الحالة قبل وقوعه بتحديد مبلغ معين يجب دفعه للورثة عند الموت أو للمستأمن عند إصابته وعلى أى أساس يحل أخذ هذا المبلغ وقد لا يحدث ضرر ذو قيمة .

ذلك أهم ما يستدل به المانعون للتأمين على الحياة وما يشبهه وهو استدلال لا يقوم على أساس سليم ولا على فهم صحيح لهذا النوع من التأمين - ذلك لأن هذا النوع من التعاقد يقوم على أمرين : أحدهما دفع الضرر إن وقع الخطر المؤمن عليه وهذه عملية التأمين وهى لا تفترق فى الحكم والتأسيس والتكييف عن غيرها من حالات التأمين على الأشياء ثانيهما الادخار للمستأمن إن لم يقع الخطر المؤمن عليه فبقى المستأمن حيا لم يفجأه الموت فى المدة — ولتحقيقه يعمد المؤمن عند هذا التعاقد إلى أن يراعى فى قسط التأمين أن يكون مكونا من جزءين جزء يراعى فى تقديره تغطية الضرر المادى الذى يقع فى المدة سواء أكان وقوعه بالمستأمن أو بالورثة عند وفاته والكلام فى هذا هو ما سبق أن أشرنا إليه بالنسبة إلى أنواع التأمين الأخرى مما سنعنى ببيان حكمه فيما يأتى - والجزء الثانى أنما يعطى ليدخر طيلة مدة العقد لكى يسلم إلى المستأمن فى آخرها إذا كان على قيد الحياة .

ويلاحظ أن المؤمن فى موقفه أمام هذا الجزء الأخير المخصص للادخار بين أمرين : إما أن يجعله وديعة لديه لا يمسها طيلة المدة ليقوم بتسليمها إلى صاحبها فى نهايتها دون نقص أو زيادة فيها ، وعند ذلك لا يكون على هذا الرأى اعتراض من الناحية الشرعية وإن كان محل اعتراض من الناحية الاقتصادية لأنه اكتناز دون استثمار ، وإما أن يعمل فيه فيستثمره وعندئذ يجب أن يكون ربحه بين المؤمن لقاء عمله والمستأمن ثمرة لماله على حسب مايقضى به الاتفاق هاتان حالتان : ففى الحالة الأولى منهما : إذا ما كان التأمين على حياة رجل فى الأربعين من عمره لمدة ٢٠ سنة وكان مبلغ التأمين ١٠٠٠ ج ، فإن القواعد والقوانين التى يقوم عليها التأمين تقضى بأن يكون قسط التأمين ٦٥ ج سنوياً - من ذلك ٥٠ ج تدخر للمستأمن ليصير له فى نهاية المدة ٢٠ × ٥٠ أى ١٠٠٠ ج وهو مبلغ التأمين المتفق على دفعه فى نهاية المدة دون زيادة ولا شىء - والباقى ١٥ ج نظير تحمل المؤمن تبعة ما ينزل بالمستأمن من خطر وقد قدر طبقاً لما تقضى به قواعد التأمين وقوانين الإحصاء على الوضع

الذى أشرنا إليه فيما مضى . وتقدير الضرر الذى سيصيب ورثة المستأمن فى هذه الحال بألف جنيه إنما هو باتفاق بين المؤمن والمستأمن ادخاراً يعطى مثله لورثته تعويضاً يجوز لهم أخذه بناء على التزام من المستأمنين جميعاً بواسطة الهيئة المؤمنة التى تمثلهم والتى أعطيت هذه الولاية فى أموالهم التى هى حصيلة الأقساط المدفوعة منهم بل إنه ليمكن فى تأسيس هذا الجواز ماذهب إليه بعض المالكية من وجوب الوفاء بالوعد وبخاصة إذا كان على سبب كما سيأتى وقد التزم المؤمن بدفع هذا المبلغ فكان التزامه أقوى من التزام الواعد وكان ذلك عن رضا لجاز المستأمن أو للورثة الأخذ لذلك .

وفى الحالة الثانية : حال الاستثمار يرى أن ما يخص المستأمن من ربح هـــذه العملية حسب الإحصاء والقواعد والسوابق التى وصل إليها المؤمن بتجاربه واستقرائه وبحثه والتى يتخذها أساسا لعمله وتقدير ما هو مقبل عليه يساوى مبلغ ١٥ ج سنويا أو يقارب ذلك زيادة أو نقصاً ، وأمام ذلك فإن المؤمن يكتفى منه بأداء ٥٠ ج فقط لتكون هى القسط السنوى إذ يرى عبثاً أن يطالبه بأداء ٦٥ ج ليرد إليه منها ١٥ ج مقدار الربح ، والمستأمن الخيار والمفاضلة بين هذين الحالين ، ولا عليه أمام المؤمن أن يختار إحداهما وإن كان المؤمن سوف لا يرى أن يرغب عن الاستثمار إلى مجرد الحفظ والادخار لما فى ذلك من الفائدة له والمصلحة المتصلة بالنفع العام والاقتصاد القومى فيكون ربح المبلغ له جميعه .

ومن هـذا يتبين أن قيام المؤمن بتلك العملية الخاصة بالادخار خارج عن عملية التأمين ولا تعد هذه العملية من عناصرها وإنما اتخذت وسيلة للترغيب فيه والإقبال عليه والوصول إلى جميع رأس مال ضخم يمكن استخدامه فى صالح الدولة بإنشاء المؤسسات وإقامة المساكن والمصانع وإنعاش التجارة وتنميتها ونحو ذلك مما يزيد فى الثروة القومية وينميها ويرفع من مكانتها وقوتها الاقتصادية . وبناء على ذلك ، فإذا فرضنا أن ذلك العمل لا يساير القواعد الشرعية أو لاحظنا فيه ريبة يجب أن تتقى ، فإن ذلك لا يمس التأمين فى ذاته ولا ينال من وضعه لأنه ليس منه وليس إلا عملا أضيف إليه وقرن به بناء على رغبة فيه نفسه لابناء على أنه عنصر من عناصر التأمين .

على أن هذا العمل فى ذاته قد يجد له فى الشريعة الإسلامية مسوغا وأساساً ، فليس الأمر فيه إلا أن المستأمن قد دفع بعض ماله إلى المؤمن ليستثمره له على أن يكون ربحه مشتركا بينهما ، وذلك ما يعرف فى الشريعة الإسلامية بالمضاربة أو الإقراض وهو عقد على الشركة فى ربح مال يكون من أحد طرفيه والعمل فيه من الطرف الآخر ، فالمال للمستأمنين والعمل على المؤمن ، وعلى ذلك يكون عقد التأمين على الحياة مكوناً من عقدين : عقد تأمين وعقد مضاربة ، وعقد المضاربة عقد جائز بإجماع المسلمين وفى جوازه وردت الآثار وكل ما يلاحظ عليه أمران :

أحدهما : أن عقد المضاربة يفسده تحديد الربح إذ اشترط فى صحته أن يكون الربح فيه مشتركا بين رب المال والمضارب وتحديد الربح قد يؤدى إلى قطع هذه الشركة إذا لم يربح رأس المال إلا القدر المحدد أو دونه بل إن ذلك يتنافى مع أمر محتمل هو الخسارة التى يجب أن تحتسب من رأس المال دون أن يصيب المضارب منها شىء ـ والربح فى حالتنا هذه محددة ـ وذلك ما يقضى بفساد هـــذا العقد وحظره إذ قد يؤدى إلى ظلم المؤمن بأخذه ماله

واحتياط حمله إذا لم يكن من وراء العمل ربح ويرد ذلك أن اشتراط هذا الشرط لم يكن إلا لضمان تحقيق الشركة فى الربح لا لشىء آخر سواه ، فإذا كان ذلك الاشتراك مكفولا ومضموناً من طريق أن ربح العمل فى هذا المال يزيد دائماً عما اشترط لصاحبه منه بناء على السوابق والتجارب العديدة التى لم يتخلف فيها ذلك وبناء على أن ما يشترط لصاحب المال من الربح قد روعى فى تقديره أن يكون أقل مما يأتى به العمل فى المال من ربح - إذا كان الاشتراك مكفولا بهذا الطريق لم يكن لهذا الشرط أهميته ولا أثره فى العقد ما دامت عاقبة اشتراطه مكفولة وهو الاشتراك فى الربح والذى يلاحظ هو أن احتمال عدم الاشتراك فى الربح عند تحديد حصة منه لصاحب رأس المال إنما يمكن أن يكون له هذا الاعتبار فى عقد مضاربة فردى بين شخصين حيث يكون احتمال الخسارة أو نقص الربح فيه عن المشترط منه لصاحب المال احتمالا له من القوة ما يدعو أن يجعل فى محل الاعتبار والتقدير وذلك بناء على ما تدل عليه السوابق على قلتها .

أما إذا كانت المضاربة فى رءوس أموال كثيرة العدد تتعدد بعدد المستأمنين ويكون منها حصيلة ضخمة يقوم استخدامها واستغلالها على العمل فى أنواع متعددة مختلفة من المشروعات والأعمال التجارية والصناعية والإنشائية فإن ربحها فى مثل هذه الحالة - ومنها حالتنا - ربح محقق معروف المقدار على وجه التقريب بناء على السوابق والتجارب كما قدمنا وإذا عرف مقداره على هذا الوضع فلا يحدد منه للمستأمنين إلا مقدار يبقى معه للعاملين وللإدارة وللاحتياط ما فيه الكفاية ، وعلى ذلك يرى أن الاشتراك فى الربح مكفول مع وجود هذا الشرط وعندئذ لا يوضع فى محل التقدير والاعتبار احتمال وجود حالات يكون التحديد فيها حائلا دون الاشتراك فى الربح أو وجود حالة تتحقق فيها الخسارة فسوف لا يكون لهذه الحالات فى الواقع وجود وعندئذ يكون النص فى العقد على تحديد الربح للمستأمن وعدم النص عليه سواء والمعروف أن هذا الشرط وإن لم نعلم فيه خلافا إلا أن أساسه الاجتهاد والاستنباط وما كان محل اجتهاد يجوز أن يتغير الاجتهاد فيه باجتهاد آخر بناء على تغير وضعه وتطوره وطروء داعية إليه تمثلت فى مصلحة اجتماعية حدثت .

على أنه إذا كان الغرض من خطر التحديد فى ربح رب المال أن تتم الشركة فى الربح فإن ذلك يتحقق بأن يجعل العقد الذى تضمن تحديداً فى حصة الربح التى تستحق عقداً موقوفا الحكم فيه أو عليه إلى ظهور مقدار الربح وقت قسمته بين المضارب ورب المال ، فإذا ظهر أن مقدار الربح يحقق الشركة فيه بينهما على الرغم من التحديد تبين أن العقد صحيح وإلا كان فاسداً - ومن النادر حدوثا أن يظهر الربح بمقدار لا تتحقق معه الشركة بل يكاد أن يكون الأمر المقطوع بحدوثه هو تحقق الشركة عند القسمة بسبب وفرة الربح ، والأحكام لا يراعى فيها إلا الكثير الوقوع .

علي الخفيف

التعليم الإسلامي في إفريقيا
دور النشأة والازدهار
عصر الطرق الصوفية

للأستاذ محمد جلال عباس

تحدثنا فى المقال السابق عن نشأة التعليم الإسلامى فى إفريقية وتطوره ثم ازدهاره فى ظل الممالك الإسلامية الكبرى فى الغرب ، وأوضحنا كيف أن عصر ملوك الصنغاى كان من العصور الذهبية للتعليم ، اتصلت خلاله إفريقية الغربية بمراكز الثقافة فى مصر والمغرب ، وعاصره عهد تكوين سلطنات شرق إفريقية التى ازدهر فى عهدها الإسلام ، وزادت خلالها الصلات الثقافية مع مصر والحجاز .

فترة من التدهور :

انتهت مملكة الصنغاى فى غرب إفريقية بالغزو المغربى الذى قضى على عصر الازدهار العلمى والثقافى الذى عاشته مدن النيجر ، إذ أن السلطان المنصور محمد ملك المغرب حينما أرسل قواده لغزو البلاد أمرهم بأن يأسروا العلماء والفقهاء ويحملونهم إلى بلاطه لإحياء العلوم والفقه فى مدن المغرب الرئيسية : الرباط وفاس، وقد نفذ قائده دابن زرقون، هذا الأمر فحمل إلى المغرب عدداً كبيراً من فقهاء وعلماء تمبكتو ، رجاو ، وجنى ، ومن بينهم الفقيه المؤرخ المالكى أحمد بابا التمبكتى .

ولقــد أدى الغزو المغربى إلى بداية عصر من الفوضى فى غرب إفريقية صحبه كساد وتدهور فى التعليم الإسلامى ، فلم يبق سوى بعض من أئمة المساجد والألفاوات (معلمى الصبية) فى الكتاتيب حفظوا التعليم الإسلامى ، ولكن بالقدر الذى يعرف بالمبادئ الأساسية ، والقواعد الإسلامية فى صورتها المبسطة للغاية ، وكان من آثار الغزو المغربى أيضاً أن توقف تقدم الإسلام فضلا عن تدهوره عند المسلمين أنفسهم بسبب كساد الحركة العلمية فأخذت بعض المعتقدات الدينية القديمة تعود إلى حياة حديثى العهد بالإسلام وعاد السحر والشعوذة إلى الانتشار بين القبائل ، بل وعاد الكثير من معتقدات تلك القبائل التى كانت تدين بها قبل الإسلام يظهر إلى الوجود وتشوب الإسلام بوثنية وخرافات روحية أثرت على صفائه .

وفى الوقت الذى أصاب الحيـــاة الإسلامية فى غرب إفريقية تدهور ذاتى على هذا النحو كان هناك عامل خارجى يتهدد الكيان الإسلامى فى شرق إفريقية ممثلا فى الحروب الصليبية التى شنها البرتغاليون على سلطنات المدن الإسلامية فى ساحل المحيط الهندى للقضاء على نفوذها ولإحلال الاستعمار البرتغالى محل هذه السلطنات الإسلامية ، وكان طبيعياً أن يضعف التعليم الإسلامى لانصراف السلاطين والشعوب إلى مواجهة الحروب الصليبية البرتغالية .

ظهور الطرق الصوفية فى إفريقية :

فى تلك الظروف القاسية التى مرت بالمسلمين فى غرب إفريقية وشرقها لم تنقطع صلتهم بمراكز الثقافة فى العالم العربى والإسلامى سواء فى آسيا حيث البقاع المقدسة فى الحجاز أو بإفريقية الشمالية حيث الجامع الأزهر بمصر ومدارس الزيتونة فى تونس والقرويين فى المغرب الأقصى وكان الحج عاملا هاما من عوامل حفظ الصلة بين الشعوب الإسلامية فى إفريقية وبين مراكز العلم والثقافة العربية الإسلامية ، كما كان استمرار العلاقات التجارية عبر الصحراء الكبرى وبين شواطىء المحيط الهندى من عوامل الإبقاء على تلك الصلة بمراكز العلم والثقافة دون انقطاع .

ولقد وفدت إلى إفريقية فى تلك الظروف الطرق الصوفية العديدة التى وجد فيها المسلمون وسيلة النجاة مما شاب إسلامهم من بدع جاهلية وخرافات وثنية ، واندفعوا فى الاستجابة لدعوة أهل الطرق الصوفية وخلفائهم ومقدميهم ، وتجمعوا حول الزوايا التى أنشأها رجال الطرق الصوفية .

وكانت القادرية هى أول الطرق الصوفية التى وفدت إلى إفريقية ، وهى الطريقة التى أسسها عبد القادر الجيلانى فى العراق خلال القرن الثانى عشر الميلادى (السادس الهجرى) وانتقلت إلى المغرب ثم اتخذت لها مركزاً فى مدينة (والاته) بالصحراء الكبرى وانتقلت منها إلى تمبكتو فى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى (التاسع الهجرى) على يد سيدى أحمد البكاى الكونتى والذى استمر خلفاؤه من الكونتا يرعون الطريق فى غرب إفريقية حتى انتقلت خلافته إلى أسرة صنهاجية على يد الشيخ محمد فاضل فى أواسط القرن الثامن عشر الميلادى ، وأخذت منذ ذلك الوقت تنتشر فى جميع أنحاء غرب إفريقية .

وفى القرن الثامن عشر الميلادى (الحادى عشر الهجرى) أسس أحمد بن محمد التيجانى طريقته الجديدة بعد أن تلقى الطريق على الشيخ الكردى فى العراق ، ثم تابع دراسته ونشر طريقته فى مصر واستقر به المقام فى المغرب حيث نشر طريقته التيجانية بين أهل المغرب ، وانتشرت على يد أتباعه عبر الصحراء إلى موريتانيا ثم إلى بلاد غرب إفريقية الأخرى ابتداء من سنة ١٨١٥ (١٢٠٨ هـ) بعد وفاة سيدى أحمد بن محمد التيجانى الكبير وتولى الشيخ محمد الحافظ الكبير قطب الطريق من بعده ، فانشأ الزوايا فى تمبكتو وسيجو وجبال فوتا السنغالية وفى برنو وواداى وتشاد ، وقام المقدمون فى هذه الزوايا بمهمة تجميع المريدين وأتباع الطريقة التيجانية ، كما أخذوا يجذبون بعض أبناء القبائل التى لم تدخل الإسلام بعد .

وفى أواخر القرن الثامن عشر وخلال القرن التاسع عشر بدأت حركات الانسلاخ من الطريقتين الرئيسيين فى غرب إفريقية ، فانسلخ من الطريقة القادرية طريقة جديدة سميت المريدية التى أسسها الشيخ سيديا وخلفه أحمدو بمبا الذى ابتدع فى الحياة الصوفية بدعة جديدة مؤداها أن الشيخ يصلى بالنيابة عن المريد الذى يشتغل فى الأرض التى يملكها الشيخ ، وبرر هذه البدعة بأن العمل فى الأرض ملك لله وحده ، كما ظهرت طريقة جديدة سميت اللياتية إلى شيخ يدعى « ليمالاى » ، وقد ادعى شيخ اللياتية هذا أن النبى تجلى له فى مقامه وكلفه ببعض التكاليف وألقى عليه بعض القراءات والأوراد

لينقلها إلى شعب (ليبووهو) شعب من الصيادين يعيش على شاطىء المحيط الأطلسى فى السنغال .

ومن التيجانية انسلخت الطريقة المالكية التى أسسها الحاج مالك سى المتوفى سنة ١٩٢٩ وابتدع فيها بعض البدع مثل اسقاط بعض الفرائض عن الأتباع وأن الحج إلى مقره أثناء حياته أو إلى قبره بعد وفاته سبع مرات يغنى عن الحج إلى بيت الله الحرام ويشفع للانسان عند ربه فى كل الذنوب.

أما فى شرق إفريقية فقد كانت أول طريقة صوفية عرفت هناك هى القادرية ، حيث انتشرت بين أهل مصوع وأريتريا فى القرن السادس عشر الميلادى (العاشر الهجرى) ، كما عرفها أهل (هرر) فى القرن الخامس عشر (التاسع الهجرى) على يد الشريف أبو بكر بن عبد الله العيدروس ، ثم ذاع صيتها وانتشرت هناك على يد الأمير الهررى عبد الشكور المتوفى سنة ١٧٩٤م (١١٩٩هـ) .

وفى الصومال انتشرت الطريقة الأحمدية التى أسسها السيد أحمد بن ادريس الفاسى (١٧٦٠م - ١٨٣٨م أو ١١٤١ - ١٢٣١ هـ) وكان انتشارها هناك على يد ماى ديوروجيا الذى تلقى الطريقة فى مكة أثناء حجة سنة ١٨٧٠ م (١٢٦٤ هـ) وفى نفس الوقت انتشرت الطريقة الرشيدية الأحمدية ، والصالحية والناصرية وجميعها سوالح الشاذلية والخلوتية وأصبحت تنافس القادرية فى الحبشة وهرر .

وفى سودان وادى النيل ظهرت السمانية التى تعتبر فرع الخلوتية فى إفريقية الشرقية وقد أسسها الشيخ محمد بن عبد الكريم السمانى ثم نشرها فى السودان الشيخ أحمد الطيب بن البشير تلميذ الشيخ السمانى الكبير ، وهى الطريقة التى تلقاها محمد أحمد المهدى قبل أن يقوم بثورته المشهورة ، وفى نفس الوقت ظهرت فى السودان طريقة جديدة هى الميرغنية التى أسسها السيد محمد عثمان الميرغنى بعد أن تلقى تعليمه على يد شيخ الأدريسية فى دنقلة ثم انتشرت على يديه فى السودان وبخاصة فى شرقه .

الصحوة الدينية والتعليمية :

وعلى يد رجال الطرق الصوفية عاد التعليم الإسلامى نشاطه فى الزوايا التى جلس فيها المقدمون والخلفاء يحج اليهم الطلاب والمريدون لدراسة القرآن وتعاليم الإسلام ولأخذ العهد على يد الخليفة أو المقدم ، وكان لزاما على كل مسلم أن يأخذ له طريقا فى عبادته يهديه ويبعده عن البدع والخرافات وبالتالى أصبح لزاما على الخلفاء والمقدمين الذين يجلسون فى الزوايا لنشر الطريق بين المسلمين أن يلموا ببعض علوم الدين كالتفسير والحديث والفقه والشريعة إلى جانب إلمامهم بالسيرة وسلسلة الأوراد والأذكار التى يلقنونها للطلاب والمريدين وبدأت لتحقيق هذه الأغراض فترة من الصحوة الدينية والنهضة التعليمية التى صحبتها والتى سارت فى ثلاثة اتجاهات رئيسية هى :

١ تعليم قواعد الإسلام لأبناء القبائل التى دخلت الإسلام حديثاً .

٢ — نشر الطرق بين المسلمين .

٣ — تعليم خاص للمقدمين والخلفاء لتأهيلهم لتعليم الغير وقيادة الذكر وإعطاء العهد وتولى سائر الأمور الدينية فى زواياهم من فتوى وهداية ووعظ وإرشاد .

وكان إعطاء الطريق فى أنحاء إفريقية يمر بمراحل متعددة تبدأ بالتعليم ثم بالاشتراك فى الأذكار حتى أخذ العهد ، فقد كان المقدمون والخلفاء مضطرون بإزاء الجهل المتفشى بين المسلمين فى تلك العهود أن

يبدءوا بتعليم طلابهم أو مريديهم مبادئ اللغة العربية لتمكينهم من قراءة القرآن وحفظه وتفهم قواعد الإسلام والحديث والسيرة ، فإذا ما تلق المسلم قدرا من الدروس فإنه يشترك في حلقات الذكر ليحفظ الأذكار العلنية والأوراد الرئيسية أو يتمكن من قراءتها قراءة جيدة ، وكان المسلمون الذين ينضمون إلى الزوايا يلقبون في غرب إفريقية بلقب طالبي (تحريف لكلمة طالب) أو مريد أو تلميذ ، وفي شرق إفريقية كانوا يعرفون باسم الدراويش أو الفقراء فإذا ما أخذوا الطريق سموا بأهل الطريق أو الأشهاد أو الخوان (تحريف لكلمة إخوان) .

وكان طلاب الطريق أو المريدون يبدءون أحيانا بحضور الدروس قبيل صلاة العشاء ويسمح لهم بحضور أذكار الليل بعدها ، فإذا ما واظب الطالب على حضور حلقات الذكر بعد أن يثبت قدرته على القراءة والكتابة ومعرفته بالقرآن والحديث وقواعد الإسلام فإن شيخه أو ذلك الخليفة أو المقدم يلقنه الأذكار الخاصة التي تسمى (الوظيفة) وهي الأذكار والقراءات اليومية التي يسير عليها في صلواته والورد اليومي من صلوات على النبي وركعات خاصة إلى غير ذلك .

هذا بالنسبة لأهل الطريق الذين يأخذون العهد أما بالنسبة للمقدمين والخلفاء فقد كان تخريجهم يتم على يد شيخ الطريقة نفسه أو القطب الأكبر أو القطب الرباني ، كما يسمى عند البعض ، وكان مقر الشيخ أو القطب الرباني مركزا يؤمه الراغبون في الحصول على الإجازة ممن حصل على العهد من أبناء الأمة ، وكانت هذه الإجازة تسمح لحاملها أن يعمل مقدما أو خليفة للقطب في الجهة التي يبعثه إليها لنشر الطريق بين أهلها .

الصوفية وضرورات التعليم العام :

ونظراً لارتباط التعليم في هذه المرحلة بالحياة الصوفية فقد كانت له طبيعة خاصة ميزته عن التعليم في الفترات السابقة ولكنه اختلف أيضا عن التعليم الصوفي في جهات أخرى من العالم الإسلامي نظرا لاختلاف ظروف إفريقية وتميزها عن تلك الجهات .

فلقد كان التعليم الصوفي في جهات العالم الإسلامي - غير الصحراء الإفريقية وما وراءها - تعليما يتلقاه الخاصة فقط لأنه تعليم روحي لا يقوى عليه ولا يرقى إلى مستواه إلا من بلغ شأوا خاصا من العلوم والأخلاق ، ولما تطورت وشاعت الطرق الصوفية كان نقلا للأفكار وتعريفا بالأوراد ولم يتعد ذلك إلى التعليم الديني العام ، أما في صحراء إفريقية وما وراءها من بلاد السودان الغربي وسودان وادي النيل والحبشة والصومال وساحل المحيط الهندي فقد وجد رجال الطرق الصوفية أنفسهم أمام أمة من العوام إن جاز أن نطلق هذا اللفظ على الجهلاء بالدين واللغة العربية ممن عرفوا الإسلام بالاسم فقط ولم يعرفوا عن قواعده إلا النزر اليسير فسمح ذلك بتفشي البدع والخرافات كما سبق أن ذكرنا ، ووجدوا أنفسهم أيضا أمام شعوب وقبائل لم تدخل الإسلام ولم تهتد بنوره ، تعيش في فراغ روحي واعتقادي تتعطش إلى دين يهديها وعقيدة تجمعها فكان لزاما عليهم أمام ذلك كله أن يكون عملهم على مستوى الأمة جمعاء وألا يقتصر على خاصة من الأمة ، ومن ثم تعدى نشاط الصوفية في إفريقية

نقل الأفكار وسلسلة الورد إلى لون من التعليم الإساسى تتم على يد المقدمين والخلفاء لتأهيل المريدين إلى تلقى الورد والمشاركة فى الذكر ببعض من معرفة للعربية قراءة وكتابة وبعض من القرآن يحفظ ومن الحديث يفهم ومن السيرة تعرف .

وكان لزاما على مشايخ الصوفية أن ينشروا الإسلام بين القبائل التى مازالت تعيش على دياناتها القبلية فى عصر من الجاهلية . فيرسلون إليهم الدعاة والمبشرين ثم يقودون الجيوش إليهم للحرب إذا لم يسلموا أو يستسلموا ، وتبع ذلك أن مشايخ الصوفية الذين تصدوا للدعوة بين غير المسلمين أصبحوا مضطرين إلى تكوين الجيوش وإعداد العساكر فى معسكرات خاصة أو زوايا ، وبذلك أصبح تعليم الرماية والمبارزة وركوب الخيل من المهام التعليمية لبعض الصوفية ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها ما كان فى القرن الثامن عشر ، ومنها ما كان فى القرن التاسع عشر مثل عثمان دن فديو فى نيجيريا والحاج عمر الفوتى فى السنغال ومالى ، ومحمد أحمد المهدى فى السودان والسنوسى فى ليبيا ومحمد بن عبد الله حسن فى الصومال ، فقد ارتبط بحركات كل هؤلاء - وقد كانوا أساسا دعاة طريق - استعداد وتدريب للشباب المؤمن من الطلاب والمريدين أو الدراويش للاشتراك فى الأعمال العسكرية .

من هذا يتضح أن التعليم الذى قام به الصوفية فى إفريقية لم يكن قاصرا على الذكر وتلقين الأوراد وإعطاء العهود والإجازات فحسب بل كان يسبق ذلك فترة من التعليم والتربية وأصبحت الزوايا التى يجلس فيها الخلفاء والمقدمون إلى جانب كونها مركزا للذكر والصلاة تعتبر أيضا مقرا للدراسة وكانت فضلا عن ذلك مراكز إجتماعية ومصدرا للفتوى والتشريع وتعقد بها جلسات القضاء المحلى وبالإضافة إلى ذلك كانت فى وقت الاستعداد للحروب مراكز للتعبئة ومعسكرات التدريب .

التعليم الصوفى ومراحله :

أما عن التعليم الصوفى الحقيقى فقد كان يتم على مستويين :

الأول : نشر الطريق بين الأتباع والمريدين أو التلاميذ والطلاب والدراويش بإشراكهم فى حلقات الذكر وتحفيظهم الأوراد وتعريفهم الوصية ثم يأخذون العهد ليصبحوا من أهل الطريق أو (الخوان) أو الأشهاد وكان هذا الجانب من التعليم يتم على يد الخلفاء ، والمقدمين الذين يعتبرون مندوبى الشيخ الأكبر أو القطب الربانى فى المناطق التى توجد بها زواياهم .

والثانى : إعداد المقدمين والخلفاء الذين يتولون قيادة الأذكار وإعطاء العهد نيابة عن القطب وقد كان إعدادهم يتم على يد القطب أو الشيخ نفسه .

وكان شرط قبول المريد أو الطالب أن يكون عارفا بقواعد الإسلام حافظا لبعض القرآن قادراً على الحفظ أو القراءة فى المصحف أو الألواح ، أما إعداد المقدمين والخلفاء فقد كان يتم على مراحل طويلة وغير يسيرة ، مليئة بالدراسات والتعليم ، يخضع فيها طالب الإجازة لاختبارات عديدة ، وكانت كلها تتم فى مركز القطب الربانى وشيخ الطريق الأكبر وعلى يديه وكانت هذه الدراسة تمر بمراحل ثلاث هى :

١ — تلقى ما يسمى ذكر الجلالة وذكر السر فى مجالس الشيخ الخاصة والتى إذا ما أتقنها وثبت الشيخ اتباعها واتباع أخلاق خاصة وإثبات قدرته على مجاهدات مختلفة النفس بتوجيه من الشيخ فإنه

يعطى المعهد الخاص (البعد) أى ما بعد العهد أو العهد المجدد ويسمح له على ذلك بمواصلة الدرس وتلقى علوم القطب .

٢ — تلقى علوم الظاهر التى تشتمل على علوم التفسير والفقه والحديث والشريعة والفتوى مع إتقانها ، ويقوم الدارس فى هذه الفترة بالتقليد الحر أى القيام بمجاهدات النفس والروح على طريقة الشيخ ولكن دون تكليف أو توجيه منه ، وتنتهى هذه المرحلة بأن يعطى القطب أو الشيخ الإجازة للطالب فيصبح مقدما أو خليفة ويسمح له بأن يعطى العهد نيابة عن الشيخ .

٣ — تلقى الأسرار ، وهذه لا يبلغها إلا بعض المقدمين أو الخلفاء الذين يختارهم القطب لملازمته ويسمون أهل الباطن ، فهى لهم الشيخ فضلا عن التقليد والمعارف الظاهرة ، أو علوم الظاهر المعارف الصوفية الأخرى وهى العلم الذوقى الذى يوصل المقدم أو الخليفة إلى معرفة الله عن طريق الحب والفناء فيه ، وعلم التأويل الذى يختص به الصوفية وهو تأويل ما وراء النصوص من تكاليف ومعانى لا تفسر ولكن يدركها أهل الباطن بذوقهم وروحهم لا بعقلهم لحسب كعلوم التفسير التى يختص بها أهل الظاهر . وبالإضافة إلى ذلك تدرس فى هذه المرحلة أسرار الحروف واستخداماتها وينقل الشيخ إلى خاصة تلاميذه هؤلاء البركة التى تؤهل لخلافة القطب أو الشيخ عند انتقاله إلى ربه .

تقويم الصوفية فى إفريقية :

هذه صورة سقناها لنشاط الصوفية فى ميدان التعليم الإسلامى تكشف عن الخدمات التى أداها للإسلام فى إفريقية تختلف كثيرا عما شاع فى حديث الناس عنهم من أن نشاطهم اقتصر على الأذكار، ما يصحبها من قرع الطبول ودق الدفوف التى جمعت حولهم الإفريقين وجذبتهم إلى الإسلام ، وتختلف عما ورد فى كتب المستشرقين عنهم من أنهم أهل سحر وشعوذه وبدع ، وهو ما نقله كثير من كتاب التاريخ عندنا .

ولئن كنا لا نبرىء الصوفية براءة كاملة من مثل هذه البدع والخرافات التى شابت نشاطهم بحكم روحانياتهم التى يعتقدون فيها إلا إننا أيضا لا ننكر أفضالهم فى حفظ الإسلام ، ولا يسعنا إلا أن نسجل لهم فى التاريخ إدراكاتهم الواعية التى جعلتهم يخرجون بنشاطهم إلى ميدان التعليم العام بين الأمة الإسلامية فى إفريقية باعتباره أساسا من أسس تقوية إسلام العوام وتنقيته من الجاهلية القبيلية ، ونشاطهم العسكرى والتبشيرى لنشر الإسلام بين من لم يدخل الإسلام من القبائل .

ولا ننسى أن نذكر أن من الصوفية الإفريقيين من تبحر فى علوم الدين وخلف وراءه كتبا ومؤلفات فيه مثل كتاب التعاريف للشيخ سيدى المختار الكونتى التى شهدنا نسخه المخطوطة يتداولها أبناء مالى وغينيا حتى يومنا هذا ويتضمن مختصرا لعلوم الشريعة التى يجب أن يعرفها الصوفى والتى تعتبر ضرورة للصوفى ليتمكن من الانتقال إلى علوم الباطن ومجاهدة الروح ، وقد نشر الأزهر الشريف كتابا آخر لعثمان دن فديو لزعيم الصوفى النيجيرى المجدد وعنوانه : (إحياء السنة وإخماد البدعة) يتضمن شرحا لقواعد الإسلام وعرضا للعادات المستقبحة والبدع الدخيلة على الإسلام فى إفريقيا وردها .

ظل التعليم الإسلامى فى إفريقية من واجبات الصوفية خلال ثلاثة قرون تبدأ من القرن السابع عشر وتنتهى بدخول النفوذ الأوربى فى إفريقية والذى ينقل التعليم الإسلامى إلى مرحلة جديدة من الصراع ؟

محمد جلال عباس

مظاهر الحضارة الإسلامية (١)

للأستاذ الدكتور احمد فؤاد الإهوانى

التيار الحديث فى دراسة الإسلام ، بل فى دراسة أى دين من الأديان ، هو النظر إلى حضارة الأمم وصلة الدين بتلك الحضارة . وهذه الصلة لا تتبين لنا إلا فى مظاهر الحضارة ، لأن هذه المظاهر هى الجانب الخارجى الملموس الذى ينعكس عليه الدين من حيث إنه قوة باطنة روحية تدفع المرء إلى لون معين من السلوك . وبعض هذه المظاهر الخارجية ، ثقافة ، أى آداب ، وفنون ، وعلوم ، على الجملة ثمار الفكر وخواطر الوجدان والقلب ، وبعضها الآخر أمور مادية كالأزياء والملابس والأطعمة والآنية والأبنية وغير ذلك .

وفى كتاب حديث جداً - صدر ١٩٦٤ - يقدم لنا الأستاذ أربرى مظاهر من الحضارة الإسلامية ، وهذا هو عنوان الكتاب وليس الأستاذ أربرى مجهولا من قراء العربية ، والمشتغلين بالفلسفة والتصوف والأدب ، لأنه مستشرق معروف ، يجيد اللغة العربية قراءة وكتابة وحديثا . لقيته بالقاهرة منذ بضعة وعشرين عاماً فى (دكان) أحد الوراقين ، وتحدثنا طويلا ، فعرفته عن كثب أكثر من مجرد المعرفة عن طريق الكتب . وهو مؤلف غزير التأليف ، له دراسات مختلفة صدرت على التوالى منذ زمن طويل حتى الوقت الحاضر . ولكن يبدو أن المؤلف الذى يعتز به أكثر من غيره ، والذى سيسجل له فى التاريخ ، هو ترجمته للقرآن ، والتى يحذو فيها حذو المتمسكين بأصول الإسلام من القائلين بعدم جواز ترجمة القرآن . ولذلك قال عنه «ترجمة معانى القرآن» The Koran Interpreted ، فى جزأين .

وله فى إعجاز القرآن وفى ترجمته رأى طريف جدير بالتنويه ، وهو أن إعجازه فى موسيقيته ، ولذلك يجب عند نقله إلى لغة أخرى أن يتخذ نفس الهيئة الموسيقية . ومن هنا حاول أن يصوغ ترجمته فى أوزان شعرية باللغة الإنجليزية . غير أنه لمعرفته الوثيقة باللغة العربية ، والأدب العربى ، وتعاليم الإسلام ، أدرك أن هذه المحاولة فاشلة ، فقال بترجمة المعانى ، لأن إعجاز القرآن فى أصله العربى ، وكل ترجمة له بلغة أجنبية ستظل بلا نزاع بعيدة عن الأصل ، وأدنى منه منزلة ، وغير معبرة عن الروح القرآنى المؤثر فى النفوس .

ولما كان لا حيلة للمؤلف الأجنبى الذى يريد تعريف أهل بلاده بالإسلام إلا أن يكتب لهم مظاهر حضارة الإسلام بهذه اللغة الأجنبية ، فلا مناص من ترجمة القرآن ، والأحاديث ، والشعر العربى ، وغير ذلك من مظاهر الثقافة ، حتى يطلع عليها كل من يريد أن يأخذ فكرة عن الإسلام تاريخيا أو حديثا . وهذا ما فعله الأستاذ أربرى فى هذا الكتاب ، بدأه بمقدمة قصيرة ، ثم بالأدب العربى

فى الجاهلية ، ثم بالقرآن « كلام الله » ، ثم بالحديث الشريف ، ثم بالحكمة التى أخذها المسلمون من الشرق ، والعلوم التى نقلوها عن الغرب ، ثم الحياة الناعمة الرغدة ، ومجالس الفقه والدين ، ونفحات الصوفية ، وأنغام من الشعر الإسلامى ، وتيارات الإيمان والشك ، والفن الفارسى ممثلا فى حافظ شيرازى ، ثم الحديث عن شاعرين معاصرين هما حافظ وشوقى ، وخاتمة فى ثورة الإسلام الحاضرة .

المنهج الذى اتبعه المؤلف هو اختيار بعض نصوص تمثل العصر الذى يتحدث عنه ، وترجمة هذه النصوص ، مع التمهيد لها بمقدمة قصيرة . ولا ريب أن المؤلف قد أدى إلى قراء الإنجليزية فى العالم الغربى خدمة جليلة حين قرب إليهم الحضارة الإسلامية ، فى هذه اللوحة الفنية التى تمضى مع التاريخ منذ الجاهلية إلى نزول الإسلام وانتشاره ، حتى نصل إلى العصر الحاضر . وكل ذلك دون تحيز لمحاولة غمز الإسلام ، أو هوى مع الإسلام . أكثر من ذلك يمكن القول إنه مال مع الإسلام بحكم تذوقه لأدبه ولغته وحضارته ، وطول صحبته لهذا الأدب .

يقول المؤلف فى مقدمته : إن هناك كتبا كثيرة ألفت فى الغرب للتعريف بالإسلام ، ولكن غرضه فى كتابه أن يعرض الإسلام من داخله بغير تأويل .

ثم يقول بعد قليل : إن الإسلام لم يكد ينزل على محمد فى قلب جزيرة العرب ، حتى بدأ يغزو العالم بسرعة سريعة أذهلت المفكرين المحللين للتاريخ . وقد حاول المؤرخون المحدثون تعليل هذه الانتصارات الواسعة والفتوحات العظيمة ، بردها إلى عوامل اقتصادية أو حربية ، أو سياسية ، ولكن كل تلك التفسيرات ظلت عاجزة عن التعليل الصحيح . فكان لابد من الرجوع إلى العامل المؤثر الفعال ، وهو الدين الجديد .

يقول المؤلف : « إن بلاغة القرآن المعجزة ، مع بساطة تعاليم الإسلام التى جاءت فى الكتاب ، هى المفتاح لحل لغز أعظم مد فى تاريخ الأديان . ذلك أن الإسلام جاء يدعو إلى حياة منظمة جادة ، حياة جماعة عاهدوا الله أن يخضعوا لإرادته فى كل أمر ، وأن يجاهدوا فى حمل كافة البشر على الإقرار بقدرته وملكوته . وقد قوى عزائمهم الترغيب فى الجنة والترهيب من النار ، والعقيدة البسيطة المنطوية على أمرين هما : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » .

حقا مات محمد رسول الله ، ولكن رسالته بقيت ، حملها معهم المجاهدون إلى أطراف الأرض ، وكانوا جندا وفى الوقت نفسه مبشرين بدعوة الدين الجديد وبعد انتشار الإسلام فى الدول التى كانت خاضعة للروم والفرس ، واعتناق أهلها من النصارى والسريان الإسلام ، وكانوا قد تعودوا على الجدل الدينى فى أصول العقائد عندما كانوا يعتنقون المسيحية أو الفلسفة اليونانية ، لم يبطل جدلهم بعد إسلامهم ، وبخاصة النظر فى أمر الإنسان أهو حر فى أفعاله أم مجبر . ومن هنا نشأت أعظم فتنة فى الإسلام ، وهى القول بالقدر ، كما نشأ القول بالتنزيه والتشبيه من تأويل الصفات أو الغلو فى إثباتها .

وقد بدأت الفلسفة اليونانية تتسرب إلى الفكر الإسلامى قبل العصر الأموى ، ضئيلة مما كان يعرفه العرب من اتصالهم بالفرس أو الروم ، ولكن الاطلاع الوثيق على العلوم اليونانية وعلى الفلسفة

لم يتم إلا منذ العباسيين ، وفى بغداد ، وبخاصة فى عهد الرشيد وابنه المأمون وعندئذ ترجمت جميع كتب أفلاطون وأرسطو ومدرسة الإسكندرية إلى اللغة العربية ونافست المدن الإسلامية حتى البعيدة منها بغداد فى طلب الكتب واقتناء العلوم والمعارف ، حتى بلغت « بخارى » تلك المدينة التى نشأ فيها الشيخ الرئيس ابن سينا وكان الطب ، والعلوم الطبيعية والرياضيات والفلك تمثل المناهج التى يقوم بتدريسها الجامعات الإسلامية .

واستمرت ثروة الامبراطورية الإسلامية فى التزايد مع اتساع التجارة إلى الأطراف البعيدة ، وتركزت الثروة فى يد قلة قليلة أخذت تنعم بالعيش فى قصور فخمة ازدانت بها العواصم الكبرى مثل بغداد ، وبخارى ، وسمرقند ، وبلخ ، وشيراز ، ودمشق ، وحلب ، والقاهرة ، وطرابلس الغرب ، وتونس ، وقرطبة ، وغيرها . وقد صور هذه « الحياة الناعمة » كما كانت تعيشها الطبقة المترفة ابن حزم فى طوق الحمامة . وعلى الرغم من أن الخمر كانت محرمة بنص القرآن ، فإن الحكام من المسلمين انغمسوا فى بقت الحان إلى الآذان .

وعلى الرغم من الفساد الظاهر ، ومساوئ الحكم ، والاستهتار بالثروة ، ظل قلب الإسلام ينبض قويا بالحياة . واستمرت دراسة الفلسفة مزدهرة حتى أوشكت أن تغزو حرم الدين ، واحتدم الصراع بين العقل والسمع ، أو بين الحكمة والشريعة . وفى الوقت نفسه ، ظهر طريق جديد يوصل إلى الله ، ليس هو طريق الشرع ، ولا طريق الحكمة ، بل طريق الذوق والتصوف ، له جذور فى الإسلام نفسه ، ولكنه نما بتأثيرات أجنبية ، وزعم أصحابه أنه الطريق الموصل إلى الحق .

قال المؤلف : إن انتصار التصوف وشعبيته ، أكثر من علم الكلام ، هو الذى يسر للإسلام أن يتغلب على كارثة الغزو المغولى . ذلك أن ممارسة حياة العزلة والتأمل والأمل فى الوصول إلى الله وتجربة محبته ، أمسك بقلوب المسلمين وأرواحهم فى أثناء تلك المجازر الوحشية التى سادت القرن الثالث عشر الميلادى .

هذه لمحات من الأصول التاريخية للمظاهر الحضارية التى ينقلها المؤلف .

بقى أن ننظر فى طريقته فى الترجمة ، وفى اختيار النصوص التى يقدمها ، مكتفين فى ذلك بالقرآن ، وهو الفصل الذى جعل عنوانه « كلام الله » . ففى أواخر القرن السادس الميلادى وأوائل السابع ، ارتفعت أصوات مختلفة فى قلب الجزيرة العربية تعبر عن وجهات نظر مختلفة ولكن لسانها العربية ، كان هناك يهود ، ونصارى ، كما كان يسمع أصوات المجوس ، والحنفاء الموحدون على قلتهم ، وأصوات عبدة الأصنام . وفجأة حين كان محمد يتعبد فى غار حراء ، إذا به يسمع صوتاً جديداً يعلن فيه رسالته :

اقرأ باسم ربك الذى خلق
خلق الإنسان من علق
اقرأ وربك الأكرم
الذى علم بالقلم
علم الإنسان ما لم يعلم

على هذا النمط يمضى الأستاذ أربرى . فى عرض نماذج من كتاب الله ، تمثل عقيدة الإسلام . وقد ترجم هذه الآيات شعراً منظوماً بالإنجليزية ، ولكن شتان بين الأصل الربانى والنقل الإنسانى ؟

أحمد فؤاد الأهوانى

فتاوى مختارة

يقدمها الأستاذ : شمس الدين محمود

[الإجابة للجنة الفتوى]

السؤال :

هل هناك تعارض شرعى بين فكرة تجريم هجر الأسرة قانونا وبين أحكام الشريعة الإسلامية ؟ ، وهل هناك مانع من استغلال المادة ٢٩٣ من قانون العقوبات والتى فيها اتجاه نحو تجريم الهجر بالحبس فقط ؟ .

الجواب :

أما بعد فنفيد بأن هجر الزوج لأسرته دون سبب كما هو الظاهر من السؤال يعتبر إضراراً بالزوجة وأولادها إن كان لها أولاد ، والإضرار بالغير على وجه العموم حرام شرعا ، وخاصة إذا كان الغير هو الزوجة أو الأولاد لأنهم رعية هذا الزوج وكل راع مسئول عن رعيته كما هو حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وفضلا عن هذا التحريم العام ففى هذا الهجر المستمر أضرار خاصة تتعلق بالزوجة من ناحية الصلة الزوجية ومن ناحية التقتير فى النفقة كما هو مستفاد من ظاهر السؤال ، والحكم فى ذلك أن الزوجة لها الحق شرعا أن تطالب زوجها بالرجوع إلى فراشها فإن لم يرجع بعد مدة أربعة أشهر فلها الحق أن تطلب الطلاق على يد الحاكم ، كما لها الحق فى كل وقت أن تطالب الزوج بنفقتها و نفقة أولادها فإن رأى الحاكم أن يعزر الزوج بحبس أو أية عقوبة أخرى دون تكليف بالطلاق أو التطليق عليه فله ذلك .

هذا ما يؤخذ من كتب الفقه بناء على الأدلة الشرعية .

أما اعتبار الهجر جرما قانونيا يدخل تحت قانون العقوبات الجنائية فلا نجد له نصاً صريحا فى المراجع الفقهية

ويستفاد مما سبق ذكره أن يكون هذا الحكم فى التشريع القانونى مع مراعاة الملاءمة بين إساءة الزوج بهجره لأسرته والعقوبة التى تكفى لعودته إليها كزوج يحسن عشرتها ، والله تعالى أعلم .

السؤال :

مسجد بنى فى العهد القديم وتصلى فيه الجمعة ، وفى نفس البلدة مسجد حديث تصلى الجمعة فيه لأن الأول ضيق ولا يسع المصلين فى البلدة التى يبلغ عددهم فيها نحو ٦٠ ألف نسمة وقد ذكر عدد من الناس أن الجمعة فى المسجد الحديث باطلة لوجود المسجد العتيق ـ فهل هذا صحيح ؟ وما حكم الصلاة التى حصلت فيه ؟

الجواب :

نفيد بأن المالكية مع اشتراطهم المسجد العتيق

فى صلاة الجمعة يجيزون صلاتها فى غير العتيق من بقية المساجد إذا دعت إليها الحاجة وعلى ذلك فتصح عندهم الجمعة فى المسجد المسئول عنه وفى غيره من المساجد إذا دعت إلى ذلك الحاجة كما يفهم من السؤال .

أما عند الشافعية والحنابلة وكذلك الحنفيـة فلا يشترط فى صحة الجمعة المسجدية بل تصح إذاعتها فى غير المسجد إذا كانت فى خطة أبنية أوطان المجموعين كما يجوز التعدد لحاجة بحيث لا يزيد على قدرها والله تعالى أعلم .

* * *

السؤال :

كان عليه يوم من رمضان ثم نوى الصيام عن هذا اليوم وعند الإفطار كانت الساعة الخامسة وخمس عشرة دقيقة فأفطر غالبا على ظنه دخـول الوقت ثم تحقق بعد ساعة أن المغرب على الساعـة ٥ ، ١٧ دقيقة ، وبعد ذلك قارن ساعته على أخرى فوجد أن ساعته متأخرة دقيقتين وبجمع الدقيقتين يـكون الوقت مضبوطا على ساعته فهل يعيد اليوم أم لا ؟

الجواب :

نفيد بأن الظن يكفى إذا تبين صوابه أو لم يتبين حاله ، فإذا تبين خطؤه صار غير معمول عليه وهنا قد تبين خطؤه فإنه ظن خطأ أن الغروب على الخامسة وخمس عشرة دقيقة وظهر الخطأ فى هذا ، وبمقارنة إحدى الساعتين بالأخرى أحدثت شكا فإن إحداهما ليست أولى من الأخرى بالصواب فلم تفدنا هذه المقارنة يقينا . وعلى هذا فيجب عليه قضاء هذا اليوم الذى أفطر فيه والله تعالى أعلم .

* * *

السؤال :

ما هو مقدار « زكاة الفطر » من الأرز والقمح عن الشخص الواحـد على مذهب الإمام الشافعى مقدرا بالكيلو جرام ، حيث أن كتب الفقه ذكرت ذلك مقدرا بالكيل ، والآن جارى العمل بالكيلو جـــرام ؟

الجواب :

مقـدار زكاة الفطر عن الشخص الواحد بالكيلو جرام من القمح أو الأرز بعد الاستفسار من أهل الخبرة يساوى ثلاثة كيلوجرامات ونصف تقريبا باعتبار أن الواجب قدحان ، وفى هـــذا التقدير بالكيلو زيادة احتياطية كما هو مفاد مذهب الشافعية والله تعالى أعلم .

* * *

السؤال :

توفى والدى إلى رحمة الله وكان قـد أوصانى بأن أحج عنه مع العلم بأنى سبق أن أديت فريضة الحج فى الماضى ، فهل يجوز ذلك ؟

الجواب :

نفيد بأن تنفيذ وصية والدك بالحج عنه واجب عليك إذا كان قـد ترك ما ينفق منه فى الحج فإن لم يترك ما لا يفى بنفقات الحج عنه ندب لك أن تحج عنه والله تعالى أعلم .

فى محيط العالم الإسلامى

● تحتفل رعاية الشباب بالأزهر الشريف بتلاوة آى الذكر الحكيم بالمسجد الأزهر ليـــالى شهر رمضان ...

يقوم بالتلاوة الطلبة الناجحون فى المسابقة التى نظمتها إدارة رعاية الشباب بين طلبة المعاهد الدينية فى حفظ القرآن وتجويده .

وهذا هو العـام الثانى الذى قامت فيه رعاية الشباب بتنظيم هذه المسابقة

● من أنباء الكويت أن وزير الأوقاف أعلن أن بلاده ترحب بانعقاد مؤتمر إسلامى فيها خلال العـام القادم وقال : إنه اقترح على الفقهاء ورجال الإسلام الذين حضروا احتفال الإسراء والمعراج فى مدينة القدس بحث هذا الموضوع فوافقوا عليه وينتظر أن تجرى اتصالات خـلال الأيام القادمة لتحديد موعد لانعقاد هذا المؤتمر .

● استأنفت محكمة أمن الدولة الأولى فى بغداد يوم الخميس ١٦ / ١٢ / ١٩٦٥ محاكمة تسعة عشر شيوعياً بتهمة إعادة تشكيلات الحزب الشيوعى فى مدينة النجف بعد ثورة أربعة عشر من رمضان ، وكانت محكمة أمن الدولة الثانية قد أصدرت حكمها فى ١٤/١٢/١٩٦٥ بحبس خمسة عشر شيوعياً مدداً تتراوح بين ستة وثلاثة أشهر بتهمة الانتماء إلى حزب ممنوع وتوزيع الكتب والمنشورات الشيوعية .

● تقرر عقد الاجتماع القادم لاتحاد الجامعات العربية فى بغداد فى أواخر إبريل القادم . وكان اجتماع الاتحاد الأخير قد بدأ فى عمان يوم ٤ /١٢ / ١٩٦٥ ، واشترك فيه ممثلو أربع عشرة جامعة عربية لبحث سياسة التعليم ، وتدعيم هيئات التدريس بتلك الجامعات ، وتنسيق الأبحاث بينها .

● قررت الحكومة العراقية منع الإفطار العلنى طوال شهر رمضان ، ومعاقبة من يخالف ذلك بالحبس مدداً تتراوح بين ستة وعشرة أيام وبغرامة تبلغ أربعة دنانير عراقية .

● ترجم إلى الإنجليزية كتاب (قوميتنا العربية) من تأليف الدكتور عبد الرحمن البزاز رئيس وزراء الجمهورية العراقية .

● السودان : أقرت الجمعية التأسيسية فى السودان يوم ٩ / ١٢ / ١٩٦٥ مشروع قانون بحل الحزب الشيوعى ومصادرة ممتلكاته ، وإسقاط عضوية النواب الشيوعيين من الجمعية على أن ينفذ القانون فور إصداره ، وقد قام رجال الشرطة بإغلاق دار المركز العـام للحزب الشيوعى فى الخرطوم ، ودار الميدان ، والدور الفرعية فى العاصمة والأقاليم ، وصادرت الشرطة ما وجـــد بها من ممتلكات كما صودرت « الميدان » صحيفة الحزب ، وشددت الرقابة على جريدة (الطليعة) وصرح السيد وزير الداخلية بأن بقية المنظمات التابعة للحزب مثل « اتحاد الشباب السودانى » و « الاتحاد النسائى » ستحل بقرارات من مجلس الوزراء ، ووافق على الحل مجلس السيادة السودانى .

● أذاعت حكومة جنوب إفريقية نداء إلى البيض من رعاياها قالت فيه : إن خير هدية تقدم للدولة فى عيد الاستقلال هى طفل أبيض ، وتلك أروع طريقة تحتفل بها النساء البيض .

go in. Hestitantly I stepped inside, fully expecting a hord of people to hurl me out, but apart from some curious stares no one said anything and becoming bolder I walked to the steps of the mosque where I asked a person if I might go in, smilling he answered " Yes, but first please take off your shoes". Then for the first time in my life I went into a mosque ; it was big, it was bare — no altars, no idols, no paintings. Just a large open hall in which groups of men sat and talked on the soft carpet, it was both delightful and intriguing. I asked the man I had originally spoken to and who had kindly offered to be my guide, if there was someone with whom I could discuss the Islamic faith, he happily greeted my request and said he would take me to a famous man who lived in the city.

Reluctantly leaving the lovely mosque which had given me such pleasure, my companion hurried me through busy narrow streets until we arrived at an old house. Entering we went up some very shaky wooden stairs to the top floor where I was introduced to the man who was to play such an important part in my life, Dr. Ansari Al-Qaderi; he had a most imposing magnetic presence and to my eyes, fresh from the West, he was a figure out of the biblical past with his flowing robes, long black hair and beard, and very courtly manner . . . his excellent English, however, was of the present.

(2)

When he was told why I had come he greated me warmly and soon we were lost in a long discussion on Islam, it's beginning and history, it's principles and beliefs, and of it's great leader Muhammad (may peace be with him); far into the night we talked, and the next night, and the next, often being joined by his friends as we sat facing each other on the cushioned floor. I remember him saying once "Why don't you argue with me more ? ", but it was impossible for us as he talked it was like listening to my own voice. It was a fantastic experience, as he talked his words were like pearls of truth which had laind hidden in my mind and were slowly being strung into the most precious string — which, if I caught hold of, would become an unbreakable chain between God and I.

He explained how Islam had been introduced by Muhammad (may peace be with him) fifteen hundred years ago in Arabia, who was the last of the prophets, not as a new religion but as an affirmation of all the previous revealed religions of God... Who is called Allah, the One and one alone, to whom we kneel and touch our heads to the ground in humility and worship. He told how the last great prophet suffered and of how this unique man was finally victorious, living to see Islam become an established faith. He showed me the Quran in which are written Allah's revelations to Muhammad, the writing of which has remained unaltered in anyway since it was first written down at the time of occurence ... in fact, the true Word of Allah.

(to be Continued)

My Experience of Islam

THE RIGHT PATH
(2)

By : Raschid Ansari

(Robert Wellesley)

THE JOURNEY

It was a winter's night in the year 1960 when I left England on board a small ship to explore the unknown, not only of the physical but also of the spiritual, and as the ship slowly headed into the gusty cold darkness of the open sea I stood on deck watching the dim lights on the shore fade away, one by one, until there was only the blown salt spray of the sea in my face... then I began to feel a little afraid of the lonely task ahead of me and I prayed to God for help, asking Him to hold my hand on this strange journey. As I did so I had the strongest feeling that what I was doing was right and slowly my fears vanished as my heart welcomed His presence.

The ship was a very slow one with only one other passenger and calling at various ports on it's long trip to the East, I had plenty of time to think about my future and I used to gaze for hours over the changing sea, thinking, thinking. There was one unforgettable moment just outside the port of Genoa. There was a heavy sea late one afternoon and, though a fine day, a high wind was whipping the spray from the waves into a haze of minute droplets which hung suspended in the air, as they did so they caught the rays of the sun and reflected all the colours of the spectrum so that I saw a thousand rainbows hovering low over the sea... it was a fairylike scene and I was just waiting for Oberon and Titania to appear. At this time I was not certain just where to begin my search and all I could do was to leave myself to the will of God, but just after I left England I received an invitation to stay at a monastery in India and this I gladly accepted as a sign from Him deciding that this was where I should start.

On my way to this monastery I stayed in Karachi for a few days, strangely it was in the Muslim holy month of Ramadan when I arrived, and I decided to try and find a Muslim scholar who could speak with me on Islam. I was wandering through the heat of the crowded old city when I suddenly saw a beautiful pink mosque, glancing through the delicately wrought gate I saw fountaine playing in a large open court through which many peoply slowly passed... I was fascinated and felt I must

but we may be guided in our choice of these principles by mentioning those that have a bearing on the spiritual crisis of Western culture.

a) Islam inculcates the brotherhood of all Muslims recognising no barrier of race, colour or social standing. There is an undefinable secret feeling of happines when a Muslim knows of another brother Muslim. This feeling of brotherhood amongst Muslims is devoid of any sense of exclusiveness towards other peoples of alien faiths. Appreciating the humanity of others is not lost sight of.

Christian nations practising racial discrimination towards fellow Christians of other races is something unheard of in Islam. The term itself has no equivalent in classical Arabic and modern Arab writers dealing with present African problems have tried hard to coin an appropriate arabic equivalent for the term : racial discrimination.

This sense of brotherhood amongst Muslims is more than an article of faith; it is actually practised in the rites of worship and it is the guiding principle in Muslim institutions.

b) The sense of solidarity amongst Muslims may be considered as the outcome of the principle of brotherhood in Islam. What is termed l'esprit de corps is highly developed in Islamic teachings and practices. A French scholar (Les Grandes Pratiques Rituelles de l'Islam - par G. H. Bousquet - P. U. F., Paris, 1949) is trying in his recent writings about Islam in North Africa to prove the contrary. He claims that public paryers in mosques are quite incapable of creating a feeling of social solidarity amongst Muslims. In fact Islam holds a golden mean between the development of both the individual and society. The welfare of society does not require the total extinction of the individual. Man is allowed adequate freedom to seek his own self-development within the rules of his faith and the requirements of society to which he belongs. This feeling of solidarity amongst Muslims is further intensified by the institution of fasting and that of pilgrimage to Mecca.

c) Humanitarianism in Islamic culture and tradition based on the teachings of Islam.

d) The spirit of Muslim jurisprudence. The theory of right in Islamic law is bound by ethical and social obligations.

It would take us long to enumerate the principles of Islam. To conclude, we believe that Islam affords appropriate solutions to the various problems from which the modern world suffers. Its miraculous expansion of old has been discovered by Maxime Rodinson a modern Western scholar in an article published by the UNESCO philosophical review " Diogenes " (October 1957 pp. 37 to 64) not to be due to those causes admitted by Western scholars some generations ago like the love of spoils or the desiccation of the Arabian beninsula. There had been other faiths in history which could not secure such a vast expansion as in the case of Islam. This Western scholar in his article struck a new line of approach by stating the fact that the vast expansion of Islam should have been due to certain traits in Islam that could satisfy the spiritual and social needs of the many peoples that embraced Islam. We hope for modern thinkers to realise these facts.

A. A. Hilmy

God's creation. In certain traditions a Muslim is asked to seek knowledge from the cradle to the grave. Application to study is recommended as a religious duty. The pursuit of scientific research had been free during the glorious ages of Islam; nay it had been favoured by influential patrons and heads of Islamic states. Long journeys throughout three continents have been carried out to sit at the feet of a famous scholar reputed for his great learning; an enthusiasm for study that has no parallel in the history of human culture. No serious conflict has ever raged between theology and science in the history of Islam.

By claiming the inability of Islam to accommodate within its frame scientific studies, Western scholars seem to have overlooked the above mentioned historical facts. They have disregarded as well a bigger gap between religion and science in the history of the Christian Church which persecuted up to the 16th century any scientist the results of whose research proved contrary to its established dogma or practice. Ignoring this gap in Western thought can only be explained by having recourse to the cultural heritage of Modern Europe. Two main elements of that heritage as widely divergent have been bequeathed to Europe from the classical world, that is: Hellenism and Christianity. The last one as an embodiment of the main ideals of Hebraism is totally inconsistent with the Greek view of life. Christianity could not secure success in the Greco-Roman world but for the efforts of Saint Paul who attempted to explain Christian ideals in terms of Hellenic culture. Thus Christianity which had been originally a semetic relignon has been aryanised.

Somehow the European mind could manage to accommodate the two divergent elements of its cultural heritage: Hellenism and pseudo-Hebraism without ever detecting or questioning their heterogeneity. So, I find it rather surprising whan Western orientalists lay such emphasis on what they claim to be a discrepancy between Islam and Science while the main components of their European culture is suffering from a greater lack of harmony!

If Christianity as a semitic religion has been more or less aryanised, no similar process has ever taken place in the history of Islam. Islam as an Arab religion has been embraced by many non-Arab races. There had naturally been some minor and insignificant adaptations in the process, but there had been no indianising, turkifying, sinologising or africanising process on the scale of the aryanization of Christianity. The main tenets of Islam have been kept in all environments without losing their identity. Any distortions of local custom were known to be alien elements and could never be recognized or incorporated within the system of Islam.

So much for these traits testifying to the uniqueness of Islam; they may be helpful in shedding some light on the following Islamic principles of which a mere selection can only be given.

5 — Islamic Principles:

Our attempt to elucidate Islamic principles is more of a restatement than a revaluation, because no forced interpretation of these principles in the light of modern world problems is intruded;

b) The social organization of Islam does not allow the distinction between clergymen and laymen. No religious class is entitled to act as an intermediary between God and man. Every Muslim is required to be well versed in at least the bare practice of his religious duties. Notwithstanding the rich vocabulary of Arabic, there is no word to convey the meaning of laymen. The political structure does not equally admit the dualism of church and state. The religious functions of the head of the Islamic state are confined to the mere enforcing of Muslim law but he is not entitled with an interpretative authority, nor do the learned doctors of Islam. Judgments and interpretations can be given freely and are only considered as binding when they secure the consensus of the community ; in which case the Muslim community is deemed infallible. But this consensus cannot be gained through the holding of councils or synods composed of acknowledged authorities on religion to settle religious problems. It is rather left to the free forces of religious development in Muslim society all over the Islamic world. Consensus had been considered by Iqbal as the principle of movement in Muslim religious thought. It has a pronounced democratic trend of great significance in Muslim society especially because it is one of four sources of Muslim jurisprudence, ranging in priority as the third after the Qur'ân and the Traditions.

c) There is in the spirit of Islam a certain tendency which inspires Muslims to feel a craving for liberty. This essential trait of Islam cannot be easily explained. The insistentce on the unity of God as advocated by Islam, as no other religion does, makes any power other than that of God of an inferior standing. There are certain traditions enjoining Muslims not to admit submission to any mortal, if this entails disobedience to God. In another tradition they are enjoined, when they behold anything disapproved of by God, to change it with their hands, and if not possible with their tongues, and if not possible with their hearts, the last being considered the feeblest manifestation of faith. A Muslim is also enjoined to be active and energetic and of physical and moral power. But Islam's attitude to force is always tempered by kindness and humanity. Force was meant to establish a powerful Muslim community that is capable of freeing itself from any foreign domination.

Islam had proved unwieldy in modern times when systems of colonial dominatios had been applied to Muslim countries. It was an impenetrable proof against plans of colonial education and cultural imperialism. It caused serious trouble to the advocates of assimilation policies, so much so that they accused Islam as an obstacle to modern progress; so perplexed with Muslim culture that they tried to distinguish between religious Islam and political Islam which are really one. No wonder that Islam has been a great liberating force.

d) I have to add the attitude of Islam towards scientific research as one of its main traits. It is not easy to explain why Western scholars dwell at length upon this point, emphasising, so they claim, the discrepancy between Islam and Science. History of the development of thought, knowledge and science — with all the connotatitons these terms mean — proves that Arab culture has made noble contributions. In fact the religious texts of Islam enjoin the Muslim to think and contemplate

by claiming that Islam is the first and last step towards progress that can ever be achieved by an African when he turns Muslim.

3 — A New Line of Approach :

In attempting to explain the main tenets of Islam from an objective stadpoint, there is no need to draw on its polemical or apologetic literature, though valuable in itself as representative to the Muslim attitude of mind. Neither do we need to reiterate the articles of the faith of Islam so well known and summed up in catechetical manuals ; or we may add legal systems and Muslim institutions well expounded in elaborate treatises. Only in so far as these elements have a bearing on the welfare of Muslim society can they be mentioned. It may be helpful to scrutinise the main traits underlying the evolution of Islamic culture.

Some points of methodology which scholars have been slow to apply to Islam may secure more fruitful results. It has been shown by new disciplines in anthropological studies that a culture is a law unto itself and that its values cannot be interpreted in terms of an alien culture. This will be a reminder not to dwell at length on comparisons or analogies between Islam and other faiths.

4 — The Uniqueness of Islam :

Islam cannot be ranked with other world religions as merely comprising a certain system of beliefs and practices. It is also an all-embracing system of law, institutions and culture ; in short it is a way of life. Its economic system is equally unique having a type of its own that can hardly be classed under one of the presentday conflicting theories of economic organization. Islamic culture has also been voluminous and varied that it could satisfy the intellectual, literary and artistic needs of non-Muslims living in the Islamic world without losing their identity.

Some other traits in the Islamic phenomenon can be singled out in the following :

a) Differences of opinion regarding religious matters have been tolerated amongst the members of the Islamic community since the early days of Islam. Nay, they have been regarded, as reported in one of traditions, as a sign of God's mercy. Thus different rites (Madhabs) culminating in the four well-known ones have been deemed to be all orthodox. Various sects have equally arisen, but points of discord have been largely polittical rather than religious. They clustered round the thorny problem of the Caliphate and related questions of government and administration. Nobody questoned the validity of Islamic fundamentals in belief and practice, or introduced basically diversified interpretations as to rend the community into irreconcilable religious factions. There had been enough of the revolts of the Khawarig, and the quarrels between " Sunnis " and " Shi'as ", but all the disputes have been of a political nature. In fact, religious toleration has been, throuhout the history of Islam, the guiding principle in both theory and practice. No persecutions or massacres have ever been plotted in the name of religion. While intolerance had been the ruling practice in some world faiths up to quite recent times, Islam during the course of its entire history is privileged with an unblemished record.

But Muslims who think in terms of English culture and to whom this statement is meant, may not consider such references as out of place. They will be met with in many English works dealing with Islam ; nay in French and German works as well. As late as June 1956, in an international symposium on Classicism and Cultural Decline in the History of Islam, held under the auspices of the universities of Bordeaux and Chicago, and attended by twenty eminent orientalists of different nationalities, one of the main topics contributed and discussed was whether Muslim orthodoxy has had a part in the decadence of the world of Islam (Paris 1957, pp. 167, 184).

Though easy to detect, these Western prejudices against Islam are interesting to remark; the tracing of their history and the penetrating into their psychological factors still await the investigation of a scholar, the competence of whom requires a mental out-look unswayed by such misconceptions ; he might preferably be a believer in the faith of Islam.

No attempt can here be made to enumerate these prejudices, to disentangle the show of scientific postulates worked out to support them as if they were a sort of psychological rationalizations. A few examples may be deemed sufficient as illustrative of their nature and trends.

Certain practices obtained in some Islamic countries, tinged with magical beliefs, obnoxious usages offending to modorn taste, customs bearing on the cult of saints and religious orders are sometimes taken to represent the main tenets of Islam. Some parts of Muslim jurisprudence and especially those expounded by jurisconsults of a later age are commented upon by Western writers as not conforming with humanitarian ideals or with the healthy organization of society. The liberal outlook of Islam is even denied owing to the tradition of despotic rule entertained by certain Muhammedan dynasties as recorded by Muslim chroniclers and historians. Last but not least the claim asserting that the moral demands of Islam are but a few and not exacting. So much for such a formidable stuff of misconceptions that are eagerly exploited by missionaries in their proselytising efforts and in their attempts to make a halt for the rapid propagation of Islam. A synthesis of similar ideas has been worked out by a certain European writer to draw a picture of what he claimed to be the psychology of Musulman ; his many pretensions amongst which the empty remark that Islam is an obstacle to progress betrays the frustration of his country in attempting to assimilate the people of North Africa.

Some faint glimpses of more objective verdicts on Islam have occasionally been made by some European scholars, especially those who wrote about the history of Muslim education, its democratic spirit and its insistence on fighting illiteracy. They stated that Islam has been unquestionably a great civilising force in history.

No less similar, is the famous dictum of Renan that Islam is progress to the African who adopts it. One should rightly expect that the fog of prejudice is gradually dissipated by the mutual understanding between Muslims and non-Muslims ; but unfortunately new prejudices arise. As regards Renan's afore-mentioned saying, some colonial administrators have commented upon it

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYAT

Ramadân 1385	ENGLISH SECTION EDITED BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE	January 1966

ISLAMIC PRINCIPLES

BY : A. A. HILMY

Assistant Secretary General of the Islamic Research Academy

1 — Introduction :

The faith of Islam, its tradition and culture have long attracted the attention of outside observers, some of whom were tempted to probe the strength of its hold on Muslim peoples, and to get an insight into the problems of contact between them and non-Muslims. The academic circles in Europe have also shown an interest in Islamic studies alongside with Sanskrit, Chinese and other alien cultures to make an all-round survey that fits in with the political and economic domination of Europe over all the countries of the world. As to Islam, eminent scholars have dedicated themselves, since the early decades of the 19th century, to the laborious task of mastering classical Arabic to have recourse to the old sources of Islamic literature. Thus, Islam has been subjected to deep research and study, not without some attempts to interpret its values in terms of Western culture. From a Muslim standpoint, these methods of approach to Islam have been various; ranging, not unnaturally, from undisguised prejudice to pronounced sympathy. Notwithstanding the application of objective methods of study, certain prejudices have lingered on, causing a lot of misunderstandings and misinterpretations. Sometimes certain European writers drew mistaken conclusions by accounting for the state of apathy and backwardness of Muslim countries in the 19th century as due to Islam; thus disregarding a similar case in decadent Europe during the dark ages when Christianity had been supreme. Up to the outbreak of the 1st World War the false notion that Islam is inconsistent with the modern idea of progress and the norms of Western civilization, had been given wide prevalance.

2 — Misinterpreting Islam :

It may not be fitting to start a statement on Islamic principles by making allusions to misinterpretations with which Western literature on Islam abounds.

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٤٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الثامن - السنة السابعة والثلاثون - شوال سنة ١٣٨٥ هـ - فبراير ١٩٦٦ م

ح ١٢
ع ٦ ٢٢٢٢٢
دوريات
المكتبة الأزهرية

بسم الله الرحمن الرحيم

أما آن لابن آدم أن يعقل ؟

بقلم أحمد حسن الزيات

سمى نفسه إنسانا من الأنس ، وسمى غيره وحشا من الوحشة ، ومعنى الأنس الاطمئنان والألفة ، ومعنى الوحشة النفور والعزلة ، وليس معنى جنوح ابن آدم للأنس أنه لطيف ، ولكن معناه أنه ضعيف ، ومن طبيعة الحيوان الضعيف أن يعيش مجتمعاً بأفراد جنسه ليعالج بالتعاون ضعفه كما تفعل النحل والنمل ، ولكنه - واحسرتا عليه - لم يستطع بعقله وعلمه وفهمه وقوانينه وأنظمته ومدنيته أن يقيم مجتمعه على السلام والوئام والإخاء والتعاون ، كما فعلت هاتان الأمتان بالغريزة وحدها ، فلا نعلم أن أمة النحل أو أمة النمل تفرقت شيعاً وقبائل ، لتتخاصم على الأرض ، أو تتقاتل على القوت ، أو تتنازع على السلطة ، وإنما نعلم أن هذا الإنسان الذى يزعم أنه قطب الوجود ، وسيد الكون ، وخليفة الله ، لا يزال يعيش كما كان يعيش منذ ملايين السنين : هواه إلاهه ، وشهوته شرعه ، وغريزته دليله ، وقوته عدته ، أما ذكاؤه الذى تميز به نوعه ، فقد سخره فى تسليح يديه بالحديد والنار والدمار ، لا ليقهر كواسر الطير فى الجو وضوارى الوحش فى البر ، ولكن ليقهر إخوته لأبيه آدم ليستأثر دونهم برغيف ، أو يستعلى عليهم بموضع . ولو كان يجرى على منهاج الوحش يقتتل حين يدافع ، ويفترس حين يجوع ، لقلنا : حب البقاء طبيعة كل حى ، ولكنه يقتتل وهو آمن ليحتكر ويحكم ، ويفترس وهو شبعان ليدخر ويسود .

بدأ العالم منذ أيام سنته السادسة والستين من القرن العشرين . وقد بلغ الإنسان بالعلم ما بلغه آلهة الإغريق بالخيال من استخدام قوى الطبيعة واستغلال عناصر المادة ، فاخترع من الآلات وصنع من المعجزات ما يجعل العيش نعيما والأرض جنة لو كان يعالج

أموره بالعقل ، ويصرف شئونه بالحكمة ، ولكنه ابتلى من دون سائر الحيوان بأن يكون له (مستقبل) ينظر فيه ويعمل له ويخاف منه ، وخوفه من هذا (المستقبل) المجهول حمله على الاستئثار والادخار والشح . والطمع هو جماع هذه الخصال جميعاً فكل امرىء يطمع فى نصيب غيره ويدفع عن نصيبه .

ومن هـذا الهجوم الدائب والدفاع المستمر نشبت معركة الحياة بين الفرد والفرد ، وبين الأسرة والأسرة ، وبين الأمة والأمة ، بالقول أو بالفعل ، وفى السر أو فى الجهر ، وكان الظن بالإنسان وقد بلغ ما بلغ من الرقى أن يحكم العقل فيما شجر بين أفراده على قسمة الدنيا وغلة الارض ، ولكن العقل فشل والهوى تحكم حتى انتهى الحال بالعالم المتمدن إلى كتلتين عدوتين تتباريان فى تدمير هذا الكوكب على أهله ، وفى سبيل هذه المباراة حولت كل منهما أموال دولتها ورجال أمتها إلى الإعداد الجهنمى لإقامة القيامة قبل أجلها الموقوت !

وفى مستهل السنه الميلادية التى يرتل المسيحيون فى ذكرى مولد صاحبها الكريم ذلك القنوت الشعرى الجميل « المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وفى النـاس المسرة » يقول صاحب الأمر فى أمريكا : إن البرنامج العسكرى فى الولايات المتحدة يستهلك ثلثى الميزانية العـامة للدولة ، وإن أربعة ملايين من الأمريكيين يعملون فى الجيش وفى قوة الدفاع ، ويطلب المزيد من العتاد والاستعداد لينتهى الشيوعيون عما هم فيه وينجو العالم من فناء ذرى محقق . فيجيبه من الطرف الآخر ضابط روسى فى جريدة (برافدا) الرسمية يقول : إن لدى روسيا من الأسلحة الذرية ما يمحو أمريكا من الوجود إذا فكرت فى العدوان على الاتحاد السوفييتى .

وتثور فى رأس (جونسون) نزوة الاستعمار الكافر فيقرر الهجوم بوابل من النار والدمار على أهل (فيتنام الشمالية) ليبيدهم جميعا ويفرغ من أمرهم سريعاً .

ونأبى أنجلترا أن تتخلف عن أمريكا فى تقريب القرابين الآدمية لآلهة الاستعمار فى ذكرى مولد المسيح راعى السلام وحامل الآلام ورسول الرحمة فتنشط فى التنكيل بالمجاهدين الأحرار فى الجنوب العربى المحتل .

وتوسوس شياطين الاستعمار للأبيض الأول فى روديسيا أن يحكم على أربعة ملايين من السود الأصلاء ، أن يكونوا عبيد الدهر لمائتى ألف من البيض الدخلاء ، لأن فى يده المال والسلاح والعلم والباطل ، وفى أيدى الإفريقيين الفقر والمرض والجهل والحق .

فإذا كان العقل ، كما يقول اللغويون ، قد سمى عقلا لأنه يعقل صاحبه عن الشر فإن أكثر الناس لم يعقلوا حتى اليوم ! لأنهم لو عقلوا لأدركوا أن مشكلات العيش الاقتصادية مهما تتعقد وتعضل لا يستعصى حلها على النية الحسنة والنفس الخيرة والمنطق السليم ، وأن هذه الملايين من الرءوس المفكرة والأيدى العاملة التى تنتج للحرب لو أنتجت للسلم لوفرت للعالم كله الغذاء والكساء ، كما وفر الله له الماء والهواء ، وأن هذه القناطير المقنطرة من الذهب التى تنفق على الثكنات العسكرية والمصانع الحربية والمغامرات الفضائية لو أنها أنفقت على محاربة الفقر العام لما بقى على ظهر الأرض فقير . وتنازع القوت هو المشكلة الأزلية للحياة ، والفقر هو النكبة الأبدية على النظام ، والجوع هو السبب القريب

أو البعيد لكل ثورة فى تاريخ الأمم ، ولكل جريمة فى تاريخ الأفراد .

على أن دول الغرب المصابة بحمى الحرب قد ورد على مسامعها مع التهنئات بالسنة الجديدة ، والتهديدات بالأسلحة المبيدة ، أصوات أخرى جهيرة بالحق رخيمة بالسلام تبشر بالحب وتنفر من العدوان ، أقواها فى الغرب انبعث من روما وهو صوت البابا ، وأقواها فى الشرق انبعث من القاهرة وهو صوت جمال عبد الناصر . حمل الأول فى رسالته وإذاعته دعوة المسيحية وهى الرحمة والمحبة والغفران ؛ وحمل الآخر فى رحلاته وخطبه دعوة الإسلام وهى الحرية والإخاء والعدل والإحسان والسلام ، وبين فى سياسته بالقول والفعل أن أمته التى جعلت تحيتها فى الدنيا السلام وفى الآخرة السلام هى وحدها التى تحرر الإنسان من الخوف ، وتقيم الميزان بالقسط ، وتجعل الناس سواسية كأسنان المشط .

فإذا أضفنا ما توحيه هذه الأصوات السماوية من المعالى الروحية السلبية إلى اتفاق الرأى فى القارتين الشرقيتين آسيا وأفريقيا إلى عقد مؤتمرات من أقطاب الرأى فيهما توحد الخطط المؤدية ، وتعين الأهداف المشتركة ، لتتعاونا على المعروف وتتناصرا على المنكر ، وتتساعدا على نشر السلام العام ؛ وإلى عقد مؤتمر القارات الثلاث فى هافانا من أمريكا اللاتينية لينظر فى بغى الاستعمار وطريق الخلاص منه ، غمرنا شعور من التفاؤل بأن الله سيتدارك عباده بلطفه ، فيضىء قلوبهم بنور العقل ، ويهيىء نفوسهم لتقبل العدل ، ويجمع الشرق والغرب على المبادىء التى شرعها فيكفروا بها ليضعوا لهذه الدنيا المتدابرة المتناحرة سياسة جديدة تجعل أرض الله مضطربا لكل كادح ، وخير الأرض مشاعا لكل مستقل . ويومئذ يكون الفصل بين عالم عاش فيه الحيوان بغرائزه الوحشية ، وعالم يعيش فيه الإنسان بطبائعه المدنية ، يعدل بين جنسه وغير جنسه ، ويحب لغيره ما يحب لنفسه ، ويطمس فى ذهنه حدود البيت والأسرة ومعالم الوطن والأمة ، ليصبح الناس كلهم أسرته ، والدنيا بأسرها وطنه . ويومئذ يستطيع الإنسان أن يتبجح بميزة العقل والعلم ، ويقول لقافلته الضاربة فى مجاهل الأبد وهى لا تملك مشاعرها من القلق والفرق : لقد زال الطمع فزالت العداوة ، ومات الفقر فماتت الحرب .

أحمد حسن الزيات

شوقى والسلام

يا رب لا تنس رعاياك فى	يوم . رعاياك الفريق الذليل
جناية الجهل على أهله	قديمة ، والجهل بئس الدليل
باليته لم نمدد بشر يدأ	وليت ظل السلم باق ظليل

كفاح الرسول عليه السلام في سبيل الوحدة والإخاء

للأستاذ محمد محمد المدني

إن الزمان يمر عاما بعد عام ، ولا يبقى منه إلا الذكريات ، فهو سجل متلاحق الصفحات ، اصطلح الناس عليه ، وليس له قيمة فى نفسه ، وإنما قيمته بمقدار ما يحمل من الأحداث والأعمال ، وما يمتلئ به وجوه النشاط والانبعاث إلى تحقيق الغاية المقصودة من خلق الإنسان .

وليس التاريخ أن يمر على الناس - أمما كانوا أو أفرادا - كذا وكذا من السنين والقرون ، ولكن التاريخ أن يكون لهم ما يذكر ، وما يثبتون به أن هذه الأحقاب مرت بهم وهم مستيقظون ، فعاشوها حقا ، وملأوها حقا

ولو أننا قسنا الأعمار بالأعمال والثمرات ، ولم نقسها بالأيام والساعات ، لكان هذا المقياس أصدق حديثا عن الواقع ، وأدق تصويرا للحياة ، وإذن لرأينا العام الزمنى لبعض الناس قرنا من الأعمال أو نصف قرن ، ولبعضهم يوما أو بعض يوم ، بل لعرفنا أن بعض المعمرين قد انقضوا فى عهد الطفولة ، لأنهم لم يشعروا ولم يفيدوا الإنسانية شيئا ، وقد أحسن التعبير عن هذا المعنى أحد الشعراء إذ يقول :

إذا مر بى يوم ولم أقتبس هدى
ولم أستفد علما فما ذاك من عمرى !

فهو يسقط اليوم الحالى ، ولا يعتد به ، وقد ضرب الله على آذان أهل الكهف ثلاثمائة سنين وزادهم تسعا ، فلما أفاقوا قالوا : لبثنا يوما أو بعض يوم ، وهو قول موافق لواقع أمرهم من حيث القيمة العملية ، فإن يومهم لم يزد عن أمسهم ، إذ كانوا أجسادا هامدة ، وعقولا جامدة ، فلم يعيشوا هذا الزمان الطوال ، وإن تقلبوا فيه ذات اليمين وذات الشمال .

وها نحن أولاء نرى فى عصرنا الحاضر أمما يساوى العام الواحد من حياتها مائة من الأعوام ، وأمما أخرى لا يساوى القرن فيها سنوات معدودات .

ومن هذه الفترات القصيرة زمانا ، المباركة جهاداً وأعمالا ، تلك الفترة التاريخية فى حياة الأمة العربية منذ هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة فى سنة ٦٢٢ ميلادية ، إلى أن لحق بربه فى سنة ٦٣٢ ميلادية تقريبا : إن هذه الفترة لا تزيد عن عشر سنوات ، ولكن المتأمل فى حال العرب قبلها ، يجد أنهم قد انتقلوا فيها من حياة إلى حياة : فى الدين ، وفى الخلق ، وفى الوحدة والإخاء ، وفى النظام الاجتماعى ، وفى القانون والحكم . .

● كانوا شعبا وثنيا ، لكل قبيلة منهم وثن تعبده ، فقوم يعبدون اللات ، وقوم يعبدون العزى ، وقوم يعبدون مناة ، وما كان هذا دينا ، بل كان انحدارا بالعقل البشرى ، والكرامة الإنسانية ،

إلى مستوى تقديس الأحجار والأصنام ، فأين هذا من الوحدة الدينية التي دعاهم إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن يعبدوا الله وحده ، ولا يشركوا به شيئا ، فإنه هو إلههم الواحد ، الذي أنشأهم من أصل واحد ؟

● وكانوا طبقات ينظر بعضها إلى بعض نظر العدو إلى العدو ، وقبائل متحاربة لأتفه الأسباب وبما دامت الحرب بينهم عشرات من السنين من أجل ناقة قتلت ، وتظن كل قبيلة من قبائلهم أنها أشرف القبائل نسبا ، وأعلاها حسبا ، ويزعم بعضهم أن دماءهم أعز وأغلى من دماء الآخرين ! فأين هذا من شعور المساواة الذي غرسه فيهم الإسلام ، حتى رأينا مثل عمر بن الخطاب يقول : أبو بكر سيدنا ، وقد أعتق سيدنا - يعني بلالا الحبشي الذي أعتقه أبو بكر ، فهو يسوي في السيادة بين أبي بكر الصديق ، وبين بلال العبد العتيق ؟ .

● وكانوا يقترفون الآثام ، فأصبحوا يعرفون الحلال والحرام ، وكانوا يكتسبون عيشهم في كثير من الأحيان عن طريق الاغتصاب والتلصص والغارات الليلية ، فأصبحوا يتحرجون من الكسب الحرام ، ومن مخالطة الأيتام في الطعام خوفا من أن يجوروا عليهم .

● وكانوا قبائل شتى لا تجمعهم جامعة ، ولا يربطهم هدف ، وليست لهم حكومة يرجعون إليها ، ولا نظام قانوني عادل مستقر يحتكمون إليه ، وبلغت بهم العصبية القبلية حداً خطيراً لا يصلح عليه اجتماع في أمة من الأمم ، ولم يكونوا يعرفون الأخوة في الوطن أو في العقيدة ، أو في الهدف ، وإنما يعرفون فقط أخوة القبيلة والدم .

أتعرفون - أيها القراء الكرام - لماذا نجح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو لماذا نجح الإسلام في نقل هذه الأمة من أدنى الحالات في هذا كله إلى أسمى الحالات وأشرفها ، وكان نجاحه في هذه الفترة القصيرة من الزمن وهي لا تزيد عن عشر سنين ؟ .

إن السر في هذا النجاح يرجع إلى ما يأتي :

أولا : إلى دعوة الإسلام ، فإنها دعوة مثالية تقدمية ، هدفها إصلاحي يساير الفطرة السليمة ، ويوافق العقل ، وليس فيها شطط ولا مغالاة ولا تعجيز للمكلفين ، وإذا كانت الدعوة كذلك فإن القلوب تهوى إليها ، والعقول تتقبلها ، وكل معارضة لها لا تلبث أن تضعف ثم تفنى تحت نور الحقيقة والواقع .

ثانيا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم والقائمين بالأمر معه ، كانوا في أنفسهم مثل هداية وإخلاص وتجرد عن الأهواء والغايات والمنافع الخاصة ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكافح عن دعوته بضرب المثل من فعله ، وسلوكه بين المؤمنين ، ورحمته بهم ، ورغبته في إيثارهم على نفسه وعلى أهله ، ولم يكن يكتفي بالقول يزجيه ، أو بالنصح ينصح به ، فلم يره المسلمون محتجزا مالا ، ولا متمتعاً بنعيم ، ولا مستأثراً برفاهية من دونهم ، بل يروي الرواة : أن آل محمد لم يشبعوا من خبز القمح قط وما كان أغلب أكلهم إلا من خبز الشعير .

ثالثاً : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذا حكمة ورحمة في معاملة المؤمنين ، وقد وصفه الله تعالى بقوله « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » وقد ظهر انطباعه بهذه الحكمة وهذه الرحمة حين تألف بعض الناس بشيء من العطاء اختصهم به لمصلحة رآها ، فتأثر

المجتمع الاشتراكى فى ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

المصالح المرسلة

الدين كما يعرف عند الأصوليين — وضع إلهى سائق لذوى العقول باختيارهم المحمود إلى ما فيه نفعهم أو مصالحهم .

فالمصلحة هى الغاية من الدين بمقتضى هذا التعريف والله جل شأنه غنى عن كل ما عداه فلا ينفعه إحسان المحسن ، ولا تضره إساءة المسىء ، « إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وأن تشكروا يرضه لكم » ويفهم من قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » أن هذا الدين هو النعمة التامة والرحمة العامة ، وأن فى الإيمان بهذا الدين والعمل بمقتضاه مصلحة الناس فى الدنيا والآخرة ، وهذا بعض ما يفهم من قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ، وقوله فى الكتاب الذى أنزله عليه : « يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين » .

ولا شك أن الرحمة — فى جانب الله تفسر بما ينشأ عنها وهو النعمة ، وأن دلالة النعمة على المصلحة مما لا يختلف فيه اثنان ؛ فمصلحة الفرد والمجتمع فى التزام حدود هذا الدين والعمل بأحكامه والسير على هداه .

وإذا كانت أنظار الناس تختلف فى تقدير المصلحة تبعاً لاختلاف أهوائهم . ولتأثرهم

(البقية على الصفحة السابقة)

فريق من الأنصار بذلك فى أنفسهم ، وتكلم به بعضهم إلى بعض ، فجمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم : « أما والله لو شئتم لقلتم : أتيتنا مكذبا فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريداً فآويناك . أجزتم يا معشر الأنصار فى شىء يسير من الدنيا تألفت به قوما ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ؛ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم . فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار ! » .

فلو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب حين بلغه ما قاله هؤلاء وثارت ثائرته لما انتهى الأمر بسلام ، ولكنه استل بهذا الكلام المؤثر ما فى نفوسهم ، وأعاد إليهم صفاء المحبة ، ووطد فيهم دعائم الأخوة والوحدة .

محمد محمد المدنى

باعتبارات مختلفة فى مناهج تفكيرهم ، فإن المصالح الحقيقية التى اعتبرها الشرع مصالح ترجع – باتفاق العلماء – إلى خمسة أمور ، حفظ الدين ، وحفظ النفس ، وحفظ النسل ، وحفظ العقل ، وحفظ المال ، لأن هذه الأمور هى التى تقوم عليها حياة الناس فى الدنيا ، ومن ثم كان الجهاد لحفظ الدين ، والقصاص لحفظ النفس وحد الشارب لحفظ العقل وحد الزانى لحفظ النسل ، وقطع يد السارق لحفظ المال ، فهذه مصالح ضرورية تتوقف عليها حياة الناس ويجب أن تصان بهذه الحدود التى بينها الله ورسوله .

وهناك إلى ذلك مصالح حاجية ، تطلب لرفع المشقة ، ودفع الحرج كالمصالح التى تراد من البيع والشراء ، والإجارة والاستئجار ، والشركة وما إلى ذلك من المعاملات المشروعة ، وهذه المصالح كذلك معتبرة شرعا .

أما المصالح التحسينية وهى ما لا يدخل فى النوعين السابقين . بل يكون من قبيل الأخذ بمحاسن العادات فإنها تدخل فى مكارم الأخلاق وقد أقرها الإسلام وشرع لها من الأحكام ما يحققها ، كستر العورة ، وتحريم الخبائث من المطعومات وما إلى ذلك ، هذه هى المصالح التى اعتبرها الشرع وسن لها ما يناسبها من الأحكام .

أما المصالح المرسلة فهى المصالح الملائمة لمقاصد الإسلام ، ولا يشهد لها أصل خاص بالاعتبار أو الإلغاء ؟ بمعنى أنه لا يوجد لها نص فى كتاب الله وسنة رسوله أو لم يستطع الباحثون أن يعثروا على نص منهما يستفاد منه أنها معتبرة مشروعة أو ملغاة باطلة ، وقد أقر الإمام مالك العمل بهذه المصالح وأكثر من العمل بها ، ولكنه اشترط الأخذ بها شروطاً ثلاثة تفهم من تعريفها كما يقول فضيلة الأستاذ « محمد أبو زهرة » فى كتابه أصول الفقه ... أولها : الملاءمة بين المصلحة التى تعتبر أصلا قائما بذاته ، وبين مقاصد الشارع ، فلا تنافى أصلا من أصوله ، ولا تعارض دليلا من أدلته القطعية ، بل تكون متفقة مع المصالح التى يقصد الشارع إلى تحصيلها ، بأن تكون من جنسها ليست غريبة عنها وإن لم يشهد لها دليل خاص .

ثانيها : أن تكون معقولة فى ذاتها جرت على الأوصاف المناسبة المعقولة التى إذا عرضت على أهل العقول تلقتها بالقبول .

ثالثا : أن يكون فى الأخذ بها رفع حرج لازم ، بحيث لو لم يؤخذ بالمصلحة المعقولة فى موضعها لكان الناس فى حرج ، والله تعالى يقول : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » وقد ساق فضيلته أدلة المالكية وذكر كثيرا من الأمثلة قال : إنها مبثوثة فى كتاب الاعتصام للشاطبى ، وها هى ذى الأدلة والأمثلة .

أولها : (ا) أن الصحابة قد جمعوا القرآن فى مصاحف ، ولم يكن ذلك فى عهد الرسول ، وما دفعهم إلى هذا إلا المصلحة ، وهى حفظ القرآن من الضياع وذهاب تواتره بموت حفاظه من الصحابة ، وإن ذلك تحقيق لقوله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

(ب) قرر الخلفاء الراشدون تضمين الصناع ، مع أن الأصل أن أيديهم على الأمانة ولكن وجد أنهم لو لم يضمنوا لاستهانوا ولم يقوموا بحق المحافظة على ما تحت أيديهم من أموال الناس ، وقد صرح على بن أبى طالب رضى الله عنه بأن الأساس

فى التضمين كان المصلحة ، وقال : لا يصلح الناس إلا ذاك .

(ج) وكان عمر بن الخطاب يشاطر الولاة الذين يتهمهم أموالهم ، لاختلاط أموالهم الخاصة بأموالهم التى استفادوها بسلطان الولاية ، لأنه رأى فى ذلك صلاح الولاة ، ومنعهم من استغلال سلطان الولاية فى جمع المال ، وجر الغنائم من غير حل فالمصلحة العامة هى التى دفعته إلى ذلك ، ولم يكن فيها ظلم لأنه كان يتعرف أموالهم قبل الولاية ، وبعد الولاية يتعرف هذه الأموال ، فإذا لم يبدوا سببا معقولا سائغا فإنه كان يشاطرهم تلك المشاطرة العادلة فى ذاتها الواقية من الظلم فى المستقبل .

(د) ولقد أراق عمر رضى عنه اللبن المغشوش بالماء تأديبا للغشاشين ، وذلك من باب المصلحة ، لكيلا يغشوا الناس من بعد .

(هـ) وقد قرر الصحابة قتل الجماعة بالواحد إذا اشتركوا فى قتله ، لأن المصلحة تقتضى ذلك ووجهها أن القتيل معصوم الدم ، وقد قتل عمدا ، فإهدار دمه داع إلى منع القصاص ، لأنه يكفى أن يذهب الدم هدرا بإشراك اثنين فى قتله إذا قلنا إن الجماعة لا تقتل بالواحد ، فكل من يريد أن ينجو من القصاص يشرك غيره معه فينجوان معا ، ويذهب دم القتيل ، فكانت المصلحة داعية إلى قتل الجماعة بالواحد ، وروى أن جماعة قتلوا واحدا بصنعاء فقتلهم عمر رضى الله عنه ، وقال : لو اجتمع أهل صنعاء عليه لقتلتهم به .

الدليل الثانى أن المصلحة إذا كانت ملائمة لمقاصد الشارع ، ومن جنس ما أقره من مصالح فإن الأخذ بها يكون موافقا لمقاصده ، وإهمالها يكون إهمالا لمقاصده ، وإهمال مقاصد الشارع باطل فى ذاته ، فيجب الأخذ بالمصلحة على أساس أنها أصل قائم بذاته ، وهو ليس خارجا على الأصول ، بل هو متلاق معها ، غير مناف لها .

الدليل الثالث : أنه إذا لم يؤخذ بالمصلحة فى كل موضع تحققت فيه ، ما دامت من جنس المصالح الشرعية كان المكلف فى حرج وضيق ، وقد قال تعالى : «وما جعل عليكم فى الدين من حرج» ، وقال سبحانه : «يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر» ، وقالت عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم : «إنه ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما» .

ومن المسائل التى أخذ فيها الإمام مالك بالمصلحة ما يلى :

(ا) إجازة البيعة للمفضول . لأن بطلانها يؤدى إلى ضرر وفساد واضطراب فى الأمور وفوضى ، وفوضى ساعة يرتكب فيها من المظالم ما لا يرتكب فى استبداد سنين ، وقد أثر عنه أنه قال فى عدم عهد عمر بن عبد العزيز بالخلافة من بعده لرجل صالح لها بدل يزيد بن عبد الملك : إنه كانت البيعة ليزيد ابن عبد الملك من بعده ، فخاف عمر إن ولى رجلا صالحا ألا يكون ليزيد بد من القيام ، فتقوم فتنة فيفسد ما يصلح .

(ب) إذا خلا بيت المال ، وارتفعت حاجات الجند ، وليس فيه ما يكفيهم فللإمام أن يوظف على الأغنياء ما يراه كافيا لهم فى الحال ، إلى أن يظهر مال فى بيت المال ، أو يكون فيه ما يكفى ، ثم إن له أن يجعل هذه الوظيفة فى أوقات حصاد الغلات وحين الثمار ، لكيلا يؤدى تخصيص الأغنياء إلى إيحاش قلوبهم ، ووجه المصلحة أن الإمام العادل لو لم يفعل لضعفت شوكته ، وصارت الديار عرضة

للفتن أو استيلاء الطامعين فيها ، وقد يقول قائل : إنه بدل أن يفرض وظيفة يستقرض لبيت المال ، وقد أجاب عن ذلك الشاطبى فقال : الاستقراض فى الأزمات إنما يكون حيث يرجى لبيت المال دخل ينتظر ، وأما إذا لم ينتظر شىء ، وضعفت وجوه الدخل بحيث لا يغنى فلا بد من جريان حكم التوظيف .

(ج) أنه لو طبق الحرام الأرض أو ناحية من الأرض يعسر الانتقال منها ، وانسدت طرق المكاسب الطيبة ، ومست الحاجة إلى الزيادة عن سد الرمق ، فإنه يسوغ لآحاد الناس إذا لم يستطيعوا تغيير الحال ، وتعذر الانتقال إلى أرض تقام فيها الشريعة ويسهل الكسب الحلال ، أن ينالوا كارهين من بعض هذه المكاسب الخبيثة دفعا للضرورة وسدا للحاجة ، إذ لو لم يتناولوا لكانوا فى ضيق وأكبر مشقة ، فكانوا كالمضطر إذا خاف الموت إن لم يأكل من المحرم كالميتة والخنزير ، بل إن لهم أن يتناولوا منها ما هو فوق الضرورة إلى موضع سد الحاجة ، إذ لو اقتصروا على الضرورة لتعطلت المكاسب والأعمال ، ولاستمر الناس فى مقاساة ذلك إلى أن يهلكوا ، وفى ذلك خراب الدنيا والدين .

ولكنهم لا يتجاوزون موضع الحاجة إلى الترفه والنعيم ، فإن ذلك يعد استمراء الشر ، ولا يعد علاجا لحال شاذة غريبة على شرعة الإسلام ، وهى غلبة الحرام على أحد بلدان المسلمين .

هذا القدر الذى ذكرناه فى المصالح المرسلة يكفى لإلقاء الضوء على ما يمكن أن يعمله ولى الأمر لرفع الحرج ، أو دفع الضرورة أو تيسير الخير وتحقيق المصلحة لمن يتولاهم ويرعى شئونهم ، وهذا الباب يفتح الطريق لكثير من المشروعات التى تتفق مع مقاصد الشريعة ، وتعود بالخير والحياة الطيبة على المجتمع .

ولم أشأ أن أعرض وجهة نظر المخالفين فى الاخذ بالمصلحة المرسلة أصلا مستقلا ، لأن الخلاف يكاد يكون نظريا ، إذ أنهم فى كثير من آرائهم يردون المصلحة إلى القياس ، ولا ينكرون الأخذ بالمصلحة بل يرون كل مصلحة معتبرة تدخل فى نص أو عموم قياس ، لأن القول بعدم نص أو استحالة قياس يؤدى إلى توهم القصور فى النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ، وهذا لا يتفق مع ما يجب أن نعتقده من أن النبى صلى الله عليه وسلم أتم التبليغ وبين الشريعة وقال عليه السلام : تركتكم على الحجة البيضاء ليلها كنهارها ...

ونخلص من ذلك كله بكثير من الوسائل التى يمكن أن تعالج بها المشكلات الاقتصادية علاجا اشتراكيا

١ — فالمصالح الضرورية ... والحاجية ، والتحسينية مصالح معتبرة يشهد لها الدليل من الكتاب والسنة ، وكل وسيلة مشروعة تؤدى إلى تحقيقها تعتبر وسيلة معتبرة .

٢ — والمصالح العامة عند من يأخذون بالمصلحة المرسلة ، وعند من يردونها إلى قياس أو نص من مقاصد الشريعة ، وكل وسيلة تتلاءم مع مقاصد الشريعة تعتبر مشروعة .

٣ — أن كل أحكام الإسلام تهدف إلى تحقيق الصالح العام ...

عبد الرحيم فودة

نفحات القرآن

أضواء القرآن تعشى أبصار المكذبين

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

« وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ، ولكن تصديق الذى بين يديه ، وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين »
٣٧ - يونس

أما القرآن : فهو نور من عند الله - لاشك - ... ولكن هل النور يكون هاديا لجميع الأبصار ، وكاشفا لما عن كل ما يصادفها ؟؟

إنما يهتدى بالنور ذو العين المفتوحة ، وذو البصر السليم .

أما من أغمض عينه ، أو كانت عينه رمداء فهو محروم من الضوء ... وربما أبغضه ، واستراح إلى الظلام ، وآثر أن يعيش فيه .

ونحن نرى فى كل مقام من مقامات القرآن حينما يتحدث عن الكافرين به ، أو العاصين لدعوته أنه يوقد فى طريقهم المصابيح ليهتدوا ، ويحذرهم من العقبات لئلا يتعدوا ... ومع هذا لا يفتحون أعينهم ، ولا يقتبسون من الضوء ، ولو بنسبة ضوء الشموع ، ولا يبالون بالعقبات على متن الطريق .

وكانت مقالتهم التى يجازفون بها دائما : أن القرآن ليس من عند الله ، وإنما يفتريه علينا محمد من عنده ، وأنهم لو تأكدوا أن حقيقته من عند الله لكانوا أهدى من الامم التى آمنت بكتبها من قبل .

والله تعالى يرد عليهم تلك الأباطيل ، والمجازفات واحدة بعد واحدة ... فكلما افتروا فرية يطفئون بها نور الله كانت محاولاتهم طائشة ، ولا تزيد عن نفثة ينفثونها بأفواههم ، ثم يحبطها الله عليهم ، ويتم نوره ، ولو كره الكافرون .

وهنا يقول الله سبحانه : « وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله » .

يعنى : هذا قرآن بلغ من السمو مبلغ الكمال فى صدق معانيه ، وكمال هدايته ، وروعة أسلوبه ، وقوة تأثيره على القلوب الصافية ، والنفوس الخيرة .

وكتاب هذا شأنه لا يكون صادراً من عند غير الله ، ولا يمكن أن تتعلق به قدرة غير قدرته التى خضعت لها السموات ، والأرض ، وما فيهما من الكائنات جميعاً .

وإذا كانت للقرآن هذه الكمالات التى لا يدين بها الظالمون لأنفسهم من قريش ، فهناك كمالات أخرى بجانب ما سلف : وهى أنه مصدق للكتب السابقة فيما جاءت به من أمارات الحق ، وعرفت للأمم الأخرى ، وآمنت بها من قبل .

فالقرآن على وفاق معها فى الدعوة إلى التوحيد ،

وأصـــول الأخلاق ، والآداب ، وما يتعلق بصالح البشرية .

وكذلك ما عرف من تلك الكتب عند أربابها بصدق القرآن فيما جاء به من الحق الذي عهدوه في كتبهم ، ولم يتناوله تغيير ولا تبديل فالتصديق حاصل من الجانبين .

ويتبين ذلك للباحث من جديد فيما احتوته كتب الله .

ويتبين كذلك أن القرآن مع مصادقته للكتب السابقة جاء مكملا لما ينقصها ، وأوفى منها بما كان مدخراً عند الله من أمور التشريع .

أما التوافق بين الكتب فهو الواقع ، ولولا تحريف أصاب التوراة والإنجيل ، لما وجدت فيها شيئاً بعيداً عن القرآن .

وأما زيادات القرآن على ما جاء فيها فأمر تقتضيه طبيعة التطور العقلي في حياة البشرية ، فليس مستساغا أن يكون مستوى التشريع في عصور الأمم السابقة هو نفس المستوى في عصور الأمم الحديثة .

لذلك جعل الله القرآن حافلا بكل ما تصلح به البشرية في دنياها ، ودينها منذ استقر تطور البشرية على جانب أقوم وأرقى مما كانت في أزمنة البدائية المتغلغلة في السذاجة .

ثم جعل الله القرآن مفتوحا لكل ما تحتاجه الإنسانية إلى نهاية دنياها .

ولم تعد الدنيا بحاجة إلى رسول غير محمد ، ولا إلى كتاب غير القرآن : « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ... وينذر الذين قالوا : اتخذ الله ولداً ما لهم به من علم . ولا لآبائهم ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، إن يقولون إلا كذبا » .

نعم : يختلف الكتاب الكريم عن الكتب السابقة فيما ورد به من تشريعات ورسوم للعبادة كهيئة الصلاة والصوم والحج ونحو ذلك من نماذج العبادة في شكلها حسبما يلائم كل جيل في زمنه .

وأما أصول العقيدة والأخلاق والأحكام العامة فلا اختلاف فيها ، وهذا كلام مفروغ منه .

وكل ما تهدف إليه أن كتب الله غير متناقضة كما يحاول المفترون على الله أن يصوروا ذلك التناقض ، والله عز شأنه منزه عن التناقض بما أنزل على رسله .

ثم تنتقل بنا الآيات إلى مقام آخر ، وهو : مطالبة الكفار بسورة مثله : « قل فأتوا بسورة مثله » ، وقد أفنوا حياتهم فلم يستطيعوا ، فكان عجزهم أمارة لدى الملأ كله على كذبهم ، وعلى حقية القرآن واعتلائه على العقلية مهما بلغت من النضوج .

وكان هذا العجز ساريا مع الأجيال ، حتى يومنا هذا .

وتلك معجزة باقية على الدهر كله ، والتحدي بها قائم .

ومع أن التحدي ورد في كثير من آيات أخرى ففي هذه المرة يطالبهم بسورة ، ولو قصيرة ، ويفسح لهم المجال ليستعينوا بمن يستطيعون من إنس وجن وسواهما وسيظل هذا التحدي موجهاً إلى البشرية بل إلى الجن كذلك : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً - معيناً » .

وكل زائغ عن الحق سيظل مغلوبا على رشده ، ويماري كثيراً لتبرير عناده بمحاولات كسيحة ، لا تنتقل به خطوة عن ضلاله ، وكلما عاودته الهزيمة راح يجر أذياله غير عابىء بحق ، ولا خزيان من باطل ... والعاقبة للمتقين ؟

عبد اللطيف السبكي

في مقارنة الأديان

البعث .... والجـزاء

للأستاذ عبد الجليل شلبي

الإيمان بالبعث والجـزاء على الأعمال فى الدار الآخرة من أهم مقومات السلوك البشرى ومن أعظم الأسباب فى راحة النفس وعونها على احتمال الشدائد فى هذه الحياة فالناس يردون أنفسهم من ارتكاب الشرور خوفا من العقوبة فى الدار الآخـــرة ، ويردونها أيضا عن الانتقام والغلو فيه ويحتملون الظلم ممن هو أقـوى منهم ثقة بعدالة السماء واطمئنانا إلى استرداد حقوقهم يوم يقوم الناس لرب العالمين ، ولولا هـذه العقيدة لاستشرى الفساد بين الناس وتفاقمت الشرور .

ومعظم الأديان ، إن لم تكن جميعها ، قامت على الإيمـان بالجزاء حتى ولو لم تؤمن بالبعث والحياة الأخرى ولـكنها تختلف فى تصوير هـذا الجزاء وتفسير قواعده اختلافا كبيرا ، والأديان البدائية والوثنيات كانت تعتقد أن عيون الآلهة ترقب الناس وأنها تلاحق باللعنة من يخرج على تعاليم الدين ، وكانوا لذلك يعزون كل مكروه ينالهم إلى غضب الآلهة لما ارتكبوا من الذنوب ، فكانوا يسترضونها بالقرابين ويتملقون كهنتها بالهدايا رجاء أن يسترضوهالهم ، وبذلك تمحى ذنوبهم ، وكانوا يعزون كل مكروه ينالهم فى الدنيا إلى ذنب ارتكبوه ، ولم يفـكر معظم الوثنيات القديمـــة فى الحياة ولا فى البعث بعد المـــوت ، واختلفت نظرتها إلى نهاية العالم فظن الـكثيرون من أتباعها أن حياة الناس مستمرة وقال آخرون ، وخصوصا بعد انتشار الفيثاغورية بالدورة وتجدد العالم بعد فنائه وليس فيثاغورس أول قائل بهذه الفـكرة ولـكنه أول من هيأ لها انتشارا واسعا .

ومن المجمع عليه بين المـؤرخين أن أول ديانه وثنية عرفت البعث بعد المـــوت والحساب على الأعمال فى هذه الحياة هى الديانه المصرية القديمـة ، والآثار المصرية والأهـــرامات ومقابر الملوك وما بها من نقوش ورسوم وكتابات كلها كانت بسبب هذه العقيدة وكتاب الموتى يذكر تفاصيل هذا الحساب وطريقة المحاكمـة على الآثام ، ومن المصريين نقلت الديانات الأخرى هـذه العقيدة أخذها منهم الفرس وعمل المذهب الزرادشتى على نقلها إلى جهات أخـرى ، وكان من الطبيعى أن تنتقل إلى أرض الـكنعانيين وأن يعرفها الفينيقيون والفلسطينيون لوقوع هذا الجزء الآسيوى بين مصر وبلاد فارس ولتعرضـه لغزو كلتا الدولتين ووقوعه تحت حكمها ولوجود الصلة القوية بينه وبين مصر وقد حدث كل ذلك قبل نزول الإسرائيليين بهذا الإقليم . وهناك ديانات أخـرى نقلت هذه العقيدة بطريق غـير مباشر ، ولعله مما يرجح النقل عن الديانة المصرية لا عن ديانة سموية أن هـذا الحساب الأخروى تبدو فيه الصورة الوثنية وتعدد الآلهة ، ثم إن المحاكمة الزرادشتية واضحة الشبه بالمحاكمـة المصرية .

أما الأديان السموية الباقية فلاتتفق ثلاثتها على

أمر واحد فى أمر الحساب والبعث وانما تختلف الصور فيما بينها اختلافا واسعا . ولسنا بحاجة إلى ذكر ما نصت عليه العقيدة الإسلامية فى هذين الأمرين ، ولكن نشير إلى أن الإسلام يفصل بين نهاية هذا العالم وبين البعث من القبور ويوم القيامة والحساب كما يذكر القرآن أنه فى هذا اليوم لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يؤخذ منها عدل ولا تنفعها شفاعة ، وأيضا لا فرق بين أمة وأمة وطائفة وأخرى وفى الحديث «لا تأتينى الناس بأعمالهم وتأتونى بأحسابكم اعملى يافاطمة فانى لا أغنى عنك من الله شيئا» ويتضح من هذا سمو الله جل جلاله وعدله وتفرده وحده بالألوهية والجزاء .

والإسلام يركز الجزاء على الحياة الأخرى لأن الدار الآخرة هى الحيوان ، وقد تصيب الناس بما كسبت أيديهم مصارع السوء وقد تنال المحسنين كرامة الله ولكن ذلك كله لا يغنى عن ثواب الآخرة وعقابها .

وأما اليهودية . كما تصورها التوراة - فانها تخلو من ذكر البعث والحساب عدا سفرين من أسفار الأنبياء المتأخرين ، وكانت التوراة تذكر الهاوية وهى اسم لم تحدد معناه تماما ، وهى أيضا موجودة فى ديانات سابقة على اليهودية وأخرى كانت معاصرة لها والهاوية أحيانا مكان تحت الأرض يعيش الأموات فى ظلماته ويعود إلى الحياة منهم من يستحق العودة ويبقى فيه من لا يستحق ويبدو أن الفكرة تحوير لما نادى به فيثاغورس من تناسخ ، وأحيانا أخرى تصور الهاوية بمكان مظلم يعيش فيه المذنبون بينما يوجد مكان آخر للصالحين وليس هناك ما يدل على أن ذلك يكون بعد البعث ، وجاء فى التوراة أيضا أنها مصير الموتى جميعا ومن نزلها لا يصعد وجاء أخيرا أن إبراهيم يقف ببابها يذود عنها كل مختون ، ويدع الغرل يدخلونها ومن كان مذنبا من المختونين أضيفت له غرلة ، وتسمى الهاوية أحيانا «شيول» ولم تكن جهنم معروفة لديهم وما ورد فى العهد القديم من اسم جهنم فهو مستجد وفى أصله شيول أو الهاوية .

وأثر العصبية اليهودية واضح فى هذه الصورة الأخيرة .

وهناك صورة مبهمة للحياة الأخرى تفيد أن بنى إسرائيل وحدهم هم الذين يحيون للسيادة والملك وبعض الأمم الأخرى يحيون ليكونوا عمالا لهم وخدما تحت أيديهم .

وكان اليهود أول أمرهم يعتقدون أن الحياة الثانية هى حياتهم بعد مجىء المسيح المنتظر ، ويفهمون المثوبة على أنها إعادة مملكتهم فى أورشليم ، وظلوا فترة طويلة يفهمون أن الثواب هو نصرهم على الأعداء وخصوصا الفلسطينيين وقد فسرت التوراة مرات كثيرة نصر الفلسطينيين عليهم بأنه عقوبة لهم من الله على ردتهم وعبادتهم آلهة الأمم الأخرى .

وفى فترة السبى البابلى استفاد اليهود من البابلية والفارسية وكلاهما استفاد من المصرية من قبل ، وقد ظهر على اليهودية منذ ذلك الحين تغير واسع المدى وبرزت فيها فكرة البعث والجزاء والحياة الآخرة ، ويقول «بريست» : إن لديه من الأدلة الوافرة على أن التطـــور الدينى الذى بدا على العبرانيين بعد منفاهم كان متأثرا بتعاليم زرادشت وأن هذا النبى الميدى يجب أن يضاف إلى المؤثرات الدولية فى حلقات التطور العبرانى .

ولا ينبغى أن يجول بخواطرنا أن الإسرائيليين فهموا الحياة الآخرة والجزاء على النحو الذى يفهمه المسلمون أو حتى الذى فهمه المصريون - فهذا الشعب الإسرائيلى كما وصفته التوراة صلب الرقبة بطىء

التطور يأخذ من الأمم ولكن تبقى معه عصبيته العنصرية ولهذا لا يتصور جزاء عادلا ولا نعيما لغير بنى اسرائيل .

والسفران اللذان يبديان هذا التطور من التوراة هما سفرا أشعيا وسفر دانيال ، وقد عاش دانيال أواخر القرن الثامن ق م بوجه التقريب لكن سفره لم يجمع فى عهده وإنما تم جمعه فى القرن الثالث ق م ، وليس السفر من تأليفه وحده وإنما شارك فيه أشخاص عديدون فى زمن متباعد وأضيف إليه أشعياء الثانى وأحيانا يقسم هذا إلى قسمين يسمى ثانيهما أشعياء الثالث وقد دعا لهذا التقسيم تباين الأسلوب ولكن مع هذا لا تجمع وحدة الأسلوب أى كتاب من الثلاثة وحقا أن ذكر الكتاب نهاية العالم وحسابهم بعدالة ودون تفرقة يعتبر مفاجأة فى الإسرائيلية ولكن الكتاب يذكر ذلك على أنه نبوءة ويعزو نهاية العالم إلى فساد الناس ولا تزال الصورة الوثنية بادية فيه بوضوح، جاء فى الاصحاح الرابع والعشرين من هذه النبوءة .

« هو ذا الرب يخلى الأرض ويفرغها ويقلب وجهها ويبدد سكانها ، وكما يكون الشعب هكذا الكاهن . كما العبد هكذا سيده ... لأن الرب قد تكلم بهذا القول ... والأرض تدنست تحت سكانها لأنهم تعدوا الشرائع لذلك لعنة أكلت الأرض وعوقب الساكنون فيها لذلك احترق سكان الأرض وبقى أناس قلائل ... وملوك الأرض يجمعون جمعا كأسارى فى سجن ويغلق عليهم فى حبس .

لذلك فى المشارق مجدوا الرب - إله اسرائيل » الخ .

والحديث ، كما قلنا ، نبوءة ولا تبدو فيه صفة نهاية العالم أو يوم القيامة فما زال هناك ناس أحياء ، وهم فرحون ببقائهم دون الآخرين والنزعة المتعصبة ما زالت بادية به والحديث عن الشعب الإسرائيلى وإلى إسرائيل خاصة .

ويصف الإصحاح الخامس والعشرون جزاء الصالحين فيقول : « ويصنع رب الجنود لجميع الشعوب فى هذا الجبل وليمة سمائن وليمة خمر على دردى ويقال فى هذا اليوم : هوذا إلهنا انتظرناه فخلصنا . ويداس مؤاب فى مكانه كما يداس التبن المزبلة » فنجد من هذا كله أن اليوم الموعود هو اليوم الذى تنتظره إسرائيل لا نتصارها على مؤاب وبهذا يعود بنا هذا السفر إلى عقيدة إسرائيل وارتقابها عودة أورشليم .

والصورة المادية فى تصوير النعيم بوليمة سمائن وخمر هى خيال إسرائيل مما كانوا يتحدثون به عن نعيم التيه .

وفى الإصحاح الخامس والعشرين يقول : فى ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسى العظيم لوياثان الحية الهاربة ... الملتوية ويقتل التنين فى البحر .

فضلا عن الصورة المادية للرب وأنه يقتل بسيفه الجبار الشديد نرى سمات الأخذ من البابلية فى حديث التنين والحديث لا ينفصل بين نهاية العالم ويوم القيامة والحياة الآخرة ، ولا يمكن أن يقال : إن فكرة الجزاء والبعث فى هذا السفر مما بقى منذ عهد موسى لأن هذا الحديث انقطع طوال هذه المدة ولم يظهر إلا بعد السبى البابلى وظهر بصورة وثنية لا ترضاها رسالة موسى السموية .

وبقيت صورة أخرى من هذا الموضوع فى سفر دانيال أوثر أن استبقيها مع الحديث عن الحساب فى المسيحية لحديث آخر ؟

عبد الجليل شلبى

الأسرة بين الشريعة الإسلامية و"الميثاق"

للأستاذ محمد ابراهيم عبد الرحمن

مقـدمة : الأسرة فى أبسط صورها مجموعة الأفراد التى تضم الزوجين ، وأولادهما . وهـذه الصورة هى الطبقة العاشرة والأخيرة فى سلسلة الأنساب المعروفة عند العرب ، والتى كانوا يطلقون على "طبقة الأولى منها لفظة (الجذم) أى الأصل .

وقد تطور مدلول الأسرة على مر العصور ، وتغير مفهومها حسب الأماكن ، حتى أصبح هذا المفهوم فى الريف غيره فى المدن ؛ فنى الريف يتسع بحيث يشمل أقارب الزوج وعصبته ، وفى المدن يضيق حتى ليقصر على الزوجين وأولادهما .

عوامل اهتمام العرب بالأسرة :

وقد عنى العرب بأنسابهم وأسرهم بصورة لم نألفها عند غيرهم من الشعوب ، وقد دعاهم إلى الاعتزاز بالأنساب ، وحفظهم لها ، وتدوينهم إياها طبيعة الحياة فى شبه الجزيرة العربية ، وما كانوا يقاسونه فى سبيل الحصول على الرزق المحدود والكلأ القليل ، والماء النادر ، واضطرارهم إلى التجمع ، والتسابق إلى هذه المواد التى لا تكاد تفى بحاجتهم جميعا . ثم ما يصحب ذلك ـ عادة ـ من الملاحاة ، والتشابك بالأيدى ، أو التراشق بالحجارة أو التقاتل بالحراب .

فإذا أضفنا إلى ذلك ما فطر عليه العربى من حمية النفس ، وسورة العاطفة ، واندفاع إلى الشر ، وقلة مبالاة بالعاقبة ـ عرفنا إلى أى مدى حرص العرب على أنسابهم ووجد لديهم علماء متخصصون كأبى البركات الجوانى وفى ذلك يقول صاحب نهاية الأرب : ومعرفة أنساب العرب ومما افتخر به العرب على العجم ، لأنها احترزت على معرفة نسبها ، وتمسكت بمتين حسبها ، وعرفت جماهير قومها وشعوبها ، واتحدت برهطها ، وفصائلها وعشائرها ومالت إلى أفخاذها وبطونها ، ونفت الدعى فيها » .

لهذا لا نعجب إذا ظل العرب قبل الإسلام ، قبائل مختلفة ، وبطونا متعادية ، قلما تسود بينهم روح المودة ، أو تهدأ فى نفوسهم نوازع العصبية ، أو يتحاكمون إلى سلطان العقل ، وصوت الضمير فيما يشجر بينهم من خلاف .

أثر الإسلام فى الأسرة العربية :

فلما جاءت الشريعة الإسلامية بمبادئها ، وتعاليمها أقرت هـذه المعرفة الأنساب ولم تر فى الانتماء إلى الأسر ، والقبائل ، والشعوب ضيراً ما ، مادام ذلك لا يؤدى إلى التفاخر والمباهاة ، أو البطش بالضعاف ، واستعباد الفقراء ، ثم بينت الحكمة من هذا الاعتزاز بالنسب ، وأنه للتعارف والتآلف والتواد والتراحم « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى . وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وقال عليه السلام : كلكم لآدم وآدم من تراب » . « ليس لعربى على عجمى ولا لقرشى على باهلى فضل إلا بالتقوى » .

وكان عرب الجاهلية يتوسعون فى معنى الأسرة ، ولا يقصرونها على الأقارب الذكور (العصبة) بل كانوا يدخلون فى عدادها : الموالى ، والأدعياء وكان الجميع من وجهة النظر الدينية يؤلفون ما يشبه الشخص الواحد ، حتى إن ثروة الأسرة كانت ملكا

مشاعا لجميع أفرادها ، أو بعبارة أدق : ملكا لشخصها المعنوى ، الأمر الذى كان يجعلهم يؤخذون بجريرة أى فرد منهم .

ولكن الإسلام غير من نظام عرب الجاهلية فى تحديد معنى الأسرة ، وألغى آثاره فيما يتعلق بالقصاص إذ قرر : « أن النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص » كما أبقى على القواعد والنظم التى تؤكد تضامن الأسرة ، وتكافلها فى دعم كيانها كما هو الحال فى نظام الدية ، ومولى العتيق ، ومولى الموالاة .

والأدلة القرآنية ، والأحاديث النبوية فى هذا المقام كثيرة ، وهى فى مجموعها تهدف إلى ترابط الأسرة ، ووحدة كيانها فى مضمون اجتماعى قوى لتصبح خلية حية متفاعلة فى جسم الأسرة الكبيرة التى تشمل الأمة الإسلامية فى مختلف أقطارها ، وتباين لغاتها ، وألوانها : « المؤمنون تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » مولى القوم منهم « الولد للفراش وللعاهر الحجر » . وقال تعالى : « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم » وقال : « إنما المؤمنون إخوة » ، وقال : « والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين . والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين . ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين . والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين » .

والذى يؤخذ من النصوص الدينية الكثيرة المتصلة بالأسرة هو أن الإسلام ينظر إلى الأسرة نظرتين متكاملتين الأولى باعتبارها وحدة قائمة بذاتها ، لها كيان مستقل ولها مصالحها الخاصة القريبة . والثانية بحسبانها خلية حية فى كيان الأمة الكبيرة ، ولبنة فى بناء المجتمع ، عليها مسئوليات وواجبات نظير ما تحصل عليه من مكاسب ومصالح ، وما يدرأ عنها من أضرار وأخطار .

الأسس التى قامت عليها الأسرة :

يذهب علماء الاجتماع إلى أن الأسرة تقوم على مجموعة من القواعد تواضع عليها المجتمع كانتماء أفرادها إلى توتم واحد ، يتخذونه رمزاً لهم وهذا التوتم قد يكون نوعا من الحيوان أو النبات ، وليس من هذه القواعد صلات الدم والغرائز .

أما الشريعة الإسلامية فترجع هذه الأسس إلى الترابط بالزواج والمصاهرة ، والمنافع والمصالح التى تؤلف بين أفرادها .

على أن بعض هذه الأسس ثابت ، وبعضها مؤقت ؛ فمن النوع الأول صلات البنوة والأبوة ، ومن النوع المؤقت . الموالاة .

وقد ترتب على هذه الأسس قوة علاقة الفرد بأسرته ، أو ضعف هذه العلاقة ، وما يتبع ذلك من قلة حماية الأسرة له ، ومشاركتها إياه فيما ينوبه من محن ، وما يلتزم به من غرامات . بل أكثر من هذا اعتبرت الشريعة الإسلامية صلة الدين أقوى من أى صلة ولو كانت صلات القرابة القريبة . « إنما المؤمنون إخوة » وقال عليه السلام : « ترى المؤمنين فى توادهم ، وتعاطفهم ، وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » ، « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

ما تقوم به الأسرة الآن :

والحق أن الدين الإسلامى قد أوفى الأسرة حقها من التقدير والرعاية سواء كانت بمعناها الضيق أو بمدلولها الواسع ، نظراً لوظيفتها الخطيرة فى المجتمع؛ فهى التى تغرس فى نفوس الأبناء حب المعتقدات ، والقيام بالتكاليف الشرعية ، وهى التى تتعهدهم منذ نعومة أظفارهم بتربيتهم وجدانياً، وخلقياً، ولغوياً، وثقافياً ، كما توحى إليهم بحب الوطن ، وتنشئ لديهم الاتجاهات الأولى للحياة الاجتماعية المنظمة .

هذا من وجهة النظر إلى معنى الأسرة فى صورتها الضيقة القائمة على الزوجين وأولادهما ، وأقاربهما ، والتى توجب على كل فرد فيها واجبات معينة قبل سائر الأعضاء نظير ما ينتفع به من ميزات .

بل نجد الإسلام يوجب نفقة القريب المحتاج على قريبه القادر على الإنفاق ، وذلك لضمان التكافل العائلى بين أبناء الأسرة ، وتعاونهم جميعا فى السراء والضراء ، والسعادة والشقاء ، فى الحاضر والمستقبل .

وليس أدل على ذلك من تلك الوصايا الكثيرة التى احتواها القرآن الكريم ، والحديث النبوى الصحيح ، وأفعال الصحابة والراشدين من أبناء الأمة الإسلامية . فالقرآن يقول : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحسانا ، وبذى القربى واليتامى ، والمساكين ، والجار ذى القربى والجار الجنب » ويقول : « يسألونك ماذا ينفقون ؟ قل : ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين ، واليتامى والمساكين » ويقول : « إن الله يأمر بالعدل ، والإحسان ، وإيتاء ذى القربى » ويقول عليه السلام : من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان عنده فضل مال فليعد به على من لا مال له ... » .

فإذا كانت هذه النصوص - وغيرها كثير - توجب على المسلم رعاية أخيه فى الإسلام وشريكه فى العقيدة ، وتلزمه بمد يد المعونة إليه عند احتياجه ... أفلا يكون بر الأقارب الأدنين ، ومعاونتهم، ومشاركتهم وجدانياً عملا واجباً ، وقياساً لازماً ؟ ؟ .

الميثاق والأسرة :

وقد تناول (ميثاق العمل الوطنى) موضوع الأسرة من وجهتى النظر الاجتماعية والوطنية ففى الباب السابع يقول (إن الأسرة هى الخلية الأولى للمجتمع ، ولابد أن تتوافر لها كل أسباب الحماية التى تمكنها من أن تكون حافظة للتقاليد الوطنى ، مجددة لنسيجه ، متحركة بالمجتمع كله ، ومعه إلى غايات النضال الوطنى) .

كما تناول (الطفل والمرأة) وخصهما بمزيد عناية (فالطفولة صانعة المستقبل ، ومن واجب الأجيال أن توفر لها كل ما يمكنها من تحمل مسئولية القيادة والنجاح) ، (والمرأة لابد أن تتساوى بالرجل ، ولابد أن تسقط بقايا الأغلال التى تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع أن تشارك بعمق وإيجابية فى صنع الحياة) .

والمتأمل فى هذه النصوص لا يكاد يرى فيها خروجا على ما دعا إليه الدين فى جوهره ، غير أن نظرة الميثاق إلى الأسرة هى نظرة الإعداد الاجتماعى الخاص ليؤدى كل فرد فيها دوره فى خدمة الوطن وقت السلم ، وعند الكفاح المسلح . .

وهذا لا يتيسر إلا عن طريق التربية الدينية ، والوطنية ، والاجتماعية ، وتهيئة البيئة الصالحة ليتنفس فيها الطفل تنفساً سليما ، ولا يلمس إلا نواحى الخير والفضيلة .

محمد ابراهيم عبد الرحمن

[٣]

دراسات حول القرآن الكريم

للأستاذ محمد محمد الشرقاوي

ترتيب سور القرآن وآياته :

الترتيب الذى استقرت عليه سور القرآن الكريم كما نراها بين أيدينا فى المصاحف المتداولة . مبتدئة بسورة الفاتحة ، ثم البقرة ، ثم آل عمران . . فالنساء . . إلخ لم يكن من عمل الجامعين للقرآن أو الناسخين له . . ولا كان ثمرة اجتهاد فردى ، أو توافق جماعى .. وإنما هو صورة تشريعية مستمدة من صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم . . بطريق السماع منه ، والتلقى عنه . . فهى والحالة هذه ـ ليست مجالا للفكر والنظر . بعد أن حسم أمرها التوقيف والأثر .

ومثل هذا الكلام يقال بالنسبة إلى آيات القرآن الكريم .. فهى فى تسلسلها المشاهد ، وتنسيقها المتلو ، صورة منقولة فى دقة وإحكام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. الذى نقلها بدوره عن جبريل أمين الوحى عليه السلام . ذلك الذى صدع بها عن رب العزة جل وعلا .

وما قررناه بالنسبة لترتيب سور القرآن ، وتنسيق آيات تلك السور ـ نقرره أيضاً لأسماء السور التى وضعت للدلالة عليها .. سواء اتخذت هذه الأسماء صفة الفردية لسورها ، أو التعدد .

وكذلك كان الشأن فيما يختص بتحديد نقطة البدء والختام لكل آية على حدة ـ صغرت أم كبرت ـ ومعرفة أقدارها وفواصلها .

فكل ما تقدم من ترتيب للسور أو تسميتها ، أو تعاقب الآيات ، أو تحديدها .. لم يكن محلا لاجتهاد الصحابة رضوان الله عليهم . . بمعنى أنه لم يكن فيه لهم عمل حاسم .. وهذا لا ينفى أنه ظهرت لهم فى أول الأمر محاولات فى تنسيق السور اتسمت بطابع الجهد الفردى . . ولكن لم يكتب لها البقاء . .

وقد ظهر ذلك جلياً بعد أن لحق الرسول عليه الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى فى السنة العاشرة للهجرة وهى نفس السنة التى عرض فيها القرآن الكريم مع جبريل بمحضر من زيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما .. فقد نشط جماعة من الصحابة إلى المبادرة بجمع القرآن الذى لم تكن ظروف كتابته ، وأحوال تسجيله فى حياة الرسول ـ كافية لتأمين نصوصه وحمايتها من الدس أو التنقيص والتزيد ، وشمر كل من أنس من نفسه المقدرة ـ من ساعد الجد .. لجمع ما تفرق من القرآن فى مصحف .. وكان لكل جامع طريقته الخاصة فى الترتيب والتنسيق . ومن هنا ظهرت نماذج عدة للمصحف منها مصحف على بن أبى طالب رضى الله عنه الذى بدأ بسورة العلق ثم المدثر ثم نون ثم المزمل ثم تبت ثم التكوير .إلخ وقد ربط هذا المصحف بين السبق التاريخى للقرآن وبين التصنيف الجديد للمصحف ، وكان من الطبيعى تبعاً لذلك أن يتقدم فى مصحف (على) الوحى المكى ككل . . على الوحى المدنى ككل بعد مراعاة التنسيق فى كل منهما على حدة .

وفى جانب آخر من عمل الصحابة ظهر مصحف عبد الله بن مسعود يحمل فى طياته تنظيما مخالفا .. إذ بدأ بالفاتحة ثم البقرة ثم النساء ثم آل عمران . وهكذا على اختلاف شديد .

كما كان هناك فى نفس الوقت مصحف أبى بن كعب الذى اتسم بطابع جديد فى التنظيم حيث بدأ بالفاتحة ثم النساء ثم آل عمران ثم الأنعام ثم الأعراف ثم المائدة . إلخ على اختلاف شديد كذلك ..

وهكذا اعتمل فى رأى كل جامع ترتيب خاص لسور القرآن الكريم حسب ما هداه إليه رأيه الخاص ، وتفكيره المستقل، ووفق ما رأى وسمع ..

وكان هناك إلى جانب هذه المصاحف الثلاثة مصحف المقداد بن الأسود ، ومصحف أبى موسى الأشعرى وهذه المصاحف الخمسة هى أشهرما عرف فى ذلك الحين وإن كان معها مصاحف أخرى ..

وفى نفس الحال بدأ الخليفة الأول أبو بكر رضى الله عنه حركة جمع جديدة للقرآن الكريم .. باقتراح من عمر ، ومعاونة من زيد بن ثابت .. ففى أواخر السنة الحادية عشرة للهجرة وأوائل الثانية عشرة استدعى أبو بكر زيداً بحضور عمر .. عقب موقعة اليمامة .. فقال أبو بكر لزيد : إن عمر أتانى فقال : إن القتل قد استمر بقراء القرآن ، وإنى أخشى أن يستمر القتل بالقراء فى المواطن .. فيذهب كثير من القرآن ، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن ، وكانت مهمة جمع القرآن التى كلف بها زيد ، وأخذها على عاتقه - أثقل عليه من نقل جبل من مكانه لو كلف بنقله على حد تعبيره - لأن زيداً أخذ يتتبع القرآن شيئاً فشيئاً فيما تناثر من العسب (جريد النخل) واللخاف (الحجارة الرقيقة) والأكتاف (عظام البعير العريضة) والسعف والرقاع ، والأضلاع وقطع الأديم وأفواه الرجال ، وكان زيد بن ثابت لا يقبل قرآنا من رجل إلا إذا شهد به شاهد معه .

ولم يستثن زيد أحداً من هذه القاعدة إلا أبا خزيمة بن ثابت الأنصارى لأن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل شهادته بشهادة رجلين ، وأخذ عنه آخر سورة براءة ، والآية الكريمة : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ... إلى تبديلا » .

وجمع زيد كل ما توصل إليه من تلك المصادر ونسخه فى صحف من جلد وجريد نخل .. ثم حفظت هذه الصحف التى لم تحمل اسم المصحف - عند أبى بكر أولا .. فلما مات حفظت عند عمر .. فلما قضى .. حفظت عند أم المؤمنين حفصة رضى الله عنها .. وإلى هنا برز إلى حيز الوجود ما سمى فى التاريخ « جمع القرآن » فالتف المسلمون حول ما جمع من مصاحف . وكان أبرزها تلك الصحف والمصاحف الخمسة لعلى وابن مسعود والمقداد وأبى وأبى موسى الأشعرى .

بيد أن هذه المصاحف والصحف .. حملت فى تضاعيفها ظاهرة .. لم يكن من الميسور التغاضى عنها بعد أن لاحت نذر الخطر منها على الإسلام والمسلمين .

فقد بدا فيها اختلاف شاسع بين الأحرف التى كتبت بها ... إذ تعددت لغاتها .. وإن لم تتناقض معانيها ، وتعدد تبعا لذلك أتباع كل لغة وأشياعها .. فكان فى سورية مصحف أبى بن كعب بأحرفه ، وفى الكوفة مصحف عبد الله بن مسعود بلغته الخاصة .. ولأهل البصرة مصحف أبى موسى

الأشعرى بميزاته .. ولأهل حمص مصحف المقداد ابن الأسود بخصائصه .. وحينما غزا المسلمون أرمينية وأذربيجان ذر فى أفق المسلمين قرن الفتنة بتعصب كل إقليم للغة قرآنه، وحرفه الذى كتب به، ورأى أهل كل ناحية أن قراءته خير من قراءة الآخرين وسمعت الكلمة المخوفة : قرآننا خير من قرآنكم .

وأول من تنبه لهـذا الخطر الزاحف .. وقدر بفطنته أن وميض هـذا الشر الفاشى سوف يكون وراءه ضرام مدمر ـ هو القائد حذيفة بن اليمان .. فقد تقدم الكوفة وأفضى إلى أميرها سعيد بن العاص بمخاوفه .. ثم رحل إلى المدينة وقرع أجراس الخطر محذراً منذراً قائلا لعثمان كما روى البخارى عن أنس : « أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى » فوجدت تلك الصيحة المجلجلة فى قلب الخليفة الثالث صداها . وجمع عثمان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم واستشارهم فى مشروعه الجديد الذى يستهدف إخراج المصحف الموحد، وإعدام ما عداه . ودعا زيد بن ثابت الذى سبق له جمع القرآن أول مرة بأمر من أبى بكر ومشورة من عمر، وعمل جاهداً فى تضمينه صحفا وضعت أخـــيراً فى بيت أم المؤمنين حفصة رضى الله عنها .

ولاقى فى ذلك عناء أى عناء .. فأسند إليه عثمان ابن عفان مهمة نسخ القرآن فى مصحف تجتمع عليه الأقطار والأمصـار ويضع حـداً للخلاف والاختلاف وما يؤديان إليه من تصدع فى وحدة المسلمين ووقوع فيما وقعت فيه الأمم السابقة وهكذا تم على يد زيد بن ثابت مهمتان من أضخم المهمات التاريخية فى حياة الإسـلام أولها جمع المصحف فى صحف . وثانيهما نسخ المصحف من تلك الصحف ومن غيرها .. وكان نسخ زيد فى المرة الثانية للمصحف معتمداً على مصدرين : الصحف التى سبق له جمعها، وما صح ثبوته مما لم ينسخ ولو لم يوجد بتلك الصحف .. إذ أن الصحف التى جمعها أول مرة لم تستوعب كل آيات القرآن، ولذا لم تأخذ اسم المصحف وبقيت فى واقـع أمرها صحفاً لا مصحفاً .

وكان زيد بن ثابت رأس لجنة النسخ ـ التى تكونت منه ومن عبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وكلهم من القرشيين وقد وضع لهم عثمان مبدأ عاما يحتكمون إليه إذا اختلفوا فقـال لهم : « إذا اختلفتم فى شىء فاكتبوه بلغة قريش فإنه إنما نزل بلسانهم » .

ولم ينكر الصحابة عملية النسخ هذه التى توحدت بها المصاحف إلا عبد الله بن مسعود فإنه عارض فى ذلك .. ولكن انتصر الرأى الأول .. ولقد أثار العجب اختيار زيد بن ثابت لنسخ القرآن دون عبـد الله بن مسعود مع أنه حضر العرضة الأخـيرة للقرآن كما حضرها زيد وكانت قراءة ابن مسعود تسمى فى عرف الصحابة : « الأخيرة » ولكن إذا عرفنا أن عملية النسخ ارتكزت أساساً على صحف حفصة رضى الله عنها وأن هذه الصحف كانت فى الأصل من عمل زيد . أدركنا أن زيداً أقدر من غيره على استنساخها من جديد ولعل هذا هو السر فى اختيار زيد بن ثابت لنسخ القرآن دون غيره .

وبنسخ القرآن فى مصحف واحـد فى حرفه وفى لغته وفى رسمه وصورة ألفاظه توارى شبح الفتنة الرهيب من أفق الحيـاة الإسلامية ولا سيما

بعد أن أرسلت نسخ خمس أو ست أو سبع على الخلاف فى ذلك إلى الأمصار ، وبعد أن جمعت كل المصاحف التى سبق جمعها وأحرقت بأمر من عثمان إمعانا فى اجتثاث الخلاف من جذوره ، وإبقاء على أسس الوحدة الإسلامية قوية راسخة ، ولقد اقتصر فى مصحف عثمان الإمام على اللفظ المأذون فى كتابته ، وترك الباقى من الألفاظ التى سبقت كتابته بها ، وصار هذا الاقتصار كمن اقتصر على خصلة واحدة من خصال الواجب المخير .. لأن الأمر الصادر بقراءة القرآن بالأحرف السبعة لم يكن على سبيل الإيجاب .. بل كان على سبيل الرخصة والاختيار توسعة على الأمة بدليل الحديث القائل : « فاقرءوا ما تيسر منه » ...

قال البغوى : « المصحف الذى استقر عليه الأمر هو آخر العرضات على رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فأمر عثمان بنسخه فى المصاحف ، وجمع الناس عليه ، وأحرق ما سوى ذلك .. قطعا لمادة الخلاف ، فصار ما يخالف رسم المصحف فى حكم المنسوخ .. كسائر ما نسخ ، فليس لأحد أن يعدو فى اللفظ إلى ما هو خارج عن الرسم » .

ومن أمثلة ما خالف الرسم العثمانى ، وترك كما يترك المنسوخ « إذا جاء فتح الله والنصر » ، « أن تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج » ، « ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم لهن » .

ومع كل هذه الحيطة فى جمع القرآن ونسخه فقد وجدت بعض الخلافات البسيطة فى مصحف عثمان الإمام ومن أمثلة ذلك : ما وقع فى المصحف المكى « تجرى من تحتها الأنهار » فى آخر سورة براءة ، وفى غير هذا المصحف بدون من ، كذلك ظهرت بعض واوات ولامات وهاءات ثبتت فى بعض النسخ العثمانية دون البعض ..

وهذا محمول على أنه نزل بالأمرين معاً .. وأمر النبى صلى الله عليه وسلم شخصين بكتابتهما ، أو أعلم شخصاً واحداً مرتين ، وأمره بإثباتهما .. ، ولهذا جرد الخط الذى كتب به المصحف الإمام من النقط والشكل حتى يكون مطواعا للمصدرين اللذين استمد منهما القرآن : وهما العرضة الأخيرة التى لم يترك منها حرف واحد ، وما صح ثبوته مما لم ينسخ ولو لم يرد بتلك العرضة ـ كما حققه ابن الجزرى ـ فيكون اللفظ الواحد بدون النقط والشكل ـ دالا على كلا المعنيين المتلوين .. فتكون دلالة الخط الواحد . كدلالة اللفظ الواحد .

وقد اشتمل المصحف الإمام من الأحرف السبعة التى أنزل عليها القرآن ـ والمقصود بها مترادفات للكلمة الواحدة لا تزيد على سبع غالباً ـ على ما اتفق مع رسم المصحف العثمانى ، وما احتمله اللفظ وطاوعته صورته . أما ما خالف هذه الصورة التى كتب بها المصحف فقد تركت .. كما يترك المنسوخ . وقد نقل السيوطى الإجماع على هذا الرأى من علماء الخلف والسلف .

وقد سئل ربيعة .. لم قدمت البقرة وآل عمران فى المصحف الإمام ، وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة ، وإنما نزلتا بالمدينة ؟ فقال : « قد قدمتا ، وألف القرآن على علم ممن ألفه ، وقد اجتمعوا على العلم بذلك .. فهذا مما ينتهى إليه ، ولا يسأل عنه » .

كما جاء فى الإتقان للسيوطى : « أن الرسول صلى الله عليه وسلم رتب المصحف ، وألف السور على النحو المعروف لنا ، وقد سمع هذا الرأى عن مالك وأبى بكر الأنبارى وعليه الجمهور .

محمد محمد الشرقاوى

فلسفات شرقية

الفلسفة الچينية

للأستاذ محيي الدين الألوائي

— ٢ —

يقول الفلاسفة الجينيون إن «ترى رتنا» أي الجواهر الثلاثة هي السبيل المثلث لأن تحصل الإنسانية على كمالها، وتظفر بسعادتي الحياتين، ولهم بحوث قيمة حول هذه الجواهر الثلاثة، وهي:

(١) الاعتقاد الصحيح، والذي هو رأس التطهر الروحي وطريق النجاة الأبدية، وهو الاعتقاد بالصراط المستقيم والمنهج القويم، وبكل ما اهتدى إليه العارفون. ولا تتحقق العقيدة السليمة الخالصة عندهم إلا بطريق البعد عن أكدار الحياة الفانية والتخلص من الأدران اللاصقة بها التي تمنع الروح من الصفاء التام، والاطلاع على مخفيات الأمور والعلم الصحيح، فيجب أن تكون العقيدة سليمة من كل ريب أو شبهة. وينبغي أن يكون مظهرها الحزم والعزم والثبات والاستقرار التام. وأن عقيدة من هذا القبيل لا تتزعزع ولا تزول عند الملمات ومصائب الدنيا الفانية.

(٢) والعلم الصحيح: وهو في الدرجة التالية للاعتقاد الصحيح ومعرفة الكون من شتى النواحي الروحية والمادية، وطبقا لهذا العلم، تختلف درجة الرقي والكمال باختلاف قوة البصيرة، وصفاء الروح من الاختلاط بالأمور المادية، ويستطيع الشخص الذي يتدرج في فصل المادة وأثرها عن قوته الروحية وإشراقها، أن يرى الكون في صورته الحقيقية، وتنكشف لديه الحقائق وترتفع عنه الحجب المادية، وإذا وصل الإنسان إلى هذه الدرجة لا يشتبه عنده الحق بالباطل، والظن باليقين. ولا يتوصل الإنسان إلى هذه المرحلة إلا بتحصيل العلم الصحيح أي العلم الذي يفرق الأمور الروحانية من الأمور المادية بعناصرها وتفاصيلها ومجملها.

٣ — الخلق الصحيح: وهو يلي العلم الصحيح رتبة، ولكنهما متلازمان إلى حد ما، لأن التحلي بالأخلاق الفاضلة والتخلي عن الأخلاق الوضيعة، لا يتحقق إلا بعد الحصول على العلم الصحيح، فإذا تم له العلم الصحيح، والخلق الصحيح فقد نجا تماما من تقلبات الحياة وتطوراتها، وتخلص من أدران المادة وغشاواتها الكثيفة، وعندما يصل العارف إلى هذه الدرجة من السمو والصفاء يجد لذة روحية دائمة لا يشعر بها أهل الدنيا مهما بالغوا في متع الحياة الدنيا وزخارفها.

مبادئ الجينية لتطهير الروح:

ومن أمهات المبادئ الجينية لتطهير الروح:

١ — أخذ العهود والمواثيق، وللمواثيق أثر بالغ في هجر الأخلاق السيئة، والتمسك بالأخلاق الصالحة حيث تناسب الزهد والتقى.

٢ — التقوى: هي المحافظة على الورع والاحتياط في الأقوال والأعمال والحركات والسكنات في جميع مرافق الحياة البشرية، وتجنب الأذى والضرر لأي كائن حي مهما كان حقيرا!

٣ — التقليل في الحركات البدنية، وفي الكلام وفي التفكير في الأمور الدنيوية والبدنية خوفا

من ضياع الأوقات النفيسة حتى يستطيع أن يركز همه فى الأمور الهامة .

٤ — التمسك بخصال عشر وهى عندهم أمهات الفضائل وأخلاق الكمال : (١) العفو (٢) الصدق (٣) الاستقامة (٤) التواضع (٥) النظافة (٦) ضبط النفس (٧) التقشف الظاهرى والباطنى (٨) الزهد (٩) اعتزال النساء مطلقا (١٠) الإيثار .

٥ — التفكر فى الحقائق الأساسية عن الكون عامة وعن النفس على وجه خاص ، لأن التأمل والتفكر هما السبيل الوحيد للتوصل إلى حقائق الأمور النفسية والكونية ، فالأمور الكونية منها ما هو ظاهر يمكن الوقوف عليه بالحواس ، ومنها ما هو خاص بالأفكار الذهنية فلا يتأتى الوصول إليها ، وإلى الأسرار الكامنة فيها إلا بمنظار التأمل والتفكر ، لهذا جعلوا التأمل فى الكون والنفس من العناصر الرئيسية لتطهير الروح ، وتزكية النفس من أدران المادة وشوائبها .

٦ — السيطرة على متاعب الدنيا وهمومها التى تنشأ من الأعراض الجسمية أو المادية من مشاعر الجوع والعطش والبرودة والحرارة وسائر أنواع الشهوات المادية ، وعليه أن يضرب حصنا متينا على نفسه ليتخلص من هذه الأعراض والحواس والتأثر بها .

٧ — القناعة الكاملة والطمأنينة والخلق الكامل والطهارة الباطنية والظاهرية ، وتدعى الجينية أن هذه المبادئ السبعة تسرح الإنسان من الوثاق الذى يشده بالحياة الدنيا ويسلب عنه الراحة والطمأنينة وإذا اتصف بهذه الصفات السبع فإنها تخرجه من الظلمات التى تحيط به من هموم الدنيا ومشاكلها ، حتى تصير روحه حرة طليقة تسبح فى سماء المعرفة فتحيط بالعلوم الربانية والكشف العلمانى الباطنى .

حقيقة العمل فى نظر الجينية :

ترى الجينية أن الأعمال هى التى تحدد مستوى الوجود ارتفاعا وانحطاطا ، ولا يوجد الكمال الكسبى أو النسبى أو الروحى أو المادى إلا لأجل الأعمال السابقة التى توجب هذه الأعراض أو تمنعها فلا توجد درجة ما فى الكون إلا ويستطاع الوصول إليها بالأعمال الموجبة لها ، وكذلك لا توجد الذلة والمهانة إلا بسبب الأعمال التى تؤدى إليها ، وقسموا الأعمال حسب تأثيرها إلى ثمانية أقسام رئيسية :

الأول : العمل الذى يستر عن الروح اعتقادها الحق.

الثانى : العمل الذى يستر عنها علمها الصحيح .

الثالث : العمل الذى يحث الإنسان على الانغماس فى متع الحياة الدنيا وهذا العمل يستر عن الروح سرورها الأبدى .

الرابع : العمل المضلل ، يعنى العمل الذى يضلل الإنسان فكريا أو ممارسة ولا يساعده على الاستقامة فى الأفكار أو الأفعال بتأثير من نوع هذه الأعمال التى تبعث الإنسان على الانصراف عن الاستقامة فى الفكر والعمل .

الخامس : العمل المحدد للآجال وهو العمل الذى يحدد عمر الإنسان طولا وقصرا . فتقصر الأعمار وتطول حسب هذه الأعمال وتأثيرها فى الروح والجسم .

السادس : العمل الجسدى أى العمل الذى يقهر الروح على التعلق بالأجساد ويكون باعثاً على البقاء فى ظلماتها الكثيفة المادية .

السابع : العمل المحدد لاحتفاظ الروح بملذات الدنيا وزخارفها وهى الأعمال التى تشرف وتؤثر على مقدار الالتذاذ والتمتع بالحياة الدنيا .

الثامن : العمل المشخص ، وهو الذى يحدد ويشخص المستوى الروحى ويعين نسبته من هبوط

وارتفاع ونقص وكمال وكل واحد من أقسام هذه الأعمال المذكورة محسوس ومرئي في رأي الجينية لأن ما ليس بمرئي ومحسوس لا ينفع ولا يضر. واكتفوا بمحسوسات الأعمال لا بمدلولاتها، وجعلوا الأعمال معيار السعادة والشقاوة ويقولون إن الذين سدوا أبواب هذه الأعمال الثمانية وطهروا نفوسهم من أدران المادة يصلون إلى درجة الكمال والمكانة العليا من العلم الروحي والسرور الأبدي والطمأنينة النفسية والروحية.

إن الآلهة والنفوس العلوية ليست بكائنات تمتاز وتنفرد تماما عن الأرضية جنسياً ونوعياً، وفي رأيهم أنها وصلت إلى هذه الدرجة العليا جزاء ما اكتسبت من الحق والأعمال الصالحة الموجبة لهذه الرتبة السامية، أما الجواهر المادية وأوصافها اللازمة، أو خصائصها المميزة فأزلية فوجودها وعدمها من ناحية العوارض والتقلبات فقط، أما الأعراض القديمة فتحل محلها أعراض أخرى جديدة بعلل كامنة في طبائعها ومعداتها الخارجية وقرروا وجود جواهر وخصائص مستمرة التقلب والتغير مجتمعة ومتعاونة، ومنها الدهر، والطبيعة والعمل، والضرورة، والرغبة في الوجود والبقاء وكل منها - في نظر الجينيين - قديمة مثل الجواهر الكونية وخصائصها اللازمة. ويقولون: إن القوانين الأخلاقية هي القوانين الطبيعية الكونية نفسها.

العلم — أقسامه وحدوده:

قسموا العلم إلى خمسة أنواع حسب مصادره الضرورية المشهورة، ووضعوا تعاريف خاصة لكل منها، وهذه هي تلك الأقسام الرئيسية.

١ — العلم بالحواس (مدى جنانا) هو الإدراك بالحواس والقوة الذهنية معا ويشمل العلوم المختزنة في الحافظة، والاستذكار بواسطة الصــــور المخزونة، وينطوي على القياس والاستقراء المبنيين على المشاهدة ويحتوي هذا النوع من العلم أي «مدى جنانا» على الفهم والحفظ والإحساس ويقولون: إن هذا العلم يستلزم حضور الأشياء المعلومة للحواس أولا حتى يتم الإدراك بها؛ هذا هو أظهر أنواع العلوم في الأذهان والحواس.

١ — العلم بالوجدان «أو ادهي جنانا» وهو إدراك الأشياء ذات الصور دون حيلولة الباصرة وهو ملكة اكتسابية تختص بها البشرية، ويوصل إلى هذا النوع من العلم بصقل الروح صقلا كاملا، وهذا الإدراك هو إدراك مباشر الروح بنفسه بدون حائل ما فلا يتعدى هذا الإدراك عن المبصرات.

٣ — العلم الوجداني المحيط — (كوالا جنانا) هو علم وجداني يحيط بالكل من غير واسطة آلة خاصة، وإذا تطهرت الروح من سيئات الأعمال وتبددت السحب الكثيفة عن جوانبها فتشعر بكل شيء ويتجلى للإنسان الكون بأجمعه بصرف النظر عن اختلاف الأزمنة والأمكنة وبعد المسافات وتعدد القارات ولا يغيب عن علمه شيء في السموات والأرض ظاهره وباطنه وبعبارة أخرى إنه هو انكشاف الحقيقة كما هي بجميع علاقاتها وإضافتها في الأزمان والأكوان قديما وحديثا، وإذا طلع نجم هذا العلم في فلك المعرفة تغرب شموس العلوم الأخرى وتحيط بها الغياهب والظلمات.

٤ — العلم بقراءة الأذهان، ويعرف بعلم: (مناپا ديانا جنانا) ويراد به علم مخفيات الضمائر، وما في السرائر، وهو أيضا من سلسلة الكشف الروحي من غير واسطة أخرى، ويقول الجينيون: إن هذا الكشف لا يناله إلا الذين قد هجروا الأهل والسكن، وطهروا نفوسهم من أدران الأعمال بالرياضات الشاقة، فيدركون به التصورات الذهنية من الأشياء المادية، وصاحب هذا العلم تنكشف له

الانفعالات الخاصة والتغيرات التى تحدث عند التأمل والتصور .

٥ — العلم بالوثائق المقدسة (شروتا جنانا) والمراد به المعلومات الحاصلة من الوثائق والمصادر المقدسة المستخرجة من نصوصها ورموزها وعلاماتها وألفاظها وحروفها ، ولا يتأتى هذا العلم إلا بواسطة النقوش أو الأصوات الخارجية وقسم الجينيون ـ كسائر طوائف الهندوس ـ العلم المستخرج من الكتب المقدسة إلى أربعة أقسام : بالمداولة أى (ابدى) وبالتوجه والتركيز أى (بهاونا) وبالفهم أى (أوبانوك) وأخيرا العلم بالمدلولات المختلفة لنصوص الكتب ، ويقال لهذا النوع من العلم (العلم غير المباشر) لتوسط الآلات والحواس والكتب بينه وبين المعلومات الحاصلة منها ، وقد ذهبوا إلى أن الإدراك الأشياء ذات الصور ، وعلم مخفيات الضمائر والسرائر ، والعلم الوجدانى المحيط بالكل لا يقبل الخطأ ، ولا يحتمل الشبهة والريب ، أما علم الإدراك بالحواس والعلم المستخرج من الكتب المقدسة فيحتملان الخطأ والصواب .

وللجينيين بحث خاص عن الشعور وتعريفه ، فقالوا : إن الشعور ينشأ إما من التصور أو من التعقل ، أما التصور فهو الإدراك البسيط المبهم بدون تفصيل بينما التعقل هو الإدراك المستوعب لأجناس الأشياء وفصولها ، ولهم بحث طويل عن: (درشنا) أى التصور للوجدان النفسى ، و (جنانا) أى التعقل للموضوعات والمواد الخارجية وتدرك الأشياء أحيانا بحقائقها وأوضاعها الحقيقية الأصيلة وأخرى بإضافاتها وعلاقاتها ، والأحكام كلها لدى الجينيين إضافية تحتمل الصدق والكذب فلا تحكم على أية قضية بالصدق مطلقا ، وكل حكم يصدق من ناحية يحتمل الكذب من ناحية أخرى ، فقسموا القضايا وأحكامها إلى عدة أقسام حسب اللفظ والمعنى وبحسب المادة والصورة ، وهكذا استقصوا جهات الصدق والكذب فى كل القضايا والأحكام ، وحصروا القضايا الممكنة الصدق فى سبع قضايا :

(١) الإيجاب مثلا (كائن بالإمكان) . (٢) السلب مثلا (ليس بكائن بالإمكان) الشىء من جهة مادته وصورته كائن ، ومن جهة مادة غيره وصورته ليس بكائن . (٣) الإيجاب والسلب معا (كائن وليس بكائن بالإمكان) مثلا : الشىء من جهاته الخاصة كائن وليس بكائن بالنظر إلى غير تلك الجهات الخاصة . (٤) الإيجاب والسلب معا مع كونه غير صالح الحكم عليه مطلقا ، مثلا : كائن وليس بكائن وغير صالح للحكم عليه بالإمكان ، لأن الشىء يكون كائنا من جهات وغير كائن من جهات أخرى فلا يحكم عليه بهما معا فى وقت واحد . (٥) كون الموضوع غير صالح للحكم عليه سـواء كان الحكم إيجابيا أو سلبيا . (٦) الإيجاب مع كونه غير صالح للحكم عليه . (٧) السلب مع كونه غير صالح للحكم عليه . وهذه الصفات كلها إمكانية فإن أحكامها جميعاً تحتمل الصدق بدون ضرورة ، ولا يوجد شىء فى الكون إلا وهو قابل التغير والتقلب ، وهما من النواميس الطبيعية وفطرة الخلق ، وكل موجود فى الكون مضاف إلى الظروف وقابل لاعتبارات عديدة ، وهكذا يقبل الإيجاب فى الحكم أحيانا والسلب تارة أخرى ، وهذا الرأى يوافق تماما رأى الطائفة الجينية القائلة بأن « الأحكام كلها إضافية » وإن التطهر والصقل لا يتأتيان إلا بالعلم الصحيح فليست للعلم قيمة تذكر عندهم إلا للانتفاع فى عمل الخيرات وتجنب السيئات فى مرافق الحياة .

الأدب الجيني :

الأدب الجيني : عبارة عن الخطب والوصايا والمكالمات التي تواوثها الجينيون من الرهبان والنساك جيلا بعد جيل ، فلم تكن مقيدة بالكتابة في أول الأمر . فلما كان القرن الرابع قبل الميلاد عقد زعماء الطائفة مجلساً خاصاً لوضع مستندات مكتوبة للطريقة الجينية ، وتنظيم القوانين الخاصة للديانة المقدسة ، فجمعوا مجموعة من الأبواب والفصول من تلك الخطب والوصايا في كتاب خاص، ولكن لم ينجح ذلك المجلس في وضع كتاب يجمع عليه ، فاختلف الحاضرون أنفسهم على بعض ما اختاروه وقرروه من تلك الخطب والوصايا. ويقال : إن القانون الجيني لم يقيد بالكتابة إلا في عام ٥٧ م ، وضاعت ذخيرة هامة من المحفوظات بموت الحفظة الذين كانوا يحفظونها عن ظهر قلب ويلقونها على مريديهم في شتى المناسبات .

وفي القرن الخامس الميلادي عقدوا مجلساً عاما في بلدة « ولابي » واختاروا مجموعة الأدب الجيني المقدس لآخر مرة . وفي ذلك المجلس جمعوا حوالى أربعة وثمانين كتابا ووافقوا على أنها مستندات دينهم ومراجع قوانينهم ، ومبادىء طريقتهم المنيعة ، وكانت لغة هذه الكتب والوثائق اللسان المعروف باسم « اردماماكدى » .

ثم انتخبوا السنسكرتية لغة رسمية للأدب الجيني في القرون الأولى للميلاد .

الفرق الجينية :

تسرب الاختلاف مرتين إلى صفوف الجينية في أيام حياة « مهاويرا » نفسه ، ولكن ذلك الاختلاف لم يدم كثيراً وعادت المياه إلى مجراها الطبيعي بفضل جهود المشرفين عليها ومساعيهم الجيلة ، وبدأت تتدرج في الانتشار في شتى بقاع الدنيا بخطى سريعة ثابتة . وكانت مدينة « مكدا » عاصمة الفلسفة ومركز الأدب الجيني ومحط آمال الجينيين ، وبعد وفاة « مهاويراء » بقرنين تقريبا كان أهالي المدينة يقاسون قحطاً شديداً ومجاعة كبيرة ، فأصبح ذلك العدد الضخم من أتباع الجينية والرهبان ، والنساك ، الذين كانوا يعيشون بالتبرعات التي يجمعونها من أهل القرى والمدن وصدقات أصحاب الجود والكرم ، أصبحوا في ضنك من العيش ، فاضطروا للهجرة إلى أماكن أخرى طلباً للرزق وليقل عدد المقيمين فيها ، وليتخفف العبء على سكان المدينة نفسها ، فارتحل حوالى نصف عدد هؤلاء الرهبان والفقراء إلى جنوب البلاد تحت رياسة « بدهرا باهو » بينما استقر فيها النصف الآخر تحت قيادة « استولا بهادرا » .

وكان هذا الافتراق بادىء بدء لاختلاف الآراء في صفوف الجينية ، وبذر بذور الفوضى في النظام الجيني . ومنذ ذلك الحين انقسمت الجينية إلى قسمين رئيسيين:

الأول : يدعى « سوتامبرا » أي أصحاب الزي الأرضي الأبيض .

والثاني : يسمى « ديكامبرا » أي أصحاب الزي السماوي وهم العراة من الزي .

وبعد ذلك تشعب كل من الفريقين إلى عدة فرق وطوائف حسب الاختلافات الفرعية بمرور الزمن وتقلبات الظروف والأماكن .

وبالجملة : أن هاتين الفرقتين من « الجينية » أي « سوتامبرا » و « ديكامبرا » لا تختلفان من حيث المبادىء والأصول الجينية حسب تعاليم « مهاويرا » ويرجع الخلاف إلى الأمور الشكلية والفرعية فقط . وليست له أيضاً قيمة تذكر من النواحي التاريخية للفلسفة الجينية ورجالها ؟

محيي الدين الألوائي

لا تظلموا ابن عبّاس ..!

للأستاذ علي العماري

قرأت (قالة) في عدد رمضان من مجلة الأزهر ، وما انتهيت من قراءتهـــا حتى وجدت الأسف يتملكني :

أولا : لأن واحداً من بني الإنسان لم يستطع أن يضبط أعصابه أمام كلمة حق لم يرد بها إلا وجه الله تعالى ، فراح يهذي بكلام أبعد ما يكون عن الحق والصواب .

وثانياً : لأن مجلة الأزهر - ولأول مرة في تاريخها - وهي المجلة الوقور اضطرت - عملا بحرية النشر - أن تسود بعض صفحاتها بهذا الغثاء .

ومما زاد الطين بلة أن هذه المجلة الكريمة علينا جميعا نشرت ما لم يكن ينبغي أن ينشر في شهر رمضان المبارك .

ولعل المجلة أرادت أن تبين للقراء - وبنموذج مكتوب - الطريقة المثلى في المناقشات العلمية عند هؤلاء الذين يتصدون للقول في تاريخ الإسلام بغير علم .

وقد خطر لي - بادئ ذي بدء - أن أعفو عن صاحب هذه (القالة) فلا أثقل على قلبي ولا على القراء بتذكر ما كتب ، ولكنني ذكرت أن الموضوع يتصل بالدين ، وليس من حقي أن أسكت عن بيان وجه الحق فيه ، وذكرت - ثانياً - قول شاعرنا شوقي - ويبدو أن تذكره ضروري في بعض الأحايين :

والشر إن تلقه بالخير ضقت به ذرعا ، وإن تلقه بالشر ينحسم

وها أنذا أكتب هذه الكلمات وأنا كاره أشد الكراهية .

وقبل أن نعاسر (صاحب القالة) الحساب على (ما قاءه) فوق صفحات مجلة الأزهر نقف وقفة قصيرة عند الكلمة الوحيدة التي تعتبر - على ضعفها - في الموضوع ، فقد قال إنه (اعتمد على ما روى عن ابن عباس) في تفسير "الطير الأبابيل ، ولو كان جادا يحترم نفسه ، ويحترم القراء لنقل لنا ما قاله هذا الحبر ، ولكن يبدو أن أحدا لقنه هذا الكلام ، وظن فيه مخلصا ، فلما رجع إلى المصادر وجد قول ابن عباس لا يؤيد زعمه ، وهذا إذا أحسنا به الظن ، وتخيلنا أنه فهم ما روى عن ابن عباس .

ولعل من واجبه علينا - كما هو واجب أمثاله - أن نشرح له ما غمض عليه ، فنقول - وبالله التوفيق - اعلم - وفقك الله وهداك - أن كتب الحديث والتفسير روت عن ابن عباس في حادثة الفيل روايات ، منها ما رواه ابن سيرين عنه في صفة الطير ، قال : كانت طيراً لها خراطيم كخراطيم الفيل ، وأكف كأكف الكلاب ، وما رواه عطاء عنه أيضاً قال : طير سود جاءت من قبل البحر أفواجا أفواجا .

وأظن أن الذي يصف شيئاً يعترف بوجوده .

وكل من أنكر ذلك ينبغي ألا يكلم ، بل إننا نتهم عقولنا إذا خطر لنا أن نجادله .

أما الرواية التي لقنها (صاحب القالة) وظن أن فيها غناء ، فما رواه عكرمة عن ابن عباس لما أرسل الله الحجارة على أصحاب الفيل لم يقع حجر على أحد منهم إلا نفط جلده ، وثار به الجدري وعلينا أن نشرح (للمؤلف الكبير ، والعالم النحرير) متبسطين ما أمكن حتى يفهم ، فنقول : يا هذا في العبارة المروية ثلاث جمل في كل منها فعل وفاعل ، وفي الأولى منها مفعول (لم يقع حجر على أحد إلا نفط جلده ، وثار به الجدري) . يقع فعل ، وحجر فاعل ، و (على أحد) في مكان المفعول . وطبعا الفعل يقع من الفاعل ، وهكذا في الجملتين الأخريين . فإذا . هنا حجر وقع ، وإنسان وقع عليه الحجر . ونتيجة لهذا الوقوع ، وهي نفط الجلد وثوران الجدري . فالجدري نتيجة لوقوع الحجر . وإذن فابن عباس لم ينكر أن حجرا وقع - بل لقد روى عنه في وصفه حديث - ولم يجعل الجدري طارئا مع جيش أبرهة ، ولم يجعله عاصفا بأهل مكة قبل مجيء هذا الجيش .

ولكي يتأكد القراء أننا لم نتجن على (صاحب القالة) نعيد مرة أخرى ماكتبه في هذا الشأن : قال في صفحة ٢١ من كتاب : (ولكن مكة بلد يغشاه الوباء . .. جاء الوباء مع أبرهة ملك الحبشة الذي أراد أن يستولي على مكة ، ويهدم الكعبة) .

وقال في صفحة ٢٢ من نفس الكتاب : (ولم يكد جيش أبرهة يتقدم حتى عصف برجاله الوباء الذي كان يعصف بمكة ، فإذا برجال أبرهة يتساقطون مرضى بالجدري ، ومنهم أبرهة نفسه ، وما أغنى عنهم الفيل . وهكذا فر أبرهة عائدا إلى صنعاء بفلول جيش ممزق يتخاطف الوباء والموت من بقي من رجاله . فيتهاوون على الطريق كعصف مأكول) .

والواضح من العبارات الأولى أن الوباء جاء مع جيش أبرهة ، وأنه أصاب أهل مكة بعد مجيء هذا الجيش ومن الثانية أن الوباء سبق جيش أبرهة وبدهي أن المؤلف لم يفطن لهذا التناقض .

ولكن الذي ينبغي أن يفطن له أن كلا من العبارتين يجعل ما أصاب جيش أبرهة وباء لا صلة له بالطير الأبابيل .

فلعل (صاحب القالة) لا يتمسح بعد ذلك في ابن عباس ، ولا في غيره من العلماء ، ولعله لا يجيء ليعلمنا أن ابن عباس إمام المفسرين بالإجماع .

وقد كان يمكننا أن نقول له شيئاً لا يعرفه ، وهو أنه لم يصح - عند العلماء - عن ابن عباس إلا مائة حديث على كثرة ما روى له . ولكننا آثرنا أن نسلم له أن ما قاله ابن عباس في هذه الحادثة صحيح عنه ، ثم نضع يده على التفسير الصحيح .

ومن مغالطات المؤلف - أو من عدم إدراكه لا أدري - أن يدعي أن الخلاف بيننا على تأويل آية (الطير الأبابيل) فهو يقول : كل ما في الأمر أني أخذت بتفسير (طيرا أبابيل) على تأويل الآية ولكنك تريد أن تفهمها بظاهر النص ، لقد تابعت أنا ابن عباس ، وتابعت أنت غيره .

وهذا كلام يراد منه إيهام القراء بأن (صاحب القالة) يعترف بوجود هذه الآية في حين أن كلامه واضح في أنه يتجاهلها ، فأين في كلامه الذي نقلته (تأويل الآية) لقد قال إن الوباء جاء مع جيش

أبرهة، أو كان يمصف بمكة قبل مجيء الجيش فهل يفهم من ذلك أن الوباء نتج من رمى الطير بالحجارة، ومن رمت يا ترى، جيش أبرهة، أم أهل مكة ؟!.

ويعود للمغالطة مرة أخرى فيقول: ما هو الفرق بين أن تفسر الآية بظاهر النص أو بالتأويل.

وأقول له: إن معنى التأويل أن تنظر فى اللفظ وتؤوله أما أن تتجاهله كلية فليس هذا من التأويل، ولا من التفسير.

وإنى لأعجب عجبا لا ينقضى من تبجحه، وادعائه أنه اعتمد على القرآن والتفسير وكتب الدين وإنى لأؤكد له أنه لم يفهم إلى الآن الفرق بين تأويل آية، وبين إهمالها، ولم يفهم كلام ابن عباس على وجهه الصحيح لأنه لا يريد أن يفهم إلا ما كتبه المستشرقون.

إن تأويل الحجارة بأنها (الجراثيم) وإن كان تأويلا فاسداً غير إنكار الآية، فالمؤول يضع النص أمامه ثم يقول فى فهمه ما يشاء عن علم أو عن جهل أما تارك النص فهو الذى يقول عن شىء صنعه الله بجيش أبرهة أنه جاء مع الجيش، ومعنى هذا أن الله لم يرسله عليهم ... وشتان بينهما.

وما بال (صاحب المقالة) لم يصح عنده فى تفسير الآية إلا ما ارتضاه المستشرقون هل يستطيع أن يفتينا ما وجه الترجيح، وهل جاء ذلك التفسير فى القرآن أو فى كتاب من كتب التفسير أو كتب الدين التى اعتمد عليها - كما يزعم -.

أعتقد أن الجواب هناك عند كلامه على غزوة الأحزاب، وعدم التفاته أية التفاتة إلى قوله تعالى «يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها».

وهو يفهم - إن كان عنده أدنى فهم - ما أعنى بهذا الكلام.

لقد علق الآمدى (صاحب كتاب الموازنة) على بيت لأبى تمام، ولما ضاقت نفسه بما فى البيت من غثاء صاح: فيامعشر الشعراء والبلغاء، ويأهل اللغة العربية. ألا تسمعون ؟!. ألا تضحكون ؟!.

ونحن - والله - قد غشيت نفوسنا بما فى كلمة (المهذب جداً) فأردنا أن نقول كما قال الآمدى ولكننا وجدناه دون ما نريد أن نقوله بكثير.

أظن أن المؤلف بعد ما قلنا - إن كان فهمه - لا يستطيع أن يعيد مرة أخرى أن هذا الذى جاء فى كتابه رأى لابن عباس، أو لأحد من علماء المسلمين. ولم يبق إلا أن نحلف له بالله أن ابن عباس مظلوم معه، ومع أمثاله ممن لا يفهمون!

ثم لنعد إلى ما أطال به من سخافات:

أول ما طالعنا به أن كتابه ليس كتاب سيرة، ثم عاد ليؤكد هذا مرة أخرى. فما معنى هذا ؟ هل معناه أنه إذا لم يكن كتاب سيرة فلا بأس بالانحراف فيه ؟ هل معناه أنه إذا لم يكن كتاب سيرة فلا بأس أن يقول صاحبه عن أصحاب محمد الذين شهدوا بدرا وأحدا ما لم يقله أشد المتعصبين على الإسلام وإنى لأنقل هنا بعض ما قاله كارها، آسفاً، خجلا من المسلمين فى كل مكان تقرأ فيه مجلة الأزهر. قال - غفر الله له -: (كثيراً من المسلمين هربوا إلى الجو الصاخب فى بيوت اليهود بعد الانهيار النفسى فى غزوة أحد — وروح محمد

من مناظر الرجال البواسل الذين ناضلوا معه فى بدر وأحد ينحدرون الآن فى يأس قاتل. فما يفيق الواحد منهم من الخمر، ما يغادر أماكن القمار إلا ليستمتع بإحدى المغنيات أو الراقصات اليهوديات ... ولا شىء بعد يملأ القلب والفكر غير الرغبة فى الفرار من الواقع المعذب ... غير أحلام مريضة بالغنى والمتاع، والبحث المضطرب عن العزاء !) فى صفحتى ٢٢٧ — ٢٢٨ من كتابه محمد رسول الحرية طبعة دار الهلال.

هكذا يصور المؤلف الذى لسنا (أكثر غيرة منه على هذا الدين) وهذه عبارته، يصور أصحاب محمد بعد أحد: خمر — قمار — تمتع بالراقصات اليهوديات — أحلام مريضة بالغنى والمتاع.

ألا يجد هؤلاء الذين يكتبون عن صحابة الرسول بمثل هذا الأسلوب من يقول لهم: (كخ يا واد).

والحق أنى لم أفهم وجه دفاعه بأن كتابه ليس كتاب سيرة كما لم أفهم من قبل تعليق صديقنا المفضال الشيخ عبد الرحيم فوده حين كتب معتذرا عن (صاحب المقالة) معلقاً على مقالى الأول بقوله (ذكر المؤلف فى مقدمة كتابه أنه لم يكتبه للمسلمين كما ذكر ذلك لبعض من لاموه على ذلك من أصدقائه

فهل معنى هذا أن الكتاب ما دام لغير المسلمين يصح لمؤلفه أن يصوغ حقائق الإسلام كما يشاء، وأن يتجنى على القرآن والرسول والصحابة كيف أراد ؟.

ويقول (صاحب المقالة) : (فالمقال إهدار لآداب الدين، واستهتار متحد لقواعد الجدل). ما شاء الله !.

المقال الذى يدافع عن القرآن ورسول الإسلام إهدار لآداب الدين فما آداب الدين يا هذا ؟.

أمن آداب الدين أن تأتى لتدافع عن نفسك ما دفعتك به من كلمة محقة بهذا الهذر الذى لا يمكن أن يستسيغه ذوق سليم ؟.

أمن آداب الدين أن تعتبر التفسير الصحيح لآية قرآنية كريمة شتائم توجه إلى من تجاهل هذه الآية ؟ أمن آداب الدين أن تقول عن حمزة ما يفيد أنه كان يفجر بفاتنات إسرائيل ؟.

أمن آداب الدين أن يقول عن (كثير) من صحابة الرسول ممن شهدوا بدرا وأحداً أنهم كانوا يحلمون أحلاما مريضة بالغنى والمتاع ؟.

أمن آداب الدين أن تصف من يرشدونك إلى الحق بأنهم (جهلاء) ؟.

أمن آداب الدين أن تعتبر من يكتب فى مجلة الأزهر بأسلوب واضح لا لبس فيه ولا غموض أنه يهمز ويلمز.

ولكن لأرفق بك قليلا. إنك تقول: (بأى أصل من أصول آداب الدين يبدأ مقاله عنى بقوله عن كتابى ألفه أحد العاملين فى الصحافة) طبعا لم يؤلمك إلا تجاهل اسمك الكريم وسأرشدك إلى أن هذا القول صدر عن أصل عظيم من أصول آداب الدين.

لقد تعودت — يا ذاك — فى كل ما كتبت أن أذكر اسم المؤلف أو صاحب المقال حين أثنى على كتابه أو مقاله، وأن أطوى هذا الاسم حينما يكون فى الكتاب أو المقال ما يؤاخذ دينيا عليه، حتى لا أعرضه لقالة السوء من القراء، فليس من قصدى

أن أسىء إلى أحد ، وإنما كل ما أعنى به أن أناقش الأفكار والآراء .

أرأيت - أيها الجهبذ - المتأدب بآداب الدين عن أية نية حسنة صدر عنى إغفالى لاسمكم (الشهير) فيما كتبته عن كتابكم (العظيم) . (المبرأ من كل عيب إلا سب الصحابة وأشياء أخرى) .

و (صاحب القالة) يرى أن ما فى المقال لايستحق الرد وهوأسلوب ألفناه ممن لا يستطيعون أن يقولوا شيئاً يصلح أن يكون رداً علمياً صحيحاً ، وقد تأيد هذا بمسلك الكاتب المفحم ، فما فى كلمته شىء يمكن أن يوصف بأنه رد ، الكلمة الوحيدة التى موه بها تبين أنه لا يدرك ما وراءها .

وكيف خلا المقال مما يستحق عناء الرد ، والمؤلف قد اهتزت له أعصابه ، وطار صوابه ، وأدرك أن (شرف الكلمة) ليس فى أن يقول كل من هب ودب ما شاء ، ولكن فى أن يقول الإنسان فيما يستطيع أن يقول فيه ، وأن الحرية الحقيقية ليست أن يتهجم الكاتب على رسول الإسلام ، وعلى صحابته ، فى صورة التاريخ لهم ، بل أن يلتزم الأدب مع هؤلاء الذين رفعوا راية الإسلام ، وكانوا كما قال الرسول : (أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) .

وكيف خلا المقال مما يستحق الرد وصاحب القالة لم يستطع أن يرد حرفا واحدا منه إلا بما تستر به من الاستظلال الكاذب بظل ابن عباس .

ولا أشك أنه وقع فى تيهاء مظلمة حين قرأ المقال فلم يدر كيف يأخذ طريقه ، فراح يدعى أن المقال لا يستحق الرد .

وهل تظن - يا ذاك - أن شعرة فى رأسى تتحرك حين تصيح بأن المقال لا يستحق عناء الرد ؟

إنى لم أكتب المقال ، ولا كتبت يوما مقالا من هذه المقالات التى أبنت فيها عن زيف كثير فى الكتب المؤلفة فى الدين ، وأنا أنتظر من الذين كشفت عوارهم أن يرحبوا بما أكتب ، فليس جديدا على أن تقول فيما أكتب ما ينتظر أن يقول مثلك فيه :

وإذا كنت تريد مما قلت أنك أرفع من أن ترد كما يفهم من مقدمة (قالتك) فإنى أقول لك المثل العربى : (أطرق كرا إن النعام فى القرى) وأحيلك على صديقنا وصديقك الشيخ فودة ليشرح لك هذا المثل :

و (صاحب القالة) يزعم أننا رميناه فى مقالنا (بالكفر) وهى دعوى لا دليل عليها ، فكلمة التكفير لم يخطها قلمى ، ولكن يبدو أنه مسكين لا يستطيع أن يفرق بين الانحراف والكفر ، وكل ما ورد فى مقالى الأول عن كتابه قول عن إسماعيل أدهم إنه كان مسلما ، ولكنى لست مبتدئا بهذا وإنما أنا ناقل ، فأدهم ألف كتابا عنوانه : (لماذا أنا ملحد) فلم أتجاوز حكاية ما وصف به نفسه .

فنحن لم نكفر المؤلف ، ولاحاجة بنا لتكفيره ونحن نعرف رهبة هذه الكلمة ، وبذلك لم نحكم على ضميره - كما زعم - وإنما حكمنا على ما كتب ، فقلنا إنه متابعة للمستشرقين وأنه انحراف فى التفكير الدينى ، ولم نقل إنه انحراف فى العقيدة ، ولكن صاحب القالة أراد أن يستثير شفقة القراء ،

وأن يظهر بمظهر الحمل المظلوم ليهيىء لنفسه الجو الذى (يتىء) فيه ما يريد أن (يقيئه) من ألفاظ لا تصدر من إنسان يحترم نفسه .

وقد نسى (سيادته) أن قراء مجلة الأزهر كلهم مسلمون ، وكلهم حريص على إسلامه ، وأنهم يغارون على كتابهم المقدس ، وعلى سلفهم الصالح كما يغارون على أعراضهم ، وأنهم قرأوا ما كتبناه وبعضهم قرأ كتابه ، وكتب إلينا يلومنا على أننا رفقنا به فى مقالنا .

وقد تبجح صاحب المقالة فاستند إلى أن القرآن الكريم قص علينا قصصا ، وما دام قد فعل فلا بأس عليه أن يكتب سيرة الرسول فى أسلوب قصصى وإذا كان الله قد قص فما يمنع عبد الرحمن الشرقاوى أن يقص ـ وما قد جرى اسمك على قلمنا يا سيد عبد الرحمن ـ .

الله يقول : « نحن نقص عليك نبأهم بالحق » ، فهل فهمت كلمة (بالحق) هذه ؟ أما أنت فتقص علينا ، ما أشرت إليه فى مقالين سابقين ، وفى هذه الكلمة من تهجم على القرآن ، وعلى مقام الرسول ومقام كبار صحابته ، فهل نقول لك : شتان لا والله ولكننا أردنا أن نبين لك خبطك وخلطك وأن نرشدك إلى الأدب مع الله ، ومع الناس .

بقيت كلمة نحب أن نقولها لكل من يحاول أن يصيد فى الماء العكر ، ولنبين له أن بعض العبارات قد تآكلت من كثرة الترداد، وأنها لم تعد تخيف أحدا .

فقد ألفنا (منهم) ، أن يرددوا كلمات يظنون أنها تحميهم ، يقولون : من أين جاء أن فى الإسلام طبقة من رجال الدين ـ لا كهنوت فى الإسلام ـ لا مجامع كرادلة ، ولا حرمان ولا صكوك غفران .

ونسأل أطفال الكتاتيب ـ واعتقد أنهم يحسنون الجواب ـ هل من يرد مطاعن وجهت إلى الإسلام ، ويحكم عليها بأنها انحراف يكون (كاردينالا) ؟ أو من رجال (الكهنوت) ، وما دخل صكوك الغفران فى مثل هذه المناقشات العلمية ؟ وسيجيبون موقنين بأن كل ذلك هراء لا يراد به إلا الاحتماء خلف هذه الألفاظ ليقولوا ما يشاءون .

إنك ـ ياذاك ـ تستعدى علينا جماعة المتحررين من القيم الدينية ، ونحن لا نحفل بهؤلاء شيئا ، ومن قبلك ردد هذه الكلمات أناس فما وجدوا من جمهرة المثقفين إلا السخرية والاستهزاء .

والكلام طويل ،وحديث الأفاعى طويل المدى كما يقول شاعرنا شوقى وسأقف ، ولكنى أوجهك إلى أبيات من الشعر إذا كنت سمعت بها فذاك ، وإلا فأسأل عنها أهل المعرفة ليقفوك على البيت الأخير منها . هذه الأبيات التى مطلعها .

قد تجر العقرب فى أرضنا

لا مرحبا بالعقرب التاجرة

ثم أخيرا لا أدرى أأشكر مجلة الأزهر أم تنقم عليها لأنها مكنت الرامى من صفاء الثغرة كما يقول العرب ـ ولاتزال فى الزوايا خبايا ، ولكن كما يقولون : ما استقصى كريم قط ، ونحن سنكون معك كرماء ؟

على العمارى

لقاء

في زيارة وفد السّودان لمصرَ في ديسمبر سنة ١٩٦٥

للشّاعر محمّد التهامي

عانقتـه وارتمت فى أحضانه ... وسألته عنه وعن سودانه
فأجابنى عنه بريق عيونه ... ثم انهمار الدمع من أجفانه
ومضى يبث غرامه وهيامه ... ويطيل فيما ذاق من تحنانه
من يا أخى يرضى فراق حبيبه ... يوما ولا يهتز من أشجانه؟
من عاش فى نار البعاد هنيهة ... ضاقت بما وسعت رحيب جنانه

* * *

وأجابه عنى عتاب مدله ... يشكو العذاب المر من هجرانه
من قال: إن أخا الصبابة والهوى ... ينسى ويرضى العيش فى نسيانه؟
فأخى لدى السودان بعض حشاشتى ... وأنا هنا فى مصر بعض كيانه
نبتت على النيل الحبيب حياتنا ... وترعرعت أصلا على شطآنه
وتظل أرحام لنا موصولة ... حتى يكف النيل عن جريانه

* * *

سل واهب الوادى الحياة كريمة ... سل شطه والحلو من غدرانه
إنا بنوهُ إخوة فى أخوة ... والمرء مشدود إلى إخوانه
مهما تباعد شملهم فمآلهم ... لأبيهم يحبون فى أحضانه

* * *

كم راح الاستعمار يزرع بيننا ... شوكا تهاب الجن من غشيانه
ويصب فى كأس الأحبة علقما ... أجراه مما سال من ثعبانه
ويقيم بين ديارنا وديارنا ... سدا ترد الريح عن جدرانه
حتى تزلزل حصنه ورمى به ... قدر لنا، ماكان فى حسبانه
فمضى يجر إلى الوراء فلوله ... ورمى ستار الزيف عن بهتانه
وصحت قلوب الظامئين وعادها ... شوق أطال الدهر فى حرمانه
فمشى يدير الحب صفوا خالصا ... ويدور فى لهف على خلانه
لما أتانا الركب قلت: رأيته ... هـذا هو المهدى فى فرسانه
يختال وضاح الجبين مظفرا ... فى أرج قوته وفى إيمانه
النصر كل النصر من خدامه ... وجميع جند الله من أعوانه
ولواء الاستعمار تحت لوائه ... يهوى يعض على أسيف بنانه

محمد التهامي

أبعاد في الأدب العربي

للاستاذ علي الخطيب

الذين يلتمسون للأدب الإنجليزي ماضيا عتيقا يعبرون أعوام النصف الأخير من القرن الرابع عشر الميلادي ويتركون «جفري تشوسر - ١٣٤٠/١٤٠٠م» أبا الشعر الإنجليزي، ويمضون بحثا في بطون القرون عن مخلفات الليالي، وهناك بين السلالات البربرية ذات الأصل الألماني التي توالى غزوها لانجلترا في القرنين السادس والسابع حتى أمكنها في نهاية القرن السابع أن تستولي على انجلترا كلها عدا المناطق الجبلية في الشمال والغرب، هناك حيث عاش الغزاة من غوتلاند وساكسون وإنجليز، ومعهم قصصهم الساذج ذو الطابع الوحشي والتخلف العقلي. ظهرت للوجود أقدم قصيدة يؤثر القوميون من الإنجليز أن يعدوها من أدبهم. تلك هي قصيدة «بيوولف» وردت قصة بيوولف إلى انجلترا مع الغزاة، ثم أفرغت في قالب شعري نحو القرن السابع، وفي سنة ٧٠٠ م تم نظمها (ص ٥، ٨ موجز تاريخ الأدب الإنجليزي - إيفور إيفانز) ولقد تم هذا النظم بعد أن تحول كثير من الفاتحين إلى المسيحية فقد قدم «أوغسطين» من روما سنة ٥٩٧ م وبدأ في تحويل القوط في «كنت» إليها، ولعب الرهبان والشماسون دورا كبيرا في نظمها حتى أصبحت نغما مسيحيا وقمته أوتار وثنية، يقول «دوتان»: إن أدب هذا العصر - العصر الساكسوني - ، «وليد رهبان علماء وبرابرة مطاويع» (١، ٥ الأدب الانجليزي . بول دوتان) .

تقع قصيدة بيوولف في اثنين وثمانين ومائة وألف بيت، وبطلها ومسرح حوادثها ... كلاهما لا علاقة لها بانجلترا، فبيوولف بطل من القوط. والمكان قصر لـ «هرثجار» ملك الدنمارك وتروي القصيدة: أن هرثجار الملك يقطن قصره «جرندل» وهو شيطان في صورة إنسان يقتحم - على الملك - صالة في قصره الرحيب، فيهب بيوولف الفارس الجليل في كوكبة من رفاقه ويشتبك مع «جرندل» في معركة حامية يتمكن خلالها من انتزاع إحدى ذراعي جرندل .

وفي الجزء الثاني من القصيدة تهب أم جرندل تطلب ثأر ابنها، فيلاحقها بيوولف حتى ينتهيا إلى مغارة تحت البحر، وهناك يمكنه أن يقضي على الشيطانة ويحطم أضلاعها .

وفي الجزء الثالث يصبح بيوولف ملكا، ويحكم مدة طويلة حتى إذا طعن في السن يجتاح مملكته تنين ينفث النار من فمه، فيندفع بيوولف - إنقاذا لشعبه - نحو التنين، وينازله حتى ينتصر عليه، ولكنه - بدوره - يجرح جرحا قاتلا فيموت .

والقصيدة بعد ليس يعلم واضعها، ويختلف «بول دوتان» و «إيفور إيفانز» في زمن الوضع وإن اتفقا على أن الرهبان أو الشماسة قد لعبوا فيها دورا كبيرا، ومن رأي دوتان أن أحد الشماسين اقتبسها في القرن العاشر من أسطورة دانمركية قديمة .

وليس يقطع أحد باسم واضعها، كما لا يبدو أنه واحد، وعبارة إيفانز تعطي ذلك صراحة إذ يقول عن الفاتحين إنهم «أفرغوها في قالب شعري حوالي

القرن السابع الميلادى ، وفى سنة ٧٠٠ بعد الميلاد تم نظمها ... » .

إننا على ضوء بيوولف - وليس ما يمنع من استخدام شمعة فى متحف الفن - يمكن أن نرى بوضوح أبعادا عظيمة لأدبنا العربى الخالد .

لقد كان يصدح فى أجوائنا وقت أن تم نظم (بيوولف) بلابل لها قوة النسور من أمثال : الفرزدق ، وجرير ، وجميل بن معمر ، وكثير ، وليلى الأخيلية ، وعمر بن أبى ربيعة ، والكميت ابن زيد وغيرهم كثير ، طرقوا بالشعر كل آفاقه ، وتغنوا به فوق كل روابيه ، وجالوا به وصفا وفخرا وحبا وحربا ، واجتماعا وسياسة ، ومدحا وهجاء ، وحكمة ورثاء .

وإذا كان بيوولف قد تم فى منتصف العصر الأموى ، وتم وليدا لم يستوف بعد كل أسباب قوته ، فإن الشعر العربى كان قد استوفى قوته قبل ذلك الحين بأكثر من ثلاثة قرون ، ونحن لا نعود إذا تخطينا العصر الأموى إلى ما وراءه ... إلى امرئ القيس - إلا بفنون من الشعر العربى قد نضجت وباتت ذخائر نفيسة نادرة المثال ، فإذا تخطى الإنجليز عصر ما قبل (بيوولف) عادوا صفر اليدين .

ومع ذلك فـ « بيوولف » يفتح أعيننا على أبعاد أربعة للشعر العربى حتى عصره :

أولاها : أصالة الأدب العربى :

فالأدب العربى أدب العرب وحدهم : ألفاظه عربية ، وأفكاره عربية . ومسرح حوادثه عربى ، وهو على مستوى فنى عال يمثل طرفا نقيضاً لبيوولف بشهادة أهله ، فظاهر أن مسرح بيوولف والبطل ليسا إنجليزيين ، ودع الحديث عن لغته إلى بول دوتان إذ يقول : إنها « جافة صخرية تسود فيها الأحرف الخرساء تنفجر وتفرقع ، ويتطاول بعضها على بعض ، فكأن هذه اللغة وجدت لتدوى فى أرجاء قاعات واسعة باردة » ، كذلك لم تكن هذه اللغة انجليزية اليوم ، أو إنجليزية شكسبير بل ولا الخليط الذى تحدث به (تشوسر) بل كانت مكتوبة بلهجة نورمندية كما يقول (بوتون راسكو) صاحب عمالقة الأدب الغربى ، فأما مستواها الفنى فيتحدث عنه راسكو بلهجة ساخرة : « لقد أعفانا المغفور له أستاذنا السير أدمند جوس E. Gosse من جميع مشاعر الاحترام نحو هذه الملحمة حتى لم يعد يخطر ببالنا أن نقيم لها وزنا » ، وينقل عن السير أدمند جوس أمير النثر الإنجليزى كما يسميه - حديثاً مختصرا عن كتابه (مزيد من الكتب على المائدة) حيث يقول : (وإذا حكمنا على بيوولف بمقاييسنا الحديثة وجدنا أن النسق الذى اختاره لها ناظمها نسق مربك إلى آخر حد الإرباك ، والظاهر أن الشاعر لم يكن يميز أى تمييز بين ماهو حقيقى وماهو غير حقيقى) ، ولا يتردد بوتان فى الحكم عليها بأنها (أدب هجين) ص ٥ - الأدب الإنجليزى .

ثانيها : واقعية الأدب العربى :

إذا كانت الخرافة لحمة وسدى لبيوولف فإن الواقعية هى نسيج الأدب العربى ، وإذا كان لكل شعب - ومنه الشعب العربى - خرافاته ، فإن الخرافة العربية - وقد وردت فى الشعر - لم تكن بناء فى قصيدة وإنما هى البيت أو البيتان يذكران الهامة أو (السعالى) (١) ذكرا خاطفاً لا يلبث أن

---

(١) جعلوا الهامة طيراً يصوت فوق قبر القتيل حتى يؤخذ بثأره ، والسعالى جمع سعلاة قالوا : إنها أخبث الغيلان .

يقول المهلهل :

يسود الشاعر بعده إلى واقعيته ، ولا نسوق في بيان هذه الحقيقة من أبيات تعاصر بيوولف ، وإنما نمضي إلى ما قبل ذلك بقرنين لنطالع المعلقات أو مخلفات أيام العرب فلا نرى أمامنا إلا واقعاً يتحدث عن نفسه تنساق في طياته عواطف الإنسان الحية وآماله وآلامه . فهو أدب لا ينقصه صدق التعبير عما يحيط بالشاعر في بيئته الطبيعية والاجتماعية . أدب يعبر عن الحياة تعبيراً كاملا ، ولا زالت عواطفنا تشارك (جاملة بنت مرة) جليل مصابها في إخلاص ونحن نطالع قصيدتها التي قالتها عقب مقتل زوجها بيد أخيها وطردها من مأتمه بينما لا تزيد قصيدة بيوولف في رأي بعض النقاد الإنجليز عن « قصة خرافية عن الوحوش والتنين » أما القصيدة العربية فقد تترك الواقع لحظة وتغلو في الوصف لكنها أبدا لا تهرف .

ثالثها : كثرة الإنتاج القوي :

يعتبر الشعر العربي قمة في كثرة الإنتاج الأدبي القوي ، وقد حفل هذا الشعر — حتى في جاهليته — بالنقد هذا النقد الذي انعقدت له أسواق فكان معيناً ثراً بدوره لإنماء القوة في الشعر العربي . حتى كان من الشعراء من يراجع قصيدته حولا كاملا . فلم يكن هذا الشعر بين أربابه ونقاده سقط متاع ، وإنما هو الجوهر النفيس الذي غولي في إحكامه ، فإذا وجدنا منه — بعد ذلك — غثاً أو هزلا فإنما هو القليل النادر ، فأما (بيوولف) فقد كانت طعام الجائع أو فراش المكدودين لا يحدوهما أناقة الاختيار أو تردهما ملاحة في الطلب .

رابعها : العمق :

فحين تنساق بيوولف على هذا النهج الذي قدمنا فتخلو من جمال اللفظ ، وقوة المعنى ، ونبوغ الابتكار ، وتفتقر إلى التجربة ، نجد الشعر العربي قبل ذلك الحين بمائتي سنة على الأقل ، قد خبر صراع النفوس وشرب سلاف الحياة ، وعرك أحوالها ، وحذر منها وأنذر فظهرت « الحكمة » في لسانه ، واستضاءت بها بصيرته ففي حرب البسوس يقول الفند الزماني :

وبعض الحلم عند الجهل للذلة إذعان
وفي الشر نجاة حين لا ينجيك إحسان

وهذه أبيات لجارية يرويها أبو تمام ، وكانت قد أضرت بها زوج أبيها بعد وفاة والدتها تقول :

فلو يأتي رسولي أم سعد
أتى أمي ومن يعنيه حاجي
ولكن قد أتى من بين ودي
وبين فؤاده غلق الرتاج
ومن لم يؤذه ألم براسي
وما الرئمان إلا بالنتاج (١)

وبعد :

فهذا هو الشعر العربي أدب أمة نضجت ، فكانت خير أمة تغنت بالشعر من أمد بعيد ؟

علي الخطيب

= سماليا يحملن من تغلب
فتيان صدق كليوث الطريق

ويقول امرؤ القيس :
أيقتلني والمشرفي مضاجعي
ومسنونة زرق كأنياب أغوال

(١) تريد بالرئمان الرحمة والحنان تقول : إنهما لا يكونان إلا بالولادة . أي هما نتاج الأمومة .

واجبات العمال فى الإسلام

للأستاذ جمال الدين عياد

لا يجوز للعامل أن يتقدم لعمل لا يقوى عليه :

إن ما قدمناه عن القوة والأمانة يفرض على العامل واجبات ، ويحمله تبعات . فلا يجوز للعامل أن يتقدم لعمل لا يقوى عليه ، لأنه بهذا يغش المسلمين ، وقد برئ عليه السلام من كل غاش ، ويسبب لهم أضراراً بالغة ربما بلغت حد الظلم فى حالة القضاء ، وهلاك النفس فى حالة الطب ، وضياع الدولة بأسرها فى حالة القيادة أو الولاية . وكل ضرر يصيب المسلمين حرام حرام ، فلا ضرر فى الإسلام ولا ضرار ، فضلا عما فى هذا من مخالفة لما أشار إليه القرآن من تولية القوى وما تردد فى أحاديث الرسول من تحذير لمن يوسد الأمر إلى غير أهله .

ومن أجل هذا كان العامل الدعى ضامناً لما يتمخض عنه عمله من ضرر ، إذ يقول عليه السلام : من تطبب ولم يعلم منه الطب قبل ذلك فهو ضامن . وقد علق ابن القيم على هذا الحديث بقوله :

« وقوله صلى الله عليه وسلم من تطبب ولم يقل من طب لأن لفظ التفعل يدل على تكلف الشئ والدخول فيه بعسر وكلفة وإنه ليس من أهله ... (والحديث يفيد) إيجاب الضمان على الطبيب الجاهل ، فإذا تعاطى علم الطب وعمله ولم يتقدم له به معرفة فقد هجم بجهله على إتلاف الأنفس ، وأقدم بالتهور على ما لم يعلم فيكون قد غرر بالعليل فيلزمه الضمان لذلك ، وهذا إجماع من أهل العلم ... (وهذا بخلاف) الطبيب الحاذق الذى أعطى الصنعة حقها ، ولم تجن يده ، فتولد من فعله المأذون من جهة الشارع ومن جهة من يطبه تلف العضو أو النفس أو ذهاب صفة ، فهذا لا ضمان عليه اتفاقا » .

ضرورة الأخذ بالأسباب التى تبقى على العامل قوته :

ومن واجب العامل إذا ولى عملا هو له أهل أن يظل آخذاً بالأسباب التى تبقى عليه قوته ، لأن العمل - كما قدمنا - لا يجوز لغير القوى ، وسيان فى هذا أن يكون الضعف قبل أن يلى العمل أو بعده .

وقد أشار ابن قدامة إلى وجوب الأخذ بأسباب القوة فى فصل عقده عن المرضعة ، إذ يقول : « وعلى المرضعة أن تأكل وتشرب ما يدر به لبنها ويصلح به ؛ وللمكترى مطالبتها بذلك ، لأنه من تمام التمكين من الرضاع ، وفى تركه أضرار بالصبى » .

وربما جاز لنا أن نقول : إن مثل كل عامل كمثل المرضعة فى هذا الشأن ، مهما تختلف طبيعة العمل ، فعليه الأخذ بأسباب القوة التى رشحته للعمل أصلا ، فإن كان عمله يستلزم قوة البدن حافظ على قوته ما استطاع ، وإن كان يستلزم العلم تابع كل جديد فى ميدانه ، وهكذا .

وقد رأى بعض الفقهاء أن للمستأجر الحق فى فسخ عقد الإجارة إذا حدث فى العين المستأجرة عيب يؤثر فى المنفعة ، فإذا استأجر رجلا للخدمة فمرض مرضاً ينقص من عمله ، فالمستأجر بالخيار إن شاء أمضى العقد وإن شاء فسخه .

وربما جاز لنا أن نقول : إن الفسخ إذا جاز لتأثر

المنفعة بشيء خارج عن إرادة العامل كالمرض، ففسخها أولى بالجواز إذا تسبب العامل فى منع المنفعة أو نقصها بإهماله الأخذ بأسباب القوة التى رشحته للعمل أصلا .

أداء العمل على أكمل وجه يستطيعه العامل :

ومن واجب العامل أن يكون أميناً على العمل بالمعنى الذى قدمناه للأمانة ، وهو أداء العمل على أكمل وجه يستطيعه العامل ، إذ يقول تعالى : « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن » ولم يقل بالتى هى حسنة - كما أشار ابن تيمية - ليكون التصرف بالأصلح فالأصلح وتتحقق الأمانة فى العمل .

وكل تقصير أو إهمال من جانب العامل إنما هو خيانة لأمانة العمل الذى ائتمن عليه ، والله تعالى يقول : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » .

والعامل مسئول عن كل تقصير وإهمال ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : (كلكم راع ومسئول عن رعيته : فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل فى أهله راع وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسئولة عن رعيتها ، والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته ، فكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » .

ومن أجل هذا يفرق الفقهاء بين الضرر الناشىء عن تقصير أو إهمال أو خيانة لأمانة العمل ، والضرر الناشىء بسبب خارج عن الإرادة ، فالضرر الأول يضمنه العامل ، والضرر الثانى لا يضمنه ، فالراعى مثلا - كما يقول ابن قدامة - لا ضمان عليه فيما أتلف من الماشية ما لم يتعد . فأما ما تلف بتعديه فيضمنه بغير خلاف ، مثل أن ينام عن السائمة أو يغفل عنها ، أو يتركها تتباعد منه ، أو تغيب عن نظره وحفظه ، أو يضربها ضرباً يسرف فيه ، أو فى غير موضع الضرب ، أو من غير حاجة إليه ، أو سلك بها موضعاً تتعرض فيه للتلف ، وأشباه هذا مما يعد تفريطاً وتعدياً فتتلف به فعليه ضمانها لأنها تلفت بعدوانه » .

وكذلك كل عامل ، سواء أكان أجيراً خاصاً أو مشتركا - فإنه يضمن ما تسبب فى إتلافه بتقصيره وإهماله ، تماما كما يضمن ما تعمد إتلافه لأن الإتلاف لا يختلف ضمانه بالعمد والخطأ ، إذ المفروض أن يتقن العامل عمله ، ويأخذ حذره ، ويتجنب الخطأ باليقظة والانتبـــاه ، فلا يصح الخطأ عذراً له .

فأما إذا وفى الصنعة حقها ، واحتاط لعمله ، ثم حدث حادث من قضاء أو قدر لا يملك دفعه ، فلا يضمن فى أغلب الأقوال وأظهر الآراء .

وهكذا ، فإن العامل مسئول إذا ولى عمـلا لا يقوى عليه ، فأتلفه بجهله ، أو إذا كان أهلا للعمل الذى ائتمن عليه ، ثم خان أمانته عمداً أو خطأ بتقصير أو إهمال .

ولا يقتصر الجزاء على تضمين العامل فى الدنيا ، وإنما يمتد إلى عذاب النار فى الآخرة ، فلقد قال الرسول عليه السلام (القضاة ثلاثة قاضيان فى النار وقاض فى الجنة ، فرجل علم الحق وقضى بخلافه ، فهو فى النار ، ورجل قضى بين الناس على جهل ، فهو فى النار ، ورجل علم الحق وقضى به ، فهو فى الجنة .

وربما جاز لنا أن نقول: إن كل عامل أتلف عملا بجهله كالمتطبب ومدعى الصنعة أيا كانت يقاس

على قول الرسول فى الحديث (ورجل قضى بين الناس على جهل) كما أن العامل الحاذق الذى يخون أمانة العمل يقاس على قوله عليه السلام (فرجل علم الحق وقضى بخلافه) فكلا الفريقين فى النار ، ولا يسلم إلا القوى الأمين .

لا يجوز للعامل الاشتغال بعمل آخر يضر بعمله الأول

ومن واجب العامل ، رعاية لأمانة العمل الذى ائتمن عليه ، ألا يشتغل بعمل آخر يضر بعمله الأول ، فإذا فعل سقطت أجرته فى رأى البعض ، أو سقط منها بقدر المدة التى عملها للغير كما قرر البعض .

ولا يجوز له استنابة من هو دونه فى الكفاءة فيما يختلف بالأشخاص

وقد لاحظ الفقهاء أن العمل قد يختلف بالأشخاص لاختلافهم فى الكفاءة ، وفى هذه الحالة لم يجيزوا لأجير المعين أن يكل العمل إلى غيره (ممن هم دونه فى الكفاءة) ، فإذا وكله إلى واحد من هؤلاء سقطت أجرته ، وكان عليه ان استنابه أجرة المثل ، وضمن ما أصاب المستأجر من ضر ، فإذا كان العمل مما لا يختلف بالأشخاص جاز للعامل الاستنابة دون أن تسقط أجرته أو تنقص ، ومفهوم هذا القول أن الاستنابة جائزة فيما يختلف بالأشخاص إذا اختار العامل من يعرف الناس عنه أنه أكفأ منه أو مثله فى الكفاءة .

ومن واجب العامل أن يتفقه فى الدين بالقدر اللازم لأداء عمله

ومن واجب العامل أيضاً أن يتفقه فى الدين بالقدر الذى يعينه على أداء عمله على الوجه الذى يرضى الله ، فلقد حدث زيد بن على عن أبيه عن جده عن على عليهم الرضوان أن رجلا أتاه فقال : يا أمير المؤمنين ، إنى أريد التجارة ، فادع الله لى . فقال له على : أوفقهت فى دين الله ؟ قال أو يكون بعض ذلك ؟ قال : ويحك ! الفقه ، ثم المتجر . إن من باع واشترى ولم يسأل فى دين الله ارتطم فى الربا ثم ارتطم . وعن عمر قال (لا يبيع فى سوقنا هذا إلا من تفقه فى الدين) .

وربما جاز لنا أن نقول : إن هذا الفقه ألزم ما يكون فى التجارة والمعاملات المالية خاصة ، لما ورد من نهى الرسول عن ألوان متعددة من البيوع والمعاملات إتقاء لشبهة الربا ، ودفعاً لأخطار الغرر ، بحيث يلزم التاجر الوقوف عليها حتى لا يرتطم بجهله فى المحظور .

عبد العال الدربى عياد

مصادر البحث :

(١) مجلة الأزهر جمادى الأولى سنة ١٣٨٠ ه (اختيار العمال فى الإسلام) .
(٢) السياسة الشرعية لابن تيمية . (٣) زاد المعاد لابن القيم .
(٤) المغنى لابن قدامة (٥) نهاية المحتاج للرملى (٦) الفقه على المذاهب الأربعة .
(٧) فتح البارى لابن حجر . (٨) سبل السلام لمحمد بن إسماعيل الأمير .
(٩) بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع للكاسانى .
(١٠) شرح الأزهار لأبى الحسن بن مفتاح .
(١١) الروض النضير لشرف الدين الحسين .

أثر الأزهر فى الحركات الشعبية

للدكتور ابراهيم على شعوط

الأزهر :

فكرة ، ومسجد ، وجامعة :

أما الفكرة : فكانت فى أعماق الخليفة المعز لدين الله الفاطمى، ألقاها إلى قائده «جوهر الصقلى» حين قدومه إلى مصر فاتحاً وغازياً .

وهذه الفكرة هى نشر المذهب الشيعى على الصعيد المصرى ، وحمل المصريين جميعاً على اعتناقه .

أما المسجد : فهو شعار كل دولة إسلامية جديدة ، قامت على أنقاض دولة أخرى بحيث يكون هذا المسجد ـ كما كان المسجد الأول للمسلمين ـ هو مركز النشاط الدينى ، والتوجيه الفكرى ، ومكان القيادة ، ومعهد التعليم ، ودار القضاء .

وأما الجامعة : فقد بدأها الخليفة العزيز بالله الفاطمى ، حين بنى مساكن الطلاب حول الأزهر ، وأجرى عليهم الرواتب ، وأمدهم بالكتب وأدوات الدراسة .

ولم يمض غير قليل من الزمن حتى ماتت الفكرة ، وبقى المسجد والجامعة ، ماتت الفكرة لأنها لم تجد الحقل الذى تنمو فيه . وتترعرع على سطحه ، فلم تسكن عقلية المصريين . ولا عقيدتهم الدينية لتقبل مذهباً غير مذهب أهل السنة والجماعة ، رغم حبهم الشديد لآل البيت واحتفالهم بأعياد موالدهم ، والمبالغة فى تشييد أضرحتهم ، والسخاء فى النذور التى تنفق باسمهم ، والتبرك بزيارة قبورهم .

وبقى المسجد : لأنه بيت عبادة ، ومكان درس ، زادت العناية به على مر الأيام ، فأضيفت إليه مساحات واسعة ، وعنى بأمر عمارته ، وزخرفته ، حتى صار المسجد الجامع والمدرسة الكبرى فى الشرق كله .

وبقيت الجامعة : بما أتيح لها من توجيه سليم فى المجال العلمى ، وما خرجته من قادة كانوا بحق مثلا رائعاً للعالم العامل الذى يفرض إرادته على أهل زمنه ، بالحجة والبرهان والقدوة الحسنة والمثل الكريم ، ثم انتشر ذكر جامعة الأزهر فى العالم فأقاموا هنا فى مصر ، ينهلون من نبع الأزهر الصافى ، ويثقفون عقولهم بما يتلقون من كافة العلوم ، وصنع الأزهر من هؤلاء العلماء أطواداً شامخة ، تقاوم تيارات الإلحاد والانحرافات والمذاهب الهدامة ، والحملات التبشيرية ، ودعاة الفوضى والانحلال فى كل زمان ومكان .

هناك عوامل جعلت للأزهر الهيمنة الكبرى على عقول الجماهير ووجدانهم وهذه العوامل حملت الأزهر أمانة الرعاية ومسئولية التوجيه ، وخطورة التصدى للعمل الجماعى .

نستطيع أن نعتبر من هذه العوامل الأمور الآتية :

١ ـ أن الثقافة الأزهرية كانت ولا تزال ذات أثر كبير فى خلق شخصية الأزهريين .

٢ ـ مناهج التعليم فى الأزهر ـ من حيث التطبيق العملى لها ـ ربطت بين الطالب فى معهده وبيئته فى قريته وموطنه ، فأصبح الأزهرى ـ بالعاطفة الدينية ، والثقافة العلمية ـ أهلا لقيادة الحركات الشعبية إذا دعت الدواعى ، كما أن طلائع

طلاب الأزهر فى كل قرية ومدينة، يمثلون الصورة الصادقة للقاعدة الشعبية الواعية. ومن هذه القاعدة الشعبية تصدر دائما الحركات السياسية لتحرير الشعوب الإسلامية من سيطرة خصوم الإسلام سواء كانوا همجا متبربرين أو مسيحيين مستعمرين.

٣ — هذا العدد الضخم من أئمة المساجد. الذين يقف كل واحد منهم فى قريته أو فى الحى الذى يسكنه أمام السكان جميعا ليصلى بهم، ويتحمل مسئولية عبادة هذه الجموع أمام الله، ثم يصير — بحكم الأمانة مستشارا للمصلين خلفه فى كل ما يهمهم من شئون الدنيا والدين.

وكذلك الوعاظ من العلماء فى المحافل والجماعات، ومدى سيطرة المتحدث البارع باسم الدين على كل من يستمعون إليه.

من هذه المظاهر. نستطيع أن نلمس أثر الأزهر الواضح فى التعبئة الروحية، ثم الزعامة الشعبية، فليس عجبا أن يصبح آلاف الأئمة فى المساجد يمثلون الأزهر فى التوعية الدينية والسيطرة الروحية وليس عجبا أيضا أن نرى الوعاظ والمرشدين، الذين أخذوا على أنفسهم نشر الوعى الإسلامى، ورسم طريق الحياة الإسلامية، وتطبيق أحكام الدين، وشحن النفوس بمعانيه وأهدافه، حتى صارت لهم على الناس سيطرة روحية، وهيمنة دينية وأصبح هؤلاء الأئمة والوعاظ — بحكم مراكزهم هذه — مرجعا لجماهير الشعوب الإسلامية، يرجعون إلى رأيهم، ويحرصون على فتاويهم فى شئون الدنيا والدين.

فى التاريخ: أنه كثيرا ما كان العامة يلجئون إلى علماء الأزهر، لم يكونوا يدرسون الجهاد فى سبيل الله والوطن دراسة نظرية بين جدران الأزهر وكفى إنما كانوا يدرسونه ليطبقوه تطبيقا عمليا فى المواقف التى تستدعى الجهاد طمعا فى شرف الشهادة، وقدوة عملية لجماهير المسلمين.

من أجل كل هذه الصفات أصبح علماء الأزهر أمام مسئولية كبرى ألقاها على عاتقهم مركزهم الذى وضعهم الشعب فيه. فصار لزاما عليهم أن يقفوا فى وجه الطغاة المستبدين من الحكام، فليس غريبا أن نجد فى كثير من حالات الظلم التى كان يئن منها الشعب طوائف الرجال والنساء والصبيان يتجهون إلى الأزهر يستصرخون علماءه، ويستنجدون بهم من ظلم الحكام، ثم إذا اشتد كرب المكروبين وزحام المظلومين انبعثت أصوات الاستغاثات من مآذن الأزهر ومنابره فيضطر العلماء أن يفضوا حلقات العلم ليبحثوا فى أحداث الظلم والاضطهاد.

وهنا يقوم علماء الأزهر بواجبهم فى نصرة المظلوم ومحاربة الظالمين، خروجا بالجهاد من معناه النظرى إلى واقعه العملى، منفذين القول الخالد لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» فتتجه وفود العلماء — وجحافل الشعب من ورائهم — إلى قصور الحكام والأمراء يهددونهم بالثورة المدمرة ضد الظلم والاستبداد.

وأمام هؤلاء العمالقة المؤمنين، يضطر الظالمون أن يرجعوا عن ظلمهم صاغرين هناك على صفحات التاريخ سجلت مواقف خالدة لكبار العلماء وشيوخ الأزهر، أثارت عواطف الشعب المصرى، وأشعلت نار الحقد على كل ظالم أو مستعمر.

ونذكر على سبيل المثال قاضى القضاة وشيخ الشافعية «العز بن عبد السلام» الذى عاش فى عصر الظاهر بيبرس فى القرن السابع الهجرى، وجعل من نفسه قيما على تصرفات المماليك مع الشعب،

فلما رأى بذخ الأمراء وإسرافهم ، منع الشعب من الاستجابة لرغبات المماليك . فلما أرادوا أن يبطشوا به ، وقف الشعب سياجا له من كل أذى ، وأعلن الشيخ ابن عبد السلام أن حكم المماليك فى مصر حكم غير شرعى ، لأنهم أرقاء ولا بد من بيعهم ، وإعلان عتقهم ، ليتم تحرير رقابهم .

وتحت هذه القوة الشعبية تمت إجراءات البيع والعتق بمعرفة شيخ العلماء وقاضى القضاة ، وتركت هذه الشعبية الجارفة أثرها فى نفس السلطان الظاهر بيبرس ولم يستطع أن يعبر عن هذا التأثر إلا بعد وفاة العز بن عبد السلام حين شهد موكب جنازته فوجد أن القاهرة كلها خرجت لتشييع جنازة عالمها وقاضيها فقال كلمته المشهورة « الآن طاب لى الملك » .

وهناك مثل آخر من الأمثلة الناطقة الدالة على مدى تأثير العلماء فى نفوس الشعب بالقدوة الصالحة والمثل الكريم ، هذه صورة العلامة ابن تيمية عالم مصر والشام نتمثلها فى مشاركته الفعالة للجيوش فى حومة القتال مع السلطان الناصر محمد بن قلاوون فى معركة من أهم المعارك فى تاريخ المسلمين وهى معركة « مرج الصفر » بين التتار والمماليك فكان الشيخ ابن تيمية يشق صفوف المقاتلين ، ليحرضهم على القتال ، ويأمرهم بالصبر ويحملهم على الفطر فى شهر رمضان ، لتتوفر لهم القدرة على القتال ، ثم يفطر هو أمامهم حتى لا يكون هناك حرج على أحد إذا جاهر بالفطر أثناء المعركة ، وكتب الله النصر للمصريين على التتار فى عام ٧٠٢ هـ فى شهر رمضان من هذا العام .

ونحن إذا سرنا فى ركب الأزهر مع الزمن ، نجد الراية فى يده ، ولواء القيادة الشعبية معقوداً للأزهريين دائما ، فيروى الجبرتى فى تاريخه أحداثا كثيرة تدل على بطولات فذة لشيوخ الأزهر ، ظهرت فيها شجاعتهم واستماتتهم فى الدفاع عن حقوق الشعب ودفع الظلم عن الرعية بشتى الوسائل ، فهذا الشيخ الدردير كبير علماء الأزهر فى عهد الجبرتى يصل إلى علمه جور أحد الحكام المسمى « حسين بك » الشهير باسم « شفت » ونهبه أموال الرعية ومتاعهم ، ويستصرخ به الشعب ، وتلجأ الجماهير المظلومة إلى الجامع الأزهر ، فيركب الشيخ الدردير جواده ليقود مظاهرة شعبية تهاجم بيوت الأمراء ، لتسترد ما نهبوه من الأموال ويضطر الأمراء إلى إعلان الندم والتوبة ، ويرغمهم الشيخ على رد الحقوق لأصحابها صاغرين .

ولقد انتزع العلماء ثقة الشعب بهذه التصرفات ، وتحملهم المسئولية أمام الحكام حتى أصبح كل مصرى فى القرية والمدينة لا يجد من يلجأ إليه فى حالة الظلم والعسف سوى العلماء .

ويحدثنا التاريخ أن عدوانا وقع من المماليك على الفلاحين من أهل بلبيس سنة ١٢٠٩ هـ الموافق سنة ١٧٩٥ م ، وكان شيخ الإسلام فى هذا الوقت هو الشيخ عبد الله الشرقاوى ، فحضر إليه وفد من فلاحى مدينة بلبيس يشكو إليه ظلم الحكام وجورهم فغضب الشيخ الشرقاوى ، وذهب إلى الأزهر ، وعقد مؤتمراً من العلماء ، قرروا فيه الإضراب العام وذهبوا إلى بيت الشيخ محمد السادات من كبار العلماء ، وطالبوا بإقامة العدل ورفع الظلم ، والعمل بأحكام الشريعة ، وإبطال الضرائب الفادحة ، فارتعدت فرائص إبراهيم بك ، وأخذ كل واحد منهما يلقى التبعه على زميله ، ويبرىء نفسه مما نسب إليه من النهب والسلب . ولم يجد مراد بك خلاصاً من هذا الموقف إلا بأن يرد كل الأموال التى أخذت من أهالى بلبيس ويعتذر عما وقع من الاعتداء .

العلماء يعلنون وثيقة حقوق الإنسان سنة ١٧٩٥ م :

وبالرغم من إعلان مراد بك وإبراهيم بك الرجوع

من سياسة الظلم والاضطهاد ، فإن العلماء ورجال الأزهر لم يثقوا بهذه العهود ، وأصروا على وضع نظام يكفل العدالة ويضرب على أيدى الظالمين ، وعقدوا اجتماعا حضره الشيخ السادات ، والسيد عمر مكرم والشيخ الشرقاوى ، والشيخ البكرى والشيخ الأمير ، وحضر الاجتماع أيضاً مجموعة من أمراء المماليك ، وبعد أن عرض ثوار الأزهر مطالبهم ، وأقنعوا بها حكام مصر ، أصدر هذا المجلس الذى يعتبر مجلس قيادة الثورة فى ذلك الحين وثيقة إعلان حقوق الشعب، متضمنة هذه الأغراض :

١ — ألا تفرض ضريبة مهما كان نوعها ومقدارها إلا إذا أقرها مندوبو الأمة .

٢ — أن ينزل الحكام على حكم القضاء الذى تصدره المحاكم .

٣ — ألا تمتد يد أحد من الأمراء إلى أى فرد من أفراد الدولة إلا بالحق والشرع .

ثم وقع على هذه الوثيقة الوالى العثمانى ، وإبراهيم بك ومراد بك بوصفهما شيخى البلد المتصرفين نيابة عن الوالى .

القوة الشعبية من الأزهر تعزل الوالى العثمانى سنة ١٨٠٥ م :

لما لم يحترم خورشيد باشا نصوص هذه الوثيقة اضطر السيد عمر مكرم ومعه طائفة من العلماء أن يقودوا مظاهرة شعبية . ويحاصروا الوالى العثمانى (خورشيد باشا) فى القلعة ، وأعلن العلماء عزل هذا الوالى الظالم ، فلما ضاق الحصار على الوالى أرسل إلى العلماء رسولا يقول لهم : « كيف تعزلون من ولاه السلطان عليكم وقد قال الله تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » ؟ فأجاب السيد عمر مكرم بقوله : « أولو الأمر العلماء وحملة الشريعة والسلطان العادل . فإذا كان الحاكم ظالما فمن حق الشعب أن يعزله وأن يخلعه ولو كان الخليفة نفسه » . واضطر السلطان العثمانى أن ينزل على رغبة العلماء . ويعزل خورشيد باشا لظلمه وسوء سيرته وانتصرت قوى الشعب على سيطرة الطغاة .

جهود الأزهر فى مقاومة الحملة الفرنسية :

كان الأزهريون هم الفئة الواعية الرشيدة فى مصر، وكانت لهم على الشعب هيمنة روحية ، فكان من الطبيعى أن يتضح موقف العلماء من الغزو الفرنسى ، وكان لابد لهم من إعلان رأى الدين فى غزو المسيحيين لبلاد الإسلام، كما كان من الطبيعى أن تشتمل جذوة الوطنية لتختلط فى قلوب المصريين مع العقيدة الدينية ، ويصبح الجهاد فرضاً على كل مسلم ومسلمة ليخرج الفرنسيون من مصر مهما كان الثمن .

ولم يكن يخفى على نابليون ورجاله مدى سيطرة العلماء على عواطف الشعب ووجدانه فحاول عبثاً أن يستميل العلماء بكافة الوسائل ، كما لجأ إلى تزوير المنشورات على لسان العلماء ليهدىء من غضب الشعب وانفعالاته ، ولكن هذه المحاولات ذهبت مع الريح ، وبقى الشعب فى غليانه ، يستمد طاقاته من تحريض العلماء ودعوة الدين إلى الجهاد ، والتضحية ، واستعملت السلطة الفرنسية كل وسائل العنف والشدة مع العلماء، فقتلت عدداً كبيراً منهم ، وسجنت وشردت كل من كانت تخاف نفوذه من رجال الأزهر .

ولما لم يقض ذلك كله على تجمع الثوار فى الأزهر اقتحمت الجنود حمى الأزهر ، ووطئت صحنه سنابك الخيل الفرنسية ، وسلطت على جدرانه المدافع شرورها فى هدمه لأنه أقض مضاجعهم وعجزوا عن إخماد الثورة التى يمدها الأزهر بوقوده من الخطب المؤثرة والقيادة الصادقة .

الدكتور إبراهيم على شحوط

الأدب الإسلامى .... حقائق ونماذج

للأستاذ مصطفى عبد الواحد

نقصد بالأدب الإسلامى الأدب الذى تستعلن فيه روح الإسلام والذى يعبر عن أهدافه ويتجه إلى غاياته .

ولا نقصد به ما يسمى بالأدب الدينى ، من القصائد التقليدية المعزولة عن الحياة المحصورة فى نطاق ضيق من المدائح أو الابتهالات .

بل نقصد النظر فى أثر الإسلام فى الأدب العربى : هل استطاع الإسلام أن يصدر الأدب عن توجيهه وأن يحركه فى خدمة الدعوة الإسلامية والتعبير عن نظرة الإسلام للكون والحياة ؟

ونبدأ فنقرر أن الإسلام ، وهو حركة إبداعية شاملة ومنهج كامل متوازن كان لابد أن يؤثر فى الأدب العربى وهو أدب أول أمة اعتنقت الإسلام وتأثرت به ، وقد كان هذا التأثر فى شكل الأدب وجوهره ، أى فى الألفاظ والمعانى والأغراض .

ولكن الغريب أن مؤرخى الأدب لا يبرزون تأثير الإسلام فى الأدب ولا يرسمون له صورته العميقة الصادقة ، بل يكتفون بذكر أمثلة هزيلة لتأثر الأدب العربى بالإسلام ، تفيد أن الأدب العربى لم يستفد من الإسلام إلا بضعة ألفاظ وردت فى القرآن والحديث ، وأنه لم ينطبع بالإسلام إلا شعر حسان وأمثاله من النفر المعدودين من شعراء الصحابة ، حتى شعر حسان رأوا أنه رق فى الإسلام وضعف ، وأن الشعر لذلك نكد يقوى فى الشر ويضعف فى الخير !! .

وكأنهم بذلك يذودون الأدباء عن طريق الخير والإيمان ، ويحذرونهم من ضعف البناء الفنى إن ارتبط أدبهم بالخير والحق ! .

وحقيقة الأمر أن الأدب العربى قد تأثر بالإسلام منذ فجره الأول ، منذ اعتنق الإسلام شعراء وأدباء عرب ، وأصبح الأدب الإسلامى يتصدر معركة الإسلام ضد الكفر والطغيان فى الطور المكى ، قبل أن يواجه ذلك الأدب المعركة الحربية فى دور الجهاد والغزوات فى المدينة .

والأدب الإسلامى فى الطور المكى يعبر عن المحنة ويصور الاضطهاد الذى لاقاه المسلمون من أعدائهم ، وكان أبرز موقف واجهه المسلمون الأولون موقف الهجرة إلى الحبشة ، فقد كان أمراً مؤلماً أن يضطروا إلى فراق ديارهم وأهليهم فراراً بدينهم من الأذى .

لذلك سجل الأدب الإسلامى هذا الموقف وصور مشاعر المهاجرين إلى الحبشة . .

فقد كان مما قيل من الشعر فى الحبشة أن عبد الله ابن الحارث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم حين أمن المسلمون بأرض الحبشة وحمدوا جوار النجاشى وعبدوا الله لا يخافون على ذلك أحدا قال :

يا راكبا بلغن عنى مغلغلة
من كان يرجو بلاغ الله والدين
كل امرئ من عباد الله مضطهد
ببطن مكة مقهور ومفتون
إنا وجدنا بلاد الله واسعة
تنجى من الذل والمخزاة والهون
فلا تقيموا على ذل الحياة وخز
ى الممات وعيب غير مأمون

إنا تبعنا رسول الله واطرحوا
قول النبي وعالوا فى الموازين

فاجعل عذابك بالقوم الذين بغوا
وعائذا بك أن يعلوا فيطغونى ؟

فهل كان بوسع الأدب العربى أن يهتدى إلى هذه المعانى فى جاهليته ؟ إنها صورة إسلامية صنعتها المحنة وأنطقها الاضطهاد .

وعبد الله بن الحارث أيضا هو الذى يقول :

وتلك قريش تجحد الله حقه
كما جحدت عاد ومدين والحجر

فإن أنا لم أبرق فلا يسعننى
من الأرض بر ذو فضاء ولا بحر

بأرض بها عبد الإله محمد
أبين ما فى النفس إذ بلغ النقر

وأشعار المهاجرين إلى الحبشة كثيرة ، وكلها تنطق بالحنق على قريش وما صنعته بالمسلمين ، وتؤكد استمساك المسلمين بالحق وصبرهم على دينهم .

وكان منها جانب يخاطب الجاهليين بلغتهم ويستثير فيهم العصبية والنخوة ، مثل قول ابن مظعون يعاتب أمية بن خلف ، ابن عمه ، وكان يؤذيه فى إسلامه :

أأخرجتنى من بطن مكة آمنا
وأسكنتنى فى صرح بيضاء تقذع

تريش نبالا لا يواتيك ريشها
وتبرى نبالا ريشها لك أجمع

وحاربت أقواما كراما أعزة
وأهلكت أقواما بهم كنت تقرع

ستعلم إن نابتك يوما ملمة
وأسلمك الأوباش ما كنت تصنع

وإذا كان الشعر قد صور المحنة وجابه المعركة فإن النثر أيضا قد ساهم فى الدفاع عن الإسلام فى طوره الأول .

وحديث جعفر بن أبى طالب المشهور أمام النجاشى يعتبر مثالا للنثر الإسلامى ، وقد استطاع جعفر أن يرسم صورة صادقة للإسلام وصورة صادقة أيضا لظلام الجاهلية ، وأن يبين حقيقة موقف المشركين ، بما اجتلب به عطف النجاشى وحمايته .

فقد قال : « أيها الملك ، كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ونسىء الجوار ويأكل القوى الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ... إلى أن قال : « فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله . فعدا قومنا علينا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا فى جوارك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك » .

هكذا تحدث جعفر مدافعاً عن عقيدته ومبيناً للمحنة التى تواجهها تلك العقيدة ، وهى أيضاً قطعة من الأدب الإسلامى الخالص لا عهد لأدب الجاهلية بها ولا قدرة له عليها .

وهذه النصوص من المرحلة الأولى للإسلام ، تنبئ عن أن الأدب الإسلامى ولد مع الإسلام وعاش معه معبراً عن أغراضه مؤرخا لكفاحه منافحا عنه فى شتى الميادين .

مصطفى عبد الواحد

من بحوث مجمع البحوث

التأمين

للأستاذ علي الخفيف

- ٦ -

وقد نص الفقهاء على أنه إذا جعل لرب المال من الربح ألف جنيه إن وصل الربح إلى ألفين مثلا أو زاد عليهما وإلا كان الربح مناصفة بين رب المال والمضارب كان العقد صحيحا لأن ذلك الشرط لا يحول دون المشاركة في الربح .

وعلى هذا يكون الحكم على هذا العقد بأن الحكم عليه موقوف إلى تبين الأمر كالحكم على عقد المكره عند زفر رضي الله عنه إذ يرى أن الحكم موقوف على إجازته من المكره بعد زوال الإكراه فإن أجازه صح ونفذ وإلا بطل - ويصح أن يكون حكم هذا العقد أنه فاسد فسادا يرتفع بزوال سبب الفساد كالعقد الذي يفسد لجهالة أجل العوض فيه فإن الفساد يرتفع ببيان الأجل أو يفسد لاشتراط الخيار دون مدة أو لمدة تزيد على ثلاثة أيام عند أبي حنيفة فإن الفساد يرتفع ويصح العقد باستعمال الخيار في مدة الأيام الثلاثة الأولى التالية للعقد وعلى هذا فليس ما يمنع من أن يكون عقد التأمين فاسدا فسادا يرتفع بزوال المفسد فيصح بظهور ربح تتحقق فيه الشركة مع هذا التحديد على أن من المقرر في فقه الحنفية أن الشرط الفاسد إذا ما تعارف الناس اشتراطه انقلب شرطا صحيحا - ولذا نرى أنهم يذكرون من أنواع الشرط الصحيح ماجرى به عرف الناس في التعامل من الشروط الفاسدة ويمثلون لذلك بأن يشترط المشترى على البائع إصلاح الآلة المشتراة إذا أصابها الفساد في مدة معينة أو أن يشترط عليه حملان السلعة المشتراة إلى منزله - ولا شك أن اشتراط حصة محددة من الربح في عمليات الاستثمار بطريق المضاربة قد شاع شيوعا يجعله عرفا حتى أننا لا نكاد نرى استثمارا من هذا النوع إلا على هذا الأساس تأمينا لأرباب الأموال وبعدا بهم عن أن يسيئوا الظن بأرباب التجارة والأعمال فيقبضوا أيديهم وفي ذلك شلل التجارة والصناعة وعليه فنستطيع أن نقول إن هذا الاشتراط وإن كان فاسدا فيما سلف من الزمن فقد انقلب صحيحا وهذا إذا أغفلنا النظر عما قدمناه من أن أساس اعتباره شرطا فاسدا أنه يؤدي إلى عدم الاشتراك في الربح في بعض الأحوال وأن هذه الأحوال لن توجد أو هي نادرة بناء على ما شرحناه فيما سبق رأنه لهذا لن يؤدي اشتراطه إلى عدم اشتراك في الربح .

على أن المستأمن إذا ما أراد أن يستبرئ لدينه ويتقي احتمالا بعيد الوقوع كهذا فلا عليه أن

يشترط فى عقده مع الشركة المؤمنة أن تكون حصته من الربح كذا فى المائة من رأس المال المدفوع أو مبلغ كذا إن زاد الربح على ذلك فإن نقص كان الربح كله له - وعند ذلك يكون العقد مضاربة صحيحة إن زاد الربح عن المقدار المشترط ويكون بضاعة الربح فيه كله لرب المال إن لم يزد عليه وكلاهما عقد جائز ولا يضير شركة التأمين إن يكون الاشتراط فى العقد على هذا الوضع فإنه وضع لا يغير من نتيجة العقد المعروفة الآن وإن - تجىء حال يكون الربح كله فيها للمستأمن .

ثانيهما : أن المؤمن قد يستغل ما يأخذه من الأقساط فى معاملات ربوية محرمة وعلى ذلك يكون التعامل بعقد التأمين إعانة له على الاستمرار فى ارتكاب المحظور كما يكون الربح من هذه المعاملات ربحا غير طيب لا يطيب لأحد أخذه

وفى سبيل الإجابة عن هذه الشبهة وردها نرى أن استثمار المؤمن لما يأخذه من الأقساط فى معاملات ربوية أمر غير مقطوع به ، لأننا نراه يستثمر فى معاملات تجارية وصناعية مما لا ربا فيه ، وقد يعطى هذه الأموال لاستثمارها فى إقامة المنشآت والمصانع وما يشبهها من الأغراض ، ومن اليسير على المستأمن دفعا لأية شبهة أن يشترط على المؤمن ألا يستغل ما يأخذه من المال فى معاملة ربوية ، ويعزم عليه فى ذلك فإن خالف فإثم ذلك عليه لا على المستأمن الذى لم يكلفه الله بحثا ولا تجسسا عليه بعد ذلك ، ثم هو إذا خالف يخرج عن أمانته وعن نيابته عن المستأمن فينتفى أن يقترف المحظور بالإذن منه .

والنتيجة أن هذا الاستدلال يقوم على الشبهة ولا يكون للشبهة أثر إذا ما تعارضت مع المصلحة وإنه ليرى ما يترتب على التأمين وما يؤدى إليه من مصالح اجتماعية قومية أشرنا إليها فيما سبق وإذا ما كان لعمل ما منافع أكبر من ضرره ، كان جائزا وذلك أصل من أصول التشريع الإسلامى الذى تقوم عليه أحكامه ، بل هو أصل عام فى جميع الشرائع السليمة ويتفق ومقتضى العقل والفطرة .

وعلى ذلك يظهر أن ليس لما احتج به المانعون على حظره من أن فيه ربا أو شبهته أساس .

ما فيه من الغبن :

ذكر بعض المانعين للتأمين أن مما يمنعه ما فيه من الغبن إذ قد يستحق به مال عظيم فى مقابلة مال حقير ولسنا نعلم أن الغبن فى عقد بين عاقدين رشيدين صدر عن رضاهما يصلح سببا للحكم بفساده وحظره وليس الغبن فى عقد بأشد ضررا على المغبون من تبرعه بمثل ما غبن فيه وذلك أمر جائز ، ثم إذا بحثنا عن الغبن فى عقد التأمين لا نجده متصورا إلا بالنسبة إلى المؤمن الذى قد يلزم بدفع مبلغ التأمين بينما أنه لم يتسلم إلا قسطا واحدا من أقساط التأمين ، أما المستأمن فهو الغابن الظافر فى جميع الأحوال التى يتسلم فيها مبلغ التأمين ، أما فى غيرها فقد تمتع بالسلامة والأمان وذلك ما كان يرجوه من عقد التأمين وعلى أية حال فكلا الطرفين قد أقدم على هذا العقد وهو مقدر لجميع نتائجه قانع بها راض عنها طالب لها وهو عاقل رشيد له حق التصرف فى ماله فإذا وجد مع هذا الوضع غبن لم يلتفت إليه ولم يكن له أثر فى العقد .

ما فيه من تحد للقدر الإلهى وبخاصة إذا كان على الحياة :

ونرى أن هذا السبب لا موضع له فى التأمين إلا إذا كان الغرض منه ألا يقع ما قدر الله وقوعه -

وما كان التأمين فى يوم من الأيام ولا فى حالة من من الحالات ضمانا لعدم وقوع الخطر المؤمن عليه حتى يكون تحديا للأقدار، وإنما يقدم الناس على التأمين لتفتيت آثار الأخطار أو لترميمها إذا وقعت وذلك بتحويلها عن ساحة المستأمن الذى قد يعجز عن تحملها إلى ساحة جماعية تخف فيها وطأتها بسبب تجزئتها وتوزيعها بين أفرادها إلى درجة ضئيلة لا يكاد يستشعرها واحد منهم وذلك على الوضع الذى سبق شرحه .

أنه عقد مستحدث لا ضرورة إليه :

حاول بعض المانعين للتأمين أن يجعل من أسباب منعه أنه عقد مستحدث وفد إلينا من الغرب ونشأ فيه نتيجة لتفاعل مجتمعه مع واقع حياته فى نطاق عقائد وتقاليد ، فكان عقداً غريباً عن واقعنا الإسلامى أريد به حين وفد إلينا أن يكون أساساً لزرع معاملات أجنبية فى محيطنا الإسلامى على بعد ما بيننا وبين منشئه من فارق العقائد وأصول التشريع والأذواق والتقاليد ، فليس لنا أن نتخذه مع هذا أمراً مشروعا بيننا يقوم عليه نظامنا وتقضى به محاكمنا إذلم ينشأ نتيجة حكم إسلامى ولا حكم إلا لله وليس لمسلم مهما بلغ شأنه أن يتولى ذلك إلا أن يكون اجتهاداً فيما أنزله الله على رسوله ولم يكن التأمين نتيجة لاجتهاد فيما أنزله الله ولا فيما أثر عن رسوله فكان لذلك أمراً ممنوعا محظوراً — وكثيراً ما رأينا فى الفقه الإسلامى أن بطلان بعض العقود معلل بأنها عقود لم يرد فيها أثر ولم يصح لها قياس وأن ذلك يظهر كثيرا فيما ذهب إليه الحنفية والشافعية ، وعقد التأمين عقد مستحدث لم يرد به أثره ولم يصح له قياس فكان لذلك عقداً باطلا محظوراً — ذلك قولهم فى منع هذا العقد من هذه الناحية .

وهذا التدليل إنما يقوم على أن نظام التعاقد فى الإسلام يقصر الناس على أنواع معينة من العقود المسماة المعروفة فى صدر الإسلام من بيع وإجارة وهبة ورهن إلى غير ذلك من العقود الأخرى التى ورد لها ذكر وأحكام فى مصادر الشريعة ولا يبيح للناس إيجاد أنواع أخرى لا تدخل فى أحد الأنواع السابقة المذكورة ولكن الأمر الذى يكاد يكون معروفا فى الشريعة بالضرورة أن هذه العقود المعروفة كانت متداولة عند العرب قبل الإسلام يتعاملون بها ويقيمون حياتهم عليها حين دعت إلى ذلك حاجتهم ورتبوا عليها أمورهم وجرى العرف بها بينهم ثم جاء الإسلام فأقر ما كان منها صالحاً وكمل ما كان ناقصاً وحرم ما كان ضارا وحد لها الحدود وفصل لها الأحكام على وضع يتحقق به النفع العام للناس وينتفى به الضرر فبينما يرى أنه قد أقر عقد الزواج حرم أنواعا منه تؤدى إلى امتهان المرأة أو قطيعة القربى كما حرم العقود الربوية لما فيها من أكل المال بالباطل فى حين أنه أقر من المعارضات ما ليس فيه ذلك المعنى وإن قام الجميع على الرضا .

ومن هذا يتبين أن الشريعة الإسلامية حين ظهرت إنما نظرت إلى المعاملات بين الناس نظرة إصلاح وتهذيب وتعرف لما تتطلبه الحاجة من أنواعها من حيث إنها طريق لإقامة مجتمع سليم صالح تتوافر فيه أسباب عبادة الله تعالى وتقديسه واتباع أوامره واجتناب نواهيه . وعلى هذا يرى أن العقود لم تشرع إلا للحاجة والمصلحة العامة وحيث تتحقق المصلحة العامة فثم شرع الله وحكمه ولم تشرع ابتداء للتقرب والعبادة وذلك ما يدل عليه وجودها قبل الإسلام وما يتفق مع طبيعتها ويقتضيه إقرار الشارع لها

وهذا ما تفيده نصوص الشريعة إجمالا وتفصيلا ومقتضى ذلك أن الشارع الإسلامى لم يحصر التعاقد فى موضوعات معينة يمتنع تجاوزها إلى موضوعات أخرى ، وليس فى نصوص الشريعة ما يوجب تحديد أنواع العقود أو تقييد موضوعاتها إلا بأن تكون غير منافية لما قرره الشارع من أصول عامة وقواعد كلية فى المعاملة والتعاقد ، ولذا جاء قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » ، أمراً عاما وإلى هذا ذهب فريق من العلماء وخالف فيه أهل الظاهر وقالوا : لا يجوز إحداث عقد لم يرد به شرع لأننا إن أحدثناه ولم نجعله ملزما لم يكن ذا أثر مفيد وإن ألزمنا به أنفسنا فأوجبنا على أنفسنا المضى فيه فقد أحدثنا فى الدين ما ليس منه وأوجبنا على أنفسنا ما لم يوجبه الله علينا وذلك رد .

وفى الحق أن هذا استدلال لا يفيد لأن الله قد أمرنا أن نوفى بالعقود على وجه العموم دون حصر إلا ما يقضى به العقل وينص عليه الدليل فوجب الوفاء بكل عقد إلا ما حرمه الله ولذا كان ما ذهب إليه الآخرون من إطلاق الحرية للناس فى إحداث ما يحتاجون إليه من العقود فى نطاق الأصول الشرعية هو الحق - وليس فى عقد التـأمين نص يوجب تحريمه كما أنه لا ينافى أصلا من أصول الدين على ما سنبين ذلك عند كلامنا على أن الأصل فى العقود هو الإباحة الشرعية .

أما قولهم : إنه عقد لا ضرورة إليه فليس يلزم فى إحداث عقد أن تدعو إليه ضرورة وإنما حدثت العقود نتيجة للحاجة وإقدام الناس عليها وذيوعها وانتشارها دليل الحاجة إليها ، ولا شك أن عقد التأمين عقد منتشر ذائع فى جميع النواحى الاقتصادية والصناعية وليس يحدث ذلك من غير حاجة .

وبذلك يتبين سقوط ما ذهبوا إليه فى ذلك من الاستدلال على منع عقد التأمين .

هـذا ما استدل به المـانعون فيما نعلم وليس فيما قرأنا دليل آخر لم يدل على ذلك ، ومن عجب أن نجد بعضهم أجاز جميع أنواع التأمين التى تزاولها الجمهورية العربية المتحدة بناء على أن ذلك ضرورة اقتضتها حالة طارئة وأنه سيذوب تدريجيا وينتهى إلى لا شىء وهو أمل نرى له أساساً ، فطبيعة نظام التأمين تقتضى البقاء وإذا كانت الضرورة التى زعمها أصحاب هذا الرأى قد سوغت ما يرونه حراما من التأمين ، فإن الحال التى نشأت من انتشار شركات التـأمين وقيام المشروعات الضخمة الكثيرة على أموالها وتوقف استمرارها والتوسع فيها على بقائها وتقاضى أقساط التأمين ضرورة تستوجب جواز هذا العقد وبقائه حتى لا تتقوض تلك المشروعات فجـأة إذ فى تقويضها تخريب مؤكد لاقتصاد الأمة وقد ألمعنا فيما سبق إلى ما للتأمين من مزايا وما يحقق من مصالح عامة .

ذلك ما ذهب إليه المـانعون لعقد التأمين بجميع أنواعه وما استدلوا به وفيما يلى آراء بعض الباحثين الذين منعوا بعض أنواعه دون بعضها الآخر .

آراء المانعين لبعض أنواعه :

ذهب بعض الناظرين فى التأمين إلى أنه جائز فى بعض أنواعه - لخلوها من أسباب الخطر التى ذكرناها - ممنوع فى أنواعه الأخرى لتحقق هذه الأسباب أو بعضها فيه ومن هؤلاء الأستاذ محمد أبو زهرة إذ ذهب فى التعليق الذى ألقاه فى أسبوع الفقه بجامعة دمشق إلى أن التأمين التعاونى والاجتماعى حلال لأنه لا شبهة فيهما وأنه لا يستحل عقود التأمين الأخرى للأسباب التى ذكرها وهى لا تخرج عما

ذكرناه فى أسس الحظر ومنهم الأستاذ محمد بن الحسن الحجوى فى كتابه « الفكر السامى » فقد ذهب إلى أنه جائز حلال فى جميع أنواعه ما عدا التأمين على الحياة لعدم مسيس الحاجة إليه ، وذلك ما يشعر بأنه إنما أجاز ما عدا هذا النوع لحاجة إليه ولو مست الحاجة إلى هذا النوع لأجازه ، ويرى الأستاذ أحمد طه السنوسى فى بحثه الذى نشر بمجلة الأزهر بالمجلد ٢٥ أن التأمين من المسئولية جائز شرعا قياسا على جواز عقد الموالاة ولم يتعرض لغير هذا النوع من التأمين ويرى الأستاذ عيسوى أحمد عيسوى ما رآه الأستاذ محمد أبو زهرة من جواز التأمين الاجتماعى والتعاونى دون غيرهما من الأنواع الأخرى وذلك فى بحثه الذى وضعه فى التأمين ، وبنى رأيه هذا على أن التعاونى والاجتماعى خاليان من شبهة الغرر والقمار والربا وأكل المال بالباطل فكانا جائزين لذلك .

وجملة القول أن أكثر المعارضين فى التأمين يرون جواز التأمين الاجتماعى الذى تقوم به هيئة تعاونية مكونة من المستأمنين أنفسهم بناء على أنه قائم على التعاون بين أعضاء هذه الهيئة وأن ما يدفعه كل منهم من الأقساط تبرع منهم وجهوه إلى هذا الوجه من وجوه البر والخير عن رضا منهم واختيار وليس فى ذلك معنى من معانى القمار والمراهنة والربا ولا غرر فيه ولا جهالة ولا أكلا للمال بالباطل ويستوى عندئذ أن يكون التأمين على الأشياء أو على الحياة لأن ما يعطى للمستأمن إنما يعطى إليه تبرعا من المجموع ولا يضير أن تقدير ما يعطى فى أنواعه كما فى التأمين على الحياة قائما على نسبة مئوية يتبع فى حسابها ما يتبع عند استثمار المال على أساس الفائدة ما دام أن الإعطاء قائم على التبرع ، وسنعود إلى هذا الموضوع فيما يأتى فنزيده بيانا وإيضاحا .

وكذلك يرى كثير منهم فى التأمين أنه جائز إذا ما قامت به الحكومة وأن ما سنته الحكومات من نظم التقاعد والمعاش لا يختلف فى شئ عن نظام التأمين ، ولذا كان فى الواقع نوعا منه وقد أقر كثير من علماء الشريعة هذا النظام وعملوا به ورأوا أنه يحقق مصلحة عامة يقوم عليها نظام خدمة الدولة والعمل لها ، ويقولون فى تأييد ذلك والاستدلال له : إن قيام الحكومة بذلك عند ما تقوم به ليس إلا من قبيل كفالتها لرعاياها وللعاملين فى خدمتها ، وذلك ضرب من ضروب ولايتها وهيمنتها على جميع شئون أفرادها ، واضطلاعها بسد حاجتهم ورفع الضر عنهم ومعونتهم فى مغارمهم وفى تحمل آثار ما ينزل بهم من نوازل وما يصيبهم من كوارث ، وذلك خير ما تقوم به الدولة لرعاياها ولها فى سبيل ذلك أن تفرض الضرائب وأن تسن النظم الكفيلة بتحقيق هذه الأهداف دون عنت أو إرهاق ، وعلى هذا فإن ما تأخذه لهذه الغاية من المال ليس إلا من قبيل الوظيفة أو الضريبة التى تفرضها على من يريد أن يتمتع بهذا النظام ، وليس عوضا ولا بدلا مما سيعطى لمن قام بدفع هذا المال ، وبهذا الوضع والبيان ينتفى أن يكون من قبيل المراهنة والمقامرة أو أن يكون فيه غرر محظور أو أكل للمال بالباطل وجملة القول : إن ما تأخذه الحكومة من الأموال فى هذه السبل إذا ما رأت الأخذ إنما تأخذه ليكون عونا لها فى قيامها بمهمتها فى شتى المرافق التى تضطلع بها ، شأنه شأن الضريبة تفرضها ، وأن ما تعطيه لأفرادها فى هذه السبيل إنما تعطيه من مال الدولة ولمن ترى أن له حقا فيه ، وأن ذلك مما يجب عليها أن تقوم به إذا ما توفرت سبله على الوجه الذى تراه تلك آراء من لم يمنعه بجميع أنواعه ، وذهب

إلى جوازه فى بعضها ، ولم تخرج أسباب منعه لبعضها الآخر عن الأسباب التى ذكرناها فيما سبق وبينا أنها لا تصلح حجة للمنع .

رأى المجوزين :

لبيان رأيهم ومستنده نرى أن نعرض لحالات ثلاث يكون عليها عقد التأمين وذلك لاختلافها فى الحكم لدى الناظرين فى عقد التأمين الباحثين عن حكمه شرعا ، ولأن العقد فيها قد يرى أن طبيعته تختلف فيها اختلافا قد يكون هو المؤدى إلى اختلاف الرأى فى حكمه والبيان ، ذلك نعرض لحالات ثلاث .

الأولى : أن عقد التأمين قد يكون مع جمعية تعاونية تضم جميع المستأمنين ولها شخصية معنوية ويمثلها هيئة يعينها المستأمنون ، وتقوم هذه الهيئة بكل ما يلزم لهذا العمل من إدارة وتعاقد مع من يريد الانضمام إلى الأعضاء وتقاضى جميع الأقساط وتقوم على حفظ المال وجمعه واستثماره بالطرق المشروعة التى تراها ودفع المال لمن نزل به الخطر وغير ذلك مما تتطلبه هذه العملية - وإذا جنحت فى استثماره إلى طرق محظورة فإثم ذلك على مقترفه وعلى من يرضى به وهو إثم لا يتصل بموضوع التأمين ولكنه إثم انحراف فى العمل فى ماله وذلك مالا يمس موضوعه ، وفى هذه الحالة يختفى معنى المعاوضة فى عقد التأمين ، ذلك لأن المؤمن فيه هم المستأمنون أنفسهم فالالتزام وتحمل التبعة منهم جميعا ممثلين بالهيئة التى عينوها وما يدفعونه من الأقساط .

القول فى جوازه :

قد يرى الناظر فى التأمين أن طبيعته فى بعض أحواله مختلفة عن طبيعته فى بعضها الآخر فطبيعته فى التعاونى تختلف عن طبيعته عندما تكون الحكومة هى القائمة به كما تختلف عن طبيعته كذلك عندما تقوم به شركة مساهمة أنشئت لغرض الربح وجمع المال .

فإذا قام بالتأمين جمعية تعاونية تضم جميع المستأمنين وأقامت من بينها هيئة تمثلها لتقوم بكل ما تتطلبه أعمال التأمين من تعاقد وإدارة وتقاض للأقساط واستثمار للمال بالطرق المشروعة التى تراها ودفع التعويض لمن ينزل به الخطر وغير ذلك من أعمال التأمين فإنه فى هذه الحال يختفى معنى التعويض فى عقود التأمين معها لأن المؤمنين هم المستأمنون أنفسهم فكان الالتزام وتحمل تبعة الخطر المحتمل منهم جميعا ممثلين بالهيئة التى عينوها وما يدفعونه من الأقساط حينئذ إنما يدفعونه جميعا ليكون حصيلة ورصيدا يدفع منه التعويض لمن نزل به الخطر المؤمن ضده وهو خطر يتعرضون له جميعا - وبناء على هذا يخلو العقد من شبهة الربا ومن معنى الخطر والغرر ومن جميع الشبهات التى أدت ببعض الباحثين إلى القول بحظره ويكون موضوع العقد حينئذ هو التزامهم جميعا ممثلين فى الهيئة التى عينوها ، بتحمل تبعة الخطر الذى ينزل بأحدهم ودفع ضرره بواسطة التعويض الذى يدفع من أموالهم لهذا الغرض .

وليس يخفى أن قيام الهيئة باستثمار ما يجمع من الأموال فى هذه الحال أمر خارج عن معنى التأمين وعن موضوعه وعلى الهيئة أن تستثمره بالطرق المشروعة فإذا حادت عنها فالإثم عليها نفسها .

والعقد على هذا الوضع كما يرى عقد جديد مستحدث لم يكن معروفا فى عهد التشريع ولا يتناوله عقد من العقود المعروفة التى جاء ذكرها فى الكتاب

أو على ألسنة الأئمة المجتهدين - وهو عقد يؤدى إلى خير لا شك فيه ويحقق مصلحة اجتماعية تقوم على التعاون الذى أمر الله به إذ يقول «وتعاونوا على البر والتقوى» فوجب لذلك أن يكون عقدا جائزا واجب الوفاء لقوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود» وقد ذكرنا فيما سبق أنه يجوز للناس أن يحدثوا من العقود ما تدعوا إليه حاجتهم بما لا يتعارض مع أصول الدين فكيف بالعقد يؤدى إلى ما أمر به الدين .

وكذلك الحال فى التأمين الاجتماعى الذى تقوم به الحكومة مباشرة بواسطة ما تسنه من قوانين وهو فى الجمهورية العربية المتحدة يتناول ما يأتى :-

أولا : نظام المعاشات والمكافآت التى تعطى عند ترك الخدمة أو انتهائها ، وهو نظام ينظمه قانون المعاشات ويقوم هذا النظام على جمع حصيلة من المال يسهم فيها الموظفون بما يستقطع من رواتبهم والحكومة بما تضمه إلى ذلك من أموال تؤخذ من ميزانيتها على أن تدفع الحكومة من هذه الحصيلة إلى من يترك الخدمة أو إلى ورثته عند وفاته معونات شهرية يستعينون بها فى تحمل أعباء المعيشة وتكاليف الحياة وذلك طبق نظام مسنون تكفل ببيانه قانون خاص يسمى قانون المعاشات .

ثانيا : التأمين الاجتماعى - ويشمل الأنواع الآتية :-

١ - تأمين إصابات العمل :

والغرض منه رعاية العامل فى حالة إصابته بأحد الأمراض المهنية أو حال إصابته نتيجة حادث أثناء تأدية العمل أو بسببه .

وتتولى الهيئة العامة للتأمينات الاجتماعية علاج المصاب ونفقاته ، ويشمل ذلك أجور الأطباء والإخصائيين ومصاريف الإقامة فى المستشفيات والعمليات الجراحية والبحوث والتحاليل الطبية كما تصرف الهيئة للعامل المصاب خلال تخلفه عن العمل معونة مالية تعادل أجرة المدة المسدد عنها الاشتراك .

وفى حالة العجز الكلى الدائم أو الوفاة بسبب مرض مهنى أو إصابة عمل يصرف معاش على أساس ٨٠ ٪ من متوسط الأجر فى السنة الأخيرة .

أما إذا نشأ عن الإصابة عجز جزئى دائم تبلغ نسبته ٣٥ ٪ أو أكثر من العجز الكلى فإنه يصرف للمصاب معاشا يوازى نسبة ذلك العجز .

وإذا كانت نسبة الإصابة تقل عن ٣٥ ٪ فيصرف للمصاب تعويض معادل لنسبة ذلك العجز مضروبة فى قيمة معاش العجز الكلى عن أربع سنوات ويصرف التعويض دفعة واحدة .

والاشتراك الواجب دفعه ٣ ٪ من أجر كل عامل يلزم بدفعه صاحب العمل .

٢ - التأمين الصحى .

والغرض منه علاج العامل والقيام بنفقات ذلك العلاج ويشمل ذلك أجور الأطباء والإخصائيين والإقامة فى المستشفيات والأبحاث والتحاليل الطبية المختلفة وثمن الأدوية .

ويصرف للعامل أثناء مرضه فى حالة تخلفه عن العمل معونة مالية تتراوح بين ٧٥ ٪ و ٨٥ ٪ من أجر العامل بحيث لا تتجاوز ٨٠ يوما فى السنة الميلادية .

ويشمل التأمين الصحى رعاية المرأة العاملة فى حالة الحمل والوضع ويصرف لها بجانب الخدمات الطبية معونة مالية مقدارها ٧٥ ٪ من أجرها تؤديها الهيئة عن مدة إجازة الحمل والوضع .

والاشتراك الواجب دفعه ٤ ./. من أجر كل عامل على صاحب العمل ١ ./. من أجر كل عامل على العامل

٣ - التأمين ضد البطالة :

ويقضى بصرف تعويض عن بطالة العامل بواقع ٥٠ ./. من الأجر الذى سدد على أساسه الاشتراك ويستمر صرف التعويض إلى اليوم السابق لالتحاق العامل بعمل ويصرف التعويض أسبوعيا خلال فترة التعطل بحد أقصى ٢٨ أسبوعا .

والاشتراك الواجب دفعه : ٢ ./. من أجر كل عامل على صاحب العمل ١ ./. من أجر كل عامل على العامل

٤ — تأمين الشيخوخة والعجز والوفاة :

(ا) عن الشيخوخة :

يستحق معاش عن الشيخوخة عند بلوغ العامل سن الستين كما يستحق هذا المعاش عند إصابته بعجز كلى دائم أو فى حالة وفاته بشرط أن تبلغ مدة اشتراك العامل فى التأمين ٢٤٠ شهرا على الأقل .

ويحسب المعاش على أساس متوسط أجر المشترك خلال السنتين الأخيرتين بواقع ٢ ./. من هذا المتوسط عن كل سنة من مدة اشتراكه فى التأمين . أما المدة السابقة على الاشتراك فى التأمين فيحسب عنها معاش بواقع ١ ./. مقابل أداء مكافأة نهاية الخدمة للهيئة .

والحد الأدنى للمعاش ٣٦٠ قرشا شهريا .

والحد الأقصى ٧٥ ./. من متوسط الأجـــر أو ١٠٠ ج أيهما أقل .

(ب) معاش العجز والوفاة :

يستحق هذا المعاش إذا حدث العجز الكلى الدائم أو وقعت الوفاة خلال مدة خدمة العامل ويحسب المعاش على أساس ٤٠ ./. من متوسط الأجر الشهرى الذى سدد عنه الاشتراك خلال السنتين الأخيرتين أو بواقع ما يستحقه من معاش الشيخوخة أى المعاشين أكبر .

(ج) التأمين الإضافى :

علاوة على معاش العجز أو الوفاة تصرف الهيئة إلى المؤمن عليه أو إلى ورثته مبلغ تأمين إضافى يقدر على أساس نسبة مئوية من متوسط الأجر السنوى تختلف النسبة تبعا للسن .

والاشتراك الواجب دفعه :

١٤ ./. من أجر كل عامل على صاحب العمل
٨ ./. « « على العامل

وعليه تكون جملة الاشتراك فى التأمين الاجتماعى بأنواعه كما يأتى :

الحـــالة	اشتراكات صاحب العمل	اشتراكات العامل	المجموع
تأمين إصابات العمل	٣ ./.	—	٣ ./.
التأمين الصحى	٤ ./.	١ ./.	٥ ./.
« ضد البطالة	٢ ./.	١ ./.	٣ ./.
تأمين الشيخوخة والعجز والوفاة	١٤ ./.	٨ ./.	٢٢ ./.
	٢٣ ./.	١٠ ./.	٣٣ ./.

على الحفيف

ما يقال عن الإسلام

الفكر السّياسى فى الإسلام

للأستاذ الدكتور احمد فؤاد الإهوانى

الاتجاه الحديث عند المستشرقين نحو مباحث ثلاثة : الحضارة والعلوم والسياسة . تكلمنا عن رأيهم فى الحضارة وعرضنا أكثر من كتاب فى هذا الموضوع ، ولما نعرض بعد الناحيتين الأخريين ، والآن نبدأ بكتاب هام فى الفكر السياسى فى الإسلام ألفه الأستاذ الدكتور روزنتال الأستاذ بجامعة كمبردج . وهناك مستشرقان يحملان نفس اللقب « روزنتال » ، أحدهما هذا الذى نتحدث عنه وهو « أروين » والآخر اسمه « فرانز » له أيضاً مباحث فى الفلسفة الإسلامية ودراسات عن الكندى بخاصة .

وقد نشر « أروين روزنتال » كتاب الفكر السياسى سنة ١٩٥٨ فى طبعته الأولى ، وسنة ١٩٦٢ فى طبعته الثانية الشعبية . ويتألف من بابين كبيرين الأول فى الدساتير الشرعية والتاريخ الإسلامى فى أربعة فصول : الأول فى تحصيل السعادة ، والثانى فى نظرية الخلافة ووظيفتها عند الماوردى والغزالى وابن جماعة وابن تيمية ، والثالث فى الحكومة بحث فيه آراء ابن طباطبا ثم آراء بعض الأمراء والأدباء ، والرابع فى سلطة الدولة ورأى ابن خلدون أما الباب الثانى فيبحث فيه التراث اليونانى فى الإسلام عند الفارابى ، وابن سينا ، وابن باجة ، وابن رشد ثم الدوانى .

ونحن نرى من هذا التقسيم أن المؤلف استعرض معظم التيارات فى الفكر السياسى ، سواء التيار الإسلامى الأصيل أو المستمد من الفكر اليونانى .

ومن الواضح أن المؤلفات السياسية التى تبحث فى نظرية الحكم قليلة فى الإسلام . ولذلك فيما نرى سببان ، الأول: أن القرآن ـ وهو ديوان المسلمين ـ فيه المبادئ العامة لنظرية الحكم ، وبخاصة إذا عرفنا أن السياسة والأخلاق لا ينفصلان ، وأن كلا من السياسة والأخلاق يقومان على أساس من الدين ولذلك أثر عن النبى عليه السلام أنه سئل عن وصية فقال : تركت فيكم أمرين ان تضلوا بعدهما ، كتاب الله وسنتى . والسبب الثانى: أن نظرية الحكم بطبيعتها متغيرة بحسب الظروف والأحوال ، حتى إن الخلفاء الاربعة تولى كل منهم الحكم بطريقة مختلفة . وسار كل منهم فى سياسته بطريقة مختلفة حقا « البيعة » أساس هام فى نظرية الحكم ، ولكن عمر بن الخطاب لم يتول الخلافة ببيعة عامة ، بل بعهد من أبى بكر نظراً للظروف العصيبة التى كان المسلمون يجتازونها فى ذلك الحين .

ومن الواضح كذلك أن المؤلفين المسلمين الذين تناولوا هذا الموضوع السياسى هم إما فقهاء وإما فلاسفة ، وإما أدباء أو مفكرون أحرار . فالماوردى

صاحب الأحكام السلطانية هو أبو الحسن على بن محمد ابن حبيب ، نشأ بالبصرة ، وكان من الشافعية ، كتب تفسيراً للقرآن ، وكتابا فى النبوات وعدة رسائل فى الأخلاق ، تولى القضاء فى خلافة القائم بأمر الله ، ويعد كتابه الأحكام السلطانية مزيجا من آراء السلف وثمرة لأصول الفقه من الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وانعكاساً لأحداث عصره السياسية .

ومن الواضح ثالثاً أن المؤلف تتبع النظريات السياسية بحسب ما جاءت إما عند فقهاء أهل السنة أو عند الفلاسفة . ولكنه أغفل النظريات عند الشيعة ، وقد أشار إلى ذلك فى مقدمته قائلا : إن الشيعة يدينون بالولاء لعلى بن أبى طالب ، ويفترقون مذاهب شتى بحسب تسلسل الإمام . وأغفل كذلك رأى المتكلمين ، وهم فى نظر بعض المستشرقين ، إن لم يكن معظمهم ، أصحاب الفلسفة الأصيلة فى الإسلام . وآراء المتكلمين جديرة بالعرض والاهتمام . وهى عند المتقدمين منهم فى غاية الأهمية نظرياً ، وإن كانت مؤلفاتهم فقدت ، إلا أنه تسنى الكشف عن بعضها أخيراً حين نشر كتاب المغنى للقاضى عبد الجبار المعتزلى ، وفيه جزء خاص عن الإمامة يطبع الآن ويصدر قريبا . ولم يكن للمؤلف عذر فى إغفال المتأخرين من علماء الكلام ، وهذا مثلا كتاب « العقائد النسفية » لنجم الدين عمر النسفى الذى يتدارسه طلبة الأزهر الشريف بشرح التفتازانى ، يقول فى آخره : « والخلافة ثلاثون سنة ثم بعدها ملك وإمارة . والمسلمون لابد لهم من إمام يقوم بتنفيذ أحكامهم ، وإقامة حدودهم ، وسد ثغورهم ، وتجهيز جيوشهم ، وأخذ صدقاتهم ، وقهر المتغلبة ، والمتلصصة ، وقطاع الطريق ، وإقامة الجمع والأعياد .. إلخ » . فإن قيل : إن المتكلمين والفقهاء كلاهما يوقع على أنغام واحدة ، ولا خلاف بينهما فى نظرية الحكم ووظيفة الحاكم ، إلا أن المتكلمين يلتمسون مبررات عقلية لآرائهم تعد سنداً لها . ونرجو أن يتدارك المؤلف ما فاته فى طبعته المقبلة .

يستهل المؤلف الكتاب ، وفى أول سطر من المقدمة ، قائلا : « إن الإسلام هو أحدث الأديان الكبرى العالمية ، وأن بلاد العرب إذا كانت مهد الإسلام ومصدر إلهامه فإنه يدين بكثير من عقائده إلى اليهودية والنصرانية ، وأن طريقته فى الحياة التى تتركز فى شريعته الشاملة المنظمة لهذه الطريقة لها كثير من الملامح المشتركة مع الطريقة اليهودية فى الحياة . وقد نشأ محمد النبى الذى أسس هذا الدين حتى بلغ سن النضج وهو على صلة يومية باليهود والنصارى . ومع أننا نجد عناصر يهودية ومسيحية فى تعاليم محمد وفى الطقوس والشريعة الإسلامية ، فإن الإسلام ليس مجرد مجموع تلك العناصر الأجنبية ، لأن محمداً طبع شخصيته على ما رآه وسمعه وجادل فيه » ..

وحاصل الكلام السابق أن الإسلام لم يأت بجديد إذ هو تأليف للديانتين السابقتين ، وأن الإسلام ثمرة شخصية محمد ، مما يترتب عليه أن القرآن ليس كلام الله ولا هو تنزيل من رب العالمين ، بل هو من ابتكار محمد . وهى فرية ليست جديدة ، إذ سجلت التهمة فى القرآن نفسه ، ونزل الوحى الأمين بالرد عليها .

* * *

فإذا صرفنا النظر عن هذه الملاحظة الأخيرة ،

وهى مشتركة عامة بين كل المستشرقين حتى مللنا سماعها ، فلا ريب أن البحث بعد ذلك جيد فى بابه ، سائر على منهج سليم . وبعد فإنه لا يعدو كونه تلخيصا بارعاً لسلسلة من الكتب الرئيسية المؤلفة فى السياسة . فهو يلخص كتب الماوردى والغزالى وابن جماعة ، حتى يصل إلى ابن تيمية فى كتابه « السياسة الشرعية » وابن تيمية حنبلى ، متمسك بالسنة إلى حد التطرف ، يبدأ كتابه بوجوب التوحيد ، وبأن تكون السياسة إلهية ، ويستشهد بالآية الكريمة « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » ولكن الطاعة تعتمد على العدل فإذا لم يحكم أولو الأمر بما أمر الله ، وجب على المسلمين أن يرجعوا إلى كتاب الله وسنته . وأولو الأمر هم الموظفون المدنيون والحربيون والفقهاء الذين يعدون الممثلين لأوامر الله لدى البشر . والعدل هو حجر الزاوية فى السياسة سواء فى هذه الحياة الدنيا أم فى الآخرة والعدل هو سر ازدهار الأمم ، ومن أجل ذلك أرسل الله تعالى رسله وكتبه حتى يحكم الناس بالقسط .

وقد عالج المؤلف رأى ابن خلدون فى فصل خاص جعل عنوانه « الدولة القائمة على القوة » ذلك أن ابن خلدون بعد أن من الدول فى نشأتها واكتمالها وسقوطها ، بعد النظر إلى التطور التاريخى ، وجد أن « القوة » هى سند الحاكم فى الوصول إلى الحكم . ولم ينتقص ابن خلدون من قدر الدين فى إقامة الملك ، فقد عرف استقراء التاريخ الإسلامى من جهة ، ومن النظر إلى الأحوال التى كانت سائدة فى المغرب من جهة أخرى ، أن السياسة الشرعية « مثالية » ، وأن الواقع السياسى بعيد عنها . فهو لا يختلف عن الماوردى أو ابن تيمية ، إلا أن الطائفة الأولى كانت تطالب بالتطرف فى المثالية ، على حين أنه قيد نفسه بالواقع ، وبخاصة الناحية الحضارية التى يسميها العمران . وللعمران مطالب مادية ، ومراعاة قوانين اقتصادية واجتماعية قد تكون بعيدة بعض الشىء عن المبادىء الدقيقة لتعاليم الإسلام .

* * *

حتى إذا تناول المؤلف التراث اليونانى فى صلته بالنظريات السياسية وجدنا أنه يتحدث حديث المتمكن من موضوعه . وقد بدأ ذلك الحديث بالفارابى ، الذى أسس هذا العلم . وكان يجدر بالمؤلف أن يرجع إلى الوراء قليلا فيتكلم عن الكندى فيلسوف العرب ، ولكن عذر المؤلف واضح وهو فقدان معظم مؤلفات الكندى على الرغم من أنه كتب فى السياسة ، وكان على صلة بالخليفة المعتصم بالله ، كما كان مؤدباً لابنه أحمد .

والفارابى هو صاحب « المدينة الفاضلة » ، ومؤلف كتب أخرى كثيرة لها صلة وثيقة بالعلم السياسى ، مثل : تحصيل السعادة ، والسياسات المدنية ، وغير ذلك وكان الفارابى يعرف أفلاطون معرفة جيدة فأخذ عن الجمهورية ، وهى المدينة الفاضلة ، كما لخص النواميس والغاية من « المدينة » هى السعادة ، سعادة الفرد والمجتمع على السواء . والسعادة ليست اللذة بل هى كمال الإنسان من حيث هو إنسان عاقل ، من جهة المعرفة والنظر ، ومن جهة العمل . والمدينة هى الدولة باللغة الحديثة ، وهى المثل الأعلى للسياسة عند اليونان ، تعكس

حياتهم التى كانت واقعة بالفعل ، لأن الوحدة السياسية عندهم كانت المدينة لا الامبراطورية . ومن أجل ذلك حذا الفارابى حذو اليونانيين ، فذهب إلى القول بالمدينة والسياسة المدنية . وكمال الإنسان فى بلوغه المعرفة النظرية التى يصل إليها الإنسان إما متفرداً وإما اجتماعيا ، ولكنه فى حالة الاجتماع والتعاون تكون حياته أكمل ، وسعادته أتم . وهنا يفترق ابن باجة ، وهو أبو بكر ابن الصائغ ، عن الفارابى . ذلك أن ابن باجة يذهب ، كالمعلم الثانى ، إلى أن رئيس المدينة لابد أن يكون « واحداً » هو الإمام أو الفيلسوف ، ولكنه لا يعيش منعزلا ، على حين يزعم ابن باجة أن هذا الرئيس هو « المتوحد » ، ولذلك سمى كتابه فى السياسة : « تدبير المتوحد » . والمتوحد فيلسوف ينعزل بنفسه عن الناس والمجتمع ، ويصل إلى رتبة الكمال بالمعرفة النظرية حين يتصل بالعقل الفعال . وهذه هى نظرية الاتصال المشهورة التى كان لابن باجة فيها رأى خاص ، أثر بدوره فى ابن رشد ولابن رشد تفسير لجمهورية أفلاطون والكتاب مفقود فى العربية ، موجود فى ترجمته العبرية ، وقد نشره روزنتال مع ترجمته إلى اللغة الإنجليزية .

أما الشيخ الرئيس أبو على ابن سينا فقد افترق عن الفارابى من جهة وعن ابن باجه من جهة أخرى ، فلم يكن سياسياً نظريا متأثراً خطى اليونانيين فى الأغلب ، ولكنه استوحى البيئة التى كان يعيش فيها ، والحياة العاصفة التى مر بها ، والتجربة الفعلية السياسية التى مارسها ، إذ أنه تولى الوزارة لشمس الدولة بن بويه ، وأخذ يصرف شئون الملك ، فخبر السياسة عن كثب ، واكتوى بحلوها ومرها . ودون هذا كله فى آخر كتاب الشفاء فى قسم الإلهيات . حقا : المقدار الذى كتبه لا يتناسب مع ما ينبغى أن يقدمه فيلسوف غزير التآليف ، طويل النفس ، مثل الشيخ الرئيس ، إلا أنه أودعه كثيراً من الأصول الهامة التى ينبغى على الحاكم اتباعها لصلاح حال « المدينة » . وقد نصح ابن سينا بأمور يعد فيها سابقاً لزمانه ، أو هى من فضائل الحضارة الإسلامية التى سجلها وأقرها ، منها وجوب العناية بالمرضى والمعوزين والقعدة ، وإيجاد عمل لكل فرد فى الدولة حتى تمتنع البطالة التى تعد مدخلا إلى الشر والفساد .

ولكن النظريات السياسية التى نادى بها الفلاسفة لم تجد فى قلوب المسلمين صدى ، لأنها صادرة عن الفلاسفة أولا ، وكان بين الفلسفة والدين عداء شديد ، ولأن نظرية الفارابى والتى تبعه ابن سينا فيها عن النبوة لم يقبلها أهل السنة وعدوها خروجا على تعاليم الإسلام . ولهذا السبب انتصرت جهة الفقهاء وأهل السنة ، وظلت نظرياتهم فى الخلافة والإمام والحاكم الصالح ووظيفة كل صاحب سلطة فى الدولة هى السائدة ، وهى القائمة على مبادىء من الشرع ، منذ الماوردى إلى ابن تيمية إلى الوقت الحاضر لكل من يكتب عن السياسة فى الإسلام ؟

أحمد فؤاد الأهوانى

الكتب

للأستاذ : تحسين عبد الحي

الإسلام والمسلمون فى شرق إفريقيا :

تأليف : الدكتور عبد الرحمن زكى

لا شك أن هناك بعض النقاط والقضايا التى تفرض نفسها اليوم على صعيد فكرنا العربى المعاصر من هذه القضايا بل من أخطرها فى رأيى قضية العروبة والإسلام ، فهل يمكن فصل العروبة عن الإسلام ؟ وإذا كان الوطن العربى الواحد الذى ندعو إليه يمتد من المحيط إلى الخليج ، فما هى مقومات هذا الوطن ؟ وبمعنى آخر ، ما نوع « الأيديولوجية » العقائدية التى تحكم سلوك أفراده فى حركتهم العربية الواحدة ؟ قضايا كثيرة وهامة ولكن ما يعنينى هنا هو أن أركز على شيئين :

أولهما : أن العرب قد أكسبوا الحضارة العربية الإسلامية فى عصور ازدهارها لغة الدين والعلم ، ولهذا نجد الفارسى أو التركى حتى فى وقت متأخر حينما كان يريد أن يشتغل بالأدب ، لم يكن يفكر فى أن يعارض العربية كلغة أولى للثقافة فى أنحاء العالم الإسلامى - واللغة العربية هى المعبرة - دون منافسة عن كل الثقافة الإسلامية فى عصور ازدهارها فلقد كان لها الصدارة ، وكان لها التفضيل لدى العلماء ، ولقد ظهر كثير من العلماء لم يكونوا من أصل عربى خالص وكتبوا باللغة العربية وفضلوها وهؤلاء العلماء لهم مكانتهم العلمية فى العالم ولهم أسماء لامعة فى سماء العلوم والفلسفة والفنون ، ومن بين هؤلاء ابن سينا والفارابى ، حتى إننا نجد حركة الشعوبية الثقافية التى ظهرت فى العصر العباسى الأول والتى كانت تهدف إلى إظهار قيمة تراث الشعوب الإسلامية وحضارتها أمام حضارة العرب لم تجد هذه الحركة وسيلة للتعبير عن نفسها إلا باللغة العربية ، ولكل هذا نستطيع ، ونحن مطمئنون ، أن نسمى الثقافة الإسلامية الكبرى التى ظهرت فى عصور الازدهار الإسلامى « بالثقافة العربية » وإننا فى ذلك لا نعطى هذا المصطلح المعنى العنصرى ، بل نقصد بذلك — ناحية اللغة والثقافة التى كانت الأساس الذى قامت عليه الحضارة العربية الإسلامية بمختلف نواحيها — .

وثانيهما : أننا إذا كنا ندعوا إلى وحدة عربية شاملة ، فإننا نعنى بها أكثر من أنها وطن عربى واحد ، فدولتنا العربية الموحدة هى بالدرجة الأولى الظهير القوى للعالم الإسلامى الذى ما زالت تسيطر على معظم دوله الجبهة الاستعمارية العالمية بوسائلها المختلفة ، وإذا كنا فى حركتنا الوحدية نحارب الاستعمار على أرضنا ونحاربه فى الكونغو وروديسيا ، وقبرص ، وفى كل مكان ، فإن ذلك يتم بالضرورة لاعتقادنا بأن الاستعمار وخططه وأهدافه كل لا يتجزأ ضد العالم العربى والإسلامى فى آسيا وإفريقيا ، وإذا كان شعبنا يتحمل مسئولية

المواجهة الصريحة للقوى الاستعمارية والصهيونية فى فلسطين ، بحمايته للمدخل الشمالى الشرقى لقارة إفريقيا من الزحف الصهيونى الاستعمارى الجديد فإنه فى نفس الوقت يؤمن بأن هذه المسئولية فضلا عن كونها تتصل بمقومات وجوده ، فهى رسالة إنسانية لحماية إنسان النصف الثانى من القرن العشرين فى إفريقيا وآسيا من خطر دعوة دينية عنصرية بغيضة .

وكتابنا لهذا العدد ـ الإسلام والمسلمون فى شرق إفريقيا — يتحدث عن الكيفية التى تم بها انتشار الإسلام فى هذه المنطقة وقبل أن ندخل فى موضوع الكتاب يجدر بنا أن نلقى نظرة عابرة على حركة الإسلام الدينية والحضارية فى إفريقيا لأنها كانت من التشابك والتلاقى فى بعض الأحيان بالدرجة التى يمكننا بها القول إنها اتفقت جميعها فى نشر الإسلام وتدعيمه ، إن أحداً لا ينكر تلك الوحدة التى حققها الإسلام للقبائل الإفريقية ، والتى أحدث بها نوعا من الرخاء بسبب التجارة وفتح الأسواق ، ولقد اهتم الإسلام فى كل مكان حل فيه بالقراءة والكتابة والنظافة النفسية والجسمية ، كما أنه أبطل شرب الخمر ، وأكل لحوم البشر ، والأخذ بالثأر بالإضافة إلى أنه دعا إلى احترام الذات واحترام الحياة ، وحقق نوعا من الانسجام بين الإنسان ونفسه ، وبينه وبين مجتمعه ، وبين المجتمع والعالم كله ، ومن هنا أعطى الإفريقى الإحساس بالكرامة وبأنه مسئول عن العالم كله .

ولقد حاول البعض أن يربط بين ظاهرة الانتشار الإسلامى والسماح بتعدد الزوجات ، ولكن يرد عليه بأن المسيحية فى بعض المناطق فى إفريقية سمحت بهذا ، بل لم تقف بالعدد عند أربع ، ومع هذا لم تحقق ما تريده ! ومهما يكن من شىء فإن عملية التقدم المستمر ترد على هؤلاء الذين حاولوا القول بأن الإسلام دين محلى ، وأنه دين سيف ، وأنه دين الصحراء أصلا ، والسهول فرعا وأنه من الاجهاد بحيث لا يستطيع تسلق المرتفعات فى أى مكان توجد فيه لا هى ولا غيرها من مناطق السفانا والغابة » .

ولكننا نجد الحقائق تعارض كل هذه الدعاوى فنجد أن الإسلام فى إفريقيا قد اكتسح السهل وتعلق بالمرتفعات ، صحيح أن تغطيته للصحراء والسهول كانت جارفة ، ولكن هذا يرجع إلى تلك القبائل البدوية التى كانت تغطى هذه المناطق .

ومن المقرر أن الإسلام لم ينتشر تماما حين شهر السيف ، ولكن حين رفرف السلام أخذ الإسلام يمد أجنحته على شرق إفـــريقيا ، ثم يتغلغل بهذه الأجنحة إلى الداخل بحيث أصبح حقيقة مقررة تصل ما بين موزمبيق وسفالة ، ونياسالاند وهضبة البحيرات وأوغندة ، وكينيا ، والكونغو بالإضافة إلى تنجانيقا ، وهكذا كانت المساجد تلف هذه المناطق لفاً فى القرن الثامن عشر . بحيث أصبح مما لا شك فيه أن الإسلام قد انتشر بالسلام أكثر مما انتشر بالمعارك المتلاحقة خلال أربعة قرون ، لفت المنطقة بغبارها وتوترها ، بالصراع الذى لم يكن يهدأ إلا ليثور .

ولنعد الآن إلى كتابنا ـ الإسلام والمسلمون فى شرق إفريقيا ـ إذ يقول المؤلف :

لقد استمدت الدعـــوة الإسلامية فى إفريقيا حيويتها الدينية من :

الأزهر الشريف .

وزوايا المغرب العديدة ومدارس فاس ومراكش ثم من مدارس طائفة القادرية فى تمبكتو ومن بعض زوايا طائفة التيجانية .

ثم من زوايا السنوسية فى جغبوب وغدامس متجهاً جهات بحيرة تشاد ، وبه أصبحت وادای وبرنو مراكز إسلامية تتأجج فيها حماسة الدعوى.

ثم من مراكز الدعوة الإسماعيلية فى الساحل الشرقى ويقوم به الهنود والباكستانيون من الساحل إلى أوغنده ، وإلى المناطق التى يقطنها (البانتو) فى الكونغو .

وبعد أن يتحدث الكتاب عن دور مصر كنقطة الانطلاق الأولى إلى الدعوة الإسلامية فى إفريقيا ، وكذلك عن كيفية انتشار الإسلام فى السودان وعن المذاهب الدينية السائدة فيه يصل بنا إلى موضوع الإسلام فى الحبشة ...

ويبين صلة الإسلام والمسلمين بالحبشة فى سنواته الأولى ثم يعطينا بعد ذلك التسلسل التاريخى لهذه الصلة منذ قامت أول سرية من المسلمين متوجهة إلى الحبشة فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب فى العام العشرين للهجرة بقيادة علقمة بن محرز المدلجى ، وفى عام ٨٣ هجرية أغار الأحباش على جدة ، وأثروا على تجارة مكة ، مما كان له رد فعل عند العرب ، فقرروا لحماية متاجرهم فى البحر الأحمر أن يحتلوا جزائر « دهلك » المواجهة لميناء مصوع ، وبذلك أقام المسلمون رأس جسر بينهم فيما بعد على احتلال قواعد على ساحل الحبشة ، تمهيداً للتسلل التدريجى فى داخل البلاد ، فاستولوا على مصوع وزيلع وجزء كبير من الساحل ، واستطاعوا العمل على نشر الإسلام بين القبائل الوثنية دون قتال

وكان من أثر تبادل التجارة بين اليمن والحبشة رحيل التجار اليمنيين والحجازيين إلى الحبشة ، وكان من بينهم جماعة من قريش من سلالة « عقيل بن أبى طالب » قد سكنوا فى « جبرت » و « أوفات » من أراضى زيلع ، وسموا بعد ذلك بالجبرتية ، وقام هؤلاء بإنشاء أول دولة إسلامية فى الحبشة ، وأخذ نفوذهم يمتد ، حتى إذا جاء القرن الرابع عشر كان قد تم لهم تأليف سبع ممالك زاهرة .

سميت : « الطراز الإسلامى » على سواحل الحبشة وهى : مملكة أوفات ، ودوارو ، وأرابينى وهديا ، وسرخا ، وبالى ، ودارة . ومنذ ذلك التاريخ والحرب بين الأحباش المسيحيين والعرب والأحباش المسلمين تدور سجالا بين الفريقين إلى أن بدأ التدخل البرتغالى فى المنطقة ... وكان من أثر تدخل البرتغاليين فى شئون الحبشة ، عقب معاونتهم للأحباش ، أن نشأ نضال عنيف بين مسيحيى الحبشة وأعلن بعض القادة صراحة أن من الخير لهم أن يخضعوا للمسلمين ولا يظلوا على محالفة البرتغاليين وسرعان ما اتخذت الحركة شبه الدينية وشبه الوطنية التى استقرت هنالك مثل هذه الخطوات الواسعة التى أدت حوال عام ١٦٣٣ إلى طرد البرتغاليين وإخراج المسيحيين الأجانب من البلاد ، ثم يبدأ طور جديد فى العلاقات بين الأحباش والمسلمين بظهور الدعوة المهدية فى السودان إلى أن يتولى « ليبج ياسوع » حفيد منليك الثانى الحكم سنة ١٩١٣ سنة ١٩١٦ .

وكان هذا الملك الشاب مبصراً بالأخطار المحدقة ببلاده من طريق بريطانيا وفرنسا ، فأنكر الدين المسيحى ، وتزيى بزى المسلمين ، ونقش على العلم الحبشى : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، بل إنه فكر فى إعلان الجهاد والقضاء على المسيحيين ،

وأعد جيشاً لتنفيذ خطته ، وقرر فى عام ١٩١٦ أن يتبع البلاد لتركيا فى الشئون الدينية ، فتدخلت الدول الأوربية وأرغمته على النزول عن العرش ، وعمل خلفاؤه على دعم المسيحية ، والحد من النفوذ الإسلامى .

ولا يزال الإسلام ينتشر فى أثيوبيا ، وخاصة بين سكان الأقاليم التى أخضعتها أثيوبيا فى القرن العشرين ، سواء أكانوا مسيحيين أم وثنيين ، وقد بلغت سرعة انتشار الإسلام فى هذه الأقاليم درجة اقضت مضاجع كثير من المبعوثين المسيحيين فى أثيوبيا .

ثم ينتقل الكتاب بعد ذلك إلى كيفية انتشار الإسلام فى الصومال موضحاً تلك الجهود الجبارة التى بذلتها الطرق الصوفية فى نشر الإسلام فى الصومال هذه الطرق التى دخلت إلى الصومال بفضل اليمنيين والحضارمة الذين استقروا فى مقديشيو وزيلع وغيرهما من المدن الصومالية ، ومن أهم هذه الطرق ، الطريقة القادرية التى تنتسب إلى مؤسسها « عبد القادر الجيلانى » (١٠٧٧ — ١١٦٦ م) ، واستطاعت القادرية أن تتوغل إلى داخل البلاد حوالى عام ١٨١٩ عندما أسس الشيخ إبراهيم حسن جبرو مركزاً لها مكان بلدة « برديرة » الحالية ، ثم نشر الشيخ عيسى بن محمد البراوى هذه الطريقة فى جوبا العليا ، وبنى مسجداً وزاوية فى قرية « توججلة » عام ١٩٠٩ .

وعن الإسلام فى أوغندا يذكر الكتاب أنه على الرغم من أن الديانة السائدة هناك هى الوثنية إلا أن عدد المسلمين هناك يزيد على ثلاثمائة ألف نسمة بتقدير المبشرين أنفسهم ، وهو ينتشر بصورة تدريجية فى المقاطعات الغربية التى يوجد فيها ثمانية سلاطين من المسلمين .

ثم يتناول الكتاب توزيع القبائل المسلمة فى تنجانيقا ونياسالاند (مالاوى) وموزمبيق وبعد ذلك يعرض لنا طبيعة الإسلام ونسبته العددية فى الجزر الإفريقية ، فى كل من أرخبيل دهلك التى يقطنها غالبية من المسلمين وجزيرة بريم وكل سكانها من المسلمين ثم جزيرة قران وكل سكانها مسلمون ... وجزائر كثيرة غير هذه .

* * *

أما بعد : فلا يستطيع أحد أن ينكر عمق التغير الإنسانى والحضارى الذى قامت به الحضارة العربية الإسلامية فى إفريقيا ، وإذا نظرنا إلى الإحصائيات الحديثة لمسلمى إفريقيا نجد أن عددهم اليوم بين ٨٥ و ٩٥ مليونا من المسلمين ، أى بنسبة ٢٤ أو ٢٥ ٪ تلك النسبة التى تكاد على وجه التقريب تبلغ حوالى ثلث سكان القارة ، والدول الإسلامية التى يتخذ فيها الإسلام طابع الأغلبية المطلقة والذى يصبح فيها تلقائياً ـ الدين القومى ـ كثيرة تبلغ اثنتى عشرة دولة مستقلة فى إفريقيا الشمالية .

إننا نحتاج الآن أكثر من أى وقت مضى إلى مزيد من الدراسات الواعية لطبيعة الحياة المعاصرة فى داخل إفريقيا ، بأبعادها المختلفة ويدخل فى نطاق ذلك مزيد من الدراسات الاقتصادية والاجتماعية ، ولقطاعات المجتمع الإفريقى وطبيعة تلك العلاقات . حتى نستطيع عن طريق هذه الدراسات أن نفهم ونعى بعمق وأصالة ـ حقيقة المأساة التى يعيشها الإنسان الإفريقى ، لكى نناضل به ومعه من أجل حريته المنشودة ؟

محسن عبد الحى

أنباء وآراء

● قال فضيلة الأستاذ أحمد حسن الباقورى مدير جامعة الأزهر فى ندوة نقابة المعلمين يوم ١٣٨٥/٩/٢١ هـ . إن الذين يحاولون تلحين القرآن الكريم لا ينتهكون حرمة دينية فقط ، ولكنهم أيضاً يعتدون على شعيرة مقدسة ، ويريدون لهذا التقديس أن ينعدم ، ومن الواجب أن نقاوم هذه المحاولات بكل ما نستطيع .

إن القرآن ليس من كلام الشعراء ، وإنما هو دستور حياة تتمثل فيه العبرة ، وهذا ينفر كل النفور من محاولة التلحين ، ويتنافى أيضاً مع الوقار الواجب للقرآن ، ويتنافى أيضا مع قول الرسول الكريم : إذا أحببت أن أناجى ربى قرأت القرآن ، ومع قوله أيضاً : « إذا قرأنا القرآن فلنبك ، وإذا لم نبك فلنتباك ! » .

● أصدر مجلس جامعة الأزهر برياسة الشيخ أحمد حسن الباقورى مدير جامعة الأزهر قراراً بتخصيص جميع كراسى « الأستاذية » ودرجات « الأساتذة المساعدين » الحالية والتى تخلو لمدة ثلاث سنوات ، لعلماء الأزهر الأعضاء فى هيئات التدريس بكليات القانون والشريعة الإسلامية واللغة العربية ، وأصول الدين . ومنع التعيين أو الترقية عليها من خارج الجامعة .

وقد اعتمد المهندس أحمد عبده الشرباصى نائب رئيس الوزراء هذا القرار الذى بدأ تطبيقه عقب عطلة عيد الفطر بترقية ستة عشر عالماً من درجة « مساعد أستاذ » إلى درجة « أستاذ » ، وستة عشر مدرساً إلى درجة « مساعد أستاذ » .

● تقرر إنشاء فروع لجامعة الأزهر فى جميع عواصم الجمهورية العربية المتحدة ، وبعض عواصم العالم العربى ، وسينفذ هذا المشروع فى الخطة الخمسية الثانية . من ذلك إنشاء فروع فى محافظات البحيرة والغربية وسوهاج . وفى مدينة القدس بالأردن .

وسوف يصحب تنفيذ هذا المشروع إنشاء « مدينة أزهرية دينية » فى كل محافظة ، وتضم هذه المدينة كليات الجامعة ، ومعهداً دينياً نموذجياً ومسجداً ومدينة سكنية للطلبة ، وقاعة للمحاضرات .

أما تنفيذ المشروع فى عواصم العالم العربى فقد جرت اتصالات هامة للبدء فيه ، وفى أثناء زيارة مدير جامعة الأزهر للأردن أخيراً بحث مع المسئولين فى الأردن موضوع إنشاء كلية طب أزهرية فى مدينة القدس تكون نواة لإنشاء هذه الجامعة ، وتم الاتفاق فعلا على التفاصيل المبدئية للمشروع كما اختير أحد مستشفيات القدس ليكون مقراً لكلية الطب الأزهرية فى الأردن

● قررت إدارة المعهد العالى للدراسات الإسلامية والعربية التابع لجامعة الأزهر تدريس كتاب « تاريخ الأدب العربى » للأستاذ أحمد حسن الزيات .

● أنشىء معهد جديد خاص باللغات الأجنبية بجامعة الأزهر يتبع « إداريا » كلية اللغة العربية وشعب الدراسة فيه خمس تضم بعض اللغات الشرقية بجانب الإنجليزية .

● يعكف الأستاذ الدكتور محمد البهى وزير الأوقاف السابق على تأليف تفسير للقرآن الكريم منذ أول رمضان ١٣٨٥ .

* * *

● فاجأتنا الأذاعة فى برنامج « إنه فى يوم » الذى يقدمه ضياء الدين بيبرس ، والذى تبناه السيد مكارى الملحن عارضا فيه تلحين القرآن الكريم مصاحبا بأدوات المغنى والموسيقى ، بادئا بقصار السور الكريمة ثم بطوالها مستجمعا (الكورس) من فتيات وفتيان مرددا كل فريق آية من سورة الصمد بطريقة آثارت الهم والكمد حيث غنى القرآن المقدس كما تغنى أى مقطوعة ملحنة أو أية أغنية مقسمة على السلم الموسيقى بصورة أخرجتها عن جلالها ، وغطت على جمالها وقدسيتها .

ترى أيتجه الذهن إلى الاستماع لألفاظها وتدبر معانيها . أم يتجه إلى الاستمتاع بالموسيقى : ألحانها ومغانيها أم أن هذا خلط بين لهو الحديث وكلام الله لنضل عن سبيل الله بغير علم ، وتتخذ آياته هزوا .

إنهم سيقولون : ما أردنا بهذا إلا الحق ، وأن ندعوا الناس إلى دين الله بالطريقة العصرية المثلى ليقبلوا على الله ، ولكننا نقول لهم من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء ولو دقت من حوله الموسيقات بأطيب النغمات . على أن طرق أداء القرآن المنزل بها قد جمعت أعذب التعبيرات وجذبت إليه ، دون هذه المحدثات ، أشد الخلق نفورا . وأعظمهم جحدا وفجورا ، وعلام نبعد ألم تستمع إلى القراء المجيدين كيف تأخذ قراءتهم بالألباب .

إن تلحين القرآن الكريم يصرف الذهن عن معانيه . لانشغال سامعيه حينئذ بما يصاحبه من نغمات ، وألحان وترديدات فوق أن التلحين يخرج به عن قواعد التجويد والقراءات ليوافق هذه الألحان وتلك النغمات . وهو تحريف وتبديل لكتاب الله : « يريدون أن يبدلوا كلام الله » (يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به) .

إن أرباب الفكرة يظنونها خطوة تقدمية تخدم الدين . مع أنها فكرة مضللة . أخطارها لا تحد . واضرارها لا تعد وستثير علينا حفائظ من حولنا ، وتهيج ضغنا من المسلمين من كل مكان ، سيقولون هنا : إننا نعبث بكتاب الله إذ سلكنا به مسلك التمثيليات ، وبذا يصدق قول من أنزل عليه صلى الله عليه وسلم (أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم) فدعونا من هذه الفكرة الوافدة وأقلعوا عنها فما لها من نصير ، وما تغنى من تطمير والله لا يرضاها ورسوله يأباها . ولتطلبوا فكرة سواها . وكفى ما فى التمثيل من فساد ، والله ولى التوفيق والسداد !

محمد عبد الرسول

وكيل معهد القراءات

في محيط العالم الإسلامي

● رابطة العالم الإسلامي تنعى الشهيد أحمدو بللو :

بمزيد الأسى والحزن العميق تنعى رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة علماً من أعلام الإسلام وركناً من أركان هذه الرابطة هو الشهيد الحاج (أحمدو بللو) عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ورئيس وزراء نيجيريا الشمالية ورئيس جمعية الإسلام فيها الرجل الذي نذر نفسه لنشر الدعوة الإسلامية في القارة الإفريقية مضحياً بكل غال وثمين في سبيل إرضاء الله ولقد كان ماضياً في مسعاه بالنجاح إلى أن انسلت يد الإثم والغدر والخيانة فطعنت القلب الكبير الذي كان لأيام خلت في هذا البلد يردد قوله : إن المسلمين لن يستقيم لهم حال ولن يقوم لهم مجد إلا إذا جمعتهم أخوة الإسلام وبغير ذلك سيظلون مغلوبين على أمرهم يتحكم فيهم أعداء الله جميعاً لقد صدق الشهيد إذ أدرك أن طريق الدعوة محفوف بالمخاطر، وأن الأعداء لها بالمرصاد ولكن هذا الدم الذكي الذي أريق على أرض نيجيريا المسلمة سينبت أغراساً طيبة تعمل بهدى الله ورسول الله والمخلصين من عباد الله الشهداء والصادقين والصالحين ، وإن الدعوة ماضية في أمرها وهذا أول شهيد لها نرجو أن يكون مسكنه جنات عدن مع الخالدين . هذا الرجل الذي فقده العالم الإسلامي تغمده الله برحمته وألهم المسلمين بالقارة الإفريقية خاصة والعالم الإسلامي عامة الصبر والسلوان وصدق الله العظيم إذ يقول : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» وإنا لله وإنا إليه راجعون . الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي

● حملت أنباء ٣ / ١٠ / ١٣٨٥ هـ ، أن المؤامرة التي وقعت أخيراً في نيجيريا . وقد تخلصت من كافة زعماء الشمال المسلمين بقتلهم جميعاً ، الأمر الذي أورث نفوس المسلمين أسى وألما ومرارة على رجال قضوا بلا ذنب أو جريرة ، أيديهم بيض على وطنهم ، وأنفاسهم عبير الحرية لديارهم ، ماتوا فمات معهم عضد لقضايا الإسلام وسند لحق العروبة وسهم في إسرائيل .

فإلى رحاب الله الطيبة تلك النفوس الزكية التي صعدت إلى بارئها بريح المسك من دمائها ، والسلام الأمين الذي تشهد به قسوة التمثيل بأبدانها .

عليك سلام الله ورحمته أيها الأمين أحمدو بيللو ، وسلام على أبي بكر باليوا ، وعلى الشهداء الأبرار وسلام على نيجيريا ، وليحفظها الله .

(مجلة الأزهر)

● ليبيا : يعقد يوم ١٣ / ١١ / ١٣٨٥ هـ في طرابلس مؤتمر لوزراء التربية والتعليم والتخطيط الاقتصادي في الدول العربية ، ويستمر المؤتمر ستة أيام ، ويستهدف بحث السياسة التعليمية وعلاقتها بالشئون الاقتصادية ، وذلك بربط الخطة التعليمية بخطة التنمية الاقتصادية في الدول العربية .

● السعودية : في أنباء ١١/٩/١٣٨٥هـ أن جلالة الملك الفيصل ملك السعودية قد أمر بتشكيل محكمة خاصة لمحاكمة خمسة وستين شيوعياً ، وقد سبق الحكم على تسعة عشر شيوعياً آخرين اتهموا بتهديد أمن الدولة .

masters and classes of slaves. This situation came to an end when the Revolution worked hard to achieve social justice and to raise the standard of living. This aim was not known before Revolution, but it became now the main goal of our people. This turn obliged us to give more attention to our national sources wich will increase our income.

About Birth control, one of the great 'Imam of Muslims, 'Al-Ghazali, said, nine centuries ago, that : "If a wife became afraid of her nimbleness by more pregnancy, so that would affect her relation with her husband, then she would be allowed to control her birth to maintain close relation with her husband".

So, if a wife was permited to resort to birth control to save her nimbleness she should be allowed to maintain good relations with her husband by control her births, in order to reduce his burden of heavy expenditure on him. By this she could, also, be able to give good care to her children.

It is reported that some of the close companions of the prophet Muhammad said : "We were resorting to 'Coitus Interruption' in the life time of the messenger of God". This is the healthiest method to control births and is much better than contraceptive drugs. The Muslim Jurisprudents added the condition of the consent of wife to practice 'coitus Intrruption', considering the freedom of woman. We established the Girls college at Al-Azhar university so that the Muslim girls could be acquainted with the details of Muslim laws.

It is wrong to give reasons of livelihood for practising birth control; Muslims believe that God guaranteed livelihood of people. We could give reasons of disability to look after the children or maintaining wife's health, for control the birth.

Q : Is wearing turban a traditional necessity in Islam ?

A : Islam is not bind to a special form of dress. People are free to wear whatever they like. Environment has its own rules in this affair. Could one imagine that the residents of the 'Eguatorial' Regions, for example, walk with 'naked heads'? or do sudanese and the people living in hot regions feel comfort with neckties in summer months ? In fact, Dresses will conform to weather and environment rather than to rules and legislations.

"Repel (Evil) with what is best. Then will he between whom and thee was hatred, become as it were, they friend and intimate. And no one will be granted such goodness except those who exercise patience and self-restraint".

(Qur'an, XLI - 34 - 35.)

AL-Azhar and the Message of Islam

By : H. E. Sheik Ahmed Hassan Al-Baqouri
RECTOR OF AL-AZHAR UNIVERSITY

The Middle East representative of "Los Angles Times", Mr. Joe Alex Morries, held an interview with his Excellency Sheikh Ahmed Hassan Al-Baqouri, Rector of Al-Azhar University, recently. Answering the questions he explained the role of Al-Azhar in the spreading of the message of Islam and also he answered questions concerning the Muslim Women's education and the Birth control etc. The following is an English version of the interview.

Q : What is the message of Al-Azhar University and the reason for its establishment and the role its has ?

A : Befor I answer this question, I would like to give a brief introduction. Our social needs and the nature of our country cannot do without religion. university of Al-Azhar was established as a centre for the service of Islam.

Islam has two sides. Spiritual side and material side.

The first one will serve the spiritual side of man. And the second will serve the material side of him i : e. the social, agriculture, health and engineering etc.

Al-Azhar University was contenting with the spiritual side only. But, when the revolution occured and it started a complete and perfect reform in the country, it payed due attention to Al-Azhar. The first man who took interest in the establishment of the 'new' Azhar University and opening the new Faculties was President Gamal Abdul-Nasser. By his guidance and instruction these Faculties were established which will serve the material side of man.

One of the main aims of the university is to provide educational facilities for Muslim girls, thus the Al-Azhar has established a girls college with its different branches of studies i : e Islamic studies, medicine, arts, Philosophy, Psychology and simultaneous translation. We hope that this college will be the nucleus of a 'Muslim university for Girls'.

The basic aim of the university is to co-ordinate the relations among people in the light of religious principles.

Q : I have noticed that the Premier Zakaria Mohieddin has reffered, in his address to the U. A. R. Parliament, to the question, of family planning and birth control; what is the secret of this sudden interest ?

A : There is no secret or surprice in that; because the sphere of interest about these problems was limited before Revolution, but after the Revolution thes cope of education has widened and it became within reach to all sections of people, so the cost of education has raised. Also there was a great deal of class differences among the people, but there were classes of

(4)

It was another life, another time, yet it was the living now of me... slowly I became conscious of soft swaying sounds around me, the murmur of voices, the faint creak of leather harness. It was night and the scent of the desert wind caressed my face. As I looked at the star strewn Eastern sky I dimly saw familiar shapes of men and camels around me and knew I was travelling in a desert caravan. Then gradually I became aware of a terrible feeling of impending disaster, I did not know what, but I flet very afraid and that somehow I must escape. So towards dawn, I and three companions, headed our horses into the desert in search of the unknown help I knew was waitig there.

We rode through the morning as the sun rose high over the hot sand which gradually changed into broken stone and there, sheltering in the shade of a huge rock from the fierce heat, we saw two men. We asked who their leader was and they reverently replied "Mohammad". The name meant nothing to me and I turned from them to see a figure approaching whom I knew was their leader. I dismounted from my horse to meet him and as we drew near each other I saw he was a man of regal stature yet with an aura of great kindness, he had the most beautiful eyes which looked compassionately into mine as, coming close, he took my hands in his. Then he embraced me and as he did so my body seemed to blend and melt into his... it was the strangest of happenings, for a while I no longer existed as I, for I was Mohammad.. I saw with his eyes, thought with his mind and felt with his body. The sense of power was unbelievable, there was a strength and knowledge that enfolded the stars and I knew, without any doubt, that this was Mohammad the Chosen of Allah, the Last Prophet. I felt a terrific wave of happiness and love as I surrendered myself completely to him, becoming oblivious of all else.

I opened my eyes to find myself lying on my bed, yet I was no longer the same person for there was a deep change in me. There was a feeling peace and contentment I had never had before, as if a certain climax in my life had passed irrivocably altering my inner being and my heart knew a gratitude that overwhelmed me; sending me on my knees in worship of Allah, my Adored, who had answered my prayer. As I knelt I felt his love around me and knew my fate had been decided. . . I was a Muslim. Rumi expresses it beautifully, "Into my heart's night I groped, and lo! a wonderful world of day".

Later I told the Abbot of my decision and left the monastery shortly after for the new life which lay ahead of me, where it would lead me, I did not know but I trusted Allah to guide and protect me, whom He had blessed beyond all deservance. When I left the dawn was just near and as I walked away down the steep dark path the sun slowly began to appear over the surrounding mountains, it's warm rays falling on me asif in understanding of the mixed feelings in my heart, for my stay there had been a decisive point in my life and I knew I would never forget that gentle monastery of Kurisumala.

When I told my friend of this, for such he had now become, he understood and gave me his blessing when I sadly left to continue my journey to India.

(3)

India, it is a name which means much to many. To me, who saw it by plane, train, bus and even tonga, meeting every class and caste of people, it spelt both beauty and poverty - the two were inextricably entwined and I was both enthralled and horrified in turn by this curious country of contrasts. However, when I first arrived in India I was not interested or concerned in anything for I was hit by what is vulgarly termed "Bombay Belly" and my stomach was absolutely miserable until I reached Madras. There, the horror and refusal of the booking-clerk when I naively asked for a third class ticket, I went by train far south until I found myself high in the hills of Kerala where my destination, the Monastery of Kurisumala, lay on a tiny plateau. This was only reached by a bus which jolted and panted hot steam at the twisting and turging road, which went through shady tea plantations higher and higher, until with a final jerk of gears it came to a shuddering halt... but still there was further to go and before I knew it someone grabbed my bag and set off at a fast pace up yet another steep hill... up and up, sweating and out of breath I climbed the steep track until a sudden bend showed the monastery just ahead of me.

It was delightful, built large and low of white stone it lay in a sheltered hollow on the edge of an escarpment; the vast view it commanded was magnificent and àlone worth any wearisome journey. The Abbot who had seen me coming, was kindness in person and had a bath prepared with tea waiting for me afterwards, all of which I needed very badly. Here I stayed, in this haven of peace, living in the most simple manner possible. All I wore was a long cloth round my waist and shoulders, I went barefoot, I slept on a reed mat placed over a board bed (which at first my hip found very painful!), and I learned to eat meatless food with my fingers; to my amazement I was content. The Abbot, Dom Bede, was a charming and learned man whith a vast knowledge of Eastern religions, on which we talked for many hours, and I was very happy to find an excellent liberty and often climbed to the close by top of the mountain to spend the day just looking at the indescribable grandeur of the panorama around me. Far, far below lay the plains stretching way into the distance to meet the silvery sea on the edge of the horizon and on either side the sweeping mountains faded away into the mist of clouds. To me it was a Temple of God in which He always dwelt.

Living such a life of simplicity and devotion, I felt the shrouding dross of the physical world fall about me as I prayed to God for enlightenment and one night, after spending a long time in meditation, I had a dream. While I am conversant with the psychiatric interpretation of dreams, I am certain this dream went beyond such mundane realms for it was too real... I know I lived a vision.

My Experience of Islam

THE RIGHT PATH

(3)

By : Raschid Ansari

(Robert Wellesley)

He told me of the "Pillars of Islam", the pillars of faith and wisdom. How in the Seven pillars of Faith the first pillar is belief in Allah, the Eternal and One God who has no equal ; the second is in His angels, of whom we are each said to have our Guardian Angel ; the third is in the Books sent from Allah for our guidance, of which it is a fact that the Koran is the only one to retain it's original purity ; the fourth is in all the prophets of Allah, such as Moses, Abraham, Jesus and Mohammad (may peace be with them), who brought the message of Allah to the peoples of the world ; the fifth is in the Hereafter, of the continuation of life after the body dies ; the sixth is in the ultimate will of Allah, that though we must do our best in every way we must always surrender ourselves to His will ; the seventh is in the Day of Judgement, when we will face our Lord for His mercy. Then in the Five Pillars of Wisdom the first pillar is the belief in the one God alone, Allah, and in His last prophet Mohammad (may peace be with him) who was yet the first ; the second is the practise of obligatory prayers five times during the twentyfour hours, when one must be in a state of ritual cleanliness ; the third is Zakat, this primarily means giving a percentage of one's income to the State for the welfare of its citizens ; the fourth is fasting during the month of Ramadan, at this time all Muslims must fast from dawn to dusk, abstaining from any sexual activity ; the fifth is the Hajj or pilgrimage to Mecca, often causing great sacrifice it is a bond for thousands of Muslims all over the world. These are the faultless pillars which later became the pillars of my life and in them lies the strength of being a Muslim.

All these things, the fundamentals of Islam, and other points gave me an intellectual conviction by their simplicity, purity and logic, of the truth of the Islamic faith and through this an approach to His presence. It answered all my questions, questions I had been asking men of various faiths for years without any satisfaction and, most of all, it asked no compromise for in its entirety it is a complete religion, a true theocracy. Unfortunately, though my mind accepted this faith, this was not enough for me, I needed a spiritual conviction also, for without the two an acceptance of faith could not be an honest and complete one on my part.

Quran) is the light of clear reason and a guidance and mercy for those who believe" (XLV : 20), "O mankind, there has came to you an exhortation and direction from your lord, a healing for the (diseases) in your hearts, a guidance and a mercy for believers" (X : 57). "And we sent thee (Muhammad) not but as a mercy for all creatures" (XXI : 107).

In the material world we see the constant operation of the natural law of selection. What is it but a manifestation of God's mercy, which preserves what is beneficial and climinates what is barmful, such as scum and forth ? The Quran uses, in this connection, the terms 'true' and 'false' (or vain), for the true remains and the false is eliminated, and this applies not only to material things but also to man's inner life.

« بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق » .

We hurl the Truth against falsehood, and it doth smash its head, and lo ! (falsehood) doth perish) XXI : 18. This is the unalterable law of nature, and if we do not see it clearly it is only because of our shortsightedness.

The effect inevitably follows the cause, though the process is sometimes so gradual as to be almost indiscernible. When heat is applied to water, the latter does not boil at once, but (boil it does) if heat is applied to it in sufficient intensity and sufficiently long. If heat is reduced or withdrawn before the water reaches the boling point, what appeared to be inevitable will be warded off and the water will return to its original low temperature. So exactly it is with man's conduct. The sure results do not reveal themselves at once but they follow inexorably, unless man's conduct alters before the process has gone too far. In other words, both in material and spiritual matters, man is given plenty of time and numerous chances to reform and find the right path. If one would but reflect, this apparentdelay in the working of the law of cause and effect, of deed and desert, is but the leniency of Divine Mercy. Another way of stating the same truth would be to say that man is given the opportunity to derive the fullest benefit from this life and to enrich it by his conduct.

So it is that the code of religious beliet and conduct which the Qu'ran presents to man is based entirely on mercy and love, for man's spiritual life is not separated from but an integral part of the natural order and the entire basis of that order is Divine Mercy. There are over three hundred places in the Qu'ran dealing with mevcy, and if we take into account the passages dealing with the other related attributes it can be said that the Qu'ran is, from the beginning to the end, nothing but a message of Divine Mercy.

This emphasis on the quality of mercy is a pointed message of God to man, for man is, in a manner of speaking, God's 'viceregent' or 'Shadow' on earth. His very nature and existence demand that he should cultivate divine qualities and practise them in his relations with fellow men, and the most fundamental divine qualities are those of justice and mercy.

This law of difference is also evident in the different stages of man's life from infancy to old age, and also in his manifold desires sentimants and emotions, thus giving variety and sustained interest to life. It is also evident in the different stages of social development; they not only enrich human life by their variety but also goad man to fresh activities and enterprises and thus not only turn the rigours of his labours into pleasures of effort and joys of fulfilment but also ensure human progress. In accordance with His wise and beneficent plan, God "has made you successors on the earth (of those who went before you) and has exalted some of you in rank above others, that He may try you by (the test of) that which He has given. He is indeed swift in punishing (misdeeds), but verily He is also forgiving and merciful " (VI : 165).

Just as the Quran argues from the facts which clearly reveal the existence of a Nourisher and Preserver, so it also repeatedly argues from the equally clear manifestations of Divine Mercy. Since in every thing we see not only an organisation and order but also signs of grace and mercy, it is impossible to avoid the conclusion that there must be a gracious and merciful intention and force be hind it all. " Behold ! In the creation of the heavens and the earth, in the alternation of the Night and the Day in the ships which run upon the sea for the profit of mankind, in the rain which God sends down from the sky, théreby giving life to an earth that is dead, in the beasts that He disperses upon the earth, and in the ordinance of the winds and the clouds which trail obediently between the sky and the earth — (in all these) are signs for those who understand" (II : 164).

Divine mercy manifests itself further in the beauty and perfection of all creation. The appropriateness and right proportion of everything around us call for reflection and it is impossible to resist the conclusion that is has not all happened haphazardly but that there is a purposeful force behind all creation and that that force is a merciful one.

«الذى خلق سبع سموات طباقا ، ما ترى ى خلق الرحمن من تفاوت .. الآية » .

He "hath created the seven heavens in harmony, one above another. No want of proportion wilt thou see in the creation of The Beneficent Most Gracious. Look again. Canst thou see any flaw ? Then look again and yet again. Thy sight will return discomfited and worn out, (without being able to detect any rift or flaw)" LXVII : 3 - 4.

It is from this quality of mercy that the Quran also argues the inevitability of a life hereafter...

Do they not understand that God, Who created the heavens and the earth, has power to create (men) like them (anew) ?) XVII : 99 — and the need for divine revelation. The Quran asks how it is possible to imagine that the Mercy and Grace which manifest themselves in every nook and corner of the universe and have provided everything necessary for the physical well - being of man have nothing to offer for his inner guidance and spiritual benefit. So it is that revelation, the gift of the Book and the assignation of prophets are referred to over and over again as a mercy from God. "This (the

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYAT

Shawwâl 1385	ENGLISH SECTION EDITED BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE	February 1966

The Quran's Conception of God - VII

By : Moulana Abul Kalam Azad

Nor is it only kinship which gives life its interesting and attractive character. Differences make a contribution no less important. Man's nature is such that it soon tires of same or even similar things and seeks variety. This variety is to be found in all the creatures and phenomena of nature, in time and season, day and night, summer and winter, land and water, hills and plains, green forests and arid deserts and then again within each kind. Every animal is different from another in shape and form and in all other respects. Every plant differs from another in size and shape, in colour and smell, in taste and in all its other properties. So it is also with minerals and all material objects.

Another aspect of this natural law of difference is what may be called the law of pairs. Every thing is in pairs; there is nothing odd. For every night there is a day, for every evening there is a morning for every masculine being there i a feminine match. It is this law of nature which has divided mankind into two sexes and filled them with such instinets of action and interaction. sensation and emotion. that one sex has a natural and irresistible attraction for the other, and it is this mutual attraction which leads to and sustains a complete social life. This is so, says the Quran, in order that there may be love and contentment and that partnership and comradeship may render the labours and trials of life easy and bearable.

« ومن آياته أن خلق من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها
وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم
يتفكرون » .

(And among His Signs is this, that he created for you helpmates from among yourselves that you might find rest and peace in them, and He ordained between you love and mercy. Lo ! herein are indeed signs for those who reflect). (XXX : 21). And from this relationship between man and woman flows a series of other relationships which link the past with the future generations, projecting the individual far beyond himself and linking him with others of his kind in an ever widening circle.

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزآن التاسع والعاشر - السنة السابعة والثلاثون - ذو القعدة وذو الحجة سنة ١٣٨٥هـ - مارس ١٩٦٦م

ج ١٢
مج ٢٢٢٢٦
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحج فريضة اجتماعية

بقلم أحمد حسن الزيات

الحج والزكاة هما الركنان الاجتماعيان من أركان الإسلام. يقوم عليهما الأمر بين الفرد والفرد، وبين الفرد والجماعة، كما يقوم على ثلاثة الأركان الأخر الأمر بين المرء وربه. وبين المرء ونفسه. فالزكاة تقيم نظام المجتمع على التعاطف والرحمة، والحج يقيمه على التعارف والألفة، فيحقق الأول معنى الإخاء بنفى الفقوق، ويحقق الآخر معنى المساواة بمحو الفروق. والإخاء والمساواة شعار الإسلام وقاعدة السلام، وملاك الحرية، ومعنى المدنية الحق، وروح الديمقراطية الصحيحة.

كان الحج ولا يزال مطهر الدنيا. ترحض فيه النفوس عن جوهرها أوزار الشهوات وأوضار المادة، وكان الحج ولا يزال ينبوع السلامة، تبرد عليه الأكباد الصادية، وترفه لديه الأعصاب الوانية؛ وكان الحج ولا يزال مثابة الأمن، تأنس فيه الروح إلى موضع الإلهام، ويسكن الوجدان إلى منشأ العقيدة، وينبسط الشعور بذلك الإشراق الإلهي في هذه الأرض السماوية. وكان الحج ولا يزال موعد المسلمين في أقطار الأرض على عرفات، يتصافقون على الوداد، ويتآلفون على البعاد، ويقفون سواسية أمام الله حاسرى الرءوس، خاشعى النفوس، يرفعون إليه دعوات واحدة، في كلمات واحدة، تتصعد بها الأنفاس المضطرمة المؤمنة تصعد البخور من مجامر الطيب، أو العطور من نوافح الروض! هنالك يقف المسلمون في هذا الحشر الدنيوى حيث وقف صاحب الرسالة، وحواريو النبوة، وخلفاء الدعوة، وأمراء العرب، وملوك الإسلام، وملايين الحجيج من مختلف الألوان والألسن فيمزجون الذكرى بالذكر، ويصلون النظر بالفكر، ويذكرون في هذه

البقعة المحدودة، وفى هذه الساعة الموعودة، كيف اتصلت هنا السماء بالأرض، ونزل الدين على الدنيا، وتجلى الله للإنسان، ونبتت من هذه الصحراء الجديبة جنات الشرق والغرب، وثمرات العقل والقلب، وبينات الهدى والسكينة!

الحج مؤتمر الإسلام العام يجـدد فيه حبله، ويتعهد به أمله، ويؤلف بين القلوب فى ذات الله، ويؤاخى بين الشعوب فى أصل الحق، ويستعرض علائق الناس كل عام فيوشجها بالإحسان ويوثقها بالتضامن وينضح من منابعه الأولى على الآمال الذاوية فتنضر، وعلى العزائم الخابية فتذكو. ثم يجمع الشكاوى المختلفة من شفاه المنكوبين بالسياسة المادية، والمدنية الآلية، والمطامع الغربية، فيؤلف منها دعاء واحداً تجأر به النفوس المظلومة جؤاراً ترده الصحراء والسماء!

وما أحوج المسلمين اليوم إلى شهود هذا المؤتمر! لقد حصرهم المستعمرون فى أوطانهم المغصوبة، ثم قطعوا بينهم الأسباب، وحرموا عليهم التواصل، وفصلوا حاضرهم عن الماضى الملهم والمستقبل الواعد بطمس التاريخ، وقتل اللغة، وإلغاء الدين، فلم يبق لهم جمعة إلا فى هذا الموسم.

إن فى كل بقعة من بقاع الحجاز أثراً للفداء ورمزاً للبطولة. فالحج إليهما إيحاء بالعزة، وحفز إلى السمو، وحث على التحرر... هنا غار «حراء» مهبط الوحى، وهنا «دار الأرقم» رمز التضحية، وهنا «جبل ثور» منشأ المجد. وهذا هو البيت الذى احتمى بفنائه أبو بكر وعمر وعلى وعمرو وسعد وخالد. وهذا الشعب وذاك مجر أذيال الغطاريف من بنى هاشم وبنى أمية. وتلك هى البطحاء التى درج على رمالها قواد العالم وهداة الخليقة!

«ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا». أما شرط الاستطاعة فقد بطل اليوم، وأصبح الحج فريضة هين لا تحول عن أدائها عقبة، ولا يسوغ فى تركها معذرة؛ فأنت تستطيع بالمال اليسير وفى الزمن القصير أن تحج على الباخرة أو السيارة أو الطائرة، دون أن تعرض حياتك للموت وثروتك للنهب وصحتك للمرض!

لقد كان الحج لرهقه الشديد وجهاده الجاهد يكاد يكون مقصوراً على الطبقات الخشنة من الزراع والصناع والعملة. أما الناعمون المترفون من أولى الأمر وذوى الرأى وأصحاب الزعامة، فما كانوا يقدمون عليه ولا يفكرون فيه، فظل جداء على المسلمين ضئيلا، لا يتعدى الحدود الخاصة من قضاء المناسك وأداء الزيارة. فماذا يمنع الكبراء والزعماء اليوم أن يتوافوا على ميعاد الله ما دامت شركتنا الملاحة والطيران العربيتان قد تحملتا عنهم أعباء السفر، وضمنتا لهم وسائل العيش، ووفرتا عليهم أسباب الرفاهية حتى ليكتفى المسافر بحقيبة ثيابه؟

إن فى حج سراة العرب والمسلمين إعلاء لشأن الملة، وإغراء بأداء الفريضة، وسعيا لجمع الكلمة، وسبيلا إلى الوحدة المرجوة.

وإن مقام إبراهيم الذى انبثق منه النور، ونزل فيه الفرقان، وانتظم عليه الشمل، لا يزال مناراً للأمة ومثاراً للهمة ومشرق الأمل الباسم بالمجتمع الإسلامى الجديد؟

أحمد حسن الزيات

أسباب الخلود والحفظ في الشريعة ذاتية

للأستاذ محمد محمد المدني

بعض رجال العلم والدين الإسلامي يهولهم ما يوجه إلى الشريعة المطهرة من مطاعن ، وما يركز على أحكامها من هجوم ، ويقولون : إن أساليب الدعاية في العصور الحديثة لها أثر كبير في تقدير المعاني وتثبيتها ، فإذا ألحت الدعاية على شيء فإنها كفيلة بعد فترة تطول أو تقصر من هذا الإلحاح أن تحول الأنظار إلى ذلك الشيء ، وتملأ به قلوب الناس وعقولهم ، وعلى العكس من ذلك إذا أرادت الدعاية أن تصرف عن شيء ، وتنفر منه ، فإنها تصل إلى ذلك ، متى نظمت وفسقت وثابرت على مهاجمته ونقده ، سواء أكانت في هذه المهاجمة على حق أم على باطل ، ومن ثم يتبين أن خطر الدعاية ضد الشريعة ومبادئ الحق والعدل والإصلاح التي قامت عليها خطر كبير ، إذا لم يتداركه أهل العلم والدين بدعاية مضادة ، وهجوم مقابل ، فإنه يهددها بالزوال ، وقد يطول الأمد إلى ذلك أو يقصر ، ولكنه سيكون حتما ، وسيساعد على قرب يومه هذا السير العالمي السريع في ركب الحضارة المادية ، وهذه النزعات الإلحادية ، أو الوجودية ، أو الانحلالية البهيمية .

هذه هي النظرة التي ينظر بها بعض رجال العلم والدين إلى المعركة الدائرة بين التدين والإلحاد وبين التقيد بالمثل والانطلاق من قيودها ، وبين الإيمان بكمال الشريعة ووفائها والشك في ذلك الكمال ، وفي ذلك الوفاء .

وهي نظرة متشائمة لا أحب أن أساير أصحابها عليها ، ولا أحب في الوقت نفسه أن أهون من خطر الدعوة ضد الإسلام والشريعة ، ذلك بأن الرأي والحزم يقضيان بألا نؤخذ ونبهر بقوة خصوم الإسلام ، وألا نحسب أن في أيديهم أسلحة فتاكة سوف لا نطيقها ولا نستطيع مقاومتها ، فإن هذا لو وقعنا فيه — هو الوهن الذي يأتي علينا من داخلنا ، ويمكن خصومنا من أعناقنا ، وقد علمنا ربنا فيما علمنا أن الحزن والوهن والبهر من شأنها أن تكون خصوما فينا مساعدة لخصومنا وأعدائنا وأن طرد ذلك من نفوسنا لا بد أن يكون مبعث قوة لنا ، ومددا لعزائمنا : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون » ، « والله معكم ولن يتركم أعمالكم » .

ولست أقول هذا عن مجرد عاطفة ، ولكنني أقوله وأؤيده بشهادة الحقائق والوقائع التي ألخصها فيما يأتي .

١ — إن الحرب الهجومية التي وجهت إلى الإسلام ، عقيدته وشريعته ، ليست بنت اليوم ، وإنما هي حرب صحبت الإسلام منذ أول عهده إلى اليوم وستظل دائرة الرحى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ذلك بأنها حرب بين الحق والباطل ، بين الإيمان والكفر ، بين الصلاح والفساد ، بين الخير والشر بين العدل والظلم ، بين النظام والفوضى ، بين الإنسانية والبهيمية ومن ظن أن التهادن يمكن أن يقع في عصرنا بين هذه المتناقضات المتقابلات

فهو خاطئ، فلو أن هذه رضخت لتلك، أوسلمت وتقبلت المهادنة، لكان ذلك هو نهاية الدنيا وبدء عالم جديد، هو عالم الآخرة بقوانينه الثابتة القائمة على العدل المطلق، والحق المطلق، والصلاح المطلق والخير الذى لا يعرف الشر.

ولكن الدنيا هكذا: لا بد فيها من عراك ومعتركين، ولا يمكن أن تخلو ميادينها فى كل جانب من جوانبها، من ذلك التطاحن وما جاء الإسلام إلا لتنظيم الدفاع والمناضلة وتأييد القوى التى تعمل على تحطيم الشر والباطل والفساد، حسب الإمكان وفى نطاق التقليل لا فى نطاق المنع التام والمحو الشامل.

ولذلك ندرس كل عصر من العصور، أو كل مائة عام من مئات الأعوام التى مر بها التاريخ الإسلامى فنجد الحرب سجالا بين موجات التدين وموجات الإلحاد، أو بين تيارات الإيمان وتيارات الجحود والنكران، ولكننا نجد دائما أن العاقبة هى للإيمان والحق، وأن الدائرة هى على الكفر والباطل، ولو أننا أخذنا بما يبدو فى تاريخ الإسلام من تآلف القوى على حربه وتجمع الأعداء فى ميادين التنكيل بمبادئه وبأهله — لو أخذنا بالمنطق فيما يبدو من صور ذلك، لكان الإسلام قد زال منذ زمن طويل، ولكان أهله ومعتنقوه قد بادوا مع البائدين، ولكنه سلم وسلم أهله، بل سمقت جذوره، وبسقت فروعه، وظهرت نبالة تعاليمه، ومتانة قواعده، ودارت الحضارات والمدنيات فى نطاقها قاصدة أو غير قاصدة، وسجلت تلك التعاليم والمبادىء فيما يختص بحقوق الإنسان فى أحدث الدساتير والاتفاقيات العالمية، واتجه أهله إلى أن يكونوا قوة مرجحة يحسب العالم حسابها، ويطلب رضاها ويخشى إغضابها.

٢ — ولقد تنقلت الثقافة الإسلامية فى مختلف العصور من دولة إلى دولة، ومن يد إسلامية إلى يد إسلامية:

عاشت فى الحجاز حينا من الدهر، ثم ضعف عنها الحجاز، فانتقلت إلى العراق، ثم انتقلت إلى الشام، ثم انتقلت إلى الأندلس، ثم إلى المغرب، ثم إلى مصر برعاية الأزهر، فلم يأت عهد من العهود أو قرن من القرون، إلا وصولجان الثقافة الإسلامية فى أيد إسلامية هنا أو هناك، وما زلنا نرى هذه السنة مضطردة فى شأن الإسلام دينا وعلما فقد تضعف أو تشغل عنه دولة فى شعب من شعوبه فتمسك بعلمه الخفاق دولة أخرى أو دول أخرى فى مختلف الشعوب، فهو كالشمس المشرقة إن غابت عن أفق طلعت فى أفق، أو كنور البدر إذا انحسر عن موطن أشرق فى موطن.

ومن أراد أن يتتبع هذا الاطراد العجيب تتبعا تاريخيا، ويدرس أمثلته فى مختلف الحقب، وجد ذلك ميسوراً، ورأى فيه دلائل الحفظ الإلهى لهذا الدين، ولهذه الشريعة.

٣ — وحفظ الله تعالى لهذه الشريعة أساسه، هو قيامها على دعائم ثابتة لا تتأرجح، وأنها معصومة عن أن تميل إلى باطل، أو انحراف، بمقتضى تكافل أحكامها ومبادئها على نفى كل باطل، وكل انحراف، فالله سبحانه وتعالى حفظها عن طريق إحكامها وإتقانها حتى لا يخالطها غيرها، ولا يداخلها التغيير ولا التبديل.

وفى ذلك يقول الإمام الشاطبى:

« إن الله عز وجل وفر دواعى الأمة للذب عن الشريعة، والمناضلة عنها بحسب الجملة والتفصيل: أما القرآن الكريم فقد قيض الله حفظه، بحيث

لو زيد فيه حرف واحد لأخرجه آلاف من الأطفال الأصاغر، فضلا عن القراء الأكابر، وهكذا جرى الأمر في جملة الشريعة، فقيض الله بكل علم رجالا حفظه على أيديهم :

فكان منهم قوم يذهبون الأيام الكثيرة في حفظ اللغات والتسميات الموضوعة على لسان العرب .. ثم قيض رجالا يبحثون عن تصاريف هذه اللغات في النطق فيها رفعاً ونصبا، وجراً وجزما، وتقديما وتأخيراً، وإبدالا وقلباً، وإتباعا وقطعاً، وإفراداً وجمعاً، إلى غير ذلك من وجوه تصاريفها في الإفراد والتركيب، واستنبطوا لذلك قواعد ضبطوا بها قوانين الكلام العربي على حسب الإمكان، فسهل الله بذلك الفهم عنه في كتابه، وعن رسوله صلى الله عليه وسلم في خطابه.

ثم قيض الله سبحانه رجالا يبحثون عن الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن أهل الثقة والعدالة من النقلة، حتى ميزوا بين الصحيح والسقيم، وتعرفوا التواريخ وصحة الدعاوى في الأخذ لفلان عن فلان، حتى استقر الثابت المعمول به من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكذلك جعل الله العظيم لبيان السنة عن البدعة ناسا من عباده بحثوا عن أغراض الشريعة كتابا وسنة، وعما كان عليه السلف الصالحون، وداوم عليه الصحابة والتابعون، وردوا على أهل البدع والأهواء، حتى تميز أتباع الحق عن أتباع الهوى ...

ثم قيض الله تعالى ناسا يناضلون عن دينه، ويدفعون الشبه ببراهينه، فنظروا في ملكوت السموات والأرض، واستعملوا الأفكار وأذهبوا عن أنفسهم ما يشغلهم عن ذلك ليلا ونهاراً، واتخذوا الخلوة أنيساً، وفازوا بربهم جليسا، حتى نظروا إلى عجائب صنع الله في سماواته وأرضه، وهم العارفون من خلقه، والواقفون مع أداء حقه، فإن عارض دين الإسلام معارض، أو جادل فيه خصم مناقض غبروا في وجه شبهاته بالأدلة القاطعة، فهم جند الإسلام، وحماة الدين».

وقد حكى أبو عمرو الداني في «طبقات القراء» له، عن أبي الحسن بن المنتاب قال: كنت يوما عند القاضي أبي إسحق إسماعيل بن إسحاق، فقيل له : لم جاز التبديل على أهل التوراة، ولم يجز على أهل القرآن ؟ فقال القاضي : قال الله عز وجل في أهل التوراة : «بما استحفظوا من كتاب الله» فوكل الحفظ إليهم، فجاز التبديل عليهم، وقال في القرآن: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» فلم يجز التبديل عليه - يريد أن أسباب الحفظ راجعة إليه، إذ الكتاب : عزيز «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه» . «أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير» فهو مزود في نفسه بما يدرأ عنه كل باطل - قال علي : فمضيت إلى أبي عبد الله المحاملي فذكرت له الحكاية فقال : ما سمعت كلاما أحسن من هذا .

فيا أهل الإسلام : شدوا عزائمكم، وثقوا بأنفسكم : «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين» ؟

محمد محمد المدني

أمّ القرى[١]

للأستاذ ابراهيم شعوط

(والله إنك لخير أرض وأحب أرض إلى الله تعالى) .
(ما أطيبك وأحبك إلى) .
(حديثان شريفان رواهما الترمذى)

مع نسمات الحجاز فى موسم الحج ، ونسمات الأمل فى الوصول إلى الأرض المقدسة تهفو قلوب وتنهمر عبرات ، وتكاد الأفئدة تقفز من صدور أصحابها لتلق بنفسها فى أحضان البيت ، وبين جوانبه ؛ إحساس دينى ، وانفعال نفسى ، واندفاع من الأعماق يستوى فيه القريب والبعيد ويتسابق إليه من يعرف لغة هذه البلاد ومن لا يعرفها . كل من سكن الإسلام فى قلبه سكن معه حب مكة والشوق إليها سر عجيب أودعه الله فى أم القرى ، وخصها وحدها بخصائص لا تدرك إلا بالروح ولا تتذوق إلا بالإحساس والوجدان .

أما هى من حيث طبيعتها وموقعها وتخطيطها الجغرافى فهى منطقة جبال صماء ملساء ، بين سوداء وحمراء لا يطالع الذاهب إليها سوى جبال متقاربة جداً تختلف فى الارتفاع والانخفاض بينها وديان تختلف أيضاً فى الضيق والاتساع تلتحم بالجبال مساحات الرمال التى تنبت الشوك والقيصوم والعشر شديدة الحر حتى ليصبح العديد من أهلها وحجاجها صرعى من ضربة الشمس شديدة البرد حتى ليهون أمام شدته ما يعانيه الناس من حرها .

فى أهلها غلظة وكثير من الجفوة فهى ليست فى أرضها وأهلها مقصد المتنزهين ولا أمل المترفين .

فأى شىء فيك يا أم القرى يجذب القلب ، ويخلب اللب ، وينتزع الشوق انتزاعا ، ويدفع بهذه الملايين دفعاً إليك رغم الصعوبات والعقبات والمشقات ؟

هى دعوة لإبراهيم عليه السلام ، وشوق وحب من محمد عليه الصلاة والسلام .

فأما دعوة إبراهيم فقد سكبها فى قلوب الناس سكبا فى الأعماق وفرضها فرضا على كل ذى فؤاد فقال فى ضراعاته لمولاه « ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة . فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

دعا إبراهيم لمكة بالأمن لأن أرضها مصدر الرعب ومظنة القلق لأن الخوف يكمن فى جبالها وشعابها ومفاوزها ، ولأهلها بالرزق لأن الوادى بجدب فقال « رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات » ولقد كلف إبراهيم ببذل الجهد فى أم القرى مكة والقيام فيها بأعمال جليلة تعميراً للمكان الخالى وتأميناً للبقعة المخيفة يقول الله تعالى : « وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود » ويقول تعالى « إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم » ..

وما زال إبراهيم عليه السلام وإسماعيل وهما يزاولان عملية رفع قواعد البيت يدعوان ربهما لنفسيهما ولذريتهما ويسألان مولاهما أن يبعث فيهم رسولا منهم فى تلك الصورة الضارعة الخاشعة

« وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » .

أما حب محمد عليه الصلاة والسلام لهذه البقعة من الأرض وحنينه إليها فيتجلى فى خطاب الله سبحانه وتعالى لحبيبه ورسوله بقوله « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » ثم يعود فيكرر له تأكيد استجابته لرغبته وتحقيقه لأمله فى جعل قبلته إلى المكان الحبيب إليه فى مكة فيقول « ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك » ثم يكررها مرة أخرى بأسلوب آخر فيقول « ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة » .

اختار الله لنبيه القبلة التى يرضاها ويتوق إليها قلبه ويشده إلى الاتجاه لها حنينه فكانت القبلة إلى الكعبة التى هى أول بيت وضع للناس بمكة ويقول القرطبي : سميت كعبة لأنها مربعة وأكثر بيوت العرب مدورة أو لأنها ناتئة وبارزة فكل نتوء بارز كعب ، مستديراً كان أو غير مستدير ، ومنه كعب القدم وكعوب القناة .

هذه الكعبة جعل الله لها شأناً وسراً وحكمة تبدو كلها فى قوله تعالى فى سورة المائدة « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض وأن الله بكل شئ عليم » .

وجماع القول وموضع البحث تتجه خيوطه كلها إلى قوله « قياما » ، فتسلط الأضواء على مدلول هذه الكلمة لتعرف مكانة الكعبة وأثرها فى استقامة الناس : قال المفسرون : قياما أى صلاحا ومعاشا لأمن الناس بها ، وعلى هذا يكون قياما بمعنى يقومون بها وقال بعضهم : قياما يقومون بشرائعها وقرأ عامر وعاصم « قيما » وقيل « قواما » ، فأى معنى هو المقصود أفضل من أن الكعبة بيت الله هى قوام حياة الناس . بدونها لا تقوم لهم حياة فاضلة فهى قوام الحياة الروحية ، ثم هى أيضاً قوام الحياة المادية .

فأما أثرها فى تقويم الناس روحيا فلحوظ فى حنين رسول الله إليها وعشقه لها وتمنيه على ربه فى تقليب وجهه له فى عليائه أن يوجهه إلى ما يرضيه ويشبع روحه فكان جواب المولى جلت قدرته لحبيبه عليه الصلاة والسلام « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها » فلماذا كان يرضاها رسول الله ؟ لأن متاعه الروحى هناك ووجهة قلبه عندها منذ عرفها وطاف بها وعرف أنها ملاذ وحمى وملجأ للخائفين المفزعين الذين لا يجدون عند أحد أمنهم ولا فى مكان اطمئنانهم لأن صاحب البيت هو الذى يحمى العائذين به واللاجئين إليه « أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم » .

من أجل ذلك عظم الله البيت الحرام فى قلوب العرب والمسلمين وأوقع فى نفوسهم هيبته وأعلن بينهم حرمته فكان من اضطهد من خصومه محميا بالسكون إليه مطمئنا إلى قوة القادر الذى يحميه .

أما أثر الكعبة المباركة فى تقويم الناس ماديا ففى تلك الحماية من المكروه وفى الحيلولة بينهم وبين شهوتهم للثأر والانتقام وإسكات غضبهم وكسر حدته حتى يثوب العقل ويؤوب الحجا ويحل التروى

عن الطيش فتصان الدماء وتحفظ الأرواح ويتفرغ أهل الثأر أنفسهم للعمل والإنتاج فيستشعر القوم روح السكينة وبرد الراحة والسعادة.

ثم ماذا فيك يا أم القرى من خصائص جعلت رسول الله لا يبغى بك بديلا فى محرابه أو تسكينا لاضطرابه؟ ألأنك أرض الابتلاء والفداء والنداء ابتلاء فى قول إبراهيم لابنه «يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك» وفداء بعثه الله للصابر الطائع «وفديناه بذبح عظيم».

ونداء إلى العبد المستجيب لربه فى أروع موقف تتحطم فيه عواطف الوالد وتموت طبيعة الأبوة ويفنى العبد فى المعبود فتصبح لذة العبد فى طاعة مولاه الذى ناداه «وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا».

ألهذا كان سيدنا رسول الله يقلب وجهه فى السماء ضارعا إلى ربه ليوجهه إلى الوجهة التى يحبها ويرضاها؟.

أم لهذا ومعه مواطن الرضا ومواضع استجابة الدعاء وتجلى المولى على الضارعين هناك حيث أبواب سمائه مفتحة وسحائب رحمته منهلة على عباده الذين قصدوه فى أرضه التى قدسها ومواضعه التى طهرها ودعا أحبابه إليها؟.

هذه الخصائص لا توجد فى الدنيا كلها إلا فى مكة حيث التقت الوجوه مع ربها فى بيته وظهرت الحكمة من توحيد القبلة لأهلها فى التفافهم حولها والتصاقهم بها تطوى المسافات كلها عندها وتعرف منازل الصالحين عند ربهم بمقدار ما لها من مكانة فى قلوب المتجهين إليها.

فالذين اشتد حبهم لها وتعلقهم بها وتصورهم لموقعها ترفع لهم من بعيد فتراها قلوبهم وتدركها بصائرهم حتى ليخيل إليهم أنهم لو مدوا أيديهم لتعلقوا بأستارها تماما كالمجاورين لها والطائفين حولها..

يا أم القرى - قدس الله سرك وطهر أرضك وربط قلوب أصفيائه بك فجعل فيك يا أم القرى أماكن يبسط فيها الرحمن يده لعباده. يتجلى فيها بالقرب الذى بينه فى قوله «وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان» وقد عد العلماء مواضع الاستجابة فى مكة فبلغت ثلاثة وخمسين موضعاً منها مكان الطواف جميعه وعند الملتزم وتحت ميزاب الرحمة وداخل الكعبة وعند زمزم وفى مقام إبراهيم وعلى الصفا والمروة وفى المسعى بينهما وفى عرفات وفى مزدلفة وفى منى وعند الجمرات.

فأى أرض أطهر من أرضك يا أم القرى بعد أن وطأتك أقدام رسول الله ومرغ جنبه على ترابك.

وأى مثوى يلجأ إليه العائذون من ذنوبهم الفارون من معاصيهم سوى بيت الله فيك؟ وأى نشيد يطرب إليه السمع ويخشع القلب من نشيد العبد الراجع إلى ربه وهو فى طريقه إليك فى موسم الحج حين يتجرد من كل امتيازاته المادية ويمحو الفوارق الدنيوية بينه وبين إخوانه ويحمل كفنه على كتفه ذاهباً إلى ربه تائباً من ذنبه ونشيده الخالد المأثور للخائف المذعور (لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك).

إبراهيم شعوط
الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية

من آداب الحج

للدكتور محمد محمد أبي شهبة

من محاسن الإسلام أنه يحيط شرائعه وتكاليفه بحدود وآداب تحقق الغرض الذى قصده الشارع الحكيم من هذه العبادات، وترتفع بمؤديها إلى درجات من السمو النفسى والخلقى والاجتماعى، فجعل للصلاة التى هى عمود الإسلام وسنامه آدابا وسننا، وللزكاة التى هى رأس العبادات المالية آدابا ومعالم، وللصيام الذى هو نصف الصبر آدابا وفضائل، وكذلك جعل للحج الذى هو الإرث الخالد عن أبى الأنبياء ابراهيم عليه الصلاة والسلام آدابا وشعائر تحقق الحكم السامية التى أرادها الله من هذا الأصل من أصول الإسلام، ولا عجب فالإسلام هو الدين العام الخالد الذى جاء لإكمال ما نقص من الديانات السابقة، وإتمام ما قصر من التشريعات الماضية، والذى لا يختص بجنس دون جنس، ولا بشعب دون شعب وصدق الحق تبارك وتعالى حيث قال فى الكتاب الكريم: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» وقوله عز شأنه «وما أرسلناك إلى كافة الناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون» وقوله صلوات الله وسلامه عليه: «وكان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة» رواه البخارى ومسلم.

فمن آداب الحج ما ذكره الله سبحانه فى قوله: «الحج أشهر معلومات، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله».

و (الرفث) كلمة جامعة تشمل مباشرة النساء، ودواعيها ومقدماتها، والتكلم بما يستهجن من فحش القول سواء كان ذلك فى حضرة الرجال أم النساء روى على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال: «الرفث غشيان النساء، والقبلة، والغمزة، وأن يعرض لها بالفحش من الكلام ونحو ذلك، فكل ذلك منهى عنه بل المباشرة ولو كانت للزوجة مبطلة للحج بإجماع العلماء، والحاج الذى لا يراقب الله فى المحافظة على أعراض أخواته المسلمات، والترفع عن سفاسف القول، ولا يفطم نفسه عن الهوى والشهوة أولى به ألا يذهب إلى هذه البقاع المقدسة، ومثله ليس له من حجه إلا المشقة والتعب، والخيبة وسوء المنقلب.

وأما (الفسوق) فقيل هو السباب والمشاتمة، وفى الحديث الصحيح المتفق عليه يقول النبى صلى الله عليه وسلم: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر» وقال الضحاك: الفسوق: التنابز بالألقاب كأن يقول لأخيه المسلم: يا أعمى، يا أعور، يا أعرج يا قمىء ونحوها وكأنه أخذ تفسيره الفسوق بهذا من قول الله سبحانه: «يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن، ولا تلمزوا أنفسكم، ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون».

والصحيح أن الفسوق شامل لجميع المعاصى من سباب ونبز بالألقاب، وإيذاء باليد أو اللسان أو الجوارح وارتكاب ما نهى عنه فى الإحرام كقتل الصيد، وحلق الشعر، وقلم الأظفار، والمعاصى وإن كان منهيا عنها فى جميع أيام السنة إلا أنها فى الأشهر الحرم، وفى حال الإحرام أشد وزرا وأعظم، وأما (الجدال) فهو المراء والمخاصمة مع الرفقة والأصحاب، ومع الجمالين والمكارين، ومع الباعة والتجار، وأيام الحج ليست أيام مراء

ومخاصمة ومشاحنة ولكنها أيام تهليل وتكبير ، وسلام وأمان ، ومن المراء أن يدعى الحاج لنفسه الكمال فى أداء المناسك ومحاولة تنقيص غيره ، عن محمد ابن كعب القرظى قال : كانت قريش إذا اجتمعت بمنى قال هؤلاء : حجنا أتم من حجكم وقال هؤلاء : حجنا أتم من حجكم فهوا عن ذلك . وفى الكتاب الكريم : «فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى» والمراء شر كله ، وكثيرا ما يؤدى الجدال بين الإخوان إلى السباب والمشاتمة ثم إلى القطيعة والهجران .

فمن وفى من الحجاج بهذه الثلاثة ، ووقف عند هذا الأدب القرآنى فى الحج ، فقد تقبل الله حجه ونسكه ، وغفر له ذنوبه حتى يعود من حجه أبيض الصحيفة ، ميمون النقيبة ، حسن الأخلاق ففى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) رواه البخارى ورواية مسلم بلفظ (من أتى هذا البيت) وهى أعم لأنها تشمل الحج والعمرة ، وروى الإمام أحمد فى مسنده عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قضى نسكه ، وسلم المسلمون من لسانه ويده غفر له ما تقدم من ذنبه) .

وإذا علمنا أن الحج هو المؤتمر الإسلامى الأكبر الذى يجتمع فيه ألوف المسلمين من الرجال والنساء من كل قطر ومصر مع ما هم عليه من اختلاف الطبائع والعادات والنزعات أدركنا سمو هذا التأديب الإلهى ، وحاجة هذا الجمع الحاشد إلى أمثال هذه التأديبات والتوجيهات الإلهية .

إن مما يؤسفنا حقا أن بعض الحجاج يذهبون إخوانا متصاحبين ، فإذا بهم يعودون أوزاعا متفرقين ، ومتخاصمين ومتشاحنين لأجل شىء تافه ، أو كلمة نابية ، مع أن فى رحابة صدر المسلم ، وسمو أخلاقه ما يغفرها وأكثر منها ، ولا أدرى كيف غاب عن هؤلاء هذا التأديب الإلهى ؟ والحج من مقاصد الوحدة لا الفرقة لا التباغض والشحناء ! !

ومن آداب الحج أن يتزود الحاج بما يقيه ذل السؤال والحاجة فلا يكون كلا على الناس روى الإمام البخارى فى صحيحه عن ابن عباس قال : «كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون : نحن المتوكلون ، فإذا قدموا مكة سألوا الناس فأنزل الله تعالى : «وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب» ، والمراد بالتقوى ما يقى الإنسان السؤال والتكفف فعلى هذا تكون الكلمة قد جاءت على أصل معناها اللغوى وهى الوقاية ، وفى اتخاذ الزاد وقاية من السؤال وذل الحاجة ، وفيه حفظ الحياء وصيانة الدين والمروءة ، وقد روى عن ابن عمر رضى الله عنه أنه قال : «إن من كرم الرجل طيب زاده فى السفر» ولعل فى هذا مزدجرا لهؤلاء الذين يتخذون من موسم الحج وسيلة لجمع الأموال بالسؤال ، والإلحاف فيه ، وهم بفعلهم هذا يهدرون كرامتهم الإنسانية والله سبحانه لم يكلف بالحج إلا المستطيع قال سبحانه «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا» فمن لا استطاعة له فلا عليه لو أقام ببلده ورضى بما قسم الله ، وصان نفسه عن هذا الابتذال ولا سيما أن من مقاصد الحج الإنفاق والبذل لا التسول واكتناز الأموال ، أو العيش عالة على الناس ، وليس هذا بتوكل وإنما هو تواكل وضعة والتوكل الحق هو الأخذ فى الأسباب مع الاعتماد على الله ، وسيد المتوكلين سيدنا محمد كان يأخذ معه زاده وهو يتعبد فى غار حراء فلو كان ترك الزاد توكلا لتركه وما أحسن ما قال الإمام أبو الفرج بن الجوزى : «وقد لبس إبليس على قوم يدعون التوكل فخرجوا بلا زاد وظنوا أن هذا هو التوكل وهم على غاية الخطأ ، وقال رجل للإمام أحمد بن حنبل : أريد أن أخرج إلى مكة على التوكل

بغير زاد فقال له الإمام : اخرج فى غير القافلة فقال لا إلا معهم فقال له : فعلى جرب الناس توكلت » .

وقيل فى قوله تعالى: (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) أن المعنى فإن خير زاد الآخرة هو التقوى فالتقوى على معناها الشرعى الشامل ، ومن التقوى التزود عند الخروج إلى الحج وذلك أن الله سبحانه لما أمرهم بالتزود للسفر فى الدنيا ناسب أن يذكر الزاد الباقى الحقيقى الذى لا ينفد وهو زاد الآخرة ، وهو من الاستطرادات البديعة فى القرآن المعجز ومثل ذلك قول الله سبحانه « يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير » فإنه سبحانه لما ذكر اللباس الحسى الذى يستر العورة ، ويتزين به نبه إلى اللباس المعنوى : لباس التقوى فهو خير وأبقى وأنفع

ومن آداب الحج أن يأخذ نفسه بالرفق بإخوانه الحجاج ولا سيما النساء والضعفاء من الرجال وأن يكون لين الجانب ، سهل العريكة ، معوانا على الخير ، وأن يسير على هينته فلا يؤذى أحدا بمنكبه إن كان راجلا ولا بيد ابته أو سيارته إن كان راكبا ، وقد كان من هدى الرفيق الرحيم صلى الله عليه وسلم أنه كان يسير السير الوسط فإذا وجد فرجة ومتسعا أسرع بدابته ، ففى الصحيحين عن أسامة بن زيد أنه سئل : كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دفع يعنى من عرفة قال : كان يسير العَنَق فإذا وجد فرجة نص وروى البغوى بسنده عن ابن عباس (أنه دفع مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم عرفة ، فسمع النبى زجرا شديدا ، وضربا للإبل فأشار بسوطه إليهم وقال (أيها الناس عليكم السكينة فإن البر ليس بالإيضاع يعنى بالإسراع ، ولعل فى هذا عظة للذين يغترون بقوتهم البدنية فيزاحمون ويكفأون الناس على وجوههم ، أو يطرحونهم على ظهورهم ، أو الذين يسرعون بدوابهم وسياراتهم رغبة فى السبق فيؤذون إخوانهم ، وربما يزهقون أرواحهم فيتعرضون لغضب الله ورسوله .

إن أكثر ما يشتد الزحام فى الطواف وعند إرادة تقبيل الحجر الأسود وعند الإفاضة من عرفات إلى المزدلفة ومنى وأحب أن أقول للحجاج : إن الإقلال من الطواف حول البيت من غير إيذاء خير من الإكثار مع الإيذاء ، وإن تقبيل الحجر ليس بواجب عند كل شوط يكفى المسلم أن يقبله ولو مرة ، فإن لم يستطع تقبيله فليلمسه بعصا فى يده مثلا ، فإن لم يستطع أشار إليه بيده وكبر وهذا هو الثابت من هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم والإفاضة من عرفات إلى المزدلفة ثم إلى منى وقتها موسع ولكن الناس يعجلون ، وكل يريد أن يصل قبل الآخر ، وببعض من التؤدة والإيثار تسير الأمور على خير ما يرام .

ومن آداب الحج أن يدعو الحاج بما يشاء من خيرى الدنيا والآخرة ولا سيما المأثور ولا يقتصر على مرغوبات الحياة الدنيا . عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان ناس من الأعــراب يجيئون إلى الموقف فيقولون: اللهم اجعله عام غيث ، وعام خصب وعام ولاد ، ولا يذكرون من أمر الآخرة شيئا فأنزل الله فيهم : « فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وماله فى الآخرة من خلاق » وكان يجىء بعدهم آخرون من المؤمنين فيقولون : « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار فأثنى الله عليهم وقال: «أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب » .

« وبعد » فهذه أيها الحاج أهم آداب الحج خذ بها يكن حجك مبرورا وكنت من الذين وعدهم النبى صلى الله عليه وسلم بقوله (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)

دكتور محمد محمد أبو شهبة

من رحلات الحج في العصور الوسطى

للدكتور عباس حلمي اسماعيل

اهتم الأيوبيون بالحج وشئون الحجاج ليؤدوا شعائره ، ويعقدوا أعظم مؤتمر للمسلمين ، يتعارفون فيه ويتشاورون ، ويواجهون باتحادهم مؤامرات أعدائهم من الصليبيين بالرأى السديد ، والاستعداد التام ، والتدبير الحكيم ، وقد آمن السلطان صلاح الدين بأهمية مبدأ الشورى كأساس من أسس الحكم ، وكثيرا ما عقد المجلس الذى كان يسمى بالمشور ، ليستضىء بآراء ذوى العقل والخبرة والإخلاص ، فيشركهم فيما أبهم من الأمر يتعرفون نواحيه ، ويقلبونه على شتى وجوهه ، حتى يتبينوا وجه الصواب والسداد فيه ، ويأمنوا الزلل .

وفى سبيل تيسير الحج على المصريين ، ألغى السلطان صلاح الدين المكوس والضرائب عن الحجاج بمكة ، وكان مقدارها سبعة دنانير ونصف دينار من الدنانير المصرية عن الحاج الواحد ، وكان يحبس من يعجز عن أدائها فيفوته الوقوف بعرفات ، وقد عوض صلاح الدين أمير مكة وهو (مكثر بن عيسى بن فليتة الحسنى) عن المكوس التى ألغاها بمكة بألفى دينار وألف أردب قمح فى كل سنة سوى إقطاعات بصعيد مصر واليمن كما قرر للمجاورين بمكة أيضا غلات وصلات تحمل إليهم .

ومن المسلمين الذين حجوا على عهد صلاح الدين الرحالة العربى الشهير ابن جبير الأندلسى ، غادر ابن جبير مدينة غرناطة بالأندلس ، واجتاز مضيق جبل طارق حتى وصل إلى (سبتة) على شاطىء المغرب ومن هناك وفى يوم الخميس ٢٩ من شوال ٥٧٧ ه (٢٤ فبراير ١١٨٢) ركب سفينة إلى الإسكندرية بلغتها بعد مخاطر كثيرة يوم السبت ٢٩ من ذى القعدة ٥٧٨ ه (٢٦ مارس ١١٨٣) ، وهنا طلع أمناء المركب من قبل الحكومة لحصر جميع ما جلب فيه فاستدعى جميع من كان فيه واحدا واحدا وكتبت أسماؤهم وصفاتهم وأسماء بلادهم ، وسئل كل واحد عما لديه من سلع أو نقود ، ليؤدى زكاة ذلك كله ، ثم استدعى الأمناء شخصا من أهل كل طائفة ليسألوه عن أبناء طائفته ، وطافوا به على نائب السلطان أولا ، ثم على القاضى ، ومن بعد ذلك على ديوان الجمرك ، ثم على جماعة من حاشية السلطان ، ويسأل فى كل مرة عن أبناء طائفته ، ثم يستدعى أمناء المركب أبناء كل طائفة واحدا بعد واحد ، ويفتشونهم ويحلفونهم على القرآن ، خشية أن يكون معهم غير ما وجدوه .

ونزل ابن جبير فى فندق الصفار بالإسكندرية ، وأقام به عدة أيام ، نهض فيها بجولات بين آثارها ومرافقها وأسواقها ، وشهد منارة الإسكندرية ، واستهوته مدارس الغرباء ، ومدى ما يلقونه من اهتمام ورعاية ، فيلقى كل واحد منهم مسكنا يأوى إليه ، ومدرسا يعلمه الفن الذى يريد تعلمه ، ومرتبا يقوم به ، وحماما يستحم فيه .

ثم رحل ابن جبير عن الإسكندرية مارا بدمنهور وبعض قرى الوجه البحرى إلى أن دخل طنطا أو (طندتا) كما كانت تسمى ، وأمضى بها عيد الأضحى ، ذلك أنه قد فاته الحج فى هذا العام ، وأخيرا وصل

إلى القاهرة ثم اجتازها إلى الفسطاط ، فأقام بفندق أبى الثناء فى زقاق القناديل بمقربة من جامع عمرو ابن العاص ، وشهد آثار القاهرة والفسطاط ، ورأى القلعة ، والقناطر الضخمة التى أنشأها السلطان صلاح الدين غربى الفسطاط ، والمدرسة الناصرية بجوار مشهد الإمام الشافعى ، رآها كأنها بلد مستقل بذاته ، بإزائها الحمام ، إلى غير ذلك من مرافقها وشهد المارستان وخزانة العقاقير به وأسرة المرضى وعلم بوجود جناح خاص للنساء بالمستشفى .

حقا أن ابن جبير لم يحج هذا العام ولكنه شهد منافع كثيرة له فى طريقه إلى البلاد المقدسة وتزود بألوان من المعارف ، ورأى معالم النهوض فى مصر الأيوبية على عهد السلطان العظيم صلاح الدين الأيوبى وعقد الصداقة مع أناس تآلفت نفسه مع نفوسهم وتقارب مشربه مع مشاربهم ، فتبادلوا جميعا الخبرات والمنافع فيما بينهم ، وصمم ابن جبير على أن يحكى لمواطنيه بالأندلس ما شهده من عمران ونهضة بمصر ، ليسهموا بدورهم فى بناء بلدهم مثلما بنى صلاح الدين فى مصر ، إحدى أجزاء الوطن العربى الكبير .

أمضى ابن جبير فى القاهرة خمسة وعشرين يوما ثم ركب إحدى المراكب النيلية التى كان يطلق عليها « الكبك » متجها إلى قوص من بلاد قنا ، وذكر أن قوص ملتقى الحجاج المصريين والمغاربة ، وأنها حفيلة الأسواق ، لكثرة ما بها من التجار اليمنيين والهنديين والأحباش ، وأورد ابن جبير أن الحاج بعد أن يصل إلى قوص يجـــد أمامه طريقين إلى (عيذاب) أحدهما يعرف بطريق العبدين وهو قصير وقد سلكه هو نفسه ، والآخر بالقرب من قنا ، ويتلاقى هـذان الطريقان على مقربة من ماء دنقاش وماء شاغب .

والواقع أن الأيوبيين قد عبدوا طريقا للقوافل من قوص إلى عيذاب على البحر الأحمر عبر الصحراء الشرقية ، لأن الحجاج كانوا قـد عدلوا منذ شبت الحروب الصليبية عن طريق ميناء القلزم (السويس) وميناء الجار ثغر المدينة المنورة ، بعـد استيلاء الصليبيين على بعض حصون الشام القريبة من طريق القوافل المتجهة إلى الحجاز ، وركن الحجاج المسلمون فى أثناء تلك الحروب إلى طريق بعيد عن ويلاتها فكانوا يركبون النيل من ساحل مدينة الفسطاط إلى قوص ويفتشهم عمال الزكاة فى منية ابن الخصيب كما كانت تسمى المنيا وفى أخميم وقوص .

ثم اتجه ابن جبير مع رفاقه إلى الصحراء الشرقية على ظهور الجمال ووصف سفر الأغنياء فى « الشقادف » التى يضعونها على ظهور الجمال فيقول : « هى أشباه المحافل ، يوصل منها الاثنان بالحبال الوثيقة ، وتوضع على البعير ، ولها أذرع قـد حفت بأركانها ، يكون عليها مظلة ، فيكون الراكب فيها مع عديله فى كن من لفح الهاجرة ، ويقعد مستريحا فى وطائه ومتكئا ويتناول مع عديله ما يحتاج إليه من زاد وسواه ، ويطالع متى شاء المطالعة فى مصحف أو كتاب ، ومن شاء — ممن يستجيز اللعب بالشطرنج — أن يلاعب عديله تفكها وإجماما للنفس لاعبه ، وبالجملة فإنها مريحة من نصب السفر ، وأغدق الأيوبيون الأرزاق على أولاد العجار من قبيلة عقبة ، ليعنوا بأمر الحجاج فى الطريق .

وعندما وصل ابن جبير إلى عيذاب ، تحدث عن ذلك الثغر المصرى الصغير الذى كان له أهمية تجارية كبرى فى العصور الوسطى ، حيث كانت

السفن ترد إليه من الهند واليمن والحبشة ، محملة بمختلف السلع والبضائع وشهد ابن جبير الغواصين الذين يصطادون اللؤلؤ من حول جزر بحر عيذاب التي يذهبون إليها في الزوارق ومن بعد ذلك ركب مع رفاقه البحر الأحمر في مراكب كانت تسمى « الجلاب » إلى جدة ثغر مكة وقد ربح أهل عيذاب أرباحا جمة ، إذ كان لهم على كل حمل يحملونه أجرة مقررة ، وقال ابن جبير : « لأهل عيذاب في الحجاج أحكام الطواغيت ، وذلك أنهم يشحنون بهم الجلاب ، حتى يجلس بعضهم على بعض ، وتعود بهم كأنها أقفاص الدجاج المملوءة ، يحمل أهلها على ذلك الحرص والرغبة في الكراء ، حتى يستوفى صاحب الجلبة منهم ثمنها في طريق واحد ، ولا يبالى بما يصنع البحر بها بعد ذلك ، ويقولون علينا بالألواح ، وعلى الحجاج بالأرواح ، هذا مثل متعارف بينهم » [1] ومنذ وصل ابن جبير إلى جدة بدأت جولاته في تلك الرحاب المقدسة التي أتى إليها ساعياً من الأندلس ، فأمضى أشهرا ، يملأ عينيه وقلبه من بيت الله الحرام ، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، والروضة الشريفة ، ويزور المقدسات في تلك البقاع الطاهرة ، بروح طاهرة ونفس صافية سامية النزعات ، داعياً الله أن ينتقم من الصليبيين الذين حاولوا نبش قبر الرسول في الموسم الماضي .

وأدرك ابن جبير بعد أن حضر مؤتمر الحج الكبير ، الذي تناول فيما تناول مشكلة الحركة الصليبية ، أن عليه أن يزور أقطار الوطن العربي ، ليتعرف بنفسه على إمكانياته وموارده ، التي سوف تكفل لأبنائه النصر على الصليبيين ، وهنا آثر ابن جبير أن يتجه إلى بلاد العراق ، فقطع صحراء العرب ، ثم وصل إلى القادسية التي ذكرته بانتصار العرب على الفرس ، ومنها إلى (الحلة) ثم إلى بغداد حاضرة الخلافة العباسية ، وبالقرب من الموصل شم رائحة النفط المنبعثة من العيون القارية وهي ما يعرف بآبار البترول ، وغادر ابن جبير العراق إلى بلاد الشام حتى وصل إلى حلب حيث شهد قلعتها الشهيرة القائمة على نشز من الأرض وسط المدينة ولما دخل دمشق رأى مسجدها الأموى الكبير وأبوابها ومدارسها وأسواقها ، واستوقفه بلبنان طبيعته الجميلة ، وجباله الخصبة ، ومياهه المطردة وفاكهته اليانعة ، وظلاله الوارفة ، وأدرك ابن جبير بعد هذه الجولات أن الوطن العربي بخير ، وأن يوم النصر على الصليبيين قريب .

وتعلم ابن جبير من رحلة الحج أن العزة في التنقل وكأنه أراد أن يطوف بالعالم كله ، فركب من ميناء عكا سفينة كبيرة إلى جزيرة صقلية التي كان للعرب فيها ملك وسلطان ، استمرا طويلا ، ورأى ابن جبير هناك مساجدهم وأسواقهم ، وتحدث عن ملك صقلية : (وليم) الذي سماه غليام ، فذكر أنه شديد الثقة بالمسلمين ولاهم المناصب العالية ، واتخذ منهم بعض خاصته ، وأضاف ابن جبير أن هذا الملك عرف اللغة العربية قراءة وكتابة ، واتخذ شعاره « الحمد لله حق حمده » كما كان شعار أبيه : (الحمد لله شكراً لأنعمه) وينتهى المطاف بابن جبير عند غرناطة التي يعود إليها بعد غيبة استغرقت سبعة وعشرين شهراً .

ثم قام ابن جبير برحلة ثانية إلى بلاد الشرق العربي عندما زفت إليه الأنباء بانتصار صلاح الدين على الصليبيين في موقعة حطين سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) واسترداده بيت المقدس ، بعد أن قتل أرناط

(١) رحلة ابن جبير ص ٧٠ .

الأمير الصليبي الذى حاول منذ خمس سنوات نبش قبر الرسول عليه الصلاة والسلام ، ونقل جثمانه الطاهر إلى بلاده ، ليدفنه الصليبيون عندهم ، ويجعلوا من ضريحه وزيارته منبعاً للإيراد .

وحرص المسلمون على أداء فريضة الحج حتى فى أيام المحن ، فحج الواعظ المؤرخ سبط بن الجوزى سنة ٦٠٤ هـ (١٢٠٧م) وكان بمكة إذ ذاك الطاعون فرأى من الموتى ما أذهله ، ومشى ثلاثة أيام فى الأموات على قوله [1] ، وخشى سبط أن يصيبه الطاعون ، فعجل بالسفر إلى دمشق ، ثم حج حجة أخرى سنة ٦١٣ هـ (١٢١٦ م) وفى هذه المرة أعطاه الملك المعظم عيسى بن العادل الأيوبى ناقته ، كما أعطاه الملك الأشرف بن العادل سبيلا طمعا فى الثواب . وفى المحرم سنة ٦١٤ هـ (أبريل ١٢١٧ م) زار سبط قبر الخليل ببيت المقدس ، ليجمع بين الزيارتين فى عام واحد ، ووعظ سبط المسلمين فتاب على يديه الكثير ، وحرض على الجهاد ضد الصليبيين فاستجاب له كثير من المسلمين .

واستطاع المؤرخ الفقيه شهاب الدين أبو شامة أن يحج مرتين متتاليتين سنتى ٦٢١ هـ و ٦٢٢ هـ (١٢٢٣ — ١٢٢٤م) لرخص الأسعار واستتباب الأمن فى الحجاز ، بفضل الجهود التى بذلها الملك المسعود بن الكامل الأيوبى صاحب مكة واليمن وقتذاك ، ولأن الملك المعظم عيسى قد مهد الطريق من الشام إلى الحجاز وزود حجاج الشام بالمؤن .

وما تمكن أولئك الرحالة من أداء فريضة الحج فى أمان واطمئنان إلا بفضل انتصارات الأيوبيين على الصليبيين ، وسيطرة الأسطول المصرى على مياه البحر الأحمر فامتنع اعتداء الصليبيين على قوافل الحجاج ومراكبهم ، وتيسر الحج كذلك بفضل فترات السلام التى تخللت الحروب الصليبية ومن تلك الفترات الفترة التى أعقبت المعاهدة الكاملية الفردريكية سنة ٦٢٦هـ (١٢٢٩ م) بين الكامل بن العادل الأيوبى وفردريك الثانى امبراطور الألمان للسلام .

وشعر الحجاج العرب بأن البلاد العربية التى يتجولون فيها هى بلادهم ، لعدم وجود حواجز جغرافية ، وما يوجد فى الوطن العربى من أنهار وبحار وهضاب ، لا تعتبر عوائق تفصل بين أجزائه ، إذ أنها تربط بينها ، ومثال ذلك الصحراء الغربية فى مصر التى تمتد غربا إلى المغرب العربى وبادية الشام التى تعتبر امتدادا لصحراء شبه الجزيرة العربية ، ونهر النيل الذى يربط بين مصر والسودان والبحر الأحمر الذى يعتبر بحيرة عربية ، وما شعر الحجاج العرب بالغربة فى أثناء رحلاتهم وجولاتهم فى ربوع الوطن العربى ، لأنهم وجدوا قوما يتكلمون اللغة العربية مثلهم ، فضلا عن تشابههم فى كرم الضيافة وحسن الاستقبال والمروءة ، مما شجع على التزاوج والتصاهر ، فاشتركوا بهذا فى الأنساب ولذا كانت فريضة الحج من العوامل التى قوت الولاء القومى لهذه الأرض العربية ، هذا الولاء الذى دفع ابن جبير إلى القيام برحلتين أخريين بعد رحلة الحج الأولى ليشهد بنفسه الفرحة التى عمت وجوه إخوانه بعد انتصار صلاح الدين والثانية بعد وفاة زوجته «عاتكة» علّه يجد فى أسفاره بعض السلوى والعزاء بين قوم يحبهم ويحبونه ؟

دكتور عباس حلمى

(١) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨ ص ٣٤٧ .

نفحات القرآن

الدّنيا كأرض تزدهر ثم تقفرّ على غير انتظار

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

« حتى إذا أخذت الأرض زخرفها ، وازينت ، وظن أهلها أنهم قادرون عليها . . أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً . . فجعلناها حصيداً ، كأن لم تغن بالأمس » . ٢٤ - يونس

ترى حديث القرآن عن الدنيا فى بعض مقاماته حديثاً معسولا جذابا ... حتى كأنها الأمل الحق الذى نتعلق به ، أو هى الخير الذى نطمح إليه .

ثم ترى حديثه عن الدنيا فى مقامات أخرى تصغيراً لشأنها وصرفا عن التعلق بها .

والقرآن لا يتضارب فى توجيهاته ، ولا يتهافت فى حديثه ... فكيف يمتدح لنا الدنيا ؟ . ثم كيف يذمها ، وينتقصها ؟ ؟

تلك أهداف تتنوع ، واتجاهات مقصودة .

والقرآن يجمع لنا مقاصده فى مسالك من البيان الحق ، ليحيط علمنا بما نحتاجه : من ثقافة وتهذيب .

فإن القرآن - كما أراد الله - مرجع البشرية فى الاهتداء . فهو واقف أمام الإنسانية موقف الرائد المثابر على دعوته فيما يتصل بالدين ، وبالدنيا جميعاً .

ولهذا كانت للقرآن جولات فى القصص المستمد من الواقع .. واتجاهات إلى ضرب الأمثال بتصوير الشيء الغيبى فى صورة المحسوس . لتقريب المعانى إلى الأذهان ، ولينتقل بنا من مجال التمثيل إلى مقام الإيمان بالحق اليقينى .

وانظر معنا إلى تمام الآية التى ذكرنا بعضها فى مطلع حديثنا .

« إنما مثل الحياة الدنيا : كماء أنزلناه من السماء ، فاختلط به نبات الأرض ، مما يأكل الناس ، والأنعام ... حتى إذا أخذت الأرض زخرفها ، وازينت ، وظن أهلها أنهم قادرون عليها ... أتاها أمرنا ليلا ، أونهاراً ، فجعلناها حصيداً ، كأن لم تغن بالأمس . . كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » .

هذه الآيه تصور لنا - الدنيا - بما فيها من مباهج متنوعه ، وملامح متشابهة ، وغير متشابهة - فى صورة أرض كانت هامدة ، ليس فيها حياة ، ولا تجملها زينة ، ولا رواء ... ثم نزل عليها الماء وابلا ، فرطب جفافها ، وأحيا مواتها ، واختلط فيها الماء بالنبات ، فاهتزت بالحياة ، وأنبتت من كل زوج بهيج .

أصبحت الأرض حافلة بالزروع ، والأزهار ، والأشجار ، والثمار : مما يأكل الناس والأنعام

وهذا مظهر أمام العين ، ينتعش الأمل بروعته ، وتهتز المشاعر ببهجته ، ويتعلق به الطموح إلى المزيد .

ويخيل للإنسان فى ابتسامة دنياه أنه أصبح مالكا لحظه ، قادراً على الاستزادة من متاعها ، وينسى أن كل نعمة مهددة بالزوال كما أن كل نجم ينحدر إلى أفول .

فما يلبث المرء فى نعمته : حاسبا أنها فى حرز من الآفات : حتى يفجأه البلاء الماحق ، فيهلك ثمره ، ويجتاح زرعه ، ويجدب أرضه ، فتصير كأن لم يسقها الماء الروى قبل يومها ، ولم تكن غنية بنضارتها ، وزينتها فى أمسها . . ولم يبق من مفاتنها غير ذكريات ، وحسرات .

ذلك مثل الدنيا فى حيازة الأفراد ، وهو مثلها فيما تؤول إليه بعد أن يسود فيها الإنسان بجهاده ، وسلطانه ، ويسيطر عليها بعلمه ، وإبداعه

فإذا هى فى طيات الفناء ، وخبر من الأخبار عما كان .

وكم رأت العين من زروع خضراء ، وروضات غناء ، ثم رأتها تربة يابسة ، وجرداء عابسة ، وانقضى ما بين أولها ، وآخرها : كما تنقضى لمحات الزمن : دون عودة إلى هذا الوجود ...

ذلك مثل الدنيا كما صورها القرآن فى الآية ، وكما صورها مرة أخرى فى إيجاز لهذا التشبيه « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا : كماء أنزلناه من السماء ، فاختلط به نبات الأرض ، فأصبح هشيما ، تذروه الرياح ، وكان الله على كل شيء مقتدرا » الكهف ٤٥ .

ذلك تشبيه الدنيا فى صورة واقعية .. ومن خلال هذا التشبيه يتضح شأنها لمن يعيشون فيها ولا يفطنون لمصيرها .

فإن تكن الحياة فيها نعيما عند أناس ... أو شقاء عند آخرين : فهذا مداها فى البقاء ، ومآلها فى الزوال والحظ فيها غير مقيم ، والبؤس فيها ينقشع ، ولا يستقيم .

ثم يستقبل الناس بعدها حياة خالدة ، يحصد فيها كل امرىء ما زرع ...

وفى الحديث القدسى : « يا عبادى ... إنما هى أعمالكم ، أحصيها عليكم ، ثم أوفيكم جزاءها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله تعالى ، ومن وجد غير ذلك ، فلا يلومن إلا نفسه » .

هذا : وحديثنا عن الدنيا وما اقتبسناه من الآيات قد يصرفنا عن الجنوح إليها ، ويهون من شأنها ... مع أن الله يمتن علينا بما خلق لنا فيها من خير كثير ـ كما نوهنا بذلك من قبل . . والله تعالى يعدد نعمها فيما يذكره : من نخيل ، وأعناب ، وثمرات مختلفات ، وجنات معروشات وغير معروشات .. ثم يحضنا على السير فى مناكبها ، والأكل من رزقه ، ويأمرنا بالانتشار فى الأرض ـ بعد الفراغ من الصلوات ـ والابتغاء من رزقه ، وأنواع فضله : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » .

فالدنيا فى القرآن ممدوحة ومذمومة ... وكيف يفهم الإنسان الساذج قيمة الدنيا بين ما ورد فى مدحها ، وفى تحقيرها ؟؟

وهنا نقول : إن الدنيا بما فيها : مظهر لوجود الله . وأمارة على قدرته ، وقد استخلف الله الإنسان فيها ليعمرها بمواهبه ، وبجهوده ،

ولبرز أسرارها ، وبتمتع بخيراتها . . فإن الله لم يهأ أن تكون خرابا ، أو يحبس متاعها عن هذا الوجود .

ومن هذه الناحية تكون دنيانا متاعا ، وهناءة للإنسان والحيوان ، بكل ما فيها من ألوان المتاع الملائم لسائر الأحياء .

ومن ناحية - ثانية - هي سبيل إلى معرفة الله ، ومزرعة للآخرة ، وقنطرة إلى حياة الخلود ... فهي مقدمة لحياة مرموقة .

ولكن الإنسان اتجه إليها من زاوية ضيقة ... وتعلق بها من أقرب نواحيها .. واستطاب متاعها في خاصة ملذاته ، وتغاضى عن هدفها الأصح ... فكثرت زلاته ، وهو دائب على تعثره في خطاه وراء دنياه من أول عهده بالحياة .

فكان من رحمة الله بعباده أن يذكرهم بما أسبغ عليهم من خير الدنيا .. وأن يذكرهم كذلك بما انحرفوا إليه في استخدامها لغير ما يراد بها . ليتداركوا أنفسهم في الجمع بين نعيمها ، وحسن التصرف فيها .

وذلك هو القصد في ذم الدنيا التي افتتنوا بها .. وفي مدح الدنيا التي غمرهم نعيمها ، ووجب عليهم شكرها ... ففي ذمها توجيه إلى الحذر من فتنتها ... وفي مدحها توجيه إلى حسن التصرف في نعمها ...

وفي ذلك اعتدال . والاعتدال وسيلة إلى الخلود في النعيم المقيم .

ومهما يكن من حديث القرآن عن الدنيا ، وما يضربه من الأمثال في شأنها ، فإنه لا يقف بنا في الجانب الروحي وحده ، ولا يدعو إلى الانكماش عن الجانب الدنيوي . . بل يمتد حديثه ، وتوجيهه لما بين الناس من روابط الحياة في معاملات ، وقضاء ، وسياسة ، ومصاهرات الخ .

فإن هذه - كما هو الواقع . . وكما نذكرنا ، وذكرنا سوانا غير مرة - هي الوشائج الجامعة بين الناس في دنياهم ، ولابد من السير فيها على مناهج مستقيمة .

والقرآن هو الدستور الحافل بتلك المناهج، وبجانبه سنة الرسول : بيانا ، وتفصيلا لما يحتويه القرآن .

ومادام القرآن هو الكتاب الجديد ، والدستور السماوي الأخير .. وهو الراوية الصادق لما جرت عليه الأمم السابقة ، والمنبه لما يجري على غيرها من أقدار الله : فهو الفرصة الباقية أمام البشرية ، لتتخذ منه الإنسانية دليلها فيما تتجه إليه .

ثم المرء مخير المنظرين لنفسه حسب ميوله ... وإن وراء ذلك الاختيار مسئولية وعاقبة ، والله لا يظلم الناس شيئاً .

وإن نظرة واعية إلى ما عليه المجتمع المعاصر لتقنعك - في غير جهد - بأن كل مسلك شذ عن مناهج القرآن كان شقاء لا هناءة فيه ، ونقصاً لامطمع في تداركه إلا بالرجوع إلى القرآن . . وبقدر ما يكون بيننا وبين القرآن من تباعد يكون تصدع النظام ، وشقاء العيش في جنبات الدنيا .

وإذا ألفيت المعرضين ظلالا في حياتهم الدنيا . فلا تحسبها ظلالا مباركة ممدودة ... وإنما هي سحب تتقشع ، وتسرع إلى زوال .

وحينما تهتدي إلى تصحيح فكرتك نحو القرآن في توجيهاته الدين والدنيا تكون وضعت يدك على الدواء ، لعلاج الداء ، وهكذا يفصل الله آياته لينتفع بها من خلقه من يتفكرون ؟

عبد اللطيف السبكي

السّلام فى الإسلام

للأستاذ محمود النّواوى

السلام إسم من اسماء الله تعالى وضعه بين عباده ليتفيأ وأظلاله وليسعدوا فى رحابه بحياة كلها رحمة وأمان . قال أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه: السلام أمان الله فى الأرض . .

ولقد ورد السلام فى القرآن اسما لله تعالى : « هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن » . وكذلك سميت به الجنة . قال الله تعالى : « والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » !

فالإسلام إذا جد حريص على تحقيق هذا السلام بين أتباعه ومريديه . ضرورة أن الإسلام دين السلام بالدعوة الجاهرة إليه فى ربوع هذه الحياة . . قال الله تعالى :

« ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير . قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم »

والإسلام الذى يحرص كل الحرص على تحقيق مفاهيم السلام وتطبيق معانى الأمن ، ونشر ألوية التراحم بين الناس جميعا ليمقت البغى ويحارب العنف . ويتقيع أسباب الشر بالاستئصال والاجتثاث ويدعو إلى العفو والمغفرة والمسالمة والدفع بالحسنى قال الله تعالى :

« ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين . . ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن ... فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ... وما يلقاها إلا الذين صبروا . وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » .

وفى سبيل هذه الغاية الرحيمة وتلك الدعوة السلمية الكريمة تتواصى تعاليم الإسلام جميعها . .

وتتواكب تشريعاته كلها فى الأخذ بناصية الحياة نحو آفاق رحيبة من التسامح وسماوات فسيحة

ولقد بعث الله سبحانه رسله إلى الناس بالهدى من الإنسانية .

ودين الحق ليرتفعوا بهم من حمأة الرذيلة إلى مستويات الفضيلة ، ومن ضعة البغى والشر الى مراقى البر وروابى الخير .

ولاشك أن السلام هو هتاف الإنسانية وتغريدها منذ آلاف السنين فلقد بحث العقل كثيرا عن حقيقة الخير فى هذه الحياة ، وانتهى به مطافه الطويل ورحلته الشاقة إلى إدراك أن الخير هو ماحقق السلام إذ أن السلام قاسم مشترك فى كل صنوف الخير وألوان الرغد والسعادة !

ولما كانت الحياة الدنيا أشبه بمقدمة لحياة أخرى تقوم فيها مقدرات البشرية جماء كان السبيل إلى تحقيق ذلك الترابط هو السلام بمعناه الكبير ومفهومه الواسع العميق !

السلام الذى اتخذه الإسلام شعاره الإنسانى السابغ!

السلام الذى يرجى أن يتم به للمؤمن بعض صفات الإله !

السلام الذى هو غاية الحياة الخالدة الأبدية !

السلام الذي ترتبط به الحيانان. ويتسق عن طريقه الوجود الإنساني على نحو ما تطمح إليه المشاعر الكريمة في الجنس البشرى العريق!

والدعوة إلى السلام ومشتقاته من أول ما تعنى به الأديان ويهتف به القرآن . .

قال تعالى : «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البينات .. وأولئك لهم عذاب عظيم» !!

ولقد دعا الله سبحانه رسوله عليه السلام إلى إيثار السلام . . ثم كفل له النصر والتأييد إذا فكر أحد في خصومته . قال تعالى . «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله . إنه هو السميع العليم. وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله ، هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم» ! .

كما أخبرنا سبحانه في كتابه الكريم بأنه أرسل رسله بالبينات ليقوم الناس بالقسط وأنه أنزل الحديد فيه بأس شديد لمن لج به طغيانه وعربد عليه عدوانه قال الله تعالى :

«لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس» ! والقيام بالقسط من أكبر دعائم السلام .

والله سبحانه بعث السيد المسيح وجعل في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ، فمن ادعى أنه من أتباع عيسى عليه السلام وليس عنده رأفة ورحمة فليس من أتباعه أبدا مهما تشدق بالرأفة أو لبس مسوح الرحماء ، وما أكثر هذا الصنف المدعى الكاذب من هؤلاء المساعير الذين أوقدوا نار الفتنة والبغى والحروب متسترين وراء الصليب في زحف صليبي عارم لغزو الشرق واستلاب خيراته !!

وإنه لتوجيه كريم إلى انتهاج سبل السلام ونقضى دواعيه أن يصف الله رسوله بمثل ما يصف به نفسه من الرأفة والرحمة إذ يقول سبحانه : .

«لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم» ! ومن هنا نجبه هؤلاء المرجفين الموقين الذين يتقولون على الإسلام بأنه قام على السيف بقصد تشويه مبادئه والنيل منه ... ولو علم هؤلاء المكابرون بأن السلام من مشتقات الإســـلام لفظا ومعنى لثابوا إلى رشدهم . وأنى لهم ذلك وقد ران الله على قلوبهم وأعمى بصائرهم ... وصدق الله القائل :

«فإنها لا تعمى الأبصار ... ولكن تعمى القلوب التي في الصدور» !!؟ .

على أن الإسلام لم يأذن لأتباعه بالوقوف في صف أو الانتظام في زحف . إلا دفاعا عن العقيدة وصونا للنفس ، واستجابة لنصرة مظلوم ونجدة ملهوف . وهذا صريح القرآن .

«أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا . وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصــلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز .

فانظر كيف أذن الله في القتال للذين يقاتلون أي يبدأون بالقتال ، ومقتضى التعبير بالإذن ، أنه كان مسبوقا بالحظر مما يدل على أن التشريع السماوي يمنع القتال إلا عند إرادة الدفاع ومنع الظـلم والاعتداء كما يقول سبحانه .

« فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » .

قال جمهور المفسرين : إن المسلمين كانوا حينما يؤذيهم كفار مكة يراجعون النبي صلى الله عليه وسلم ويطلبون الإذن لهم بمقاتلتهم فكان صلوات الله وسلامه عليه يوصيهم بالصبر ويقول لهم : إن الله لم يأذن له بالقتال ... فلما تمت الهجرة إلى المدينة نزلت هذه الآية ، وأنها أولى الآيات النازلة فى القتال .

والواقع أن القرآن كان يأمر النبي والمؤمنين بالصفح والعفو والصبر والغفران ، وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل » ... « ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور » ... « قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون » ! ! .

وانظر كيف وعدهم الله بالنصر . ثم التمس لهم المبرر المقتضى للقتال : بأنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق : إلا أن يقولوا ربنا الله . . مع بيان أن الله يدفع ظلم العباد بأيدى العباد أيضا ولولا ذلك لهدمت المنائر وسقطت المشاعر وتعطلت الصلوات وأقفرت دور العبادة . . ثم أكد الله أن قتال المعتدين وحرب الباغين نصر له سبحانه يقابل بالنصر والتأييد « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » !

وأى شىء أدعى للسلام وأقوم فى تطبيق الأخلاق العملية وأقنع فى نشر ألوية الرحمة والهداية من قول الله فى وصف عباده المظلومين : « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة . وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » ! فهم لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا وإنما ينشدون عبادة الله والدعوة إلى الخير استجابة لقوله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . وأولئك هم المفلحون . . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » !

فقد جعل سبحانه الفلاح خاصا بمن يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . . كما جعل العذاب العظيم نتيجة مترتبة على الاختلاف والتفرق الذى هو من عوامل الفساد ومعاول الهدم والتخريب بين العباد والبلاد ! !

وقد وضع الله سبحانه للمظلوم مرتبتين كلاهما جدير أن يحفظ السلام ويوافق الفطرة السليمة ، أو يرتقى بصاحبه إلى مرتبة من الكمال تستوجب له أجرا كريما من الله ، يقول الله سبحانه : « وجزاء سيئة سيئة مثلها . فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، إنه لا يحب الظالمين ، ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك ، لهم عذاب أليم . ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور » !

فقد جعلت هذه الآيات من حق المعتدى عليه أن يدفع البغى عن نفسه ، ولا شك أن هذه لفتة إلهية كريمة ، واتجاه إيجابى يعمل على حفظ السلام .

ولهذا يقول الله « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب لعلكم تتقون » !

على أن القرآن الكريم يدعو إلى التزام المماثلة عند الرغبة فى القصاص أو الانتقام فيقول : « وجزاء سيئة سيئة مثلها » ثم يرغب فى العفو عن المظلوم ، وترك الظالم لعدالة الله وعقابه فذلك يحدث فى النفوس أثرا كبيرا ، ويحيلها من براكين ثائرة فائرة إلى ينابيع من الرحمة والحنان ، « ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا ، وقال إننى من المسلمين

رأى العقاد فى العقيدة الدينية

بمناسبة ذكراه الثانية

للأستاذ أمين أمين بدر

لعل خير ما يمثل رأى العقاد فى العقيدة الدينية كتابه القيم « الله » ففيه توضيح لأفكاره ، وتأكيد لمعتقداته ودفاع عن آرائه فى العقيدة بعد أن نضجت واستقامت على خير ما تكون عليه الآراء والمعتقدات

وهو فى هذا الكتاب يرى أن العقيدة الدينية متأصلة فى طبائع بنى الإنسان من أقدم عصور التاريخ لأن العقيدة هى ترجمان الصلة بين الكون والإنسان ...

فالإنسان منذ بدء الخليقة إلى الآن يشعر بأن هناك علاقة وثيقة تربطه بكل ما فى الكون من ألوان الحياة ، وهذه العلاقة تدفعه إلى البحث عن سر وجوده ، وتجعله يتخيل وجود قوة تحرك الكون كله ، وتسيطر عليه وتخضعه لنظام ثابت لا يتغير وهذه القوة هى منشأ الاعتقاد عند الإنسان وقد يرى بعض العلماء والباحثين أن الباعث على الاعتقاد هو الأساطير التى سادت بين الهمج وجعلتهم يتوهمون قدرة خارقة لبعض مظاهر الطبيعة مثل الشمس والقمر وقد يشارك الهمج فى هذا الاعتقاد بعض

« بقية الصفحة السابقة »

ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، إدفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم »

وما أجمل ما يدعو اليه الإسلام من معانى التسامح ومفاهيم العفو ومبادىء الصفح والغفران .

قال تعالى :

« خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين »

وقال تعالى :

« وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله أنه سميع عليم » !

ويلاحظ أن هذه الآيات الكريمة كلها مكررة المعنى مع آيات الدعوة إلى مقابلة السيئة بالحسنة ، وآية الدعوة إلى الأخذ بالعفو والأمر بالعرف والإعراض عن الجاهلين ، مما يدل على أن الدعوة إلى مقابلة العدوان بمثله قد تكون من نزغات الشيطان ليوقع بين الناس العداوة والبغضاء حين يغريهم بالإسراف فى الانتقام والأخذ بالثأر .

وما أكثر الحث فى كتاب الله وتعاليم الشريعة الإسلامية على التخلق بأخلاق القرآن فى معاملة الناس واستنان السنة الحسنة التى تظهر من ثناياها وترتسم بين إطارها صورة الإسلام ويبشرها بها نبى الإسلام والسلام الذى وصفه الله بالرأفة والرحمة فى كتابه العزيز :

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » !

محمود النواوى

الشعوب الراقية إذ كانوا يتوهمون وجود قوة خارقة وراء هذه الأشياء .

ويرد العقاد على هذا الرأى بقوله : « إن هناك أساطير كثيرة لم يتخذها الإنسان أساسا لاعتقاده ، ولم تلزمه بالطاعة والولاء ، وقد يتدين الإنسان بالعقيدة من غير أن تختلط بالأساطير ، وقد توجد عقيدة ممتزجة بالأساطير ، ولا يلزم أن تكون الأساطير أساس الاعتقاد »[1] ويرى البعض أن ملكة الاستحياء هى أصل الاعتقاد بالأرباب ، ومعنى الاستحياء « أن يخلع الإنسان الحياة على الجماد ، كالنجوم والرياح أو يتوهم وجود أرواح تنفع وتضر فيخلع عليها صفة الآلهة ويسترضيها بالصلاة والدعاء . يقول العقاد : « إن الهمج لا يجهلون أن الأرواح التى تحوم حولهم فى طلب الطعام والشراب تحتاج إليهم ولا تستغنى عنهم فلماذا يعبدونها ؟ ولو كان الهمج يعتقدون فى كل هذه الأرواح لعبدوها وثابت أن أقوام إفريقيا الوسطى يؤمنون برب عظيم فوق الأرباب وهم مع ذلك فى غاية الجهالة » ص ١٧ .

ويرجح بعض الباحثين أن السحر هو أصل العبادة مع أن السحر لا يخلق الآلهة وإنما يخلقه السحرة والكهان ، ونحن نعرف أن السحر يتصل بالأمور الخبيثة بخلاف العبادة ؛ فإن فيها توسلا إلى الخير ورجاء فى كرم المعبود .

ويرى آخرون أن العقيدة الدينية مردها إلى ضعف الإنسان بين مظاهر الكون وأعدائه فيه من القوى الطبيعية فيحتاج إلى سند يطمئنه ويحميه ، ولو كان هذا الزعم صحيحاً لما صدرت العقيدة الدينية من الأنبياء والدعاة وهم أقوياء ذوو بأس وقوة وخلق متين . » ص ١٩

كل هذه الآراء وغيرها مما يشبهها غير كافية للإقناع فى رأى العقاد ، وعنده أن العقيدة الدينية هى مظهر الصلة بين العالم الأكبر والعالم الأصغر ويمكن أن تسمى بالوعى الكونى عند الإنسان .

ومع أن الانسان يشعر بهذا الوعى الذى يربطه بالكون وبخالقه من قديم الزمان فإنا نراه يتخبط فى الوصول إلى الله فلا يهتدى إلا بعد لأى وشك وإنكار . ما السر فى هذا التخبط ؟ ؛ السر فى رأى العقاد أن الحقيقة الكبرى لا تظهر للإنسان دفعة واحدة وقد تعب الإنسان فى الوصول إلى أسرار الصناعة ووسائل الرقى أفيمكنه الوصول إلى معرفة الله دفعة واحدة ؟ .

ومن الطبيعى أن الإنسان يشعر فى قرارة نفسه بميل إلى الإيمان بإله خالق ، ومن الشذوذ أن يناقض الإنسان طبيعته فيلجأ إلى الجحود والنكران .

وقد ينكر كثير من العلماء والباحثين وجود الله معتقدين استناداً إلى أبحاثهم وتجاربهم أنه لا توجد قوة غير مادية فى هذه الحياة وأن المادة هى كل شىء ويرد العقاد على هذا الإنكار مستنداً إلى رأى الأستاذ هـ . د . لويس فى كتابه « تجربتنا عن الإله Aur Experience of God » إن الحقائق التى يقررها العلم لا تعدو أن تكون حقائق نسبية ، أو حقائق بالإضافة إلى غيرها ولكنها لا تثبت للذهن بغير قياسها إلى حقيقة أبدية مطلقة تحيط بها جميعاً وهى الحقيقة الإلهية . ص ٨

ومع ذلك فالباحثون فى تركيب المادة يثبتون أنها جميعا موجودات بالنسبة إلى غيرها ويحتملون وجود كائنات لا مادية فى بعض العوالم الأخرى

---

(١) كتاب الله ص ١٦ دار المعارف الطبعة الثالثة .

فالإيمان بالمحسوسات ينقص على أيدي التجارب العلمية ليحل محله إيمان بالغيب المجرد .

ولكن ما الأدلة العقلية التي يرتضيها العقاد لإثبات وجـــود الله ؟ قبل كل شيء يعترف العقاد بأن وجود الله مسألة وعي يقيني بالوجود الأعظم ، وهذا الوعي لا يناقض العقل لأنه مستمد من كيان الإنسان كله ، والبداهة العقلية لها قيمة كبيرة لا تقل عن قيمة المنطق ، واعتماد الإيمان على الوعي أعظم من اعتماده على البراهين العقلية لأن العقل قد يخطىء القول في بعض الأشياء لأن له حدودا لا يتعداها . ما حقيقة الوعي الذي يعتمد عليه العقاد اعتمادا كلياً في إثبات وجود الله ؟ الوعي هو إحساس الإنسان بما في الكون من جمال ونظام وأسرار وألغاز وغيوب . وإذا ظهرت لبعض الناس وخفيت عن بعض فهذا لا يمنع وجودها فالعيب في الواسطة لا في الحقيقة .

وقد تعب الإنسان كثيراً في اعتماده على البراهين العقلية ومع ذلك فاعتماده على الوعي الكوني أسلم وأعظم . ص ١٢٢

وكل ما في البراهين العقلية أنها ترجح جانب الإيمان على جانب الإنكار وإن كانت لا تغني عن الوعي الكوني في الإيمان بالله .

والبراهين الشائعة هي : برهان الخلق ، وبرهان الغاية ، والاستكمال ووازع الضمير .

وبرهان الخلق ، أقوى البراهين ، لأنه يقول : إن الموجودات لا بد لها من موجد لأن كل موجود منها يتوقف على غيره من غير أن تعرف ضرورة توجب وجوده لذاته ولا بد لهذه الموجودات من سبب يوجبها ولا يتوقف وجوده على سبب سواه.

وقد يعترض على هذا الدليل بأن الموجودات كلها ناقصة وأن الكمال يتحقق في الكون كله . والرد على هذا يسير لأن معناه أن مجموع النقص كمال وهذا محال وقد يقول الماديون إنه لا مانع أن يكون المحرك الأول ماديا وأن يكون وجوده أزلياً لأن قدم العالم أمر لا يأباه العقل .

ونرى بعضهم يقول : إن المصادفة وحدها كافية لتفسير كل نظام ملحوظ في الكائنات ويجيب العقاد على هذا بأن هؤلاء الماديين يستجيزون الكمال المطلق في كل عنصر من عناصر الكون إلا عنصر العقل فلماذا لا يكون هناك عقل كامل أزلي في الوجود هو عقل إله ؟ ولماذا نفترض وجود المصادفات ولا نفترض وجود قوة وراء هذه المصادفات لكي تنظمها وتجعلها تسير بحساب مرسوم ؟ !..

وبرهان الغاية في رأي العقاد أشبه بتفصيل لبرهان الخلق لأنه يتخذ من المخلوقات دليلا على وجود الخالق مع وجـود قصد في تكوينها وحكمة في تسييرها وتدبيرها .

وأقوى رد على هـذا الاعتراض قول العقـاد : ما العالم الذي يتخيله المعترضون وافيا بالقصد جديرا بحكمة الله ؟ هو عالم لا نقص فيه فلا حدود فيه ، وكيف يوجد الناس بلا حدود ؟ لماذا يوجد الألوف ومئات الألوف نسخة واحدة ؟ إذن خلق إنسان واحد يحقق معنى الإنسانية كلها ولا يكون فيه نقص ولا تعدد ولا بداية ولا نهاية فذلك إله آخر مستمتع بكل صفات الدوام والكمال ص ٢٣١ ، وإذا كان برهان الإثبات أقوى من برهان الإنكار ففيه الكفاية لأن برهان العقل لا يمكن أن يستوعب الوجود الإلهي كل الاستيعاب .

والبرهان الثالث هو برهان الاستكمال والاستعلاء أو برهان المثل الأعلى وخلاصته : أن العقل الإنسانى يتصور دائما كمالا فوق كل كمال إلى أن يصل إلى الكمال المطلق وهو الله سبحانه وتعالى ، وهو لا بد موجود لأنه لو لم يكن موجودا لما كان كاملا كمالا مطلقا .

ويعترض المعترضون ومنهم الراهب جونلو Gaunilo ، وعمانويل كانت ، قائلين : إن تصور جوهرة كاملة لا يستلزم وجودها .

ويجيب العقاد أن تصور الجوهرة لا يستلزم وجودها فى الحقيقة ولكننا لا يمكن أن نتصور كمالا مطلقا ثم نتصوره فى الوقت نفسه نقصا مطلقا لأنه معدوم .

والبرهان الرابع هو : برهان الوازع الأخلاقى أو الضمير ـ وعنده أن البرهان على وجود الله إنما يثبت بوجود علاقة فى النفس لا يمكن وجودها بغير وجود إله ، وهى علاقة الوازع الأخلاقى أو علاقة الضمير ، ودليله على هذا أن الإنسان يعتقد دائما بوجود سلطة عليا تحاسبه على ما يفعل

ويعترض البعض فيفسرون السبب فى وجود هذا الوازع بالعادة الاجتماعية ، ولكن العقاد يقول : إن معرفة السبب لا تبطل الغاية أو الحكمة فلماذا نشأت العادة الاجتماعية ؟ وقد يجيبون : المصلحة الاجتماعية .

ولماذا كانت المصلحة الاجتماعية علة للعادة الاجتماعية ولا تحتاج هى إلى تعليل ؟ ويستدرك العقاد فيقول : ولماذا يحوجنا الله إلى البراهين لإثبات وجوده ؟ لماذا لا يظهر للعيان فيعرفه كل إنسان ؟ والجواب عنده : أنه لا يدرى ، ولكن إذا تجلت الحقيقة الإلهية لكل موجود وتساوت العقول فى معرفة جميع الحقائق رجعنا إلى المخلوقات المتشابهة فى الكمال وبغير حدود فى المعرفة ص ٢٣٢ .

والقرآن الكريم بوصفه كتابا للعقيدة والتشريع يبسط هذه البراهين بسطا فى ثناياه مع توضيح شامل وتدليل بارع جاعلا الهدى من الله ولكن عن طريق العقل والإلهام ، قال تعالى « قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » .

« قل : إن الهدى هدى الله » ، « وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله » .

وبرهان الخلق : توضحه هذه الآيات البينات وأمثالها فى القرآن كثير « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين » .

« ألم نجعل الأرض مهادا ، والجبال أوتادا ، وخلقناكم أزواجا ، وجعلنا نومكم سباتا ، وجعلنا الليل لباسا ، وجعلنا النهار معاشا ، وبنينا فوقكم سبعا شدادا ، وجعلنا سراجا وهاجا ، وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا » .

ومن المؤكد أن هذه الآيات وغيرها تصلح لبرهان الغاية والقصد والنظام ؛ ومن الآيات التى تصلح لبرهان الكمال والاستعلاء ، والمثل الأعلى قوله تعالى : « ليس كمثله شىء وهو السميع العليم » ، « ولله المثل الأعلى » ، « وفوق كل ذى علم عليم » .

على أن براهين القرآن هى أقوى البراهين التى تبطل القول بقيام الكون على المادة العمياء دون غيرها . فإذا كان العالم مادة لزم أن المادة أزلية لا أول لها ولا آخر ولا معنى إذاً لظهور الحياة فى كوكب دون كوكب وفى زمان دون زمان . وأما أن الحياة من صنع خالق مريد يعلم ما أراد ويقدر زمنا دون

زمن يقوم على الاختيار ، والعقل يؤكد هذه الإرادة « يخرج الحى من الميت » . وبرهان القرآن على وحدة الخالق يضارع برهان الخلق قال تعالى « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » ، فوجود إلهين أزليين مستحيل وبلوغ الكمال المطلق فى صفة من الصفات يمنع بلوغ كمال مطلق آخر فى نفس الصفة والتعدد لا يتحقق فى موجودين كلاهما يطابق الآخر ويريد ما يريده الآخر .

بعد هذه الرحلة الطويلة فى كتاب العقاد يجب أن نوضح العقيدة الدينية التى يؤمن بها العقاد مع إيجاز لا يخل بالوضوح .

أولا : يرى العقاد أن التوحيد أشرف العقائد الإلهية وأجدرها بالإنسان فى أرفع حالاته العقلية والخلقية ولكن الإنسان لم يصل إلى هذا التوحيد الخالص إلا بعد أن تطور فى الفهم والمعرفة . ص ٢٩١ .

ثانياً : الإله ذات لأن ترتيب درجات الكمال يؤكد أن الكائن الأكبر لن يكون مجرداً من الذات فالعقل يعقل وجوده ومتى عقل وجوده فهو ذات ص ٢٩٢ .

ثالثاً : الله يدرك ذاته - ولا صحة لما يقال من أن الله ليست له صفات متعددة ، أو أن ذاته مقيدة بصفة من الصفات أو أنه لا يريد ولا يعلم الجزئيات لأنه يعلم أشرف المعقولات وهو ذات الله .

وكل ما نعلمه أن الله كمال مطلق وأن العقل المحدود لا يحيط به .

رابعاً : هناك صلة بين العقل والإيمان ، فالعقل الإنسانى لا يستطيع التفرقة بين عقيدة الشرك وعقيدة التوحيد ، ويستطيع التفرقة بين أدلة الإيمان وأدلة التعطيل ، ويستطيع التفرقة بين ضمير مؤمن وضمير معطل من الإيمان ، ولكنه يبلغ غاية حدوده ثم لا ينكر ما وراءها لأنه وراء تلك الحدود وهنا يترك العقل دوره للوعى الدينى لأنه ضرورة لا بد منها .

وفى النهاية يرجع العقاد إلى إبداء رأيه بصورة أخرى فى مشكلة الخير والشر التى كانت سببا للقول بالتثنية وتعدد الوساطات بين الله وعالم المادة ويوضح المشكلة فيقول : كيف يتفق كمال الله وما نحسه فى هذا العالم من النقص والشر والعذاب .

والجواب أن الكمال المطلق صفة الخالق لا صفة المخلوقات وكل مخلوق محدود وكل محدود لا بد فيه من نقص على أية صورة من القبح أو الشر والعذاب ومن لنا أن النقص الذى لا يرضينا هو أقرب إلى الكمال من النقص الذى نرضاه ؟ أليس حافز الألم هو وسيلة الشوق إلى الكمال .

إن الآلام وسيلة الارتقاء وتنازع الأحياء ووسيلة الازدياد فى نمو فضائل الإنسان .

والأمر واحد من ثلاثة : إما إله قادر على كل شىء ولا يخلق شيئا . وإما إله يخلق إلها مثله فى جميع الصفات ، وإما إله يخلق كونا محدودا يلم به النقص الذى يلم بكل محدود وهذا هو الغرض الوحيد المعقول ص ٢٩٧ .

خلاصة الرأى عند العقاد أنه لا مفر من أن يشترك الحس والعقل والوعى والبديهة فى الإيمان بالذات الإلهية إيمانا رشيدا غير ناسين أن لكل من هذه الآلات حدودا لا ينبغى أن نتعداها حتى لا تقع فى الضلال ؟

أمين أمين بدر
دار المعلمين ببور سعيد

في مقارنة الأديان :

قصــة الطوفــان

للأستاذ عبد الجليل شلبي

يرى الباحثون فى أصول الأديان والمعنيون بمقابلاتها أن هناك موضوعات تكاد تكون عامة فيها جميعا ، سواء فى ذلك الديانات السماوية وغير السماوية ، وكثير منها ما تناولته الفلسفات وفصلته من وجهة نظر أصحابها تفصيلا دقيقـــا ، ولكن لم تتفق الديانات ولا الفلسفة على تفاصيل مسألة واحدة ، بل يذهب كل واحد منها جميعا مذهبا ينفرد به ، ولا نحصى كل هذه المسائل التى اتحدت فى كونها موضوعا للبحث فى معظم الأديان واختلفت تفاصيلها ووجهة النظر إليها ، ومنها على سبيل المثال قصة بدء الخليقة والعنصر الذى ابتدأ وجودها منه ، ونهاية العالم ، والحياة الثانية ، والجزاء على الأعمال ، والخير والشر وضرورة وجودهما معا ، والمعركة الدائرة بينهما إلى الأبد ، والوحى والمعجزات ، والضحايا البشرية والطوفان . . . إلخ إلخ . كل هذه الأشياء وغيرها مما جاء فى معظم الديانات واختلفت فى تفاصيله .

وقد جاءت قصة الطوفان فى ديانات كثيرة أشهرها البابلية ، واليهودية ، والإسلام وترتبط هذه القصة فى البابلية بالجزاء على الأعمال ، فالمعروف هناك أن مرتكبى الآثام ومن يتعمدون فعل الشر تنتابهم الكوارث فى أبدانهم أو أموالهم أو يصابون فيمن هم أعزاء لديهم من الأحبة والأهلين . ولكن إذا فشا الشر وشاعت المنكرات يأتى وباء عام أو طوفان يطهر الأرض من الناس جميعا فـــلا يبقى مذنب ولا برىء . وهى فى هذا قريبة الشبه من دورة الحياة التى نادى بها هيراقليطس، فى فلسفته المعروفة . ويظهر أنها لم تحدث لديهم إلا مرة واحدة . وترتبط القصة من جهة أخرى بما كان لديهم من فكرة تعدد الآلهة ، وارتباط الأحداث ومصاير الناس بالكواكب والبروج ، ولذا فقد تكونت القصة من اثنى عشر فصلا كل فصل منها يرتبط ببرج من أبراج السماء ، وتقوم القصة على شخصين أحدهما (زستور) الذى له مكانة الإله أو هو أصبح من الآلهة بعد أن نجا من الطوفان فارتفع إلى السماء وعاش هناك . والثانى (اسبدبار) الذى صنع السفينة فعبر بها بحر الموت وقد حفظ فى السفينة النبات والحيوان والبذور وأيضا بذور الحياة وأجناس الوحوش ، وكان طول السفينة ستمائة قدم وعرضها ستين وكانت محكمة الإغلاق فحجبت عنه وعز معه سيل السماء وشاش الأمواج وبرد العواصف وارتفع الماء حتى بلغ عنان السماء فمات كل ما على وجه الأرض ولم ينقطع النوء إلا بعد ستة أيام وست ليال ، ثم انحسر الماء واستوت السفينة على جبل نيزار ، وأرسل (اسدبار) حمامة تستطلع وجه الأرض فلم تجد مكانا لقدمها وعادت وأرسل سمانات عادت يائسة أيضا ثم أرسل الغراب فراح يلتهم أجسام الموتى ولم يعد .

وخرج أسدبار من السفينة فبنى على رأس الجبل مذبحا وقرب القرابين للآلهة فاجتذبتها رائحة القتار والريحان فتهافتت عليه واستمتع بمنظرها ورؤيا كبيرها ، وحيتها فى الأفق أقواس السحاب ... إلخ .

ولم تعرف تفاصيل هذه القصة إلا من الحفائر التى كشف عن ألواحها فى القرن التاسع عشر وهى ألواح مسمارية محفوظة فى المتحف البريطانى ضاع بعض منها وعسرت قراءة أجزاء مما بقى، وتبين علماء الآثار أن القصة أقدم من تاريخ الألواح بأكثر من ألف عام وأنها وجدت عند أمم كثيرة غير البابليين بصورة تشبه ما لديهم، ولا يعرف أول من نقلت عنه.

وليست الصورة التى جاءت فى التوراة بعيدة عن هذه الصورة - فالطوفان فيها أيضا عقوبة على فشو الشر حتى (حزن الرب أنه عمل الإنسان فى الأرض وتأسف فى قلبه فقال: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته.. مع بهائم ودبابات وطيور السماء لأنى حزنت أنى عملتهم)(١).

وأمر الله نوحا فصنع فلكا طوله ثلثمائة ذراع، وعرضه خمسون وارتفاعه ثلاثون وله كوة وباب وبه مساكن علوية ووسطى وسفلية.. ودخل الفلك نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه، وحمل معه من كل حى اثنين ذكرا وأنثى من جنسه، من الطيور والبهائم ودبابات الأرض ومن كل طعام يؤكل(٢).

وقد حدث الطوفان وعمر نوح ستمائة سنة. وانفجرت ينابيع الغمر العظيم، وانفتحت طاقات السماء وظل المطر على الأرض أربعين يوما وأربعين ليلة، وتعاظمت المياه فغطت جميع الجبال الشامخة ومات كل ذى جسد كان يدب على الأرض من الطيور والبهائم والوحوش... فانمحت من الأرض وتبقى نوح ومن معه فى الفلك وتعاظمت المياه على الأرض مائة وخمسين يوما. واستقر الفلك فى الشهر السابع على جبل «أراراط»، وفى أول الشهر العاشر ظهرت رءوس الجبال.. وبعد أربعين يوما أخرى فتح نوح طاقة الفلك التى كان قد عملها وأرسل الغراب فخرج مترددا حتى نشفت المياه. ثم أرسل الحمامة فلم تجد مقرا لرجلها. وبعد سبعة أيام أرسلها فعادت وإذا ورقة زيتون فى فمها.. ثم أرسلها فلم ترجع أيضا... وبنى نوح مذبحا للرب... وأصعد محرقات على المذبح فتنسم الرب رائحة الرضا وقال فى قلبه: لا أعود ألعن الأرض من أجل الإنسان ولا أعود أميت كل حى كما فعلت(١).

وندع المقابلة بين القصتين، وليس العيب الأكبر فى قصة التوراة هو الصورة الوثنية ولا التضارب فى ذكر الأزمنة وإنما هو تصوير الرب بهذه الصورة من قلة العلم والندم على ما يفعل من أخطاء - وقد جاءت أقواس السحاب فى القصتين.

وجاءت قصة نوح وطوفانه فى القرآن فى أكثر من سورة ولكنها ذكرت بصورة أوفى فى سورة هود. وهى فى كل الحالات التى ذكرها القرآن لم تعن بذكر جزئيات لا عظة فى ذكرها، والغرض الذى سيقت له قصة نوح هو الغرض الذى سيقت له قصص الأنبياء جميعا، وطوفان نوح لا يفترق عن الرجفة التى أهلكت ثمود، أو الصيحة التى أتت على قوم هود، أو الرجس الذى أهلك قوم لوط - كلا أخذ الله بذنبه، وكل أخذوا بما كسبت أيديهم، وكان فى قصصهم عبرة لقريش وغير قريش ولم يتعرض القرآن لطول السفينه ولا ما كان بها من مساكن وكوى، ولا عدد الأيام التى غمر الطوفان فيها الأرض، ولا المكان الذى استقرت به السفينة. فكل ذلك مما لا يحقق غرضا دينيا ولا يكون سببا للهداية.

وأمام الإيجاز الذى عرض فيه القرآن هذه الصورة انفسح المجال للخلافات للمفسرين فيما لم يأت به حديث يوضحه، وقد ذهب الكثيرون إلى أن الطوفان لم يكن عاما، ولم يأت على كل من فى الأرض،

(١) تكوين ص ٦/٦ - ٨. (٢) ١٤/٦ وما بعدها.

(١) تكوين ص ٧، ٨.

المجتمع الاشتراكى فى ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

التـــأميم

لم تعرف كلمة التأميم فى اصطلاح عربى قديم ، ولكن معناها كان معروفا حين عرف الناس الإسلام . وكان يعبر عنه بكلمة « مال المسلمين » وكلمة « الحمى » و« الوقف الخيرى » : وليس معنى ذلك أن معانى هذه الكلمات مرادفة لمعنى التأميم مساوية له فى مفهومه ومضمونه ولكنها تلتقى معه فى معنى الملكية العامة لأن معنى التأميم نقل ملكية المشروع أو المصنع أو الشركة أو أى أداة من أدوات الإنتاج إلى الأمة بتعويض يدفع لأصحابها الذين كانوا يملكونها ويتصرفون فيها كما يشاءون وتشاء لهم أهواؤهم ومصالحهم الخاصة .

والتأميم بهذا المعنى يلتقى مع ما كان يفهم من كلمة « المرافق العامة » كمصلحة البريد والسكك الحديدية وما إلى ذلك من المصالح التى كانت تملكها الدولة أو الحكومة وتدير أجهزتها ، وتنتفع بربحها ، وتتحمل خسارتها .

فمبدأ التأميم من هذا الجانب كان موضع اتفاق ولكنه حين مس مصالح بعض الفئات والهيئات

(البقية على الصفحة السابقة)

إذ كان نوح وقومه فى بقعة معينة وقد استعصت عليه هداية قومه بعد طول العمر وتعاقب الأجيال وكان لا بد من إهلاك الضالين المعاندين ، فلا داعى إذن لإهلاك من لم يروا نوحا ولم يعلموا بدعوته ، وقد يكون فى غير هذه البقعة أنبياء وقوم مؤمنون برسالتهم ، وإذن فالطوفان إنما كان فى بقعة معينة هى التى بها نوح وقومه .

ورأى آخرون أن نوحا لم يحمل معه كل أنواع المخلوقات وإنما حمل الحيوانات التى يحتاج إليها بعد أن يعود إلى الأرض ولا حاجة به إلى الحيوانات الأخرى وخصوصا الوحوش من أمثال السباع والفيلة وما إليها .

أما سبب اشتراك عدد من الأديان فى هذه القصة أو فى غيرها ثم اختلافها بعد ذلك فى تفاصيلها فقد كان مجال اختلاف بين الباحثين ، وهم يعنون أنفسهم مشقة كبيرة فى البحث عن السابق واللاحق وأى العقيدتين أخذت من الأخرى ، ولا داعى لهذا كله ، فالقصة حقيقة واقعة ولا ريب . ولا بد أن يتناقلها الناس وتختلف تفاصيلها ، ثم أنه لا مانع أن يذكرها أنبياء متعددون ولا مانع أن يكون لكل أمة من هؤلاء جميعا نبيها . « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » .

والكتب الدينية ليست كتب تاريخ ولا أوصاف « طبوغرافية » ، وإنما رسالتها الأولى هى التذكير وبث العظات ، ومن الطبيعى أن يخلو القرآن من كل ملامح الوثنية التى جاءت فى البابلية وفى التوراة ، وانفرد عنهما بذكر ابن لنوح وأنه لم يطعه ورفض ركوب السفينة فكان من المغرقين ، وهى حالة تؤكد العدل الإلهى وأنه لا يجدى على الشخص قرابة الأنبياء ، ولا يملكون له شفاعة إذا لم يكن له عمل صالح وقلب سليم ، ومناجاة نوح ربه كما جاءت فى القرآن غاية فى الإخلاص والإنابة والاستسلام ؟

عبد الجليل شلبى

الخاصة، وقليل من الأفراد الذين كانوا يعيشون على الاستغلال وانتهاز الفرص واحتكار أدوات الإنتاج لقى منهم الامتعاص منه والاعتراض عليه وإن لم يسمع لهم صوت بين ترحيب الأمـــة به وهتافها له، لأن الغرض الذى يراد منه هو نفع الأمة فى مجموعها لا منفعة بعض أبنائها على حساب بعض... فمثلا كانت شركة السكر تحتكر إنتاج هذه المادة الضرورية، وتتحكم فى سعرها فتبيعها للمستهلكين وهم سواد الشعب بل كل الشعب بأسعار مرتفعة لا تناسب بينها وبين تكاليف إنتاجها... ثم تستأثر بأرباحها الفاحشة وتوزعها على حملة الأسهم وهم عدد قليل لينفقوها فيما تهوى أنفسهم بمصر أو خارج مصر، أما بعد تأميم هذه الشركة بنقل ملكيتها إلى الأمة وتعويض أصحابها عما فقدوه من ملكية خاصة فإنها تستهدف فى الإنتاج مصلحة المستهلكين فلا تستغل حاجتهم إلى هذه المادة اللازمة الضرورية وترفع أسعارها إلى المستوى الذى يرهقهم، ثم هى إذا حصلت على ربح فإنه يرد إلى الشعب فى صورة خدمات أو منشآت أو مشروعات أخرى من المشروعات العامة التى تستهدف تحقيق الكفاية والعدل وهما هدف الاشتراكية العربية.

من ذلك نرى أن موضوع التأميم يدخل فى باب المصالح المرسلة، كما يدخل فى باب سد الذرائع من حيث يراد القضاء على الاحتكار وما يتصل به من التحكم فى الأسعار واستغلال حاجة المستهلكين إلى السلع المحتكرة برفع أثمانها والحصول على أرباح غير عادلة من هذا الطريق الآثم الظالم... فإذا أضيف إلى ذلك أن التأميم الذى قامت به الجمهورية العربية حرر كثيرا من الشركات والبنوك والمؤسسات الاقتصادية من السيطرة الأجنبية وردها إلى صاحبها الطبيعى وهو الشعب كان لنا أن نعتبر هذا العمل حركة تحرر ضرورية فوق أنه حركة اقتصادية تستهدف الصالح العام وتيسير أسباب الخير والرخاء للمجتمع لا لفئة قليلة من أبناء المجتمع، وقد تناول موضوع التأميم فى الإسلام المغفور له الدكتور «مصطفى السباعى» فى كتابه «اشتراكية الإسلام» فقال يعرض بعض النصوص والمبادىء المقررة فى الشريعة الإسلامية ليتضح منها موقف الإسلام من هذا الموضوع كما قال:

١ – لقد ذكرنا فى مبادىء التملك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «الناس شركاء فى ثلاث: الماء والكلأ والنار» وهذا يفيد أن كل إنسان له حق الاستفادة من هذه المواد الطبيعية لحاجة الناس جميعاً إليها، وقد قرر الفقهاء أنه لا يجوز أن يستأثر بها إنسان دون بقية الناس إلا بعد إحرازها فى الآنية أو ما أشبهها فإذا أدت المالكية الشخصية لهذه الأشياء إلى أن تحبس عن الناس أو يتحكم فيها مالكها فى ثمنها أو توزيعها بحيث يتضررون من ذلك وهم فى حاجة إليها، كان للدولة أن تحول دون هذا الاحتكار، وجاز لها أن تتخذ الوسائل الكفيلة لإشراك الناس جميعاً فى الاستفادة منها تحقيقاً لمعنى (الشركة) الواردة فى الحديث، وذلك يعنى «التأميم» أو تدخل الدولة فى تحديد الأسعار... ولا شك أن النص على تلك المواد الثلاث ليس للحصر، بل يلحق بها كل ما كان مثلها فى حاجة الناس جميعاً إليها بدليل إضافة «الملح» إليها فى بعض الروايات، وهذا يعنى أن كل ما كان ضروريا للناس من طعام أو غيره يأخذ ذلك الحكم وهو «جواز التأميم» من الناحية التشريعية.

٢ – ومن المعلوم أن الوقف جائز فى الإسلام، بل هو مرغب فيه للحاجات الاجتماعية التى تحدثنا عنها فى قوانين التكافل الاجتماعى، والوقف كما عرفه الفقهاء هو:

(إخراج العين الموقوفة من ملك صاحبها إلى ملك الله) أى أن تكون غير مملوكة لأحد ، بل تكون منفعتها مخصصة للموقوف عليهم ، وهذا هو « التأميم » .

٣ — ومن المتفق عليه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حمى أرضا بالمدينة يقال لها « النقيع » لترعى فيها خيل المسلمين ، وحمى عمر أرضاً بالربذة وجعلها مرعى لجميع المسلمين ، فجاء أهلها يقولون : يا أمير المؤمنين ، إنها بلادنا قاتلنا عليها فى الجاهلية وأسلمنا عليها فى الإسلام علام تحميها . ؟ فأطرق عمر ثم قال : المال مال الله ، والعباد عباد الله ، والله لولا ما أحمل عليه سبيل الله ما حميت من الأرض شبراً فى شبر .

وظاهر أن « الحمى » هو اقتطاع جزء من الأرض لتكون مرعى عاما لا يملكه أحد ، بل ينتفع به سواد الشعب ، وقد أوضح عمر حين قال لهنى لما استعمله على حمى الربذة : يا هنى ! اضمم جناحك عن الناس واتق دعوة المظلوم فإنها مجابة ، وأدخل رب الصريمة والغنيمة — أى مكن صاحب الإبل القليلة والغنم القليلة من رعيها فى تلك الأرض — ودعنى من نعم ابن عفان ونعم ابن عوف — أى من أصحاب الأموال الكثيرة — فإنهما إن هلكت ماشيتهما رجعا إلى نخل وزرع ، وإن هذا المسكين — أى صاحب الإبل أو الغنم القليلة — إن هلكت ماشيته جاءنى ببنيه يصرخ : يا أمير المؤمنين (أى يطلب معونة الدولة لأن له حقه فى بيت المال حين يفتقر) أفتاركهم أنا لا أبالك ؟ ! فالكلأ أيسر على من الذهب والورق — الفضة — وإنها لأرضهم قاتلوا عليها فى الإسلام ، وإنهم ليرون أنى ظلمتهم ، ولولا النعم التى يحمل عليها فى سبيل الله ما حميت على الناس شيئاً من بلادهم .

وهذا صريح فى « تأميم الأرض لضرورة الدولة والمجتمع » ، وفيه من المبادىء أن أصحاب الحاجات والثروات القليلة أولى بالانتفاع بالمصالح المؤممة ، من أصحاب الثروات الكبيرة ، وأنه لو لم يفعل ذلك لهلكت رءوس الأموال الصغيرة ولزم الدولة أن تكفيهم وعوائلهم ، وأن المصلحة التى تصيب هؤلاء وهم سواد الشعب تتحقق بتحمل ضرر يسير يلحق أصحاب الحق فى المال « المؤمم » ، وهو أفضل من تحمل ضرر أكبر بإلزام خزانة الدولة وإعالة تلك العائلات ... وهذا تطبيق لقاعدة « يتحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى » .

٤ — ومن المقرر فى الفقه الإسلامى أيضاً أن الاحتكار غير جائز ، وأن المحتكر الذى يمتنع من بيع الناس ما احتكر يجبره القاضى على بيع ما زاد عن قوته وقوت عياله ، وإذا أبى أن يبيعه الناس إلا بسعر فاحش يشق عليهم . يأمره القاضى ببيعه بسعر معتدل الربح وفق تقدير الخبراء ، فإذا أبى فى الحالين انتزع منه ماله ، وباعه عليه بسعر معتدل .

فإذا اقتضت مصلحة المجتمع اليوم انتزاع ملكية الأرض من أصحابها جاز ذلك كما جاز فى الاحتكار .

٥ — كان لسمرة بن جندب نخل فى حائط (بستان) رجل من الأنصار . فكان يدخل عليه هو وأهله فيؤذيه ، فشكا ذلك الأنصارى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يلقاه من سمرة ، فقال الرسول لسمرة : بعه ، فأبى ، قال : فاقلعه ، فأبى ، قال : هبه ولك مثلها فى الجنة ، فأبى — وكان يظن أن الرسول يقول له ذلك على سبيل النصح لا على سبيل القضاء والإلزام — فقال له رسول الله : أنت مضار ، وقال للأنصارى : اذهب فاقلع نخله .

فهذا « انتزاع » الملك جبراً عن صاحبه ، حين أدت ملكيته إلى ضرر جاره فكيف إذا أدت إلى ضرر المجتمع .

٦ - وقد قاسم عمر ولاته نصف أموالهم وهم من كبار الصحابة كأبي هريرة وعمرو بن العاص وابن عباس وسعد بن أبي وقاص ، وهذا « انتزاع » للمال حين اقتضته المصلحة .

٧ - وسيأتي معنا في قوانين التكافل الاجتماعي في قانون الإسعاف . وقانون الطوارىء وقانون الكفاية ، انتزاع جزء من أموال الأغنياء لمصلحة المجتمع ، وفي هذا ما يرشد إلى جواز (انتزاع) الملكية بطريق (التأميم) لمصلحة المجتمع أيضا .

٨ - وتقدم لنا أن الشريعة تحارب الظلم وتسعى للعدل ، وأنها تراعي مصلحة المجتمع ، فإذا كانت ملكية الأفراد تؤدي إلى ظلم الشعب أو فئة منه كان من المصلحة انتزاع هذه الملكية أو تحديدها ، وكان الأخذ بذلك (استصلاحا) تفعله الدولة من قبيل (السياسة الشرعية) وهي حق الدولة في فعل كل ما فيه مصلحة للناس .

وخلاصة القول : أن (التأميم) وقع في الإسلام تشريعا كما في (الوقف) ووقع في تاريخ الإسلام (عملا) كما في (الحمى) وأن نزع الملكية رغما عن صاحبها وقع من الرسول (قضاء) كما في قصة سمرة ابن جندب ، فإذا كانت المصلحة العامة تحتم (التأميم) وفيه دفع الظلم والضرر عن الناس أو عن فئة كبيرة منهم كان التأميم (واجبا) في تلك الحالات .

احترام الملكية الشخصية :

هذا ما عرضه الدكتور مصطفى السباعي من المبادىء التي استند إليها في الحكم على (التأميم) ، نقلته بنصه أداء للأمانة . وإحياء لذكره . وترحما عليه . وإن كانت بعض هذه المبادىء لا تتصل بموضوع (التأميم) إلا من ناحية انتزاع الملكية كما في قصة سمرة مع الأنصاري ، ثم إن التأميم الذي تقوم عليه الاشتراكية العربية يجد له مبررا آخر وهو التعويض العادل الذي يقدم لمن انتزعت ملكيتهم . فليس مصادرة للأموال أو بعضها بل هو كما جاء في الميثاق : « ليس إلا انتقال أداة من أدوات الإنتاج من مجال الملكية الخاصة إلى مجال الملكية العامة للشعب ، وليس ذلك ضربة للمبادرة الفردية كما ينادي أعداء الاشتراكية ، وإنما هو توسيع لإطار المنفعة . وضمان لها في المجالات التي تقتضيها مصلحة التحول الاشتراكي الذي يتم لصالح الشعب .

وقد عرض رحمه الله إلى ما قد يعترض به على التأميم من أن نصوص الشريعة الإسلامية تقضي باحترام الملكية وبأنه لا يجوز أخذ المال إلا برضى من صاحبه . وأجاب عن ذلك بقوله :

« إن تلك النصوص ليست على إطلاقها بإجماع الفقهاء . فما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم عمر والخلفاء من بعده من (حمى) بعض الأرضي هو انتزاع للحق من أصحابه بغير رضاهم » .

وجواز أخذ الطعام عند الحاجة ممن ليس محتاجا إليه هو أخذ للمال من غير رضا صاحبه .

وإجبار الحاكم على بيع ما احتكره ، وبيعه عليه إذا أبي هو انتزاع للمال وبيع القاضي مال المدين سدادا لديون الغرماء - على رأي جمهور الفقهاء - هو انتزاع للمال من غير رضا صاحبه .

وأخذ الشريك ما باعه شريكه من عقار مشترك بينهما بحق الشفعة هو انتزاع للمال من غير رضا صاحبه .

والاستملاك للمنفعة العامة كما تفعل « البلديات » اليوم وهو جائز في الشريعة انتزاع للمال من غير رضا صاحبه .

وأمثال هذا كثير في الفقه الإسلامي » .

عبد الرحيم فودة

كلّ ما في البُخاري صحيح*

للدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم

قال إمام المحدثين البخاري: «ما أدخلت في الجامع إلا ما صح».

وقد نشرت مجلة العربي الكويتية مقالا للأستاذ «عبد الوارث كبير» في عدد فبراير سنة ١٩٦٦ ص ١٣٨ بعنوان «ليس كل ما في صحيح البخاري صحيحاً، وليست هذه الأحاديث مفتراة فحسب؛ بل منكرة».

والواقع أن الكاتب لم يكن موفقا حتى في صياغة عنوانه فعبارته «وليست هذه الأحاديث مفتراة فحسب بل منكرة». تفيد أنه يبالغ في ذم الأحاديث من سيء، بوصفها مفتراة، إلى أسوأ بوصفها منكرة. مع أن العكس هو الصحيح؛ إذ الوصف بالافتراء أشد نكاية وأسوأ من الوصف بالإنكار، ولو كان عند الكاتب فكرة من اصطلاحات المحدثين في التجريح ومراتبه لعلم بأن المبالغة في الافتراء والكذب أعلى مراتب التجريح وأقساها، ثم يأتي في الدرجة الخامسة مرتبة المنكر بعد مرتبة الضعيف. ثم من الغريب أن يأتي ليدلل على دعواه هذه بعدة أحاديث: منها المخالف للقرآن صراحة كقوله «اختلاف أمتي رحمة»، ومنها ما يدعو إلى السخرية مثل «عليكم بالقرع، فإنه يزيد في الدماغ»، ومنها غير ذلك، ثم أجد أن كل ما جاء به ليس في صحيح البخاري منه سوى حديثين أحدهما: لم يفهم معناه فظن بأنه مخالف لكتاب الله.

والثاني: ذكر جزءاً منه لم يذكره البخاري وترك بقية الحديث:

ثم رتب، نتيجة لذلك، حكمه بأن أحاديث البخاري مفتراة ...

وحتى يكون القارئ، الذي لم يظفر بقراءة مقال الكاتب على بينة ولا يظن بأني مبالغ في الأمر، أعرض للأمانة العلمية فقرات الكاتب وفهمه ثم أتبعه بالرد عليه:

فبعد أن ذكر من الأحاديث الموضوعة التي مثلنا لها قال مباشرة: «ليس هذا فقط فإن في صحيح البخاري وغيره من كتب الحديث ما هو أدهى من ذلك وأمر في مخالفة ما أمر الله به عباده، وأنزله في محكم كتابه قال تعالى: «ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن» وهذا أمر صريح في ألا يقرب الرجل زوجته وهي في الحيض ولكن البخاري وأصحابه، سامحهم الله وغفر لهم، ينسبون إلى السيدة عائشة أنها قالت: «كان النبي يأمرني فأتزر فيباشرني وأنا حائض، ونسبوا ذلك إلى ميمونة إحدى زوجات الرسول فما الذي يفهمه الناس من هذه الأحاديث إلا أن الرسول كان يباشر زوجاته في فترات حيضهن خلافا لما أمره الله به. فهل يرضيك هذا أو يرضى أحداً من المسلمين؟ وهل يعقل أن يصدر هذا الفعل المنكر عن النبي بل عن سيد الأنبياء، انتهى كلام الكاتب الكبير، ولقد نقل هذا الحديث وحده نقلا صحيحاً إلا أنه لم يوفق في فهمه فكذبه على هذه الصورة مستنكراً أن يعرفه أحد المسلمين.

وما علم بأن إجماع المسلمين بما فيهم الأئمة الأربعة الشافعي ومالك وابن حنبل وأبو حنيفة رأيهم بخلاف ما فهمه الكاتب لأنهم علموا بأن المباشرة ليس المقصود منها الجماع كما توهم الكاتب بل الاستمتاع بالالتقاء فيما فوق السرة وتحت الركبة أي بعيداً عن منطقة الفرج والحيض التي عليها الإزار وهذا يفهم من قولها كان يأمرني فأتزر والإجماع منعقد على حل ذلك.

ولذا فصحة إسناد الحديث ومتنه لم يلتبس على أحد من العلماء مطلقا لا في القديم ولا في الحديث ولم يلتبس على أحد بأنه يخالف لآية الحيض التي لم يغفل عنها البخاري بل صدر بها كتاب الحيض وفهمها على وجهها الصحيح بأن المراد من الآية وجوب الاعتزال وعدم القرب بالجماع ولو كلف الكاتب نفسه بالاطلاع على شرح الحديث أو بالنظر عقلا في مفرداته في قولها: أتزر، أو وقع به مرة على الرواية التالية للحديث مباشرة وفيها «وأيكم يملك إربه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك إربه» لعلم بأن المقصود بالمباشرة غير الجماع الذي تحرمه الآية وكان على الكاتب قبل أن ينفعل بكل ذلك وينشره في مجلة كبرى ويورط نفسه أن يبحث ويفهم الدين كما فهمه المسلمون.

أما الحديث الثاني: فقد جاء منه بما لم يذكره البخاري، وترك بقية الحديث أو ترك ما ذكره البخاري وجاء بما لم يذكره - وعمل كهذا مخالف للأمانة العلمية وللتدقيق العلمي قال الكاتب «يقول الله في حكم الطهارة من الجنابة «أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً» إلى آخر الآية ويقول البخاري: إن رجلا أتى عمر فقال: إني أجنبت فلم أجد ماء فقال عمر لا تصل» اهـ.

وأقول للكاتب: إن البخاري لم يغفل عن آية التيمم كما حسب بل صدر كتاب التيمم في صحيحه بآية التيمم وبوب ذاكراً حكم التيمم للجنب فقال: «باب إذا خاف الجنب على نفسه المرض أو الموت أو خاف العطش تيمم» وذكر كيفية التيمم. ولم يذكر قول عمر «لا تصل» كما رويت وصحة الحديث الوارد في البخاري، ولعلك قصدته، روى البخاري في صحيحه بالسند المتصل عن عبد الرحمن ابن أبزى عن أبيه قال جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال: أجنبت فلم أصب الماء فقال عمار بن ياسر لعمر بن الخطاب: أما تذكر أنا كنا في سفر أنا وأنت فلم تصل، وأما أنا فتمعكت فصليت فذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن كان يكفيك هكذا فضرب النبي بكفيه ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه» فقد اجتهد الصحابة وبين لهم الرسول صلى الله عليه وسلم.

أما بقية الأحاديث التي ذكرها الكاتب فلم ترد في البخاري مطلقا ولا أدري لم جاء بها؟ إن كان يعلم بأنها في البخاري فهي ليست فيه وإن كان يعلم بأنها ليست فيه فلم جاء بها؟ وما علاقتها ومناسبتها في التدليل على عنوانه؟ وما علاقة البخاري حتى يكون مسئولا عنها!؟

وأخيراً أقول للكاتب: إن البخاري إمام المحدثين وأين نحن منه حتى ننقده وقد عرض كتابه على أئمة الحديث والنقد مثل علي بن المديني ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل فشهدوا له بالصحة.

يقول المقدسي في الرجل الذي يخرج عنه في الصحيح: هذا جاز القنطرة، يعني بذلك أنه لا يلتفت إلى ما قيل فيه.

وكل نقد ورد في رجال حديث مقابل بتعديل البخاري صاحب الصحيح ومؤلف التاريخ الكبير والصغير والأوسط فلا يلتفت إلى ذلك النقد.

ثم إن كل متن حديث ورد عليه نقد في رجاله جاء من طريق آخر صحيح فصحت جميع المتون. وقد تلقته الأمة بالقبول وأصبح المصدر الأول في الحديث فاتقوا الله أيها المرددون لنزعات المستشرقين من غير روية ولا فهم ونختم المقال بقول الذهبي:

«وأما جامع صحيح البخاري فأجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله. فلو رحل الشخص لسماعه من ألف فرسخ لما ضاعت رحلته».

الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم
مدرس الحديث بكلية أصول الدين

لحن لم يتم

للاستاذ على الخطيب

كل دار أحق بالأهل إلا
في خبيث من المذاهب رجس

فأما خبيث المذاهب ، ورجس المبادىء فهو الاستعمار ، هذا الاستعمار الذى حرم « شوقى » أمير الشعراء داره وقضى بنفيه ، وفصل البلبل عن دوحه . . يقول : « نفانا حكام عجم ، أعوان على العدوان والظلم ... ضربونا بسيف لم يطبعوه ... ولم يملكوا أن يرفعوه أو يضعوه . سامحهم فى حقوق الأفراد ، وسامحوه فى حقوق البلاد ، وما ذنب السيف إذا لم يستحى الجلاد ؟! » ٢٩ أسواق الذهب.

كان والده قد مات منذ زمن طويل ؛ فإن مرثيته لوالده كانت عام ١٨٩٧ م ، ولم يبق له - بعد أهله - إلا والدته ، وقد حالت الظروف دون اصطحابها ؛ فتركها مقيمة بحلوان فى رعاية الله .

كنز « بحلوان » عند الله نطلبه
خير الودائع من خير المؤدينا

واختار الأندلس لنفسه منفى مصطحباً معه أهله . وكانت والدته مثيراً يحرك شجنه شوقا لمصر حتى يراها ، وشاء الله أن تموت دون ذلك ، وأن يحمل له البرق نعيها ، فبكاها فى مرثية جمعت تحنان قلبه ، ويقال : إن تلك القصيدة لم يمكن شوقى يستطيع قراءتها لشدة تأثره ، وإحساسه أن نفيه كان - بدوره - لاعجاً حز بالألم فؤادها .

لك الله من مطعونة بقنا النوى
شهيدة حرب لم تقارف لها إثما

وفى تلك القصيدة يبرىء نفسه من تلك التهم التى كالها له الاستعمار . ويجتمع فى دفاعه عمق إنسانيته وشغفه برحمة الله أن تهمى على هذا القبر بالرضوان :

حلفت بما أسلفت فى المهد من يد
وأوليت جثمانى من المنة العظمى
وقبر منوط بالجلال مقلد
تليد الحلال الكثر والطارف الجما
وبالغاديات الساقيات نزيله
من الصلوات الخمس والآى والأسما
لما كان لى فى الحرب رأى ولا هوى
ولا رمت هذا الثكل للناس واليتما

مضى شوقى إلى الأندلس .. إلى بلد عمق إحساسه بالمأساة ... فما من شك أن شوقى بعيداً عن مصر كالأندلس بعيدة عن العرب ... والاستعمار الأثيم الذى طرده من مصر هو رثم الصليبية التى أنكرت على آبائه مربعهم بالأندلس ، ومشانق دنشواى على يد الإنجليز لا تفترق عن أخاديد النيران لمحاكم التفتيش . . قضية واحدة ، وعداء واحد أحرق بالأمس الآباء ، وجار اليوم على الأبناء . . فليس عجباً أن تقع المأساة بكامل طاقاتها فى فؤاده ، فلا يملك أن يفصل القضية إلى شطرين أو يعدها صنفين :

يانائح الطلح أشباه عوادينا
نشجى لواديك أم نأسى لوادينا
ماذا تقص علينا غير أن يداً
قصت جناحك جالت فى حواشينا

وشوقى شاعر لا يضيع فى حمى شعره ماضى إسلامه ، ومجد عروبته فى الاندلس :

لها حق وللأحباب حق
رشفت وصالهم فيها حبابا
ومن شكر المناجم محسنات
إذا التبر انجلى شكر الترابا

ومن هنا ترك فى ديوانه آثاراً أندلسية .

وأندلسيات شوقى ثلاث فى الشعر واحدة فى النثر :

(ا) أبيات تنتثر فى ديوانه بين قصائد لم تعقد للأندلس. وتنزل بها تداعى المعانى ، وأروع تلك الأبيات بيته الذى جعل الأندلس فيه حكمة ح ١ ص ٢٨٤ :

ويبيت الزمان أندلسياً
ثم يضحى وناســـه أعجام

وتصل هذه الأبيات إلى نحو عشرين بيتاً موزعة بين الجزء الأول ، والثانى والرابع وبين كتابه : « دول العرب وعظماء الإسلام » ، بعضها نص فى الأندلس يذكرها على التخصيص ، وبعضها تنطوى فيه ذكراً فتشملها عامكة « الغرب » .

فى الشرق والغرب بنت أمية
سلطنة ليس لها سميـــة

أو تذكر مجد المسلمين وتتحدث عن « علم » منهم :

فورثوا قيصر فى المشارق
وأخذوا الغرب بسيف « طارق »

(ب) قطع تبلغ عشراً من الأبيات أو تزيد أو هى دونها :

١ ـــ واحدة منها تندمج فيها « الأندلس » مع « أدرنة » من مقدونيا وفيها يجعل أدرنة أختا للأندلس ح ١ ص ٢٧٢ :

يا أخت أندلس عليك سلام
هوت الخلافة عنك والإسلام

ومنها :

جرحان تمضى الأمتان عليهما
هذا يسيل وذاك لا يلتام

بكما أصيب المسلمون وفيكما
دفن اليراع وغيب الصمصام

٢ ـــ فى نفس القطعة خمسة أبيات تبدأ بالبيت السابع والعشرين ، ويذكر فيها الأندلس وشيئاً من التاريخ فى عموم « انظر الأندلس الجديدة » .

٣ ـــ جزء من قصيدة دمشق ح ٢ ص ٨٨ . والحديث ينزع عنها ضرورة إلى الحديث عن بنى أمية فقال فيهم أبياتاً تبلغ العشرة منها :

بالأمس قمت على « الزهراء » أندبهم
واليوم دمعى على « الفيحاء » هتان

ومنها :

لولا دمشق لما كانت « طليطلة »
ولا زهت ببنى العباس بغدان

٤ ـــ أبيات فى ختام قطعته : « دولة بنى أمية » ص ٧٣ تبلغ ستا تبدأ من قوله :

حتى إذا قيل : خلت مروان
وذهب السلطان والأعوان

وفيها :

صـــقر قريش منعوه « جلقاً »
فطار فى قرطبـــة وحلقــاً

(ج) قصائد فى الأندلس منها :

١ ـــ بعد المنفى ... وفيها وداع حار للأندلس ح ١ ص ٦٦ وتقع فى ستين بيتاً مطلعها :

أنادى الرسم لو ملك الجوابا
وأجـــزيه بدمعى لو أثابا

وفيها يقول :

مغرب آدم من دار عدن
قضاها فى حماك لى اغترابا

شكرت الفلك يوم حويت رحلى
فيا لمفارق شكر الغرابا

فأنت أرحتنى من كل أنف
كأنف الميت فى النزع انتصابا

٢ ـــ سينيته التى تقدمتها كلمة تحت عنـوان : « الرحلة إلى الأندلس » ص ٥٤ ح ٢ وتقع فى عشرة ومائة بيت مطلعها :

اختلاف النهـار والليل ينسى
اذكرا لى الصبا وأيام أنسى

٣ ـــ قصيدته « أندلسية ص ١٢٧ ح ٢ فى أربعة وثمانين بيتا مطلعها :

يا نائح الطلح أشباه عوادينا ... ...

٤ — « صقر قريش عبد الرحمن الداخل » وهى موشح أندلسى وقع بالديوان فى الجـزء الثانى ص ٢١٤ وفى « دول العرب » ص٧٨ ويضم اثنين وثلاثين ومائة بيت مطلعه .

من لنضو يتنزى ألما   برح الشوق به فى الغلس

فأما قصيدته « ابن زيدون » فهى فى ابن زيدون وليس للأندلس فيها نصيب ، وهى فى الجزء الرابع

د . وله فى الأندلس نثرا ـ مسرحيته « أميرة الأندلس» اختار لها زمنا مشارف النكبة التى نزلت على المعتمد. ثم انتهى به أسيرا فى (أغمات) .

ه . وباستثناء عبارته (فقبلك ضاقت « أغمات» على سجينها) الواردة ص١٠٦ من قطعة « الأسد فى حديقة الحيوانات » لا نجد ذكرا للأندلس أو ما يتصل بها فى أسواق الذهب . . . . . وبعد :

هـذا التراث من نفحات شوقى . هل كان كافيا فى الإلمـام بمأساة الأندلس ... ؟ .

شوقى ـ رحمه ـ الله أكبر من اتهامى له بالتقصير ، وهو قمة لا ينطحها إلا وعل مأفون . ولقد قدم لنا ـ فى تراثه الأندلسى ـ ما ملكت قريحته .

والذى لا شك فيه أن للأندلس جانبين : جانبا سياسيا ينتهى بانتهاء حكم الإسلام فى الأندلس وهو يخص المسلمين . وخسارته عليهم وحدهم .

وجانبا إنسانيا يبدو واضحا كما هو أيضا أثر مباشر للحكم الإسلامى العربى أعنى به تلك الركيزة التى خلفها الإسلام هناك حيث تقررت : حرية الفكر ، وكمال العدالة ... وهما أمران لم ينتهيا بانتهاء حكم الإسلام ، ولم يكن بد ـ لدى الصليبية من تجريد حملاتها الإرهابية للقضاء على آثار الحكم الإسلامى، وحملا بمشورة الراهب «توركماند» أنشئت محاكم التفتيش واشتدت « فى طلب المجرمين طلاب العلم »(١). وهذا الجانب ليست خسارته على المسلمين وحـدهم ، بل هو ردة فى تقدم الإنسان وتخلف فى حضارته فهو خسارة إنسانية عامة .

فإذا نظرنا بعد ذلك إلى التراث الأندلسى لشاعرنا نجد أهم ما فيه القصائد الاربع ، فأما الأخيرة . صقر قريش . مع المسرحية فهما خالصتان للأندلس .

وأما القصائد الثلاث الأولى : فللمصر فى بعضها نصيب الأسـد ، وتشارك فى الباقى بنحو النصف ثم هى جميعا تعطى الجانب الأول حقه ، وتأسى له وتندب نهايته ، ولكنها ـ بعد ذلك ـ تقف فى هذا الأفق .. ولا تشق الجناح نحو آفاق الجانب الانسانى على خطره ... وهكذا حلقت شاعرية أمير الشعر إلى أفق محدود وغنت قيثارته شجنا كان لحنا لم يتم ... ولكنه كان حكما عدلا إذ ودع المهزومين بلا شفقة.. فإن الذين يبيعون أوطانهم لا يستحقون الرثاء .

ركبوا بالبحار نعشا وكانت   تحت آبائهم هى العرش أمس

إمرة الناس همة لا تأتى   لجبان ولا تسنى لجبس

وإذا ما أصاب بنيان قوم   وهى خلق فإنه وهى أس

على أننا نجـد ملامح « الجانب الانسانى » فى قصيدته « الأندلس الجديدة » ففيها يحمل على الصليبيين حملات منكرة لجيشهم :

تمشى المناكر بين أيدى خيله   أنى مشى والبغى والإجرام

ويحثه باسم الكتاب أقسة   نشطوا لما هو فى الكتاب حرام

ثم لا شىء ـ بعد ـ من خسارة العالم بتلك النكسة فى أدرنة ، كما لا شىء منها فى الأندلس ؟

على الخطيب

(١) قرطبة فى التاريخ الإسلامى ص ١٠٦

عوامل انتشار الإسلام في القارة الهندية

للأستاذ محيي الدين الألوائي

إن البحث عن الإسلام فى الهند جانبين مستقلين يختلف كل منهما عن الآخر كل الاختلاف ، فالأول جانب يتناول تاريخ الفتح الإسلامى للهند وتاريخ أمبراطورية المسلمين فيها ، والثانى يتناول جانباً إسلامياً محضاً من حيث دخوله إلى تلك البلاد ، ومن حيث الجهود التى بذلت فى سبيل نشره ، وذكر الشخصيات التى قامت بالدعوة إليه ، وهذا الجانب الإسلامى أعمق أثراً فى تاريخ الهند . ولا يرجع فضل الانتشار الواسع للدين الإسلامى فى طول الهند وعرضها إلى الملوك والأباطرة والغزاة ، فإن الإسلام قد دخل فى الهند سلمياً بأيدى دعاة من المسلمين العرب بذلوا جهوداً جبارة فى سبيل نشر الإسلام ، وقد بدأت هذه الجهود الفردية قبل الفتح الإسلامى الأول الذى قام به محمد بن القاسم الثقفى فى نحو ٩١ من الهجرة النبوية فى مقاطعة السند بشمالى القارة الهندية .

وثمة نتائج تظهر من البحوث العلمية والوقائع التاريخية ... : أولا : أن قدوم المسلمين إلى الهند لم يكن حركة استعمارية أو نتيجة لموجات الغزو العسكرى ، وثانياً : أن الجماعات الصغيرة التى وفدت إلى الهند كغزاة فاتحين لم يكونوا من العرب اللهم إلا مجموعة من فاتحى السند مع جيش محمد بن القاسم الثقفى . وثالثاً : أن الإسلام لم ينتشر فى أية بقعة من جهات الهند إلا بوسائل سلمية وبفضل الدعوة والإرشاد .

ولعل التطواف السريع الآتى يلقى ضوءاً على بعض الوسائل والعوامل التى ساعدت على انتشار الإسلام فى تلك البقاع . نذكر فى مقدمة ذلك العوامل التى ساعدت على انتشار دعوة الإسلام فى الشعب الهندى ، أولا : الوضع الذى كان سائداً فى البلاد حينذاك من نظام الطبقات ، والوثنية ، والعادات الخرافية ، وعدم المساواة فى الفرص وأسباب التقدم والرخاء ، وساعدت هذه الحالة على تغلغل التعاليم الإسلامية ، فى قلوب الملايين من الطبقات المضطهدة ، فوجدوا فى الإسلام نظاما إنسانياً أصيلا يوفر كرامة الأفراد والجماعات وينور عقولهم بنور المعرفة ، والعقيدة الصحيحة . وثانياً : إخلاص العلماء الذين كانوا يعملون لنشر الدين الحق فى وسط عادات وتقاليد وشعائر تناقض كل التناقض روح الدين الحنيف ، وتعاليمه النقية الطاهرة - فوقف التوحيد والشرك وجهاً لوجه ، وأتى وقت امتحان الدعاة المصلحين وقالوا لعبدة الأوثان - كما قال إبراهيم عليه السلام لأبيه « أتتخذ أصناما آلهة إنى أراك وقومك فى ضلال مبين ، وقال : « يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً » ، فأنت خلقت سميعاً بصيرا ، وآثار الكمال فيك أكثر من هذه الأصنام .

ولما استمع عبدة الأوثان ، والكواكب وغيرهم إلى نداء التوحيد تحركت عقولهم ، واهتزت فطرتهم ، لأن الوثنية تخالف فطرة الله التى فطر الناس عليها ،

والتوحيد فطرة يولد عليها كل مولود ، قبل أن تمجسه أو تهوده أو تنصره العادات والتقاليد الموروثة عن آبائه وأجداده . وبدأوا يفكرون فى مبادئ الدعوة الجديدة ، فهدى الله على أيديهم فى فترة وجيزة من الوثنيين وعباد الثعابين والقردة ، والأبقار عدداً كبيراً إلى هدى الدين القيم ، والصراط المستقيم ، وثالثاً : القدوة المثلى التى وضعها الدعاة المخلصون أمام القوم ، فقد كانوا عاملين بمقتضى المبادئ الإسلامية السمحاء ، والأخلاق القرآنية الغراء ، واتخذوا القرآن رائدهم ، والرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم قائدهم ، وعملوا بما علموا ، من غير إفراط ولا تفريط ، فكانوا نبراسا للحائرين ، وهداة للضالين ، وأسوة حسنة للمتقين . ورابعاً : تزهدهم فى الدنيا ، وتجردهم من متاعها أو شهواتها وفوائدها ، وكان كل همهم الدعوة إلى الله وإعلاء كلمته ، وإرشاد عباده ، ونشر المحبة والأخوة فى الجنس البشرى كله ، لا يبغون من وراء ذلك جزاء ولا شكورا ، فاستمعوا لهم ، وتقبلوا دعوتهم ، المبنية على الإخلاص والمحبة ، والمساواة والأخوة .

ولعب الصوفية دوراً هاماً فى نشر الدعوة الإسلامية فى ربوع الهند ، وإن السر الكامن وراء نجاح دعوة الصوفية فى أوساط الطبقات المختلفة فى الأمة الهندية ، لهو فى ابتعادهم عن مآرب الدنيا ، وتطهير قلوب أتباعهم من أدران الذنوب وشوائب الرذيلة ، ونظرهم إلى الحياة الدنيا بمنظار قوله عز وجل : « كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح » فكانوا بمنجاة من غرور الدنيا الخلاب وسرابها البراق . .

وهكذا ازدهرت الدعوة الإسلامية فى الهند بفضل هؤلاء العلماء والمشايخ الذين وقفوا أنفسهم للدعوة والإرشاد ، ولقنوا أهلها مبادئ الدين الحق ، وعلومه وآداب الإسلام ، فتأثر أهل البلاد بأخلاقهم الفاضلة وسجاياهم الحميدة ، واختاروا الإسلام ديناً لهم عن طيب نفس ، وانشراح صدر ، وهذه الحقيقة التاريخية تفند المزاعم التى حاكها أعداء الإسلام والهند ، بأن الإسلام قد انتشر فى الهند بأيدى أباطرة وملوك وغزاة وفاتحين عن طريق حروب وفتوحات ، وبقوة الدولة والصولة . مع أن جميع الحروب والغزوات ، التى يحدث التاريخ بوقوعها بين الحكام المسلمين وغيرهم فى الهند ، ما هى إلا حروب سياسية لتوطيد ملك بعضهم ضد بعض ، وما اهتموا بدعوة الإسلام فى قليل ولا كثير ، وإلا كان الأمر على غير ما هو عليه اليوم ، وتبدلت الأرض غير الأرض .

ومما هو جدير بالتسجيل فى هذا المقام - مع الأسف الشديد - أن الملوك والحكام الذين دخلوا الهند غزاة وفاتحين لم يكن لهم علم حتى بمبادئ الإسلام ولا بقوانينه الاجتماعية ولم تتشرب قلوبهم نور الإيمان كما ينبغى ، فكيف نقول عنهم : إنهم كانوا دعاة للإسلام دخلوا الهند لتلقين أهلها مبادئ هذا الدين وتزويدهم بعلومه ؟ ! . وأمامنا وقائع تاريخية ثابتة تقول : إن كثيراً من هؤلاء الملوك ، من المغول والأتراك كانوا عراقيل فى سبيل الدعوة الإسلامية ، وسيرها على المنهج القويم السليم ، ومن ناحية أخرى كانت حكوماتهم ، حكومات فردية (أرستقراطية) لا تستند إلى الشريعة الإسلامية ، ولا تتقيد بقوانينها وأحكامها ، وكان جل همهم أن يروا ممالكهم موطدة الأركان ، وينقاد لهم الأهالى ، سواء ارتفع

لواء الإسلام أو انتكس ، وأنفقوا أموالا ضخمة في الترف والبذخ ومتع الحياة بينما كان الشعب في فقر مدقع ، ودعوة الحق قد فقدت النصير ، ولو أنفقوا في سبيل الإسلام وإغاثة الفقراء والمساكين عشر معشار ما أنفقوا ، أوحققوا شيئاً يسيراً من العدالة الاجتماعية التي تدعو إليها الدعوة القرآنية لكان تاريخ الإسلام في الهند غيره اليوم ، ولكنهم كانوا في واد والدعوة الإسلامية في واد آخر !! لها رجال آخرون .. جنود مجهولون ! والله عليم بحقائق الأمور وذوات الصدور .

* * *

ثم تسرب الوهن والضعف إلى صفوف الدعاة المسلمين في الهند ؟ فما الأسباب التي أدت إلى ركود الدعوة الإسلامية فيها بعد أن لاقت ترحابا وتقدما في عصورها الأولى ، وكيف توقف تيار التوحيد أمام الوثنية الهوجاء ؟ .

هذه أسئلة تخطر ببال كل من يهتم بالدعوة الإسلامية وتاريخها في الهند ، ويبحث حاضر الإسلام والمسلمين فيها ، وفيما يلي نلقي نظرة عامة على عوامل تسرب الركود إلى حظيرة الدعوة الإسلامية .

ومن أسباب التقهقر والتنكب عن المنهج القويم في الدعوة الإسلامية في تلك البقعة الشاسعة :

(١) إفلات زمام الدعوة الإسلامية من أيدي دعاة مصلحين متنورين ، إلى أشخاص تكدرت عقائدهم بأوساخ البدع والخرافات ، وبأدران التقاليد والخزعبلات وابتعدت عقولهم عن المعين الصافي للتعاليم القرآنية والأخلاق النبوية ، حتى فقدت سيرتهم قيمة الأخلاق الزكية ، والسجايا العالية ، بعد أن كان أسلافهم قدوة حسنة ، ومثلا عليا لمن خالطوهم وعاشروهم .

(٢) كان العلماء المتأخرون ، والمشايخ المتصوفون الذين جاءوا إلى الهند في عهود الملوك المسلمين ، وخلفوا سلفهم الصالح ، معتمدين كل الاعتماد على العلوم الفرعية ، والكتب الفقهية ، فما كانوا يعنون بفهم القرآن ، ومبادئه ، والسنة النبوية وإرشاداتها ، كما كان سلفهم ، فانقطعت صلتهم بروح الإسلام ، وأكبوا على خلافات وشبهات ، لا تسمن ولا تغني من جوع ، واستبدلوا باللباب القشور ، وبالأصول الفروع ففشلت مهمتهم .

(٣) دسائس ومكائد أعداء الهند والمسلمين ، من الذين أتوا من البلدان الاستعمارية ، لكي يضعفوا مركز البلاد وشعبها ، معنويا ، وماديا ، لأن الإسلام كان بمثابة شعلة وهاجة لتحرير العقول وتنوير القلوب ، وإيقاظ الهمم ، وبناء الوطن ، ولم شمل المواطنين .

ولما رأى المستعمرون الغربيون من البرتغاليين ، والهولانديين ، وأخيراً الإنجليز تقدم الإسلام وشوكته في الهند تيقنوا أن السبيل الوحيد للتوغل إلى أراضيها وامتصاص دماء شعوبها هو القضاء على شوكة الدعوة الإسلامية في الهند ، وإيجاد الفرقة بين صفوف المسلمين والهندوس ، وتشويه سمعة الدعوة الإسلامية في داخل البلاد وخارجها ، وبلبلة أفكار الدعاة ، وعرقلة سبيلهم بوسائل شتى ، فلاقت الدعوة الإسلامية بسبب ذلك كله انحطاطا في تقدمها وركودا في انتشارها وتحولا خطيرا في طريق سيرها . .

ولما آل الأمر إلى تلك الحالة ، قيض الله رجالا لا تلهيهم تجارة ولا سياسة ، ولا تشغلهم مآربهم الخاصة عن نصر دين الله ، وإعلاء كلمته ، ونشر دعوته ، وهذا موضوع مقال آخر إن شاء الله .

محيي الدين الألوائي

تصوير المعارك فى شعر البارودى

للأستاذ محمد محمد خليفة

إن أدق صور المعارك تلك الصور التى يخطها قلم الشاعر الفارس الذى يعيش فى واقع المعارك وحقائقها ، ويخوض غمراتها بين اشتجار القنا وبريق السيوف ومثار النقع ترقب عيناه أنواء الجراحات القانية ، وتسمع أذناه صليل السيوف وقرع الهامات وصياح الكماة ، نهاره فى قلب المعركة يدير رحاها ، ويدور مع رحاها ، ويتقى طى مدارها كما يتقى أنياب البوار وهى تصر من حوله حتى إذا جن الليل وهجعت ثورات الشر ، ورقدت المنايا تجتر ما التهمت أجوافها من لحوم البشر تنفس الشاعر ، واستجمع شوارد الخواطر ، وأيقظ شاعريته لترسم تلك الخواطر وتبرزها صوراً معبرة أصدق ما يكون التعبير عن المعارك تحكى البلاء ، وتقدم مواقف البطولات ، وتعلن عن مواطن الفخر ، وما أكثر ما يفخر أولئك الشعراء الفرسان حين تنتفخ أوداجهم من الزهو بشجاعتهم وفتكهم .

والبارودى كما عرفه التاريخ (رب السيف والقلم) فهل أجاد فى تصوير المعارك كما أجاد عنترة وغير عنترة من الشعراء الفرسان أم طغى فخره على تصوير معاركه فكسا شعر معاركه أثواب فخاره فراح يقدم فى كل معركة صوراً لبطولاته هو ولوى كشحه عن كل الصور التى تزدحم ببطولاتها المعركة بل عن صورة المعركة نفسها إلا من حيث تتكشف صورته.؟ على أن عنترة وغيره لم ينسوا فخرهم ببطولاتهم ولكنهم أبدعوا فى تصوير المعارك والبطولات إلى جانب فخرهم بأنفسهم .

إن البارودى (الفخور) يرى أن قلبه ليس كقلوب الناس الذى توحهم الظلمات بل إنه يسلبها هلالها ليتخذه قوسا يحارب به مناوئيه كما يسلبها أنجمها ليتخذها نبالا له فى معاركه ، ثم يغرق فى تصوراته فيدعى أنه لا ينتسب لأب كما ينتسب الناس وإنما هو ابن الوغى والخيل والليل والظبا وسمر القنا كما أنه ابن الرأى والعقد والحل (والولد صورة أبيه) فيقول :

إذا راعت الظلماء غيرى فإنما
هلال الدجى قوسى وأنجمه نبلى
أنا ابن الوغى والخيل والليل والظبى
وسمر القنا والرأى والعقد والحل

وهو ينزع فى بيته الثانى منزع أستاذه المتنبي حين يقول على لسان بعض التنوخيين :

أنا ابن اللقاء أنا ابن السخاء
أنا ابن الضراب أنا ابن الطعان
أنا ابن الفيافى أنا ابن القوافى
أنا ابن السروج أنا ابن الرعان

ولقد طغى فخر البارودى ببطولته ومواقفه على إبراز البطولات التى اشتعلت بعزماتها لهوات ذلك اليوم العاصف الذى مزقت فيه سنابك الخيل وجه الأرض فتطاير النقع وعقد فوق الهامات غمامة لها ويلها المنهمر من الطعن السائل فهو سرعان ما ينزع إلى الحديث عن نفسه فيذكر اقتحامه لذلك اليوم فرداً وكأنه ليس معه مغاوير لهم شجاعته وبأسه بل معه النصل وحده الذى يطلب به النصر فهو يلوى عليه كفه ليحكم الطعن ويطلق به ساعده لينال خصمه ثم يغرق فى شموخه فيأمر الدهر أن يمضى على رسله لأنه لا يبعث الغارات إلا سيفه المطبوع من حديد الهند ولأنه ليس بين غمار المعركة من

يحتمل الأهوال ويركب الأخطار إلا فتى مثله فهل كان يؤمن بوجود مثله أم جره الفخر إلى جحد المماثل وذلك حيث يقول :

ويوم كأن النقع فيه غمامة
لها أثر من سائل الطعن كالوبل
تقحمته فرداً سوى النصل وحده
وحسب الفتى أن يطلب النصر بالنصل
لويت به كفى وأطلقت ساعدى
وقلت لدهر : ويك فامض على رسل
فما يبعث الغارات إلا مهندى
ولا يركب الأخطار إلا فتى مثلى

والقصيدة بعد هذا فى فخر البارودى بأخلاقه وقوته حيث تكون الكريهة ، وبوقاره وصبره حين يغلى مرجل الحرب وبشغله بالفلا ورائدات الخيل عن المدن والقرى والأهل وخلال ذلك يرسل الحكمة كلما واتته ، وقد شغله كل ذلك عن إبراز الصورة الحقيقية للمعركة .

وبهذه الروح النزاعة إلى الفخر والحديث عن النفس وحول تلك المعانى التى ساقها فى تلك الأبيات تحدث فى قصيدة أخرى عن بحر من الهيجاء شق خضمه الزاخر ولا عاصم له من أمواجه وأنوائه إلا سيفه العريض المشطب ثم اتجه إلى تصوير موقفه هو فى المعركة وقد توسط بحر الهيجاء حين التقت الخيل بالخيل وبدت بيض السيوف ثم غابت فى الهامات ، وقد كشف كره العنيف عن مكانه فى ساعة غابت من حولها العقول وقد امتدت من الغداة حتى التقت ظلمة الليل بظلمة النقع الذى أثاره صخب المعركة فقال فى أبيات من قصيدة :

وبحر من الهيجاء خضت عبابه
ولا عاصم إلا الصفيح المشطب
توسطته والخيل بالخيل تلتقى
وبيض الظبا فى الهام تبدو وتغرب
فما زلت حتى بين السكر موقفى
لدى ساعة فيها العقول تغيب
لدن غدوة حتى أتى الليل والتقى
على غيهب من ساطع النقع غيهب

وهو فى هذه الأبيات لا يصور عباب الهيجاء والخيل والظبا والهول والغبار إلا ليكشف بين كل ذلك صورته هو وهو يكر فى موطن تغيب فيه العقول ولم يصور لنا الصرعى الذين تساقطوا تحت سنابك جواده ولا الكماة الذين تركهم نهب السباع أو الذين قسمهم بينه وبين الطير والوحش والخيالة كما قسم غيره فقال :

لى النفوس وللطير اللحوم
وللوحش العظام وللخيالة السلب

وليته كشف عن صورة كمى صرعه أو مدجج مزقه سيفه كما فعل الشاعر الفارس عنترة بالمدجج الذى كره الكماة لقاءه فلاقاه وصور فى دقة موقفه منه حتى تركه جزر السباع فى قوله :

ومدجج كره الكماة نزاله
لا ممعن هرباً ولا مستسلم
جادت يداى له بعاجل طعنة
بمثقف صدق الكعوب مقوم
فشككت بالرمح الأصم ثيابه
ليس الكريم على القنا بمحرم
فتركته جزر السباع ينشنه
ما بين قلة رأسه والمعصم

أوليت البارودى فعل ما فعل عنترة بالمعلم حامى حقيقته المستتر فى درعه السابغة حين أبدى نواجذه وصرح بالشر فهتك عنترة فروج درعه بالسيف ثم طعنه بالرمح ، ثم علاه بالمهند فأبرز صورة ثانية من بطولته إذ قال :

ومشك سابغة هتكت فروجها
بالسيف عن حامى الحقيقة معلم
لما رآنى قد نزلت أريده
أبدى نواجذه لغير تبسم
فطعنته بالرمح ثم علوته
بمهند صافى الحديدة مخذم
عهدى به مد النهار كأنما
خضب البنان ورأسه بالعظلم

ليته نحا هذا المنحى فقدم صورة بينة لصولاته التى صارع فيها الأبطال فأرداهم وإليكم حديثه عن المعركة التى كانت بين الأتراك والروس عام ١٢٩٤هـ والتى أرسلت فيها مصر (كولاية تابعة لتركيا) جيشاً لمساعدتها. وكان البارودى بين قوات ذلك الجيش المصرى الذى خاض تلك المعركة.

ولقد وضع البارودى تحت الأبصار لوحة مخيفة فى إطار من الرهبة المفزعة، فصور أرض المعركة الشاسعة التى يحار فيها القطا ويخافها الجن، وصور الفلوات المترامية الجوانب التى يموت بها (سليك) من الإعياء على الرغم من أنه كان يطلب الخيل فيدركها وتطلبه فلا تدركه ووصف صياح الأبطال وتحدث عن الجو المشحون بالرماح والقواضب، والأرض الغاصة بالفرسان والخيول، وشبه جيشه بالأسد يرصدون الغارة ثم وضع تحت الأبصار تخطيط المعركة فالمدافع منصوبة، والمشاة وقوف والفرسان على الصافنات الجياد، ثم مؤخرة الجيش التى تقيه من الخلف إن صاح صائح الشر، ثم وضع صورة إجمالية لما تلم به العين من الكماة البواسل والجرد التى تخوض المنايا، وأخيراً وصف الروس بأنهم الأبطال وأن الجيش التركى يغير عليهم فى الصباح فإذا أقبل الليل أوى الأتراك إلى الأدغال يتقون بين أشجارها فتكات الروس وفى كل تلك الصور التى ساقها عن أرض المعركة وعتادها وتنظيمها لم يقدم البارودى شيئاً عن المعركة إلا قوله: (وجردا تخوض الموت، وتغير على الأبطال) وهذه هى الأبيات التى تتصل بالمعركة من بين قصيدة طويلة:

وأصبحت فى أرض يحار بها القطا
وترهبها الجنان وهى سوارح
بعيدة أقطار الدياميم لو عدا
سليك بها شأواً قضى وهو رازح
تصيح بها الأصداء فى غسق الدجى
صياح الثكالى هيجتها النوائح
مهالك ينسى المرء فيها خليله
ويندر عن سوم العلى من ينافح
فلا جو إلا سمهرى وقاضب
ولا أرض إلا شمرى وسابح
ترانا بها كالأسد نرصد غارة
يطير بها فتق من الصبح لائح
مدافعنا نصب العدا ومشاتنا
قيام تليها الصافنات القوارح
ثلاثة أصناف تقيهن ساقة
صيال العدا إن صاح بالشر صائح
فلست ترى إلا كماة بواسلا
وجرداً تخوض الموت وهى ضوابح
تغير على الأبطال والصبح باسم
وتأوى إلى الأدغال والليل جانح

وفى كل ما تقدم لا نقف للبارودى على صورة بارعة لمعركة يختلب القلوب رسمها ويتساقط فيها الأبطال حين هبت عليهم رياح البأس والقوة.

محمد محمد خليفة

اليهود فى الأندلس

للأستاذ محمود محمد شبكة

كانت الأندلس قبل الفتح الإسلامى تعيش فى فوضى واضطراب وكان المجتمع الأندلسى مجتمعا منحلا لا تجمع أفراده رابطة ولا يسوده نظام مجتمعا قائما على أساس الفوارق الاجتماعية ونظام الطبقات، فقد كان الشعب يعانى من الفقر والحرمان والبؤس ويواجه كل ألوان الظلم والعسف ويتحمل وحده الضرائب الفادحة والعمل الشاق المضنى فى ضياع الأشراف ورجال الدين، مسلوبة منه كل حرية وإرادة، وذلك أن القوط حينما دخلوا البلاد وأجلوا عنها الروم، والوندال، ترفعوا عن الشعب ولم يختلطوا بسكان البلاد الأصليين بل أقاموا الحواجز والفوارق وعاشوا فى أبراج عاجية واعتبروا أنفسهم جنسا أشرف وأرفع وطائفة ممتازة لا يليق بها الاندماج والامتزاج بأهل البلد، وكان الشعب ينقسم إلى طائفتين : الأولى طائفة العبيد، وهم الذين يعملون ويكدحون ويزرعون الأرض لأسيادهم وكان القانون يعطى للسيد الحق فى قتل العبد وتعذيبه حسبما يريد، وكان العبيد وعائلاتهم يعتبرون ضمن ثروة المالك بحيث إذا انتقلت الأرض من مالك إلى آخر انتقلوا مع الأرض إلى المالك الجديد.

أما الطائفة الثانية : فهى الطبقة المتوسطة وهم الأحرار الذين كانوا يسكنون المدن ولم تكن حالتهم خيرا من حالة العبيد إذ كانت الضرائب تثقل كاهلهم وتستنزف أموالهم حتى يتمتع بها الأشراف والحكام ويبعثرونها على شهواتهم وملذاتهم والواقع أن الفئة التى كانت تعيش فى ترف ونعيم وتتمتع بكل خيرات البلاد، وهى طبقة الأشراف ورجال الدين، وقد فقد القوط خلالهم الحربية ونسوا فنون القتال وضاعت شجاعتهم نتيجة لانغماسهم فى النعيم والترف وإخلادهم للراحة والدعة ولم يعودوا يهتمون بالجيش بل إن الجيش نفسه كان يتكون من عناصر مضطهدة مغلوبة على أمرها حاقدة على الحكام وكان أشباه الأرقاء فى الجيش يزيدون على عدد الأحرار فيه مما جعل الرغبة فى الدفاع عن البلاد ضعيفة بل معدومة وكان ذلك مما سهل للمسلمين مهمتهم فى فتح الأندلس، أما وضع اليهود فى المجتمع الأندلسى فقد كان وضعا شاذا شائنا بعيدا كل البعد عن الكرامة والحرية، فقد اضطهدهم رجال الدين وساموهم كل أنواع الذل والخسف، وقد كان اليهود فئة كبيرة يسكنون أحيانا مدنا كاملة مثل أليسانة وألبيرة، ولقد تمكن اليهود كعادتهم من جمع المال والتحكم فى المرافق الاقتصادية للبلاد وقد استجاب القوط لرأى رجال الدين وأنزلوا بهم ضروبا لا تحصى من المهانة والذل ولم يكن القوط فى حاجة إلى من يوجههم إلى هذه الناحية فقد كانوا بطبيعتهم من أقسى الناس على مخالفيهم فى الدين.

ولقد أخذت المجامع الطليطلية توجه الضربات إلى اليهود حينما تمكن رجال الدين من ناصية الحكم فأصدر المجمع الطليطلى الثالث قرارا بتعميد أولاد اليهود الذين يولدون من زيجات يهودية ثم أصدر ششبوتو سنة ٦١٣ قرارا خير اليهود فيه بين اعتناق النصرانية أو مغادرة البلاد وأيد مجمع طليطلة الرابع هذا القرار فكانت النتيجة أن هاجر الكثير من

اليهود واعتنق البعض الآخر المسيحية رياء وتظاهرا ثم قرر الجمع الطليطلى تعميدهم مرة أخرى وتقديم لحم الخنزير ليأكلوا منه امتحانا لنصرانيتهم ثم حرم عليهم إقامة الشعائر الدينية اليهودية وقد استطاع القوط تتبع اليهود والتضييق عليهم حتى تركوا (أربونه).

ولقد استمر ذلك الاضطهاد موصولا متتابعا حتى قرر الجمع الطليطلى الثامن عشر إرغام اليهود جميعا على اعتناق النصرانية أو مغادرة البلاد فى مدة سنة فترتب على ذلك القرار زيادة عدد اليهود المستترين.

كما حاولوا الاتصال سرا بإخوانهم يهود أفريقية وكان ذلك قبل الفتح الإسلامى بسبع عشرة سنة فلما اكتشفت المؤامرة سنة ٦٩٤ تقرر مصادرة ممتلكاتهم واعتبار اليهود جميعا أرقاء وتوزيعهم على المسيحيين وعدم جواز عتقهم كما تقرر فصل أولادهم عنهم بعد بلوغهم سن السابعة وتربيتهم تربية مسيحية وتحريم زواج اليهودى من اليهودية وإذا أراد الزواج بعد أن صار عبدا فعليه أن يتزوج من أمة مسيحية على أن تتزوج اليهودية من عبد مسيحى.

هذه صورة للظلم والاضطهاد الذى عاناه اليهود أيام القوط نستبين منها مدى ما كانوا فيه من مهانة وذل واستعباد. لذلك لا غرابة إذا رأينا اليهود يرحبون بالفاتحين المسلمين ويرون فيهم ملائكة أرسلتهم العناية الإلهية كى يخلصوهم مما هم فيه ويستنشقوا فى رحابهم عبير الحرية ونسيم الحياة وتعود إليهم آدميتهم وكرامتهم بعد ليل طويل من التشريد والتعذيب والعبودية والعيشة التى هى بعيشة الحيوان أشبه، ومن الواضح أن ترحيب اليهود بالمسلمين لم يكن مبعثه الرغبة والحب وإنما الذى دفع إلى ذلك الحب هو التخلص من ظلم القوط وتوسم العدالة والخير فى الفاتحين، فقد كان اليهود يدلون المسلمين على عورات البلاد وثلمات الأسوار ويقدمون لهم ما يساعدهم على الفتح ولذلك أطمأن إليهم المسلمون وكانوا إذا فتحوا بلدا ضموا يهود ذلك البلد إلى جملة الحرس مكافأة لهم.

ولقد وجد اليهود فى كنف المسلمين كل تقدير واحترام فقد رفعوا عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فمارسوا شعائرهم فى حرية تامة فقد كانت لهم بيعهم التى تقام فيها صلواتهم ولم يكن لهم تشريعات خاصة فقد كانوا متساوين مع بقية السكان، وكانت العلاقة بين المسلمين واليهود علاقة الود والتفاهم المطلق من كل قيد، الأمر الذى جعل اليهود يندمجون فى المجتمع الإسلامى ويتعلمون لغة العرب ويتزيون بلباس المسلمين ويشغلون مناصب مختلفة حتى لقد رقى بعضهم إلى مرتبة الوزارة، والحقيقة التى لامراء فيها أن الأندلس كانت الجنة التى استمتع فيها اليهود بكل ألوان الترف والنعيم.

ولكن هل حفظ اليهود للمسلمين هذا الصنيع وقدروا لهم هذا الموقف النبيل؟ لقد انضم اليهود إلى النصارى ووقفوا إلى جوارهم عندما بدأ الصراع بينهم وبين المسلمين على مصير أسبانيا وقدموا لهم نفس المساعدات التى قدموها للمسلمين، وإذا نحن فسرنا مساعدتهم المسلمين بما أصابهم من ظلم القوط، فبماذا تفسر مساعدتهم النصارى وخيانتهم للمسلمين ولم يلقوا منهم إلا الإحسان والخير؟ ولكن النصارى تكفلوا بسداد الدين للمسلمين ولم يحفظوا لهم صنيعهم كما حفظ المسلمون، فما كاد يستتب الأمر لهم حتى كان جزاء اليهود منهم جزاء سنمار وما زالوا وراءهم حتى قطعوا دابرهم واستأصلوا شأفتهم ومن نجا منهم بحياته فر إلى المغرب ونواحى البحر الأبيض

ولا زالت أسبانيا حتى اليوم تكره اليهود وتحذرهم وتقطع كل سبيل للاتصال بهم فقد جاء فى جريدة الأخبار الصادرة بتاريخ ١١/١٠/١٩٦٥ أن أسبانيا لم تعترف بإسرائيل والجنرال فرانكو يؤكد أن بلاده لن تعترف بدولة الصهيونية ما دام هو باقيا فى منصبه ويقول وزير خارجية أسبانيا : إن بلاده تحرص على تنمية علاقاتها بالدول العربية والحكومة الأسبانية تقرر منع السفن الإسرائيلية من الرسو فى موانيها وترفض إنشاء قنصلية لإسرائيل فى لشبونة أو مكتب سياحى فى مدريد ، أو حتى مكتب أسبانى فى تل أبيب خشية أن تطالب إسرائيل فيما بعد بالمثل .

وهكذا نرى أن اليهود دائما أبعد الناس عن سماحة الطبع وكرم الخلق وحسن المعاملة ، وأن من ينظر فى كتبهم وتعاليمهم ليرى أن الغدر والخيانة وحب الانتقام وإراقة الدماء صفات تأصلت فيهم وامتزجت بلحمهم ودمهم لا يستطيعون منها فكاكا ، فقد جاء فى العهد القديم : حين تقرب من مدينة لتحاربها ادعها إلى الصلح فإن أجابتك وفتحت لك فكل من فيها مسخر لك ومستعبد ، وإن لم تسالمك وحاربتك فحاصرها ، فإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب ذكورها بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة فهو غنيمة لك ، وهكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التى ليست من مدن هذه الأمم التى هنا ، وأما مدن هذه الشعوب التى يعطيك الرب إياها فلا تستبق منها نسمة بل أهلكها إهلاكا (سفر التثنية ٢٠/١٠/١٤) وتنفيذاً لهذه التعاليم المهلكة المدمرة نسى اليهود كل ما قدمه لهم العرب من تسامح وإحسان فى مختلف العصور والبلدان فى الأندلس وغيرها ، فنسوا كل ذلك بل نسوا كل ما قدمه لهم العالم الغربى من مساءات وإهانات ، ولم يستقر فى أذهانهم إلا القضاء على العرب والمسلمين ولم يحسن إليهم أحد فى التاريخ بمثل ما أحسن العرب والمسلمون .

إن اليهود قد نقلوا كل ما تلقوه من عنصرية واضطهاد فى أوربا إلى العرب واستطاعوا الاعتداء على فلسطين وإخراج مليون من الآمنين الوادعين من ديارهم ظلما وعدوانا . إن مذابح إسرائيل الغادرة وإرهابها الدموى فى دير ياسين وكفر قاسم وغيرها تزرى بكل حمامات الدم وغرف الغاز المنسوبة إلى هتلر ، وكما يقول توينبى : إن الخطيئة التى ارتكبها اليهود ضد العرب أكبر من الخطيئة التى ارتكبها النازى ضد اليهود .

وإذا كانت إسرائيل قد خيل لها أنها استقرت فى فلسطين فهل تضمن البقاء والخلود وإلى متى يقدم لها أسيادها ومن أقاموها وأنشأوها معوناتهم ومساعداتهم ومن حولها الشباب العربى الباسل الذى يتدفق حرية وحيوية ويتحرق شوقا للمعركة الفاصلة من أجل فلسطين وتحرير فلسطين كما جاء فى ميثاقنا الوطنى .

ولقد وصل التآمر الاستعمارى إلى حد انتزاع قطعة من الأرض العربية فى فلسطين قلب الوطن العربى واغتصابها دون ما سند من حق أو قانون لصالح إقامة فاشستية عسكرية لا تعيش إلا بالتهديد العسكرى الذى يستمد أخطاره الحقيقية من كون إسرائيل أداة الاستعمار والجمهورية العربية المتحدة بالتاريخ وبالواقع هى الدولة العربيـــة الوحيدة فى الظروف الحاليـة التى تستطيع تحمل مسئولية بناء جيش وطنى يكون بمثابة القوة الرادعة للخطط العدوانية الاستعمارية الصهيونية .

محمود محمد شبله

التأمين

للأستاذ على الخفيف

- ٧ -

وقد نظم القانون رقم ٦٣ لسنة ١٩٦٤ ذلك كله وهو يقضى بأن يساهم جميع الأشخاص الذين تتناولهم أوامره وتتوافر فيهم شروطها فى إيجاد ما يتطلبه تحقيق هذه الأغراض النبيلة من مال وعلى ذلك قد يرى أن ما يؤخذ فى هذه السبيل من مال إنما يمثل فى واقع الأمر ضريبة فرضتها القوانين لكى تتمكن الحكومة من تحقيق هذه الغاية الكريمة . وللحكومة من الولاية والسلطة ما يسوغ لها شرعا فرض الضرائب فى سبيل المصالح الاجتماعية العامة وبهذا الوضع لا يكون هذا النوع من التأمين قائما على تعاقد بين المستأمنين والحكومة وإنما يعد معونات تدفعها الحكومة من مال الدولة لمن تتوافر فيه شروط استحقاقها التى تتحقق معها فى نظرها الحاجة المستوجبة للمعونة من الدولة . وقيام الحكومة بهذا النوع من المعونة ليس إلا تدبيراً اجتماعياً يدخل فى نطاق ما يطلب من الحكومة أن تقوم به من الأعمال فى سبيل إقرار النظام وتدبير وسائل العيش والرفاهية والأمن للأفراد وليس يتصور أن يكون فى مثل هذا حظر وإثم وقد أصدرت الجمهورية العربية المتحدة القانون رقم ١١٧ لسنة ١٩٦١ قاضياً بتأميم ما نص عليه فيه من الشركات ومنها جميع شركات التأمين فى الجمهورية العربية المتحدة وقد كانت شركات مساهمة تقوم بالتأمين لحسابها ورأت الحكومة أن مصلحة الدولة العامة تستوجب تأميمها فأممتها لذلك بمقتضى هذا القانون الذى قضى بأن تستمر هذه الشركات بعد تأميمها وصيرورتها إلى الدولة فى مباشرة أعمالها على الوضع الذى كان لها من قبل باعتبارها تابعة للحكومة وقائمة مقامها فى ذلك وعاملة لمصلحة الأمة بأسرها لا لمصلحة أفراد معينين ـ وقد رأى بعض الباحثين المانعين للتأمين أن التعاقد معها على التأمين بعد هذا الوضع جائز لضرورة اقتضتها فترة الانتقال من النظام الرأسمالى إلى النظام الاشتراكى وهى ضرورة الإبقاء على المشروعات الكبيرة التى أسست بأموال تلك الشركات وترتب نموها والتوسع فيها على الأقساط الباقية إذ أن فى إلغائه تقويض تلك المشروعات وذلك على استحالته عملياً تخريب لاقتصاد الأمة وقواعد الدين تأبى ذلك .

كما أن آخرين منهم لم يلجئوا فى جوازه إلى الاستناد لهذه الضرورة ؛ بل رأوا أن دفع الأقساط من المستأمنين يعد مساهمة منهم فى تدبير المال الذى تدفعه الحكومة لمن ينزل به الخطر من المستأمنين على أن يكون ما تدفعه الحكومة إلى المستأمنين فى هذه السبيل معونة وتعويضاً من مال الدولة لا نتيجة معاوضة بينه وبين ما يؤدى من الأقساط وإذا قيل : إن هذا لا يتسق مع التعاقد السابق على التأميم واستمراره بعده بل ولا مع التعاقد الذى تم أو يتم بعد التأميم فالرد عليه أن تطبيق نظام عقود المعاوضة عليه وترتيب آثارها مسألة هى أقرب إلى الشكل منها إلى الحقيقة والواقع حتى يكون لعقد التأمين فى مجال العقود مركز قانونى تستمد منه أحكامه القانونية وترتكز عليه آثاره وبذلك يقرب أن يكون تطبيقاً افتراضياً لا يغير من الواقع والحقيقة ذلك رأيهم ولكنه فيما أرى بعيد عن إرادة المستأمنين عند التعاقد وعن الدافع لهم عليه إذ لا تتجه إرادتهم

فيما يظهر إلا إلى معنى المعاوضة وعلى كل حال فالنظر فى حكم هـذا النوع لا يختلف عن النظر فى حكم التأمين بالتعاقد مع الشركات كما يتبين ذلك فيما يأتى :

التأمين بالتعاقد مع الشركات :

إذا أردنا أن نصل إلى حكم صحيح فى التـأمين وجب علينا أن ننظر إليه مجرداً عما يصاحبه من صفات خارجة عن جوهره وموضوعه أى أن نبحث فكرة التأمين ـ أو نظرية التأمين إن أردت هـذا التعبير فنحدد كنهها ونجلى حقيقتها ونبرز صورتها على وضعها ثم نستنبط ما يجب أن يكون لها من حكم استناداً إلى قواعد التشريع وأصوله ودلائله وحكمه وأهدافه مع التطبيق السليم والبعد عن التعسف وتجنب الهوى والميل السقيم .

إن فكرة التأمين تقوم فى أصلها على أن أحداث الزمن ونوازله كثيرة متعددة ولهـا عند نزولها أضرار أليمة تصيب البدن فتضعفه وتؤلمه وتصيب المـال فتفقده وليس يقوى عليهـا الشخص ينزل بساحته الحادث فيصاب به بل ينوء بأضراره ذو القوة والجلد فى كثير من الأحوال فتفسد عليه حياته ويضيق بها عيشه ويضيع معها سعيه ويفقد بها أمله ولكن إذا ما وسعت ساحتها وامتد نطاق أثرها تضم العديد الكثير من المتعاونين الذين يقتسمون هذه الأضرار المـالية فيسهم كل منهم بجزء من ماله فى سبيل تخفيفها أو رفعها لم يكد يشعر بها بهـا أحد ولم يكن لها أى أثر فى تغيير حياة من نزل به الحادث ولا فى صده عن عمله ولا فى متعته بأمله والإنسان مأمور بالتبصر فى أمره مطالب بالحذر وبالحيطة فى مستقبله وهو إلى ذلك معرض لمثل هذا الخطر أن ينزل به ومن اليسير عليه أن يحتاط لأضراره وأن يحذر منها وذلك بالتعاون مع غيره فى دفعها إذا نزلت إذا ما استطاع ذلك وتيسر له أو بدفع قليل من ماله نظير التزام بتحمل تبعات ما ينزل به من الخطر يقوم له به قادر عليه دون مساس به أو ضرر .

وهم الجمـاعة الذين انتهى أمرهم إلى الاتفاق على التعاون بينهم فى دفع ما ينزل بأحدهم من ضرر والتزام ذلك منهم بواسطة الهيئة التى تمثلهم .

وعلى هذا فإن فكرة التأمين وأساسها وحكمها كل أولئك فى الجواب عن السؤال الآتى :

« هل يجوز للإنسـان شرعا أن يدفع جزءاً من ماله نظير ضمان أو تحمل تبعة لمـا قد ينزل به من خطر يقوم به له من هو قادر عليه من غير ضرر يلحقه من ذلك ؟ وبعبارة أخرى « هل التعاقد على هذا تعاقد شرعى ملزم ؟ » .

والإجابة على هذا السؤال تقتضى البحث فى النقاط الآتية :

١ ـــ إن العقد كما يبدو ، وكما قدمنا ، عقد جديد مستحدث لم يكن معروفا من قبل فى زمن التشريع . وعليه فهل يجوز إحداث عقد لم يكن معروفا من قبل؟

٢ ـــ هل الضمان وتحمل التبعة ممـا يجوز أن يقابل بالمـال ؟ .

٣ ـــ هل الضمان يجوز أن يتناول ما هو غير قائم ، وعلى خطر الوجود ، وهل يصح بمـا هو مجهول ؟

٤ ـــ الأساس الشرعى الذى يقوم عليه جواز التأمين .

٥ ـــ هل ما يصاحب التأمين من إرادة الادخار أو استثمار ماله فى أعمال ربوية له تأثير فى نفس فكرة التأمين من ناحية الحظر ؟ .

١ ـــ عن النقطة الأولى : إحداث عقد جديد

سبق أن بحثنا هذا الوضع وبينا آراء الفقهاء فيه ورأينا أن أصح هـذه الآراء وأقربها إلى أصول الشريعة هو القول بجواز ذلك بشرط ألا يتنافى ذلك مع أصل من أصول الدين ولا يجافى أسراره وحكمه وقد بينا فيما سبق جميع ما نسب إلى عقـد التأمين

من شبهات قيل : إنها تتعارض مع أصول الدين و نفينا وجود تلك الشبهات و تبين خلوه منها كلها وبذلك ظهر أن هذا العقد لا يخالف أصلا من أصول الدين وإن هذا العقد إذا لم يكن مندوباً إليه ديناً من ناحية ما يترتب عليه من مصالح وما يندفع به من أضرار وما يؤدى إليه من معونة على البر فلا أقل من أن يكون عقداً مباحاً لم يرد فيه نص خاص او عام يقضى بحظره والأصل فى الأشياء التى لم يرد فيها طلب ولا حظر ولا ضرر فيها أن تكون مباحة ذلك لأن الضرر محظور بقوله صلى الله عليه وسلم : لاضرر ولاضرار ، ذهب إلى ذلك جمهور الحنفية والشافعية بل ادعى بعض الأصوليين الإجماع على ذلك وقد قسم الفقهاء المباح ثلاثة أقسام : (١) قسم لم يتعرض له الشارع فلا حكم من الشارع فيه . فهو مباح بحسب أصله لقوله صلى الله عليه وسلم من حديث أخرجه ابن ماجة والترمذى عن سلمان الفارسى قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السمن والجبن فقال : « الحلال ما أحله الله فى كتابه والحرام ماحرم الله فى كتابه وما سكت عنه فهو مما عفا عنه » وقوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه البزار والحاكم وصححه من حديث أبى الدرداء : ما أحل الله فى كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن لينسى شيئاً وتلا قوله تعالى : « وما كان ربك نسيا » ، وقسم صرح فيه الشارع بالتخيير ، وقسم لم يرد فيه خطاب من الشارع بالتخيير ولكن دل دليل على نفى الحرج فى فعله وهذا يبقى على الإباحة الأصلية وبناء على ذلك فكل عقد لم يعرض له الشارع بنص عام أو خاص عقد مباح لاخطر فيه . ومن ذلك ما يجد من عقود تدعو إليها حاجة المتعاقدين ـ غير أن ما يجد منها إذا أدى إلى مصلحة اقتضته كان مطلوبا من الشارع إذ حيث توجد المصلحة فثم حكم الله .

٢ ــ عن النقطة الثانية : جواز المعاوضة عن الضمان وتحمل التبعة .

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الضمان لا يجوز أن يقابل بعوض يدفع إلى الضامن ـ جاء ذلك فى فتح القدير على الهداية وفى منتهى الإرادات ص ١٦٧ وفى كشاف القناع ج ٢ ص ١٨٢ للحنابلة وفى المستصفى للغزالى ج ١ ص ٧٥ .

وجاء كذلك فى منح الجليل من كتب المالكية بأن الضمان معروف ولا يجوز أخذ عوض عن المعروف أو الخير كما لا يجوز أخـــذ عوض عن الصلاة وخالف ذلك الشيعة الجعفرية فجوزوا الكفالة مع اشتراط جعل للكفيل فيما يلزم به المدين وذلك دليل أنهم يرون جواز أخذ عوض عن الضمان هوذلك الجعل » راجع تحرير الأحكام ج ١ ص ٢٢٥ » .

هذا ولم يعلم أنه قد جاء فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله بيان كلى لما يجوز أخذ العوض فيه وما لا يجوز أخذ عوض فيه ـ وما ذهب إليه الفقهاء من أحكام فى ذلك نتيجة للاجتهاد والرأى والعرف ولذلك اختلفت آراؤهم فى كثير من أمور جوز بعضهم أخذ عوض عنها فأجازوا فيها المعاوضة وخالف فيها آخرون فلم يجوزوا أخذ عوض عنها ورأوا فساد المعاوضة فيها وذلك مثل حق التعلى أجاز المالكية الاعتياض عنه فجوزوا بيعه استقلالا ومنعه الحنفية فلم يجوزوا بيعه استقلالا وكذلك حقوق الارتفاق لم يجز بعض الحنفية التعاوض فيها بالبيع والشراء لأنها ليست بمال عندهم وذهب آخرون إلى جواز بيع كل من حق المرور وحق الشرب دون حق المسيل لتعارف الناس ذلك فكان كل من حق المرور وحق الشرب مالا دون حق المسيل وليس لذلك أساس سوى العرف الذى قضى بشمول الحقين الأولين دون الأخير وأجاز المالكية

بيمع هذه الحقوق كلا استقلالا فكانت من المال عندهم وإلى هذا ذهب الحنابلة ، كشاف القناع ج ٢ ص ٢٠٠ ، وهكذا يرى الخلاف بين الفقهاء فيما يجوز الاعتياض عنه وما لا يجوز ونرى أن رد ذلك إلى اجتهادهم أو إلى أعرافهم لا إلى نص صريح أثر فى ذلك ـ وعلى هذا يرى أن القول بأنه لا يجوز أخذ عوض نظير الضمان وتحمل التبعة مرده إلى الاجتهاد ولذا علل فى كتاب النتاج بأن الضمان خير أى من عمل الخير ولا يجوز أخذ عوض من عمل الخير كالصلاة غير أن هذا التشبيه أو القياس يوحى ويدل على أن الخير الذى لا يجوز أخذ عوض عنه هو الخير الواجب على فاعله أما ما لا يجب على فاعله فلا يقاس على الصلاة . والضمان ليس من المعروف الواجب فعله فيجوز أخذ العوض عنه كما جاز أخذ عوض عن الطعام يعطى لجائع لا يجده وهو من الخير لا ريب وكما جاز لمن أخذت دورهم فى توسعة المسجد الحرام فى عهد عمر وعثمان رضى الله عنهما أن يأخذوا قيمتها حين أداها إليهم عمر وعثمان رضى الله عنهما وجملة القول : أن المناط فى جواز أخذ العوض فى نظر الفقهاء هو أن يكون فى نظير ما تموله الناس فاتخذوه مالا وعاوضوا عنه وبه لما رأوا فى ذلك من الفائدة والمصلحة .

والمالية تثبت بتمول الناس كما نص على ذلك بعض الفقهاء . وقد رأينا أن الشيعة الجعفرية كذلك قد جوزوا أخذ العوض عن الضمان والظاهر أنهم إنما جوزوه لذلك فلا علينا إذا جوزناه ولأنه أمر تدعو إليه المصلحة ولم يرد بمنعه نص من كتاب أو سنة فكان على أصل الإباحة التى سبق الكلام عليها ، وعلى هذا فإن أخذ العوض عن الضمان وتحمل التبعة أمر مباح بالإباحة الأصلية وجائز بناء على ما فيه من مصلحة مرسلة .

٣ ـــ عن النقطة الثالثة : هل يتناول الضمان ما يكون على خطر الوجود ؟

الضمان هو التزام ما فى ذمة المدين من دين وذلك يقتضى وجود الدين المكفول به عند كفالته وعلى ذلك نص الفقهاء على أنه لا يجوز ضمان دين معدوم ولكننا نراهم مع ذلك قد أجازوا كفالة الدين قبل وجوده فى كثير من الحالات فأجازوا الكفالة بالدين الموعود به قبل وجوده وإن لم يكن موجوداً عند الكفالة وأجازوا الكفالة فيما إذا قال: إن أقرضت فلانا فأنا كفيل بما تقرضه ، وفيما إذا قال : بايع فلانا وأنا كفيل بما تبايعه به ، ذهب إلى ذلك الحنفية والمالكية والحنابلة والشافعى فى القديم وجمهور الزيدية وخالف فيه الشافعى فى الجديد والشيعة الجعفرية وأهل الظاهر وكذلك أجاز كثير من الفقهاء الكفالة بالجعل فى الجعالة كما إذا قال شخص : من يخترع كذا فله منى ألف جنيه فيكفل شخص هذا الجاعل فيما ذكره من جعل أجاز ذلك الحنابلة والمالكية والشيعة الجعفرية وبهذا جاء قوله تعالى فى سورة يوسف فى شأن رد صواع الملك المفقود ، ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم ، والكفالة فى هذه الأحوال كفالة لما فيه خطر الوجود ففى حال ما إذا قال شخص لآخر: إن أقرضت فلانا فأنا كفيل لك بما تقرضه إياه قد يحدث ذلك فيقرضه وقد لا يقرضه أبدا ثم إذا أقرضه فقد يقرضه مالا عظيما وقد يقرضه مالا قليلا وكذلك الحال عندما يقول شخص لآخر: أنا كفيل بما ستقرضه لفلان أو أقرض فلانا وأنا كفيل بما تقرضه وقد يحدث أن يقوم شخص باختراع ما جعل الجعل فيه وقد لا يحدث ذلك ففى كل هذه الأحوال تجوز الكفالة على ما فيها من خطر يرجع إلى الوجود وإلى المقدار وبناء على ذلك وعلى ما تقدم من أن هذه الأحكام مردها إلى الاجتهاد وإلى العرف فى المعاملة بدليل ما وجهوا به صحة الكفالة فى الأحوال السابقة بداعية المصلحة وحاجة الناس إليها فليس ما يحول دون القول بأن الضمان أو تحمل التبعة لما قد يحدث من أخطار، جائز قبل حدوثها .

على الخفيف

أبو معشر البلخى

للأستاذ الدكتور احمد فؤاد الإهوانى

الإسلام نظام شامل لكل ناحية من نواحى الحياة ، وليس الدين فقط ، وقد قلنا من قبل : إن الإسلام سلوك فى الحياة ، وإنه حضارة ، وبهذا المعنى الأخير عنى المسلمون بالعلوم المختلفة من حساب وهندسة وفلك وطبيعة وحيوان ونبات وكيمياء وطب ، وأسهموا فى تطوير هذه العلوم ولما كان الإسلام نابضا بالحياة فيه حيوية الشباب الدافعة ، احتضن العلوم المختلفة ودفعها إلى الأمام ، وعناية المستشرقين الآن هى الكشف عن التراث العلمى الإسلامى ، وأثره فى أوربا فى العصر الوسيط .

ومن هذه الدراسات الجادة العميقة ما قام به المستشرق « ريشارد لوماى » عن « أبو معشر والأرسطية اللاتينية فى القرن الثانى عشر » . كان ذلك موضوع بحثه فى الدكتوراه سنة ١٩٥٨ بجامعة كولومبيا ، ثم طبع البحث سنة ١٩٦٢ ، وكان غرض الباحث الكشف عن فلسفة أرسطو الطبيعية من خلال علم الفلك العربى وبالذات بالرجوع إلى أبى معشر .

وأبو معشر هو : جعفر بن محمد بن عمر البلخى انتقل إلى بغداد ، وكان فى ابتداء أمره من أصحاب الحديث ، وكان يسكن فى الجانب الغربى من بغداد بباب خراسان ، وكان يضاغن الكندى الفيلسوف ويغرى به العامة ، ويشنع عليه بعلوم الفلاسفة ، فأراد الكندى أن يصرفه عن الكيد له ، فدس عليه من حسن له النظر فى علم الحساب والهندسة فتعلمهما دون أن يحسنهما ، وعدل إلى علم الفلك وأحكام النجوم فبرع فيهما ، وانقطع شره عن الكندى وكان أبو معشر منجما للموفق أخى المعتمد عاش حتى بلغ المائة ، وتوفى سنة ٢٧٢ هجرية ، ولم يتعلم الفلك إلا بعد السابعة والأربعين .

له عدة مؤلفات معظمها مفقود ، منها كتاب الألوف ، كان معروفا فى الزمن القديم واستفاد منه كثير من أصحاب تراجم الحكماء مثل : القفطى وابن أبى أصيبعة ، ومثل صاعد الأندلسى قبلهما . وقد نقل الأستاذ نللينو فى كتابه « علم الفلك تاريخه عند العرب فى القرون الوسطى » رأيه فى النسىء ، أى كبس السنين القمرية مما كان يستعمله العرب فى الجاهلية ، وله كذلك كتاب « الأمطار والرياح وتغير الأهوية » ألفه على مذهب حكماء الهند ، فقد أصله العربى ويوجد فى ترجمته اللاتينية ، وفيه يتكلم عن منازل القمر بحسب قسمة فلك البروج أقساما متساوية ، أخذا عن الهنود ، وله كذلك كتاب الأنوار اتبع فيه مذهب اليونان ، وقد ذكر القفطى جملة تآليفه فلا حاجة لإعادة ذكرها . ولكن الذى يهمنا كتابه « المدخل الكبير إلى علم أحكام النجوم » له مخطوطات كثيرة متفرقة فى مكتبات العالم ولم يطبع بعد ، وقد لخصه أبو معشر فى مختصر وسماه « المدخل الصغير » وهو مفقود فى اللغة العربية ، وقد ألف أبو معشر المدخل الكبير فى بغداد سنة ٢٣٣ هجرية (٨٤٨ ميلادية) .

وبعد ثلاثة قرون من الزمان تقريبا بدأت الحروب الصليبية ، أخذ الباحثون من اللاتين يحسون بالحاجة الشديدة إلى التزود من ثقافة الشرق وذلك فى مطالع القرن الثانى عشر الميلادى واضطلع بهذا الأمر (أولاد الباثى) الفيلسوف الإنجليزى الذى جاب أقطار البحر الأبيض

و بلاد الشرق، وترجم أصول أقليدس من اللغة العربية، كما نقل كثيرا من المؤلفات العربية ومنها : المدخل الصغير فى علم أحكام النجوم ، ترجمه إلى اللغة اللاتينية وهكذا كان (أدلارد) أول من قدم أبا معشر إلى اللاتين باعتباره أعظم علماء الفلك عند العرب فلما ترجم المدخل الكبير كان اسمه مألوفا عند الأوربيين .

والمدخل الصغير عبارة عن القواعد الأساسية فى علم الهيئة دون برهان عليها وفيها بيان لدائرة البروج الاثنى عشر ، واسم كل منها ، ومنازل الكواكب

ولقى المدخل الصغير من علماء أوربا كل تقدير وإعجاب ، حتى إن (جيرار الكريمونى) كان يستخدمه مرجعاً فى دروسه بمدينة طليطلة عن علم الفلك .

أما المدخل الكبير فقد ترجم مرتين إلى اللغة اللاتينية، الأولى ترجمة حرفية قام بها يوحنا الأشبيلى سنة ١١٣٣م، والثانية نهض بها (هرمان أوف كارنثيا) وهو تلميذ (تيرى أوف شارتر) ، وهذا المدخل الكبير على عكس الصغير يحتوى معلومات فى الفلسفة الطبيعية مستمدة من أرسطو ، وبالذات من كتبه فى الطبيعة ، والسماء والعالم ، والكون والفساد ، والآثار العلوية ، والنفس ، والميتافيزيقا ولكن هذه الآراء الارسطية نجدها ممتزجة بعضها ببعضها الآخر، وبالآراء الفلكية، بحيث يصعب تبين الأصل الأرسطى منها .

وليس أرسطو المصدر الوحيد الذى أخذ عنه أبو معشر ، ولكنه أخذ كذلك عن بطليموس ، وعن هرمس ، ومع ذلك فإن جملة ما أخذه من مجسطى بطليموس ضئيل جدا . وفضلا عن ذلك أخطأ أبو معشر فى قوله إن كتاب المقالات الاربع ليس لبطليموس لمخالفة ما فيه من آراء لما جاء فى المجسطى ؛ وهذا غير صحيح ، ثم إن أبا معشر يزعم أن بطليموس كان أحد ملوك مصر ، مما يدل على جهله بتاريخ صاحب الكتاب .

لم يكن أبو معشر أول من كتب فى علم الهيئة ، وعلم أحكام النجوم ، وإنما سبقه إلى ذلك جماعة من المؤلفين أخذوا عن علم الفلك الهندى والفارسى ونحن نعلم أن المنصور استحضر المنجمين عند إنشاء بغداد لتبنى عاصمة العباسيين فى أسعد الأوقات وأنسبها قال اليعقوبى فى كتاب البلدان ما فحواه: إن المنصور لما ابتدأ بناء مدينة بغداد سنة ١٤٥ هجرية (٧٦٢ ميلادية) وضع أساس المدينة فى وقت اختاره (نوبخت المنجم) (وما شاء الله) المنجم اليهودى ، حتى إذا جاء الكندى تقدم علم الفلك على يديه خطوة أخرى ، ولكن هؤلاء المنجمين كانوا أكثر ميلا إلى العلم الرياضى منهم إلى العلم الطبيعى ، وحذوا حذو أقليدس وبطليموس أكثر من أرسطو والمشائين ، ونحن نعلم أن الكندى كان يقدم الرياضيات على الفلسفة ويجعلها مدخلا ضروريا لدراستها ، على عكس المأثور عن المشائين الذين كانوا يقدمون المنطق ، ويجدون فيه غناء وكفاية ، وقد نعى الكندى فى بعض كتبه على الذين يغفلون العلم الرياضى ، ولعله كان يقصد أبا معشر .

ثم إن التراث الفلسفى عند العرب أخذ يميل نحو المشائية ، أى نحو العلم الطبيعى ، حتى انتهى الأمر بأن تكون الفلسفة كلها ممثلة فى الشيخ الرئيس مشائية خالصة ، وكانت بداية هذا الاتجاه عند أبى معشر ، الذى كان يعتبر علم الفلك علما صحيحا أساسه قائم فى العلم الطبيعى ويمكن البرهنة عليه بالتجربة ، بل إنه أعلى العلوم الطبيعية لأنه يسمو على الملاحظة الحسية البحتة ، وفى الفصلين الثالث والرابع من كتاب المدخل الكبير يثبت متبعا فى ذلك أرسطو : أن حركة الأجرام السماوية مصدر كل فعل فى الكون الطبيعى ، وأن الأجسام فى العالم الارضى لها ميل طبيعى لتلقى التأثيرات من العالم العلوى ، ويقسم أبو معشر بحسب ما جاء عند أرسطو الكون إلى عالم ما فوق فلك القمر ، وعالم

ما تحت فلك القمر ، وهو عالم الكون والفساد ، ويقول أبو معشر : إن جميع الفلاسفة الأقدمين الذين تكلموا عن الموجودات العالية متفقون على أن طبيعتها مغايرة للعناصر الأربعة ، لأنها لو كانت مركبة من العناصر الأربعة لخضعت للكون والفساد والزيادة والنقصان ، ولذلك ذهب الفلاسفة إلى أن كرة السماء وما فيها من كواكب مركبة من عنصر خامس هو الأثير ، وتمتاز الأجرام السماوية بثلاث خواص هي أنها مستديرة ومنيرة ، ومتحركة بحركة طبيعية ، وهذه الخصائص الثلاث الأساسية هي التي يذكرها أرسطو في كتاب السماء .

صفوة القول : أن النظرية الرئيسية في طبيعيات أرسطو ، وهي نظرية الكون والفساد ، نجدها عند أبي معشر في كتابه المدخل إلى علم أحكام النجوم . وهو في بعض الأحيان يصرح بأنه استقى آراءه من أرسطو ، ولو أنه في أحيان أخرى لا يشير إلى المصدر . وقد أخذ عن المعلم الأول : أن العنصر مركب من كيفيتين ونحن نعلم أن العناصر أربعة : النار والهواء والماء والأرض ، توازيها كيفيات أربع : الحار والبارد والرطب واليابس . فعنصر النار مركب من الحار واليابس ، وعنصر الهواء من الحار والرطب ، وعنصر الماء من البارد والرطب ، وعنصر الأرض من البارد واليابس .

وهو يأخذ عن أرسطو كذلك أن مجموع الأجسام الأولية المركبة من العناصر الأربعة تؤلف مادة كلية لجميع الكائنات الطبيعية . وفي هذه المادة الأولية تظهر الصور المميزة لمختلف الجواهر بسبب حركة الأجرام السماوية التي تحدث الكون فتأخذ صوراً متميزة وتركبها في المادة .

ولما كانت الأجرام السماوية مركبة من العنصر الخامس فهي في حركة دائمة ، وتؤثر تأثيراً دائماً ، ولذلك كان الكون والفساد دائمين في العالم الطبيعي .

ولما كان عالم الكون والفساد متعدد الصور ، وجب أن يكون هناك تعدد مماثل في العلة المحركة . من أجل ذلك كانت علة التعدد قائمة في اختلاف مسار الجرم السماوي عن الجرم الآخر ، وهذا ما قال به أرسطو في كتاب السماء وكتاب الكون والفساد .

وأخيراً فإن الحركة الكلية التي تشمل الأجرام السماوية مشتقة من مصدر وحيد لا يتحرك ، ويذهب أبو معشر إلى أنه هو الله ، على حين يقول أرسطو بأنه جذب كلي في الفلك الأقصى ، وهو فلك النجوم الثوابت . يريد أبو معشر أن يقول : إن كل حركة في العالم لا تخرج عن تدبير الله ومحكم إرادته . ومع ذلك فإن تدخل الإرادة الإلهية لا يخل بنظام الأسباب والمسببات في عملية الكون والفساد ، وهي عملية تعتمد اعتماداً كلياً على النجوم . وهكذا يبدو أبو معشر فيلسوفاً إسلامياً ، ألبس آراء أرسطو رداء الإسلام .

ولم يكد المدخل الكبير ينقل إلى اللغة اللاتينية حتى طبع الفكر الغربي في الفلك بطابع لا يمحى . ومن المعروف أن مؤلفات أرسطو قام بنقلها عن العربية (جيرار الكريموني . توفي ١١٨٧ ميلادية) ، ولكن آراء أرسطو كانت قد عرفت قبل جيرار عن طريق ترجمة مدخل أبي معشر . وثمة إشارات لدى بعض المؤلفين اللاتين منذ سنة ١١٢٠ تنص على آراء أبي معشر ، أي في مطلع القرن الثاني عشر .

يتبين من هذه الدراسة التي قام بها (ريشارد لوماي) ووازن فيها بين ما جاء عند أبي معشر وما أورده أرسطو في كتبه ، منزلة هذا العالم العربي وأثره في الفكر الغربي من جهة ، كما يكشف الستار عن البدايات الأولى لدخول المشائية إلى أوربا عن طريق العرب ؟

أحمد فؤاد الأهواني

الكتب

للأستاذ : تحسين عبد الحى

قادة الفتح الإسلامى

قادة فتح بلاد فارس "ايران"

تأليف : اللواء الركن محمود شيت خطاب

لقد كان سيدنا عمر رضى الله عنه وأرضاه يرى أن العرب هم مادة الإسلام ، ومادة الفتح الإسلامى قادة وجنوداً ، وقد انطلق العرب المسلمون ، من حيث بدأت الدعوة ، يبغون أطراف الأرض ، ليصل الإسلام بهم إلى الناس جميعا ، اندفعوا إلى ما جاورهم من قبائل وأقاليم وأمم ، غايتهم نشر الإسلام ، لاتردهم عن تلك الغاية الحروب فيخوضونها وهم قلة ، يقينا منهم بأن غايتهم منتصرة وانتصر العرب وانتشر الإسلام .

وعندما خاض رواد شعبنا العظام معاركهم البطولية من أجل تأمين حرية انتشار الإسلام . كانوا يؤمنون إيمانا مطلقا بعدالة قضيتهم وسمو عقيدتهم . فمن هؤلاء الرواد ؟ وكيف استطاعوا أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه ؟ وكيف كانت خططهم الحربية و(الاستراتيجية) ؟ وكيف كانت وسائلهم المبتكرة لحماية خطوط مواصلاتهم الممتدة على جبهات طويلة تبلغ أحيانا آلاف الأميال .. وفى حدود وسائل النقل المتاحة لهم فى ذلك الوقت ـ كلها أشياء كان يجب أن يتعرض لها بالدراسة والتحليل كل من يهمه أن يعرف أبناء شعبنا سيرة عظماء شعبهم وقادته الفاتحين العظام ، بدلا من التعرض لمعارك نابليون وموقعة واترلو وغيرها من المعارك والشخصيات الأوربية !

ولقد أخذ اللواء الركن محمود شيت خطاب على كاهله أن يقوم بدراسة علمية منظمة لسيرة هؤلاء الفاتحين العظام ـ من الناحية العسكرية البحتة فبدأ بدراسة واعية لسيرة مؤسس الجيوش العربية الإسلامية المظفرة ، الرسول القائد ، نبى الإسلام محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، فهو أبو الجيش الإسلامى الأول ومؤسسه وقائده ورائده ومنظمه ومسلحه ومدربه ، وباعث كيانه ، وموطد أركانه ، وراسم أهدافه وخططها ، وذلك فى كتابه عن «الرسول القائد» وتلا ذلك كتابه عن الفاروق القائد ، سيدنا عمر رضى الله عنه الذى كان أحد خريجى مدرسة الرسول القائد صلى الله عليه وسلم فى ممارسة فنون الحرب ومعاناة أهوالها دفاعا عن حرية نشر الإسلام ، ثم أصدر بعد ذلك سلسلة كتبه الفريدة عن قادة الفتح الإسلامى ، حيث بدأها بكتابه «قادة فتح العراق والجزيرة» الذى قدم لنا فيه سيرة المثنى بن حارثة الشيبانى ، وخالد بن الوليد المخزومى ، وأبو عبيدة بن مسعود الثقفى وغيرهم من قواد ورواد شعبنا الأبطال . وقد تجاوز المؤلف الناحية العسكرية إلى النواحى الأخرى الهامة فى حياة هؤلاء الرواد ، فلم يقتصر على دراسة الأعمال الحربية فحسب ، بل حرص على أن يقدم صورة كاملة متكاملة لحياة كل قائد ، من خلال شتى مواقفه ومواقعه ومختلف أقواله وأفعاله لكى تكتمل الملامح ، وتظهر السمات لشخصيته .. قائداً وإنسانا ، يؤمن بفكرة ويعتنق رسالة ويذود

عن عقيدة ، فى بطولة إنسانية وفدائية عقائدية قل أن يكون لها نظير . وبنفس المستوى العلمى تدم لنا المؤلف بعد ذلك كتابه ... عن قادة فتح بلاد فارس (إيران) وهو كتابنا لهذا العدد .

وكتاب قادة فتح بلاد فارس كما أسلفنا يدرس سير قادة فتح بلاد فارس ، الذين نشروا الإسلام فى ربوعها وجعلوا منها قاعدة أمامية للفتح الإسلامى الذى امتد إلى الصين شرقا وإلى سيبريا شمالا وإلى البحر العربى جنوبا . ويقع الكتاب فى أربعمائة وأربع صفحات من القطع الكبير ، وقد قسمه المؤلف إلى عشرة أقسام هى إيران فى عهد الساسانيين وقادة فتح الجبل ، ونذكر منهم ضرار بن الخطاب الفهرى ، والنعمان بن مقرن المزنى . ونعيم بن مقرن المزنى ، والبراء بن عازب الأنصارى ، ثم قادة فتح الأهواز ، ونذكر منهم : حرملة بن مريطة التميمى وحرقوص بن زهير التميمى ، وزر بن عبد الله الفقيمى ، وأبو موسى الأشعرى ، ثم قادة فتح طبرستان ، ومنهم : سويد بن مقرن المزنى ، ثم قادة فتح أذربيجان ، ونذكر منهم : بكير بن عبدالله الليثى ، وسراقة ذا النور بن عمرو ثم قادة فتح فارس ونذكر منهم : العلاء بن الحضرمى وعثمان بن أبى العاص الثقفى ، ثم قادة فتح سجستان كعاصم بن عمرو التميمى ، ثم قادة فتح كرمان ومكران . ومنهم الحكم بن عمير التغلبى ، ثم قادة فتح خراسان : ومنهم الأحنف بن قيس التميمى ، وقد اختتم المؤلف دراسته لهؤلاء الرواد بدراسة لقائد هؤلاء جميعاً الفاروق القائد عمر بن الخطاب .

وأول ما يستدعى الانتباه فى هذه الدراسة الشيقة أن المؤلف بعد أن قدم لنا سيرة هؤلاء القواد العظام العسكرية وخبرتهم الميدانية المنتصرة كان يصر دائما على أن يقدم لنا كل قائد منهم بصفاته الإنسانية وشجاعته المنقطعة النظير أمام رؤسائه ، ثم يبحث المؤلف دائماً فى : هل كان هذا القائد صحابيا ، وهل نال شرف الجهاد تحت راية الرسول القائد أم لا ؟ وكان هؤلاء القواد ممن نالوا شرف الصحبة ونالوا شرف الجهاد مع الرسول ، إلا بعضهم فقد نالوا شرف الصحبة ولم ينالوا شرف الجهاد ، وقد ذكر المؤلف لكل شىء سببه إما لأن بعضهم أسلم متأخراً ، أو لصغر سنهم وقت إسلامهم مثل سراقة ذو النور ابن عمرو فاتح باب الأبواب .

ثم يذكر المؤلف بعد ذلك وبدقة متناهية عدد الأحاديث التى تلاها بعض هؤلاء القواد العظام عن الرسول القائد ... فيذكر أن حذيفة بن اليمان العبسى قد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم مائتى حديث وخمسة وعشرين حديثا ص ١١٣ ، ثم يذكر المؤلف فضل حذيفة على الإسلام إذ أنه هو الذى حث سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه على جمع القرآن الكريم ص ١١٧ ويذكر أن البراء بن عازب الأوسى الأنصارى قد روى عن الرسول ثلاثمائة وخمسة أحاديث وروى أبو موسى الأشعرى عن الرسول ثلاثمائة حديث وستين حديثا ، كما روى عن الخلفاء الاربعة ... ومعاذ وابن مسعود وأبى بن كعب وعمار بن ياسر ص ١٨٦ وهكذا إلى آخر هؤلاء القادة العظام ... والمؤلف بذلك يريد أن يبين لنا أن هؤلاء القادة لم يكونوا قواداً عسكريين فقط بل كانوا من المتفقهين فى الدين والعلم ... متحلين بكل ما يجب أن يتحلى به المؤمن من قوة وتواضع وعلم وإيمان ، وصدق وتقوى .

ولقد اشترك هؤلاء القادة العظام فى ميزة حربية وقيادية مشتركة ... فقد كانوا شجعانا إلى حد البطولة النادرة ، وكانوا محبوبين من جنودهم يبادلونهم ثقة بثقة وحبا بحب ولديهم الاستعداد لتحمل المسئولية كاملة ، ثم قابليتهم الممتازة لوضع الخطط المناسبة وتطبيقهم لمبادىء المباغتة) و (التعرض) وكانوا يعملون دائما

على (تحشيد قواتهم) قبل البدء في القتال، ويضعون مبدأ (الأمن) نصب أعينهم حتى يحافظوا على قواتهم ويديموا معنوياتهم قبل المعركة وأثناءها وبعدها .

وعن بطولة هؤلاء القادة العظام يذكر المؤلف كيف دعا النعمان بن مقرن المزني ربه أن يكون شهيدا في معركة (نهاوند) ... يقول النعمان ص ١٠٤ ... بعد أن يتقدم رجاله إلى الحرب ... « اللهم أعز دينك وانصر عبادك واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك، وبعد أن يستشهد النعمان في المعركة يأتيه أخوه معقل بن مقرن المزني ... فيقول له النعمان . وكان به رمق ... « ما صنع المسلمون ؟ » فيرد عليه « أبشر بفتح الله ونصره » فيقول النعمان « الحمد لله اكتبوا لعمر » ثم يسلم الروح .

ولقد كانت معركة « نهاوند » من معارك الفتح الإسلامي الحاسمة . فكما أن معركة القادسية فتحت أبواب العراق العربي للمسلمين ، فإن معركة « نهاوند » فتحت أبواب فارس للمسلمين ، ولقد ربح النعمان « نهاوند » ولكنه خسر نفسه لذلك خلده التاريخ ولو أنه خسر المعركة من أجل الحفاظ على نفسه لأهمله التاريخ .

ويتعجب المؤلف في ص ٢٨٥ .. وهو الرجل العسكري كيف استطاع عاصم بن عمرو التميمي هو ورجاله أن يعبروا نهر دجلة فوق ظهور جيادهم لكي يحاربوا الفرس ولكي يفتحوا الطريق أمام قوات المسلمين لفتح المدائن .. لقد تقدم عاصم على رأس « كتيبة الأهوال » واقتحم النهر أمام رجاله . وهو يقول : أتخافون هذه النطفة ؟ ثم تلا قوله تعالى : (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا) .

ويعلق المؤلف على ذلك قائلا : إن عبور عاصم ورجاله نهر دجـــلة ، يعتبر معجزة عسكرية يقف العقل والقلب معاً أمامها وقفة إكبار وإعجاب .

وعن شجاعة هؤلاء الرواد الأدبية في مواجهة الرؤساء يورد موقفاً قوياً للأحنف بن قيس التميمي فاتح قاشان وخراسان في مواجهة معاوية بن أبي سفيان .. فيقول في صفحة ٢٣٠ « ولما استقر الأمر لمعاوية بن أبي سفيان دخل عليه الأحنف يوماً ، فقال له معاوية : « والله يا أحنف ما أذكر يوم صفين إلا كانت حزازة في قلبي إلى يوم القيامة ! » فقال الأحنف . « والله يا معاوية ، إن القلوب التي أبغضناك بها لفي صدورنا ، وإن السيوف التي قاتلناك بها لفي أغمادها ، وإن تدن من الحرب فتراً ندن منها شبراً ، وإن تمش إليها نهرول إليها ! » ثم قام وخرج . .

وهكذا كان هؤلاء القادة الرواد عظماء في حياتهم ، أئمة في الفقه وكانوا مثالا نادراً للحلم والأمانة وقوة الشخصية ، ورجاحة العقل - لقد كان كل واحد منهم . كما قال المؤلف في الأحنف بن قيس التميمي - رجلا في أمة ، وأمة في رجل .. وكان كل واحد منهم مفخرة من مفاخر التاريخ العربي الإسلامي ولم يحاول المؤلف أن يذكر الجوانب المضيئة فقط في تاريخ بعض هؤلاء القادة لأننا نراه بعد تقديمه « لحرقوص ابن زهير التميمي السعدي » فاتح سوق الأهواز كأحد الذين نالوا شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد . نراه يعتب على حرقوص انضمامه للخوارج واشتراكه في معركة (النهروان) قائداً للشاة ضد سيدنا علي بن أبي طالب ، فيقول في صفحة ١٥١ : كان حرقوص ممن خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً ، كان عملا صالحاً في قيادته ، فالتاريخ يذكر له فتح مدينة (سوق الأهواز) وكان عملا سيئاً في تطرفه الشديد لأن هذا التطرف كان من عوامل تفرقة الصفوف وإشعال نار الفتنة الكبرى - وأخيراً أدى به هذا التطرف إلى امتشاق الحسام وقتال إخوانه المسلمين .

ودافع المؤلف عن أبي موسى الأشعري في موقفه أمام عمرو بن العاص أيام الفتنة حيث خلع الأشعري

سيدنا علي وثبت عمرو بن العاص معاوية .. يقول المؤلف ص ١٨٥ «كان أبو موسى الأشعري يحرص أشد الحرص على إخماد نيران الفتنة بين المسلمين ، ولست أشك أنه كان يعمل لآخرته أكثر مما كان يعمل لدنياه ، وكان راغباً عن الفتنة كارها لقتال المسلمين ، وكانت حجته الواضحة لتبرير موقفه ، هو أنه لا يمكن أن يقاتل قوماً يؤمنون بالله ويصدقون رسوله ، ولا محل أبداً لزعم بعض المؤرخين أن أبا موسى كان مغفلا لا علم له بالسياسة ، لذلك غدر به عمرو بن العاص ، ولكنه كان يريد الله بكل أعماله ، وما أصدق الحسن في قوله : «كان الحكمان أبو موسى وعمرو بن العاص ، وكان أحدهما يبتغي الدنيا والآخر يبتغي الآخرة» .

ولكن رغم هذا الدفاع الحار نجد الكاتب يذكر في صفحة ٢٣٧ قول الأحنف بن قيس التميمي لعلي بن أبي طالب ، وهو يبدي رأيه في أبي موسى الأشعري ممثل علي في التحكيم . «يا أمير المؤمنين ! إن أبا موسى الأشعري رجل يماني وقومه مع معاوية ، فابعثني معه ، فوالله لا يحل لك عقدة إلا عقدت لك أشد منها فإن قلت : إني لست من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، فابعث ابن عباس وابعثني معه» .

ولكننا رغم ذلك نميل إلى رأي المؤلف الأول في دفاعه عن أبي موسى الأشعري . وإلى جانب هذه الدراسات الممتعة لسيرة قوادنا العظام قام المؤلف ببعض التحقيقات العلمية وذلك لتصحيح بعض الوقائع التاريخية أو تصحيح بعض الأسماء والأماكن . . من ذلك مثلا ، تصحيحه لاشتراك البراء بن عازب الأوسي الأنصاري في بعض غزوات الرسول . وخاصة غزوة أحد . . فيقول في حاشية ص ١٣١ «الصحيح أن البراء لم يشهد غزوة أحد كما جاء في الإصابة ، إذ كان هو وابن عمر وأسامة ابن زيد في عمر واحد ، ولم يشهد عبد الله يوم (أحد) كما لم يشهده أسامة وقد استشهد المؤلف بالإصابة وجوامع السيرة لابن حزم وطبقات ابن سعد» .

وقدم المؤلف تفسيرات واجتهادات شتى في تعريفه لبعض الأماكن مثل .. إذربيجان .. ص ٢٠٥ حاشية ٢ وطخارستان ص ٢٢٣ حاشية ٤ ، وجزيرة بركاوان ص ٢٦٣ حاشية ٢ وتفسيره لقصة نداء عمر بن الخطاب من فوق منبر مسجد المدينة المنورة «ياسارية بن زنيم . . الجبل . . الجبل . . وطالب المؤلف بالعودة إلى الأعداد رقم ٤٩٣ ، ٤٩٥ من مجلة الرسالة - لتوضيح وتثبيت وجهة نظره . إلى آخر هذه التفسيرات والاجتهادات للمؤلف - ونحن إذ نشيد بهذا الجهد العظيم للمؤلف في إخراجه لهذه السلسلة .. التي تحتوي - خلاف ما ذكرناه - على كتب تتحدث عن قادة فتح أرض الشام ومصر ، وقادة فتح المغرب العربي والأندلس ، فقادة فتح المشرق الإسلامي ، فقادة فتح أوربا . فقادة فتح البحار . . سواء ما صدر منها أو لم يصدر بعد . فإننا نثق بأنه قد توفر لمؤلفنا الكبير من الثقافة العسكرية العالية والثقافة التاريخية والنفسية الواعية ، فضلا عما عمر به قلبه من عقيدة وإيمان وحفل به تاريخه من كفاح ونضال . توفر له من هذا كله ما أعانه ويعينه على أن ينهض وحده بهذا العمل الضخم العظيم .. الذي يربط فيه بيننا وبين تاريخنا الحافل بعد انفصال دام كثيراً ومازال مستمراً بفعل المخططات الاستعمارية الأجنبية التي ما زالت تكتب لنا تاريخنا - والعسكري منه بالذات - حتى اليوم .

حسين عبد الحي

أنباء وآراء

حديث لفضيلة الأستاذ الباقورى مع مندوب جريدة أمريكية :

فيما يلى نص حديث فضيلة الأستاذ أحمد حسن الباقورى مدير جامعة الأزهر . للسيد Joe Mouis مندوب جريدة Los Angles Times الأمريكية .

قال المندوب : ما هى رسالة الجامعة وما الغرض من إنشائها والدور الذى تقوم به ؟ .

ج - أحب أن أمهد للحديث عن جامعة الأزهر بمقدمة موجزة تتلخص فى أن بلادنا وحاجتنا الاجتماعية وطبيعة أرضنا لا تستغنى عن التدين . وجامعة الأزهر أنشئت لتخدم الإسلام .

والإسلام له جانبان : جانب روحى ، وجانب مادى . الأول يخدم الناحية الروحية فى الإنسان ، والثانى يخدم الجانب المادى للإنسان من النواحى الاجتماعية والزراعية والصحية والهندسية ... إلخ .

وكانت الجامعة تقتصر على خدمة الجانب الروحى فلما جاءت الثورة وشرعت فى إصلاح كل الجوانب تناولت الأزهر ، وأول من اهتم بإنشاء جامعة الأزهر الحديثة وفتح الكليات العملية بها كان الرئيس جمال عبد الناصر وبتوجيهات سيادته أنشئت الكليات التى تخدم الجانب المادى الإنسان من زراعة وهندسة وطب ... إلخ .

ومن أكبر ما اهتمت به الجامعة تنشئة الفتاة المسلمة فأنشئت كلية البنات بشعبها المختلفة من علوم إسلامية وطب وأدب وترجمة فورية وفلسفة وعلوم تربوية وعلم النفس وتأمل أن تكون هذه الكلية نواة لجامعة إسلامية للبنات .

أما الغرض الأساسى للجامعة فهو توثيق العلاقة بين الناس فى ظل الدين .

وقال المندوب : لاحظت أن رئيس الحكومة السيد زكريا محيى الدين أشار فى خطابه أمام البرلمان إلى تنظيم الأسرة وتحديد النسل . فما سر هذا الاهتمام المفاجىء ؟ .

ج - ليس هناك سر ولا مفاجأة فإن الاهتمام بهذه الجوانب قبل الثورة كان ضيق الحدود . أما بعد الثورة فإن التعليم توسع وأصبح العلم مباحا لجميع أبناء الشعب لتضخمت نفقاته .

كذلك كان هناك قبل الثورة فروق ضخمة بين الطبقات فطبقة سادة وطبقة عبيد ، وهذه الصورة انتهت بعد قيام الثورة التى عملت على تحقيق العدالة الاجتماعية ، ورفع مستوى المعيشة لم يكن معروفا قبل الثورة أما بعدها فقد أصبح هدفا رئيسياً فزادت احتياجاتنا مما اضطرنا إلى العناية بمواردنا لنزيد دخلنا .

أما عن تحديد النسل فإن إماما من أئمة المسلمين وهو حجة الإسلام « الغزالى » قال منذ حوالى تسعة قرون : « إذا كانت الزوجة تخشى على رشاقتها من كثرة الحمل مما قد يؤثر على علاقتها بزوجها فلها دينا أن تحدد نسلها وذلك لكى تظل العلاقة بينها وبين زوجها وثيقة » .

كذلك فإن كثرة الأولاد ترهق الزوج بكثرة المطالب فإذا أبيح للزوجة أن تحدد النسل لحفظ رشاقتها فإن لها أيضاً أن تحافظ على علاقتها بزوجها بتحديد النسل لكى لا ترهقه ولكى تتمكن من تنشئة أولادها تنشئة سليمة .

وقد روى عن بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهم أولئك الذين كانوا مقربين إلى الرسول) قولهم : « كنا نعزل على عهـــد رسول الله » وهذه أصح طريقة لتحديد النسل وهى خير من المستحضرات الطبية المعدة لمنع الحمل .

والفقهاء يشترطون فى العزل رضا الزوجة مراعاة لحرية المرأة .

ولمثل هـذا أنشأنا كلية البنات بجامعة الأزهر لتفهم الطالبات الحقائق الفقهية .

ومن الخطأ أن نعلل تحديد النسل بأسباب تتعلق بالرزق فالمسلمون يؤمنون أن الله ضمن إطعام الناس . ويمكننا أن نعلل تحديد النسل بعدم القدرة على تربية الأولاد أو المحافظة على الزوجة . أما بالنسبة للطعام فعلينا أن نهاجر إذا ضاق (لم يكن متوفراً) الرزق .

س ـ هل من تقاليد الإسلام ضرورة لبس العمامة ؟ .

ج ـ الإسلام لا يتقيد بزى خاص فالناس أحرار فيما يلبسون والبيئة لها حكمها فى هذا الشأن فهل يتصور أن سكان خط الاستواء مثلا يمشون عراة الرءوس ؟ .

وهل يستريح رجال السودان والمناطق الحارة لرباط الرقبة فى شهور الصيف ؟ .

إن الأزياء تتبع فى الحقيقة الجو والبيئة أكثر مما تتبع الأحكام والشرائع .

تصحيح فى فتوى :

تلقت لجنة الفتوى بالأزهر سؤالا عن زكاة أسهم جمعية البترول وكذلك أسهم الشركة القومية للأسمنت .

وقد كتبت اللجنة فتواها فى هـذين الأمرين ، ولكن الفتوى كانت بحاجة إلى شىء من التحرى قبل إصدارها وظهورها .

ونشرتها مجلة الأزهر فى عدد رجب وشعبان وفى الفتوى المنشورة أن الزكاة فى أسهم الشركتين هى ربع العشر وذلك صحيح .

ولكن السهو الذى وقع هو تحديد الزكاة بعام واحد فقط قبل القبض لاعتبار الأسهم دينا وذلك هو السهو الذى وقع والصواب أن الزكاة واجبة عن الأسهم كل عام لأنها من قبيل عروض التجارة المعـــدة للاستثمار وليست من قبيل الدين والله تعالى أعلم » .

* * *

تصحيح نسبة بيت :

لفت نظرى القارىء الفاضل « الطاهر أحمد مولانا » إلى أن البيت الذى ذكرته فى موضوع الجانب العلمى القرآن من إعجاز القرآن الكريم نسب خطأ إلى شوقى وهو للإمام البوصيرى رحمه الله والبيت :

كفاك بالعلم فى الأمى معجزة
فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

عبد الرحيم فودة

وزير لشئون الأزهر :

● أصـــدر الرئيس جمال عبد الناصر القرار التالى :

يتولى السيد / عبد الفتاح حسن وزير الدولة مسئوليات وزير شئون الأزهر المنصوص عليها فى القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ « وهو القانون الخاص بإعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها » .

وصدر القرار برياسة الجمهورية فى خمسة عشر من شوال سنة ١٣٨٥ هـ — ٥ / ٢ / ١٩٦٦

● تم إعداد اللائحة الجديدة لقانون تطوير الأزهر . وستحدد اللائحة اختصاصات الأستاذ الأكبر ، ووزير شئون الأزهر ، ومدير الجامعة الأزهرية ، والأمين العام للأزهر وكبار المسئولين كما ستتضمن قواعد جديدة للعمل بها فى المعاهد الأزهرية وجامعة الأزهر ، وتشمل كذلك حلا للمشكلات التى واجهت العمل فى بعض الإدارات منذ صدور قانون التطوير .

● استقبل الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وفدا من جنوب إفريقيا ، وقد أخبروا فضيلته بإعلان إسلام عدد كبير من مواطنيهم . وطالبوا فضيلته أن يمدهم بكتب إسلامية باللغة الإنجليزية ، وقد وعدهم بطبع كتب إسلامية بالحجم الصغير تتناول جميع الفرائض لتوزع فى إفريقيا .

● رعاية الشباب والتربية الاجتماعية بجامعة الأزهر نظمت مسابقة فى القراءة الحرة هذا العام لجميع الكليات ، وقد فاز خمسة وأربعون طالبا بجوائز بلغت قيمتها ثلاثمائة جنيه .

● بدأ فى ١٣٨٥/١٠/١٥ برنامج تعليم اللغة العربية بالإذاعة ويوجه إلى المتكلمين بالإنجليزية فى الهند وباكستان وإفريقيا الشرقية والغربية ، وقد تم توزيع خمسة آلاف نسخة من الكتب المعدة لهذه الدراسة أرسلت بالطائرة إلى مختلف البلدان الموجهة إليها .

● أعد المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مشروعا لكتابة السيرة النبوية مفصلة بتوسع كاف وذلك للانتفاع بها فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى وترجمتها إلى مختلف اللغات الحية ، وقد قسمت السيرة إلى واحد وعشرين قسما . سيصدر كل قسم فى مجلد .

● صرح الدكتور سليمان حزين وزير الثقافة بأنه تم الاتفاق على إنشاء مؤسسة عربية للطباعة والنشر فى المنطقة الحرة بمدينة بور سعيد برأس مال مشترك بين الجمهورية العربية المتحدة والكويت قدره مليونان ونصف مليون جنيه مناصفة بين البلدين لإنشاء مطابع على أحدث النظم العالمية .

وستكون مطابع المؤسسة فى خدمة البلاد العربية ، والاشتراك فيها مفتوح لهذه البلاد لتستطيع أى دولة عربية المساهمة بزيادة رأس المال . ومن أهم أهداف هذه المؤسسة خدمة المتعلمين والمثقفين فى البلاد العربية والإفريقية ونشر التراث العربى وإعداد المعاجم والأطالس على مختلف المستويات . وسيشرف على المؤسسة مجلس إدارة مشترك من الكويت والجمهورية العربية المتحدة .

● تضمنت الخطة الخمسية الثانية للجمهورية العربية المتحدة اعتماد مليون ومائة وأربعين ألف جنيه لمشروع المؤسسة العربية الإسلامية ، ويهدف هذا المشروع إلى تحقيق التوسع فى تعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية فى بلاد آسيا وإفريقيا كما يهدف أيضاً إلى مساعدة أهالى تلك البلاد بتيسير علاجهم .

وسينفذ هذا المشروع الضخم عن طريق إقامة مبنى فى البلد الذى يقع عليه الاختيار للتنفيذ على أن يتضمن المبنى مسجداً ومعهداً دينياً ووحدة صحية ومكتبة .

وسيتم تمويل المشروع من الأموال الموقوفة على التعليم والعلاج .

● كذلك يدرس المسئولون مشروعا بإنشاء مراكز دائمة لتحفيظ القرآن الكريم فى بلاد العالم الإسلامى لتخريج أكبر عدد من حفظة القرآن من أبناء هذه البلاد وذلك عوضاً عن إيفاد القراء الذين يحيون شهراً واحداً فى العام هو شهر رمضان .

● اعتمدت وزارة الأوقاف ثلاثين ألف جنيه لتزويد مكتبات المساجد بالكتب الجامعية والمراجع العلمية والمؤلفات النادرة حتى يتيسر لطلبة الجامعات مراجعة دروسهم، ويجدون فرصاً أوسع للاستذكار وينفذ المشروع أولا بمدينة القاهرة فى مساجد: الإمام الحسين رضى الله عنه، وصلاح الدين بالمنيل، وعمر مكرم بميدان التحرير.

وقد تم اختيار مكتبات هذه المساجد بعد أن أعدت قاعاتها لتلائم حاجة المطلع على هذه الكتب كما زودت بالفنيين فى فهرسة المكتبات والأمناء المتخصصين والإضاءة الملائمة.

● التطوع بنقل الدم تجيزه لجنة الفتوى بالأزهر:

أجابت لجنة الفتوى بالأزهر عن سؤال وجه إليها من أمانة الهلال الأحمر عن رأى الشرع الإسلامى فى التطوع بنقل الدم ... قالت: إن التطوع بنقل الدم جائز بشرط أن تكون صحة المنقول منه قوية، وأن يكون الدم خالياً من الأمراض المعدية حتى لا تنتقل العدوى إلى غيره.

● بعثت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بمذكرة إلى حكومات الدول الأعضاء تطلب فيها سن تشريعات خاصة بمحو الأمية فى كل منها بما يتناسب وظروفها ثم إرسالها إلى الجامعة العربية فى موعد غايته ربيع الآخر من العام المقبل حتى تستطيع الأمانة العامة أن تنسق بين هذه التشريعات قبل بدء الحملة الخاصة بمحو الأمية بالبلاد العربية التى ستبدأ فى رجب القادم.

● يجرى مؤتمر أجهزة فلسطين بحثاً فى مسألة السماح للمسلمين من عرب فلسطين المقيمين فى إسرائيل بتأدية فريضة الحج مثلما يسمح للمسيحيين فى إسرائيل بزيارة الأماكن المقدسة فى القدس. . والنقطة التى يرتكز عليها البحث فى هذا الموضوع الخطير هو أن تنفيذ هذا الاقتراح معناه إمكان دخول المملكة السعودية بجواز سفر إسرائيلى.

● أجرى «تون عبد الرازق» نائب رئيس وزراء ماليزيا محادثات مع المسئولين اللبنانيين لبحث وسائل تعزيز العلاقات بين البلدين خلال زيارته للبنان التى تمت فى رمضان ١٣٨٥ هـ.

● افتتح فى مدينة فاكن بارو عاصمة منطقة ريو فى جزيرة سومطرة كلية تربية لتعليم الشريعة الإسلامية واللغة العربية. وبالمدينة نفسها كليتان للحقوق والعلوم الفقهية تدرس فيهما اللغة العربية والعلوم الإسلامية.

بعد افتتاح كلية التربية اعترفت الحكومة الأندونسية بأن هذه الكليات تشكل جامعة سومطرة الإسلامية إحدى جامعات أندونسيا.

● اعترفت الحكومة المحلية فى مونتريال بالمركز الإسلامى. وأدى ذلك إلى منح المسلمين حرية أداء الشعائر الدينية.

● تظفر المكتبة العربية بعد «السياسة» و «الأخلاق» لأرسطو بترجمة «الدراما» من مؤلفات الفيلسوف الكبير يقوم بالترجمة أحد أساتذة الأدب الإنجليزى بآداب القاهرة.

كذلك يصدر كتاب «تثقيف اللسان» لابن مكى الصقلى. تحقيق الدكتور عبد العزيز مطر، ويتناول الكتاب الكلمات العامية ومقابلها فى اللغة الفصحى، كما يتناول المصطلحات التى شاعت فى عصر ابن مكى.

● طلب سفير الجمهورية العربية المتحدة فى المجر إمداده بشروح لتعاليم الإسلام باللغة المجرية، وذلك بعد أن تقدمت خمس فتيات مجريات برغبتهن فى اعتناق الإسلام.

فهرس أبجدى عام
لموضوعات المجلد السابع والثلاثين

الموضوع	الصفحة
(أ)	
الإنسان بين طموحه وجموحه	١٤٧
أبعاد فى الأدب العربى	٤٦٦
ابن رشيق الناقد الشاعر	٢١٧
أبو معشر البلخى	٥٤٧
إنيين دينيه : ناصر الدين	٢١٥
أثر الأزهر فى الحركات الشعبية	٤٧٢
أثر الحضارة الإسلامية فى رقى البشرية وسعادتها	٥١
أثر المسلمين فى القانون الدولى	١٥٤
اختيار العمال فى الإسلام	١٩٠
الأخوة الفتيان صورة من اشتراكية الإسلام	٢٣٦
آداب الحج	٥٠٥
الأدب بين قديمنا وجديدهم	٣٤١
الأدب الإسلامى حقائق ونماذج	٤٧٦
الأدب الفاحش	٢٣٣
الأديان السماوية والنقد الحديث	٣٠٢
الأزهر بين القديم والحديث	٣٤٥
أسباب الخلود والحفظ فى الشريعة ذاتية ...	٤٩٩
استثمار الأموال فى الإسلام	٢٢
الأسرة بين الشريعة والميثاق القومى ...	٤٤٧
الإسلام والعلاقات الإنسانية فى مجال العمل	٤١٠
الإســلام والمجتمع	١٦٨
الإسلام والمسلمون فى شرق أفريقيا «كتاب»	٤٩٠
أصداء الدين فى الشعر المصرى الحديث «كتاب»	٢١٨
أضواء القرآن تعشى أبصار المكذبين ...	٤٤٢
إلى أى مدى تتغير الأحكام الشرعية بتغير الأزمان	١٤٤ / ٢٤٤/ ٣٠٥
أما آن لابن آدم أن يعقل ؟	٤٣٣
أم القـــرى	٥٠٢
(ب)	
بحث فى الإيمان والإسلام	٢٧٢
البعث والجزاء	٤٤٤
بعيدا عن جلسات المؤتمر	١١٥
بكورة الفتاة «فتوى»	٢٧٩
بناء المسجد يجوز من غير مسلم «فتوى»	٣٦٢
(ت)	
تأثير التوابع والزوابع فى رسالة الغفران	١٧٠
التــأمين	٧٩/ ١٥٦ ، ٢٦٨/ ٣٥٣ ، ٤١٦/ ٤٧٨ ، ٥٤٣
التحرر من الجوع	٢٨٤
تحية شهر رمضان	٢٧١
تراثنا الإسلامى	١٨١
تربية الشباب على مبادىء الإسلام ...	٣٩
تصوير المعارك الحربية فى شعر البارودى	٥٣٧
التعليم الإسلامى فى أفريقيا	١٩٦/ ٤٢١
تقلبات الإنسان فى سرائه وضرائه	٢٣٤
تلحين القرآن	٤٩٥
تنظيم النسل	٦٨
توصيات الفترة الأولى (مؤتمر)	١٢٣

الموضوع	الصفحة
(ج)	
الجانب العلمى من إعجاز القرآن الكريم	٤٠٤
الجبال فى القرآن الكريم	٤١٣/٢٤٠
جزيرة الروضة فى التاريخ	٢٨١
الجن فى القرآن الكريم « فتوى »	٢٧٩
(ح)	
الحج فريضة اجتماعية	٤٩٧
حرية التفكير والتعبير فى الإسلام ...	١٣٨
الحضارة العربية	٢٠٩
حقوق العمال فى الإسلام	٣١٢/٢٤٧
الحقيقة فى مشكلة فلسطين	٢٩٦
للكاتب الهولاندى . ف . ه ليونارد	٤٠٧
الحياة الأدبية فى مصر سيف الدولة الحمدانى	٢٠١
(خ)	
الختان وقاية من أمراض سرطان الرحم (نبأ)	٢٢٤
(د)	
الدراسات الإسلامية وعلاقاتها بالتشريع القانونى	٣٥
دراسات حول القرآن الكريم	٤٥٠
الدعوة إلى المؤتمر	٤
الدنيا كأرض تزدهر ثم تقفز على غير انتظار	٥١٢
(ذ)	
الذبح بالآلات الحديثة جائز (فتوى) ...	٢٢١
(ر)	
رأى الإسلام فى جرائم « الإخوان » ...	١٢٩
رأى العقاد فى العقيدة الدينية	٥١٨
رحلات الحج فى العصور الوسطى	٥٠٨
الرجال الجوف فى الأرض الخراب ..	٣٠٨
رمضان فى العالم الإسلامى	٣٩٦
الروحية الحديثة تلبيس من الشيطان ...	٢٠٥
(ز)	
زكاة الفطر عن الشخص الواحد (فتوى)	٤٣١
زيارة وفد السودان لمصر (قصيدة) ...	٤٦٥
(س)	
سر النصر فى بدر	٣٨٥
السلام فى الإسلام	٥١٥
سلطة الشعب فى رأى عمر	٢٣٠
(ش)	
شبابنا المثقف أمام الإيمان والتدين ...	٣٣
الشيوعية الملحدة (فتوى)	٢٢٢
(ص)	
الصراع الأدبى (كتاب)	٢٦٠/١٧٦
الصدقة فى الإسلام	٩٠
صقلية والنشاط العلمى	١٨٣
الصمت فى الأديان	٣٩٣
الصوم شريعة عامة بين البشر	٢٧٩
الصوم طاعة وتربية	٣٩٠
(ط)	
الطريقة الحديثة لعرض الأدب	٢٨٨
(ع)	
عبقرية إمام (أبى حنيفة)	٣١٩
عظمة المهاجرين والأنصار	١٥١
العلم لا يغنى عن الدين	٣٤٨
عوامل انتشار الإسلام فى الهند	٥٣٤
(ف)	
الفاروق القائد (كتاب)	٣٦٣
فجر الفكر الإسلامى فى مصر	١٦٥

الموضوع	الصفحة
الفراغ النفسى عند الشباب	٢٥٣
الفكر الدينى فى مصر	٢٦٥
الفكر السياسى فى الإسلام	٤٨٦
فلسطين وإسرائيل	٦١
الفلسفة الجينية	٣٢٤/٤٥٤
(ق)	
قرارات وتوصيات الفترة الثانية للمؤتمر ...	١٢٥
قصة الطوفان	٥٢٣
قضية المرأة	١٦١
(ك)	
كفاح الرسول عليه السلام فى سبيل الوحدة والإخاء	٤٣٦
كلمة الإمام الأكبر فى افتتاح المؤتمر الثانى	٩
كلمة فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الله غوشة ...	١١
كلمة السيد الدكتور الأمين العام للمجمع	١٢
كلمة السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية	١٩
كل ما فى البخارى صحيح	٥٢٩
كيف مهد الأدب للثورة وبشر بالوحدة ...	١٣٢
(ل)	
لألاء القمر (ديوان شعر)	٢٧٥
لا تظلموا ابن عباس	٤٥٩
لحن لم يتم	٥٢١
لا صوم لبخيل	٣٨٢
لماذا يقدس المصريون الخبز؟	٢٢٥
(م)	
المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية ...	١
ما لا بد منه للفقيه	٢٨٦
المبادىء المثالية فى الإسلام	٣٦٩

الموضوع	الصفحة
المجتمع الاشتراكى فى ظل الإسلام ...	٤٣٨
محمد رسول الحرية	٢٥٧ / ٣٢٩
محمد رسول الحرية ليس كتاب سيرة ...	٣٩٩
المراغى فى ذكراه	٣٨٧
مظاهر الحضارة الإسلامية — — —	٤٢٧
المعاملات المصرفية المعاصرة — — —	٢٨
مقومات الحضارة الإسلامية — — —	٤٣
مكانة الأسرة فى الإسلام — — —	٢٥١
مناقشات المؤتمر — — — — —	١٠١
من الإمام الأكبر إلى حكومتى الهند وباكستان	٢١٤
ممن تطلب الحاجات (قصيدة)	٢٥٦
من مساجلات القرآن فى الإقناع بالإيمان والعمل به	٣٧٧
المواسم الإسلامية وصداها فى الشعر الحديث	٢٣٦
(ن)	
نظرات فى فقه عمر — — —	١٣٥ / ٣٧٤
نظرة جديدة فى الفلسفة الإسلامية — —	٣٥٨
نعم الله علينا تقتضى الإيمان به — —	٢٩٣
(هـ)	
هبة المرأة نفسها لرجل ليست زواجا شرعيا (فتوى) — — — — — — — —	٢٧٨
هل سمى النبى صلى الله عليه وسلم أحمد بعد وفاته	٢٢٢
هيئة الأمم فى رأى الأستاذ الأكبر بمناسبة عيدها العشرين — — — — — —	٢٨٨
(و)	
واجبات العمال فى الإسلام	٤٦٩
(ى)	
اليهود فى الأندلس	٥٤٠

thought to greet the new day with an open mind and a strong heart. The Light of Islam is shining through the mists of a fresh dawn and it is this very light which has given inspiration to the enslaved peoples of the world, encouraging them to set themselves free from the influence of dominating foreign powers and the evils of iniquity. Islam is not a dead religion as some would have us believe, but a live and vigorous faith just awakening to its true destiny, the destiny of a world religion. . . for Islam is not for one race or one people, one country or one continent, but for the entire world. Islam holds out its arms to everyone and welcomes all in a warm embrace of love, a love that recognises every people as the sublime creation of Allah, The Magnificent and Only God.

With a new day comes new ways, which to the older and orthodox people, may seem unsuitable for a Muslim but if these ways do not go against the teachings of the Qur'an and Mohammad (may peace be with him) then how can they be wrong ? For in the Qur'an lies the answer to man's every need and Mohammad is the perfect example, for all to follow. By new ways I do not mean a laxity of morals or how men, after having worn basically the same dress satisfactorily for over three thousand years, suddenly want to change it as being impractical. Or such things as the continual shortening of women's skirts just for the sake of fashion so that when a woman sits down she often shows an expanse of thigh, this is in the worst of taste and quite un-Islamic. In woman's sweet flush of freedom she is now no longer the woman of mystery but has become an open secret to all. Here lies a great danger to Islam as for thousands of years the important role of woman, as that of man, has heen understood and they have been a perfect balance for each other, destroy this natural balance of nature and you destroy society — men and women were created by Allah as compliments to each other, om and mega, but not the same. Equality of *rights* is essential, equality of *sex* is an impossibility. Physiologically, anatomically and psychologically the 'two sexes' are completely and utterely different. In their fight for liberty women lose sight of this unescapable fact and the slögan becomes simply "Equality of Sex", when and if this happens there is sexual chaos as both men and women are forced out of their natural sphere to wander in a negative land artificially created.

knowledge of this lies in the Quran which is humanities only hope of sanity after wandering so far from a spirituality and into a mad materialness leading to nuclear oblivion. Some people ask why should we believe in the Quran or how do we know it is true, these are honest questions and the answer can be arrived at by simple logic.

Accepting that Allah is the One God, we must also accept that He is both transcendent and immanent. Transcendent in the fact that He is complete and whole apart from us, whether we exist or not makes no difference to His being, we neither subtract nor do we add to His majesty. He is One, independent of all known things to man, above and beyond all conceptions of man... for how can the infinite be held by the finite mind? As Allah created us and gave us life He is, therefore, immanent too; for as nothing can exist without His will then it follows that we are contained in His will. Thus His holy presence must pervade everywhere and in everything.. for All matter is a form of life.

Granting these things, we must also grant that Allah must have love for us-for why should He create something that is hateful to Him, and if He has love for us then is it not reasonable to suppose that He would try to help us in some way? Does not even a mere man help his son? Thus we can understand why the Qur'an was given to us through the Prophet (may peace be with him), for if we wish to know something pertaining to the arts and science then we consult the appropriate book, this is the natural thing to do and we consult the book we know is written by the best authority on the subject. . . so if we wish to know about Allah, then what better book could there be than the Qur'an and what better authority than what has been revealed to Mohammad.

The Qur'an is not a static monument to a dead past but a living source of truth originating in an Arabic era that gave us a magnificent inheritance, an inheritance that should not be lightly cast aside as worthless. The words of the Qur'an are as full of meaning today as they were for our forefathers, they are the Words of wisdom sent from Allah for all peoples. . . as such they are beyond time for they were conceived out of time for all time. Then the world opens up before us as, being one with life, it welcomes us as part of it and not alien to its nature. Mohammad (may peace be with him) attained this stage, and far more, becoming the last greatest prophet of all and though a man he he was such a man like there has never lived and never will . . . for he is the chosen and most blessed from all men through whom Allah purified His worship with the religion of Islam.

(4)

Islam, today, is like a man awaking from a deep sleep and in truth it has been a long dark night for Islam, but now the dawn is here and once more Muslims are holding their heads high in freedom and independence of all, except Allah. For many years Islam has lain dormant but now has risen up from its bed of captivity in rigid

them as there is much that is harmful and dangerous, the Western people have lost a lot in their struggle forward and their society is now unbalanced and out-of-phase with the natural way of life, they have luxury but not contentment. I think this is mainly due to the last two wars, the industrial revolution, the equality of sex and, most of all, the loss of faith in the Christian Church ... it is a poor fact that most poeple go to church three times in their life, once to be christened, once to be married and the last time to be buried. Without roots a tree will fall and so will any civilization, no matter how advanced they may be, that rests on shifting sands of of doubt and disbelief. But Islam has strong roots in Allah's soil and if we study their immortal principles then from these roots will spring forth the Tree of Eternal Faith deep within our souls, its beauty will refresh us, its strength shelter us, its fruit be food for our spirit and its spirit our strength.

This is why every Muslim of every country should study and know their religion but also their language, Arabic; for Arabic is part of our heritage as well as being the language of the Quran. A holy language, for was it not in this that Allah revealed the Qur'an? The two are an inseparable key to understanding the world about us and with this the barriers between are broken down, casting out suspicion we come to really know each other in unity and brotherhood and on this sound base can be built the towering edifice of Islamic science. All Muslims have a common faith and a common language, which equals a common purpose - Islam ; and if we know our purpose we know how to lead full lives fitting to Allah's creation and therefore, pleasing to Him.

Throughout the years man has sought knowledge and he learned well, one has only to look at the old monuments and manuscripts still in existence to see this fact, they are an inspiration to us all as they were to the men of that day and we can still learn from these wise men ... though many of their secrets are buried with them they bequeathed to us the superb spirit of enquiry. To ask WHY ? This is the important little word that opens the universe to man - but only if he is fit enough to take it, for it is true that man must first know himself before he can know. It is no good having knowledge if we do not know how to use it, the most brilliant scholar is lost against the wise man who lives within the harmonious rythm of life - for this man has an understanding which is beyond the bounds of the scholar's comprehension.

(3)

To attain this state one must have faith, which is something often lacking in the world today, but it is a neccessity for without it man is lost in a labrynth of such complexity he will never find his way out. In man's mad rush into the realms of science he has ignored the most important realm of all, the realm of the spirit. It is here that Islam stands supreme. Man must learn that the material and the spiritual go hand in hand, without the one the other is helpless, together they form the perfect pair... a pair which all men must obtain. The

To visit the ancient land of Egypt has always been a desire of mine, it's historic story has long fascinated me for there is so much of man's past here and the whole world knows of Egypt's fabulous treasures, indeed the entire country is one land of treasure. The wonder of the Pyramids is famous and when I first saw them I felt a strong sense of timelessness; so many years have passed since they were built and still they stand, 'mid sand and sun, a majestic and mysterious monument of a lost age that built with heaviest stone as if it were lightest floss. Now I found a modern Egypt, The United Arab Republic, fast building it's resources so that once more it is a strong nation and a fitting partner in the Arab world. It's President, Gamal Abdul Nasser, has proved himself a supreme leader of his nation by winning the respect of all. Allah willing, the U. A. R. cannot fail in its mighty surge forward to prosperity and peace... for its people have a will forged over the years in their fight for freedom.

I arrived in the U.A.R. at port Said, the scene of bitter fighting between our countries, and from the moment of landing I found only kindness from all I met - really, I felt I was coming home. The friendliness of the Egyptian people is overwhelming and I found a special and dear friend in H. E. Al - Sheikh Bakouri. The first time we met I felt rather shy for his fame and reputation preceded him, but his kindly informal greeting soon made me respond and I felt a great attraction towards this warm personality; indeed he has proved himself a true friend and I shall always be grateful for the honour of knowing him.

Egypt has such a long history that one cannot fail to laern just by being in the country, but the centre of learning is Al-Azhar, this oldest university in the world has been known for over a thousand years as the focus of Islamic thought and its name is renowned for the part it has played in Islamic history. From every Muslim land come men and women to study here and 1, too, came to study the Arabic language, theology and philosophy from its learned men. It is not easy and there is much to learn, but if one has the will, then all is won, Allah willing, and one has the wonder of learning something new abcut the oldest religion of man.

(2)

Al-Azhar and other universities offer us a great deal, we must take what they offer and learn well for knowledge brings power and this we must have if we are to survive in a mainly hostile world, for life is an endless fight in which the weak are at the mercy of the unscrupulous. It is knowledge which gave the West their great strength and while much of what we learn comes from them, we should always remember that what they have is based on what Muslim scholars gave centuries ago when Europe was going through the so called "Dark Ages". At that time it was to the Muslim universities European students came to drink from the fountain of knowledge and learn what they could not find in their own countries and, it was on that knowledge only, their present civilization has grown to its fantastic strength.

If we would progress we must also use discrimination in what we learn from

My Experience of Islam

THE RIGHT PATH

(4)

By : Raschid Ansari
(Robert Wellesley)

Before I left I wrote to Karachi telling of my decision and accepting their invitation to stay and study Islam if ever I became a Muslim, while I waited for a reply I lived with some good friends in Mardas and it was there I had the pleasure of meeting my first Egyptian, Prof. Ahmed Sharkawi of Al-Azhar University, to whom I told my story. One day as we were walking to the mosque, where he had shown me how to pray in Muslim fashion, he suggested it was an appropriate time for the ceremony of accepting me into the Muslim faith and so, in front of the Chief Khazi and gathering of people, I nervously recited in Arabic " There is no God but Allah and Mohammad is His prophet" ; then I stumbled through the opening chapter of the Qur'an, "The Fatihah", and became from then on Raschid Al-Ansari, a Muslim. My heart was far too full to speak as they all croweded round to congratulate and welcome me into Islam, it was a moment of joy that comes rarely in a man's life and, in a way, I felt that was what I had just become... a man.

The Ending

(1)

Really there is no ending, one can but bring to a close certain events. In 1963 I returned to England only to find I was a stranger in my own country, I was no longer an Englishman... I was a Muslim, and I thought and acted like one. Too much had happened since I had been away for me ever to return to the normal Western way of life, I was not at ease and always my ear was listening for the "Azan", the call to prayer, but all I heard was The Beatels or some outlandish group of juveniles wailing a prehistoric melody. It was both strange and sad, my mother was my consolation when she became a Muslim with the name of Miriam and when I told her I was returning to the East she wanted to come very much, unfortunately her delicate health made such a journey impossible. So once more I left England and came to the East, but this time as a Muslim returning to his own people.

be a mark of the begining encircling Ka'aba. The next step is running between Safa and Marwa seven times begining with Safa and ending with Marwa. Then the pilgrim starts for going to 'Arafah or Arafath', provided he reaches his distination on the ninth day of the Dhul-Hijjah. The devotion of standing at Arafath is the most important of all pilgrimage actions, so that the prophet is reported to had said : « الحج عرفة » (Pilgrimage is standing at Arafah). When the pilgrim leaves Arafah, he passes by the place known as "Al-Muzdalifah" which is referred to in the Holy Quran as the Holy Monument. The pilgrim reaches the area of 'Mina' on the morning of the tenth day of the month Dhul-Hijjah which is called "Yawm al-Nahr" or the slaughter Day, in which the pilgrim casts seven stones known as "Jamrat al-Aqaba."

Throwing these stones, the pilgrim now is allowed to shave or cut short his hair. He is able to slaughter his offering if that is required of him. Then, he goes round Ka'aba in seven circuits called Tawaf al-Ifada. But when the pilgrim intends to go back home he has to go round Ka'aba again as a farewell to the Sacred House. It is called : « طواف الوداع » (The Farewell circuits). By farewell circuits the pilgrimage ends and the pilgrim returns back home whith heartfelt pleasure and satisfaction.

« وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب » .

(And whatsoever good ye do Allah Knoweth it. So make provision for yourselves (hereafter); for the best provision is to ward off evil. Therefore keep your duty unto Me, O men of understanding).

(*Continued from page 8*)

would be to make others share the attributes of God and to lose the basic conception of the Unity of God.

What ever may be the degenerate practices in the Muslim world today, the Quran strictly forbids such appeals for help to any god or angel or intercessor, and Muhammad himself proclaimed over and over again that he was but an ordinary being, like everyone else, and no more than a mere messenger of God, as there had been innumerable messengers before him. Just before his death also he uttered a severe warning against worship of his grave. And a reminder of this was given dramatically by Abu-Bakar, Muhammad's successor as the head of the Muslim community, when Muhammad died. Even those who should have been fully enlightened by their long association with Muhammad were naturally prostrate with grief and desolate. Abu-Bakr himself was no exception, but he also realised the danger to the young Muslim community from an undue feeling of helplessness at the loss of the leader, who was Prophet. He therefore pulled himself together and addressed those present. "Let him", he said, who worshipped Muhammad know that Muhammad is dead; and let him who worshipped God remember that God will never die".

Pilgrimage, moreover, may be considered a world conference for all Muslim nations ; a Congress that is called for by God, the Almighty, for the noble purposes. There around and inside the Sacred House, the Muslim meet his brothers-in-religion from all world continents. There will be no distinction between the one and the other. Differences of colour, race and nationality are levelled off, and the real bond between the muslims is sincere brotherhood.

In the congress of pilgrimage Muslims forget all national and international disputes. The Scholars of Islam realized the opportunity of their gathering for pilgrimage to exchange ideas. Caliphs, in the past used the season of pilgrimage to meet their subjects from remote places and investigate their problems. This pilgrimage is to be perfomed in the first nine days of Dhul Hijjah. The Holy Quran honours the months of pilgrimage and calls them the Sacred months because fighting, war and agression were prohibited in these months since the building of the Sacred House.

« الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج » .

(The pilgrimage is (in) the well-known months, and whosoever is minded to perform the pilgrimage therein (Let him remember that) there is (to be) no lewdness nor abuse nor angry conversation on the pilgrimage). The months of pilgrimage are Shawwâl, Dhul-Qa'dah, Dhul-Hijjah and Muharram. This tradition was meant to give security to the pilgrims and visitors to Mecca. The Holy Quran Says :

« إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم. »

(Lo ! the number of months with Allah is twelve months by Allah's ordinance in the day that He created the heavens and the earth. Four of them are sacred : that is the right religion...) 9 : 36.

Besides this temporal sacredness, there is a sacredness regarding the locality of the sacred House "Ka'aba" and the Sacred town "Mecca" which extends over to include even the trees and animals of the area. So these sacred months are considered as a "truce" for all humankind.

There are basic actions and devotions to be performed in pilgrimage according to the order and system which was performed by the prophet. The first thing to be done in pilgrimage is the entry into the state of pilgrimage or "Ihram." Ihram has two aspects : the first is to declare the intention to perform pilgrimage for the sake of God. The intention combined with casting off all seamed and sewen clothes, shaving the head and shunning all kinds of luxury, ornamentation, obscene talk and offences. The second aspect of Ihram is the call of Talbiya'. Entering the state of ihram the pilgrim shall raise his voice and say :

« لبيك اللهم لبيك » . (here I am, O my Lord at your presence). This is a sign of obedience to show that the pilgrim is resigning himself completely to the ordinances of God ; that He, the Almighty is the sole Owner of kingdom and favours and that to Him only is the praise and gratitude. When the pilgrim reaches Mecca, goes to the sacred Mosque and goes round it seven times for salutation begining from the side of the Black Stone. This stone is an ordinary one put by the prophet Abraham in its specific place to

THE SIGNIFICANCES OF "HAJJ"

By : A. M. Mohiaddin Alwaye

Pilgrimage, is a unique journey through which the muslim reaches, with his soul and body, "the land made safe" (Mecca). There the visitor goes round the sacred House (Ka'aba), which is the symbol of the unity of Islam and Muslim. Every muslim should face the direction of "Ka'aba" every day in his prayers, and should visit and go round it once in his lifetime.

" Ka'aba " or the ancient house, as it is sometimes called in the Quran, is the first place of worshisp for mankind. It was built by the prophet Abraham, and his son the prophet Ismael. Abraham is known in history as the first enemy to polytheism,t he destroyer of idols, the symbol of unitarian faith, and the father of the upright religion " hanifiyya ". No wonder that Abraham is linked to the Muslim nation with strong bonds. The Holy Quran Says :

« ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » .

(Abraham was not a Jew, nor yet a Christain, but he was an upright man who had surrendered (to Allah), and he was not of the idolaters) III : 67. Under such spiritual and historical considerations which attach Muslims to the Sacred House and its first builder Abraham, God, the Almighty, enjoined pilgrimage on every Muslim who is able to perform it. The Quran Says :

«إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين. فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ... »

(Lo ! the first sanctuary appointed for mankind was that at Becca a blessed place, a guidance to the peoples. Wherein are plain memorials (of Allah's guidance); the place where Abraham stood up to pray ; and whosoever entereth it is safe. And pilgrimage to the House is a duty unto Allah for mankind, for him who can find a way thither...) III : 96,97.

The pilgrimage was enjoined in the ninth year after Hijra. The first objective of all kinds of worship is obedience and gratitude to God. They are prescribed for our happiness here in this life and in the life to come. The Quran Says :

« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات ...»

(And proclaim unto mankind the pilgrimage. They will come unto thee on foot and on every lean camel, they will come from every deep ravine. That they may witness things that are of benefit to them, and mention the name of Allah on appointed days....) XXII : 27,28

Pilgrimage is a spiritual provision for the Muslim. It fills his soul with obedience, fear of God, repentance from sins, love for the memory of the prophet and the early believers who helped him, and brotherly feelings. Pilgrimage also is a real education by travel, and thus it adds to man's knowledge and experience.

worship and who is deserving of worship. The unity of God is thus finally and firmly established and worship of anyone other than the One God is barred once for all. A common form of worship is to bow and to place one's forehead on the ground. The Quran restricted this to worship of God alone and severely forbade its practice in relation to anyone else. That those who call themselves Muslims do prostrate themselves today at tombs of saints all over the world is merely a sad commentary and how far we have strayed from the teaching of the Quran and what a sorry and distorted picture of Islam we present to the world.

The conception of Unity to be found in different religions of the world can be classified into three kinds :

1— Unity of Being'. God is one and unique.

2— Unity of Worship'. God is entitled to worship and we must all bow before Him.

3— Unity of Attributes'. Not only is God one and entitled to worship, but all the attributes through which God manifests Himself belong to Him alone and none else shares those divine attributes. To make anyone else share any of those attributes with God is to give God partners and to destroy His unity.

Unity of the first two kinds was found in all the older religions, but the third kind was peculiar to Islam. By emphasising the Unity of Attributes, the Quran perfected the conception of Unity. Many gods were worshipped but there was also allegiance to a Supreme God. It did not occur to one to ask how it was possible to worship more than one God because the Unity of Attributes did not form part of the conception of Unity. This was the ease with Arabs also before Islam was revealed to them. If they were asked who created the world and the heavens they had no hesitation in replying that it was Allah. Nevertheless they also worshiped not only numerous gods but also men in high spiritual authority, not because the latter were gods but because they were the 'go-betweens' through whom alone one could reach God. Just as one could not approach a king directly but had to go through several other persons, it was felt that there must also be channels for approaching God, These channels or sponsors were referred to as angels among the Semitic races and as gods among Aryans. Men in high authority, Saints and priests, who were supposed to be the means of communicatiod with God, were also considered worthy of worship. The Quran by emphasising the Unity of Attributes, swept aside all these notions and proclaimed that man needed no sponsors or intercessors to reach his God; He answers all who call upon Him with a true and faithful heart.

It is therefore not only unnecessary but a denial of the Unity of God and of Divine Mercy and Guidance to beg for any spiritual help except from God. There often comes a time in one's life when one has exhausted all avenues of material assistance and feels helpless. It is at such times that man intinctively calls upon gods, angels and saints for help and comfort. The Quran Says that such assistance must be asked for from God and from no one else, for to do so

(Continued on page 11)

So, just as man needs the protection of God the Preserver and the grace and bounty of God the Merciful, he cannot do without the divine quality of justice, which makes for organised good life and elininates, or at least minimises, the elements of harm and mischief.

What is justice but the avoiding of excess? There should be neither too much nor too little, hence the use of scales as the emblem of justice. What is existence but the coming together of certain elements in exactly the right proportions? What is body but physical matter in right proportion? Good health depends upon moderation in the sense that there is not too little nor too much of anything which contributes to the existence of the body; any slight deviation leads to sickness. Similarly, beauty is a state of moderation and correct proportion. It is this which makes the human form beautiful and a flower attractive, shapes a building into a Taj Mahal and transforms sound into muisc. We see the same law operating throughout the entire universe. The planets have their place and movement fixed by a correct balance between their respective gravities. If that balance were to be disturbed by ever so little the planets would crash into each other.

« والسماء رفعها ووضع الميزان »

(And the sky He hath uplifted; and He hath set the measure) LV : 7. If the entire universe is based on this balance of justice, it cannot be that human thought and action are outside that law.

« أفغير دين الله يبغون ، وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون » .

(Do thy seek other than the religion of Allah, when unto Him submitteth whosoever is in the heavens and the earth, willingly, or unvillingly, and unto Him they will be returned) III : 83. Contrariwise, the Qur'an refers to every misconduct and evil as a departure from justice or balance or proportion.

This attribute of justice completes the Quranic conception of God, and if it is mentioned after His attributes as the Preserver and the Merciful, it is to indicate the natural stages in the development of man's thought and his search for truth and reality. It is a Preserver that man's existence needs most visibly and immediately and to whom his thought turns first. Once this need is fulfilled and the conception of a Preserver firmly fixed, human thought moves forward and perceives the mercifulness of the Preserver. With the recognition of the Preserver who is also Merciful, man moves on to the last stage in his search and realises that there is an all-pervading Justice, without which indeed both Preservation and Mercy would be incomplete and defective.

« إياك نعبد وإياك نستعين » .

"Thee (alone) we worship and Thee (alone) we ask for help".

The basic conception of Islam is the unity of God. This conception is common to many religions, but the peculiar contribution of Islam is the emphasis upon and the full development of this conception. The Quran does not merely say that we worship God or that God is entitled to our worship. It goes further and says that it is God alone whom we

The Quran's Conception of God-VIII

By : Moulana Abul Kalam Azad

« مـــالك يوم الدين »

(Lord of the Day of Judgment)

The next attribute of God which is referred to is that of justice, and He is addressed as the Lord of the Day of Judgement.

The current religious beliefs had invested God with the characteristics of an absolute and moody monarch who, when he was pleased, showered gifts all around him or, when he was displeased, inflicted dire punishment. Thus arose the custom of offering sacrifices to appease God's wrath and win His favour. The Quran's conception of God, however, is not that of an arbitrary ruler who governs according to his moods and whims. On the contrary, the law of divine reward and retribution is a natural law and merely another form of the law of cause and effect which has universal application. We see its operation in the physical world around us all the time and should therefere have no difficulty in understanding its operation in relation to our spiritual conduct. If we under stand that the quality of fire is to burn, that of water to cool and that of poison to kill, and if when we sow wheat wear certain that what we shall reap can be nothing but wheat, how is it possible to imagine that the 'harvest' of a good deed can be anything but good and that of an evil act anything but evil. So it is that the Quran frequently uses the word "earn" for human conduct.

« كل امرئ بما كسب رهين »

(Every man is a pledge for That which he hath earned) LII : 21.

« لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت . . . »

(Allah taskth not a soul beyond its scope. For it (is only) that which it hath earned, and against it (only) that which it hath deserved...) II : 286. This message is frequently reiterated and it is made clear that if man is asked to do good and avoid evil, the object is not to appease a wrathful God but only to avoid self-injury and self-destruction and to attain grace and salvation.

« من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد » .

(Whose doeth right it is for his soul, and whoso doeth wrong it is against it. And thy Lord is not at all a tyrant to His slaves) XLI : 46. Man's limited intelligence has often failed to understand natural calamities and attributed them to the wrath of a terrible God, and thus fear and error wrongly came to be associated with the conception of God. These 'terrible' manifestation of Divine Mercy, for if nature did not provide such correctives justice would be disturbed and the entire existence would be disorganised. It is not an arbitrary rule that makes destruction, in some measure and form, an essential prerequisite to beautiful construction.

« ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال
الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين »

" Had we sent down unto thee (Muhammad) writing upon parchment, so that they could feel it with their hands, those who disbelieve would have said : This is naught else than mere magic."(9)

The subtle distinction between Quranic prophecy and Biblical prophecy - that the former means news of the Ghayb (The unseen world of God), and the later means prediction (10) - made by Professor Izitsu is easily refutable. As he knows well, the Book of Genesis speaks of the "Angel of God" (11), the appearance of God in person to Moses which caused him to hide his face, fearing to look at Him, (12) and God's direct communication with Moses, when He passed to him the ten commandments. Here we have three types of revelation in one book. Where, then lies the difference between the Qur'anic revelation and the Biblical revelation ?

I do not wish to divert my discussion to theology. But I would like to ask, did not the New Testament speak of the "Angel of God" and the "Holy Spirit"(13) and Christ's prayer to God(14) and Christ's address to God(15) ? A scrupulous critic fails to see the distinction our learned professor alluded to.

For those who are interested in pursuing this subject in Islamic literature, I recommend Sh. Mustafa Abd ar-Raziq's work " Religion, Revelation and Islam " available in Arabic and English.(16)

It should be said, in conclusion, that accusing the Prophets of insanity can only raise doubt as to the full sanity of the person who makes such an accusation. For, indeed, the Prophets, judged by the scriptures, were heroes who sacrificed their lives for the uplifting of the human society, and who suffered for the happiness of others. This is the least that one can say about them. The teachings and sayings of these men are the only reliable data for analysis and drawing conclusions. And no sane derson can claim that the teachings of the Bible and the Qur'an are devised by mentally ill people.

We are imperfect people compared with Moses, Jesus and Muhammad, to whom humanity is indebted for the noblest and brightest aspect of its life. Thousands of years have elapsed during which millions of people have been repeating their names, more than once a day, as a symbol of their deep affection and respect.

Time has not come to rely completely on our minds in order to discover the secrets of this Universe. What is the human mind compared with the absolute mind, and what is our earth compared with the whole Universe ? In the field of the spirit, we shall continue to be guided by the Prophets, and we shall continue our march in the way of God.

I. M. Husaini

---

(9) Qur'an 6, 6.
(10) God and Man in the Koran.
(11) 3/2.
(12) 3/6.
(13) 1/20
(14) 6/9
(15) 26/39
(16) مصطفى عبدالرازق، الدين والوحى والاسلام، القاهرة ١٩٤٥

all the prophets must have suffered from mental deficiency, since Muhammad could not have been the only exception.

Further, such an accusation must necessarily lead to denial of Judaism and Christianity, since all Biblical prophets supported their message by miracles and revelations which can not be proved scientifically and in laboratories.

Furthermore, Mohammad, in particular, enjoined the believers, in many verses in the Qur'an, to resort to reason as a means to believe that this Universe could not have been accidental. The Qur'an asserted often that the signs آيات of God are discernible everywhere in the Universe. Would an insane person call upon his people to accept reason as arbiter ?

Lastly, this accusation leads to atheism, anarchy and destruction of spiritual heritage of mankind, a loss which our generation, may all generations, can not afford, without a heavy loss of the most sublime aspect of our lives.

III

What is Revelation ?

I confess, right from the beginning, that I do not possess a formula for mysticism, which is a simpler term in the field of theology. These terms belong to the sphere of the spirit, and it is an error to treat them in the same way we treat materialistic terms, just as it is an error to analyse the behavior of a dog in the same way we analyse the behavior of a human being. It stands to reason that a spiritual concept should be treated within its own field, and that it is not succeptible to materialistic tests. The prophets are the only ones capable of explaining what "Revelation" is, and, indeed, they did so, in their own ways. Also, it is only the mystics who are capable of expounding mysticism. Is tt possible to translate the singing of a bird into our own languages ? Could we interpret the feelings of a bird when it sings ? Similary, we are incapable of explaining the experience of a very holy man, unless we elevate ourselves to the same level as his, and attempt to live his own experience. The question whether anything can be known must be decided, as Bacon says, not by arguing, but by trying.

The theologians define Revelation as : " God's disclosure or manifestation of Himself or His will to man, as through some act, oracular words, signs, laws, etc. "

When we are to accept this definition — and it seems that the followers of the Holy Scriptures do — then the only prerequisite is belief in God. Once the existance of God is admitted, then communication between God and man becomes, through Prophets ane highly spiritual individuals, feasible, if not necessary.

The statement that " no linguistic communication can occur between A & B when there is this kind of ontological discrepancy between the two " (8) is unsound. The conclusion which the author tried to draw is unsound too. This statement could be accepted from an atheist who does not comprehend the nature of God.

Indeed, it leads to renunciation of all prophecies. In this connection, it is appropriate to quote the Qur'an :

(8) God and Man in the Qur'an p. 167

spiritual life. Islam combines between the two phases : the law and the spiritual.

Further, the human elements in these religions widen the gap. Whereas Jewish and Islamic interpretation of God is based on His transcendency, the Christian interpretation is based on His incarnation. But the reality of God is one and only one, and the human interpretation can not change it.

It is quite true, also, that some of us incline to search everywhere, in the lines, between the lines, and in our own minds, for differences among theese raligions. And the moment we get a grain we make a mountain out of it. Some of us do that out of their profession, others out of their own minds. But the eternal fact remains unchanged: God is God and we are His children.

Further had Muhammad been possessed — or suffering from schizophrenia or epilepsy as some writers assert — the symptoms would have appeared in his sayings and conduct. All his companions, and later his followers, would have been more than fools to accept his leadership.

Muhammad was not only a prophet, he was a statesman, a legislator, a teacher and a leader, and as such he achieved a unique success. Would a mentally diseased person lead his people from success to success, in all these spheres, without being caught once as an insane person ? One might argue that he was accused by the pagan Arabs of "tajnin", and the Qur'an refuted the accusation, which is in itself, "an evidence that such was the actual situation at Mecca". The answer is that the very accusation must be directed against Noah and Moses, for both of them have been accused by their people of "Tajnin"(7). The second part of the statement is quite absurd. Otherwise Muhammad should hawe proved his sanity by admitting that he we insanc, which is ridiculous.

Muhammad's personality as a leader, a husband, a father, and a friend, proves that he was a man of integrity. His sincerity, affection, mercifulness, forgiveness, and nobleness have been admitted by many non-Muslim scholars. All his companions agreed that he was a man of the highest caliber, and they all loved him and respected him.

Ever since the rise of Islam, thousands of millions of Muslims, amongst them persons of great achievements in science, philosophy and theology, read the Qur'an and were thrilled by its content and style. Did they all fall under the spell of an insane man ? Are the 500 million Muslims of today equally deceived by a maniac ? and the few writers — who find it cleverness to slender one of the greatest leaders of all times — the only people who have spotted the deception ?

Now, what are the logical consequences of this accusation ?

The denial of "Revelation" must necessarily entail the denial of the theist concept of God, for all the Biblical prophets were inspired by Him. They all communicated a message in a form of revelation. It must follow, also, that

(7) cf. Sura 23-24 and 26-27.

each other with regard to the order of being, for God stands above representing a far lower level of being, then the linguistic communication is a logical impossibility, under normal conditions. (2)

Secondly, the learned author made extensive use of the Pagan Arabs' accusation of Muhammad of being possessed- although the auther discarded the fact that the accusation was not against Muhammad, but also against Noah and Moses - and concluded with the statement: " The very fact that the Kor'an stresses contantly that the Prophet Muhammad has nothing at all to do with demoniac possession, that he is not a man "possessed by a Jinn" in itself the strongest evidence that such was the actual situation at Mecca". (3) The learned author must have read the verse :

«هل أنبئكم على من تنزل الشياطين، تنزل على كل أفاك أثيم»

Shall I inform you upon whom the devils descend? They descend one very sinful, false one ". (4)

Thirdly, the learned author maintained that Muhammad showed in moments of prophetic inspiration signs of intense physical pain and mental sufferings. "So here was, they thought, another Shâir - a man possessed by a jinn, this was their natural immediate conclusion ". (5) It is noteworthy that the learned author quoted, in support of this view, a verse in the Qur'an which refers to Noah and not to Muhammad - a confusion which is very astonishing.

(2) cf. Ibid p. 166.

(3) Ibid p. 172.

(4) Qur'an 26:221.

(5) God and Man in the Qur'an, p, 172.

Fourthly, the learned author analysed the style of the Qur'an, and supported implicitely the Pagan's view that Muhammed must have been a kahin - soothsayer - on the ground of his formal, stylistic characteristics. (6)

II

Was Muhammed possessed, and what are the consequences of such an accusation ?

The only reliable criterion which stands to all tests, scientific and psychological, is the Qur'an itself. what symptoms of "tajnin" are discernible in the Qur'an ?

As a humble student of the Holy scriptures, the Bible and the Qur'an, I maintain that the moral teachings of these books are basicaly identical. There is nothing in the Qur,an which contradicts the Mosaic code or the ideals incorporated in the New Testament. What is more important is that the central point, the core of these religions is one. They all revolve around one God. They are monotheistic religions which attract the minds and the souls of the believers towards one Almighty, Merciful God, and free them from worshiping lower creatures.

It goes without saying that there are differences among these religions. Indeed, these differences are the only justification for their existence. Yet these differences are less fundamental than the common principles which bind them together. There are differences in shift of emphasis. Judaism stresses the law and the rituals. Christianity stresses the

(6) cf. p. 175.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYAT

Dhu'l-hijja 1385	ENGLISH SECTION EDITED BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE	March 1966

WHAT IS REVELATION ?

By : Dr. ISHAQ MUSA AL-HUSAINI

Professor Toshihiko Izutsu, Professor of philosophy at Keio University, Japan, brought to his ultramodern laboratory a super-classical term, " Revelation ", and after long tests and investigations, came out with the following statement : "Now, if we stop at this stage - and the pagan Arabs did stop at this stage and obstinately refused to go any further - and look at the matter from the 'Jâhili' point of view, then the whole thing would appear to be just the very familiar phenomenon of possession (Tajnin), which is, in no way peculiar to the Arabs or the Semites, but somethig of the widest occurrence throughout the world and generally known in modern times under the name of shamanism. Some invisible supernatural being, whether a spirit or divinity, suddenly possesses an ecstatic person momentarily, and utters through him impassioned words, mostly in verse, which the man could never compose by himself in ordinary, i. e. non-ecstatic, moments". (1)

(1) God and Man in the Koran, Tokyo 1964, p. 168.

In other words, Professor Izutsu said that the Prophet Muhammad was possessed by demons, an epithet which we have almost forgotten in this age of atomic energy and space discoveries, since it used to be current often in the middle ages, and later in the works of certain bigots.

It might be argued that the learned professor attributed the statement to the pre-Islamic Arabs who were heathen, and that he himself did not share their view.

The truth of the matter is that the learned professor in spite of his subtlety and oriental politeness drove his reader to the contrary conclusion.

First of all, the author proved conclusively-as he thought-that no linguistic communication could take place between two parties who belong categorically to two different beings. And since God and Muhammad are quite different from